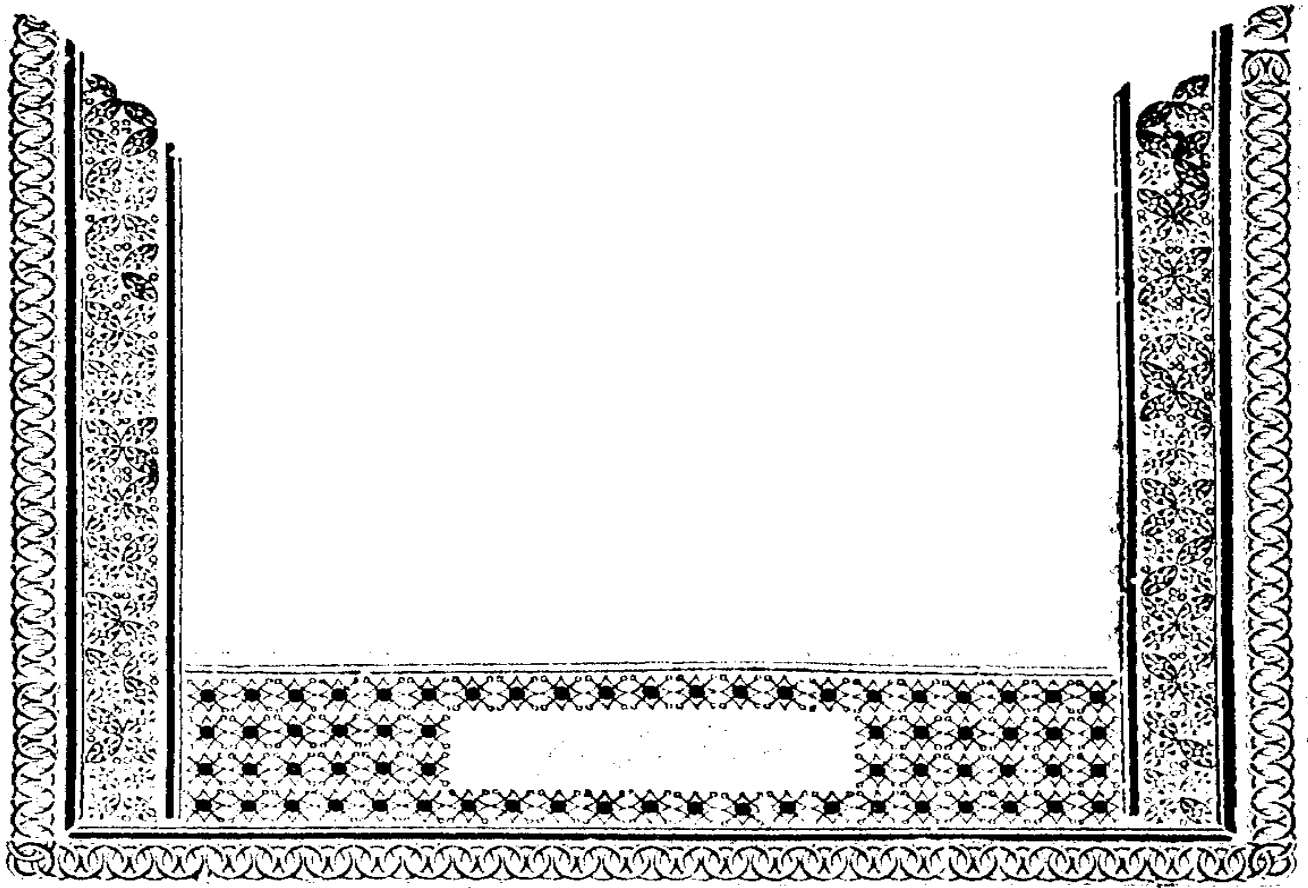


فهرسة الجزء الثالث من تفسير الخطيب الشرييني

سورة العنكبوت ١٢٣	سورة القصص ٧٩	سورة النمل ٠٤١	سورة الشعراء ٠٠٢
سورة الاحزاب ٢١٦	سورة السجدة ٢٠١	سورة لقمان ١٧٩	سورة الروم ١٥٥
سورة الصافات ٣١٨	سورة يس ٣٣٥	سورة فاطر ٣١٠	سورة سبأ ٢٧٧
سورة حم السجدة ٥٠١	سورة المؤمن ٤٦٥	سورة الزمر ٤٣٠	سورة ص ٣٩٨
سورة الجاثية ٥٩٢	سورة الدخان ٥٧٨	سورة الزخرف ٥٥٢	سورة شورى ٥٢٦

(تمت)



وهي مائتان وست وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة  
واثنان وأربعون حرفاً روى البغوي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت  
طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام (بسم الله) الذي دلّ علوه كلامه على عظمة  
شأنه وعز مرامه (الرحمن) الذي لا يبجل على من عصاه (الرحيم) الذي يحيي قلوب أهل وده  
بالتوفيق لما يرضاه (طسم) قال ابن عباس بعزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية عنه  
أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن وقال مجاهد اسم السورة  
وقال محمد بن كعب القرظي أقسم بطوله وسنانه وملكه ولهذا الاختلاف قال الجلال  
المحلي الله أعلم مراده بذلك وقد قدمنا الكلام على أوائل السور في أول سورة البقرة وقرأ حجة  
والكسافي وشعبة بامالة الطاء والباقون بالفتح وأظهر حجة النون من سين عن الميم وأدغمها  
الباقون وهي في مصحف عبد الله بن مسعود ط س م متطوعة من بعضها (تلك) أي هذه  
الآيات العالمية المرام الحائرة أعلى مراتب التمام المؤلفة من هذه الحروف التي تتناطقون بها  
وظلمات ألفتكم (آيات الكتاب) أي القرآن الجامع لكل فرقان (المبين) أي الظاهر  
ابجازه المظهر الحق من الباطل \* ولما كان عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة وعظيم  
الرحمة على قومه قال تعالى تسليمة له (اعلك باخع) أي هالك (نفسك) نعم وأسفان من أجل

(الايكونوا) أى قومك (مؤمنين) أى راسخين فى الايمان أى لا تسالغ فى الحزن والاسف فان هذا الكتاب فى غاية البيان فى نفسه والابانة للغير وقد تقدم فى غير موضع انه ليس عليك الابلاغ ولو شئت الهدى بناهم طوعا أو كرها والبجع أن يبلغ بالذبح الجاع بالخاء وبالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من ايمان قومك فصبره وعزاه وعرفه أن حزنه ونغمه لا ينفع كما أن وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع ثم انه تعالى أعلمه بأن كل ما هم فيه انما هو بإرادته بقوله تعالى (أن نسا تنزل عليهم) وعبر بالمضارع فيهما اعلا ما بدوام القدرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون الثانية واخفائهما عند الزاى وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى ثم قال تعالى محققا للمراد (من السماء) أى التى جعلنا فيها بروج للمنافع وأشار الى تمام القدرة بتوحيدها بقوله تعالى (آية) أى فاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم يتقى الجبل ونحوه \* (تبيهه) \* هنا همزان مختلفتان أبدل نافع وابن كثير وأبو عمرو والهمزة الثانية المفتوحة بعد المكسورة ياء خاصة وحققتها الباقون ثم أشار تعالى الى تحقق هذه الآية بالتعبير بالماضى فى قوله تعالى عطفًا على نزل لانه فى معنى أنزلنا (فظلت) أى عقب الانزال من غير مهلة (أعناقهم) أى التى هى موضع الصلابة وعنهما تنشأ حركات الكبر والاعراض (لهما خاضعين) أى منقادين \* (تبيهه) \* خاضعين خبر عن أعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلاء وأجيب عنه بأوجه أحدها أن المراد بالاعناق رؤسهم ومتمدهم وهم شبهوا بالاعناق كما يقال لهم الرؤس والنواصي والمدور قال القائل \* فى مخفل من رؤس الناس مشهود \* ثانياً انه على حذف مضاف أى فظل أصحاب الاعناق ثم حذف وبقى الخبر على ما كان عليه قبل حذف الخبر عنه مراعاة للمعذوف ثالثاً أنه لما أضيف الى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما اكتسب التائيت بالاضافة أو نث فى قوله \* كما شرقت صدر القناة من الدم \* رابعها قال الزمخشري أصل الكلام فظالوا لها خاضعين فاحتمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهب أهل اليمامة كان الأهل غير مذكور ويوزع فى التنظير لأن أهل ليس مقعما البتة لانه المقصود بالحكم خامسها أنها عوملت معاملة العقلاء كتبولة تعالى ساجدين وطائعين فى يوسف والسجدة وقيل اعناقاً تعالى خاضعين لموافقة رؤس الآى لتكون على نسق واحد (وما يأتهم) أى الكفار (من ذكر) أى موعظة أو طائفة من القرآن يذكر وتنابه فيكون سبب ذكرهم وشرههم (من الرحمن) أى الذى أنكره مع احاطة نعمه بهم (محدث) أى بالنسبة الى تنزيه وعلمهم به وأشار تعالى الى دوام كبرهم بقوله تعالى (الأنواع اعنه معرضين) أى اعراضاً هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض عن الشئ حال المكذب به قال تعالى (فقد) أى فتسبب عن هذا الفعل منهم أنه قد (كذبوا) أى بالذکر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث أدى بهم الى الاستهزاء به الخبر به عنهم ضمناً فى قوله تعالى (تسبأتهم) أى اذا هم عذاب الله تعالى يوم يدرى يوم القيامة (أنباء) أى عظيم أخبار

قوله من رؤس الناس  
فى الكشاف من  
نواصي الناس ٥١

وعواقب (ما) أى العذاب الذى (كانوا يستهزؤن) أى همزؤن من أنه كان حقاً وباطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فيستخف أمره ثم قال تعالى محجباً منهم (أولم يروا إلى الأرض) أى على سعتها واختلاف نواحيها ونبتها على كثرة ما صنع من جميع الأصناف بقوله تعالى (كم أنتننا) أى بما للنامن العظيمة (فيها) بعد أن كانت يابسة ميتة لانبثاق فيها (من كل زوج) أى صنف متشاكل بعضها لبعض فلم يبق صنف يليق بهم فى العاجلة إلا أكثر نامن الانبثاق منه (كريم) أى كثير المنافع محمود العواقب وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وهو ضد اللثيم وههنا يحتمل معنيين أحدهما النبت على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت فى الأرض من جميع أصناف النبت النافع وخصى ذكر الضار والثانى أن يعم جميع النبت نافعاً وضاراً ويصفهما جميعاً بالكرم وينبى على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا فيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا الحكمة بالغنة وان غفل عنها الغافلون ولم يتصل إلى معرفتها العاقلون ولما كان ذلك باهر للعقل منبهاً فى كل حال على عظيم اقتدار صنائه وبديع اختياره وصل به قوله تعالى (أن فى ذلك) أى الأمر العظيم (آية) أى دلالة على كمال قدرته تعالى (فان قيل) حين ذكر الأزواج دل عليها بكلمتى الكثرة والاحاطة وكان لا يخصها إلا العالم الغيب فكيف قال أن فى ذلك آية وهلا قال لايات (أجيب) بوجهين أحدهما أن يكون ذلك مشارباً إلى مصدر أنتننا فإنه كانه قال أن فى ذلك الانبثاق لآية ثانياً ما أن يراد أن فى كل واحد من تلك الأزواج لآية (و) الحال انه (ما كان أكرمهم) أى البشر (مؤمنين) فى علم الله تعالى وقضائه فلذلك لا ينفعهم مثل هذه الآيات العظام وقال سيويه كان زائدة (وان) أى والحال أن (ربك) أى الذى أحسن اليك بالارسل وسخر لك قلوب الأصفياء وزوى عنك اللد والاشقياء (لهو العزيز) أى ذو العزة يتقمم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين ولما كان مع ما ذكر فى ذكر القصص تسلية لتبيننا صلى الله عليه وسلم فيما يقاسبه من الأذى والتكذيب وكان موسى عليه السلام قد اختص بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله والآيات التى ما أتى بمثلها أحد قبله بدأ يذكره فقال تعالى (واذ) أى واذا كراذ (نادى ربك) أى المحسن اليك بكل ما يمكن الاحسان به فى هذه الدار ثم ذكر المنادى بقوله تعالى (موسى) أى حين رأى أى الشجرة والنار واختلف أهل السنة فى النداء الذى سمعه موسى عليه السلام أهو الكلام القديم أو صوت من الاصوات قال أبو الحسن الأشعري رضى الله تعالى عنه هو الكلام القديم فكأن ذاته تعالى لا تشبه سائر الذوات مع أن الدليل دال على انها معلومة ومرتبعة فى الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزعه عن مشابهة الحرف والصوت مع أنه سموع وقال الماتريدى هو من جنس الحروف والاصوات وأما المعتزلة فقد ادعتوا على أن ذلك النداء كان بحروف واصوات علم به موسى من قبل الله تعالى فصار مجزاً علم به موسى أن الله تعالى مخاطباً فلم يحتج مع ذلك لواسطة ثم ذكر تعالى ماله النداء بقوله تعالى (ان) أى بأن (انت القوم) أى الذين فيهم قوة وأى قوة (الظالمين) رسولا ووصفهم بالظلم لـكفرهم



واستعبادهم بنى اسرائيل وذبح اولادهم وقوله تعالى (قوم فرعون) أى معه بدل أو عطف  
بيان للقوم الظالمين وقوله تعالى (الآياتون) استئناف أتبعه ارساله اليهم للانذار تعجباً من  
افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه ولما كان من المعلوم أن من أتى الناس بما يخالف أهواءهم  
لم يقبل (قال رب) أى أيها الرفيق بى (انى أخاف أن يكذبون) أى فلا يترتب على آياتى اليهم  
أثر فاجعل لى قبولا ومهابة تحرسنى بها من يريدنى بسوء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يفتح  
الياء والباقون بالسكون (ويضيق صدرى) من تكذيبهم لى (ولا ينطق لسانى) بأداء الرسالة  
للعقدة التى فيه بواسطة تلك الجمرة التى لذعته فى الطقولية (فأرسل) أى فتسبب عن ذلك الذى  
اعتذرت به عن المبادرة الى الذهاب عند الامر بطلب الارسال (الى هرون) أخى لى لى  
ضد اعلى ما مضى له من الرسالة فيحتمل أن تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وأن تكون  
قد زالت عند الدعوة ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من القصص المصاعف الذين أوتوا  
سلطة الاسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد أن يقرن به ويدل عليه قوله  
تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ومعنى فأرسل الى هرون أرسل اليه جبريل واجعله نبيا  
وأزرنى به واشدديه عضدى وهذا الكلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد أحسن  
فى الاختصار حيث قال فأرسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى تقصير  
الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا آياتنا فندرتنا هم تدميرا حيث  
اقتصرت على ذكر طرفى القصة أو نهاياتها وأخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو  
الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا آيات الله فأراد الله الزام الحجة عليهم  
فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فان قيل) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن  
يأمره ربه بأمر فلا يقبله بسبع وطاعة من غير توقف وتثبت بعالم وقد علم أن الله تعالى عليم  
بجمله (أجيب) بأنه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على  
تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فهدى قبل التماسه عذرا فيما التمس ثم التمس بعد ذلك وتعميد العذر  
فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون  
دليلا على التقبل لاعلى التعلل ثم زاد فى الاعتذار فى طلب العون خوفا من أن يقتل قبل تبليغ  
الرسالة بقوله (ولهم على ذنب) أى تبعه ذنب فحذف المضاف وأسمى باسمه كما يسمى جزاء  
السيئة سيئة وهو قتله القبطى ومما ذنبنا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطه فى  
مواضع (فأخاف) بسبب ذلك (أن يقتلون) أى يقتلوننى به (قال) الله تعالى (كلا) أى  
ارتدع عن هذا الكلام فإنه لا يكون شئ مما خفت لاقتل ولا غيره وكأنه لما كان التكذيب  
مع ما أقام عليه من الصدق من البراهين المقوية لصاحبها الشارحة لصدره العلية لامره عدعدهما  
وقد أجبننا الى الاعانة بأخيك (فأذهبنا) أى أنت وأخوك متعاضدين الى ما أمرتك به  
مؤيدين (بآياتنا) الدالة على صدقنا \* (تنبيه) \* فأذهبنا عطف على ما دل عليه حرف الردع من  
العمل كأنه قيل ارتدع عما تظن فأذهبنا أنت وأخوك بآياتنا (انا) أى بما لنا من العظمة

(معكم مستمعون) أي سامعون لانه تعالى لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نثر من الجن فقالوا اناسمنا قرآنا عجباً وبقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم وهو الكحل المذاب ويروي البيهقي وهو بزيادة الياء (فان قيل) لم قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان (أجيب) بأنه تعالى أجراهما مجرى الجمع تعظيماً لهما أو معكم ومع بنى اسرائيل يسمع ما يجهيكم فرعون (فأثباتاً) أي فتسبب عن ذهاب ما ذكرت بالحراسة والحفظ انى أقول لكما اثباتاً (فرعون) نفسه وان عظمت ملكته وجلت جنوده (فتقولا) أي ساعة وصول كماله ولمن عنده (انارسل رب العالمين) أي المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم (فان قيل) هلاثنى الرسول كماثنى في قوله تعالى انارسلوا ربك (أجيب) بأن الرسول يكون بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وأما ههنا فهو اما لانه مصدر بمعنى الرسالة والمصدر يوحد ومن مجي رسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم \* بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة والواشون الساعون بالكذب عند ظالم وما فهمت بمعنى ما تكلمت واما لانها ذواشربعة واحدة فتزلا منزلة رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالشبيين المتلازمين كالعينين واليدين وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذا ان رسولى ووكيلى وهو لا رسولى ووكيلى كما قال تعالى وهم لكم عدو ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه فقال معبراً باداة التفسير لان الرسول فيه بمعنى الرسالة التى تتضمن القول (أن) أى بأن (أرسل) أى خل وأطلق وأعاد الضمير على معنى رسول فقال (معنا بنى اسرائيل) أى قومنا الذين استعبدتهم ظلموا ولا سبيل لك عليهم نذهب بهم الى الارض المقدسة التى وعدنا الله تعالى بها على السنة الانبياء من آباءنا عليهم الصلاة والسلام وكان فرعون استعبدتهم أربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلاثين ألفاً وروى أن موسى رجع مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه ومكث معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل داره نفسه وأخبره روث بأن الله تعالى أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك حتى ندع وفرعون الى الله تعالى فخرجت أمهم ما وصاحت وقالت ان فرعون يطلمك ليقتلك فلو ذهبنا اليه قتل كما فلم يمتنع بقولها وذهبنا الى باب فرعون ليملاودنا الباب فنزع البوابون وقالوا من الباب وروى أن البواب اطاع عليهم ما وقال من بالباب ومن أتمنا فقال موسى انارسل رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون انن له لعلنا نضحك منه وقيل لم يؤذن لهما الى السنة فدخلا عليه وأذبا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته فلما عرفه (قال) له منكر اعابه (الم تربيت) حذف فأتيا فرعون فقال له ذلك لانه معلوم لا يشبهه وهذا النوع من الاختصار كثير في القرآن

لا  
(فينا) أى فى منازلنا (وايدا) أى صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (ولبت فينا)  
أى فى عزنا باعتبار انقطاع الينا وعزك بنا (من عمرك سنين) ثلاثين سنة فقالنا عليك  
من الحق ينبغى أن ينعك من مواجعتنا بمثل هذا وكانه عبر بما يفهم التكذ كناية عن مدة مقامه  
عنده بأنها كانت نكدة لانه وقع فيما كان يخافه وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الاطنان وكان  
موسى يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه وقرأ نافع وابن كثير  
وعاصم باظهار الراء المثلثة عند التاء والياء والادغام ولما ذكره ما يحمله على الحياة منه ذكره  
ذبا يخاف من عاقبته قتال مهولا له بالكناية (وفعلت فعلتك) أى من قتل القبطى ثم أكد  
نسبته الى ذلك مشيرا الى أنه عام له بالحلم تحجيلا له فقال (التي فعلت وأنت) أى والحال أنك  
(من الكافرين) قال الحسن والسدى من الكافرين بالهك ومعناه على ديننا هذا الذى تعيبه  
وقال أكثر المفسرين أى الجاحدين لنعمتى عليك بالتريبة وعدم الاستعباد يقول ريبناك  
فكافأنا ان قتلت منا الله ساو أفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفى عن ابن عباس وقال ان فرعون  
لم يكن يعلم ما الكسر بالربوبية (قال) له موسى مجيبا على طريقة النشر المشوش واثقا بوعد  
الله تعالى بالسلامة (فعلتها اذا) أى اذقتله (وأنا من الضالين) أى من الجاهلين بأن ذلك  
يؤدى الى قتله والمخطئين كن يقتل خطأ من غير عمد لاقتل قال ابن جرير والعرب تضع الضلال  
موضع الجهل والجهل موضع الضلال وقيل لا أعرف ذنبا فانا واثق من كل جهة حتى يوجهنى  
ربى الى ماشاء (ففررت) أى فتسبب عن فعلها انى فررت (منكم) أى منك لسطوتك ومن  
قومك لا غرائهم اياك على (لما خفتكم) على نفسه أن تقتلوه بذلك القتل الذى قتلته خطأ  
وأنا بن اثنتى عشرة سنة مع كونه كافرا مهددا لدم (فوهب لى ربي) الذى أحسن الى يتربى  
عندكم تحت كذب أى أمانة على مما أحدثتم من الظلم (حكما) أى علما وفهما وقيل نبوة  
(وجعلنى من المرسلين) أى فاجهد الان جهدا فانى لا أخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع  
فى كلام فرعون من وتعبير بدأه بجوابه عن التعبير ولانه الاخير فكان أقرب ولانه أهم وهو معنى  
ما تقدم من أنه على طريقة النشر المشوش بأن يبدأ بالخير قبل الاول ولهذا كثر على امتنانه  
عليه بالتريبة فأبطله من أصله موبجالة مبيكاً منكراً عليه غير انه حذف حرف الانكار اجالا  
فى القول واحسانا فى الخطاب وأبى أن تسمى نعمته الانعمة بقوله (وتلك) أى التريبة  
الشيعة العظيمة فى الشناعة التى ذكرتها (نعمه عنهما على أن عبدت) أى تعبيدك وتذليلك  
قوى (بنى اسرائيل) أى جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم أبناء الانبياء والسلفهم به سف عليه  
السلام عليكم من المنة باحياء نفوسكم أولا وعتق رقابكم ثانيا ما لا تقدرون له على جزاء أصلا  
ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لم يفعل مسة بعد ما مرت بقتل آبائهم فكان ذلك سبب وقوى  
اليك لاسلم من ظلمك ولو لم تفعل ذلك لكفانى أهلى ولم يلقونى فى اليوم فكيف تن على بذلك وقيل  
معناه أنك تدعى أن بنى اسرائيل عبيدك ولأمانة للمولى على العبد فى تربيته وقال الحسن أنك  
استعبدت بنى اسرائيل فأخذت أموالهم وأنفقت منها على فلانعمة لك بالتريبة وقيل ان الذى

تولى ترتيبهم الذين استعبدتهم فلا ضئلك على لان التربة كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك  
 الا مجرد الاسم وهذا ما بعد انعاما (فان قيل) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تنها  
 وعبدت (أجيب) بأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملته المؤتمرين بقتله  
 كما مرت الاشارة اليه بدليل قوله تعالى ان الملايا عمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فنه وحده  
 وكذلك التعبيد \* ولما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين وأدخله عليه (قال) له  
 (فرعون) عند دخوله حائدا عن جوابه منكر الخالقة على سبيل التجاهل كما أنكره هؤلاء الرجن  
 متجاهلين وهم أعرف الناس بغالب أفعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه الصلاة  
 والسلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر (وما رب العالمين) أي الذي  
 زعمتم أنكم رسوله وانما أتى بعبادون من لانها يستل بها عن طلب الماهية كقولك ما العنقاء  
 ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه  
 وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته عدل موسى عليه السلام الى جواب ممكن  
 فأجاب بصفاته تعالى كما قال تعالى اخبارا عنه (قال رب) أي خالق ومدبر (السموات)  
 كلها (والارض) وان تساعدت أجرامها بعضها من بعض (وما بينهما) أي بين السموات  
 والارض فأعاد ضمير التثنية على جمعين اعتبارا بالجنسين وخصه بهذه الصفات لانها أظهر  
 خواصه وآثاره وفيه ابطال لدعواه انه اله ومعنى قوله (ان كنتم موقنين) أي ان كان يرجى  
 منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح فتعكم هذا الجواب والالام ينفذ أو ان كنتم موقنين  
 بشئ فلهذا أولى ما توقعون به اظهوره وانارة دليله ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب  
 الحق (قال) فرعون (لمن حوله) من أشرف قومه قال ابن عباس وكانوا خمسمائة رجل  
 عليهم الاسورة وكانت للملوك خاصة (الاتسمعون) جزابه الذي لم يطابق السؤال سألته عن  
 حقيقة وهو يبين بالفاعلية ولما كان يمكن أن يعتقد أن السموات والارضين واجبة لذاتهما  
 فهي غنية عن الخالق (قال) لهم موسى زيادة في البيان (ربكم ورب آبائكم الاولين)  
 فعدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقا لهم ولا بآبائهم  
 اذ لا يمكن أن يعتقد في نفسه وفي آبائه وأجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على  
 أنهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحالة أن يكون واجبا لذاته  
 واستحالة وجوده الا بالموثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر ولكن فرعون لم يكتف بذلك  
 ولهذا (قال ان رسوا بكم) على طريق التكميم اشارة الى أن الرسول ينبغي أن يكون أعقل  
 الناس ثم زاد الامر بقوله (الذي أرسل اليكم) أي وأنتم أعقل الناس (لمجنون) لا يفهم  
 السؤال فتلا عن أن يجيب عنه فكيف يصلح للرسالة من الملوك فلما قال ذلك عدل موسى عليه  
 السلام الى طريق ثالث أرضع من الثاني بأن (قال رب المشرق والمغرب) أي الشروق  
 والغروب ووقتهما وموضعهما (وما بينهما) من المخلوقات لان التدبير المستقر على هذا الوجه  
 العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع غرذفانه

قوله على جمعين  
 لا يخفى ان الارض  
 مفرد لا جمع وفي  
 الكشاف فان قلت  
 كيف قيل وما بينهما  
 على التثنية والمرجوع  
 اليه مجموع قلت  
 أريد وما بين الجنسين  
 فعل بالضمير مافعل  
 بالظاهر من قال في  
 الهجاء جالين اه  
 فتأمل اه صححه

استدل أوتوا بالاحياء والامانة وهو الذي ذكره موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آياتكم الاولين فأجابهم نمرودا ناأحي وأميت فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهم من المغرب فبنت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب وأما قوله (ان كنتم تعقلون) فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لك لانك طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا أن أعرف حقيقته بآثار حقيقته وقد عرفت حقيقته بآثار حقيقته فمن كان عاقلا يقطع بأنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لك فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل الى التخويف بأن (قال لئن اتخذت الهما غيري لاجعلنك من المسجونين) أي واحدا من هم في سجنى على ما تعلم من حالى فى اقتدارى ومن سجونى وقظاعتها ومن حال من فيها من شدة الحصر والغلظ فى الحجر قال الكلابى كان سجنه أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق وحده لا يسمع ولا يبصر فيها شيأ وقرأ ابن كثير وحفص وعاصم باظهار الذا ل عند التاء والباقون بالادغام ثم ذكر موسى عليه السلام كلاما مجملاليا يعلق فرعون قلبه به فيعدل عن وعيده بأن (قال) مدافعا بالتي هي أحسن ارتضاء للعنان لازادة البيان معنى لا يبق معه عذر ولا نسيان لان من العادة الجارية السكون الى الانصاف والرجوع الى الحق والاعتراف (أولو) أي أتسجننى ولو (جئتك بشئ مبين) أي هل يحسن أن يذكر هذا مع اقتدارى على أن آتيتك بشئ يدلين يدلان على وجود الله تعالى وعلى أنى رسوله فعند ذلك (قال) طمعا فى أن يجد موضعا للتكذيب أو التلبيس (فأت به) أي تسبب عن قولك هذا أنى أقول أنت بذلك الشئ (ان كنت من الصادقين) أي فيما ادعيت من الرسالة \* (تنبيه) \* الواو فى أول وجئتك واو الحال وليتها الهـ مزقة بعد حذف الفعل كما علم من التقرير (فان قيل) كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله أول وجئتك بشئ مبين أي بآية بيّنة والمعجز لا يدل على ذلك كدلالة سائر ما تقدم (أجيب) بأنه يدل بما أراد أن يظهره من انقلاب العصاحية على الله تعالى وعلى توحيده وعلى أنه صادق فى ادعاء الرسالة فالذى ختم به كلامه ما تقدم (فألتى) أي فتسبب عن ذلك وتعقبه أن ألقى موسى (عصاه) التى تقدم فى غير سورة ان الله تعالى أراه اياها ولم يصرح باسمه اكتفاء بضعفه لانه غير ملتبس (فأذاهى ثعبان) أي حية فى غاية الكبر (مبين) أي ظاهر ثعبانيته روى انه لما انقلبت حية ارتفعت الى السماء قدر ميل ثم انقضت مقبله الى فرعون تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلاك الا ما أخذتها فأخذها فعدت عصا (فان قيل) كيف قال هناعبان مبين وفى آية أخرى فاذاهى حية تسعى وفى آية ثالثة كأنها جان والجان ما أتل الى الصغر والثعبان الى الكبر (أجيب) بأن الحية اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها ويحتمل أنه شبهها بالشیطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل أنها كانت صغيرة

كالبلان ثم عظمت فصارت نعبانا ثم اتق موسى عليه السلام لما أراه آية العصا قال فرعون هل  
 غيرها قال نعم (ونزع يده) أى التى كانت احترقت لما أخذ الحجر وهو فى حجر فرعون  
 وبذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الأطباء فحجزوا عن إبراهيم أن يذهب  
 جيبه بعد أن أراه آياها على ما يعهده منها ثم أدخلها فى جيبه (فأذاهى) بعد النزاع (بيضاء  
 للناظرين) يضى الوادى من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر  
 ويستد الاق فبعده هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أمورا أولها ان (قال  
 للملاحولة) لما رضخ له الامر يعقوه على عقوباتهم - ووفان ايمانهم (ان هذا الساحر عليم) أى  
 شديد المعرفة بالسحر حوله حال من الملاوة فعول القول قوله ان هذا الساحر عليم ولما أوقعهم  
 بما جعلهم به أحاهم لانفسهم فقال ملقيا للباب الالهية لما قهره من سلطان المعجزة (يريد  
 أن يحرجكم من أرضكم) أى هذه التى هى قواكم (بصرد) أى بسبب ما أتى به فإنه يوجب  
 استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال لقومه الذين كان يزعم أنهم عبيده وأنه الههم ما دل  
 على أنه حارت قواه فخط عن منكبسه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه لما استولى عليه من  
 الدهش والحيرة حتى جعل نفسه مأمورا بعد أن كان يدعى كونه أمر ابل الها قادرا (فإذا  
 تأمرون) أى فى مدافعتهم عما يريد بنا (قالوا) أى الملا الذين كانوا حوله (أرجسته وأخاه)  
 أى آخر أمره - ما ومناظرتهما الى اجتماع السحرة ولم يأمر بقتلهما ولا بما يقارب فسبحان من  
 يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده فيها به كل شئ ولا يهاب هو غير خالقه وقرأ قالون  
 بغيره - مزوا اختلاس كسرة الهاء وورش والكسافى بغيرهمز واشباع حركة كسرة  
 الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصله الهاء مضمومة وأبو عمرو بالهمزة وضم الهاء  
 مقصورة وابن ذكوان بالزحزة وكسر الهاء مقصورة وعاصم وحزة بغيرهمز واسكان الهاء  
 (وابعث فى المداين حائرين) أى رجالا يحشرون السحرة وأصل الحشر الجمع بكسر وقيل ان  
 فرعون أراد قتل موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان تقتله دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن  
 آخره واجعله سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم  
 (يا أولئك بكل سخار) أى بليغ فى السحر فخا وإبكامه الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه  
 ويسكنوا من بعض قلبه (عليه) أى متناه فى العلم به بعد ما تنهاى فى السحرية وعبر بالبناء  
 للمفعول فى قوله (تجمع السحرة) إشارة الى عظمة ملكه أى بأيسر أمر لاله عندهم من  
 العظمة (ليقات يوم معلوم) أى فى زمانه ومكانه وهو ضحى يوم الزينة كما مر فى طه وعن ابن  
 عباس وافق يوم السبت من أول يوم من سنتهم وهو يوم النيروز (وقيل) أى يقول من يقبل  
 لكونه عن فرعون (للناس) أى عامة وقوله (هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع  
 والمراد منه استعجالهم واستحاثتهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك  
 منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له ان للناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبطشرا  
 اسم شاعر

هل أنت باعت دينار لاجتنا • أو عبد رب أخاعون بن مخراق

أى هل أنت حث على إرسال دينار أو عبد رب اسمي رجلين والثاني منصوب على محل الأول  
وأخاعون منادى أو عطف بان له وعليه اقتصر الكشاف (اعلنا تتبع السحرة) أى  
في دينهم (ان كانوا هم الغالبيين) أى لموسى في دينه ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم  
اتباع السحرة وإنما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم  
إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل أرادوا بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على  
طريق الاستهزاء وعبر بالناء في قوله (فلما جاء السحرة) أى الذين كانوا في جميع بلاد مصر  
إذا تاب بسرعة حشرهم لخدمة ملكه ووفور عظمتهم (قالوا الفرعون) مشترطين الاجرفي  
حال الحاجة الى الفعل ليكون ذلك أجدر بحسن الوعد ومجاز التمسد (أئن لنا اجرا ان كنا  
نحن الغالبيين) موسى وأتوا بأداة الشك مع جزمهم بالغلبة نحو بفضاله بأنه ان لم يحسن في وعدهم  
لم ينحوا له (قال) مجيبا الى ما سألوا (نعم) لكم ذلك وقرأ الكسائي بكسر العين والباقون  
بالفتح وزادهم عمالا أحسن منه عند أهل الدينامو كذا بقوله (وانكم اذا) أى اذا غلبتم  
(لمن المقربين) أى عندي وزاد اذاه في زيادة في التأكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا لموسى  
امان تلقى واما أن نكون نحن الملقين (قال لهم موسى) أى مريدا لابطال سحرهم لانه لا يتمكن  
منه الا بالقائمهم (ألقوا ما أنتم ملقون) فان قيل كيف أمرهم بفعل السحر أجيب بأنه لم يرد  
بذلك أمرهم بالسحر والتقوية بل الاذن بتقديم ما هم فاعلوه لاجل حاله توسلا به الى اظهار الحق  
(فألقوا) أى فتسبب عن قول موسى عليه السلام وتعبه أن ألقوا (جبالهم وعصيم) أى  
التي اعدوها للسحر (وقالوا) مقسمين (بعزة فرعون) وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل  
حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله تعالى أو باسم من اسمائه أو صفته من صفاته  
كقولك والله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بايا باتكم ولا بأماهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا  
بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسبت لها  
الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم  
يعتد به حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فذلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف  
لخالف ثم انهم أكدوا عيبتهم بأنواع من التوكيد بقولهم (انا نحن) أى خاصة لانستثنى  
(الغالبون) وذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم ولا يتأخرون بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر  
(فألقى) أى فتسبب عن صنع السحرة وتعبه أن ألقى (موسى عصاه) التي جعلت آية له وتسبب  
عن القائه قوله تعالى (فاذا هي تلقف) أى تتلعق في الحال بسرعة وهمة (مايا فكون) أى  
ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيضلون في حبالهم وعصيم انما  
حبات نسعى بالتقوية على الناظرين أو وافكهم سمى تلك الاشياء افكاً مبالغة وقرأ حفص يسكون  
اللام وتخفيف القاف وقرأ الباقر بنفع اللام وتشديد القاف وشدد البرى التاء في الوصل

قوله اى هل أنت  
عبارة الكشاف  
يريد بعنه الينا  
مربعا ولا تطبق به  
هـ

وخففها الباقون (فألقى السحرة) أي عقب فعلها من غير تلبث (ساجدين) أي فسجدوا  
 بسرعة عظيمة حتى كأنهم لم يقبلوا لقاءهم من قوة أسراعهم علمهم بأن هذا من عند الله فأمسوا  
 أتقيا بريرة بعد ما جازوا في صبح ذلك اليوم سحرة كفرية روى أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى  
 سحرا فلن يغلب وإن يك من عند الله فلن يخفي علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علوا  
 أنه من عند الله فاتموا وعن عكرمة أصحوا وسحرة وأمسوا وشهداء وانما عبر عن الخرو  
 بالالقاء لانه ذكر مع الالتقاء فسلك به طريقة المشاكاة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكاة انهم  
 حين رأوا ما رأوا ولم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كما أنهم أخذوا  
 فطرحوا طرحا (فان قيل) فاعل الالتقاء ما هو لو صرح به (أجيب) بأنه الله تعالى بما خولهم  
 من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة قال الزمخشري ولك أن لاتقدر فاعلا  
 لأن القوا بمعنى خروا وسقطوا \* ولما كان كأنه قيل هذا فعلهم فما كان قولهم قيل (قالوا آمنا  
 رب العالمين) أي الذي دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم وقولهم (رب موسى  
 وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية وأرادوا أن يعذلوه ومعنى  
 اضافته اليهما في ذلك المتنام انه الذي دعا إليه موسى وهرون عليهم السلام \* ولما آمن السحرة  
 بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن  
 معرفة بصفة أمر موسى عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالغ في التنبيه  
 عن موسى من وجوه أحدها أن (قال آمنتم له) أي لموسى (قبل أن آذن) أي أنا (لكم)  
 فصار عتكم إلى الايمان به دالة على ميلكم اليه \* (تنبيه) \* ههنا همزتان مفتوحتان قرأ الجميع  
 بإبدال النانية الفاء وحقق الثانية حمزة والكسافي وشعبة وسهلها الباقون غير حفص فانه أستقط  
 الأولى والثانية عنده هي المبدوءة بها ثانيا قولة (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهذا تصريح  
 بما رمز به أولا وتعريض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصر وافي السحر  
 ليظهروا أمر موسى والافني قوة السحر أن تفعلوا مثل ما يفعل ثانيا قولة (فلسوف تعلمون)  
 وهو وعيد وتهديد شديد رابعها قولة (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي يد كل  
 واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين) وهذا الوعيد من أعظم الاهلاكات ثم انهم  
 أجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الأول قولهم (قالوا الاضرب) أي لا ضرر علينا وخبر  
 لا محذوف تقديره في ذلك (انا) أي بفعلك ذلك فينا ان قدرك الله تعالى عليه (إلى ربنا)  
 الذي أحسن الينا بالهداية بعد موتنا بأي وجه كان (منقولون) أي راجعون في الآخرة  
 الثاني قولهم (انا نطمع) أي نرجو (أن يفر) أي يستتر بليغا (لنا ربنا خطايانا)  
 أي التي قدمنها على كثرتها ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم (ان كنا) أي كوننا هو اننا  
 كالجبلية (أول المؤمنين) أي من أهل هذا المشهد أو من رعية فرعون أو من أهل زمانهم  
 ولما ظهر من أمر فرعون ما شاهد به وخيف أن يقع منه بئس أسرا يسيل وهم الذين آمنوا وكانوا  
 في قوم موسى عليه السلام ما يؤدى إلى الاستئصال أمره الله تعالى أن يسرى بهم كما قال



تعالى (وأوحينا) أي بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر وانجاز الموعود (إلى موسى  
أن أسر) ليلا (بعبادي) وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات  
فلم يزيدوا الاعتقاد وفسادا وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعدها من سرى  
وقرأ الباقر بسكون النون وقطع الهمزة بعدها ثم عمل أمره بالسيرة في الليل بقوله تعالى  
(انكم متبعون) أي لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم فأسرع  
بالخروج لتبعوا عنهم إلى الموضع الذي قدرت في الأزل أن يظهر بحري والمراد نوافقهم عند  
البحر ولم يكتفوا باتباعهم عن موسى لعدم تأثيره والمعنى اني بنيت تدبيراً مكرماً وأمرهم على أن  
تقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم  
وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولدفاشتغلوا بوجوههم حتى خرج موسى بقومه  
وروى ان الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا  
الجداء واضربوا بدمائها أبوابكم فاني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابهم دم وأمرهم  
بقتل أبكار القبط واختبزوا خبزاً فطيراً فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر  
فيايتك أمرى وروى أن قوم موسى قالوا القوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا  
منهم حلبيهم بهذا السبب ثم خرجوا بآيات الاموال في الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك  
جمع قومه وتبعهم كما قال تعالى (فأرسل فرعون) أي لما أصبح وعلم بهم (في المدائن حاشرين)  
أي رجالا يجتمعون الجنود بقوة وسطوة وانكرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريك الهمة  
(ان هؤلاء) إشارة بأداة القرب تحقير الهمة إلى انهم في القبضة وان بعدوا والمسايهم من العجز  
وبالفرعون من القوة فليسوا بحيث يخاف قوتهم (اشردمة) أي طائفة وقطعة من الناس  
(قليلون) أي بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التي لا تحصى فذكرهم أولاً بالاسم الدال على القلة  
بالشردمة وهي الطائفة القليلة ومنها قولهم توب شردم للذي يلبس وتقطع قطعاً ثم جعلهم قليلاً  
بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو اللغز مع انهم  
كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً  
أرسله فرعون في اثني عشر ألفاً وخمسمائة ألف مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون  
في جمع عظيم وكان مقدمته سبعمائة ألف على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس  
خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى قال الزمخشري  
ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماء ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يلبس بهم ولا يتوقع  
عليهم غلبتهم وعلوهم وانكسرتهم يفعلون أفعالاً تعجبنا وتضيق صدورنا كما قال تعالى عنهم  
(وانهم لنا لغائظون) أي بما فجعونا به من أنفسهم وبما استعاروه من الزينة من الأواني  
الذهب والفضة وما خرا الكسوة فلا رحمة في قلوبهم يجمعهم (وانا لجمع حذرون) أي  
من عادتنا الحذر والتمهظ واستعمال الحزم في الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا إلى  
حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه

وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء والباقيون بغير ألف قال أبو عبيدة والزجاج هما  
 بمعنى واحد يقال رجل حذرو وحذور وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر  
 الخائف وقيل الأول للتجدد لانه اسم فاعل والثاني للثبات لانه صفة مشبهة وقيل الحاذر  
 المتبيلج الذي له شوكة السلاح وهو أيضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا يحكي انه كان  
 يتصرف في خراج مصر وأنه يجزئه أربعة أجزاء أحدها لوزرانه وكاتبه وجنده والثاني لحفر  
 الانهار وعمل الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في المدن فان لحقه م ظلم او ظمأ  
 أو اشتجار أو فساد غله أو موت عوامل قواهم به وروى انه قصد قوم فقالوا تحتاج الى أن نحفر  
 خليجا لانه مرضيا عنا فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا فاستكثر ما حل من خراج تلك الناحية  
 الى بيت المال فسأل عن مبلغ ما أتته ووه في خليجهم فاذا هو مائة ألف دينار فأمر بحملها اليهم  
 فاستنوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم فان الملك اذا استغنى بما الرعية يعني رعيته افتقر  
 وان الرعية اذا استغنت بما ملكهم استغنى واستغنوا ولما كان التقدير فاطاعوا  
 أمره ونشروا على كل صعب وذلول اعطاه عليه قوله تعالى بما آل اليه أمرهم (فأخرجناهم)  
 أي فرعون وجنوده بالناس من القدرة من مصر ليملقوا موسى وقومه اخر اجابنا بما لا يسمع  
 أحدا بالخروج منه (من جنات) أي بساتين كانت على جابي النيل يحق لها أن تذكر  
 (وعيون) أي أنها رجارية في الدور من النيل وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج معها  
 الى نيل ولا مطر (وكنوز) أي أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانهم يعط  
 حق الله منها وما لم يعط حق الله تعالى منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة  
 ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام) من المنازل  
 (كريم) أي مجلس حسن للامراء والوزراء يحضه اتباعهم وعن الضمك المنابر وقيل  
 السر في الجمال وذكر بعضهم انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثمانمائة كرمي من  
 ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبيية من الديباج مخصوصة بالذهب (كذلك) أي  
 اخرجنا كما وصفنا (وأورشناها) أي تلك النعم السنية بمجرد خروجهم بالقوة وبعد اغراق  
 فرعون وجنوده بالفعل (بنو اسرائيل) أي جعلناهم بحيث يرثونها لانهم بقوا لهم مانعا عنهم  
 منها بعد ان كانوا مستعبدين بين أيدي أربابها واستشكل ارضهم لها بالفعل لقوله تعالى  
 في الدخان قوما آخرين وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في ذلك المحل بل قيل ان بنو  
 اسرائيل لم يرجعوا الى مصر بعد ذلك ولما وصف تعالى الاخراج وصف أثره بقوله تعالى مرتبا  
 عليه بالفعل وعلى الايراث بالقوة (فأتبعوهم) أي جعلوا أنفسهم تابعة لهم (مشرقين) أي  
 داخلين في وقت شروق الشمس بطلوعها صبيحة الليلة التي سار فيها بنو اسرائيل ولولا تقدير  
 العزيز عليهم يجزق ذلك للعادة لم يكن ذلك على حكم العادة في أقل من عشرة أيام فانه تجز الملوثة  
 عن مثله واستزوا الى ان لحقوهم عند بحر القلزم (فلما تراهي الجمعان) أي رأى كل منهما  
 الآخر (قال أصحاب موسى) ضعفا وعجزا استعجابا لما كانوا فيه عندهم من الذل ولانهم

أقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى اسرائيل وذلك محقق لتقليل  
فرعون لهم وكانه عبر عنهم بأصحاب دون بنى اسرائيل لانه كان قد آمن كثير من غيرهم  
(اما المذكور) أي يدرك فرعون وقومه وقد صرنا بين سدين العدو وراونا والبحر أمامنا  
ولا طاقة لنا بذلك (قال) أي موسى عليه السلام وثوقا بوعده الله تعالى (كلا) أي لا يدركونكم  
أصلا ثم علق ذلك تسكيناهم بقوله (ان معي ربي) أي بنصره فكأنهم قالوا وما عساه يفعل وقد  
وصلونا قال (سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة روى ان من آل فرعون كان بين يدي موسى  
عليه السلام فقال أين تذهب فهذا البحر أمامك وقد غشيتك آل فرعون قال أمرت بالبحر وعلني  
أومر بما أصنع (فأوحينا) أي فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا وأوحينا ونوم بآدم  
الكليم جزاه له على ثقته به سبحانه وتعالى فقال تعالى (الي موسى) وفسر الوحي الذي فيه  
معنى القول بقوله تعالى (أن اضرب بعصاك البحر) أي الذي أمامكم وهو بحر القلزم الذي  
يتوصل أهل مصر منه الى الطور والى مكة المشرفة وما والاها وقيل النيل فضربه (فانفلق)  
بسبب ضربه لما ضربه امثال الامر به وصار اثني عشر فرقا على عدد اسباطهم (فكان كل  
فرق) أي جزء وقسم عظيم منه (كالطود) أي الجبل في اشرافه وطوله وصلابته بعدم  
السيلان (العظيم) المتناول في السماء الثابت في قعره لا يتزلزل لان الماء كان منبسطا  
في أرض البحر فلما انفلق وانكشفت فيه الطريق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع  
في السماء بين تلك الاجزاء مسالك سلكوها لم يتبل منها سرج الراكب قال الزجاج لما انتهى  
موسى الى البحر هاجت الرياح والبحر يرمي بوج كالجبال فتال يوشع يا كليم الله يا ابن امرأة عمران  
قد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا انخفاض يوشع الماء وبارا البحر ما يوارى حافر  
دايته الماء وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجانه حتى طار  
الزبد من شذقيه ثم أقمه البحر فارتسب في الماء و صنع القوم مثل ذلك فلم يقدر واجعل موسى  
لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار فيه اثنا عشر  
طريقا لكل سبط طريق فان الرجل على فرسه لم يتبل سرجه ولا لبدته روى ان موسى قال  
عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء وهذا معجز عظيم من  
وجوه أحدها أن تفرق ذلك الماء معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى  
صار كالجبل معجز أيضا وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح  
والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عدد بنى اسرائيل وهذا معجز ثالث  
ورابعها ان جعل الله في تلك الجدران المائية كوى يتظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع  
وخامسها ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما  
تخلص موسى عليه السلام وهذا معجز خامس \* (فائدة) \* لكل من جميع القراء في الرا من  
فرق التريق والتفخيم ولما كان التقدير وأدخلنا كل شعب منهم في طريق من تلك الطرق  
عطف عليه (وأزلقنا) أي قربنا بهنظمتنا (ثم) أي هناك (الآخرين) أي فرعون

وقومه حتى سلكو امسالكمهم وقال أبو عبيدة وأزلقنا أخلقنا ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة  
 الجمع عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وقوم فرعون وكان  
 يسوق بني اسرائيل ويقول ليملق آخركم بأولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليملق  
 آخركم أولكم (وأنجينا موسى ومن معه) وهم من تبعوه من قومه وغيرهم (أجمعين) أي  
 لم تقدر على أحد منهم الهلاك بل أخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم أغرقنا  
 الآخرين) أي فرعون وقومه أجمعين بانطباع البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بني  
 اسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان في  
 ذلك) أي الامر العظيم العالي الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظمت (لاية)  
 أي علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لان أحد من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون  
 وقوعه معلومة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة أمر  
 الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد يغتم بتكذيب  
 قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره (وما  
 كان أكثرهم) أي أهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا باسمها (مؤمنين) أي  
 متصفين بالايان الثابت اما القبط فما آمن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون  
 والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام وأما بنو اسرائيل فكان كثير منهم متزلزا  
 تعذت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله تعالى على يدي موسى عليه  
 السلام ومن بعده وأول ما كان من ذلك سؤالهم ان يجاوزوا البحر أن يجعل لهم الها كالاصنام  
 التي مزوا عليها وأما غيرهم ممن تأخر عنهم في الهم معروف وأمرهم مشاهد مكشوف فقد سألوه  
 بقرعة يعبدونها واتخذوا الجمل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك) أي المحسن اليك باعلاء  
 أمرك واستتقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك (لهو العزيز) أي القادر على الانتقام  
 من كل فاجر (الرحيم) بعباده لانه تعالى أفاض عليهم نعمه وكان قادرا على أن يملكهم فدل  
 ذلك على كمال رحمة وسعة جوده وفضله ولما تم سبحانه وتعالى ما أراد من قصة موسى عليه  
 السلام ليعرف محمدا صلى الله عليه وسلم ان تلك المحن التي أصابته كانت حاصلة لموسى أتبعه  
 دلالة على رحمة وزيادة في تسلية نبيه قصة ابراهيم عليه السلام وهي القصة الثانية بقوله تعالى  
 (واتل) أي اقرأ قراءة متتابعة يا أشرف الخلق (عليهم) أي كذا مكة وقوله تعالى (تبا)  
 أي خبر (ابراهيم) قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققتها  
 الباقون وفي الابداء بالثانية الجميع بحقة قون ويبدل منه (اذ) أي حين (قال لا ييه وقومه)  
 منها لهم على ضلالهم لاستعلا لانه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله (ما) أي  
 أي شيء (تعبدون) أي تواطنون على عبادته ليريه ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة  
 في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق بجال وليس بعال (قالوا)  
 في جوابه (نعبد اصناما) فان قيل قوله عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال أبو عبيدة وأزلفنا وأخلفنا ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة  
 الجمع عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون وكان  
 يسوق بني إسرائيل ويقول ليخلق آخركم بأولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليخلق  
 آخركم أولكم (وأنجينا موسى ومن معه) وهم من تبعوه من قومه وغيرهم (أجمعين) أي  
 لم نقدر على أحد منهم الهلاك بل أخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم أغرقنا  
 الآخرين) أي فرعون وقومه أجمعين بانطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخرج بني  
 إسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له أساف (أن في  
 ذلك) أي الأمر العظيم العالی الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظمت (لاية)  
 أي علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لأن أحد من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون  
 وقوعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة أمر  
 الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قد يغتم بتكذيب  
 قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر على أن له أسوة بموسى وغيره (وما  
 كان أكثرهم) أي أهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا باسمها (مؤمنين) أي  
 متصفين بالآيمان الثابت أما القبط فما آمن منهم إلا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون  
 والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام وأما بنو إسرائيل فكان كثير منهم مترزلا  
 تعنت كل قبيل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله تعالى على يدي موسى عليه  
 السلام ومن بعده وأول ما كان من ذلك سؤالهم أن يجاوزوا البحر أن يجعل لهم الها كالاصنام  
 التي مروا عليها وأما غيرهم ممن تأخر عنهم فخالهم معروف وأمرهم مشاهد مكشوف فقد سألوهم  
 بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك) أي المحسن اليك باعلاء  
 أمرك واستنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك (له والعزير) أي القادر على الانتقام  
 من كل فاجر (الرحيم) بعباده لأنه تعالى أفاض عليهم نعمه وكان قادرا على أن يهلكهم فدل  
 ذلك على كمال رحمة وسعة جوده وفضله ولما تم سبحانه وتعالى ما أراد من قصة موسى عليه  
 السلام ليعرف محمد صلى الله عليه وسلم أن تلك المحن التي أصابته كانت حاصله لموسى أتبعه  
 دلالة على رحمة وزيادة في تسلية نبيه قصة إبراهيم عليه السلام وهي القصة الثانية بقوله تعالى  
 (واتل) أي اقرأ آية متتابعة يا أشرف الخلق (عليهم) أي كذا رمكة وقوله تعالى (نبأ)  
 أي خبر (إبراهيم) قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققتها  
 الباقي وفي الابتداء بالثانية الجميع بحقنقون ويبدل منه (آن) أي حين (قال لآية وقومه)  
 منها لهم على ضلالهم لاستعماله لأنه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله (ما) أي  
 أي شيء (تعبدون) أي تواطئون على عبادته ليربهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة  
 في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول الرقيق بجمال وليس بجمال (قالوا)  
 في جوابه (نعبد اصناما) فان قيل قوله عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

نفسه فاذا تنكروا قالوا ما نصننا ابراهيم الابما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول  
وأبعث الى الاستماع منه ولو قال فانهم عدوا لكم لم يكن تلك المنابة ولانه دخل في باب من  
التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه تأمل فيه فربما فاده  
التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشئ فقال  
لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتخذون في الحجر فقال ما هو بيتي  
ولا بيتكم وقوله (الارب العالمين) اى مدبر هذه الاكوان كلها يصح أن يكون استثناء  
منقطع اعني انهم عدوا لى لأعبدهم لكن رب العالمين فانى أعبده وأن يكون متصلا على أن  
الضمير لكل معبود عبوده وكان من آبائهم من عبد الله تعالى فكأنه قال الارب العالمين فانه  
ليس بعدوى بل هو ولي ومعبودى \* ثم شرع بصفه بما هم به عالمون من انه على الضد الاقصى  
من كل ما عليه أصنامهم بقوله (الذى خلقتنى) أى أوجدنى على هيئة التقدير والتصوير  
(فهو) أى تسبب عن تفرده بخلقى انه هو لا غيره (يمدين) أى الى الرشاد ولا يعلم  
باطن الخلق ويقدر على التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه الا سمعنا بصيرا ضارا نافعاه  
الكامل كله وذكر الخلق بالماضى لانه لا يتجدد فى الدنيا والهداية بالمضارعة لتجددها وتكررها  
لانه تعالى لما أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع الى كل ما يصلحه  
ويعينه والافن هدايه الى أن يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا ومن هدايه الى معرفة الهدى  
عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هدايه الى معرفة الارضاع الى غير ذلك دينا ودنيا  
(والذى) أى (هو) لا غيره (يطعمنى ويسقئنى) أى يرزقنى ويغذى بالطعام والشراب  
ولو أراد عدم ما آكل وما أشرب أو أصابى بآفة لا أستطيع معها كالا ولا شربا ونبيه يذكر  
الطعام والشراب على ما عداهما \* (تبييه) \* يجوز فى والذى يطعمنى ويسقئنى أن يكون  
مبتدأ وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه وكذا الذى بعده ويجوز أن تكون أوصافا للذى خلقتنى  
ودخول الواو جازم كقوله

الى الملك القرم وابن الهمام \* وليت الكتيبة فى المزدحم

وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم  
(واذا مرضت) أى باستئلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما من التوافق الطبيعى (فهو)  
أى وحده (يشقين) أى بسبب تعديل المزاج بتعديل الاخلاط وقسرها عن الاجتماع  
لا طبييب ولا غيره (فان قيل) لم أضاف المرض الى نفسه مع أن المرض والشفاء من الله تعالى  
(أجيب) بأنه قال ذلك استعما الحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها  
وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأجاب الرازى بان أكثر أسباب المرض يحدث بتفريط  
الانسان فى مطاعه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لا أكثر الموقى ما ديب أجالكم  
لقالوا الخيم وبأن الشفاء محبوب وهو من أصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان  
مقصود ابراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لاجرم لم يصفه الى الله تعالى

ولا يقتض ذلك باسناد الامامة اليه كما سيأتي فان الموت ليس بضر لان شرط كونه ضرا وقوع  
الاحساس به وحال الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض  
ولان الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر  
وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض (والذي عييتني) يقبض روي في الدنيا يخلصني من  
آفاتها (ثم يحيين) للمجازاة في الآخرة كما شفياني من المرض ولهذا التراخي بين الموت  
والاحياء أتى بنم هنا لان الامامة في الدنيا والاحياء في الآخرة ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه  
بقوله (والذي أطمع) هضم النفسه واطراح الاعماله (أن يغفر) أي يمحوا ويستتر (لي خطيتي)  
أي تقصيري عن أن أقدره حق قدره (يوم الدين) أي الجزاء روي ان عائشة قالت قلت  
يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرجم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا  
ينفعه انه لم يتل يوم الرب اغفر لي خطيتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه  
لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (فان قيل) لم قال والذي أطمع والطمع عبارة عن الظن  
والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك (أجيب) بأن في ذلك اشارة الى أن الله تعالى لا يجب عليه  
لاحد شيء فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض لاحد عليه في فعله (فان قيل) لم أسند لنفسه  
الخطيئة مع أن الانبياء معصومون (أجيب) بأن مجاهد اقال هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله  
كبيرهم هذا وقوله لسارة هي أختي وردت بان هذه معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست  
بخطايا يطلب لها الاستغفار والاولى في الجواب أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم  
لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لامهم وليكون لظنناهم  
باجتنابهم المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فان قيل) لم علق مغفرة الخطيئة  
يوم الدين وانما المغفرة في الدنيا (أجيب) بأن أثرها يتبين يومئذ وهو الا ان خفي لا يعلم ولما  
حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ثناءه عليه ذكر بعد ذلك دعاءه ومسأله بقوله (رب)  
أي أيها المحسن الي (هب لي حكما) أي عملا متقنا بالعلم وقال ابن عباس معرفة حدود الله  
وأحكامه وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمته وذو حكمكم بين عباد الله ثم بين أن  
الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب عذب بقوله (والحقني بالصالحين)  
أي الذين جعلتهم أمة للمتقين في الدنيا والآخرة وهم الانبياء والمرسلون وقد أجابه الله تعالى  
حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين وفي ذلك تنبيه على أن تقديم الثناء على الدعاء من  
المهمات (فان قيل) لم لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الثناء ولا سمي روي عنه انه قال حسبي  
من سؤالي علمه بحالي (أجيب) بأنه عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى  
الحق لانه قال فانهم عدوا لي الا رب العالمين ثم ذكر الثناء ثم ذكر الدعاء لما أن الشارع لا يبدله من تعليم  
الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سؤالي علمه  
بحالي \* (تنبيه) \* الالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جلتهم أو يجمع بينه وبينهم  
في المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه عليه السلام طلب زيادة في الآخرة بقوله (واجعل لي لسان

صدق) أي ذكر أجيالا وقبولا عامات وثناء حسنا بما أظهرت من خصال الخير (في الآخريين)  
 أي من الناس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين لا يكون للمتقين أماما فيه يكون لي مثل  
 أجورهم فإن من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة قال ابن عباس  
 أعطاه الله تعالى بقوله وتر كما عليه في الآخريين أن أهل الإيمان يتولونه ويتنون عليه وقد  
 جعله الله شجرة مباركة فرع منها الأنبياء الذين أحيا الله تعالى بهم ذكروه الذي من  
 أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النبي الأمامي صلى الله عليه وسلم من قوله اللهم صل على محمد  
 وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إلى آخره ولما طاب عليه السلام سعادة الدنيا وكان  
 لا ينفع لها إلا باتصالها بسعادة الآخرة التي هي الجنة طلبها بقوله (واجعلني) أي مع  
 ذلك كما بفضلك ورحمتك (من ورثة جنة النعيم) لأن فيها النظر إلى وجه الله الكريم  
 وهو السعادة الكبرى وشبهها بالآثار الذي يحصل بغيرها كتساب إشارة إلى أنها لا تنال إلا بجنة  
 وكرمها لا ينشئ من ذلك ولما دعا نفسه في بأحق الخلق ببره بقوله (واغفر لابي) بالهداية  
 والتوفيق إلى الإيمان لأن المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط  
 فقوله واغفر لابي كأنه دعا له بالإيمان وقيل إن آياه وعده بالسلام لقوله تعالى وما كان  
 استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فدعاه قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما سبق في  
 سورة التوبة وقيل إن آياه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين عمروذ ظاهرا وتقية وخوفا  
 فدعاه للاعتقاد أن الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه  
 (انه كان من الضالين) فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك وقيل إن  
 الاستغفار لنكسار لم يكن ممنوعا اذ ذلك (ولا تحزني) أي تفنني (يوم يبعثون) أي  
 العباد (فان قيل) كان قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم كافيا عن هذا وأيضا  
 قال تعالى إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نسيب الكفار فقط كيف يخافه  
 المعصوم (أجيب) بأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فكذلك درجات الأبرار خزي  
 المقربين وخزي كل واحد بما يليق به ولما نبه عليه السلام على ان المقصود هو الآخرة صرح  
 بالتميز في الدنيا بقوله (يوم لا ينفع) أي أحدا (مال) أي يفتدي به أو يسد له لشافع  
 أو ناصر وقاهر (ولا ينون) ينتصرون أو يعتضدوا كيف بغيرهم وفي استثناء قوله (الامن)  
 أوجه أحدها انه منقطع وجرى عليه الجلال الهللي أي لكن من (أنى الله بقلب سليم) فانه  
 ينفعه ذلك الثاني انه مفعول به لقوله تعالى لا ينفع اى لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص  
 فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحاء لانه علمهم وأحسن اليهم الثالث  
 انه بدل من المفعول المحذوف ومستثنى منه اذا التقدير لا ينفع مال ولا بنون أحد من  
 الناس الا من كانت هذه صفته واختلف في القلب السليم على أوجه قال الرازي أحدها  
 أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلق الرذيلة الثاني انه الخالص من الشرك  
 والمنفق وهو قلب المؤمن وجرى على هذا الجلال الهللي وأكثر المفسرين فان الذنوب قل أن يسلم



منها أحد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب هو الصحيح وهو قلب المؤمن فان قلب الكافر  
 والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم مرض الثالث انه الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم  
 الرابع انه هو اللديغ أى القلق المترعج من خشية الله لكن قال الزمخشري ان القولين  
 الاخيرين من يدع النفاسير وقوله تعالى (وأزلفت الجنة) حال من واويبعثون ومعنى أزلفت  
 قربت أى قربت الجنة (للمتقين) فتكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويشرحون  
 بأنهم المحشورون اليها زيادة الى شرفهم (وبرزت الجحيم) أى كشفت وظهرت النار الشديدة  
 (لغاوين) أى الكافرين فيرونها مكشوفة ويحشرون على انهم المسوقون اليها زيادة في  
 هوانهم \* (تنبيه) \* فى اختلاف الفعلين ترجيح لطاب الوعد على الوعيد حيث قال فى حق  
 المتقين وأزلفت أى قربت وفى حق الغاوين وبرزت أى أظهرت ولا يلزم من الظهور القرب  
 (وقيل لهم) تبيكتا وتدعيا وتوخيخا وأبهم القائل ليصلح لكل أحد تحقير الهم ولان المراد نفس  
 القول لا كونه من معين (أيضا) أى أين الذى (كنتم تعبدون) فى الدنيا ثم حقر  
 معبوداتهم بقوله تعالى (من دون) أى من أدنى رتبة من رتب (الله) أى الملك الذى  
 لا كنه له وكنتم تزعمون انهم يشفعون لكم ويقونكم شر هذا اليوم (هل ينصرونكم) بدفع  
 العذاب عنكم (أو ينصرون) بدفعه عن أنفسهم (فككبوا) أى فتسبب عن عجزهم  
 أن التوا (فيها) أى فى مهواة الجحيم (هم) أى الاصنام وما شابهها من الشياطين ونحوهم  
 (والغاوين) أى الذين ضلوا بهم والككبوا تكبرا والكب لتكرير معناه كان من ألقى فى النار  
 ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال  
 القتيبي القوا على رؤسهم (وجنود ابليس) وهم اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل  
 ذرية (أجمعون) ولما لم يتمكنوا من قول فى جواب استنهاهم قبل القائم (قالوا) أى  
 العبد (وهم فيها) أى الجحيم (يختصمون) أى مع المعبودات وقولهم (تالله) أى  
 الذى له جميع الكمال (ان كالتى ضلال ميين) أى ظاهرا جدا المن كان له قلب سليم معمول  
 القول وما بينهما وهو وهم فيها يختصمون جملة طالبة معترضة بين القول ومعموله وقيل ان  
 الاصنام تنطق وتخاصم العبد ويؤيده الخطاب فى قولهم (أذ) أى حين (نسويكم رب  
 العالمين) فى استحقاق العبادة \* (تنبيه) \* اذ منصوب اما بميين أو بمعدوف أى ضللنا فى وقت  
 تسويتنا لكم بالله فى العبادة (وما أضلنا) أى ذلك الضلال الميين عن الطريق البين (الا  
 المجرمون) أى الاولون الذين اقدمناهم من رؤسائنا وكبرائنا كما فى آية أخرى ربنا اننا اطعنا  
 ساداتنا وكبراءنا فأضلوا السيلاوعن ابن جريج ابليس وابن آدم الاقول وهو قاييل وهو أول  
 من سن القتل وأنواع المعاصى (ها) أى فتسبب عن ذلك أنه ما (لنا) اليوم وزادوا  
 فى تعميم النقي بزيادة الجار فقالوا (من شافعين) يكونون سبب الادخالنا الجنة كل مؤمنين  
 تشفع لهم الملائكة والنيون (ولا صدق جيم) أى قريب يشفع لنا يقول ذلك  
 الكفار حين تشفع الملائكة والنيون والمؤمنون والصدىق هو الهادى فى ودادك الذى يهده

ما أهدمك مع موافقة الدين وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل  
 ليقول في الجنة ما فعل صديق فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا الصديقين إلى  
 الجنة فيقول من بقي في النار فلان من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن استكثر وامن  
 الاصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاععة يوم القيامة (فان قيل) لم جمع الشافع ووجد الصديق  
 (أجيب) بأن الشفعاء كثيرون في العادة رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما  
 الصديق وهو الصادق في ودا ذلك الذي يهيمه ما أهدمك قال لزمخشري فاعزم من يرض الانوق انتهى  
 قال الجوهرى الانوق على فعول طير وهو الرخمة وفي المثل أعزم من يرض الانوق لانها محرزة  
 فلا يكاد يظفر بها الا أن أوكارها في رؤس الجبال والاما كن الصعبة البعيدة وعن بعض الحكماء  
 انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له أى لا يوجد ولما وقعوا في هذا الهلاك واتقى عنهم  
 الخلاص تسبب عنه تمنيمهم المحال فقالوا (فلو أن لنا كرامة) أى رجعة إلى الدنيا (فانكون من  
 المؤمنين) أى الذين صاروا الايمان لهم وصفا لازما فأزانت لهم الجنة \* (تنبية) \* انظر ما أحسن  
 ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سأهم أولا عما يعبدون سؤال مقتر  
 لا مستتبعهم ثم أتى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى  
 تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور  
 المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وجل فعظم شأنه وعهد نعمته من لدن  
 خلقه وانشأه إلى حين وفاته مع ما يرجح في الآخرة من رحمة ثم أتبع ذلك ان دعاه بدعوات  
 المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم واصل به ذكر يوم القيامة وثواب الله تعالى وعقابه وما  
 يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وعمى الكثرة إلى  
 الدنيا يؤمنوا ويطيعوا (ان في ذلك) أى المذكور من قصة ابراهيم وقومه (آية) أى  
 عظة على بطلان الباطل وحقوق الحق (وما) أى والحال انه ما (كان أكثرهم) أى الذين  
 شهدوا منهم هذا الامر العظيم الذى سمعوه عنه (مؤمنين) أى بحيث صاروا الايمان صفة لهم ثابتة  
 وفي ذلك أعظم تسلية لبينا صلى الله عليه وسلم (وان ربك) أى المحسن اليك بارسالك  
 وهداية الاتة بك (له والعزير) أى القادر على ايقاع النعمة بكل من خالفه حين يخالفه  
 (الرحيم) أى الناعل فعل الراحم في امهاله العصاة مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال الرسل  
 ونصب الشرائع لكي يؤمنوا أو أحد من ذريتهم \* ولما تم سبحانه وتعالى قصة الاب الاعظم  
 الاقرب ابراهيم عليه السلام أتبعها بقصة الاب الثانى وهو نوح عليه السلام وهى القصة  
 الثالثة مقدما لها على غيرها لما له من القدم في الزمان اعلاما بأن البلاء قديم لانها أدل على  
 صفتى الرحمة والنقمة اللتين هما أثر الغرة بطول الاملاء لهم على طول مدتهم ثم تعميم النعمة  
 مع كونهم جميع أهل الارض فقتال (ككذبت قوم نوح) وهم أهل الارض كلها من  
 الآدميين قبل اختلاف الامم بتفرق اللغات (الموسلين) أى بتكذيبهم نوحا عليه السلام  
 لانه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوى

اقدامها في الدلائل على صدق الرسول وقد سئل الحسن البصري عن ذلك فقال من كذب  
 واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول \* (تنبيه) \* القوم يؤثرت  
 باعتبار معناه ولذا يصغر على قويعه ويذكر باعتبار انظمه وتذكيره أشهر واختير التأنيث ههنا  
 للتنبية على أن فعلهم أخس الأفعال والى أنهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى  
 أهون شيء وأضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب  
 في كل قصة (اذ) أي حين (قال لهم أخوهم) أي في النسب لاني الدين (نوح) وذكر  
 الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأشار تعالى الى حسن أدب نوح عليه السلام  
 مع قومه واستجلابهم برفته ولينه بقوله لهم (ألا تتقون) الله بأن تجعلوا بينكم وبينه وبين  
 الحنطة وقاية بطاعته بالترحميد وترك الالتفات الى غيره ثم عال أعليته للامر عليهم بقوله  
 (اني لكم) أي مع كوني أخواكم يسرني ما يسركم ويسوءني ما يسوءكم (رسول) أي من عند  
 خالقكم فلا مندوحة لي عما أمرت به (أمين) أي مشهور بالامانة بينكم لا عس عندى كما  
 تعلمون ذلك منى على طول خبرتكم لي ثم تسبب عن ذلك الرفق الجزم بالامر فقال (فاتقوا الله)  
 أي أوجدوا الخوف والحذر والتحرز لذي اختص بالجلال والجمال لتعوزوا أصل السعادة  
 فتكونوا من أهل الجنة (وأطيعون) فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته ثم نفي عن نفسه  
 التهمة بعد أن أثبت أماته بقوله (وما أسألكم عليه) أي على هذا الحال الذي  
 أتتكم به وأشار الى الاغراق في النفي بقوله (من أجر) لتظنوا أنى جعلت الدعاء سببا لذلك  
 ثم أكد النفي بقوله (ان) أي ما (أجرى) أي ثوابي في دعائي لكم (الاعلى رب العالمين)  
 أي الذى دبر جميع الخلائق ورباهم وقرأ نافع وابوعمر و ابن عامر وحفص بفتح الياء  
 فى أجرى فى المواضع الخمسة فى هذه السورة والباقيون بالسكون ولما اتفت التهمة تسبب  
 عن اتفائها إعادة مقدمه اعلاما بالاهتمام به زيادة فى الشفقة عليهم فقال (فاتقوا الله)  
 أي الذى حاز جميع صفات العظمة (وأطيعون) ولما أقام الدليل على نفعه وأماته  
 (قالوا) أي قومه منكرين عليه ومنكرين لاتباعه استنادا الى الكبر الذى يشأ عنه  
 بطر الحق ونمى الناس أى احتقارهم (أتؤمن لك) أى لأجل قولك هذا وما أوتيته من  
 أوصافك (و) الحال انه قد (اتبعت الارذلون) أى فيكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم  
 والردالة الحسة والذلة وانما استردلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل  
 الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة والصناعة لاتزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول  
 فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى كادت من سماتهم  
 واما راتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أباسنيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما  
 قال ضعفاء الناس وأراد لهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن  
 عكرمة الحياكة والاسا كفة وعن مقاتل السفلة \* ولما كانت هذه الشبهة فى غاية الركاكة لان نوحا  
 بعث الى جميع قومه فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخسرتها أجابهم

بقوله (قال وما) أى أى شئ (على عما كانوا يعملون) قبل أن يؤمنوا أى أى مالى وللبحث عن  
 سر أمرهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استزادهم فى ايمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة  
 وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أرادوا لئلا يادى الرأى ثم أكد أنه  
 لا يبحث عن بواطنهم بقوله (ان) أى ما (حسابهم) أى فى الماضى والآتى (الاعلى ربى) أى  
 المحسن الى فهو محاسبهم ومجازيهم وأما أنا فقلت بحاسب ولا مجاز (لوتشعرون) أى لو كان  
 لكم نوع شعور لعلمت ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دأر على أمور الدنيا فقط ولا نظره الى يوم  
 الحساب فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى \* ولما أمرهم قولهم هذا استدعاء طرد  
 هؤلاء الذين آمنوا معه وتوقف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه اجابهم بقوله  
 عليه السلام (وما) أى واست (أنا بطارد المؤمنين) أى الذين صاروا لايمان انهم وصفوا راسخا  
 فلم يرتدوا عنه للطمع فى ايمانكم ولا غيرهم من اتباع شهوداتكم ثم علل ذلك بقوله (ان أنا الانذير)  
 أى محذرا ولا وكيل فاقس على البواطن ولا متعنت على الاتباع (مبين) أوضح ما أرسلت به فلا  
 أدع فيه لبسا وقرأ قانون بعد أن فى الوصل بخلاف عنه والباقون بالقصر ولما أجابهم به هذا  
 الجواب وقد أيسر أعمارهم لم يكن منهم الا التهديد بأن (قالوا لئن لم تنته) ثم سمعوا باسمه جفاء  
 وقلة أدب بقولهم (يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) قال مقاتل والكلبي من  
 المتتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح عليه السلام من  
 فلاحهم فلذلك (قال) شا كالى الله ما هو أعلم به منه توطئة للدعاء عليهم معرضا عن تهديدهم  
 له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (رب) أى أيها المحسن  
 الى (ان قومى كذبون) أى فيما جئت به فليس الغرض من هذا الخبر الله بالتكذيب لعلمه  
 بأنه عالم الغيب والشهادة ولكنه أراد لا أدعوك عليهم لما اذونى وانما أدعوك لاجلك ولاجل  
 دينك ولانهم كذبوك فى وحيك ورسالتك (فافتح) أى احكم (بينى وبينهم فتحا) أى حكما  
 يكون لى فيه فرج وبه من المضيق مخرج فاهلك المبطلين (ونجى ومن معى) أى فى الدين  
 (من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين ثم لما كان فى اهلاكهم وانجائهم من بديع الصنع ما يجبل  
 عن الرصف أظهره فى مظهر العظمة بقوله تعالى (فأنجيناه ومن معه) أى الذين اتبعوه فى الدين  
 على ضعفهم وقلتهم (فى الفلك) أى السفينة وجعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر  
 فالواحد يوزن قفل والجمع يوزن أسد وقال تعالى (المشكون) أى الموقور المملوء من الناس  
 والطير والحيوان لان سلامة المملوء جدا أعرب ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه  
 باداة البعد فقال تعالى (ثم أغرقنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن معه (الباقين) أى من بقى  
 على الارض ولم يركب معه فى السفينة على قوتهم وكثرتهم (ان فى ذلك) أى الامر العظيم  
 من الدعاء والامهال ثم الانجاء والاهلاك (لآية) أى عظة لمن شاهد ذلك أو سمع به (وما) أى  
 والحال انه ما (كان أكثرهم) أى العالمين بذلك (مؤمنين) وقد كان ينبغي لهم اذقاتهم  
 الايمان بحض الدليل أن يبادروا بالايمان حين رأوا أوائل العذاب (وان ربك) المحسن

اليك يا رسالك وتكثير أتباعك وتَعْظِمُ أشياعك (لهو العزيز) أي القادر بعزته على كل من  
 قسرهم على الطاعة واهلاكهم في أول أوقات المعصية (الرحيم) أي الذي يخص من شاء من  
 عباده بخالص ودادته \* ولما فرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع في قصة هود عليه السلام  
 وهي القصة الرابعة فقال تعالى (كذبت عاد) أي تلك القبيلة التي مكن الله تعالى لها  
 في الأرض بعد قوم نوح (المرسلين) بالأعراض عن معجزة هود عليه السلام ثم سلى محمدا  
 صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (اذ) أي حين (قال لهم أخوهم) أي في النسب لاني الدين  
 (هود) بصيغة العرض تأديباً معهم وتلطفاً بهم (الآتقون) أي يكون منكم تقوى لربكم الذي  
 خلقكم فتعبدونه ولا تشركون به ما لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله (اني لكم رسول)  
 أي فهو الذي جئني على أن أقول لكم ذلك (أمين) أي لأ أكنم عنكم شيئاً مما أمرت به ولا  
 أخالف شيئاً منه (فاتقوا) أي فتسبب عن ذلك أن أقول لكم اتقوا (الله) أي الذي هو  
 أعظم من كل شيء (وأطيعون) أي في كل ما أمركم به من طاعة الله وترك معاصيه ومخالفته  
 ثم نفى عن نفسه التهمة في دعائه لهم بقوله (وما) أي والحال اني ما (أسألكم عليه) أي دعائي  
 لكم (من أجر) فتم موافقته وانما أنا رسول داع (ان) أي ما (أجرى) أي ثوابي  
 (الاعلى رب العالمين) فهو الذي يثيب العبد على عمله ولما فرغ من دعائهم الى الايمان أتبعه  
 انكار بعض ما هم عليه لان حالهم حال الناسي لذلك الطوفان الذي أهلك الحيوان وأهدم  
 البنيان بقوله لهم (أتبنون بكل ريع) جمع ربيعة وهو في اللغة المكان المرتفع ومنه قولهم  
 كم ربيع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن عباس الريع كل شرف وقال مجاهد هو الفج بين  
 الجبلين وقال النخعي هو كل طريق (آية) أي علامة على شدتكم لانه لو كان لهداية  
 أو نحوها لكني بعض ذلك ولكنكم (تعبثون) بمن يترقى الطريق الى هود عليه السلام  
 وتضخرون منه والجملة طالع من ضمير تبثون وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك  
 غناهم فهو اعن ذلك ونسبوا الى العيث وقال سعيد بن جبير هي بروج الحمام لانهم كانوا  
 يلعبون بالحمام ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله (وتخذون مصانع) قال مجاهد قصوراً مشيدة  
 وقال الكلبى هي الحصون وقال قتادة هي مأخذ الماء يعني الحياض واحدها مصنعة ولما كان  
 هذا الفعل حال الراجي للخلود قال لهم (لعلكم) أي كأنكم (تخذون) فيها فلاتقون ثم  
 بين لهم أفعالهم الخبيثة بقوله (واذا بطشتم) أي أردتم البطش بأحد بضرب أو قتل (بطشتم  
 جبارين) أي من غير رافة قال البغوى والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب \* (تنبيه) \*  
 انما قدرنا الارادة اثلاثاً يتجد الشرط والجزاء وجبارين حال ولما خوفهم هود عليه السلام بهذا  
 الانكار وهو أن اتخذا الابنية العالية يدل على حب الدنيا واتخذا المصانع يدل على حب البقاء  
 والجبارية تدل على حب التشرذم بالعلو وهي ممنعة الحصول للعبد وخوفهم بهذا الانكار عقاب  
 الجبار تسبب عن ذلك قوله (فاتقوا الله) أي الذي له صفات الجلال والاکرام (وأطيعون)  
 زيادة في دعائهم الى الآخرة ونزجرهم عن حب الدنيا والاشتغال بالشرف والتعجب ثم وصل هذا

الوعظ بما يؤكده القبول بأن نهبهم على نعم الله تعالى عليهم بقوله (واتقوا الذي أمركم) أي  
 جعل لكم مددا وهو اتباع الشيء ما يتوق به على الانتظام (بما تعلمون) أي ليس فيه نوع خفاء  
 حتى تغفلوا عن تسيدهم بالشكر ثم فصل ذلك الجمل بقوله (أمركم بالانعام) تعينكم على الاعمال  
 وتأكلون منها وتتبعون (وبنينا) يعينونكم على ما تريدون عند العجز (وجنات) أي  
 بساتين ملتفة الأشجار بحيث تسترد داخلها (وعيون) أي أنها تشربون منها وتسقون  
 أنعامكم وبساتينكم ثم خوفهم بقوله (إني أخاف عليكم) قال ابن عباس إن عصية نبي أي  
 فأنكم قومي يسوءني ما يسوءكم (عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الانعام  
 فهو قادر على الانتقام وتعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب \* ولما بالغ عليه السلام في وعظهم  
 وتنبههم على نعم الله تعالى حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة  
 غفلتهم عنها حين قال أمركم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم بالمنعم بتعديدها يعلمون من نعمته  
 وأنه كما قدر أن يفضل عليكم بهذه النعمة قادر على الانتقام منكم ولم يقدر الله تعالى هدايتهم  
 (قالوا) له راضين بما هم عليه (سواء علينا أوعظت) أي خوفت وحذرت (أم لم تكن من  
 الواعظين) فإنا لا نرعى عما نحن فيه (فان قيل) لو قيل أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى  
 واحد (أجيب) بأن ذلك لتواخي القواني وأولان المعنى ليس واحدا بل بينهما فرق لأن  
 المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو  
 أبلغ في قلبه اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ وقرأ قوله تعالى (إن) أي ما (هذا) أي  
 الذي جئنا به (الأخلاق الأولى) نافع وابن عامر وعاصم وحزرة بضم الخاء واللام أي ما هذا  
 الذي نحن فيه الإعادة الأولى في حياة ناس وموت آخرين وعاقبة قوم وبلاء آخرين وقرأ  
 الباقر بضم الخاء وسكون اللام أي ما هذا الكذب الأولى (وما نحن بمعذبين) أي على  
 ما نحن عليه لأننا أهل قوة وشجاعة ونجدة وبلاغة وبراعة \* ولما تضمن هذا التكذيب تسبب  
 عنه قوله تعالى (فكذبوه) ثم تسبب عن تكذيبهم قوله تعالى (فأهلكناهم) في الدنيا بريح  
 صرصر وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في سورة الحاقة (إن في ذلك) أي الأهلاك في كل قرن  
 للمكذبين والانباء للمصدقين (آية) أي عظمة لمن بعدهم على أنه تعالى فاعل ذلك وحده  
 وأنه مع أوليائه ومن كان معه لا يذل وأنه على أعدائه ومن كان عليه لا يعز (وما كان أكثرهم)  
 أي أكثر من كان بعدهم (مؤمنين) أي فلا تحزن أنت يا أشرف الرسل على من أعرض عن  
 الإيمان (وإن ربك) أي المحسن اليك بارئالك وغيره من النعم (لهو العزيز) في انتقامه  
 عن عصاه (الرحيم) في انعامه وأكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه وأرسال المرسلين  
 وتأيدهم بالآيات المعجزة \* ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه السلام وهي  
 القصة الخامسة بقوله تعالى (كذبت عود) وهم أهل الحجر (المرسلين) وقرأ نافع وابن  
 كثير وعاصم باظهار المنناة عند المنلنة والباقر بالادغام وأشار تعالى إلى زيادة التسليمة  
 بما جأتهم بالكذب من غير تأمل ولا توقف بقوله تعالى (إذ) أي حين (قال لهم أخوهم)

أى فى النسب لافى الدين (صالح) بصيغة العرض تأدبامعهم وتلطفابهم كقول من تقدم  
 قبله (الآتقون) الله ثم علل ذلك بقوله (انى لكم رسول) من رب العالمين فلذلك عرضت  
 عليكم هذا لاني مأمور بذلك (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم من خالقكم الذى لأحد  
 أرحم منكم ثم تسبب عن قوله انى لكم رسول قوله (فاتقوا الله) أى الذى له الغنى المطلق  
 (وأطيعون) فيما أتيت به من عند الله ثم نفى عنه ما قد يتوهم من لاعقل له بقوله (وما أسألكم  
 عليه) أى ما جئتمكم به واغرق فى النقي بقوله (من أجر) ثم زاد فى تأكيد هذا النقي بقوله  
 (ان) أى ما (أجرى) على أحد (الاعلى رب العالمين) فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع  
 ينكر عليهم مأكله خيره وعبادة غيره بقوله (أتركون) أى من ايدى النواب التى لا يقدر  
 عليها الا الله تعالى (فى ما ههنا) أى فى بلادكم هذه من النعم حالة كونكم (أمينين) لا تخافون  
 وأنتم تبارزون الملك القهار بالعظام \* (فائدة) \* تكتب فى ما ههنا فى مقطوعة عن ما تفسر  
 ما أجله بقوله (فى جنات) أى بساكنين تستر الداخل فيها وتخفيه لكثرة أشجارها (وعيون)  
 تسقيها مع مالها من البهجة وغير ذلك من المنافع (وزروع) أى من سائر الانواع (وتخل طلعاها)  
 أى ما يطلع منها من الثمر (هضم) قال ابن عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشع هضم وقيل هو  
 الجواد الكريم من قواهم يدهضوم اذا كانت تجود بما لديها وقال أهل المعانى هو المنضم بعضه  
 الى بعض فى وعائه قبل أن يظهر والطلع عنقود الثمر قبل خروجه من الكتم وقال الزمخشري  
 الطلع هو الذى يطلع من الخلة كمنصل السيف فى جوفه شماريح القنوق والقنوق هو اسم  
 للخارج من الجذع كما هو بعرجونه (فان قيل) لم قال وتخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول  
 النخل أول شئ كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الأزواج حتى انهم ليدكرون الجنة  
 ولا يقصدون الا النخل كما يدكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير \* تسقى جنة صحقا \*  
 وصحقا جمع صحوق ولا يوصف به الا النخل (أجيب) بوجهين أحدهما أنه خص النخل بافراده  
 به مدخوله فى جملة سائر الشجر تنبيهها على انفراده عنها بفضله عليها الثانى أن يريد بالجنات غيرها  
 من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل \* ولما ذكر ما أنعم الله تعالى به عليهم أتبعه  
 أفعالهم الخبيثة بقوله (وتنحتون) أى والحال انكم تنحتون اظهار القدرة (من الجبال)  
 وقرأ (بيوتا) ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بكسرها وقرأ (فرهين) ابن  
 عامر والكوفيون بألف بعد الفاء أى حاذقين وقرأ الباقون بغير ألف أى بطرين لالحاجتكم الى  
 شئ من ذلك (فاتقوا) أى فتسبب عن ذلك انى أقول لكم اتقوا (الله) الذى له جميع  
 العظمة بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بتابع أو امره واجتناب زواجره (وأطيعون)  
 أى فى كل ما أمرتكم به عنه فانى لا أمركم الا بما يصلحكم (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى  
 الجاوزين للحدود وقال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة  
 \* (تنبيه) \* استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامر أو جعل الامر مطاعا على  
 الجواز الحكيم والمراد الامر ومنه قواهم لك على امره مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى

ثم وصف المسرفين بما بين سرفهم بقوله (الذين يفسدون في الارض) بالمعاصي (ولا يصلحون)  
 أي ولا يطيعون الله في أمرهم به (فان قيل) فما فائدة ولا يصلحون بعد قوله يفسدون  
 (أجيب) بأن في ذلك دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شيء من الصلاح كما يكون حال  
 بعض المفسدين مخلوطا ببعض الصلاح \* ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم اليه عدلوا الى  
 التخييل على عقول الضعفاء بأن (قالوا انما أنت من المسحرين) قال مجاهد وقتادة من  
 المسحورين المخدوعين أي من سحر مرة بعد مرة أي حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن أبي  
 صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعلقين بالطعام والشراب واستبلك وعلى هذا يكون  
 قولهم (ما أنت الا بشر مثلنا) تأكيده قيل المسحر هو المخلوق بلغة مجيئة أي فواجه  
 خصوصية عنابر الرسالة (فأت بآية) أي علامة تدل على صدقك (ان كنت من الصادقين)  
 أي الراشدين في الصدق فقال لهم صالح ما تريدون قالوا نريد ناقة عسراء تخرج من هذه العنزة  
 فتلد سقبا فأخذ صالح تذكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة فتدعل فخرجت  
 الناقة وبركت بين أيديهم وتحت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فاذا هو  
 ستون ذراعا فلما رآها (قال) لهم صالح (هذه ناقة) أخرجها ربي من العنزة كما اقترحت  
 (لها تربي) أي نصيب من الماء في يوم معلوم (ولكم ضرب يوم) أي نصيب من الماء في يوم  
 (معلوم) لازحام بينكم وبينها وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم ولا تشرب في يومهم  
 ماء (ولا تأبوا بسوء) كضرب وعقر ثم خوفهم بما تسبب عن عصيانهم بقوله (فياخذكم)  
 أي يهلككم (عذاب يوم عظيم) بسبب ما حل فيه من العذاب فهو أبلغ من وصف العذاب  
 بالعظيم وأشار الى سرعة عصيانهم ببناء التعقيب في قوله (فعقروها) أي فقتلوا بضرب ساقها  
 بالسيف وأسند العقرب الى كاهم لان عاقرها انما عقرب رضاهم فكأنهم فعلوا ذلك (فأصبحوا)  
 أي فتسبب عن عقربهم لها أنهم أصبحوا حين رأوا مخايل العذاب (نادمين) على عقربها من  
 حيث انه يقضى الى العقاب والهلاك لا من حيث انه معصية الله ورسوله وليس على وجه  
 التوبة أو كان ذلك عند رؤية لباس فلم يتفهم (فأخذهم العذاب) أي العذاب الموعود  
 على عقربها (ان في ذلك) أي ما تقدم في هذه القصة من الغرائب (آية) أي دلالة عظيمة  
 على صحة ما أمروا به عن الله (وما) أي والحال انه مع ذلك ما (كان أكثرهم مؤمنين) بل  
 استمروا على ما هم عليه (وان ربك) أي المحسن اليك بأحسن الاخلاق (لهو العزيز) أي  
 فلا يخفى شيء عن قبضته وارادته (الرحيم) أي في كونه لم يهلك أحدا حتى يرسل اليهم رسولا  
 يبين لهم ما يرتضيه الله تعالى وما يسيئ خطه \* ثم اتبع قصة صالح عليه السلام قصة لوط عليه السلام  
 وهي القصة السادسة فقال (كذبت) أي كذب من تقدم كأنهم تواصوا به (قوم لوط  
 المرسلين) لان من كذب رسولا كما مضى فقد كذب الكل ثم بين امراءهم في الضلال بقوله  
 تعالى (اذ) أي حين (قال لهم أخوهم) أي في البلد في الدين ولا في النسب لانه ابن أخي  
 ابراهيم عليهما السلام وهما من بلاد الشرق من أرض بابل وكانه عبر بالاخوة لاختياره



لجواررتهم ومناسبتهم بصباهرتهم واقامته بينهم في مدينهم مدة مديدة وستين عديدة واتيانه  
 بالاولاد من نسائهم مع موافقتهم لهم في انهم قروى ثم بينه بقوله تعالى (لوط) بصيغة العريض  
 كغيره ممن تقدم (الانتقون) الله فتجعلون بينكم وبين منخطه وقاية ثم عال ذلك بقوله (اني  
 لاكم) اى خاصة (رسول) فلا تسعنى المخالفة (امين) لاغش عندى ولا خيانة ثم سبب  
 عن ذلك قوله (فاتقوا الله) اى الملك العظيم فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه (واطيعون)  
 اى لان طاعتى سبب نجاتكم لاني لا امركم الا بما يرضيه ولا انما لكم الا بما يغضبه ثم اتى عن  
 نفسه ما يتوهم كما تقدم لغيره بقوله (وما اسألكم عليه) اى الدعاء الى الله تعالى (من اجر)  
 اى فتمموني بسببه (ان اجرى الا على رب العالمين) اى المحسن الى ما يجادكم ثم بترينكم ثم  
 ونجهم ووعظهم بقوله (اتأتون الذكران) وقوله (من العالمين) يحتمل عوده الى الاى اى  
 انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهى اتيان الذكور لم يفعل هذا الفعل غيركم  
 من الناكين من الخلق ويحتمل عوده الى الماتى اى انتم اخترتم الذكران من العالمين  
 كالاناث منهم وعلى هذا يحتمل ان يراد الذكران من الآدميين ومن غيرهم توغلا فى الشر  
 وتجاهرا بالتهتك قال البقاعى وان يراد الآدميون وجرى عليه البغوى واكثر المفسرين  
 اى تريدون الذكران من اولاد آدم مع كثرة الاناث وغلبت (وتذرون) اى تتركون لهذا  
 الغرض (ما خلق لكم) اى للنكاح (ربكم) اى المحسن اليكم وقوله (من أزواجكم)  
 يصلح ان يكون تبينا اى وهن الاناث وان يكون للتبعيض ويكون المخالوق لذلك هو انقبيل  
 وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ثم كانوا لم تترك نساءنا أصلا ورأسا وان كانوا  
 قد فهموا ان مراده ترصهن حال الفعل فى الذكور فقال مضمريا عن مقالهم لما أرادوا به  
 حيدة عن الحق وعاديا فى الفجور (بل انتم قوم عادون) اى متجاوزن عن حد الشهوة حيث  
 زادوا على سائر الناس بل والحيوانات اى مقرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك أو أحقاه  
 بأن توصفوا بالعدوان بارتكابكم هذه الجريمة ولما اتضح الحق عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم  
 فى ذلك وانقطعت حججهم (قالوا) مقسمين (لئن لم تنته) وسموه باسمه جناء وغلظة بقولهم  
 (بالوط) اى عن مثل انكارك هذا علينا (اتسكون من المخرجين) اى ممن أخرجناه من بلدنا  
 على وجه فظيع من تعنيف واحد اساملاك كما هو حال الظلمة اذا أجلبوا بعض من يغضبون  
 عليه وكما كان يفعل بعض أهل مكة بمن يريد المهاجرة وفى هذا الإشارة الى أنه غريب عندهم  
 وان عادتهم المستقرة نقي من ارتض عليهم (قال) مجيبا لهم (انى) مؤكدا المضمون ما يأتى به  
 (لعملكم من القالين) اى المبغضين غاية البغض لأقف عن الانكار عليه بالابعاد \* (تنبه)  
 قوله من القالين ابلغ من أن يقول انى لعمركم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من  
 قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا فى زميرتهم ومعروفة مساهمته لهم فى العلم والقلبي  
 البغض الشديد كان البغض يقلى النواد والكبد والقالى المبغض كما قال القائل  
 والله ما فارقتم قاليا لكم \* ولكن ما يقضى على يكون

ثم انه عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله (رب نجني وأهلي) وقوله (مما يعملون) يحتمل أن يريد من عقوبة عملهم قال الزمخشري وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتنجيم العصمة ثم ان الله تعالى قبل دعاءه كما قال تعالى (فنجيناها وأهلها) مما عذبناهم به بأخر اجناله من بلادهم حين استخفناهم له ولم تؤخره عنهم الى حين خروجهم الا لاجله وأكد بقوله تعالى (أجمعين) اشارة الى أنه نجى أهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى من أهل بيته قوله تعالى (الاجموزا) وهي امرأته كائنة (في) حكم (الغابرين) أي المالكين الذين تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية فاننا لم ننجها لقضاءنا بذلك في الازل لكونها لم تتابعه في الدين ولم تخرج معه وكانت ماثلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل انها خرجت فأصابها حجر في الطريق فأهلكها (فان قيل) كان أهل مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (أجيب) بأن الاستثناء انما وقع من أهل بيته كما مرّت اشارة اليه وفي هذا الاسم لها معهم مشركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان (فان قيل) في الغابرين صفة لها كائنة قبل الاجموزا في الغابرين غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت نجيتهم (أجيب) بان معناه الاجموزا مقدر اغبورها وفي حكمهم كما مرّت اشارة اليه (ثم مرنا) أي أهلكنا (الآخرين) أي المؤخرين عن اتباع لوط وفي التعبير بلفظ الآخر اشارة الى تأخرهم من كل وجه ثم لما كان المراد بقوله تعالى دمرنا حكمنا بتدميرهم عطف عليه قوله (وأمطرنا عليهم مطرا) قال وهب ابن منبه الكبريت والنار وقال قتادة أمطر الله تعالى على شذا القوم سجارة من السماء فأهلكتهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الى المنذرين فاعل ساء وذلك لان فاعل فعل الذم أو المدح يجب ان يكون معرّفا بلام الجنس أو مضافا الى المعرف بلام الجنس ليحصل الابهام المقصود ثم التفصيل ولا يأتي ذلك في لام العهد والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان في ذلك) أي انجاء لوط ومن معه واهلاك هؤلاء الكفار النجار (لاية) أي دلالة عظيمة على ما يصدق الرسل في جميع ترغيبهم وترهيبهم ولما كان من أتى بعد هذه الامم كقريش ومن بعدهم قد علموا أخبارهم وضموا الى تلك الاخبار نظر الديار والتوسم في الآخرة قال تعالى من حالهم في ضلالهم (وما) أي والجمال انه ما (كان أكثرهم مؤمنين) بما وقع لهؤلاء (وان ربك) وحده (لهو العزيز) أي في بطشه لا عدائه (الرحيم) في لطفه بأوليائه ثم اتبع قصة لوط عليه السلام بقصة شعيب عليه السلام وهي القصة السابعة قال تعالى (صعد أصحاب الايكة) أي الغيضة ذات الارض الجيدة التي تبلع الماء فنبت الشجر الكثير الملتف (المرسلين) لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما أتى به من المعجزة الماوية في خرق العادة وعجز المتكذبين بها عن مقاومتها بقيمة المعجزات التي بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ايكة بلام مفتوحة من غير أن وصل وياء ساكنة ولا همزة قبلها وفتح تاء التأنيث والباقيون باسكان اللام وقبلها وصل وبعد اللام همزة مفتوحة بعدها ياء ساكنة وخفض تاء التأنيث قال أبو عبيدة وجدنا في بعض التفاسير الفرق

بين ابيكة والايكة فقيل ابيكة هو اسم للقريبة التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصارا الفرق بينهما  
 شعيب المماين مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تمكذيهم بقوله تعالى (اذ) أي حين (قال لهم شعيب)  
 برفق ولطف (الاتقون) الله الذي تفضل عليكم بنعمه ولم يقل أخوهم شعيب لأنه لم يكن  
 من أهل الايكة في النسب لانهم كانوا أهل بدو وكان عليه السلام قرويا لان الله تعالى لم يرسل  
 نبيا الا من أهل القرى تشرى ينالهم لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي صلى الله  
 عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة وقال من برد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ولما  
 ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لأنه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه أهل مدين وأصحاب  
 الايكة ثم أكد ما قاله بقوله (اني) وأشار الى تبشيرهم ان أطاعوه بقوله (لكم رسول) أي من  
 عند الله فهو أمرني أن أقول لكم ذلك (أمين) أي لا خيانة عندي ولا غش فلذلك أبلغ جميع  
 ما أرسلت به ولذلك تسبب عنه قوله (فاتقوا الله) أي المحسن اليكم بهذه الغيضة وغيرها  
 (وأطيعون) لما ثبت من نصحي لكم ثم ذكر ما ذكر من تقدمه من الانبياء من نبي مايتوهم ان لهم  
 رغبة في أجره على دعائهم فقال (وما أسألكم عليه) أي دعائي لكم الى الايمان بالله تعالى (من  
 أجر) ثم زاد في البراءة من الطمع في أحد من الخلق بقوله (ان) أي ما (أجرى الاعلى رب العالمين)  
 أي المحسن الى الخلائق كلهم فأنا لأرجو أحدا سواء ثم نصحهم بقوله (أوفوا الكيل) أي أتموه  
 انما لا شبهة فيه اذا كتم كما توفونه اذا اكلتم (ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين لحقوق  
 الناس في الكيل والوزن كما قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون  
 أي الكيل واذا كالوهم أي كالوا لهم او وزنوهم أي وزنوا لهم يخسرون يتقصون الكيل أو الوزن  
 (وزنوا) أي لانفسكم ولغيركم (بالتسطاس) أي الميزان الاقوم وأكدهم بقوله (المستقيم)  
 وقيل هو بالرومية العدل وقرأ حزة والكسائي وحقق بكسر القاف والباقون بالضم  
 \* (تبييه) \* الكيل على ثلاثة أضرب واف وطيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايضاء بقوله  
 تعالى أوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو الطفيف بقوله تعالى ولا تكونوا من الخسرين  
 ولم يذكر الزائد لأنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلاثم عليه والوزن في ذلك كالكيل ولهذا عم  
 في النهي عن النقص بقوله (ولا تجسوا) أي تنقصوا (الناس أشياءهم) أي في كيل أو وزن  
 أو غير ذلك ثم اتبع ذلك بما هو أعم بقوله (ولا تعنوا) أي لا تنصرفوا (في الارض) من غير  
 تأمل حال كونكم (مفسدين) أي في المال أو غير ذلك كقطع الطريق والقتل ثم خوفهم بعد  
 ان وعظهم ونهاهم عن الفساد من سطوة الجبار ما حل بن هو أعظم منهم بقوله (واتقوا الذي  
 خلقكم) أي من نطفة فاعداكم أهون شئ عليه وأشار الى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله  
 (والجبل) أي الجماعة والامم (الاولين) الذين كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة كأنها الجبال  
 قوة وصلابة لاسيما قوم هو الذين بلغت بهم الشدة حتى قالوا من أشد منا قوة وقد أخذهم الله  
 تعالى أخذ عزيز مقتدر ثم انهم أجابوه بالقدح في الرسالة أولا وباستصغار الوعيد ثانيا بأن

(قالوا انما انت من المسحرين) أى الذين كثر مسحهم مرة بعد أخرى حتى اختلفوا فصار كلامهم على غير نظام أو من المعلنين بالطعام والشراب كما مضى فى صالح عليه السلام أى فانت بعيد عن الصلاحية للرسالة ثم أشاروا الى عدم صلاحية البشر اطلاقا ولو كانوا أعقل الناس بقولهم (وما أنت الا بشر مثلنا) أى فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك وأتوا بالاول والدلالة على أنه جامع بين وصفين مناقضين منافيين للرسالة مبالغته فى تكذيبه ولهذا قالوا (وان تظنك لمن الكاذبين) أى فى دعواك \* (تنبيه) \* مذهب البصريين ان ان هذه هى المنخفضة من الثقله أى وانا نظنك والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا فى أن ان نافية فانهم أرادوا بإثبات الواو فى وما أنت المبالغه فى نفي ارساله بتعداد ما نافية فيكون مرادهم أنه ليس لناظن توجه الى غير الكذب وهو أبغ من اثبات الظن به ثم ان شعيبا عليه السلام كان توعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا (فأسقط علينا كسفا) أى قطعاً (من السماء) أى السحاب أو الحقيقة (ان كنت من الصادقين) أى العريقين فى الصدق المشهورين فيما بين أهلنا لصدقك فيما لزم من أمرنا لنا ياخذ الوفاية من العذاب \* (تنبيه) \* انظر الى حسن نظر شعيب عليه السلام كيف هددهم بمالله عليهم من القدرة فى خلقهم وخلق من كانوا أشد منهم قوة واهلاكهم بأنواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسالهم وقرأ اخص بفتح السين والباقون بالسكون وهناه مزتان مكورتان فقتالون والبرى يسهل الهمزة الاولى مع المد والقصر وأسقطها أبو عمرو مع المد والباقون بتحقيق الاولى (قال) لهم شعيب فى جوابهم (ربى أعلم بما تعملون) فيما يزكم به فان شاء عمل لكم العذاب وان شاء أخره الى أجل معلوم وأما نافليس على الابلاغ وأما أمور به فلم أخوفكم من نفسى ولا ادعت قدرة على عذابكم فطلبكم ذلك منى مضموم الى ظلمكم بالتكذيب (فكذبوه) أى استتروا على تكذيبه (فأخذهم) أى فتسبب عن تكذيبهم ان أخذهم (عذاب يوم الظلة) وهى صحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء روى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعا وتسبوا عليهم الرض وهو شدة الحر مع سكون الريح فأخذ بانفسهم لا يشبعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلمت صحابة وجدوا الها بردا ونسيما فاجتهدوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة (أنه كان عذاب يوم عظيم) وقد منا أن تعظيم اليوم أبغ من تعظيم العذاب (ان فى ذلك) أى الامر العظيم من الانجاء المطرد لكل رسول ومن أطاعه والاخذ المطرد لمن عصاه فى كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ من الفريقتين انسان قاص ولا دان (آية) أى دلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل وأن يكفونوا جديرين بتصدق العباد لهم فى جميع ما قالوه من البشائر والنذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه وينجي من والاه لانه الفاعل المختار لما يريد (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومك كما كان من قبلهم (مؤمنين) مع أنك قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لولم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة

أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأغزهم عقلا وأعلاهم همة وأبعدهم عن كل ذي دنس (وان ربك) أي المحسن اليك بكل ما يعلى شأنك ويوضح برهانك (لهو العزيز) فلا يجزئه أحد (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا أو أحد من ذريتهم وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له (فان قيل) كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر (أجيب) بأن كل قصة منها كتزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدل على الحق على أن تفتح بما افتتحت به صاحبيتها وأن تشرح بما ختمت به ولأن في التكرير تقرير للمعاني في النفس وتثبيتها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم الا بتريدها مرارا حفظه منها وكلما زاد تريدها كان أمكن في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرعنا الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير ووجهت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يشق ذهننا أو يصلح عقلا طال عهدنا بالصقل أو يجلو فهمنا قد غطي عليه تراكم الصدا وفي ذلك دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وأن الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤون عن المطامع الدنيوية والاغراض الدنيوية ولما ذكر الله تعالى قصص الانبياء عليهم السلام أتبعه بما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وانه) أي الذكر الذي أتاهم بهذه الاخبار وهم عنه معرضون وله تاركون (لتزِيل رب العالمين) أي الذي رباهم بشمول علمه وعظيم قدرته بما يعجز عن أقل شيء منه غيره (نزل به) أي نجوما على سبيل التدرج من الافق الاعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل عليه السلام بقوله (الروح) دلالة على أنه مادة خير وأن الارواح تحيا بما ينزلها من الهدى وقال تعالى (الامين) اشارة إلى كونه عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه خيانة (على قلبك) يا أشرف الرسل ففي هذا تقرير للحقيقة تلك القصص وتبنيه على إجماز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الاخبار عنها من لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرأنا فاع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بتخفيف الزاي والروح الامين برفعهما والباقون بتثنية الزاي والروح الامين بنصبهما (فان قيل) لم قال على قلبك وهو انزل عليه (أجيب) بأنه ذكر ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ والمرسول ممتنع من قلبه لا يجوز عليه التغير ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار وأما سائر الاعضاء فمخزونة ويدل على ذلك الكتاب والسنة والمعقول فمن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واستحقاق الجزاء ليس الاعلى ما في القلب قال الله تعالى لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ومن المعقول أن القلب اذا غشي عليه وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الآفات واذا فرح

القلب أو حزن تغير حال الاعضاء عند ذلك ولأن المعاني الروحانية انما تنزل أو لاعلى الروح ثم  
تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقم منه لوح الخميعة ولما  
كان السياق في هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة التي قبله (لتكون من المنذرين) أى  
المخوفين المنذرين لمن أعرض عن الايمان وفعل ما نهى عنه من المعاصي وقوله تعالى (بلسان  
عربي) يجوز أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة  
هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يتعلق بنزل فيكون المعنى  
نزله باللسان العربي لينذره لانه لو نزل باللسان الاجمعي لتجاووا عنه أصلا ولقوالوا ما صنع بما لا  
تفهمه فيتعذرا لاندازه قال ابن عباس بلسان قرشي ليفهموا ما فيه ولما كان في العربي ما قد  
يشكل على بعض العرب قال تعالى (سبين) أى بين في نفسه كاشف لما أراد منه غير تارك  
لسا عند من تدبره على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر لغاتها بحقاقتها ووجازاتها على  
اتساع ارادتها وتباعد مرادها في محاوراتها وحسن مقاصدها في كتاباتها واستعاراتها ومن  
يحيط بذلك حق الاطاعة غير العليم الحكيم الخبير البصير ولما كان الاستكثار من الأدلة مما  
يسكن النفوس وتطمئن به القلوب قال تعالى (وانه) أى هذا القرآن أصوله وكثيرا من قصصه  
وأتمهات فروعه (لني زبر) أى كتب (الاولين) كالتوراة والانجيل وقيل وانها اي محمد او نعتة  
لني كتب الاولين (أولم يكن لهم) أى كنار مكة ذلك (آية) أى على صحة القرآن وأنبوة  
محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية ورفع آية على أنها الاسم والخبر لهم  
والباقون بالياء التحتية ونصب آية على أنها خبر وقوله تعالى (أن يعلمه) اي هذا الذي يأتي به  
نبينا من عندنا هو اسمها (علموا بنى اسرائيل) أى يعرفوه بنعتة المذكور في كتبهم والمعنى أولم  
يكن لهؤلاء المنكرين علم بنى اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن  
العلماء الذين كانوا من بنى اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكروا في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن  
يامين وثعلبة وأسد وأسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنابه انه الحق من ربنا انما كنا  
من قبله مسلمين قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه  
وسلم فقالوا ان هذا الزمانه وانما نجد في التوراة نعتة وصفته فكان ذلك آية على صدقه \* (فائدة) \*  
خط في المصحف علماء بواو قبيل الاف على لغة من عيل الاف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت  
الصلوة والزكوة والرؤا قال الله تعالى (ولو نزلناه) أى القرآن على ما هو عليه من الحكمة  
والاعجاز (على بعض الاجميين) أى على رجل ليس بعربي اللسان أو بلغة العجم (فقرأه عليهم)  
أى كنار مكة (ما كانوا مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من  
اتباع العجم وقالوا ما نفعه قولك وجعلوه عذرا مجعودهم ونظيره ولو جعلناه قرآنا عجميا لقوالوا  
لولا فصلت آياته \* (تنبيه) \* الاجميين جمع أجمي يينا النسب على التخفيف مجذوها من الجمع  
ولكونه جمع أجمي جمع سلامة لانه حينئذ ليس من باب أفعل فعلا بخلاف ما لو كان جمع  
أجم فان مؤنثه عجماء بوزن أفعل فعلا وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا لضرورة كقوله

\* حلائل أسودين واجرين \* وقال ابن عطية جمع أجمع يقال الاجمعون جمع أجمع وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له أجمع وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار وأسند الطبرى عن عبد الله بن مطيع أنه كان واقفا بعرفة وتحتة جبل فقال جملى هذا أجمع ولو أنه أنزل عليهم ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل تعجب وكأنه ربما ظن له أن الامر على خلاف حقيقته فترسفهونه وحدثه بقوله تعالى (كذلك) أى مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الأجمع (سلكناه) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين) أى كندار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن الكل بتضاء الله تعالى وقدره وقيل الضمير في سلكناه عائدا الى القرآن قال ابن عادل وهو الظاهر أى سلكناه في قلوب المجرمين كما سلكناه في قلوب المؤمنين ومع ذلك لم يجمع فيهم وفى جملة (لا يؤمنون به) وجهان أحدهما الاستئناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثانى أنها حال من الضمير فى سلكناه أى سلكناه غير مؤمن به أى من أجل ما جبلوا عليه من الاجرام وجعل على قلوبهم من الطبع والختام (حتى يروا العذاب الاليم) أى المهيب الايمان فحينئذ يؤمنون حيث لا يتفهم الايمان ويطلبون الامان حيث لا أمان ولما كان اتيان الشر فإذ أشد قال تعالى (فبأيتهم بغمة وهم لا يشعرون) باتيانهم (فيقولوا) أى تأسفوا واستسلاما وتلهفا فى تلك الحالة لعلمهم بأنه لا طاقة به بوجه (هل نحن منظرون) أى منسوح لنا فى آجالنا فنسمع ونطيع (فان قيل) ما معنى التعقيب فى فبأيتهم بغمة فيقولوا (أجيب) بأنه ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فى الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب عما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مناجاة عما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة مثال ذلك أن تقول لمن تعظه ان أسأت ممتك الصالحون فمتك الله فانه لا يقصد به هذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء فانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين عما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله ونرى ثم تقع فى هذا الاسلوب فيجمل موقعها \* ولما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى (أفبعذابنا) أى وقد تبين لهم كيف أخذهم للامم الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية (يستعجلون) أى يقولهم أمطر علينا حجارة أسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك (أقرأيت) أى هب أن الامر كما يعتقدون من طول عيشهم فى النعيم فأخبرني (ان متعناهم) أى فى الدنيا برغد العيش وصافى الحياة (سنين ثم جاءهم) أى بعد تلك السنين المتطاولة والدهور المتواصلة (ما كانوا يعدون) من العذاب (ما) أى أى شئ (أعنى عنهم) أى فيما أخذهم من العذاب (ما كانوا يجمعون) برفع العذاب أو تحقيقه أى لم يكن عندهم طول التمتع شيئا ويكون كأنهم لم يكونوا فى نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن فى الطواف وكان يتنى لقاءه فقال له عظمى فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فأبلغت (وما أهلكتكم من قرية) أى من القرى السابقة بعذاب الاستئصال (الاها منذرون) أى رسولهم

ومن تبعه من أمته ومن سمعوا من الرسل بأخبارهم مع أمهم من قبلهم ثم علل الانذار بقوله  
تعالى (ذكرى) أي تنبيه اعظيما على ما فيه النجاة أو جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى قد  
أنزنا إليكم ذكرا رسولا وذلك إشارة إلى امعاتهم في التذكير حتى صاروا آياه (وما كنا ظالمين)  
أي في اهلال شئ منها لانهم كسروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم وبتابعة الخبيث  
ومواصله الوعيد \* (تنبيه) \* الواو في قوله وما كنا وارالحال من نون أهلكنا (فان قيل) كيف  
عزات الواو عن الجملة بعد الاولم تعزل عنها في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا واهنا كتاب معلوم  
(أجيب) بأن الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلأزيد وصل الصفة  
بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم ولما كان الكفرة يقولون ان محمدا كاهن وما  
يتنزل عليه من جنس ما تنزل به الشياطين اكد بهم الله سبحانه وتعالى بقوله (وما تنزل به  
الشياطين) أي ليكون حجرا أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون (وما ينبي) أي وما  
يصح (لهم) أن يتنزلوا به (وما يستطيعون) أي التنزل به وان اشتدت معاجلتهم على تقدير  
أن يكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله تعالى (انهم عن السمع) أي الكلام الملائكة  
(لعزولون) أي محجوبون بالشهب ولما كان القرآن داعيا إلى الله تعالى ناهيا عن عبادة غيره  
تسبب عن ذلك قوله تعالى (فلا تدع مع الله) أي الحائر لكال الصفات (الها آخر فتكون)  
أي في تسبب عن ذلك أن تكون (من المعذبين) من القادر على ما يريد بأيسر أمر وأسهل وهذا  
خطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذره غيره  
يقول أنت أكرم الخلق لدى وأعزهم على ولئن اتخذت الها غيري لعذبتك فيكون الوعيد أزجر  
له ويكون هو أقبل وروى محمد بن اسحق بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال لما نزلت على  
النبي صلى الله عليه وسلم (وأندر عشرتك الاقربين) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
يا علي ان الله أمرني أن أندر عشرتي الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أتاديهم بهذا  
الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد لا تفعل ما تؤمر به ذلك  
ربك فاصنع لي صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع بني عبد  
المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ أربعون رجلا  
يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا  
دعاني بالطعام الذي صنعه فحمت به فلما وضعت تناول صلى الله عليه وسلم لحم جذبة من اللحم فشقها  
بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصخرة ثم قال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة  
وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليا كل مثل ما قدمت لجمعهم ثم قال اسقى القوم فحمتهم  
بذلك العس فشربوها حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بادره أبو لهب فتسال سحر كم محمد صاحبكم فتترق القوم  
ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت  
من القول فتترق القوم قبل أن أكلمهم فأعدنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعهم



ثم دعاني بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالامر فما كادوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فأيكم يوازي في علي أمرى ويكون أخي ووصي وخليفة فيكم فأيكم فاجم القوم عنها جميعا فقلت وأنا أحد منهم سنا أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه قال فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي ووصي وخليفة فيكم فاجموا وأطيعوا فقام القوم ينحكون ويقولون لابي طالب قد أمرنا ان نسمع لعلي ويطيع وعن ابن عباس لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادي يا بني فهدى يني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسول الله لينظر ما هو فاجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جرت بنا عليك الا الصدق قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبالك ما جمعنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبنت أي خسرت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال أرايتم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي الى آخر ما روي عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله هذه الآية فقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلى ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا وروي أبو يعلى عن الزبير بن العوام أن قريشا جاءته فحذروهم وأنذروهم فسألوه آيات سليمان في الريح وداود في الجبال وعيسى في احياء الموتى ونحو ذلك وأن يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الخضر ذهبا فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده فلما سرى عنه أخبرهم أن أعطى ما سألوه ولكنه ان أراهم فكفروا وعوجلوا فاختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة فلما كانت الندوة انما هي للمشركين أمر بضدها لضدادهم بقوله تعالى (واخفض جناحك) أي لن غاية اللين وذلك لان الطائر اذا أراد أن يرتفع رفع جناحيه واذا أراد أن ينحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلا في التواضع ومنه قول بعضهم

وأنت الشهرير يخفض الجناح \* فلانك في رفعه أجدا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع (لمن اتبعك من المؤمنين) أي سواء كانوا من الاقربين أم من الابعدين (فان قيل) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فإمعنى قوله تعالى لمن اتبعك من المؤمنين (أجيب) بوجهين أحدهما أن تسميتهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك الثاني ان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فقط اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والفاسق والمنافق لا يخفض لهما الجناح فمن على هذا للتبعيض وان أريد عموم الاتباع فهي للتبيين واختلف في الواو في قوله تعالى (فان اصولك)

على أوجه أحدها أنها ضمير الكفار أي فان عصاك الكفار في أمرنا لهم بالتوحيد الثاني أنها  
 ضمير العشرة وهذا أقرب كما جرى عليه السلف والجلال المحلى الثالث أنها ضمير المؤمنين أي فان  
 عصاك المؤمنون في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايان برسالتك وهذا  
 كما قال ابن عادل في غاية البعد (فقل) أي تارك لما كنت تعاملهم من اللين (أني يرى) أي  
 منتصل غاية الانفصال (عما تعملون) أي من العصيان الذي أذرمه القرآن (وتوكل)  
 أي فوض في عصمتك ونجاتك وجميع أمورك (على العزيز) أي القادر على الدفع عنك والانتقام  
 منهم (الرحيم) أي الذي نصرنا عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من  
 جواب الشرط والباقون بالواو ثم أتبع الامر بالتوكل الوصف المنتضى لجميع أوصاف الكمال  
 بقوله تعالى (الذي رآك) أي بصرا وعلما (حين تقوم) من نومك الى التجدد وقال مجاهد أي  
 رآك أيما كنت وقال أكثر المفسرين كما قاله البغوي حين تقوم الى الصلاة أي من نوم أو  
 غيره (و) يرى (تقلبك) في الصلاة قائما ورا كعما وساجدا (في الساجدين) قال عكرمة عن ابن  
 عباس أي في المصلين وقال مقاتل مع المصلين في الجماعة يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة  
 ويرآك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فإنه كان  
 يصبر من خلفه كما يصبر أمامه وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون  
 قبلي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري وقال عطاء  
 عن ابن عباس أراد وتقلبك في أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك في هذه الامة وقيل  
 ترددك في تصفح الاحوال المتجددين من أصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن  
 سرايرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لا آخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام  
 الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من  
 فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير (انه هو) أي وحده (السميع) أي  
 لجميع أقوالكم (العليم) أي بجميع ما تسرونه وتعلنونه من أعمالكم وشمول العلم يستلزم  
 تمام القدرة فصار كأنه قال انه السميع البصير العليم القدير تبييتا للتوكل عليه \* ولما بين سبحانه  
 وتعالى أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمد صلى الله  
 عليه وسلم لا يصح أن ينزلوا عليه من وجهين ذكرهما بقوله تعالى (هل أنبئكم) أي أخبركم خبرا  
 جليلا نافعنا في الدين عظيم الجدوى في الفرقان بين أولياء الرحمن واخوان الشيطان (على من  
 تنزل) وتتردد (الشياطين) حين تسترق السمع \* ولما كان كأنه قيل نعم أشار الى أحد الوجهين  
 بقوله تعالى (تنزل) على سبيل التدرج والتردد (على كل أفاك) أي كذاب (أنيم) أي فاجر مثل  
 مسيلة الكذاب وغيره من الكهنة وأشار الى ثاني الوجهين بقوله تعالى (يلقون السمع) أي  
 الآفكون يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحيم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين  
 الى الناس فيضعون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث  
 الكلمة بخطها الحق فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى

الله عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها ويجوز أن يعود الضمير على  
 الشياطين ومعنى القائمهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى قبل أن يرجوا فيخطفون منهم بعض  
 المغيبات ويوحونه الى أوليائهم أو يلقون الشيء المسموع الى الكهنة (وأكثرهم) أي الفريقين  
 (كاذبون) أما الشياطين فأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وأما الآفة فكأنهم يفترون على  
 الشياطين ما لم يوحوا اليهم (فان قيل) كيف قال وأكثرهم كاذبون بعدما حكم عليهم أن كل  
 واحد منهم أقال (أجيب) بأن الافا كين هم الذين يكثرون الكذب لأنهم الذين لا ينطقون  
 الا بالكذب فأراد أن هؤلاء الافا كين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه  
 \* ولما قال الكفار لم لا يجوز أن يقال الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة على  
 الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه تعالى فرق بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين الكهنة  
 ذكر ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي  
 الضالون المائلون عن السنن الاقوام الى كل فساد يجترأ الى الهلاك وأتباع محمد صلى الله عليه  
 وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباكون الزاهدون رضى الله تعالى عنهم وقرأ نافع  
 بسكون التاء الفوقية وفتح الباء الموحدة والباقون بتشديد الفوقية وكسر الموحدة \* ولما قرر  
 حال اتباعهم علم منه أنهم هم أغوى منهم لتهمتهم في شهوة اللقطة باللسان حتى حسن لهم الزور  
 والبهتان دل على ذلك بقوله تعالى (ألتر) أي تعلم (أنهم) أي الشعراء ومثل حالهم بقوله تعالى  
 (في كل واد) من أودية القول من المدح والهجو والتشبيب والرثاء والمجون وغير ذلك  
 (يمجون) أي يسرون سير البهائم حائرين وعن طريق الحق حائدين كيما جرحهم القول أنجروا  
 من القدح في الانساب والتشبيب بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك قال  
 تعالى (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي لأنهم لا يقصدونه وانما الجأهم اليه الفن الذي سلكوه  
 فأكثر أقوالهم لاحقائقها وقيل أنهم يدحون الجود والكرم ويحنون عليه ولا يفعلونه  
 ويذمون الخيل ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم \* (تبيه) \* قال  
 المفسرون أراد شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا مقاتل أسماءهم  
 فقال منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وشافع بن عبد مناف وأبو  
 عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأممية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن  
 نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسعون أشعارهم حين هجوا النبي صلى  
 الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى يتبعهم الغاؤون وهم الرواة الذين  
 يروون هجاء المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه  
 الاوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الجاهلية ويهجون الكفار وينافخون  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن  
 مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا) أي بالله ورسوله (وعملوا) أي تصديقا لايمانهم (الصالحات)  
 أي التي شرعها الله تعالى ورسوله (وذكروا الله) مستحضرين ماله من الكمال (كثيرا) أي

لم يشغلهم الشعر عن الذكر وروى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سييله \* اليوم نضربكم على تنزيله  
ضربا يزيل الهمام عن مقيله \* ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي أسرع فيهم من نضح النبل وعن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان أهدج المشركين فان جبريل معك وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهدجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال أهدجهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فقال حسان قد أن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لا أفريهم بلساني فرى الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بالناسب أو أني فيهم نسبيا حتى يخلص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد اخلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لا أسئلك منهم كما يسئل الشعر من العجيب قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤذيك ما ناخبت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاءهم حسان فشيئي وأشئي قال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه \* وعند الله في ذاك الجزاء  
هجوت محمدا بترأ حنيفا \* رسول الله شيمته الوفاء  
فان أبي ووالدتي وعرضي \* لعرض محمد منكم ووفاء  
فن هجور رسول الله منكم \* ويعد حسه وينصره سواء  
وجبريل رسول الله فينا \* وروح القدس ليس له كفاء

وورد في مدح الشعر عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر حكمة وعن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية ابن أبي الصلت شي قال نعم قال هب فأنشده بيتا فقال هب حتى أنشده مائة بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون شيئا من أمر الجاهلية فرموا بتسميهم معهم وعن عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشد فرورى انه دعا عمر بن أبي ربيعة الخزومي واستنشد القصيدة التي أولها

أمن ال نعمى أنت غاد مبكر \* غداة غدام راعح فهجرج  
فأنشد ابن ربيعة القصيدة الى آخرها وهي قريية من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة  
جميعا وكان - فظها بجزء واحدة ثم بين سبحانه وتعالى ما جل المؤمنين على الشعر وهو اتصارهم  
من المشركين بقوله تعالى (واتصروا) أى هججوهم الكفار (من بعد ما ظلموا) هججوا الكفار  
لهم لانهم بدؤوا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين وغيرهم من الكفار بقوله تعالى (وسيعلم الذين  
ظلموا) بالشرك وهجج رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى منقلب) أى مرجع (ينقلبون) أى  
يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير وفي هذا تمديد شديد لما فى سيعلم من  
الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي أى منقلب ينقلبون من الابهام  
والتويل وقد تلا أبو بكر عمر رضى الله عنهما حين عهد اليه هذه الآية اللهم اجعلنا ممن جعل  
هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التى تذكر فيها البقرة من الذكر الاقول وأعطيت طه  
والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التى تذكر فيها البقرة  
من تحت العرش وأعطيت المفصل نافله وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله  
أعطانى السبع مكان التوراة وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل  
ما قرأهن نبي قبلى وما رزاه البيضاوى بعمالزخشرى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من  
قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهو دوشعيب  
وصالح و ابراهيم و بعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

### ❖ (سورة التمل مكية) ❖

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون  
كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله) أى الذى كمل علمه فبهرت حكمته (الرحمن) الذى عم بالهداية بأوضح البيان  
(الرحيم) أى الذى من بجنات النعيم على من اتبع الصراط المستقيم (طس) قال ابن عباس  
هو اسم من أسماء الله عز وجل وقد سبق الكلام فى حروف الهجاء عليه وقرأ حمزة والكسائى  
وشعبة بأماله الطاء والباقون بالفتح (تلك) أى هذه الآيات العالمة المقام البعيدة المرام  
البديعة النظام (آيات القرآن) أى الكمال فى قرآنيته الجامع للاصول الناشر للنروع الذى  
لا خلل فيه ولا فقص ولا صدع ولا وسم (وكتاب مبين) أى مظهر الحق من الباطل (فان قيل)  
كيف صح أن يشار لاثنتين أحدهما مؤنث والاخر مذكرة باسم الاشارة المؤنث ولو قلت  
تلك هند وزيد لم يجز (أجيب) من ثلاثة أوجه أحدها أن المراد بالكتاب هو الآيات لان  
الكتاب عبارة عن الآيات المجموعة فلما كانت مأواحد أصبحت الاشارة اليهما باشارة الواحد  
المؤنث الثانى أنه على حذف مضاف أى وآيات كتاب مبين الثالث أنه لما ولى المؤنث ما تصح

قوله فان قيل كيف  
صح الخ ظاهر ان  
الاشارة الى الآيات  
المؤنث المضاف  
للقرآن المعطوف  
عليه وكتاب فلا يرد  
ما قاله اه صححه

الاشارة به اليه ككتفى به وحسن ولو ولي المذكر لم يحسن ألا ترى أنك تقول جاءني هند  
 وزيد ولو أخرت هندا لم يجز تأنيث الفعل وقرأ ابن كثير بالنقل وصلا وابتداء وحزة في الوقف  
 لا غير والباقون بغير نقل وقوله تعالى (هدى وبشرى) يجوز أن يكون منصوبين على المصدر بفعل  
 مقدر من لفظهما أى يهدى وبيشر بشرى وأن يكونا في موضع الحال من آيات والعامل  
 فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وأن يكونا خبرا بعد خبر وان يكونا خبرى مبتدأ مضمرا أى  
 هو هدى من الضلالة وبشرى (للمؤمنين) أى المصدقين به بالجنة كقوله تعالى يشركهم ربهم  
 برحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما واهذا خص به المؤمنين وقيل المراد بالهدى  
 الدلالة وانما خصه بالمؤمنين لانه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين أولانهم  
 تمسكوا به كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها أولانهم يزيد في هداهم كقوله تعالى وزيد  
 الله الذين اهتدوا هدى \* ولما كان وصف الايمان خفيا وصفهم بما يصدقهم من الامور الظاهرة  
 بقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة) أى بجميع حدودها الظاهرة والباطنة من المواقيت  
 والطهارات والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسان اصلا لما بينهم وبين الخالق  
 (ويؤتون الزكاة) أى احسانا فيما بينهم وبين الخلاق (وهم بالاخرة هم يوقنون) أى يوجدون  
 الايقان حق الايجاد بالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام على الطاعة  
 والاجتناب عن المعصية وأعيدهم لمفصل بينه وبين الخبر \* ولما أفهم التخصيص ان ثم من يكذب  
 بها ذكره بقوله تعالى (ان الذين لا يؤمنون) أى لا يوجدون الايمان ولا يجدونه (بالاخرة زيننا)  
 أى بعظمنا التي لا يمكن دفاعها (لهم أعمالهم) أى القبيحة بتركيب الشهوة حتى أعرضوا عن  
 الخوف من عاقبتها مع ظهور قبحاتها والاسناد اليه حقيقى عند أهل السنة لانه الموجد  
 الحقيقى والى الشيطان مجازى سبى وعند المعتزلة بالعكس قال الرنخشىرى فى تفسيره ان اسناده  
 الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز (فهم) أى فتسبب عن ذلك أنهم (يعمهمون)  
 أى يتعمرون ويترددون فى أودية الضلال ويتمادون فى ذلك فهم كل لحظة فى خطب جديد يعمل  
 غير سديد (أولئك) أى البعداء البغضاء (الذين لهم) أى خاصة (سوء العذاب) أى أشده فى الدنيا  
 بالخوف والقتل (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى أشد الناس خسارة لانهم خسروا  
 ما لا يخسر مثله لصيرهم الى النار المؤبدة عليهم \* ولما وصف تعالى القرآن بما اقتضى بيان  
 أهل الفوز والخسران ذكر حال المنزل عليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا له بقوله تعالى  
 (وانك) أى وأنت يا أشرف الخلق وأعلمهم وأعظمهم وأحكمهم (لتلقى القرآن) أى لتواتره  
 وتلقته أى يلقى عليك بشدة (من لدن) أى من عند (حكيم) أى بالغ الحكمة فلا شئ من أفعاله  
 الا وهو فى غاية الاتقان (عليم) أى عظيم العلم واسعه تامة شاملة والجمع بينهم ما مع أن العلم  
 داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بأن علوم القرآن  
 منها ما هو كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والخبار عن المغيبات ثم شرع  
 فى بيان تلك العلوم بقوله تعالى (اذ قال موسى) أى اذ كرر قصته حين قال (لا اله) أى زوجته

فتشعب عليه السلام عنده من مدينة الى مصر وهي القصة الاولى من قصص هذه  
 السورة قال الرنخشري روى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كفى الله تعالى  
 عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا وكانا يسيران ليلا وقد اشتبه  
 الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال يقوى الناس بمشاهدة نار من بعد ما يربح  
 فيها من زوال الحيرة وأمن الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاح فلذلك بشرها فقال (انى  
 انست) أى أبصرت ابصارا حصل لى به الانس وأزال عنى الوحشة (ناراسا تيكم منها خبر)  
 أى عن حال الطريق وكان قد أضلها وعبر بلفظ الجمع كما فى قوله امكثوا (فان قيل) كيف جاء  
 بسين التسوييف (أجيب) بأن ذلك عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ الاتيان أو كانت المسافة  
 بعيدة (فان قيل) قال هنا سا تيكم منها خبر وفي السورة الآتية لعلى آتيكم منها خبر وهما  
 كلمتا دفعين لأن أحدهما ترح والآخر تيقن (أجيب) بأن الراجح قد يقول اذا قوى رجاؤه  
 سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الحقيقة (أو آتيكم بشهاب قبس) أى شعله نار فى رأس  
 قبيلة أو عود قال البغوى وليس فى الطرف الآخر نار وقال بعضهم الشهاب شئ ذو نور مثل  
 العمود والعرب تسمى كل شئ أبيض ذى نور شهابا والقبس القطعة من النار وقرأ الكوفيون  
 بشهاب بالتنوين على أن القبس بدل منه أو وصف له لانه بمعنى المقبوس والباقون باضافة  
 الشهاب اليه لانه يهكون قبسا وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه نحو ثوب خز  
 اذا الشهاب شعله من النار والقبس قطعة منها يكون فى عود أو غيره كما مر (فان قيل) لم جاء بأو  
 دون الواو (أجيب) بأنه بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بحاجته جيعا لم يعدم واحدة منهما اما  
 هداية الطريق واما اقتباس النار بقعة بعبادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه  
 حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجته الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة  
 ثم انه عليه السلام علل اتيانه بذلك افهاما لانه ليله باردة بقوله (اعلكم تصطلون) أى لتسكنوا  
 فى حال من يربحى أن يستدفئ بذلك من البرد والظلمة بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر  
 اللام وفصحها (فلما جاءها) أى تلك التى ظن انها نار (نودى) من قبل الله تعالى (أن بورك) أن  
 هى المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك أو المصدرية أى بان بورك وقوله  
 تعالى (من فى النار) أى موسى (ومن حولها) أى الملائكة هونائب الفاعل لبورك والاصل  
 بارك الله من فى النار ومن حولها وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ومذهب أكثر  
 المفسرين أن المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه ناراً ومن فى النار هم الملائكة  
 وذلك أن النور الذى رآه موسى عليه السلام كان فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتعديس  
 ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها  
 والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء فى الحديث حجاب النار لو كشفها لحرقت سبحات وجهه  
 الحديث (تنبيه) \* بارك تعدى بنفسه وبحرف الجر يقال بارك الله وبارك عليك وبارك فيك  
 وبارك لك وقال الشاعر

فبوركت مولودا و بوركت ناشئا \* و بوركت عند الشيب اذ أنت أشيب  
 قال الزمخشري و الطاهر أنه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي و هو اليهم من أرض  
 الشام و لقد جعل الله تعالى أرض الشام الموسومة بالبركات لكبرتها مبعث الانبياء و كفاتهم  
 احياء و أمواتا و مهبط الوحي عليهم و خصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام  
 و قوله تعالى (و سبحان الله رب العالمين) من عام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها  
 و للعجب من عظمة الله في ذلك الامر فانه أتانا النداء كما ورد من جميع الجهات فسمعه بجميع  
 الحواس أو تعجب من موسى لما دعاه من عظمته و لما تشوقت النفس الى تحقق الامر تصرحنا  
 قال تعالى تهيدا لما أراد سبحانه اظهاره على يد موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات  
 (يا موسى انه) أي الشأن العظيم الجليل الذي لا يبلغ وصفه و جملة (أنا الله) أي البالغ في  
 العظمة ما تدعى صر عنه الاوهام منسرة له أو المتكلم و أنا خبر و الله بيان له ثم وصف تعالى نفسه  
 بوصفين يدلان على ما يفعله مع موسى عليه السلام أحدهما (العزيز) أي الذي يصل الى  
 سائر ما يريد ولا يرد عنه من مراده راد و الثاني (الحي) أي الذي يفعل كل ما يفعله بحكمة  
 و تدبير (فان قيل) هذا النداء يجوز أن يكون من عند غير الله تعالى فكيف علم موسى أنه من  
 الله تعالى (أجيب) بأنه سمع الكلام المنزه عن شائبة كلام المخلوقين لان النداء أتاه من جميع  
 الجهات و سمعه بجميع الحواس كما تدل عليه بالضرورة أنه صفة الله سبحانه و تعالى ثم أرى  
 الله سبحانه و تعالى موسى عليه السلام آية تدل على قدرته ليعلم علم شهود و هي قوله تعالى  
 (و ألق عصاك) فألقاها كما رفصارت في الحال كما آذنت به الفناء حية عظيمة جدا و مع كونها في  
 غاية العظم في نهاية الخفة و السرعة في اضطرابها عند محاولتها ما تريد (فلما رآها تهتز) أي  
 تضطرب في تحركها مع كونها في غاية الكبر (كأنها جان) أي حية صغيرة في خفتها و سرعتها  
 فلا يتأني ذلك كبر جثتها (ولي) أي موسى عليه السلام ثم ان التولية مشتركة بين معان فلذا  
 بين المراد منها بقوله تعالى (مدبرا) أي التفت هاربا منها مسرعا جدا بقوله تعالى (ولم يعقب) أي  
 لم يرجع على عقبه ولم يلتفت الى ما وراءه بعد تولىه \* (تنبيه) \* قال الزمخشري و ألق عصاك  
 معطوف على بورك لان المعنى نودي أن بورك من في النار و أن ألق عصاك كلاهما تفسير  
 لنودي و المعنى قيل له بورك من في النار و قيل له ألق عصاك انتهى و انما احتاج الى تقدير و قيل  
 له ألق لتسكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها لانه يرى في العطف تناسب  
 الجمل المتعاطفة و الصحيح كما قاله أبو حيان انه لا يشترط ذلك \* و لما تشوقت النفس الى ما قيل له عند  
 هذه الحالة أجيب بأنه قيل له (يا موسى لا تخف) أي منها و لا من غيرها ثقة بي ثم علل هذا النهي  
 بقوله تعالى مبشرا بالامن و الرسالة (اني لا يخاف لدي) أي عندي (المرسلون) أي من حية  
 و غيرها لانهم معصومون من الظلم و لا يخاف من الملك العدل الا ظالم و قوله تعالى (الامن ظلم)  
 فيه وجهان أحدهما أنه استثناء منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي و هذا هو الصحيح  
 و المعنى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف الامن تاب كما قال تعالى (ثم بدل) أي بتوبته



(حسنا بعدسوه) وهو الظلم الذي كان عمله أي جعل الحسن بدل السوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى عليه السلام (قآني) أرحمه بسبب اني (عقور) أي من شأني أن أحمو الذنوب محوايزيل جميع آثارها (رحيم) أي أعامله معاملة الراحم البليغ الرحمة والثاني أنه استثناء متصل وللمفسرين فيه عبارات قال الحسن ان موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال غيره ان ذلك محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الالهنا بمعنى ولا أي لا يخاف لدى المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي ولا الذين ظلموا ثم أراه الله تعالى بعد هذه الآية آية أخرى ذكرها بقوله تعالى (وأدخل يدك في جيبك) أي فتحة ثوبك وهو ما قطع منه ليجيب بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أي يتقطع (تخرج بيضاء) أي بيضا عظيما نيرا جداله شعاع كشعاع الشمس وكانت الآية الأولى مما في يده بقلب جوهرها الى جوهر شي آخر حيواني وهذه في يده نفسها بقلب عرضها التي كانت عليه الى عرض آخر نوراني ثم نفي عنها أن يكون ذلك بسبب آفة بقوله تعالى (من غيرسوه) أي برص ولا غيره من الآفات وقوله تعالى (في تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجز فيه متعلق بعذوف والمعنى اذهب في تسع آيات (الى فرعون وقومه) كقول القائل

فقلت الى الطعام فقال منهم \* فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوران يكون بمعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة آية ثنتان منها العصا واليد والتسع النلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات فتكون العصا واليد من التسع ثم عمل ارساله اليهم بالخوارق بقوله تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعتنا (فلما جاءتهم آياتنا) أي على يد موسى عليه السلام (مبصرة) أي بينة واضحة هادية الى الطريق اذ قوم (قالوا هذا سحر) أي خيال لاحقيقة له (مبين) أي واضح في أنه خيال (وسجدوا بها) أي أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم باطلهم لان الجود الانكار مع العلم (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا أنهم من عند الله تعالى وتخلل علمها صميم قلوبهم فكانت أسنتهم محالنة لما في قلوبهم ولذلك أسند الاستمئنان الى النفس ثم عمل جدهم ووصفهم لها بخلاف وصفها بقوله تعالى (ظلموا علوا) أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق في الدنيا بأيسر سعي وأيسر أمر فلم يبق منهم من عين تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم وعظمتهم وقوتهم والاحراق في الآخرة بالنار المؤبدة \* القصة الثانية قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (واقدا آتينا) أي بما لنا من العظمة (داود وسليمان) ابنه وهما من أتباع موسى عليهم السلام وبعدهما زمان متطاولة (علما) أي جزأ من العلم عظيمين من منطق الطير والدواب وتسيح الجبال وغير ذلك لم نؤته لا أحد من قبلهما \* ولما كان التقدير

فعمله عطف عليه قوله (وقال) ~~شكر~~ اعلمه ودلالة على شرف العلم وتبنيها لاهله على  
التواضع (الحمد) أي الاحاطة بجميع أوصاف الكمال (لله) أي الذي لا كفاء له (الذي فضلنا)  
أي بما آتانا من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس وغير ذلك (على كثير من  
عباده المؤمنين) أي عن لم يورث علما ومثلهما وفي ذلك تحريض للعالم أن يحمد الله تعالى  
على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير فلا يتكبر ولا يتفخر  
ويشكر الله تعالى وينفع به المسلمين كما نفعه الله تعالى به ثم انه تعالى أشار الى فضل سليمان بأنه  
جمع الى ما آتاه ما كان منح به أباه بقوله تعالى (وورث سليمان داود) أباه عليهم السلام دون سائر  
أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك وزيدته تسخير الريح  
وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد  
تعبا من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى عليه (وقال) تحذرا بنعمة ربه ومنبها على  
ما شرفه الله تعالى به أيكون أجدر في قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير (يا أيها الناس  
علمنا) أي أنا وأبي بأيسر وأسهل (منطق الطير) أي فهم ما يريد كل طائر اذا صوت فسمى  
صوت الطير منطلقا لوصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب الاحبار أنه قال  
صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا الموت  
وابنوا الخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق  
لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدن تدان وصاح  
هدد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال  
أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذبذبين وصاح طيطوى فقال أتدرون  
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كل حتمت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون  
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا  
قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قري فقال أتدرون ما يقول قالوا  
لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ  
هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبيغات تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول  
سبحان ربي القدير ويقول أيضا سبحان ربي المذكور بكل لسان والبازي يقول سبحان ربي  
وبحمده وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال  
فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروى عن فرقد السنجي قال مر سليمان على بلبل فوق  
شجرة يحترق رأسه ويميل ذنبه فقال لا صحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم  
قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وهو بالفتح والمد والتراب وقال أبو عبيد هو  
الدروس وفي حديث صفوان اذا دخلت بيتي فأكلت رغيفا وشربت عليه فعلى الدنيا العفاء  
وروى أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناس ثلوك عن سبعة أشياء قلن أخبرتنا أننا وصدقنا  
قال اسألوا نفتها ولا تسألوا نعمتها قالوا أخبرنا ما يقول القنبر في صغيره والديك في صغيقه

والضفدع في نعيقه والجمار في نهيته والفرس في صهيله وما يقول الزرور والدراج قال نعم أما  
القنبر فيقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وأما الديك فيقول اذكر والله يا غافلين وأما  
الضفدع فيقول سبحان المعبود في لجم الجمار وأما الجمار فيقول اللهم العن العشار وأما الفرس  
فيقول إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرور فيقول اللهم انى  
أسألك قوت يرم يوم يارزاق وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فأسلم اليهود  
وحسن اسلامهم ويروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي  
قال اذا صاح النسر قال ابن آدم عشم ماشئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من  
الناس انس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله  
رب العالمين ويمد ولا الضالين كما يمد القارئ وقول سليمان عليه السلام (وأوتينا من كل شئ)  
أى قوتناه الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة  
والملك وتسخير الجن والانس والرياح (ان هذا) أى الذى أوتينا (اهو الفضل المبين) أى  
الدين فى نفسه لكل من ينظره الموضع اعلم وقد صاحبه روى أن سليمان أعطى ملك مشارق  
الأرض ومغارها فلك أربعين سنة وستة أشهر جميع أهل الدنيا من الجن والانس  
والدواب والطيروا السباع وأعطى مع ذلك منطق الطير وفى زمانه صنعت المسننات العجيبة  
فقوله ان هذا هو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذى فضلنا والمقصود منه الشكر  
والحمد كما قال صلى الله عليه وسلم أناس يدولد آدم ولا نقر (فان قيل) كيف قال علمنا وأوتينا  
وهو كلام المتكبر (أجيب) بوجهين الأول أنه يريد نفسه وأباه كما مر الثانى أن هذه النون  
يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا وما كان هذا مجرد خبر أتبعه ما يصدقه بقوله  
تعالى (وحشر) أى جمع جمعا حتما بتهور وسعوية واكرام بأيسر أمر (لسليمان جنوده) ثم بين  
ذلك بقوله تعالى (من الجن) وبدأ بهم لعسر جمعهم ثم شئ بقوله تعالى (والانس) لشرفهم ثم  
اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله (والطير) فقدم القسم الأول لشرفه وذلك كان فى مسيرته  
فى بعض الغزوات (فهم) أى فتسبب عن مسيره بذلك انهم (يوزعون) أى يكفون بحبس  
أولهم على آخرهم بأدنى أمر وأسهم له ليتلاحقوا فيكون ذلك أجدر بالهيبه وأعون على النصره  
وأقرب الى السلامة قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولها على آخرها لئلا  
يتقدموا فى المسير قال والوازع الحابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون أى يساقون وقال  
السدى يوقفون وقيل يجمعون وأصل الوزع الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظى كان  
معسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة  
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسها  
فى فرسخ وكان يوضع كرسيه وسطه فيقعده وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقع على الانبياء  
على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس  
والوحش حولهم وتظلمهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له ألف بيت من قوارير

على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سريفة فبأمر الريح العاصف فترفعه ثم  
ياصر الرخاء فتسير به مسيرة شهر وأوحى إليه وهو يسير بين السماء والأرض اني قد زدت في  
في ملكك أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت به الريح فأخبرتكم به فيحكى أنه متر بجراث  
فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني  
مشيت اليك ثلاث نفي ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيهية واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل  
داود واستمر سائر اربعين معه (حتى اذا أتوا) أي أشرفوا (على وادي النمل) روى عن كعب  
الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها  
تناير الحديد وقدور وعظام تسع كل قدر عشرة من الايل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون  
واتخذ مبادين للدواب فجري بين يديه وهو بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فسار  
من اصطخر يريد اليمن فترعد دينة النبي صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرته  
يخرج في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل الى مكة رأى حول البيت  
أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يكلمك  
فقال يا رب أبكاني ان هذاني من أنبيائك وقوم من أوليائك متروا على فلم يهبطوا ولم يصلوا  
عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فاني سوف أملوك وجوها  
سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبي آخر الزمان أحب أنبيائي الى واجعل فيك  
عمارا من خلقي يعبدونني وأقرض علي عبادي فريضة يزفون اليك زقيف النسور الى وكرها  
ويجنون اليك حنين الناقة الى ولدها وحنين الحمامة الى بيضها وأطهر لك من الاوثان وعبدة  
الشياطين ثم مر سليمان حتى مر بوادي السدير من الطائف فأتى على وادي النمل هكذا قال كعب  
انه واد بالطائف قال البقاعي وهو الذي قيل اليه الذنس فانه معروف عندهم الى الآن بهذا  
الاسم وقال قتادة ومقاتل هو واد بالشأم وجري عليه البيضاوي وقيل واد كانت تسكنه الجن  
وأولئك النمل حرا كبهم وقال نوف الجبيري كان على ذلك الوادي مثل الذباب وقيل كان  
كالضاني وقال البغوي والمشهور انه النمل الصغير (فائدة) وقف الكسائي على وادي بالياء  
والباقون بغير ياء (فان قيل) لم عدى أو ابعل (أجيب) بأنه يتوجه على معنيين أحدهما  
ان اتيانهم كان من فوق فأتى بجرف الاستعلاء والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره  
من قواهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي  
لانهم مادامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم ولما كانوا في أمر مهول منظره  
وقربوا من ذلك الوادي (قالت غلة) قال الشعبي كانت تلك الغلة ذات جناحين وقيل  
كانت غلة عرجاء فنادت (يا أيها النمل ادخلوا) أي قبل وصول ما أرى من الجيوش  
(مساكنكم) ثم عالت أمرها فقالت (لا يحط منكم) أي يكسر نكم ويهشم نكم أي لا تبرزوا  
فيحطمكم فهو نهى لهم عن البروز في صورة نهيه وهو أبلغ من التصريح بنهيهم لان من نهى  
أميرا عن شئ كان لغيره أشد تنهيا (سليمان وجنوده) أي لانهم لكثرتهم اذا صاروا في هذا

الوادي استعلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه موضع شبر خاليا (وهـم) أي سليمان وجنوده  
(لا يشعرون) أي يحطمهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من أحوال السير وقولها هذا  
يدل على علمها بأنهم لو شعروا بهم ما اذوهم لانهم اتباع نبي فهم رجاء وانما خاطبتهم خطاب  
من يعقل لانهم لما جعلت فائلة والنمل مقولاله كما يكون في أولى العقول أجرت خطابهم والنمل اسم  
جنس معروف واحدة غلّة ويقال غلّة وغل بضم النون وسكون الميم وغلّة وغل بضمهما وعن  
قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله  
تعالى حاضر وهو غلام حديث فقال سلوه عن غلّة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأخبرهم  
فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقليل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت غلّة ولو  
كانت ذكر القمل قال غلّة قال الرمحشري وذلك أن الغلّة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على  
الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى انتهى ورد  
هذا أبو حيان فقال ولحاق التاء في قالت لا يدل على أن الغلّة مؤنثة بل يصح أن يقال في الذكر  
قالت غلّة لأن النمل وان كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكور من المؤنث وما كان كذلك كالحمامة  
والقملة مما بينه في الجمع وبين واحدة تاء التأنيث من الحيوان فإنا نخبر عنه اخبار المؤنث ولا  
يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على كونه ذكرا أو أنثى لأن التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة  
على التأنيث له الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه  
أخبر يدل على معرفته باللسان اذا علم أن الغلّة يخبر عنها اخبار المؤنث وان كانت تطلق على الانثى  
والذكر اذ لا يتميز فيه أحد هذين ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التذكير والتأنيث الا بوسعي من  
الله اه وقال الطيبي العجب من أبي حنيفة ان ثبت ذلك عنه لان الغلّة كالحمامة والشاة تقع  
على الذكر والانثى وأطال الكلام في ذلك (فان قيل) كيف يصور الحطم من سليمان وجنوده  
وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض (أجيب) بأن من  
جنوده ركبانا ومنهم مشاة على الارض تطوى لهم أو أن ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمان  
ويروى أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم فقد روى انه سمع  
كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية (فائدة) قال أهل المعاني في كلام هذه الغلّة  
أنواع من البلاغة نادى ونهت وسمت وأمرت ونصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت  
وأعذرت ووجهه نادى يأنهت هاسمت النمل أمرت ادخلوا نصت مساكنكم حذرت لا يحطم منكم  
خصت سليمان عمّت وجنوده أشارت وهم أعذرت لا يشعرون \* ولما كان هذا أمرا محجبا  
لمنافيه من جزالة الالفاظ وجمال المعاني تسبب عنه قوله (فتبسم ضاحكا من قولها) أي  
لما أوتيته من الفصاحة والبيان سرورا بما وصفته به من العدل في أنه وجنوده لا يؤذى أحدا  
وهم يعلمون وبما آناه الله من سمعه كلام الغلّة واحاطته بعنايه \* (تنبيه) \* ضاحكا حاله مؤكدة  
لانها مفهومة من تبسم وقيل هي حال مقدرة فان التبسم ابتداء الضحك وقيل التبسم قد يكون  
للغضب ومنه تبسم تبسم الغضبان فضا حكامينا له قال عنتره

لما رأني قد قصدت أريده \* أبدى نواجذه لغير تبسم  
وقال الزجاج أكثر ضحك الانبياء التبسم وقوله ضاحكاً أي متبسماً وعن عائشة رضي الله عنها  
قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجماً معاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته انما كان  
يتبسم وعن عبد الله بن الحرث بن جبير قال ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسأل ربه  
توفيق شكره لما تذكروا أولاً وربه سبحانه وتعالى بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه  
من غير ذلك (وقال رب) أي أيها المحسن إلى (أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك)  
وقيل معناه اجعلني أزرع شكر نعمتك أي أكفه وأمنه حتى لا ينفلت مني فلا أزال  
شاكراً وأزرع بفتح الزاي أصله أوزع فذقت واوه كافي أدع \* ولما أفهم ذلك تعلق النعمة به  
حقيقه بقوله (التي أنعمت عليّ) وأفهم قوله (وعلى والدي) ان أمه كانت أيضاً تعرف  
منطق الطير وانما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصاً  
النعمة الراجعة إلى الدين فانه اذا كان تقياً نفعهم ما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما  
كلمة عواله وقالوا رضي الله عنك وعن والديك \* (تنبية) \* الشكر لغة فعل نبي عن تعظيم  
المنعم من حيث انه منعم على الشاكر أو غيره سواء كان ذكر باللسان أم اعتقاداً أو محبة بالجنان  
أم عملاً وخدمة بالاركان كما قال القائل

أفادتكم النعماء مني ثلاثة \* يدي ولساني والضمير المحجبا

وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره إلى ما خلق لاجله وهذا المن  
حفته العناية الربانية تسأل الله الكريم الفتح أن يحسننا ومن يلوذ بنا بعنايته روى عن داود  
عليه السلام أنه قال يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر  
فأوحى الله تعالى إليه يا داود اذا علمت أن ما برك من نعمة فني فقد شكرتني والشكر ثلاثة أشياء  
الأول معرفة النعمة بمعنى احضارها في الخاطر بحيث يتميز عندك أنها نعمة فرب جاهل بحسن  
إليه وتنعم عليه وهو لا يدري فلا جرم أنه لا يوضح منه الشكر الثاني قبول النعمة بتلقيها من  
المنعم باظهار الفقر والفاقة فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة الثالث الثناء بها بأن تصف المنعم  
بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن  
مقامه فان اليد العليا خير من اليد السفلى \* ولما علم من كلامه أن الشاكر هو المستغرق  
في الثناء على المنعم مما يجب عليه من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل مما يجوز أن  
يكون زين لذلك العبد كونه حسناً وهو ليس كذلك قال عليه السلام مشيراً إلى هذا المعنى  
(وأن أعمل صالحاً) أي في نفس الامر وقيد بقوله (ترضاه) لأن العمل الصالح قد لا يرضاه  
المنعم لنقص في العامل كما قيل

اذا كان الهب قليل حظ \* فما حسنته الاذنوب

وقوله (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله

لا باستحقاق العبد والمعنى أدخلني في جنتهم وأثبت اسمي في أسمائهم واحشرنى في زميرتهم قال  
 ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحق ويعقوب رمن بعدهم من النبيين (فان قيل) درجات  
 الانبياء أفضل من درجات الصالحين والاولياء فما السبب في أن الانبياء يطلبون جعلهم من  
 الصالحين وقد تفتى يوسف عليه السلام بقوله فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا  
 والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين وقال ابراهيم هب لي حكما وألحقني بالصالحين  
 (أجيب) بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصى الله تعالى ولا يفعل معصية ولا يهجم بمعصية  
 وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السلام لما وصل الى المنزل الذي قصده تفقد أحوال  
 جنوده كما تقتضيه العناية بأموال الملك (وتفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب  
 ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لأرى الهدهد) أي أهو حاضر  
 (أم كان من الغائبين) أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولم يره لسائر أو غيره فسال مالي  
 لأراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن  
 صحة ماله له وهذا يدل على أنه تفقد جماعة من الجن والانس والطيور والوحوش  
 غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج  
 الى أرض الحرم فجهز للمسير واستحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش  
 ما بلغ عسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافي الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وكان يخبر في كل  
 يوم مدة مقامه بمكة خمسة آلاف ناقه وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من  
 أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع  
 ما يأواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم  
 قالوا فأي دين يدين يا نبي الله قال يدين الحنيفة فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين  
 خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل  
 فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج منها صبا حوا وسوا نحو اليمن فوافي صنعاء وقت الزوال وذلك  
 مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ترهو خضرتها فأحب النزول ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد  
 ان سليمان قد اشتغل بالنزول فأرتنع نحو السماء فأنتظر الى طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا وشمالا  
 فرأى بستانا بالبتيس فقال الى الخضره فوقع فيه فاذا هو بهددهد فهبط عليه وكان اسم هددهد  
 سليمان يعنور واسم هددهد اليمن عنقير فقال عنقير هددهد اليمن لي عنقور سليمان من أين أقبلت  
 والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك  
 الانس والجن والشياطين والطيور والوحوش والرياح فن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال  
 ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان اصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه  
 فانها ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل  
 أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج  
 الى الماء قال الهدهد اليمني ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى

بالتقيس وملاصكتها وغاب الى وقت العصر وكان نزول سليمان على غير ما قال ابن عباس وكان الهدد دليل سليمان على الماء وكان يعرف الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزباجة ويعرف بعده وقر به فينقر الارض ثم تجي الشياطين فيسبحونهم كما يسبح الالهة ويستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق انظر ما تقول ان الصبي من صنع النعج ويحتو عليه التراب فيجى الهدد ولا يصير النعج حتى يتبع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال بين البصر وفي رواية اذ انزل انقضاء والقدر ذهب اللب وعى البصر قال القائل

هي المقادير فدعني والقدر \* ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر  
اذا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا بِأَمْرِي \* وكان ذا عقل وسمع وبصر  
يعبر بالجهل فيعمى قلبه \* وتعمه وعقله ثم البصر  
حتى اذا أنفذته حكمه \* ودعاه عقله ليعتبر  
لا تنقل لما جرى كيف جرى \* صكل شيء يقضاه وقدر

فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدد فلم يجده فدعا عرف الطير وهو النسر فسأله عنه فقال اصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته مكانا فغضب سليمان عند ذلك وقال (لا عذبة) أي بسبب غيبته فيما لم آذن فيه (عذابا شديدا) أي مع بقاء روحه ردع الامثاله (أولاد بحته) أي بشطع حلتومه أي تأديبا لغيره (أوليا تبنى بسطان مبين) أي بحجة واضحة واختلفوا في تعذيبه الذي أوعد به علي أقوال قال البغوي أظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه و يلتقيه في الشمس معطلا لا يتنح من النمل والذباب ولا من هوام الارض انتهى وقيل تعذيبه ان يؤذبه بما لا يحتمله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القنص وقيل التفريق بينه وبين الله وقيل لالزمته صحبة الاضداد قال الرخشمري وعن بعضهم أضيقت السجون معاشره الاضداد وقيل لالزمته خدمة أقرانه ثم دعا العقاب سيد الطير فقال له علي بالهدد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى الترق بالهواء فنظر الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فالتفت يمينا وشمالا فاذا بالهدد مشبلا من نحو اليمن فانتفض العقاب نحو يريده فلما رأى الهدد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فماشده فقال بحق الله الذي قواله وأقدرك على الامارحتي ولم تعترض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك أولاد بحتك قال فما استنى قال بلى قال أوليا تبنى بسطان مبين ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدتني نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدد وما استنى نبي الله عليه السلام قالوا بلى قال أوليا تبنى بسطان مبين قال فنجوت اذا ثم طارا العقاب والهدد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال



العقاب قد أتيتك به يا نبي الله (فكث) أي الهدهد وقوله تعالى (غير بعيد) صفة  
 للمصدر أي مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على  
 الأرض تواضعا للسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فقدم إليه وقال له أين كنت لأعذبك عذابا  
 شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد  
 وعفاه عنه ثم سأل فقال ما الذي أبطأك عني (فقال أحطت) أي علما (بما لم تحط به) أي  
 أنت مع اتساع علمك وامتداد ملكك ألهم الله الهدهد فكافح سليمان به هذا الكلام على  
 ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلم الجملة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه  
 وتنبهاله على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لمتحاقر إليه نفسه ويتصاغر  
 إليه علمه ويكون لطفاني ترك الإعجاب الذي هو قنينة العلماء والاحاطة بالشيء علما أن يعلم  
 من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وقبسه دليل على بطلان قول الروافضة أن الامام  
 لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحدا أعلم منه وقيل الضمير في مكث لسليمان وقيل غير بعيد  
 صفة للزمان أي زمانا غير بعيد وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما الغتان الا  
 أن الفتح اشهر (وجئتك) أي الآن (من سبانيا) أي خير عظيم (يقين) أي محقق وقرأ  
 أبو عمرو والنزي سبأ بفتح الهمزة من غير تنوين جعلناه اسم القسيلة أو البقعة فنعام من الصرف  
 للعلمية والتأنيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسم للحي أو المكان قال البغوي وجاء في  
 الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجلا كان له عشرة من البنين تيمان  
 منهم ستة وتشاهم أربعة فقال سليمان وما ذلك قال (اني وجدت امرأة تملكهم) وهي  
 بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد وادله أربعون  
 ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ايس أحد منكم  
 كفوا لي وأبي أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت  
 بلقيس ولم يكن له ولد غيرها قال البغوي وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما  
 مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون  
 وملكوا عليهم رجلا وافتروا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ثم إن الرجل  
 الذي ملكوه أساء السير في أهل مملكته حتى كان يعتديه إلى حرم رعيته وينجر بهن فأراد قومه  
 خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأته بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرضت نفسها عليه  
 فأجابها وقال ما منعني أن أتدتك بالخطبة الا اياي منك فقالت لا أرغب عنك أنت كنتوا كريم  
 فاجع رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لانراها تفعل ذلك فقال لهم  
 انها قد أتتني وأنا أحب أن تسمعوا قولها فخأرها فذكر والها قالت نعم أحببت الولد  
 فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في أناس كثير من حشمها فلما جاءته أسقته الخمر حتى سكر  
 ثم جرت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب  
 على باب دارها فعلموا أن تلك المناكحة كانت حيلة مكر وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت

بهذا الملك أحق من غيرك فلا تكوها وعن الحسن عن أبي بكره قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم - م امرأة قال إن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وقوله (وأوتيت) يجوز أن يكون معطوفا على ملكهم وجاز عطف الماضي على المضارع لأن المضارع بعناه أي ملكتهم ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من مرفوع قتلهم وقدمها مضمرة عند من يرى ذلك وقوله (من كل شيء) عام مخصوص بالعقل لأنهم لم تؤت ما أوتيه سليمان فالمراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش) أي سرير (عظيم) أي ضخيم لم أجد لاحد مثله طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمر والياقوت الأحمر والياقوت الأزرق والياقوت الأزرق مغلق (فان قيل) كيف استعظم الهدد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وأيضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظم (أجيب) عن الأول بأنه يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان واستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء يكون في العظم يبلغ مما غيره من أبناء جنسه من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض (فان قيل) كيف خفي على سليمان ذلك المملكة العظيمة مع أن الأنس والجن كانوا في طاعته فانه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها مع انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدد إلا مسيرة ثلاثة أيام (أجيب) بأن الله تعالى أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب ولما كان الهدد في خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله تعالى فحصل له من النورانية ما هاله قال مستأنفا (وجدتها وقومها) أي كلهم على ضلال كبير وذلك أنهم (يسجدون للشمس) مبتدئين ذلك (من دون الله) أي من أدنى رتبة للملك الأعظم الذي لا مثل له (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة ثم تسبب عن ذلك أنه أعماهم عن طريق الحق فلماذا قال (فصدتهم عن السبيل) أي الذي لا سبيل إلى الله غيره وهو الذي بعث به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلماذا قال (فهم) أي بحيث (لا يهتدون) أي لا يوجد لهم هدى بل هم في ضلال صرف وعمى محض (ألا يسجدوا لله) أي أن يسجدوا لله فزيدت لا وأدغم فيها نون ان كما في قوله تعالى لتلا يعلم أهل الكتاب والجملة في موضع منقول يهتدون باسقاط الی هذا اذا قرئ بالتشديد وهي قراءة غير الكسائي وأما الكسائي فقرأ بتخفيف الالف فيها تنبيهه واستفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال

الاياسلى يادارى على البلا \* ولا زال منها ليجر عائل القطر

ويقف الكسائي على الأو على يا وعلى اسجدوا واذا ابتدأ اسجدوا ابتداء بالضم ثم وصف الله تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من الاتصاف بكمال القدرة والعلم حنا على

السجود له وردا على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى بقوله (الذي يخرج الحب) وهو مصدر  
 بمعنى الخبوء من المطر والنبات وغيرهما وخصه بقوله (في السموات والارض) لأن ذلك  
 منتهى مشاهدتنا فننظر ما يكون فيهما بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك  
 من الرعد والبرق وما يشترط من الكواكب ويغرب الى غير ذلك من الرياح والحتر والبرد  
 وما لا يحصىه الا الله تعالى (ويعلم ما يخفون) في قلوبهم (وما يعلنون) بالسنتهم  
 وقرأ الكسائي وحقق بالتاء الفوقية فيهما والباقون بالتحسية فالخطاب ظاهر على قراءة  
 الكسائي لأن ما قبله أمرهم بالسجود وخطبهم به والغيبة على قراءة الباقيين غير ظاهرة  
 لتقدم الضمائر الغائبة في قوله أعمالهم وصددهم وفهم وأما قراءة حقه فتأويلها انه  
 خرج الى خطاب الحاضرين بعد أن أتم قصة أهل سبا ويجوز أن تكون التفاتا على أنه نزل  
 الغائب منزلة الحاضر فخطبهم ملتفتا اليه وقوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي  
 الذي هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها يحتمل أن يكون من كلام الهدد استعدرا كما  
 لما وصف عرش بلقيس بالعظم وأن يكون من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها بالعظم  
 فيبين العظمة بين يون عظيم (فان قيل) من أين للهدد التمدى الى معرفة الله ووجوب السجود له  
 وانكار سجودهم للشمس وضافته الى الشيطان وتزيينه (أجيب) بأنه لا يعد أن يلهمه الله  
 تعالى ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء  
 الرجاح العقول يمتدون لها خصوصا في زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقتها وجعل ذلك  
 معجزته له وهذه آية سجدة واختلاف في محلها هل هو هذه الآية أو عند قوله قبلها وما يعلنون  
 الجهور على الاول ولما فرغ الهدد من كلامه (قال) له سليمان (سننظر) أي نتخبر بما قلته  
 (أصدقت) فيه فنهذرك (أم كنت من الكاذبين) أي معروفا بالانحراف في سلكهم فانه  
 لا يجترئ على الكذب عندي الا من كان غريقا في الكذب فهو أبلغ من أم كذبت وأيضا  
 لمحافظة الفواصل ثم شرع فيما يختبره به فكتب له كتابا على الفور غاية الوجازة قصدا  
 للاسراع في ازالة المنكر على تقدير صدق الهدد بحسب الاستطاعة ودل على اسرعه  
 في كتابته بقوله جوابا له (اذهب بكتاب هذا) فكأنه كان مهيا عنده فدفعه اليه وأمره  
 بالاسراع فطار كأنه البرق ولهذا أشار بالفاء في قوله (فألقه اليهم) أي الذين ذكرت أنهم  
 يعبدون الشمس وذلك للاهتتام بأمر الدين وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاد بخلاف عنه فألقه  
 بسكون الهاء واختلاس الكسرة قالون وهشام بخلاف عنه والباقون باشباع الكسرة (ثم)  
 قال له اذا ألقى اليهم (تول) أي تخ (عنهم) الى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه  
 اليك (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقال ابن زيد في الآية تقديم وتأخير  
 مجازا اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف الى فأخذ  
 الهدد الكتاب وأتى الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام  
 قال قتادة فوافاه في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت

المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأناها الهدهدوهي نائمة مستلقية على قنابها فألقى الكتاب على  
 نحرها وقيل نقرها فاتتبت فزعة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بنقاره حتى وقف على  
 رأس المرأة وحوها التادة والخنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت المرأة  
 رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس  
 تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها وجدت لها نجاء الهدهد إلى الكوة فسددها بمنأحه  
 فارتفعت الشمس ولم تعلم به فلما استبطأت الشمس قامت تنظر إليها فرمى بالصخرة إليها فأخذت  
 بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأته الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه  
 وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها وقرأت الكتاب وتأخر الهدهد فجاءت حتى  
 قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر ألف فاندفع كل قائد ألف مقاتل  
 وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة الف قبيل مع كل قبيل مائة ألف والقبيل الملك دون الملك  
 الاعظم وقال قتادة ودقاتل كان أهل مشورتهما ثمانمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على  
 عشرة آلاف فلما جاؤا أخذوا بحبالهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملأ) وهم أشرف الناس  
 وكبرأؤهم (أني ألقى إلى) أي بالقاء ملق على وجه غريب (كتاب) أي صحيفة مكتوب فيها  
 كلام وخبر جامع قال الزمخشري وكانت كتب الانبياء جلا لا يظنون ولا يكتبون ولما حوى  
 هذا الكتاب من الشرف أمر اباهرالم يعهد مثله وصفته بقولها (كريم) وقال طاء والضمالك  
 سمته كريمالانه كان محتوما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه  
 السلام يكتب إلى العجم قبيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المقفع  
 من كتب إلى أخيه كتابا ولم يحتمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم أي حسن وعن ابن عباس  
 أي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريمالانه كان مصدرا باسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت  
 من الكتاب فقالت (انه من سليمان) ثم بينت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن  
 الرحيم الاتع - لو اعلى) قال ابن عباس لا تتكبروا على وقيل لا تتعظموا ولا ترفعوا على أي  
 لا تمتنعوا عن الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وأنتوني مسلمين) أي منقادين  
 خاضعين فهو من الاستسلام أو مؤمنين فهو من الاسلام (فان قبيل) لم قدم سليمان اسمه على  
 البسملة (أجيب) بانه لم يقع منه ذلك بل ابتدأ الكتاب بالبسملة وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه  
 لأن بلقيس انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت انه بسم الله  
 الرحمن الرحيم أي ان الكتاب فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم أن قوله بسم الله الرحمن  
 الرحيم مشتمل على اثبات الصانع واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيمًا رحيمًا قال  
 الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية الوجازة مع اثبات كمال الصانع واثبات كمال الدلالة على  
 المقصود لا شتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته صريحاً والتزاما والنهي عن الترفع  
 الذي هو أم الرذائل والامر بالاسلام الذي هو جامع لامتهات الفضائل ولما سكتوا عن الجواب  
 (قالت) لهم (يا أيها الملأ) ثم بينت ماداخاها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها

(أفتوني) أي تكرموا عليّ بالانابة عما أفعله (في أمرى) هذا الذي أوجب به هذا الكتاب جعلت الشورى فتوى توسع الآن الفتوى الجواب في الحادثة وقرأنا وقع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل ببدال الهمزة واوا والباقون بتحقيقتها وفي الابتداء الجميع بالتحقيق ثم علت أمرها لهم بقولها (ما كنت فاطمة أمرا) أي فاعلمته وقاصلته غير مترددة فيه (حتى تشهدون) أفادت بذلك أن شأنها دائماً مشاورتهم في كل جليل وحقير فكيف بهذا الأمر الخطير وفي ذلك استعظافهم بتعظيمهم واجلالهم وتكريمهم ودلالة على غزارة عقلها وحسن أدبها ثم انهم أجابوها عن ذلك بأن (قالوا) ما نلن إلى الحرب (نحن أولو قوة) أي بالمال والرجال (وأولو) أي أصحاب (بأس) عزم في الحرب (شديد والأمر) أي في كل من المصادمة والمسالمة راجع وموكول (البيك فانظري) أي بسبب أنه لانزاع معك (ماذا تأمرين) فانا نطيعك وتتبع أمرنا \* ولما علمت ان من سخره الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريد (قالت) جوابا لما أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب والحرب بحال لا يدري عاقبتها (ان المملوك) أي مطلقا فكيف بهذا النافذ الأمر العظيم القدر (اذا دخلوا) عنوة بالههر (قرية أفسدوها) أي بالنهب والتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرفها وكبرائها كي يستقيم لهم الأمر ثم أكدت هذا المعنى بقولها (وكذلك) أي ومثل هذا الفعل العظيم الشأن (يفعلون) أي هو خلق لهم مستتر في جميعهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور وغيرها \* (تنبيه) \* هذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا جعلت عليه فتكون منصوبة بالقول ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى تسديقا لها فهي استثنائية لا محل لها من الأعراب وهي معترضة بين قولها ولما بينت ما في المصادمة من الخطر أتبعته بما عزم عليه من المسالمة بقولها (واني مرسله اليهم) أي إلى سليمان وقومه (بهديّة) وهي العطيّة على طريق الملاحظة وذلك أن بلقيس كانت امرأة كيسة قد سئست وساست فقالت للملأ من قومها اني مرسله إلى سليمان وقومه بهديّة أصانعه بهن عن ملكي فاخبر بهن بأملك هو أم نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضها منا الآن تتبعه على دينه فذلك قولها (فناظرة بهم) أي أي شيء (يرجع المرسلون) فأهدت اليه وصفا ووصاف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف ذكر من أنثى وقال مجاهد ألبست الجوارى لباس الغلمان وألبست الغلمان لباس الجوارى واختلف في عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل مائة غلام ومائتا جارية وقال قتادة أرسلت اليه بلينات من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت البناني أهدت اليه صفائح الذهب في أوعية الديباج وقيل كانت أربع بلينات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقيسة والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سوا عددهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواق من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشوقا ومرصعات بأنواع الجواهر وغواشيها من الديباج الملوّنة وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

من فضة وتاجام كلابا بدر والياقوت المرتفع وأرسلت المسك والعنبر وعدت الى حقة فجعلت  
 فيها درة غينة غير مثقوبة وجرعة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها  
 يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتابا بشحنة  
 الهدية وقالت ان كنت نبيا فيز بين الوصف والوصائف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها وانقب  
 الدرّة ثقباً مستويا وادخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس  
 الغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتحنين يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن  
 يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان  
 نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعزمنه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا  
 فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله وورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدى مسرعا  
 الى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان عليه السلام الجن أن يضربوا البينات الذهب ولبينات  
 الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميديانا واحدا  
 بلبينات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم  
 قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله اننا رأينا دواب في بحر كذا وكذا  
 منقطة مختلفة ألوانها اجنحة واعراف ونواص قال عليّ تبها الساعة فأجابها فقال شدوها  
 عن عين الميدان وعن يساره على لبينات الذهب والفضة وألقوا لها علوفتها فيها ثم قال للجن عليّ  
 بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأمرهم عن عين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره  
 ووضع له أربعة آلاف كرسي على عيونه ومثله على يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوا  
 فراسخ وأمر الانس فاصطفوا صفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور  
 فاصطفوا فراسخ عن عيونه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا  
 الدواب التي لم تراعيهم مثلها تروث على لبينات الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا  
 ما معهم من الهدايا وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرض الميدان بلبينات الذهب  
 والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبينات التي معهم فلما رأى  
 الرسل موضع اللبينات خالبا وكل الارض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم  
 في ذلك الموضع الخالي فلما رأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقلت لهم الشياطين  
 جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يعزّون على كردوس من الجن والانس والطيور والسباع  
 والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجهه طلق وقال ما وراءكم  
 فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحقة فأني بها اخترت كما  
 وجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة غينة غير مثقوبة وجرعة مثقوبة  
 معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرّة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه  
 السلام من لي بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك ثم سأل الشياطين فقالوا  
 أرسل الى الاوضة فجاءت الارضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب

الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك وروى انها جاءت  
 دودة تكون في الصمصاف فقالت أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في  
 الصمصاف فجعل لها ذلك فأخذت الخيط بنميرها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر  
 ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدودة  
 الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك  
 قالت تجعل رزقي في القواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا  
 وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بأحدى يديها ثم تجعله على اليد  
 الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذ من الآنية بيديه ويضرب بهما وجهه وكانت الجارية  
 تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان  
 الغلام يحذر الماء على ساعده وحذر أفيز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال تعالى ( فلما جاءه )  
 أى الرسول الذى بعثته والمراد به الجنس قال أبو حيان وهو يقع على الجمع والمفرد والمذكر  
 والمؤنث ( سليمان ) ورفع اليه ذلك ( قال ) أى سليمان عليه السلام للرسول ولما فى خدمته  
 استصغارا للمامعه ( أتدوني ) أى أنت ومن معك ومن أرسلك ( بمال ) وإنما قصدى لكم  
 لأجل الدين تحقيرا لأمر الدنيا وأعلاما بأنه لا التفات له نحوها بوجه ولا يرضيه شئ دون طاعة  
 الله تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو وبائبات الباء وصلوا وقتنا وابن كثير بائبات الباء وصلوا وقتنا  
 وجزء بادغام النون الأولى فى الثانية وبائبات الباء وصلوا وقتنا ثم تسبب عن ذلك قوله  
 استصغارا لمسامعهم ( مما أتانى الله ) أى الملك الأعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذى  
 يغنى مطيعه عن كل شئ سواه فهم أسأله أعطاه وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الباء فى  
 الوصل ولقالون وأبو عمرو وحفص أيضا بائباتها وقتنا والباقون بحذف الباء وقتنا وصلوا  
 وأما الهاجزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللنظين ( خير ) أى أفضل ( مما أتاكم )  
 أى من الملك الذى لادين ولا نبوة فيه ( بل أنتم ) أى بجهلكم بالدين ( بهديتكم ) أى باهداء  
 بعضكم الى بعض ( تفرحون ) وأما نافع فأفرح بها وليست الدينان ما جتى لأن الله تعالى  
 قد مكنتى فيها وأعطانى منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر  
 ابن عمرو أمير الوفد ( ارجع ) أى بهديتكم وجمع فى قوله ( اللهم ) كراما لنفسه وصيانة  
 لاسمها عن التصريح بضميرها وتعظيم الكل من يهتم بأمرها ويطيعها ( فلما أتيتهم بجنود  
 لا قبل ) أى لا طاقة ( لهم بها ) أى بمقابلتها ( ولخرجتهم منها ) أى من أرضهم وبلادهم وهى سبا  
 ( أذلة وهم صاغرون ) أى ذليلون لا يملكون شيئا من المنعة ( فان قيل ) فلما أتيتهم ولخرجتهم  
 قسم فلا بد أن يتبع ( أجيب ) بأنه معلق على شرط محذوف أفهم المعنى أى ان لم يأتونى  
 مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان  
 قالت لهم قد عرفت والله ما هذالك ومالنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك  
 بلولك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرضها فجعلته داخل سبعة

أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حراسا  
يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانهم الحفظ بما وكلتك وبسرير ملكي لا يخلص إليه أحد  
حتى آتيتك ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتهما تؤذنه بالرحيل وتجهزت للمسير فأرسلت  
في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن تحت يد كل قبيل ألف كثيرة قال ابن عباس  
كان سليمان رجلا مهيبا لا يتسدا بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على  
سرير ملكه فرأى رهبا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ  
فأقبل سليمان حينئذ على جنوده بأن (قال) لهم (يا أيها الملا) أي الاشراف (أيكم) وفي  
الهمزتين ما تقدم (يا أيها القوم) أي مؤمنين وقال ابن عباس  
واختلفوا في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال أكثرهم لان سليمان علم أنها  
ان أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبيل أن يحرم عليه أخذها باسلامها وقيل  
ليربها قدرة الله تعالى ببعض ما خصه به من العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى  
النبوة في معجزة يأتي بها في عرشها وقال قتادة لانه أعجبه صدقه لما وصده الهدى بالعظم فأحب  
أن يراه وقال ابن زبير يدان بأمر بتذكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها (قال عنريت من الجن)  
وهو المارد القوي قال وهب اسمه كودي وقيل ذكوان وقال ابن عباس العفرية الداهية  
وقال الضمك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال القراء القوي الشديد قيل ان الشياطين  
أقوى من الجن وان المردة أقوى من الشياطين وان العفرية أقوى منهما قال بعض  
المفسرين العفرية من الرجال الخبيث المتكبر وقيل هو صخر الجن وكان بمنزلة جبل يضع  
قدمه عند منتهى طرفه وقوله تعالى (أنا آتيتك به) قرأه في الموضوعين نافع بإثبات الالف  
من أنا وصلوا وقتنا والباقون وصلوا وقتنا ثم بين سرعة اسرعه بقوله (قبيل ان تقوم من  
مقامك) أي الذي تجلس فيه للقضاء قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى  
نصف النهار ثم أوثق الامر وأكده بقوله (واني عليه) أي على الايمان به سالما (لقوى) أي  
على حمله لا يحصل مجزى عنه (أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان عليه السلام  
أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل وهو علم الوحى والشرايع وقيل كتاب  
سليمان وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم من الكتاب جبريل قال البقاعي واعلمه التوراة  
والزبور انتهى وفي ذلك إشارة الى أن من خدم كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه كما ورد  
في شمرنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي  
عليها أي أنه يفعل له ما يشاء (واختلفوا) في تعيينه فقال أكثر المفسرين هو أصف بن برخيا  
كاتب سليمان وقيل اسمه اسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعى به أجاب  
واذا سئل به أعطى وقيل ملك أبدأ الله تعالى به سليمان عليه السلام وعن ابن لهيعة بلغني أنه  
الحضر عليه السلام (أنا آتيتك به) ثم بين فضله على العفرية بقوله (قبل ان يرد) أي يرجع  
(اليك طرفك) أي بصرك اذا طرفت أجفانك فأرسلته الى منتهاه ثم رددته فالطرف تحريكك

قوله وقال ابن عباس  
واختلفوا الخ كذا  
في الاصول ولعله  
محرف عن عباس أو  
وقال محرف عن قاله  
اه صححه

قوله والباقون وصلوا  
لا وقتنا كذا في الاصول  
ولعله وقتنا وصلوا  
وليحترز اه صححه



أجفانك اذا نظرت فوضع في موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً برسالة الطرف في نحو قوله  
وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا \* لقلبك يوماً اتعبتك المناظر  
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد روى ان آصف قال سليمان مدعيك حتى  
ينتهي طرفك قد سليمان عينيه فنظر نحو العين ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملهوا  
السري من تحت الأرض يجتدون جداً حتى انخرقت الأرض بالسري بين يدي سليمان وقال  
الكلي خراً آصف ساجداً ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع تحت كربي  
سليمان بقدره الله تعالى وقيل كانت المسافة شهرين وقال سعيد بن جبير يعني من قبل أن  
يرجع اليك أقصى من ترى وهو أن يصل اليك من كان منك على مدبصرك وقال قتادة قبل أن  
يأتيك الشخص من مد البصر وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرد البصر خاسئاً قال  
الزمخشري ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستعصار مدة الجحى به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في  
لحظة وفي رد طرف والتفت ترى وما أشبه ذلك تريد السرعة انتهى \* واختلفوا في الدعاء الذي  
دعاه آصف فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال والاكرام وقال الكلي يا حي يا قيوم وروى ذلك  
عن عائشة رضي الله عنها وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واه  
كل شيء الهنا واحداً لا اله الا أنت اتتني بعرشها وعن الحسن يا الله يا رحمن وقال محمد بن المنكدر  
انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل آتاه الله تعالى علماً وفهماً ما أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك  
طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحداً وجهه عند الله منك فان دعوت الله  
كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجى بمال العرش في الوقت قال الرازي وهذا  
القول أقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه هو النبي  
فكان صرف اللفظ اليه أولى ومنها أن احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية  
فاحصلت لا آصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق ومنها انه قال  
هذا من فضل ربي فظاهره يقتضى أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان (فما  
وآه) أي رأى سليمان العرش (مستقراً عنده) أي حاصل بين يديه (قال) شاكر الرب لما آتاه  
الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أي الايمان المحقق (من فضل ربي) أي المحسن الى  
لا يعمل استحق به شيئاً فانه أحسن الى باخراجه من العدم ونظرا الى توفيقه للعمل فكل عمل نعمة  
يستوجب على تيمم الشكر ولذلك قال (ابن ابي عمير) أي ليخبرني (أشكر) فاعترف بكونه فضلاً  
(أم أكر) بظني اني أؤتيه باستحقاق \* (تنبه) \* ههنا همزتان مفتوحتان فتنافع بسهل  
الهمزة الثانية وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف غيره وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو  
وهشام ولم يدخل ورش وابن كثير ولورش أيضاً ابداً لها ألفاً والباقيون بالتحقيق وعدم  
الادخال ثم زاد في حث نفسه على الشكر بقوله (ومن شكر) أي أوقع الشكر لربه (فانما  
يشكر لنفسه) فان نفعها لها وهو ان يستوجب تمام النعمة ودوامها الا ان الشكر قيد للنعمة  
الموجودة وجلب للنعمة المفقودة (ومن كفر) أي بالنعمة (فان ربي) أي المحسن الى

بتوفيق لما أنافيه من الشكر (غنى) عن شكره لا يضتره تركه شيئاً (كريم) أى بادرار الانعام عليه فلا يقطع عنه بسبب عدم شكره ولما حصل العرش عنده (قال) عليه السلام (نكروا) أى غيروا (لها عرشها) أى سريرها الى حالة تنكره اذ ارأته قال قتادة ومقاتل هو أن يزدفيه وينقص وروى انه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر احمر اختياراً لعقلها كما اختبرتنا بالوصف والوصائف والدارة وغير ذلك واليه أشار بقوله (تنظر أتمتدى) أى الى معرفته فيكون ذلك سبباً لهدايتها في الدين (أم تكون من الذين) شأنهم أنهم (لا يمتدون) بل هم في غاية الغباوة ولا يتجدد لهم اعتقاد وقال وهب ومحمد بن كعب انما حل سليمان على ذلك أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتغشى له اسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت له ولد الا يتفكون عن تسخير سليمان وذريته من بعده فأساوا الثناء عليها لزهدهم فيها فقالوا ان في عقلها شيئاً وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء السابقين فأراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يحتر عقلها بتكبير عرشها وينظر الى قدميها بيناء الصرح ثم أشار الى سرعة مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير الفاء في قوله (فلما جاءت) وكانت قد وضعت عرشها في بيت خلف سبعة أبواب ووكت به حراساً شديداً (قيل) لها وقد رأيت عرشها بعد تنكيره (أهكذا عرشك) أى مثل هذا عرشك (قالت كأنه هو) قال مقاتل عرفته ولكنها شبت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقبل نعم خوفاً من أن تكذب ولم تقبل لآخوفاً من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقبل ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لانها خلقت في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فتقبل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب وقوله تعالى (وأوتينا العلم من قبلها) فيه وجهان أحدهما انه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة وذلك لما رأيت قبل ذلك من أمر الهدهد ورد الهدية والرسول من قبلها من قبل الآية في العرش (وكأما مسلمين) أى منقادين طائعين لأمر سليمان والثاني انه من كلام سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عائذ على بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انهم اقدأصاب في جوابها وهي عاقلة وقدر زقت الاسلام ثم عطسوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم يعني بالله تعالى وبقدرة على ما يشاء من قبل هذه المرأة في مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصهم بمزيد التقديم في الاسلام فانه مجاهد وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجئها طائعة من قبل مجيئها وكأما مسلمين طائعين لله تعالى واختلاف في فاعل قوله عز وجل (وصدّهما) كانت تعبد من دون الله) على ثلاثة أوجه أحدها ضمير البارى تعالى والثاني ضمير سليمان عليه السلام أى منعهما ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد من صوب على اسقاط الحافض أى صدّها الله تعالى أو سليمان عما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري مجوزاً له قال أبو حيان وفيه نظر من حيث ان حذف الجار ضرورة كقوله تجزون الديار فلم تعوجوا وقد تقدم آيات كثيرة من هذا النوع والثالث أن الفاعل هو ما كانت

أي صدها ما كانت تعبد عن الاسلام أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وقوله تعالى (انها  
 كانت من قوم كافرين) استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت  
 بينهم ولم تعرف العبادة ولم تعرف الاعبادة الشمس ولما تم ذلك فكأنه قيل هل كان بعد ذلك  
 اختبارا وقيل نعم (قيل لها) أي قائل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة (ادخلي  
 الصرح) وهو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء جار فيه سمك اصطنعه سليمان ولما قالت  
 له الشياطين ان رجليها كحافر الجمار وهي شعراء الساقين فأراد أن ينظر الى ساقها من غير  
 أن يسألها كشفهما وقيل الصرح صحن الدار أجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب  
 البحر السمك والضفادع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكف عليه الطير  
 والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحته تماثيل من الخيتان والضفادع فكان  
 الواحد اذا رآه ظنه ماء (فلما رآته حسبه بلية) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقها) لتفوضه  
 فنظر اليها سليمان فرآها حسن الناس ساقا وقد ما الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان  
 ذلك صرف نظره عنها ونادى اباها (قال) لها (ان الله) أي هذا الذي ظننته ماء (صرح محمد)  
 أي جلس ومنه الامر دلملاسة وجهه من الشعر (من) أي كائين من (قوارير) أي زجاج  
 وليس بعماء ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت بأن  
 (قالت رب) أي أيها المحسن الي (اني ظلمت نفسي) أي بما كنت فيه من العمى بعبادة  
 غيرك عن عبادتك (وأسلمت مع سليمان لله) أي مقترنة له بالالوهية والربوبية على سبيل  
 الوجدانية ثم رجعت اشارة للحجزة عن معرفة الذات حق المعرفة الى الافعال التي هي بحر  
 المعرفة فقالت (رب العالمين) فعمت بعد أن خصت اشارة الى الترقى من حضيض دركات العمى  
 الى أوج درجات الهدى وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته بلية قالت في نفسها ان سليمان يريد  
 أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فقلولها ظلمت نفسي أي بذلك الظن واختافه وافي أمرها  
 بعد اسلامها هل تزوجها سليمان عليه السلام فالذي عليه أكثر المفسرين فيما رأيت انه تزوج بها  
 وكره ما رأى من شعرا ساقها فسأل الانس ما يذهب هذا فقالوا الموسى فقالت المرأة لا عسى  
 حديدية قط فسأل الجن فقالوا الاندري فسأل الشياطين فقالوا انا نختال لك حتى تكون كالفضة  
 البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان  
 أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس  
 مثلها ارتفاعاً وحسناً قال الطيبي سليمان ومومنة باليمن وعمدان قال في النهاية هو بضم الغين  
 وسكون الميم البناء العظيم وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت  
 له وقيل انها لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلاً من قومك أن أزوجه قال قالت ومثلي  
 يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في  
 الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحترمي ما أحل الله فقالت ان كان ولا بد فزوجهني ذاتع ملك  
 همدان فزوجه بها ثم ردها الى اليمن وسلطن زوجها ذاتبع على اليمن وأمر زوبعة أمير جن

اليمين أن يطيعه فبقي له المصانع ولم يزل أميراً حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول  
 وتبينت الجفن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمين صرخ  
 بأعلى صوته يامعشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا  
 وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن  
 ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه \* ولما تم  
 سبحانه وتعالى قصة سليمان وداود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهي القصة  
 الثالثة بقوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي بالنا من العظيمة (الى ثمود آخاهم) أي من القبيلة  
 (صالحاً) ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا أعدل منه ولا أحسن بقوله (ان اعبدوا الله) أي  
 الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيئاً ثم تعجب منهم بما أشارت اليه الفاء واذا المفاجأة من  
 المبادرة الى الافتراق بما يدعو الى الاجتماع بقوله (فاذا هم) أي ثمود (فريقان) وبين بقوله  
 تعالى (يحتصمون) انهم فرقة افتراق بكفر وإيمان لا فرقة اجتماع في هدى وعرفان ففريق  
 صدق صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول أنا على الحق وخصمي على  
 الباطل ثم استعطف صالح عليه السلام على المكذبين بأن (قال) لهم (يا قوم لم تستجلبون) أي  
 (تطلبون العجلة بالآيات) (بالسينة) أي التي مسأته اثباته وهي العقوبة التي أنذرت بها من كفر  
 (قبل) الحالة (الحسنة) من الخيرات التي أبشركم بها في الدنيا والآخرة ان أمنتم والاستجمال  
 طلب الآيات بالامر قبل الوقت المضروب واستجمالهم لذلك بالاصرار على سببه وقولهم  
 استمراء اتنا بما تعدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا  
 حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل الله تعالى توبتنا ويدفع العذاب عنا فخطبهم صالح عليه السلام  
 على حسب عقولهم واعتقادهم فقال (لولا) أي هلا ولولا (تستغفرون الله) أي تطلبون غفرانه  
 قبل نزول العذاب فان استجمال الخيرا ولى من استجمال الشر (لعلكم ترجحون) تنبيههم على  
 الخطا فيما قالوه فان العذاب اذا نزل بهم لا تقبل توبتهم \* (تنبيه) \* وصف العذاب بأنه سينة  
 مجازاً ما لان العقاب من لوازمه أولانه يشبهه في كونه مكروهاً وأما وصف الرحمة بأنها حسنة  
 فقيل حقيقة وقيل مجازاً ثم ان صالحا عليه السلام لما قرأ لهم هذا الكلام الحق أجابوه  
 بكلام فاسد بأن (قالوا) فظاظة وغلظة (اطيرنا) أي تشامنا (بك وبمن معك) أي وبمن  
 آمن بك وذلك أن الله تعالى قد أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وخطوا فقالوا حل بنا هذا  
 الضرر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك قال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافراً فيمطر بطائر  
 فيزجره فان مر سائحاً تبين وان مر بارحاً تشام قال الجوهرى السنيخ والسنيخ ما ولاك ميامنه  
 من طي أو طائر أو غيره مما ويرح الطي بروحاً اذا ولاك ميامنه يمر من ميامنك الى ميامنك  
 والعرب تطير بالبارح وتتفاءل بالسنيخ فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان  
 سبهما من قدر الله تعالى وقسمته \* (تنبيه) \* أصل اطيرنا تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت

همزة وصل ثم أجابهم صالح عليه السلام بأن (قال) لهم (طائر كم) أى ما يصيبكم من خير  
 وشر (عند الله) أى الملك الأعظم المحيط بكل شئ علم وقدرة وهو قضاءه وقدره وليس شئ منه  
 يدغره وسمى طائرا لسرعة نزوله بالإنسان فإنه لا شئ أسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس  
 الشوم أى ما من عند الله تعالى بكفركم وقيل طائر كم عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده  
 الى السماء ومنه قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه (بل أنتم قوم نفوس) قال ابن  
 عباس تختبرون بالخير والشر كقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب  
 تعذبون وقيل بفسنكم الشيطان بوسوسته اليكم بالتأخير ولما أخبر الله تعالى عن عامة هذا الفريق  
 بالشر تبع على بعض شرهم بقوله تعالى (وكان فى المدينة) أى مدينة ثمود وهى الحجر (تسعة  
 رهط) أى رجال وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه فى معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس  
 أو رجال كما قدرته والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى  
 العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن بدر بن غنم بن غنم  
 رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخزومة سبيط بن صدقة مهعان  
 ابن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعو فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء  
 أشرفهم ورأسهم قدار بن سالف وهو الذى تولى عقر الناقة وقوله (يفسدون فى الارض)  
 اشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله (ولا يصالحون) بحتمل أن يكون من كذا الاول ويحتمل أن  
 لا يكون وهو الاول لان بعض المنسدين قد ينذر منه بعض الصلاح فنحن عنهم ذلك فليس شأنهم  
 الا الفساد المحض الذى لا يتخالطه شئ من الصلاح ولما اقتضى السياق السؤال عن بعض حالهم  
 أجاب بقوله (قالوا اتقاهموا) أى قال بعضهم لبعض اتقوا (بالله) أى الملك العظيم (لنبيته)  
 أى صالحا (وأهله) أى من آمن به لنه لكان الجميع ليلا فان البيات مباغمة العدو ليللا \* (تنبية) \*  
 محل تقاسموا حزم على الامر ويجوز أن يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز أن يكون مفسرا قالوا  
 كأنه قيل ما قالوا فقبل تقاسموا ويجوز أن يكون حالا على ضمارة أى قالوا ذلك متقاسمين  
 واليه ذهب الرشحى (ثم لنقولن) أى بعد اهلاك صالح ومن معه (لوليه) أى المطالب بدمه  
 ان بقى منهم أحد (ما شهدنا) أى ما حضرنا (مهلك) أى اهلاك (أهله) أى أهل ذلك الولي فضلا  
 عن أن نكون باشرنا أو أهل صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا مهلكه أو باشرنا  
 قتله ولا موضع اهلاكه وقرأ حزة والكسائي بعد اللام من لنبيته بناء فوقية مضهومة وبعد  
 الياء التحيية بناء فوقية مضهومة وبعد اللام من ايقوان بناء فوقية مفتوحة وضم اللام بعد  
 الواو والباقون بعد اللام من لنقولن بنون مفتوحة ونصب اللام من لنقولن وقرأ عاصم مهلك  
 بفتح الميم والباقون بضم واو كسر اللام حاص فقها الباقون ولما سمعوا عن هذا الامر  
 وطمئنا أنفسهم على المباغمة فى الحلف بقولهم (وانا لصادقون) أى فى قولنا ما شهدنا مهلك أهله  
 ذلك (فان قيل) كيف يكونون صادقين وقد سجدوا ما فعلوا فأجاب الخبر على خلاف الخبر عنه  
 (أجيب) على التفسير الثانى بأنهم اعتقدوا أنهم اذا يمتوا صالحا ويطوا أهله فجمعوا بين

البياتين ثم قالوا ماشم - دنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين  
 جميعاً لأحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع  
 ونواهيهم ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم أن يكونوا كاذبين حتى  
 سؤوا للصدق في خبرهم - حيلة يتفصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن ان الله  
 عالم به قال تعالى محذراً أمثالهم عن أمثال ذلك (ومكروا مكراً) وهو ما أخضوه من تدبيرهم  
 الضئيل بصالح وأهله (ومكروا مكراً) أي جازيناهم على مكرهم بتهميل العقوبة  
 (وهم لا يشعرون) أي لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة  
 وقيل ان الله تعالى أخبر صالحاً بمكرهم فحزرت عنهم فذال مكر الله تعالى في حقهم (فانظر كيف  
 كان عاقبة مكرهم) في ذلك (انادمرناهم) أي أهلناهم (وقومهم أجمعين) روى أنه كان  
 لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة  
 ف نحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاثة فخرجوا إلى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى  
 أهله فقتلناه - فبعث الله تعالى حفرة من أهضب جبالهم فبادروا إلى الشعب فطبقت الحفرة  
 عليهم فم الشعب فلم يدروا قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل الله تعالى بهم وبقومهم وعذب الله تعالى  
 كلامهم في مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمتهم الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم وقال  
 ابن عباس أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأبى التسعة دار  
 صالح شاهرين سميوفهم فرمته الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة  
 فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل ينتظر بعضهم بعضاً لئلا توادار صالح فحصى عليهم الجبل  
 فأهلكهم وأهلك الله تعالى قومهم بالصيحة (فمك يوتهم) أي غودكلهم (خاوية) أي خالية  
 من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منه - دمة من خوى النجم اذا سقط \* (تبيه) \* خاوية  
 منصوب على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرأ الكوفيون أنادمرناهم بفتح  
 الهمزة ما على حذف حرف الجر أي لانادمرناهم واما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي  
 أنادمرناهم أي العاقبة تدميرناياهم وقيل غير ذلك والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف  
 وهو تنسیر للعاقبة وقرأ ورش وأبو عمرو ووحفص يوتهم بضم الباء الموحدة وكسرهما  
 الباقون ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه بقوله تعالى (بما ظلموا) أي بسبب ظلمهم وهو  
 عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد في التحويل بقوله تعالى (ان في ذلك)  
 أي هذا الامر الباهر للعقول الذي فعل بمثود (لاية) أي عبرة عظيمة ولكنها (لقوم يعلمون)  
 قدرتنا في عظون أمان لا علم عنده فقد نادى على نفسه في عداد البهائم ولما ذكر تعالى الذين  
 أهلكهم اتبعه بذكر الذين نجواهم فقال (وأنجينا) أي بعظمتنا وقدرتنا (الذين آمنوا)  
 وهم الفريق الذين كانوا مع صالح كلهم (وكالوايتقون) أي متصفين بالتقوى أيضاً فكأنهم  
 محبوبون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخط الله وقاية من الاعمال الصالحة \* ولما ذكر تعالى  
 قصة صالح عليه السلام اتبعها قصة لوط عليه السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى (ولوطاً)

وهو امام منصوب عطقا على صالحا أي وأرسلنا لوطا واما عطفنا على الذين آمنوا أي وأنجيننا لوطا واما باذكر مضمرة ويبدل منه على هذا (اذ) أي حين (قال لقومه) أي الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه ابراهيم الخليل عليهم السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الاحداث منكرا موبخا (أتأتون الفاحشة) أي الفعلة المتناهية في الفحش (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أي تعلمون فحشها واقتراف القبائح من العالم بقبحها أفصح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديتهم يرتكبونها علنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهم ما كافي المعصية قال الرمنشيري وكان أبانواس بن علي مذهبهم قوله

ويح باسم ما تأتي وذرفي من الكنى \* فلا خير في اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قيل) اذا فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء (أجيب) بأنهم يفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمهم بذلك أو يجهلون العاقبة أو أن المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها ثم عين ما أتهمه بقوله (أنتم لتأتون) وقال (الرجال) اشارة الى أن فعلتهم هذه مما يعيب الوصف ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذوق عقل أن أحدا ينهها ثم عمل ذلك بقوله (شهوة) انزالهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا اعفاف وقال (من دون النساء) اشارة الى أنهم أساؤا من الطرفين في الفعل والترك وقوله (بل أنتم قوم تجهلون) تقدم في جواب تبصرون تفسيره (فان قيل) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظ الغائب فهلا طابت الصفة الموصوف (أجيب) بأنه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرتخ أصلا من الغيبة وقرأ أممكم نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسهيل الهمزة الثانية كسورة كليا وحققتها الباقيات وأدخل بينهما قالون وأبو عمرو وألنا وهشام بخلاف عنه ولما بين تعالى جهلهم بين انهم أجابوا بما لا يصلح أن يكون جوابا بقوله تعالى (فما كان جواب قومه) أي لهذا الكلام الحسن لمالم يكن لهم حجة ولا شبهة في دفعه (الآن قالوا) عدولا الى المغالبة وتمادي في الخبث (أخرجوا آل لوط) أي أهله وقالوا (من قريبتكم) مناعليه باسكانه عندهم وعلموا ذلك بقولهم (انهم أناس يتطهرون) أي يتزهدون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغضبنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء أي قالوه تهكبا بهم ولما وصلوا في الخبث الى هذا الحد سبب سبحانه وتعالى عن قولهم وفعلهم قوله تعالى (فأنجيناه وأهله) أي كلهم من أن يصلوا اليهم بأذى ويلحقهم من عذابنا (الامر أنه قدرناها) أي قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا (من الغابرين) أي الباقيين في العذاب وقرأ شعبة بتخفيف الدال والباقيات بالتشديد (وأطرنا عليهم مطرا) هو حجارة المهجيل اي أهلكتمهم ولذلك تسبب عنه قوله (فساء) أي فبئس (مطر المندرين) بالعذاب مطرهم \* ولما أتم سبحانه وتعالى هذه القصص الدالة على كمال قدرته وعظيم شأنه وما خص به رسله من الآيات والانتصار من البعداء أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله على هلاك الامم الخالصة بقوله (قل) يا أفضل الخلق (الحمد)

أى الوصف بالاحاطة بصفات الكمال (لله) على اهتلاك هؤلاء البعداء البغضاء وأن يسلم على من  
 اصطفاها بالعصمة من الفواحش والنجاسة من الهلاك بقوله تعالى (رسلا) على عباده الذين  
 (اصطفى) أى اصطفاهم واختارهم فيهم فقال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى  
 وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية أى مالكهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل  
 هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين \* (تبيينه) \* سلام مبتدأ وسوغ لابتدائه كونه  
 دعاء ولما بين أنه تعالى أهلكهم ولم تن عنهم آلهتهم من الله شيئا قال تعالى (الله) أى الذى له  
 الجبر والأكرام (خير) أى لعباده الذين اصطفاها وانجباهم (أم ما يشركون) أى الكفار  
 من الآلهة خيرا لعبادها منهم لا يغنون عنهم شيئا \* (تبيينه) \* انكل من الشراء السبعة فى هاتين  
 الهـمـزتين وجهان الأول تحقيق همزة الاستفهام وابدال همزة الوصل السامع الماد والثانى  
 تحقيق همزة الاستفهام أيضا وتسهيل همزة الوصل مع القصر رقرأ أبو عمرو وعاصم  
 يشركون بالياء التخصية بالغيبة جلا على ما قبله من قوله تعالى وأمطرا ناعليهم مطرا وما بعده  
 من قوله تعالى بل أكثرهم والباقون بالتاء التوقية على الخطاب وهو التفات للكفار بعد  
 خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تنصيص للمشركين بحالهم منهم آثروا عبادة الاصنام  
 على عبادة الله تعالى ولا يؤتر على شيئا على شئ الا زيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام  
 تنبيه لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وتكذيبهم وتغيير آرائهم اذ من المعالوم أنه لا خير فيما  
 أشركوه رأسا حتى يوازنون بينه وبين من هو مبتدأ كل خير وروى أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم \* ثم عدد سبحانه وتعالى أنواعا من  
 الخيرات والمنافع التى هى اثار رحمته وفضله اذ قول منها قوله تعالى (أم من خلق السموات  
 والارض) أى التى هى أصول الكائنات ومبادئ المنافع (فان قيل) ما الفرق بين أم وأم فى أم ما  
 يشركون وأم من خلق السموات (أجيب) بأن تلك متصلة لانه المعنى ايهما خير وهذه منقطعة  
 بمعنى بل والهمزة لما قال الله خيرا أم الآلهة قال بل أم من خلق السموات والارض خيرا تشريرا  
 لهم بأن من قدر على خلق العالم خيرا من جاد لا يقدر على شئ (وأترى انكم) أى لا تجلحكم  
 خاصة وأنتم تكفرون به وتسبون ما تنفرد به من ذلك غيره (من السماء ماء) هو للارض كالماء  
 الدافق للارحام (فأنبتنا به حنائق) جمع حديقة وهى البستان وقيل لتطعمة من الارض  
 ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبها بحديقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها وقال غيره  
 سميت بذلك لاحدائق الجدران بها قوله ابن عادل وليس بشئ لانه يطلق عليها ذلك مع عدم  
 الجدران (ذات جمجمة) أى بها وسن وروث وسرور على تقارب أصولها مع اختلاف  
 أنواعها وتساين طعومها وأشكالها ومقاديرها وألوانها وانما ثبت الايات له تناء عن غيره  
 بقوله تعالى (ما كان) أى ما صنع وما تصور بوجه من الوجوه (لكم) وأنتم أحياء فضلا  
 عن شئ كائنكم الذين هم أموات بل موات (أن تبينوا خبرها) أى شجر تلك الحدائق  
 (أله مع الله) اعانه على ذلك أى ليس معه اله (بل هم) أى فى ادعائهم معه سبحانه شريكا



(قوم يعدلون) أى عن الحق الذى لا حمية فيه الى غيره وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه الآية أول سورة الانعام \* الثانى منها قوله تعالى (أم من جعل الارض قرارا) وهو يدل من أم من خلق السموات وحكمه حكمه ومعنى قرارا الاعتماد بأهلها وكان القياس يقتضى أن تكون هادئة أو مضطربة كما يضطرب ما هو معلق فى الهواء ولكن الله تعالى أبدى بعضها من الماء بحيث يتأق استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) أى وسطها (أنهارا) أى جارية على حالة واحدة فلما اضطربت الارض أدنى اضطراب لتغيرت مجارى المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى (وجعل لها رواسى) أى جبالا أثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه وتعالى فى مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فاستنعت من الاضطراب ولما كان بعض مياه الارض عذبا وبعضها ملحا مع القرب جدا بين الله تعالى ان أحدهما لم يختلط بالآخر بقوله تعالى (وجعل بين البحرين) أى العذب والملح (حاجرا) من قدرته يمنع أحدهما أن يختلط بالآخر (أأله مع الله) أى المحيط علما وقدره معين له على ذلك (بل أكثرهم) أى الذين ينتفعون بهذه المنافع (لا يعلمون) توحيدهم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح \* (تنبيه) \* فى قراءة أأله مثل أأله منكم \* الثالث منها قوله تعالى (أم من يجيب المضطر) أى المكروب وهو الذى أحوجه مرض أو فقرا أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله تعالى (إذا دعاه) وقت اضطرابه وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدى هو الذى لا حول له ولا قوة (فان قيل) هذا يعنى كل مضطر وكم مضطر يدعو فلا يجاب (أجيب) بأن اللام فيه للجنس للاستغراق ولا يلزم منه اجابة كل مضطر وقوله تعالى (ويكشف السوء) كالنفسير للاستجابة وانه لا يقدر أحد على كشف ما وقع له من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذى لا يعجزه شئ والقاهر الذى لا ينازع والاضافة فى قوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الارض) يعنى فى أى يخلف بعنكم بعضنا لا يزال يجتدد ذلك باهلال قرن وانشاء آخر الى قيام الساعة (أأله مع الله) أى الملك الذى لا كفؤ له ثم استأنف التكبىة تنظيها له ومواجهها بقوله تعالى (قل لا ما يذكرون) أى يتعاونون وقرأ أبو عمرو وهشام بالياء التحية على الغيبة والباقون بالخطاب وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل \* الرابع منها قوله تعالى (أم من يهديكم الى بقا صدكم (فى ظلمات البر) أى بالنجوم والجمال والرياح (والبحر) بالنجوم والرياح (ومن يرسل الرياح) أى التى هى دلائل السير (نورا) أى تنشر السحاب وتجمعها (بين يدي رحمة) أى التى هى المطر تسمية للمسبب باسم السبب والرياح التى يهتدى بها فى القاصد أربع التى من تجاه الكعبة الصبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب ومن شمالها الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وهى ریح الجنة التى تهب على أهلها جعلنا الله ووالدينا ومشايعتنا وأصحابنا ومن اتق الله بشئ من هذا التفسير ودعانا بالمغفرة منهم وقرأ حمزة والكسافى وابن كثير الريح

بالافراد والباقون بالجمع وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونشرا بضم النون والشين وابن عامر  
 بضم النون وسكون الشين وحزرة والكسائي بنسخ النون وسكون الشين وعاصم بالياء الموحدة  
 مضهومة وسكون الشين ولما انكشف بما مضى من الآيات ما كانوا في ظلامه من واهي  
 الشبهات واتضحت الأدلة ولم يبق لاحد في شيء من ذلك علة كثر سبحانه وتعالى الانكار في قوله  
 تعالى (أَلَمْ يَعْزِمِ اللَّهُ) أي الذي كل علمه (تعالى الله) أي الفاعل القادر المختار (عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ) به غيره وأين رتبة العجز من رتبة القدرة \* الخامس منها قوله تعالى (أَمْ مِنْ يَدٍ  
 الْخَلْقِ) أي كلهم في الارحام من نطفة ما علمتم منهم وما لم تعلموا (ثم يعيده) أي بعد الموت  
 لان الاعادة أهون (فان قيل) كيف قيل لهم ثم يعيده (أجيب) بأنهم كانوا  
 مقرين بالابتداء ودلالته على الاعادة ظاهرة قوية لان الاعادة أهون عليه من الابتداء فلما  
 كان الكلام مقررونا بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لا عذر لهم في انكار الاعادة لقيام  
 البراهين عليها ولما كان الامطار والانبات من أدل ما يكون على الاعادة قال مشيراً اليهما على  
 وجه عم جميع ما مضى (ومن يرزقكم من السماء) أي بالمطر والحز والبرد وغيرها مما  
 سبب في التكوين أو التلوين (والارض) أي بالنبات والمعادن والحيوان وغيرها مما  
 لا يعلمه الا الله تعالى وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة (أَلَمْ يَعْزِمِ اللَّهُ) أي الذي له صفات  
 الجلال والاکرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة أمر الله تعالى رسوله  
 صلى الله عليه وسلم اعراضاً عنهم بقوله تعالى (قُلْ) أي لهؤلاء المدعين للعقول (هاؤوا  
 برهانكم) أي حجتكم على نبي شيء من ذلك عن الله تعالى أو على اثبات شيء منه لغيره (ان كنتم  
 صادقين) أي في أنكم على حق في أن مع الله تعالى غيره وأضاف تعالى البرهان اليهم تكليماً  
 وتنبهاً على أنهم أبعدها في الضلال وأغرقت في الجهال ثم انهم سألوه عن وقت قيام الساعة فنزل  
 (قُلْ) أي لهم (لا يعلم من في السموات والارض) من الملائكة والناس (الغيب) أي  
 ما غاب عنهم وقوله تعالى (الا الله) استثناء منقطع أي لكن الله يعلمه ولما كان الله تعالى  
 منزهاً عن أن يحويه مكان جعل الاستثناء هنا منقطعاً (فان قيل) من حق المنقطع النصب  
 (أجيب) بأنه رفع بدلالة على لغة بني تميم يقولون ما في الدار أحد الا جار يريدون ما فيها الا جار  
 كان أحداً لم يذكر ومنه قولهم ما أتاني زيد الا عمرو وما أعانته اخوانكم الا اخوانه (فان قيل)  
 ما الداعي الى المذهب التميمي على الجحازي (أجيب) بأنه دعيت اليه حاجة سرية حيث أخرج  
 المستثنى مخرج قوله الا اليعاقبة بقوله ليس بها أنيس \* الا اليعاقبة والا اليعاقبة ليؤل المعنى  
 الى قولك ان كان الله عن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب بمعنى أن علمهم الغيب  
 في استحالة كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت ان كانت اليعاقبة أنيساً ففيها  
 أنيس انباء عن خلوها عن الانيس ويصح أن يكون متصلاً والظرفية في حقه تعالى مجازاً بالنسبة  
 الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وان  
 منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى في كل مكان على معنى أن علمه في الاماكن كلها

فكان ذاته فيها وعلى هذا فيرفع على البدل والصفة والرفع أفصح من النصب لانه منقوع وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحد الا من أتى من أحد من عبده مكره وقوله تعالى (وما يشعرون) صفة لاهل السموات والارض نبي أن يكون لهم علم بالغيب وان اجتمعوا وتعاونوا (آيان) أي أي وقت (ييعثون) أي ينشرون وقوله تعالى (بل) بمعنى هل (أدرك) أي بلغ وتناهى (علمهم في الآخرة) أي بها حتى سألوها عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك (بل هم في شك) أي ريب (منها) كمن تخبر في الامر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لا يدركون دلائلها باختلال بصيرتهم وهذا وان اختلف بالمشركين عن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يستند فعل البعض الى الكل (فان قيل) هذه الانزياات الثلاثة ما معناها (أجيب) بأنها للتزويل أحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومريبة فلا يزالونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يحظر به الحق ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماعهم ومنشأه فلذلك عدا من دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتصورون ووصفتهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكما وقرأ أبو عمرو وابن كثير يقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها وسكون الدال بعدها والباقون بكسر اللام واستنطاق الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها ألف بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انتقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقوله تعالى (وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا وانا ائنا) أي نحن وانا وانا الذين طال العهد بهم (لمخرجون) كالنبات والعامل في اذا محذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج لان بين يدي عمل اسم المفعول فيه عقبات وهي همزة الاستفهام وانا ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من الارض أو من حال القضاء الى حال الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وانا جميعا انكار على انكار وجود عقب وجود دليل على كفر مؤكدم بالغ فيه والضمير في انالهم ولا ياتهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وانا بهم \* (تنبيه) \* اباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد وقرأنا فاع بالخبر في اذا وبالاستفهام في ائنا وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وزاد فيه فونانية وباقي القراء بالاستفهام في الاول والثاني وهم على مذاهبهم من التسهيل والتحقيق والمد والتصرف فذهب قالون وأبي عمرو والتسهيل في الهمزة الثانية وادخال ألف بينها وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الادخال ومذهب هشام الادخال وعدمه مع التحقيق ومذهب الباقيين التحقيق وعدم الادخال ثم أقام الكفار الدليل في زعمهم على ذلك فقالوا تعلبلا لاستبعادهم (لقد وعدنا هذا) أي الاخراج

من القبور كما كانوا مرة (فحن وآبأونا من قبل) أي قبل محمد فقد مرت الدهور على هذا  
الوعد ولم يقع منه شيء فذلك دليل على أنه لا حقيقة له فكانت قبله فافائدة المراد به فتالوا  
(ان) أي ما (هذا الأساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كبروها ولا حقيقة  
لها \* (تنبيه) \* أساطير الاولين جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب (فان قيل)  
لم قدم في هذه الآية هذا على نحن وآبأونا وفي آية أخرى قدم نحن وآبأونا على هذا (أجيب)  
بأن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المقصود بالذكر وان الكلام انما سبق لانه في  
احدى الآيتين دل على أن ايجاد البعث هو الذي تعمد به الكلام وفي الاخرى على أن ايجاد  
المبعوث بذلك الصدم ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرشدهم عما في صورة التمهيد  
بقوله تعالى (قل سيروا في الارض) أي أيها العمى الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة  
المجرمين) بانكارهم وحى هلاكهم بالعذاب فانكم ان نظرتهم وتأملت أخبارهم حق التأمل  
أسرع بكم ذلك الى التصديق فنجوت والاهلكتم كماهلكوا وأراد بالمجرمين الكافرين  
(فان قيل) فلم يقل عاقبة الكافرين (أجيب) بأن هذا يحصل به الضويف لكل العصاة  
ثم ان الله تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يناله من جلافتهم وعماهم عن السبيل الذي  
هدى اليه الدليل بقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) أي في عدم ايمانهم فانما عليك البلاغ  
(ولا تكن في ضيق مما يمكرون) أي لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم وجاعل تدميرهم  
في تدبيرهم كطغاة قوم صالح \* (تنبيه) \* الضيق المخرج يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح  
والكسر ولهذا قرأ ابن كثير بكسر الصاد والباقون بالفتح ولما أشار تعالى الى أنهم لم ييقنوا  
في المبالغة في التكذيب بالساعة وجهها أشار تعالى الى أنهم في التكذيب بالوعيد بالساعة وغيرها  
من عذاب الله أشد مبالغة بقوله تعالى (ويقولون) بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين والاستمرار  
(مق هذا الوعد) أي العذاب والبعث والمجازاة الموعود بها وسحوه وعدا اظهار المحيطة تم كتابه  
(ان كنتم) أي أنت ومن تبعك (صادقين) فيه ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن  
يجيبهم بقوله تعالى (قل) لهم (عسى أن يكون ردف لكم) أي تبعكم ورددكم ولحقكم فاللام  
مزيدة على هذا للتأكيد كالباء في قوله ولا تلقوا بأيديكم ويضع أن يكون تضمن ردف معنى فعل  
فتعدى باللام فهو دنا وقرب وأردف وبهذا افسره ابن عباس وقد عدى عن قول القائل

فلما ردفنا من عمير وصحبه \* نولو اسرا عا والمنية تعنى

يعنى دنونا من عمير (بعض الذى تستعملون) أي فحصل لهم القتل بيدرو باقى العذاب يأتي  
بعد الموت \* (تنبيه) \* عسى واعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلون  
اظهار الوقارهم واشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده  
ولما كان التقدير فان ربك لا يجعل على هذا العاصي بالانتقام مع تمام قدرته عطف عليه  
(وان ربك) أي المحسن اليك بالحلم على امتك (لذو فضل) أي تفضل وانعام (على الناس)  
أي كافة (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي لا يعرفون حق النعمة له ولا يشكرونها بل

يستعملون بجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الآية تبطل قول من قال لانهمة الله على كافر  
(وان ربك) أى والحال انه (ليعلم ما تركن) أى تضر وتسر وتحنى (صدورهم) أى  
الناس كلهم فضلا عن قومك (وما يعلنون) أى يظهر من عداوتك وغيرها فيجازيهم على  
ذلك (وما من غائبة في السماء والارض) أى فى أى موضع كان منهما وأورد ههنا دلالة على ارادة  
الجنس الشامل لكل فرد \* (تنبيه) \* فى هذه التاء قولان أحدهما أنها للمبالغة كراوية وعلامة  
فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه تعالى قال وما من شئ شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد  
علمه الله تعالى \* والثانى أنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعاقبة قال  
الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية فى أنها أسماء غير صفات (الآتى كتاب) هو  
اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون شئ الابلعه وتقديره (مبين) أى ظاهر  
لمن يتطرق به من الملائكة \* ولما تم تعالى الكلام فى اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يتعلق  
بالنبوة بقوله تعالى (ان هذا القرآن) أى الآتى به هذا النبى الامى الذى لم يعرف قبله علما  
ولا خالط عالما (يقص على بنى اسرائيل) أى الموجودين فى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم  
(أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين وان بالغوا فى كتمه كقصة الزانى المحصن  
فى اخفائهم ان حده الرجم وقصة عزيز والمسيح واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ذلك عمافى  
توراتهم فصح بحقيقته على لسان من لم يعلم قط نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون  
الامن عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى (وانه لهدى) أى من الضلالة  
لمنافيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى (ورحمته)  
أى نعمة واكرام (للمؤمنين) أى الذين طبعهم على الايمان فهو صفة لهم راحة كما أنه  
للكافرين وقرى آذانهم وعمى فى قلوبهم \* ولما ذكر تعالى دليل فضله أتبعه دليل عدله بقوله  
تعالى (ان ربك) أى المحسن اليك بما يصل اليه أحد (يقضى بينهم) أى بين جميع  
المختلفين (بحكمه) أى الذى هو أعدل حكم وأتقنه وأنفذه (فان قيل) القضاء والحكم  
شئ واحد فقوله تعالى يقضى بينهم بحكمه أى بما يحكم به كقوله يقضى بتضائه ويحكم بحكمه  
(أجيب) بأن معنى قوله تعالى بحكمه أى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى  
المحكوم به حكما أو أراد بحكمته (وهو) أى والحال أنه هو (العزير) أى فلا یرد له أمر  
(العليم) فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب  
عن ذلك قوله تعالى (فتوكل على الله) أى ثق به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل  
المشاق وثوقا بنصره ثم عمل ذلك بقوله تعالى (انك على الحق المبين) أى البين فى نفسه الموضوع لغيره  
فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره وقوله تعالى (انك لانسع الموتى)  
تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من معاصدتهم وانما شبهوا بالموتى لعدم  
انتفاعهم باستماع ما تلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله تعالى (ولانسع الصم الدعاء اذا ولوا  
مدبرين) أى مرضين (فان قيل) ما معنى قوله تعالى ولو امدبرين (أجيب) بأنه تأكيدهم للحال

الاصح لانه اذا تبعه عن محل الداعي بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته وقرأ  
 ابن كثير ولا يسمع بالياء التحتية المفتوحة وفتح الميم الصم برفع الميم والباقون بالتاء النوقية  
 مضمومة وكسر الميم الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وأبو عمر والهمزة الثانية من الدعاء  
 اذا كالياء مع تحقيق الاولى والباقون بتهدية هما وهم على مراتبهم في المد ثم قطع طمعه في  
 ايمانهم بقوله تعالى (وما أنت بهادى العمى) أى فى أبصارهم وبصائرهم من يلاهم وناقلا  
 ومبعدا (عن ضلالهم) أى عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن يزلوا عنها أصلا فان هذا  
 لا يقدر عليه الا الحى القيوم وقرأ حمزة تهدي تاء فوقية وسكون الهاء والعمى ينصب الياء  
 والباقون بالياء الموحدة مكسورة وفتح الهاء بعدها ألف والعمى بكسر الياء ولما كان هذا  
 ربعا وقف عن دعائهم رجاء فى انقيادهم وارعوائهم بقوله تعالى (ان) أى ما (تسمع) أى  
 سماع انتفاع على وجه الكمال فى كل حال (الامن يؤمن) أى من علمنا أنه يصدق (بآياتنا)  
 بأن جعلنا فيه قابلية السمع ثم تسبب عنه قوله دليل على ايمانه (فهم مسلمون) أى مخلصون  
 فى غاية الطواعية لك كما فى قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن أى جعله سالما خاصا  
 ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم استجبالهم له استهزاء بتوله تعالى (واذا وقع التول عليهم)  
 أى مضمون القول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله أو أطلق  
 المصدر على المفعول أى المقول (أخرجنا) أى بالناس العظيمة (لهم) حين مشاركة  
 العذاب والساعة وظهورها ثم اطها حين لا تنفع التوبة (داية من الارض) وهى الجساسة  
 جاء فى الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى ان لها أربع  
 قوائم وزغبها وهوشعر أصفر على ريش القرخ وريشها وجناحين وعن ابن جرير فى وصفها  
 فقال رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأنفها أذن قبل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق  
 نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وناصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب ككيش  
 وخفها خف بعير وما بين المنهملين اثنا عشر ذراعا ذراع آدم عليه السلام وروى أنها  
 لا تخرج الارأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أى يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون  
 وما بين قرنها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضى  
 الله تعالى عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس يتظرون فلا يخرج الاثلثا وروى انه صلى الله  
 عليه وسلم سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فجاوبهم  
 الآخر وجهها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن عيين الخارج من المسجد فقوم بهربون  
 وقوم يقفون نظارا وقبل تخرج من الصفا ولما كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحوانات  
 العجم لا كلام لها قال (تكلمهم) أى بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه بلسان طلق ذلك  
 فتقول (ان الناس كانوا آياتنا لا يؤقنون) أى ان الناس كانوا لا يؤقنون بخروجى لان  
 خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببيان الاديان  
 كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تفننه ثم تستقبل

المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى أنها تخرج من أجساد روى بينما عيسى  
 عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضرب الارض تحتهم تحرك التراب وينشق  
 الصفا مما يلي المسجد حتى تخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب  
 المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتسكت نكتة يضاء فتفسو تلك النكتة في  
 وجهه حتى يضي لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن  
 وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفسو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر  
 وروى فجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من  
 أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخاصة أحدكم  
 وأمر العامة وقال صلى الله عليه وسلم إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج  
 الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها وقال صلى الله  
 عليه وسلم للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفسو ذكراها في البادية  
 ولا يدخل ذكراها القرية يعني مكة ثم تسكن زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة  
 فيفسو ذكراها بالبادية ويدخل ذكراها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في أنظم المساجد على  
 الله حرمة وأكرهها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو  
 وتدنو قال الراوى ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد  
 في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها صابرة عرفوا أنهم لم يعجزوا والله فخرت عليهم  
 تنفض رأسها من التراب فرت فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم وادت  
 في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فينتهز ذنبا بالصلاة فتأتيه  
 من خلقه فتقول يا فلان الآن تصل فيقبل عليها بوجهه في وجهه فيتجاور الناس في  
 ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال ويعرف الكافر من المؤمن فيقال  
 للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ليست بدابة لها ذنب  
 ولكن لها الحية يشير الى أنها رجل والا كثرون على أنها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا  
 بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال بنس الشعب شعب أجساد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه  
 الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الخافتين وقال وهب وجهها وجه الرجل  
 وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من يراها أن أهل مكة كانوا يجمع مد والقرآن لا يوقنون وقرأ  
 الكوفيون بفتح الهمزة من أن على تسدير الباء أى بأن الناس الخ والباقون بضمها على  
 الاستئناف (ويوم نحشر) أى الناس على وجه الاكراه قال أبو حيان الحشر الجمع على عنف  
 (من كل أمة) أى قرن (فوجا) أى جماعة (من يكذب باياتنا) أى وهم رؤسائهم  
 المتبوعون (فهم يوزعون) أى يجمعون يرد آخرهم الى أولهم وأطرافهم على أوساطهم

لبتلاحقوا ولا يشذ منهم أحد ولا يزالون كذلك (حتى اذا جاؤا) الى مكان الحساب (قال)
 أى الله تعالى لهم (الكذبتهم) أى أنبيائى (بآياتى) التى جاؤا بها (و) الحال أنكم
 (لم تحيطوا بها) أى من جهة تكذيبكم (علما) أى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى الاحاطة بما
 فى معانيها وما أظهرت لاجله حتى تعلموا ما تستحقه وما يليق به بدليل الامر به فيه وأم فى قوله
 تعالى (أم ماذا) منقطة وتقدم حكمها وماذا يجوز أن يكون برمتها استفهاما منصوبا
 بتعلمون الواقع خبرا عن كنتم وأن تكون ما استفهامية مبتدأ وذام وصول خبره والمصلة
 (كنتم تعملون) وعائده محذوف أى أى شئ الذى كنتم تعملونه (ووقع القول) أى وجب
 العذاب الموعود (عليهم بما ظلموا) أى بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب
 وما ينشأ عنه من الضلال فى الاقوال والافعال (فهم لا ينطقون) قال قتادة كيف ينطقون
 ولا حجة لهم نظير قوله تعالى عذاب يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لأن
 أفواههم محتومة ثم اذ تعالى لما خوفهم بأحوال القيامة ذكر كلاما يصلح أن يكون دليلا على
 التوحيد والحشر وعلى النبوة بما لفته فى الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال (الم يروا)
 مما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما أخبرناهم به (انا جعلنا) أى بعظمتنا الدالة
 على تفوذنا اذنا وفضلنا بالاختيار (الليل) أى مظلم (ليسكنوا فيه) عن الانتشار (والنهار
 مبصرا) أى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ويتبعوا من فضل الله فحذف من الاول ما ثبت نظيره
 فى الثانى ومن الثانى ما ثبت نظيره فى الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما كما رآيسكنوا فيه
 والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما ستر حذف مظلم الدلالة مبصرا وليتصرفوا الدلالة لتسكنوا فيه وقوله
 تعالى مبصرا كقوله تعالى آية النهار مبصرة وتقدم الكلام على ذلك فى الاسراء قال الرحمن شرى
 فان قلت ما للتقابل لم يراع فى قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما على والآخرا لا
 قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا
 يبصر وفيه طرق القلب فى المكاسب وأجاب غيره بأن السكون فى الليل هو المقصود ولأن
 وسببه الى جلب المنافع الدينية والدنيوية (أن فى ذلك) أى هذا المذكور (آيات) أى
 دلالات بينة على التوحيد والبعث والنبوة وغير ذلك وخص المؤمنين بقوله تعالى (لقوم
 يؤمنون) لأنهم المستفيعون به وان كانت الأدلة لا لكل كقوله تعالى هدى للمتقين ولما ذكر تعالى
 هذا الحشر الخصاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام بقوله تعالى (ويوم ينفخ) أى
 بأيسر أمر (فى الصور) أى القرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام (ففرع) أى فصعق كما قال
 تعالى فى آية أخرى فصعق (من فى السموات ومن فى الارض) أى كاهم فأتوا والمعنى أنه يلقي
 عليهم الفرع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة
 الصمق ونفخة القيام لرب العالمين (فان قيل) لم قال الله تعالى ففرع ولم يقل فيفزع (أجيب) بأن
 فى ذلك نكتة وهى الاشعار بتحقيق الفرع وثبوتة وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات
 والارض لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عنه



النفخة الاولى حين يبعثون (الامن شاء الله) أى المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة أن لا يفرغ  
 روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عنهم فقال هم الشهداء يتقلدون أسيا فهم حول العرش  
 وعن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل  
 وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ويروى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس  
 اسرافيل ثم يقول الله تعالى من بقى يا ملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى  
 جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس ميكائيل ثم يقول الله تعالى من بقى  
 يا ملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك  
 الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك  
 الباقي الدائم وجبريل الميت الانسانى قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه  
 فيروى أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم ويروى أنه بقى مع هؤلاء الاربعة  
 حلة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وعن الفضالك هم رضوان والطور ومالك  
 والزبانية عليهم السلام وقيل عقارب النار وحياتها ( وكل ) أى من فزع ومن  
 لم يفزع ( أتوه ) أى بعد ذلك للحساب بنفخة أخرى يقبهم بها وفى ذلك دليل على تمام قدرته  
 تعالى فى كونه أقامهم بحاله أماتهم ( داحرين ) أى صاغرين وقرأ حفص وحزرة بقصر  
 الهمزة وفتح التاء على انه فعل ماض وفعوله الهاء فالتعبير به لتحقيق وقوعه والباقون بعد  
 الهمزة وضم التاء على انه اسم فاعل مضاف للهاء وهذا حل على معنى كل وهى مضافة تقديرا  
 أى وكأهم \* ولما ذكر تعالى دخولهم اتبعه بدخول ما هو أعظم منهم بقوله تعالى ( وترى الجبال )  
 أى تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه أنفذ الناس بصرا وأنورهم  
 بصيرة أولئك أحد ( تحسبها ) أى تظنها ( جامدة ) أى قائمة ثابتة فى مكانها لا تتحرك لان  
 الاجرام الكبار اذا تحركت فى سميت واحدا لا تكاد تبين حركتها ( وهى تمر ) أى تسير حتى تقع  
 على الارض فتسوى بها مبنوثة ثم تصير كالعين ثم تصير هباء منثورا وأشار تعالى الى  
 أن سيرها خفي وان كان حثيثا بقوله تعالى ( مزالسحاب ) أى مزالسرى يعاليدرك على ما هو  
 عليه لانه اذا طبق الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك فيه والام تنكشف الشمس باللبس  
 وكذلك كبير الجرم أو كثير العدد يقصر عن الاطاحة به لبعده ما بين أطرافه ولاكثره البصر  
 والناظر الحاذق يظنه واقفا وقرأ تحسبها بكسر السين نافع وابن كثير وأبو عمرو  
 والكسائي وفتحها الباقون وقوله تعالى ( صنع الله ) مصدر مؤ كدلفعون الجملة قبله أضيف  
 الى فاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا ثم زاد فى التعظيم بقوله دالاعلى تمام الاحكام  
 فى ذلك الصنع ( الذى اتقن ) أى أحكم ( كل شئ ) صنعه ولما ثبت هذا على هذا  
 الوجه المتقن والنظام الامكن أنتج قطعا قوله تعالى ( انه ) أى الذى أنتقن هذه الامور ( خبير  
بما يفعلون ) أى عالم بظواهر الاحوال وبواطنها ليجازيهم عليها كما قال تعالى ( من جاء  
بالحسنه ) أى الكاملة وهى الايمان وعن ابن عباس الحسنه كلمة الشهادة ( فلا خير ) أى

أفضل (منها) مضاعفاً أقل ما يكون عشرة أضعاف إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وفسر الجلال المحلى الحسننة بلا اله إلا الله وقال في فله خير منها أي بسببها فليس للفضل إذ لا فعل خير منها وهذا يناسب القول الثاني (وهم) أي الجاهلون بها (من فزع يومئذ) أي يومئذ وقعت هذه الأحوال العظيمة (آمنون) أي حتى لا يحزنهم انزع الأكبر وقرأ يفعلون ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالنوقية على الخطاب وقرأ وهم من فزع يومئذ آمنون الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين وهو أعم فإنه يقتضى الأمن من جميع فزع ذلك اليوم وأما قراءة التنوين فتحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب وأما ما يلحق الإنسان من الرعب ومشاهدته فلا يتفك منه أحد ومن فزع شديد مقرط الشدة لا يكتفه الوصف وهو خوف النار وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها (فان قيل) أليس قال تعالى في أول الآية ففزع من في السموات ومن في الأرض شاء الله فكيف نفي الفزع ههنا (أجيب) بأن الفزع الأول لا يحلومنه أحد عند الاحساس بشدة تقع أهول يفجأ إلا ما استثنى وان كان المحسن آمناً من لحاق الضرر وأما الثاني فهو الخوف من العذاب (ومن جاء بالسبيته) أي التي لا سبيته مثلها وهي الشرك لتوله تعالى (فكبت) أي بأيسر أمر (وجوههم في النار) بأن وليتها مع انه ورد في الصحيح ان مواضع السجود التي أشرفها الوجه لا سبيل للنار عليها والوجه أشرف ما في الإنسان فاذا هان كان مساوياً أولى بالهوان والمكبوب عليه منكوس ويقال له تكبنا (هل) أي ما (تجزوا) جزاء (ما كنتم تعملون) أي من الشرك والمعاصي \* (تنبيه) \* جعل مقابلة الحسننة بالثواب والسيئات بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائها على قضايا الحكمة انه علم بما يشعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ أفراناً واحداً ولا مرماً أعجز القوى وأخرس الشقاشق والادعاء ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه (انما أمرت) أي بأمر من لا يردله أمر (أن أعبد) أي بجميع ما أمركم به (رب) أي موجد ومدبر (هذه البلدة) أي مكة التي تخرج الدابة منها ففزع كل من رآها ثم تؤمن أهل السعادة أخصه بذلك لا أعبد شيئاً مما تعبدونه (الذي حرمها) أي جعلها الله تعالى حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يحتل خيلاً ولا يخاصص مكة به هذه الاضافة تشرى بها وتعظيماً لأنها قال احترازاً عما قديتوهم (وله كل شئ) أي من غيرها مما أشركتموه به وغيره خلقاً وملائكة وما كانوا ربما قالوا نحن نعبده بعبادة من نرجو يقربنا اليه زلفى عينه الدين الذي تكون به العبادة بقوله (وأمرت) أي مع الامر بالعبادة له وحده (أن أكون) أي كونه في غاية الرسوخ (من المسلمين) أي المنقادين لجميع ما أمر به كآبهم انقياد ثابتاً على ذلك غاية الثبات (وان) أي وأمرت أن (أتلوا القرآن) عليكم تلاوة الدعوة الى

الايمن أو أن أو اظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً (فن اهتدى) أي  
 باتباع هذا القرآن الداعي الى الجنان (فانما يهتدى لنفسه) أي لاجلها لان ثواب هدايته  
 له (ومن ضل) أي عن الايمان الذي هو الطريق المستقيم (فقل) أي له كما تقول لغيره  
 (انما أنا من المنذرين) أي المخوفين له عواقب صنعه فلا على من وبال ضلاله شيء انما على  
 الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل) أي انذار اللهم وترغيباً وترجئة وترهيباً (الحمد) أي  
 الاحاطة بأوصاف الكمال (لله) أي الذي له العظمة كلها على نعمة النبوة وعلى ما علمني  
 ووفقتي للعمل به (سير يكمل آياته) القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفي  
 الآخرة بالعذاب الاليم (فتعرفونها) أي فتعرفون أنها آيات الله وانما كان حين لا تنفعكم  
 المعرفة (وماربك) أي المحسن اليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الامور العظيمة والاحوال  
 الجسيمة (بغافل عما تعملون) أي فلا تحسبوا أن تأخير نذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ  
 نافع وابن عامر وحنفص بالتاء على الخطاب لان المعنى عما تعمل أنت وأتباعك من الطاعة وهم  
 من المعصية والباقون بالياء على الغيبة وما رواه البيضاوي تبعاً للزخري من أن من قرأ  
 طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح  
 وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله حديث موضوع

### ﴿سورة القصص مكية﴾

الاقوله تعالى ان الذي فرض الآية نزلت بالجنه والالذين آتيناهم الكتاب الى لا ينبغي الجاهلين  
 وهي سبع أو ثمان وثمانون آية وألف وأربع مائة وأحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمان مائة  
 حرف وتسمى سورة موسى عليه السلام لاشتمالها على قصته فقط من حين ولد الى أن أهلك الله  
 تعالى فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالها على قصتهما ولا يقال  
 سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى فلما جاءه رقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها  
 ذكر القصص مرتين الاولى نقص عليك أحسن القصص والثانية قوله تعالى لقد كان في  
 قصصهم فسكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم وأيضا فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم لانه  
 ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها الا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة  
 هود القصص وهـ سورة موسى (بسم الله) الذي اختص بالكبرياء والعظمة (الرحمن)  
 الذي عم بنعمه أهل الايمان والكفران (الرحيم) الذي خص بنعمه بعد البعث أهل الايمان  
 (طس) تقدم الكلام على أوائل السور وأول البقرة (تلك) أي هذه الآيات العالمة الشأن  
 (آيات الكتاب) أي المنزل على قلبك الجامع لجميع المصالح الدنيوية والأخروية والاضافة  
 بمعنى من (المبين) أي المظهر الحق من الباطل (تسلو) أي تنص قصصا متتابعة متواليها  
 بعضه في اثر بعض (عليك) بواسطة جبريل عليه السلام (من نبا) أي خبر (موسى)  
 وفرعون بالحق) أي بالصدق الذي يطابقه الواقع \* (تنبيه) \* يجوز أن يكون مفعول

تلو محمد وقادات عليه صنته وهي من نبا موسى تقديره تلو عليك شيأ من نبا موسى ويجوز أن  
 تكون من مزيدة على رأى الاخفش أى تلو عليك نبا موسى وبالحق يجوز أن يكون حالاً من  
 فاعل تلو ومن مفعوله أى تلو عليك بعض خبرها ماملت بسين أو ملت بسا بالحق ثم نيه على أن هذا  
 البيان كما سبق انما يتقع أولى الاذعان بقوله تعالى (اتوم يؤمنون) فغيرهم لا ينتفع بذلك  
 ولما كان كأنه قيل ما المقصود من هذا قال (ان فرعون) ملك مصر الذى ادى الالهية (علا)  
 أى بادعاء الالهية وتجيده على عباد الله وقهره لهم (فى الارض) أى أرض مصر واطلاقها  
 يدل على تعظيمها وانها بجميع الارض لاشتمالها على ما قل أن يشتمل عليه غيرها (وجعل)  
 أى بما جعلنا له من نفوذ الكلمة (أهلها) أى أهل الارض المرادة (شيعا) أى فرقا تتبع كل  
 فرقة شياً يتبعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يكون عتيقه أو اصنافا  
 فى استخدامهم يستخرون فى بناء وصنفا فى حفر وصنفا فى حث ومن لم يستعمله ضرب عليه  
 الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله تعالى  
 (يستضعف طائفة منهم) يجوز فيه ثلاثة أوجه أن يكون حالاً من فاعل جعل أى جعلهم كذلك  
 حالة كونه مستضعفا طائفة منهم وأن يكون صفة لشيعا وأن يكون استئنافا بياناً لحال الأهل  
 الذين جعلهم فرقا وأصنافا وهم بنو اسرائيل الذين كانت حياة جميع أهل مصر على يدى  
 واحد منهم وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير ما لم يفعلوه والدمع ولد مع ذلك كأقوه  
 فى أولاده وأولاد اخوته بأن استعبدوهم ثم ما كفاهم ذلك حتى ساؤهم على يدى العبيد سوء  
 العذاب قال البقاعى وهذا حال الغرباء بينهم قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف بقوله تعالى  
 (يذبح أبناءهم) أى عند الولادة وكل بذلك أناسا ينظرون كلما ولدت امرأة ذكر اذ يحوه  
 وسبب ذلك ان كانوا قال له سيولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يديه فولدتك  
 الليلة اثنا عشر غلاما فقتلهم وبقي هذا العذاب فى بنى اسرائيل سنين كثيرة وكان ذلك من  
 غاية حق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فواجه القتل  
 (ويستحي نساءهم) أى يريد حياة الاناث فلا يذبحهن وقال السدى ان فرعون رأى فى منامه  
 نارا أقبلت من بيت المقدس الى مصر فاترقت القبط دون بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له  
 يخرج من هذا البلد من بنى اسرائيل رجل يكون هلاك مصر على يديه فأمر بقتل الذكور وقيل  
 ان الانبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بعبيته فسمع فرعون ذلك  
 فأمر بذبح بنى اسرائيل (أه) أى فرعون (كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل  
 خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد قال وهب ذبح فرعون فى طلب موسى سبعة من ألقام  
 بنى اسرائيل وقوله تعالى (وزيد أن عن) عطف على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها  
 نظيرة تلك فى وقوعها تنسيرا لنبا موسى وفرعون وقصصه ونريد حكاية حال ماضية أى  
 نعطى بقدرتنا وعلمنا ما يكون جدرا أن نمن به (على الذين استضعفوا) أى حصل  
 استضعافهم وأهانهم بهذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولاهم (فى الارض) أى أرض مصر

فذلوا وأهينوا ونزحهم في أنفسهم وأعدائهم فوق ما يحبون وفوق ما يأملون (وتجعلهم أئمة)  
 أي مقدمين في الدين والدنيا علماء يدعون إلى الجنة عكس ما يأتي من عاقبة آل فرعون وقال  
 مجاهد دعاة إلى الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدي بهم  
 في الخير (وتجعلهم) أي بعظمتنا وقدرتنا (الوارثين) أي الملك مصر لا ينازعهم فيه أحد من  
 القبط يخافونهم في مساكنهم (وتمكن) أي توقع التمكين (لهم في الأرض) أي كلها  
 لاسيما أرض مصر والشام باهلاك أعدائهم وتأيد ملكهم وتأيدهم بكلمة الله ثم بالانبياء من  
 بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يسلبهم بسبيهم على من سواهم بما يؤيدهم به من  
 الملائكة ويظهر لهم من الخوارق (ونرى) أي بما لنا من العظمة (فرعون) أي الذي  
 كان هذا الاستضعاف منه (وهامان) وزيره (وجنودهما) أي الذين كانوا يوصلان بهم  
 إلى ما يريدانه من الفساد فيقوى كل منهم بالآخر في الأرض فعلاوا وطغوا وقوله تعالى (منهم) أي  
 المستضعفين متعلق بنرى أو بنريد لا يحدرون لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله (ما كانوا  
 يحدرون) أي من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حزة والكسائي ويرى بالياء  
 مفتوحة وفتح الراء مع الامالة وسكون الياء بعد الراء ورفع فرعون وهامان وجنودهما مضارع  
 رأى مسندا إلى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرأ الباقر بالنون مضمومة وكسر  
 الراء وفتح الياء بعدها ونصب الاسماء الثلاثة مضارع أرى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه  
 منه ولا أول وما كانوا هو الثاني ثم ذكر تعالى أول نعمة من به على الذين استضعفوا بقوله تعالى  
 (وأوحينا) أي ونحي الهام أو منام (إلى أم موسى) لا وحى نبوة قال قتادة قد فنانى قلبها  
 واسمها يوحنا زوهى بنت لاوى بن يعقوب وهذا هو الذى أمضينا فى قضائنا أن يسمى بهذا  
 الاسم وأن يكون هلاك فرعون وزوال ملكه على يده بعد ان ولدته وخافت أن يذبحه الذابحون  
 (أن أرضعته) ما كنت آمنة عليه ولم يشعر بولادته غير أخته قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل  
 أربعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك وقد روى أنها  
 أرضعته ثلاثة أشهر في نابوت من بردى مطلى من داخله بالقار (فأذاخفت عليه) أي منهم  
 أن يصيح فيسمع فيذبح (فألقته) أي بعد أن تضعه في شئ يقيه من الماء (في اليم) وهو  
 البحر ولكن أراد هنا النيل (ولا تخافى) أي لا يتجدد ذلك خوف أصلا من أن يغرق أو يموت  
 من ترك الرضاع (ولا تحزنى) أي ولا يوجد لك حزن لوقوع فراقه (فان قيل) ما المراد بالخوفين  
 حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (أجيب) بأن الخوف الأول هو الخوف عليه من  
 القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه أن يسمع الجيران صوته فيمنوا عليه وأما الثاني فالخوف  
 من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون المبعوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان  
 وغير ذلك من المخاوف (فان قيل) ما الفرق بين الخوف والحزن (أجيب) بأن الخوف غم يلحق  
 الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاضطرابه فتهبت عنهما جميعا وأمنت  
 بالوحى لها ووعدت ما يسلبها ويطمئن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها كما قال تعالى

(انما رآوه اليك) فازال مقتضى الخوف والحزن ثم زادها بشرى وأى بشرى بقوله تعالى (وجاهلوه من المرسلين) أى الذين هم خلاصة المخلوقين \* وروى عطاء وانضجك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا جعسوا استطلوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بحرف ولم ينهوا عن منكر فسلط الله عليهم القبط فاضعفروهم الى أن أنجاهم الله تعالى على يد نبيه وكايمه قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابله من القوايل التى وكلهن فرعون بجبالى بنى اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ندر بها اطلق أرسلات اليها فقاتل قد نزل لبي منازل فلينفقنى حبك اياى اليوم فان فعالت قبالتها فلما أن وقع موسى عليه السلام بالارض هاله انور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا ومن ورائى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا احب اشديدا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى اراه هو عدونا فلما خرجت القابله من عندها أبصرها بعض العيون فجأوا الى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فلفت موسى فى خرقة ووضعته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما صنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لونها فقالوا ما أدخل عليك القابله فقالت هى مصافية لى دخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فأين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فاحمقته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فصدق الله تعالى فى نفسها أن تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها التجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لى أخبؤه فى هذا التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق التجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر موسى عليه السلام فلما هم بالكلام أمسك الله تعالى لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم يدري ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما أتى التجار الى موضعه رد الله تعالى لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فوقع فى واديهوى فيه فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حينما كان فعرف الله تعالى منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخرته ساجدا فقال يا رب دلنى على هذا العبد الصالح فدل عليه فخرج من الوادى وآمن به وصدقته وعلم أن ذلك من الله عز وجل \* وقال وهب بن منبه لما جلت أم موسى بموسى كفت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله لما أراد أن ين به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى يذبح فيها بعث فرعون القوايل وتقدم اليهن وقتشن تغيبش لم يفتش قبل ذلك وحلت أم موسى فلم تكبر بطنها ولم يتغير لونهم ولم يظهر لبنها وكانت القوايل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولادته ولا رقيب عليها ولا قابله ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم ألقته فى البحر لئلا (فالتقطه) بالتابوت

صيحة النيل (آل) أي أعوان (فرعون) فوضعه بين يديه قال ابن عباس وغيره كان لفرعون  
 يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات  
 ترفعها إلى فرعون وكان يمرض شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في  
 أمرها فقالوا له أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه  
 فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وبيعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم  
 الاثنين غدا فرعون إلى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة  
 فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع - وأريها اتلاعهن وتنضع الماء على  
 وجوههن إذا قبل النيل بالتأبوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا الشيء في البحر قد تعلق  
 بالشجر فاتتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم  
 يقدر وأعليه وعالجوا كسره فلم يقدر وأعليه فعدت آسية فرأت في جوف التأبوت نور المير  
 غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في مهده وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالى  
 رزقه في إبهامه يمسه لينا فألقى الله تعالى لموسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه  
 وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التأبوت عمدت بنت فرعون إلى ما يسيل من ريقه  
 فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك  
 اننا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمى به في البحر فقامنك فاقتله  
 فهم فرعون يقتله فقالت آسية قرّة عينى ولك واستوهبت موسى من فرعون وكانت لا تلد فوهبه  
 لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال  
 يومئذ هو قرّة عينى كما هو لك لهداه الله كما هداها قال الزمخشري وهذا على سبيل الفرض  
 والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كما آسية لقال مثل قولها ولا سلم كما أسلمت هذا إن صح  
 الحديث تأويله والله أعلم بصحته انتهى ثم قال لا آسية ما تسميه قالت سميت موسى لانا وجدنا في  
 الماء والشجر فهو الماء موسى هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون (ليكون لهم  
 عدوا) أى يطول خوفهم منه بخالفته لهم في دينهم وجلهم على الحق وقتل رجالهم (وحزنا) أى  
 بزوال ملكهم لأنه يظهر فيهم الآيات التي يهلك الله تعالى بها من يشاء منهم ويستعبد نساءهم  
 ثم يظهر بهم حتى يهلكهم الله تعالى بالغرق على يده اهلالك نفس واحدة فيم الحزن والنواح أهل  
 ذلك الاقليم كاه \* (تنبيه) \* في هذه اللام الوجهان المشهوران أحدهما أنها العله الجازية  
 دون الحقيقة لانهم لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني  
 غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وغرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو  
 الأكرام الذى هو نتيجة المحبة والتأدب الذى هو غرة الضرب ليتأدب وتحريره ان هذه اللام  
 حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبهه التعليل كما استعير الاسد لمن يشبه الاسد والثانى  
 أنها للعاقبة والصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمره إلى  
 ذلك وقرأ حزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بفتحهما وهما الغتان بمعنى

واحد كالعدم والعدم \* ثم بين تعالى ان هذا الفعل لا يفعله الا حق مقهور أو مغفل مخذول  
 لا يكاد يصيب بقوله تعالى (ان فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما) أي كلهم على طبع واحد  
 (كانوا خاطئين) أي في كل شيء فلا بدع منهم أن قتلوا ألوفاً لا بله ثم أخذوه يرونه ليكبر ويفعل  
 بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بما ربي عدوهم على أيديهم وقال وهب  
 لما وضع التابوت بين يدي فرعون فقهه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه قال كيف أخطأ هذا  
 الغلام الذبح وكان فرعون قد استكبح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم  
 وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء عليهم السلام وكانت أم للمساكين ترجمهم  
 وتصدق عليهم وهي المذكورة في قوله تعالى (وقالت امرأت فرعون) أي له وهي قاعدة لجنبه  
 هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه (قرت عين لي)  
 أي به (ولك) أي يا فرعون لانهم المارأياه أخرج من التابوت أحباء وروى أنها قالت انه أنا  
 من أرض أخرى ليس من بني اسرائيل ولما أثبت له انه من تقربه العيون قالت (لا تقتلوه) أي  
 لأنك بنفسك ولا أحد من تأمره بذلك ثم علت ذلك واستأنفت بقولها (عسى أن ينفعنا)  
 ولو كان له أبوان معروفان فان فيه مخايل اليمين ودلائل النفع وذلك لما رأيت من النورين  
 عينيه وارتضاعه من ابهامه لبنا وبرزه البرصا بريقه (أو تحذه ولدا) أي اذا كان لم يعرف له أبوان  
 فيكون نفعه أكثر فانه أهل لان تتشرف به الملوك \* (تبيهه) \* التاء في قررت عين مجرورة ووقف  
 عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وهي خبر مبتدأ مضمرة أي هو قررة عين  
 والعامية من القراء والمفسرين وأهل العلم على ذلك ونقل ابن الانباري بسنده الى ابن عباس انه  
 وقف على لا أي هو قررة عين لي فقط ولك لا أي ليس هو لك قررة عين ثم يتدنى بقوله تقتلوه وقال ابن  
 عادل وهذا لا ينبغي أن يصح عنه وكيف يتي تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتض حذفها فلذلك  
 قال الفراء هو لحن وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) جملة حالية من كلام الله تعالى أي لا شعور  
 لهم أصلاً لان من لا يكون له علم الابا كتساب فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا  
 كذلك فلا شعور لهم بما يؤل اليه أمرهم معه من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك المفسدين  
 وقيل ان ذلك من كلام امرأة فرعون كأنها لما رأته ملاماً أشاروا بقتله قالت له افعل أنت ما أقول  
 لك وقومك لا يشعرون أنا التي تقطناه \* قال الكلبي ولما أخبر الله تعالى عن حال من لقبه أخبر عن  
 حال من فارقه بقوله تعالى (وأصبح) أي عقب الليلة التي حصل فيها فراقه (فواد أم موسى)  
 أي قلبها الذي زاد احتراقه شوقاً وخوفاً وحزننا وهذا يدل على انها ألقته ايلاً واختلاف في معنى  
 قوله (فارغاً) وقال أكثر المفسرين خاليامن كل هم الامن هم موسى عامية السلام وقال الحسن  
 أي ناسي اللوحى الذي أوحاه الله تعالى اليها حين أمرها ان تلقيه في البحر ولا تحزن  
 والعهد الذي عهد أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل  
 فرعون ولدك فيكون لك أجره ونوابه وتوليت أنت قتله فألقىته في البحر وأغرقته وقال  
 الرمحشري أي صفر من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما



دهمها من فرط الجزع والدهس ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم - م هواء أي جوف لاعتقوله فيها  
وذلك أن القلوب مراكز العقول الاترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله  
تعالى (إن) هي الخنفة من الثقلية واسمها محذوف أي انها (كادت) أي قاربت (لتبدي)  
أي يقع منها الاظهار لكل ما كان من امره مصرحة (به) أي بأمر موسى عليه السلام  
من أنه ولدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول والاباء وقال مقاتل لما رأته التابوت  
يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفتها وقال الكلبي كادت  
تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب موسى ابن فرعون فشق عليها  
فكادت تقول هو ابني وقيل ان الهاء عائدة الى الوحي أي كادت لتبدي بالوحي الذي أوحى الله  
تعالى اليها أن يرده عليها وجواب (لولا أن ربطنا) محذوف أي لا بدت به كقوله تعالى وهم به لولا أن  
رأى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا (على قلبها) بالضم والصبو والتثنية وقوله تعالى (لتكون  
من المؤمنين) متعلق بربطنا أي من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله تعالى ان ارادوه الملك  
ثم أخبر تعالى عن فعلها في تعترف خبره بعد ان أخبر عن كتمانها بقوله تعالى (وقالت) أي  
أتمه (لاختمه) أي بعد ان أصبحت على تلك الحالة قد خفي عليها أمره (قصمه) أي اتبعي أثر  
وتشمتي خبره براوجحراف فعلت (قصرت) أي أبسرت (بذعن جنب) أي مكان بعيد اختلاسا  
(وهم لا يشعرون) جملة حالية وستعلق الشعور محذوف أي أنها أخته وأنها ترقبه بل هم في غاية  
الغفلة التي هي في غاية البعد عن رتبة الالهية أو أنها انقصه أو أنه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر  
تعالى أخذ الأسباب في رده بقوله تعالى (وحرمنا) أي منعنا بعظمتنا (عليه المراضع) جمع  
مرضعة وهي من تكثرت للارضاع من الاجانب أي حكمنا بمنعنا من الارتفاع منهم فاستعبر  
التحريم للمنع لانه منع فيه رجة قال الرازي في النوامع تحريم منع لا تحريم شرع (من قبل)  
أي من قبل أن تأمر أمه أخته بما أمرت به أو قبل قصها أثره أو قبل ولادته في حكمنا وقضاءنا  
وهو أنه تعالى غير طبعه عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرتضع أو أحدث في لبنهن طعاما ينفر عنه  
طبعه أو وضع في لبن أمه لذة تعود به اذ كان يكرمه لبن غيرها فلما رأته أخت موسى التي أرسلتها  
أمه في طلبه أنه لا يقبل ثدي امرأته وفي القصة ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح  
فقالوا لها هل عندك مرضعة تدليننا عليها العله يقبل ثديها قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان  
همها من الدنيا أن تجده مرضعة فكاما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فودت أخته منه بعد  
نظرها له (وقالت) لما رأته في غاية الاهتمام برضاعه (هل) لكم حاجة في أني (أدلكم  
على أهل بيت) ولم تقل على امرأة لتوسع دائرة النظر (يكفلونه لكم) أي يأخذونه ويتولونه  
ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم ثم أبعدت التهمة عن نفسها فقالت هي  
امرأة قتل ولدها فأحب شي اليها أن تجده صغيرا ترضعه ثم زادتهم رغبة بتولائها (وهم له  
ناصحون) أي ثابت نصيحهم له لا يغشونه نوعا من الغش فان الغش والناصح ضد الغش وهو  
تصفية العمل من شوائب الفساد قال السدي لما قالت ذلك أخذوها وقالوا قد عرفت هذا

الغلام فداينا على أهله فتالت ما أعرفه وقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك قال ابن عادل وهذا يسمى عند أهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم يحب أبابكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان رضي الله تعالى عنهم فقبل له أيهم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته وقبل لما تفرسوا أنها عرفته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصاله وقيل انها لما قالت ذلك قالوا لها من فضالت أي قالوا لأمك ابن قالت نعم هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا صدقت فائتينا بها فانا نطلقت إذ أمها فأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا فقالوا أقمبي عندنا فقالت لا أقدر على فراق يتي ان رضيت أن أكنه في بيتي والافلا حاجة لي به وأظهرت الرهد فيه نقيا للتممة فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها فذلك قوله تعالى (فرددناه إلى أمه) ثم علة بقوله تعالى (كي تقر عينها) أي تبرؤت وتستقر وأصل قرزة العين من القر وهو البرد أي بردت ونامت بخلاف صغرت عينه يقال أقر الله تعالى عينك من الفرح وأضغنها من الحزن فلهذا قالوا دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة هذا قول الأصمعي قال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأضغنت \* وأما عيون الشامتين فقرت

وقال أبو العباس ليس كما قال الأصمعي بل كل دمعة حارة فبعني أقر الله تعالى عينك صادفت سرورا فقامت وذهب سهرها وصادفت ما يرضيك أي بلغك الله أقصى أملاك حتى تقر عينك من النظر إلى غيره استغناء ورضاء بما في يديك (ولا) أي وكى لا (تخزن) أي بفراقه (ولتعلم) أي علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة كما كانت عالمة به علم غيب (أن وعد الله) أي الأمر الذي وعدها به الذي له الكمال كله في حفظه وارساله (حق) أي هو في غابة الثبات في مطابقة الواقع (ولكن أكثرهم) أي أكثر آل فرعون وغيرهم (لا يعلمون) أن وعد الله حق فيرتابون فيه أو لا يعلمون أن الله وعدها رده اليها قال الضعيف لما قبل ثديها قال هاما أنك لامة قالت لا قال فما له قبل ثديك من بين النسوة قالت أيها الملك اني امرأة طيبة الريح - لوة اللبن فاشم ريحي صبي الأقبل على ثديي قالوا صدقت فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى اليها وأتحنها بالذهب والجوهر وأجرى عليها أجرها قال السدي وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينار (فان قيل) كيف حل لها أن تأخذ هذا الجرع على ارضاع ولدها منه (أجيب) بأنها ما كانت تأخذه عنى أنه أجر على الرضاع وإنما كنهه مال حربي كانت تأخذه على الاستباحة فكثرت عندها إلى أن فطمته واستقر عند فرعون يأكل من مأكوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه إلى أن كمل كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ألم نربك فينا وابدأ ولبت فينا من عمرك سنين (ولما بلغ أشده) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث كما قال مجاهد وغيره (واستوى) أي بلغ أربعين سنة كما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقيل اعتدل في السن

قوله فان قيل كيف حل لها الخ في حاشية الجمل والظاهر أن هذا السؤال لا يرد من أصله لأنه لم يكن اذ ذلك شرع حتى تلتزم حكمه وعلى فرض أن يكون فليس يلزم أن يكون كشرعنا بل هو أن يكون له تفاريع آخر

وتم استحكامه بانتهاء شبابه وعوم من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنتين وأربعين (آتياء) أى ابتداء من غيرا كسباب أصلا خرقا للعادة اموة اخوانه من الانبياء (حكما) أى عملا محكما بالعلم (وعلماء) أى فتها في الدين تهمة نبوته وارصاد الرسالته وقيل المراد بالعلم علم التوراة والحكم السنته قال الزمخشري وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذا كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناها آتياء سيرة الحكماء العلماء وسنتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهد فيه قال البقاعي واختر الله تعالى هذا السن للارسال ليكون من جملة الخوارق لان به يكون ابتداء الانتكاس الذي قال الله تعالى فيه ومن نعمره اى الى اكمال سن الشباب تنكسه في الخلق أى نوقفه فلا يزداد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة شئى أو لا يوجد فيه غيرة لم تكن موجودة أصلا عشر سنين ثم يأخذ في النقصان هذه عادة الله في جميع بنى آدم الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في حد الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغيرا كسباب بل غيرة يغزها الله تعالى فيهم حينئذ ويؤتون من قوة الابدان أيضا بعد ذلك في انتكاس غيرهم يكون نحوهم وكذا من ألحقه الله تعالى بهم من صالحى أتباعهم كما قال تعالى (وكذلك) أى مثل هذا الجزاء العظيم (فجزى الحسنين) أى كلهم على احسانهم ولما أخبر تعالى بتميمته للنبوته أخبر بما هو سبب لهجرته وكأنه اسنة بعد ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى (ودخل) أى موسى عليه السلام (المدينة) قال السدى هى مدينة منف من أرض مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى جابين على رأس فرسحين من مصر وقيل مدينة عين شمس وقيل غير ذلك (على حين غفلة من أهلها) وهو وقت التناثله واشتغال الناس بالقبولولة وقال محمد بن كعب القرظى دخلها فيمابين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الاعلى تغفل واختلف في السبب الذى من أجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدى وذلك أن موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وايس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فأدركه المقيبل بأرض منف فدخلها نصف النهار وايس في طرفها أحد وقال ابن اسحق كان لموسى شيعه من بنى اسرائيل يسمعون منه ويتقدون برأيه فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراف فرعون وقومه فخالفهم في دينهم فأخافوه فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقال ابن زيد ولما علم موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بانراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد أن كبر وبلغ أشده (فوجد فيها) أى المدينة (رجلين يقتتلان) أى يفتلان مقتلمات القتل مع الملازمة من الضرب والخنق وهما اسرائيلى وقبطى واهذا قال تعالى مجيبا لمن كان يسأل عنهما وهو ينظر اليهما (هذان شيعته) أى من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) أى من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا أن أحدهما من القبط والاخر من بنى اسرائيل لقول موسى عليه السلام انك لغوى مبين والشهور أن الاسرائيلى كان مسلما

قوله جابين كذا  
في جميع الاصول  
التي بأيدينا وفي  
حاشية الجمل وقيل  
هى قرية يقال لها  
أم خان على فرسحين  
من مصر اه

قيل انه السامري والقبطي طبياخ فرعون فكان القبطي يسخر الاسرائيليين ليحمل الحطب  
 الى المطبخ وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس لما بلغ موسى أشدته لم يكن أحدا من آل فرعون  
 يخلص الى أحد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل عزوا  
 لمكان موسى لتكونه ربيب الملك مع أن مرضعته منهم لا يظنون أن سبب ذلك الا الارضاع  
 (فاستغاثه) أي طلب منه (الذي من شيعته) أن يغيبه (على الذي من عدوه) فغضب  
 موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعونني خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب  
 الى مطبخ أبيك فنارعه فقال الفرعونني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى عليه السلام  
 قد أوتى بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش (فوكزه موسى) أي دفعه بجمع كفه والفرق  
 بين الوكز واللكزان الاول بجمع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز  
 في الصدر والوكز في الظهر (فتضى) أي فأوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت  
 الذي لا ينجم منه مخلوق (عليه) فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيت وقضيت عليه  
 وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعروا به أحد فندم موسى عليه السلام عليه ولم  
 يكن قصده القتل فدفعه في الرمل (قال هذا) أي قتله (من عمل الشيطان) أي لاني لم أومر به  
 على الخصوص ولم يكن من قصدي وان كان المقتول كافرا حريبا ثم أخبر عن حال الشيطان  
 ليحذر منه بقوله (انه عدو) فينبغي الحذر منه (مضل) لا يقود الى خير أصلا (مبين) أي  
 عداوته واضلاله في غاية البيان ما في شيء منهم اخفاء ولما لم يكن في قتله الا الندم لعدم إذن خاص  
 (قال رب) أي أيها المحسن الى (انني ظلمت نفسي) أي بالاقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص  
 وان كان مباحا (فاغفر) أي امح هذه الهتوة عينا وأثرها (لني) أي لاجلي لا تؤاخذني  
 (فغفر) أي أوقع المحو لذلك كما سأل اكراما (له انه هو) أي وحده (الغفور) أي البالغ  
 في صفته الستر لكل من يريد (الرحيم) أي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال  
 المرضية لتقام الالهية ولاجل أن هذه صفته رده الى فرعون وقومه حين أرسله اليهم فلم يتدروا  
 على مواخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجوا منهم قبل إرساله على غير قياس ثم شكر ربه على  
 هذه النعمة التي أنعم بها عليه بأن (قال رب) أي أيها المحسن الى (بما أنعمت علي) أي  
 بسبب انعامك علي بالمغفرة (فلن أكون) أي ان عصمتني (ظهير) أي عوننا وعشيرا وخليطا  
 (للعجربين) قال ابن عباس للكافرين وهو ما حجة فرعون وانتظامه في جملة وتكبيره  
 سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وامام ظاهرة من  
 قول مظاهرته الى الحرم والاثم كما في مظاهره الاسرائيليين المؤدية الى القتل الذي لم يؤمر به  
 وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له ان أخى  
 يضرب بقله ولا يعدد رزقه قال فن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال  
 فاین قول موسى وتلاه هذه الآية وفي الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه

الظلمة حتى من لاقاهم - دواة أوبرى لهم قلماً فيجهدون في تابوت من حديد فيرمي بهم في جهنم  
وقول ابن عباس يدل على أن الاسرائيليين الذي أعانه موسى عليه السلام كان كافراً وهو قول  
مقاتل وقال قتادة أتى لأعين بعدها على خطيئة وقيل بما أنعمت على من القوة فلن أستعملها  
الافى مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والايان بك قال ابن عباس لم يستثنى أى لم يقل فلن  
أكون ان شاء الله تعالى فأتى به في اليوم الثاني كما قال تعالى (فأصبح في المدينة) أى التى  
قتل القتيل فيها (خائفاً) أى بسبب قتله (يتربص) أى ينتظر ما يناله من جهة القتيل قال  
البعغوى والترتب انتظار المكره وقال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به (فإذا) أى فنجأه  
(الذى استنصره) أى طلب نصرته من شيعته (بالامس) أى اليوم الذى يلي يوم الاستنصاخ  
(يستصرخه) أى يطلب أن يزيل ما يصرخ بسببه من الضر من قبلى آخر كان يظلمه فكانه قيل  
فما قال له موسى بعدما أوقعه فيما يكره فقيل (قال له) أى له - هذا المستصرخ (موسى انك  
لغوى) أى صاحب ضلال بالغ (مبين) أى واضح الضلال غير خفيه ليكون ما وقع بالامس  
لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوماً من دنا منهم - المنصره (فلما أن أراد) أى  
شاء فان مزيدة (أن يبطس) أى موسى عليه السلام (بالذى هو وعدوا لهما) أى موسى  
والاسرائيليين لأنه لم يكن على دينهم - ما ولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل بان يأخذهم بعنف  
وسطوة لخلاص الاسرائيليين منه (قال) أى الاسرائيليين الغوى لاجل ما رأى من غضبه  
وتكلمه له فلما أنه يريد البطش به (ياموسى) ناصاع عليه باسمه (أتريد أن تقتلنى) أى اليوم  
وأنا من شيعتك (كما قتلت ناصاعاً بالامس) أى من شيعه أعدائنا والذى يدل على أن الاسرائيليين  
هو الذى قال له - هذا الكلام السياق وعليه الاكثرون لأنه لم يعلم بقتل القبطى غير الاسرائيليين  
وقيل انما قال موسى للفرعونى انك لغوى - مبين بظلمك ويناسبه قوله (ان) أى ما (تريد الا أن  
تكون جباراً) أى قاهراً عالياً فلا يليق ذلك الا بقول الكافر أو أن الاسرائيليين لما ظن قتله قال  
ذلك وقد قيل فى الاسرائيليين انه كان كافراً قال أبو حيان وشأن الجبار أن يقتل بغير حق  
(فى الارض) أى التى تكون بها فلا يكون فوقك أحد (وما ترى) أى تتخذ ذلك ارادة  
(أن تكون) أى كونها هلك كالجبله (من المصلحين) أى الغريبتين فى الصلاح فان الصلح بين  
الناس لا يصل الى القتل على هذه الصورة فلما سمع القبطى - هذا ترك الاسرائيليين وكان القبط  
لما قتل ذلك القبطى ظنوا فى بني اسرائيل فأغروا فرعون بهم وقالوا ان بني اسرائيل قتلوا منا  
رجلاً فنخذلنا بحقتنا فقال ابغوا الى قاتله ومن يشهد عايبه فان الملك وان كان صفوة مع قومه  
لا يستقيم له أن يقضى بغير بينة ولا تثبت فلما قال هذا الغوى هذه المقالة علم القبطى أن موسى  
عليه السلام هو الذى قتل الفرعونى فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى  
قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذابيين لقتل موسى أخذوا الطريق الاعظم (وجاء رجل)  
أى ممن يحب موسى عليه السلام واختلف فى اسمه فقيل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل شعرون  
وقيل شععان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أى أبعدا مكانا (يسمى) أى يسرع

في مشيه فأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فأخبره وأذره حتى أخذ طريقا آخر فكانه قيل  
 فما قال الرجل له فقيل (قال) مناديا لموسى ته طفا وازالة للبس (ياموسى ان الملا) أى اشراف  
 القبط الذين في أيديهم الحل والعقد لان لهم القدرة على الامر والنهي (يا عمرو بن بك) أى  
 يتشاورون في شأنك (ليقتلوك) حتى وصل حالهم في تشاورهم الى أن كلامهم يأمر الاخر ويأمر  
 بأمره لانهم سمعوا النكقات صاحبهم (فاخرج) أى من هذه المدينة ثم علل ذلك بقوله على سبيل  
 التأكيد ليزيل ما يطرقه من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك (انى لك من الناصحين)  
 أى الغريبين في نعمك (تخرج) أى موسى عليه السلام مبادرا (منها) أى المدينة لما علم صدق  
 قوله مما تحققه من القرائن حال كونه (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يتربص) أى يكتر  
 الالتفات بإدارة رقبته في الجهات ينظر هل يتبعه أحد ثم دعا الله تعالى بأن (قال رب) أى أيها  
 المحسن الى بالنجاة وغير ذلك من وجوه البر (نجني) أى خلاصنى (من القوم الظالمين) أى الذين  
 يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم فاستجاب الله تعالى  
 دعاه فوقفه لسلك الطريق الاعظم نحو مدين فكان ذلك سبب نجاته وذلك ان الذين اتدبوا  
 اليه قطعوا ابانه لا يسلك الطريق الا ككبر جريا على عادة الخائفين الهاربين وفي القصة  
 أن فرعون لما بعث في طلبه قال اركبوا اثيمات الطريق فانبثوا فيما ظنوه عيننا وشمالا فقاتهم  
 (ولما توجه) أى أقبل بوجهه قاصدا (تلقاه) أى الطريق الذي يلاقى سالكه أرض (مدين)  
 قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى ومشى من غير معرفة  
 فهداه الله تعالى الى مدين وقيل وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم  
 وكان من بنى اسرائيل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله  
 تعالى وقيل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين خائفا  
 بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر (قال عسى) أى جدير  
 وحقيق (ربي) أى المحسن الى (أن يهديني سواء) أى أعدل ووسط (السييل) أى الطريق  
 الذى يطلعنى الله تعالى عليها من غير اعوجاج وقال ذلك قبل أن يعرف الطريق اليها قبل ما  
 دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام  
 الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه  
 قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله تعالى لموسى عليه السلام (ولما ورد) أى وصل (ماء  
 مدين) وهو بئر كان يسقى منها الرعاة مواشهم (وجد عليه) أى الماء (أمة) أى جماعة كثيرة  
 (من الناس) مختلفين (يسقون) أى مواشهم (ووجد من دونهم) أى في مكان سواهم  
 أسفل من مكانهم (امرأتين) عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المرواة ومكارم الاخلاق كما يعلمه  
 من أمعن النظر فيما يذكر عنهما (تذودان) أى تحبسان وتنعان أغنامهما اذا فرغت من  
 العطش الى الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقال الحسن تكفان الغنم لئلا تتخطط بغنم  
 الناس وقال قتادة تكفان الناس عن أغنامهما وقيل لئلا يختلطن بالرجال وقيل كالتذودان

عن وجوههما نظرا الناظرين لتسترهما وقيل غير ذلك فكانه قيل فما قال موسى لهما قبل (قال)  
 لهما رحمة لهما (ما خطبكما) أي ماشأنا كما لا تسقيان مواشيكما مع الناس (قالوا نسقي) أي  
 مواشينا وحذف العلم به (حتى يصدر) أي ينصرف ويرجع (الرعاة) أي عن الماء خوف الزحام  
 فسقى وقرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع  
 أصدر يعدي بالهمزة \* (تنبيه) \* المفعول محذوف أي يصدرون مواشيهم والرعاة جمع راع مثل  
 تاجر وتجار أي نحن امرأتان لا يليق أن نزاحم الرجال فاذا صدر واسقينا مواشينا ما أفضلت  
 مواشيهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يستطيع لكبره أن يسقى فاضطررنا إلى ما ترى (تنبيه)  
 اختلف في أيهم - ما فقال مجاهد والنعمان والسدي والحسن أبوهما هو شعيب النبي عليه  
 السلام وانه عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته وقال  
 وهب وسعيد بن جبيرة هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كف بصره  
 فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل من آمن بشعيب قالوا فلما مع موسى قولهما رحهما فاقطلع  
 صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربها لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحق  
 ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين ويروى أن القوم لما رجعوا  
 بأغنامهم غطوا رأس البئر بججر لا يرفعه الا عشرة نفر وقيل أربعون وقيل مائة فجاء موسى ورفع  
 الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ويقال انه سألهن دلوا من ماء فاعطوهن دلوهن وقالوا اسق بها ركنت  
 لا يترعها الا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا فيه بالبركة فروى منه جميع الغنم (فان  
 قيل) كيف ساغ لنبي الله تعالى شعيب أن يرضى لابنتيه الرعي بالماشية (أجيب) بأن الناس  
 اختلفوا فيه هل هو شعيب أو غيره واذا قلنا انه هو كما عليه الاكثر فليس ذلك بمعذور فلا ياباه  
 الدين والناس مختلفون في ذلك بحسب المرواة وعاداتهم فيها متباينة وأحوال العرب والبدو  
 تبين أحوال العجم والحضر لاسيها اذا دعت الى ذلك ضرورة (فسقى) أي موسى عليه  
 السلام (لهما) والمفعول محذوف أي غنمهما لما علم ضرورتهما ما انتهز الفرصة الاجر وكرم  
 الخلق في مساعدة الضعيف مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم ولكنه رحهما  
 وأغنامهما وكفاهما أمر السقى في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آناه الله تعالى من  
 الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة (ثم تولى) أي انصرف جاعلا ظهره بلى ما كان يليه  
 وجهه (الى الظل) أي ظل سمرة فجلس في ظلها ليقيم ويستريح مقبلا على الخلق بعدما قضى  
 من نصيحة الخلائق وهو جائع قال الضحالك لبث سبعة أيام لم يذق طعاما الا بقل الارض (فسال  
 رباني) وأكد الاقتقار بالاصاف باللام دون الى بقوله (لما أنزلت الى من خير) قليل أو كثير  
 غث أو سمين (فقير) أي محتاج سائل \* (تنبيه) \* لما أنزلت متعلق بفتير قال الزمخشري عدى  
 فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير  
 الدين وهو النجاة من الظالمين وليس في الشكوى الى الغنى المطلق نقص قال ابن عباس  
 سأل الله تعالى فلقمة خبز يقيم بها صلبه وقال الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق عمرة وقال

سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو أكرم خلقه عليه وأنه كان قد بلغ به من  
 الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل وضعف حتى اصق بطنه الشريف بظهره وانما قال ذلك في  
 نفسه مع ربه وهو اللاتق به وقيل رفع به صوته لاجتماع المرأتين وطلب الطعام وهذا لا يليق  
 بموسى عليه السلام فانظر الى هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك  
 سوة وتبعه اماما وقدة وتقول ما لي الانبياء ولصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة  
 الدنيا صوننا لهم منها واكراما من ربهم عنها رفعة لدرجاتهم واستهانة لها وان ظنه الجاهل المغرور  
 على غير ذلك وفي القصة ترغيب في الخير وحث على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف  
 مع الجهد فلما رجعتا الى أبيهما سريا قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعلمكما  
 قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيمافتي لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي (بخاتمه  
 احداهما) ممثلة أمر أبيها وقوله (تمشي) حال وقوله (على استحياء) حال أخرى أى مستحبة  
 امامن جاءته وامامن تمشي قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ليست بسلفع من النساء  
 خراجة ولا جة ولكن جاءته مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء ثم استأنف الاخبار  
 بما تشوف اليه السامع بقوله تعالى (قالت) وأكدت اعلاما بما لا يبهم من الرغبة الى لقائه  
 (ان أبى) وصورت حاله بالمضارع بقولها (يدعوك ليحزبك) أى يعطيك مكافأة لك لان المكافأة  
 من شيم الكرام (أجر ما سقيت لنا) أى مواشينا قال ابن اسحق اسم الكبرى صفورا  
 والصغرى لبني وقيل لبيا وقال غيره صفرا و صفيرا وقال الضحاك صفورا وقال الاكثرون التي  
 جاءت لموسى الكبرى وقال الكلبي هي الصغرى قال الرازي وليس في القرآن دلالة على شئ  
 من هذه التفاصيل (فان قيل) في الآية اشكال احداها كيف ساغ لموسى عليه السلام أن  
 يعمل بقول امرأة وأن عشي معها وهي أجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال صلى الله  
 عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانها أنه سقى أغنامهما تنقربا الى الله تعالى فكيف يليق به أخذ  
 الأجرة عليه وذلك غير جائز في الشريعة وثالثها أنه عرف فقرهما وقرأ بهما وأنه عليه السلام  
 كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب بأقل سعي فكيف يليق بمرواة مثله طلب الأجرة على  
 ذلك القدر من الشيخ الفاضل الصغير والمرأة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام  
 أن يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عقيفاً أو فاسقا (أجيب) عن الاقول  
 بأن الخبر يعمل فيه بقول المرأة فان الخبر يعمل فيه بقول الواحد حراً كان أو عبداً ذكر كان  
 أو أنثى وهي ما كانت مخبرة الا عن أبيها وأما المشى مع المرأة بعد الاحتياط والتورع فلا بأس به  
 وعن الثاني بأن المرأة لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للأجرة بل للتبرؤ بذلك  
 الشيخ الكبير لما روى أنه لما دخل على شعيب عليه السلام اذا هو بالعشاء مهياً فقال اجلس  
 يا شاب فتمش فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك ألمت بجائع قال بلى ولكن أخاف أن  
 يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأما من أهل بيت لا تطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من  
 الدنيا وفي رواية لا يبيع ديننا بنينا ولا نأخذ بالعرف ثمننا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها



عادت وآباني نقرى الضيف ونظم الطعام فجلس موسى عليه السلام يأكل وأيضا فليس  
 بمنكر أن الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطبق يحمله ففعل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن  
 الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع بأن شعيبا عليه السلام كان يعلم طهارته  
 ابنته وبراءتها ما يوحى أو بغيره فكان يأمن عليها قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتسام  
 عيسى والحارية امامه فهبت الريح فوصفت رد فيها فمكروه موسى عليه السلام أن يرى ذلك  
 منها فقال لها امشي خلفي أو قال موسى اني من عنصر ابراهيم فكون خفي حتى لا يرفع الريح  
 ثيابك فأرى ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق برى الحصا لان صوت المرأة  
 عورة (فان قيل) لم خشى موسى عليه السلام أن يكون ذلك أجرة له على عمله ولم يكرمه مع الخضر  
 عليه السلام ذلك حين قال لو شئت لتخذت عليه أجرة أحبب بأن أخذ الأجرة على الصدقة  
 لا يجوز وأما الاستحجارا بتداء فغير مكروه (فما جاءه) أي موسى شعيبا (وقص) أي موسى عليه  
 السلام (عليه) أي شعيب عليه السلام (القصص) أي حديثه حديثه مع فرعون وآله في كفرهم  
 وطمعانهم واذلاهم لعباد الله تعالى \* (تنبية) \* القصص مصدر كالعامل يسمي به المتخصص  
 قال الضحاك قال له من أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران بن يصر بن قاهت ابن لاوي بن  
 يعقوب عليه السلام وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمرضع والتدخف في  
 اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقبضوه ثم ان شعيبا عليه السلام آمنه بأن (قال) له (لا تخف  
 فبوت من التوم الظالمين) أي قال فرعون لاسلطان له بأرضنا (فان قيل) ان المفسرين قالوا  
 ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في ألف الف وستمائة ألف والملك الذي هذا شأنه كيف  
 يعقل أن لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية أيام (أجيب) بان هذا ليس بحال وان كان نادرا  
 ولما آمنه واطمأن (فالت احدهما) أي المرأتين وهي التي دعته الى أيها مشيرة بالتداء بأداة  
 البعد الى استصغارها لنفسها وجمالة أيها (بأب استأجره) أي اتخذته أجير البري أغنامنا  
 (ان خير من استأجرت القوى الأمين) أي خير من استعملت من قوى على العمل شيء من  
 الاشياء وأداء الامانة قال أبو حيان وقولها قول حكيم جامع لا يزد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان  
 الخصلتان أعنى الكفائية والامانة في القسام بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت  
 بارسال هذا الكلام الذي سيقه سيق المنزل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته  
 وانما جعل خير من استأجرت اسما والقوى الأمين خير امع أن العكس أولى لان العناية  
 هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعلها ما هو أحق بأن يكون خيرا اسما وورود الفعل  
 بلنظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف وعن ابن عباس أن شعيبا اختطفته الغيرة  
 فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وان صوت أي خفض رأسه حين  
 باغته رسالة أيها اليه وأمرها بالمشي خلفه وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة بن شعيب  
 وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر ولما أعلمته ابنته بذلك (قال) لموسى  
 عليه السلام عند ذلك (انني أريد) يا موسى والتأكد لان الغريب قلما يرغب فيه أول ما يقدم

لاسيما من الرؤساء اتم الرغبة ( أن أنكحك احدي ابنتي هاتين ) أي الحاضرتين اللتين سقيت  
 لهما البيا متلها فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليهما قال أكثر المفسرين أنه زوجه  
 الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى وإنما هاضورا على خلاف تقدم في اسمها وقوله  
 هاتين فيه دليل على أنه كان له غيره ما وقوله ( على أن تأجرني ثمانى حجج ) اما من أجرته اذا  
 كنت له أجيرا كقولك أبوته اذا كنت له أبيا وثمانى حجج ظرفه أي ترى غنى ثمانى حجج واما من  
 أجرته كذا اذا ثبته آياه قاله القراء أي يجعل ثوابي من تزويجها أي يجعل أجرى على ذلك  
 وثوابي ثمانى حجج تقول العرب أجزك الله يا جزك أي أنابك ومنه تعزية رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أجزكم الله ورجلكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج ( فان قيل ) كيف صح  
 أن يتكلمه احدي ابنتيه من غير تمييز ( أجيب ) بأن ذلك لم يكن عقدا ولكن مواعدة ومواصفة  
 أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال أنكحتك ولم يقل اني أريد أن أنكحك وقد مرّت الاشارة  
 الى ذلك والحجج السنون واحدها حجة ( فان أتمت عشرا ) أي عشر سنين وقوله ( فن عندك )  
 يجوز أن يكون في محل رفع خبر المبتدأ محذوف تقديره فهي من عندك أو نصب أي فقد  
 زدتها من عندك أو تفضلت بها من عندك وليس ذلك بواجب عليك ( تنبيه ) هذا اللفظ يدل على  
 أن العقد وقع على أقل الاجلين والزيادة كالسبرع فالعقد وقع على معين ودلت الآية على أن  
 العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى أن عقد النكاح لا يفسد بالشرط التي لا يوجب العقد  
 ان كان وقع شرط هذه الزيادة في العقد ولما ذكر له ذلك أراد أن يعلم أن الأمر بعد الشرط  
 بينهما على المسامحة فقال ( وما أريد أن أشق عليك ) أي أدخل عليك مشقة بمنقشة ومراعاة  
 أوقات ولا في اتمام عشر ولا غير ذلك ثم أكد معنى المساهلة بقوله ( سيجدي ) وفتح الياء نافع  
 عند الوصل والياقون بسكونها ثم استثنى على قاعدة أنبياء الله وأيامه في المراقبة على سبيل  
 التبرك بقوله ( ان شاء الله ) أي الذي له جميع الأمر ( من الصالحين ) قال عمر أي في حسن الصحبة  
 والوفاء بما قلت أي وكل ما تريد من كل خير وقيل أراد السراح على العموم ( فان قيل ) كيف  
 يعقد العقد بهذا الشرط ولو قلت أنت طالق ان شاء الله لم تطلق ( أجيب ) بأن هذا انما يختلف  
 بالشرايع أو ان ذلك ذكر للتبرك ( قال ) أي موسى عليه السلام ( ذلك ) أي الذي ذكرته وعاهدتني  
 فيه وشارطتني عليه ( بيني وبينك ) أي قائم بيننا جميعا لا يخرج كلاً ناعنه لا أنا عاشرطت على ولا  
 أنت عاشرطت على نفسك \* ( تنبيه ) \* ذلك مبتدأ والظرف خبره وأضيفت بين لمفرد  
 لتكررها وعطف بالوار ولو قلت المال لزيد فعمرو لم يجوز الاصل ذلك بيننا كما مر ففرق بالعطف  
 ثم فسر ذلك بقوله ( أي أي ) ( الاجلين ) ما زائدة ( قضيت ) أي فرغت أطولهما  
 الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثمان ( فلاحدون ) أي اعتداء بسبب ذلك ولا  
 لاحد ( على ) في طاب أكثر منه لانه كما لا تجب الزيادة على العشر لا تجب الزيادة على الثمان  
 ( فان قيل ) تصور العدوان انما هو في أحد الاجلين الذي هو أقصر وهو المطالبة بتممة العشر فما  
 معنى تعليق العدوان بهما جميعا ( أجيب ) بأن معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر

كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طوبى بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه  
 ثابت مستقر واثبات الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما  
 التهمة فوكالة الى رأي ان شئت أثبت بها والالم أجبر عليها وكأنه أشار بنبي صيغة المبالغه الى أنه  
 لا يؤخذ لاسعة صدره وطهارة أخلاقه بطلاق العدوان (والله) أى الملك الاعظم (على ما نسول)  
 أى كله في هذا الوقت وغيره (وكيل) قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حسيظ  
 وعن سعيد بن جبير قال سألتني يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى فقلت لأدرى  
 حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وروى عن  
 أبي ذر مر فوعا إذا سئلت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وإذا سئلت فأى المرأتين تزوج  
 فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت بأبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوقاهما  
 وقال وهب أنكجه الكبرى وروى عن شذا بن أوس مر فوعا بكى شعيب عليه السلام حتى عمى  
 فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى  
 عليه بصره وقال له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار قال لا يارب ولكن شوقا  
 الى لقائك فأوحى الله تعالى اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك يا شعيب لذلك أخذ منك موسى كلبى ولما  
 تم العقد بينهما امر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا فى تلك  
 العصا فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي  
 بها موسى ايملا فدفعها اليه وقال آخرون كانت من أس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها  
 الانبياء وكان لا يأخذها غيري الا أكتنه فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت  
 الى شعيب وكانت عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده فأعطاها موسى وقال السدى  
 كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فأمر ابنته أن تأتبه بعصا فدخلت فأخذت  
 العصا فأتت بها فلما رآها شعيب قال لها ردى هذه العصا وأتبه بغيرها فدخلت فألقته وأرادت  
 أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها الاهى حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات فأعطاها موسى فأخذها  
 موسى معه ثم ان الشيخ ندم فقال كانت ودبعة فذهب فى اثره فطلب أن يردها فصافى موسى  
 أن يعطيه وقال هى عصاى فرضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاهما فلقه ما ملك فى مورة رجل  
 فكلم أن تطرح العصا فن حملها فهى له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ فلم يطقها فأخذها  
 موسى بيده فرفعهما فتركها له الشيخ وروى ان شعيبا عليه السلام كان عنده عصى الانبياء فقال  
 لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم  
 تزل الانبياء تتوارثها حتى وقعت الى شعيب فسمها وكان مكشوفها فوضن أى يجزل بها فقال غيرها  
 فما وقع فى يده الاهى سبع مرّات فعلم ان له شأننا وعن الحسن ما كانت الاعصا من الشجر اعترضها  
 اعتراضا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى موسى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح  
 قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على عيئك فان الكلاء وان كان بها كثيرا الا أن فيها  
 تينا أششاء عليك فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كنهها فشى على اثرها فاذا عشب وريف

لم ير مثله فنام فاذا ابالتنين قد أقبل فخاربه العاصحتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما  
أبصرها دامية والتين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجد هاملاى  
البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن موسى والعصا شأنا (فلما قضى موسى الاجل) أى  
أتمه وفرغ منه وزوجه ابنته قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشر أخرى فأقام عنده عشرين  
سنة ثم إن شعيبا عليه السلام أراد أن يجازى موسى على رعيته اكرامه وصلة لا يقته فقال له انى  
وهبت لك من الجداء التى تضعها أغنأى هذه السنة كل أباق وبلقاء فأوحى الله تعالى الى موسى  
فى المنام أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام قال فاضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى  
الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق  
ساقه الله عز وجل الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وسلم الاغنام اليه ثم إن موسى استأذنه  
فى العود الى مصر فأذن له فخرج (وسار بأهله) أى امرأته راجعا الى أثاربه بمصر (آنس)  
أى أبصر من بعيد (من جانب الطور) اسم جبل (نارا) أنسته رؤيتها وكان فى البرية فى ليلة  
مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق حينئذ (قال لاهله امكنوا) أى ههنا وقرأ حزة  
فى الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل وعبر موسى عليه السلام بضمير الذكور فعمل كان معه  
بنون فغلبهم على امرأته وقد ذكرت غير ذلك فى السورة التى قبل هذه ثم عمل ذلك بقوله مؤكدا  
لاستبعاد أن يكون فى ذلك المكان القفر وفى ذلك الوقت الشديد البرد نارا (انى آنست نارا)  
فتح الياه نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون كأنها قيل فماذا تعمل بها فقال معبرا بالترجى  
لانه اليبق بالتواضع (لعل آتيكم منها) أى من عندها (بجحر) أى عن الطريق لانه كان قد  
أخطأها (أوجدوة) أى قطعة وشعلة (من النار) وقال قتادة ومقاتل هو العود الذى  
احترق بعضه \* (تبييه) \* من النار صفة بلذرة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لان  
هذه النار هى النار المذكورة والعرب اذا قدمت نكرة وأرادت اعادةها مضمرة  
أو معروفة بال العهدية وقد جمع الامرين هنا وقرأ عاصم بفتح الجيم وحزبه بضمها والباقون  
بالكسر وكلها التات وجمعها جذى ثم استأنف قوله (اعلمكم تهطلون) أى لتسكنوا على  
رجاء من أن تتربوا من النار فتهطلوا عليها للتدفؤ وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء (فلما  
أتاها) أى النار وبني (نودى) للمفعول لان آخر الكلام يدل دلالة واضحة على أن  
المنادى هو الله تعالى ولما كان نداءه تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب  
ومع ذلك قد يكون لبعض المواضع من يد شرف بوصف من الاوصاف اما بأن يكون اول  
السمع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار موسى عليه السلام قال (من شاطئ الوادى)  
فن لا يتداء الغاية وقوله تعالى (اليمين) صفة للشاطئ أو للوادى واليمين من اليمن وهو  
البركة أو من اليمين المعادل لليسا من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى أى الذى  
يلى عينك دون يسارك والشاطئ صفة الوادى والنهر أى حافته وطرفه وكذا الشط والسف  
والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطئ أشطاء قاله الراغب وشاطا فلانما شينه سار بها على الشاطئ

وقوله تعالى (في البقرة المباركة) متعلق بنودي أو بمحذوف على أنه حال من الشاطي ومعنى  
 المباركة جعلها الله تعالى مباركة لأن الله تعالى كلم موسى عليه السلام هناك وبعثه نبيا وقال  
 عطاء يريد المقدسة وقوله تعالى (من الشجرة) بدل من شاطي أنوادي بإعادة الجار بدل اشتمال  
 لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطي قال البقاعي ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل إليها دخل  
 النور من طرفها إلى وسطها فدخلها وراه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام من الله تعالى  
 حقيقة وهو المتكلم سبحانه وتعالى لا الشجرة قال القشيري وحصل الإجماع على أنه عليه السلام  
 سمع تلك الليلة كلام الله تعالى ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال  
 التفقاراني في شرح المقاصد ان اختيار حجة الاسلام أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف  
 كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف واختلف في الشجرة ما هي فقال ابن مسعود كانت  
 سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة وقال وهب من العليق وعن ابن  
 عباس أنها العناب ثم ذكر المنادي به بقوله تعالى (أن يا موسى) فان هي مفسرة لا لمحققه (انني  
 أنا الله) أي المستجمع للاسماء الحسنى والصفات العليا وفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو  
 وسكنها الباقون ثم وصف نفسه سبحانه تعالى بقوله (رب العالمين) أي خالق الخلائق  
 أجمعين ومريهم قال البيضاوي هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو طبقه في  
 المقصود انتهى وقال ابن عادل واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودي أن يورك من في النار  
 ومن حولها وقال ههنا اني أنا الله رب العالمين وقال في سورة طه اني أنا ربك ولا منافاة بين  
 هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل لأنه تعالى حكى في كل سورة ما شغل عليه ذلك النداء ثم  
 ان الله تعالى أمره أن يلقى عصاه ليربه آية بقوله تعالى (وأن ألق عصاك) أي لاريك فيها آية  
 فألقاها فصارت في الحال حية عظيمة وهي مع عظمها في غاية الخفة (فلما رآها) أي العصا  
 (تهتز) أي تتحرك كأنها في سرعتها وخفتها (جان) أي حية صغيرة (ولي مدبرا) خوفانها  
 ولم يلتفت إلى جهتها وهو معنى قوله تعالى (ولم يعقب) أي موسى عليه السلام وذلك كتابة عن  
 شدة التميم على الهرب والاسراع فيه خوفا من الأدرالك في الطلب فقبل له (يا موسى أقبل)  
 أي التفت وتقدم إليها (ولا تصف) ثم أكد له الأمر لما لا أدى مجبول عليه من النقرة وان  
 اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى (انك من الأمنين) أي العريقين في الأمن كعبادة اخوانك  
 من المرسلين فانه لا يخاف لدى المرسلون ثم زاد طمأينته بقوله تعالى (اسلك) أي ادخل على  
 الاستقامة مع الخفة والرشاقة (بذلك في جيبك) أي القطع الذي في ثوبك وهو الذي يخرج  
 منه الرأس أو هو الكتم كما يدخل السلك وهو الخيط الذي ينظم فيه الدر (تخرج بيضا) بيضا  
 عظيما يكون له شأن خارق للعادات (من غير سوء) أي عيب من أثر الحريق الذي يحترق فرعون  
 عن مداوانه أو غيره فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس يعنى البصر \* (تنبه) \*  
 قد ذكر هذا المعنى ثلاث عبارات احداها هذه وثانيتها واضحة يدك إلى جناحك وثالثتها  
 وادخل يدك في جيبك (واضم اليك جناحك) أي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية



فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يعينه بأن (قال رب) أي أيها المحسن إلى (أني قتلت منهم  
 نفساً) هو القبطي السابق وأنت تعلم أني ما خرجت إلا هارباً منهم لاجلها (فأخاف) أن يبدؤهم  
 بمثل ذلك (أن يقتلوني) به لوحدي وغرقتي وثقل لساني في إقامة الحج فأخاف أن ينفوت  
 المقصود يقتلي ولا يحمي من ذلك الأنت وإن لساني فيه عقدة (وأخي هرون هو أفصح مني  
 لساناً) أي من جهة اللسان للعقدة التي كانت حصلت له من وضع الجردة في فيه وهو طفل  
 في كفالة فرعون وقيل كانت من أصل الحلقة والنصاحة لغة الطلوص ومنه فصح اللبن خالص  
 من رغوته وفصح الرجل جادت لفته وأفصح تكلم بالعربية (فأرسله) أي بسبب ذلك (معي  
 رداً) أي معينا من ردأت فلانا بكذا أي جعلته له قوة وعاضدا ووردت الحائط إذا دعت  
 بخشب أو كبش يدفعه أن يسقط وقرأ نفع ينقل حركة الهمزة إلى الدال وحذف الهمزة  
 والباقون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها \* ولما كان له عليه من العطف والشفقة ما يقصر  
 الوصف عنه نبه على ذلك بإجابة السؤال بقوله (يصدقني) أي بأن يخلص بنصاحته ما قلته وبينه  
 ويقم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحاً فيكون مع تصديقه لي بنفسه سبباً في تصديق غيره لي  
 وقرأ عاصم وجزء بضم القاف على الاستئناف أو الصفة لردأ والباقون بالسكون جواباً  
 للأمر قال الرازي ليس الغرض بتصديق هرون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق  
 موسى وانما هو أن يخلص بلسانه الفصح وجوب الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به  
 الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفائدة الفصاحة انما تظهر في ذلك لافي مجرد قوله صدقت قال  
 السدي نبيان وآيات أقوى من نبي واحد وآية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة وأما من  
 جهة الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سؤاله هذا بقوله (أني أخاف أن يكذبون) أي  
 فرعون وقومه ولساني لا يطاوعني عند المحاجة (قال) الله تعالى له مجيباً السؤاله (سنشد  
 عضدك) أي أمرك (بأخيك) أي سنقويك ونعينك به (ونجعل لك سلطاناً) أي  
 ظهوراً عظيماً وغلبة لهم بالحج والهيبة لاجل ما ذكرت من الخوف (فلا) أي فتسبب عن  
 ذلك أنهم لا (يصلون اليك) بنوع من أنواع الغلبة (بآياتنا) أي تجعل ذلك بسبب  
 ما يظهر على أيديكم من الآيات العظيمة بنسبتها لنا ولذلك كانت النتيجة (أنتما ومن  
 اتبعكما) من قومكما وغيرهم (الغالبون) أي لا غيركم وهذا يدل على أن فرعون لم يصل إلى  
 السحرة بشئ مما عهد لهم به لأنهم من أكبر الاتباع الباذلين أنفسهم في الله تعالى وليس  
 في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ما أوعدهم به قال البقاعي وكانه حذف أمرهم هنالكانه في بيان  
 أمر فرعون وجنوده بدليل ما كرر مر ذكرهم وقد كشفت العاقبة عن أن السحرة ليسوا من  
 جنوده بل من حزب الله تعالى وجزئته ومع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية والتي بعدها \*  
 \* ولما كان التقدير فاتاهم كما أمره الله تعالى وعاضده أخوه كما أخبر الله تعالى ودعاهم إلى الله  
 تعالى وأظهر ما أمر به من الآيات بنى عليه مبيغاً بالعام سرعة امتثاله (فلما جاءهم) أي  
 فرعون وقومه ولما كانت رسالة هرون عليه السلام انما هي تأييد موسى عليه السلام أشار

الى ذلك بالتصريح باسم الجاني بقوله تعالى (موسى يا آياتنا) أى التى أمرنا بها الدالة على جميع الآيات للتساوى فى حرق العادة حال كونها (بينات) أى فى غاية الوضوح (قالوا) أى فرعون وقومه (ما هذا) أى الذى أظهرته من الآيات (الاسحر مقترى) أى مخنلق لأنه مجزأة من عند الله ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم (وما عشنا) أى ما حدثنا (بهذا) أى الذى تدعونا اليه وتقول من الرسالة عن الله تعالى (يا آياتنا) وأشاروا الى البدعة التى أضلت كثيرا من الخلق وهى تحكيم عوائد التقليد لاسيما عند تقادمها على القواطع فى قولهم (الاولين) وقد كذبوا وافتروا القديمة معوا بذلك على أيام يوسف عليه السلام \* وما بالعهد من قدم \* فقد قال لهم الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (و) لما كذبوه وهم الكاذبون (قال) لهم (موسى بنى) أى المحسن الى (أعلم) أى عالم (بمن جاء بالهدى) أى الذى أذن الله تعالى فيه وهو حق فى نفسه (من عنده) فيعلم أى محق وأنتم مطلون وقرأ ابن كثير بغير واو قبل القاف لانه قاله جوابا لمقالمهم والباقون بالواو لأن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما الميرصحيهما من فاسدهما (ومن تكون له) أى لكونه منصورا مؤيدا (عاقبة الدار) أى الراحة والسكن والاستقرار (فان قيل) العاقبة المحجودة والمذمومة ككتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخيرا وبشر فلم تختص خاتمتها بالخير بهده التسمية دون خاتمتها بالشر (أجيب) بأن الله تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لأجله ليلبغوا خاتمة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانهم من تأنج تخويف القبحار وقرأ جزء والسكاني بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث \* ثم علل ذلك بما أجرى الله تعالى به عادته فقال معلما بأن المخذول هو الكاذب اشارة الى أنه الغالب لكون الله تعالى معه مؤكدا لما استقر في الانفس من أن القوى لا يغلبه الضعيف (انه لا يفلح) أى لا يظفر ولا ينفوز (الظالمون) أى الكافرون الذين يعيشون كما يشي من هوى الظلام بغير دليل (وقال فرعون) جوابا لهذا الترغيب والترهيب (يا أيها الملام) أى الاشرف معظما لهم استجلا بالقلوبهم (ما علمت لكم من الغيبرى) فضمن كلامه نفي الهيمه غيره واثبات الهيمه نفسه فكانه قال ما لكم من اله الا أنا كما قال الله تعالى قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض أى بما ليس فيهن وذلك ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الاعلى ما هو عليه فاذا كان الشئ معدوما لم يتعلق به موجود فنم كان انتفاء العلم بوجوده انتفاء لوجوده فم برعن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وانى لانتفه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا فى اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كالقنين بل عالما بعبه قول موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر

قوله ولو لم يكن  
المخذول الخ لم يذكر  
جواب لو على ما فى  
النسخ التى بأيدنا  
وقد ذكره الكشاف  
بقوله لما تكلف ذلك  
النبيان العظيم  
فراجعهم اه مصححه



\* ثم تسبب عن جهله قوله لوزيره معلاله صنعة الأجر لانه أقول من عمله قال عمر رضي الله تعالى  
 عنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر ما علمت ان أحدا يبنى بالآجر غير فرعون  
 (فأوقدلى) وأضاف الايقاد اليه اعلاما بأنه لا يذمنه (ياها مان) وهو وزيره (على الطين) أى  
 المتخذ لبنا بصيرا جرا ثم تسبب عن الايقاد قوله (فاجعللى) أى منه (صرحا) أى قصر اعالمنا  
 وقيل منارة وقال الزجاج هو كل بناء متسع مرتفع (لعللى أطلع) أى أتكاف الطلوع (الى  
 اله موسى) أى الذى يدعو اليه فانه ليس فى الارض أحد يهبط الى الوصف الذى ذكره فأنا أطلبه  
 فى السماء موها لهم انه مما يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه يقصد المدافعة  
 من وقت الى وقت قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع العمال والفعلة  
 حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ومن يطبخ الأجر والبص وينجر الخشب  
 ويضرب المسامير فرعون وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق أراد الله  
 تعالى أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فأمر ببناء فضرِبَ بها نحو السماء فردت  
 اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله تعالى  
 جبريل عليه السلام فضرِبَ الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوق وقع منها قطعة على عسكر  
 فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر ووقعت فى المغرب ولم يبق أحد من  
 عمل فيه بشئ الا هلك ثم زادهم شكابوتوله مؤكدا لاجل رفع ما استقر فى الانفس من صدق موسى  
 عليه السلام (وانى لا ظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) أى دأبه ذلك وفرعون هو  
 الذى قد لبس وكذب ووصف أصدق أهل ذلك الزمان بصفة نفسه الغريقة فى العدوان  
 (واستكبر) أى أوجد الكبر بغاية الرغبة فيه (هو) بقوله هذا الذى صدّهم به عن السبيل  
 (وجنوده) باعراضهم لشدة رغبتهم فى الكبر على الحق والاتباع للباطل (فى الارض) أى أرض  
 مصر قال البقاعى وعله عرفها اشارة الى أنه لو قدر على ذلك فى غيرها فعل (بغير الحق) أى بغير  
 استحقاق قال البقاعى والتعبير بالتعريف يدل على أن التعظيم بنوع من الحق ليس يكبر وان  
 كانت صورته كذلك وأما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه  
 الكبرياء رداق والعظمة ازارى فمن نازعنى وأحد منهم ما التسته فى النار (وطنوا) أى فرعون  
 وجنوده طنابوا عليه اعتقادهم فى أصل الدين الذى لا يكون الا بقطع (أنهم البنا) أى الى  
 حكمنا خاصة الذى يظهر عند انقطاع الاسباب (لا يرجعون) بالشورى وقرأ نافع وحزرة والكسافى  
 بفتح الباء وكسر الجيم والباقون بضم الباء وفتح الجيم \* ولما تسبب عن ذلك اهلا كههم قال تعالى  
 (فأخذناهم وجنوده) كلهم أخذ قهروا وتقمة وذلك علمناهم وأشار تعالى الى احتقارهم  
 بقوله تعالى (فتبذناهم) أى طرحناهم (فى اليم) أى البحر المالح فغرقوا فكانوا على  
 كثرتهم وقوتهم كخصيات صغار قد ذفها الرامى الشديد الدرهم من يده فى البحر ونحو ذلك قوله  
 تعالى وألقينا فيهم راسى شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكادكة واحدة  
 \* ولما تسبب عن هذه الآيات من العاوم ما لا تحيط به الفهوم قال تعالى (فانتظر) أى أيها

المعبر بالآيات الناظر فيها نظر اعتبار (ككيف كان عاقبة) أي آخر أمر (الظالمين)  
 حيث صاروا إلى الهلاك فحذر قومك عن مثلها وفي هذا إشارة إلى أن كل نظام تكون عاقبته  
 هكذا إن صابره المظلوم الحق ورباطه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين \* ولما كان من سن سنة  
 حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها  
 ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة قال الله تعالى (وجعلناهم) أي في الدنيا (أئمة) أي  
 قدوة للضلال بالحل على الاضلال وقيل بالتسمية كتوله تعالى و جعلوا الملائكة الذين هم عباد  
 الرحمن اناثاً وجمع الاطاف الصارفة عنه (يدعون) أي يوجدون الدعاء لمن اغترب بحالهم  
 فضل بضلالهم (إلى النار) أي إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وأما أئمة الحق فأنما  
 يدهون إلى موجبات الجنة من فعل الطاعات والنهي عن المنكرات جعلنا الله تعالى  
 وأحبناهم بمحمد وآله \* ولما كان الغالب من حال الأئمة النصرة وقد أخبر عن خذلانهم  
 في الدنيا قال تعالى (ويوم القيامة) أي الذي هو يوم التغاين (فيصرون) أي لا يكون لهم  
 نوع نصرة تدفع العذاب عنهم (وأبغناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردنا عن الرحمة ودعاء  
 عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه إن خالفهم أو بقلبه الذي يكون عليهم مثل وزره إن  
 وافقهم وإنما قال الله تعالى الدنيا ولم يقل الحياة قال البقاعي لأن السياق لتحقير أمرهم  
 ودناءة شأنهم (ويوم القيامة هم) أي خاصة ومن شاكلهم (من المقبوحين) أي المبعدين  
 أيضاً المخزيين مع قبح الوجوه والاشكال والشناعة في الأقوال والأفعال والاحوال من  
 القبح الذي هو ضد الحسن من قولهم قبح الله العدو وأبعده عن كل خير وقال أبو عبيدة من  
 المهلكين قال البقاعي في البالية شعري أي صراحة بعد هذا في أن فرعون عدو الله في الآخرة  
 كما كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله على من يقول انه مات مؤمناً وانه لا صراحة في القرآن بأنه  
 من أهل النار وعلى من يشك في كفره بعدما ارتكبه من جلي أمره انتهى وقد قدمت الكلام  
 في سورة يونس على قول فرعون وأنا من المسلمين \* ثم انه تعالى أخبر عن أساس امامة بني اسرائيل  
 مقسم عليه مع الافتتاح بحرف التوقيع بقوله (ولقد آتينا) أي بما لنا من الجلال والكمال  
 (موسى الكتاب) أي التوراة الجامعة للهدى والخير في الدارين قال أبو حيان وهو أول  
 كتاب نزلت فيه الفرائض والاحكام (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) أي من قوم نوح إلى  
 قوم فرعون وقوله تعالى (بصائر للناس) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوار  
 القلوب فيبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل كما أن البصر نور العين الذي تبصر به  
 (وهدى) أي للعامل بها إلى كل خير (ورحمة) أي نعمة هنيئة شريفة لانها فائدة اليها وماذا كر  
 حالها ذكر حالهم بعد انزالها بقوله تعالى (لعلهم يتذكرون) أي ليتمكن كون حالهم حال  
 من يرجى تذكره \* ثم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وما كنت)  
 أي يا أفضل الخلق (بجانب الغربي) قال قتادة بجانب الجبل الغربي وقال الكوفي بجانب  
 الوادي الغربي أي الوادي من الطور الذي رأى موسى عليه السلام فيه النار وهو ما يلي البحر

من جهة الغرب على عين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر فناده فيه العزير  
 الجبار وهو ذوطوى (اذ) أي حين (قضيئا) أي أوحينا (الى موسى الامر) أي أمر  
 الرسالة الى فرعون وقومه وما يريد أن يفعل من ذلك في أوله وأثنائه وآخره مجمل فكان كل ما  
 أخبرنا به مطابقا تفصيلا لاجاله (وما كنت) أي بوجه من الوجوه (من الشاهدين) لتفاصيل  
 ذلك الامر الذي أجلاه موسى عليه السلام حتى تخبر به كله على هذا الوجه الذي اتيناك به  
 في هذه الاساليب المعجزة ولا شك أن معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف  
 الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله تعالى (ولا تكلم) اي بما لنا من العظمة (أنشأنا) بعدما  
 أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة وهم السبعون المختارون للميقات  
 أو بالأخبار كلها (قرونا) أي أعما كثيرة بعد موسى عليه السلام (فتطاول) أي عبر وره وعلوه  
 (عليهم العمر) أي ولكنا أوحينا اليك أنا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى عليه السلام فتطاولت  
 عليهم المدد ففسوا العهد واندرست العلوم وانقطع الوحي فحذف المستدرك وهو أوحينا  
 وأقام سببه وهو الانشاء مقامه على عادة الله تعالى في اختصاراته فهذا الاستدراك شبيه  
 بالاستدراكين بعده (فان قيل) ما الفائدة في اعادة قوله تعالى وما كنت من الشاهدين بعد قوله  
 وما كنت بجانب الغربي لانه ثبت بذلك أنه لم يكن شاهدا الا ان الشاهد لا بد أن يكون حاضرا  
 (أجيب) بأن ابن عباس قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع  
 فانه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة  
 والكسائي بضم الهاء والميم وحزرة في الوقت بضم الهاء وسكون الميم والباقون في الوصل  
 بكسر الهاء وضم الميم \* والماتني العلم عن ذلك بطريق الشهود نفي سبب العلم بذلك بقوله تعالى  
 (وما كنت ناويا) أي مقيما اقامة طويلة مع الملازمة بدين (في أهل مدين) أي قوم شعيب عليه  
 السلام كقمام موسى وشعيب فيهم (تلق) أي تقرا (عليهم) تعلم منهم (آياتنا) العظيمة التي منها  
 قصتها لتكون عن يدهم بأمر الوحي ويتعرف دقيق أخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه  
 السلام معك (ولكنا كما مر سلين) اياك رسولا وأزانا عليك كما باقية هذه الاخبار تتلوها عليهم  
 ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي ناحية الجبل الذي كلم الله تعالى  
 عليه موسى عليه السلام (اذ) أي حين (نادينا) أي أوقعنا النداء لموسى عليه السلام فأعطيناه  
 التوراة وأخبرناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا أو من قبله ومن المشهور أنك لم تطلع  
 على شيء من ذلك من قبله لانك ما خاطت أحدا من حمل تلك الاخبار عن موسى عليه السلام  
 ولا أحدا جلتها من جلتها عنه ولكن كان ذلك اليك منا وهو معنى قوله تعالى (ولكن) أي  
 أنزلنا ما أوردنا وأرسلناك به (رحمة من ربك) لك خصوصا وللخلق عموما وقيل ان نادينا موسى  
 خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت  
 ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلي يا رب فقال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آياتهم  
 وقال أبو زرعة نادى يا أمة محمد قد أجبتمكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني

وروى عن ابن عباس ورفعهم بعضهم قال الله تعالى يا أمة محمد فا جا بوه من أصلاب الآباء وأرحام  
الائمهات ليبيك اللهم ليبيك ان الحمد لله والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد  
ان رحمتي سبقت غضبي وغفوي عفاي قد أعطيكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن  
تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفروني من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله  
وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر \* (تنبيه) \* قال  
البيضاوي لعل المراد به أي بقوله تعالى وما كنت بجانب الطور إذ نادى ساوت ما أعطى  
التوراة وبالاول أي قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا حيث استنبأناه لانهما  
المذكوران في القصة وقوله تعالى (لتنذر) أي لتحذر تحذيرا كثيرا (قوما) أي أهل قوة  
ونجدة ليس بهم عائق عن أعمال الخير العظيمة الا الاعراض عندك وهم العرب ومن في ذلك  
الزمان من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف (ما أتاهم) وعم النسخة بزيادة الجار في قوله تعالى  
(من نذير) وزيادة الجار في قوله تعالى (من قبلك) يدل على الزمن القريب وهو زمن  
الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحو هذا قوله تعالى  
لتنذر قوما ما أنذرتهم وقيل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما السلام  
على أن دعوة موسى وعيسى كانت مخصصة بين اسرائيل وما حولهم (لعلهم يذكرون) أي  
يتعظون (ولولا أن تصيبهم) أي في وقت من الاوقات (مصيبة) أي عظمة (بما قدمت  
أيديهم) أي من المعاصي التي قضينا بانها مما لا يعنى عنها (فيعقولوا ربنا) أي أيها الحسن البنا  
(لولا) أي هلا ولم لا (أرسلنا البنا) أي على وجه التشریف لنا لنكون على علم بأننا من  
يعتني الملك الاعلى به (رسولا) وأجاب التحضيض الذي شبهه بالامر ليكون كل منهما  
باعنا على الفعل بقوله تعالى (فتتبع) أي فيتسبب عن ارسال رسولك ان تتبع (آياتك  
وتكون) أي كونا هو في غاية الرسوخ (من المؤمنين) أي المصدقين لك في كل ما أتى به  
عند رسولك \* (تنبيه) \* لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف تقديره كما قال الزجاج  
ما أرسلنا اليهم رسولا يعني ان الحاصل على ارسال الرسل اراحة عليهم بهذا القول فهو  
كقوله تعالى لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والثانية تحضيضية وتتبع جوابها كما مر  
فلذلك أضرمان (فان قيل) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال  
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (أجيب) بأن القول هو المقصود بان يكون سببا  
للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة  
كأنها سبب للارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا ويحى بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية  
معنى السببية ويؤلف معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اخترت  
هذه الطريقة لتسكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجوابه الى العلم  
اليقيني بطلان دينهم لم يقولوا لولا أرسلت النار لولا بل انما يقولون اذا نالههم العقاب وانما  
السبب في قواهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم عز وجل

وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم - ما لا يخفى وهو كقوله  
 تعالى ولوردوا العاد والمانسواعنه \* ولما كان التقدير ولكأثر لئلا يظن بالحق لقطع حجته هذه  
 بنى عليه ( فلما جاءهم ) أي أهل مكة ( الحق ) أي الذي هو أعم من الكتاب والسنة وما يقاس  
 عليهما وهو في نفسه جدير بأن يقبل لكونه في الذروة العليا من الثبات فكيف وهو ( من عندنا )  
 على ما لنا من العظمة وهو على - انك وأنت أعظم الخلق ( قالوا ) أي أهل الدعوة من العرب  
 وغيرهم تعنتوا وكفرا به ( لولا ) أي هلا ولم لا ( أوتى ) أي هذا الاتي بما يزعم أنه الحق من  
 الآيات ( مثل ما أوتى موسى ) من الآيات كاليد البيضاء والعسا وغيرهما من كون الكتاب  
 أنزل عليه جلة واحدة قال الله تعالى ( أولم يكفروا ) أي العرب ومن بلغته الدعوة من  
 بنى اسرائيل ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى ( بما أوتى موسى ) عليه السلام  
 ( من قبل ) أي من قبل محجبه الحق على اسان محمد صلى الله عليه وسلم \* ولما كان كأنه قد قيل  
 ما كان كفرهم به قيل ( قالوا ) أي فرعون وقومه ومن كفر من بنى اسرائيل ( ساحران ) أي  
 موسى وأخوه عليهما ما السلام ( تظاهرا ) أي أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما  
 معجزا فغلبا جميع السحرة وتظاهرا الساحرين من تظاهرا السحريين على قراءة الكوفيين بكسر  
 السين وسكون الحاء وقرأ الباؤون بفتح السين وكسر الحاء وأتف بينهما \* ( تنبيه ) \* يجوز  
 أن يكون الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلاة والسلام قال البقاعي وهو أقرب وذلك لانه روى  
 أن قريشا جاءت الى اليهود فدفعوا لهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم  
 فتألو هذه المقالة فيكون الكلام استنفا للجواب من كأنه قال ما كان كفرهم به ما قيل قالوا  
 أي العرب الرجلان ساحران أو الكتابيان ساحران تظاهرا أحدهما الآخر مع علم كل ذي لب أن  
 هذا القول زيف لانه لو كان شرطا معجزا لسحر التظاهر لكان سحر فرعون أعجزا عماز لانه  
 تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر ومعجزا عن معارضة ما أظهر موسى عليه السلام من آياته  
 كالعصا وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا أهل الارض من الجن والانس الى معارضة  
 كتابه وأخبرهم أنهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فمعجزا عن آخرهم \* ولما تضمن  
 قولهم ذلك الكفر صراحة ( وقالوا ) أي كفار قريش ( انابكل ) أي من الساحرين  
 أو السحريين الذين تظاهرا بهما وهما ما أتيا به من عند الله ( كافرين ) جراحة على الله  
 تعالى وتكبرا على الحق ثم قال الله تعالى ( قل ) أي لهم الزامان كنتم صادقين في اني ساحر  
 وكتابي سحر وكذلك موسى عليه السلام ( فأتوا بكتاب من عند الله ) أي الملك العلي الاعلى  
 ( هو ) أي الذي تأتون به ( أهدي منهما ) أي من الكتابين وقوله ( أتبعه ) أي وأثر كهما  
 جواب الامر وهو فأتوا ( ان كنتم ) أي أيها الكفار ( صادقين ) أي في اننا ساحران فأتوا  
 بما أزمتمكم به قال البيضاوي وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيك ولعل يحى \*  
 حرف الشك لانه لم يثبت لهم ( فان لم يستجيبوا لك ) أي دعاك الى الكتاب الا هدى فخذف المنعول

للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدى إليه حذف  
الدعاء غالباً كقول القائل

وداع (أى ورب دواع) دعاء من يجيب إلى النداء \* فلم يستجبه عند ذلك مجيب  
الشاهد في استجبه حيث عداه إلى الداعي وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب دعاءه (فاعلم)  
أنت (أعني تبعون) أى بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر والتكذيب (أهواهم) أى  
دأبوا أكثر الهوى مخالف للهدى فهم ضالون غير مهتدين بل هم أضل الناس وذلك معنى  
قوله تعالى (ومن أضل ممن اتبع) أى بغاية جهده (هواهم) أى لأحد أضل منه فهو  
استفهام بمعنى النبي وقوله تعالى (بغير هدى من الله) في موضع الحال للتوكيد والتقيد  
فإن هوى النفس قد يوافق الهدى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) أى وإن كانوا أقوى  
الناس لاتباعهم أهواهم (ولقد وصلنا) قال ابن عباس يينا وقال القراء أنزلنا آيات القرآن  
يتبع بعضها بعضاً (لهم) أى خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها  
(القول) أى القرآن قال مقاتل يينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف  
عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عابثوا الآخرة  
في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أى ليكون حالهم حال من يرجى لهم أن يرجعوا إلى عقولهم فيجدوا  
فيما طبع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كأنه قيل هل تذكر منهم أحد قيل نعم أهل الكتاب الذين هم  
أهل حقايتكروا وذلك معنى قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى قبل القرآن أو قبل  
محمد صلى الله عليه وسلم (هم به) أى بما تقدم (يؤمنون) أيضاً نزل في جماعة أسلموا من اليهود  
عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مقاتل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي  
صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبيرة هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي  
صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالملكين من الخصاصة قالوا له يا نبي الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا  
انصرفنا فحسبنا بأموالنا فواسيناهم بالمسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها  
المسلمين فنزل فيهم ذلك إلى قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) وعن ابن عباس نزلت في عثارين  
من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم  
الله تعالى بقوله تعالى (وإذا تلى) أى تجدد تلاوة القرآن (عليهم قالوا) أى مبادرين  
لذلك (أمنابهم) ثم علاوا ذلك بقولهم (إنه الحق) أى الكامل الذي ليس وراءه إلا الباطل مع  
كونه (من ربنا) أى المحسن اليانم علاوا مبادرتهم بقولهم (إنا كنا من قبله) أى القرآن  
(مسلمين) أى منقادين غاية الانقياد لمخلصين لله بالتوحيد وؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه  
نبي حق (أولئك) أى العالوا رتبة (يؤتون أجرهم مرتين) أى لا يسانهم به غيباً وشهادة  
أى بالكتاب الأول ثم بالكتاب الثاني (بما صبروا) أى بسبب صبرهم على دينهم وقال مجاهد نزلت  
في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا وعن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جلدية فأدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها  
 وتر وجهها ورجل كان من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن  
 عبادة الله تعالى ونصح لسيدته \* ولما كان الصبر لا يتم إلا بالانصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوي  
 قال تعالى عاطفا على يؤمنون مشيرا إلى تجديد هذه الأفعال كل حين (ويدرون) أي يدفعون  
 (بالحسنة) من الأقوال والأفعال (السيئة) أي فيمحونها بها وقال ابن عباس يدفعون  
 بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال مقاتل يدفعون بهما سمعوا من الأذى والتستم من  
 المشركين أي بالصفح والعفو (وعارزقتاهم) أي بعفامتنا لا بجول منهم ولا قوة قليلا كان أو كثيرا  
 (ينفقون) أي يصدقون معتمدين في الخلق على الذي رزقه \* ولما ذكر الله أن السماح  
 بتأضن النفوس به من فضول الأموال من إمارات الأيمان أتبعه أن خزن ما تبذله النفس  
 من فضول الأقوال من علامات العرفان بقوله تعالى (واذا سمعوا اللغو) أي ما لا ينفع  
 في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعمير ونحوه (أعرضوا عنه) تكبر ما عن الخنا وقيل  
 اللغو القبيح من القول وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون لهم  
 تسالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا) وعظاوتهم مع القائل (لنا)  
 خاصة (أعمالنا) لا تثابون على شيء منها ولا تعاقبون (وايكم) أي خاصة (أعمالكم)  
 لا تطالب بشيء منها فحين لا تشتغل بالرد عليكم (سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم  
 بالسلامة عما هم فيه لا سلام تحية وإكرام ونظير ذلك وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما  
 أ كذالك تعالى بقوله تعالى ما يكافونهم (لا يتبعي) أي لا تكاف أنفسنا أن نطلب (الجاهلين)  
 أي لا نريد شيئا من أموالهم وأقوالهم أو غير ذلك من خلافهم وقيل لا نريد أن نكون من أهل  
 الجهل والسفه قيل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لأن ترك المسافهة مندوب إليه وإن كان  
 القتال واجبا \* ونزل في حربه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبي طالب (انك لاتهدى من  
 أحببت) أي نفسه أو هدايته بخلاف الإيمان في قلبه روى سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال لما  
 حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن  
 أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل  
 وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويصدانه  
 بتلك الكلمة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله  
 إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فأنزل الله تعالى  
 ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين كافرين وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال  
 لرسوله صلى الله عليه وسلم انك لاتهدى من أحببت الآية وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم أمره بالتوحيد فقال له لولا أن تعبيرني قريش تقول انما جعله على  
 ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله تعالى الآية وروى أن أبا طالب قال عند موته  
 يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه وتخلوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم

تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فمات ريديا بن أخي قال أريد منك كلمة واحدة  
فانك في آخر يوم من أيام الدنيا تقول لا اله الا الله أشهدك الله عند الله قال يا ابن أخي قد علمت  
انك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيتك غضاضة  
وسبة بعدى لقلتها ولا قررت به عينك عند القراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني  
سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف (فان قيل) قال الله تعالى  
في هذه الآية انك لاتمدي من أحببت (ولكن الله يمدى من يشاء) وقال تعالى في آية  
أخرى وانك لتمدى الى سراط مستقيم (أجيب) بأنه لاتنافي بينهما فان الذي أنبته وأضافه  
اليه الدعوة والذي نفي عنه هداية التوفيق وشرح الصدور وهو نور يتدفق في القلب فيصيا به  
القلب كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس (وهو أعلم) أي  
عالم (بالمهتدين) أي الذين قد هياهم ان تطلب الهدى عند خلقه لهم سواء كانوا من أهل الكتاب  
أم من العرب أقارب كانوا أم أباعد ثم سبى الله تعالى عن كنفار قريش شبهة تتعلق بأحوال  
الدنيا بقوله تعالى (وقالوا ان تتبع الهدى) أي الاسلام فنوحده الله تعالى من غير اشراك  
(معك) وأنت على ما أنت عليه من مخالفة الناس (تختطف) أي من أي تخاطف أو ادنا  
لانا نصير قليلا في كثير من غير نصير (من أرضنا) كما تختطف العاصف لمخافة كافة العرب لنا  
وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا اليها فيخطئونا أي يتقصدون خطئنا واحدا  
واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع وأن لا يشذبعضنا عن بعض قال المبرد والخطف  
الانتزاع بسرعة نزلت في الحرث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا نعلم أن  
الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس خفنا  
أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة ثم رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة وألقمهم الحجر بقوله تعالى  
(أولم نكن) أي غاية التمكين (لهم) أي في أوطانهم ومحل سكناهم بما لنا من القدرة (حرما منا)  
أي ذا أمن يأمن فيه كل خائف حتى الطير من كواصرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل  
الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه وروى أن مكة كانت في الجاهلية لا يعرضها  
ظلم ولا بغي ولا يفتي فيها أسدا الا أخرجته وكان الرجل يلقى قاتل أبيه وابنه فيها فلا يهجمه  
ولا يعترض له بسوء وروى الازرق في تاريخ مكة عن حويطب بن عبد العزى قال كان في  
الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريه أحد فخاف الخائف ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت  
يده فلقه رأته في الاسلام وانه لاشل وعن ابن عباس قال أخذ رجل ذودا بن عم له فأصابه  
في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام فقام رب الذودين  
الركن والمقام باسطا يديه يدعو فابرح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة  
صالي ولفلان رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود ودفعه الى المظالم فخرج به وبقي  
الاخر حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب



انوا يطوفون بالبيت عراة الا ان اعارتهم - م قرش ما بالجفات امرأة لها جمال فطافت  
 عريانة فوراها رجل فأعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده من عضدها فالتزقت عضده  
 بعضدها فخرجا من المسجد هارين فزعين على وجوههما لما أصابهما من العقوبة فلقبهما شيخ  
 من قرش فأقتناهما أن يعودا الى المكان الذي أصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان أن  
 لا يعودا فعادا ودعوا وأخلصا التية فافتزقت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية وعن  
 عبد العزيز بن رواد ان قوما اتهموا الى دى طوى فاذا طي قد دنوا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة  
 من قوائمه فقال له أصحابه ويحك أرسله ليخبرك وأبي أن يرسله فيبعر الطي وبال ثم أرسله  
 فناموا في القافلة ثم اتهموا فاذا بجحمة متطوقة على بطن الرجل الذي أخذ الطي فلم تنزل الحية  
 عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الطي وعن مجاهد قال دخل قوم مكة تجارا من  
 الشام في الجاهلية فنزلوا اذا طوى فاخترزوا له لهم ولم يكن معهم ادم فرمى رجل منهم طيبة  
 من طباء الحرم وهي حوله ثم رمى فتساووا اليها فسلخواها وطبخوها البأتموا بها فبينما قد رهم  
 على النار يدقلى لحمه اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت التوم جميعا ولم  
 تحرق شيأهم ولا أمتعتهم وعن أيوب بن موسى ان امرأة في الجاهلية كان معها ابن عم لها  
 صغير فقالت له يا بني اني أغيب عنك والى أخاف أن يظلمك أحد فان جاءك ظالم بعدى فان الله بك  
 بيتا سيمعك فجاءه رجل فذهب به فاسترقه فلما رأى الغلام البيت عرفه بالصفة فنزل يشتم حتى  
 تعلق بالبيت فجاءه سيده فتيده اليه ليأخذه فبيست يده قد الأخرى فبيست فاستفتى فأقضى أن  
 ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة فتعمل فأطلقت يده وترك الغلام وخلى سبيله وعن أبي ربيع  
 ابن سالم الكلاعي أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له فخوفه بالدعاء في الحرم فقال هذه نافتى  
 فلانة اركبها فاذهب اليه فاجتهد في الدعاء في الحرم فجاء في الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم  
 اني أدعوك يا عدا مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بدهاء لادوا له ثم انصرف فوجد ابن عمه قد  
 رمى في بطنه فصار مثل الرق فإزال ينتفع حتى انشق وعن عمر رضى الله عنه انه سأل رجلا من  
 بني سليم عن ذهاب بصرة فقال يا أمير المؤمنين كاذبي ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكانت ظلمه فكان  
 يذكرنا الله والرحم فلما رأى أنا لا نكف عنه انتهى الى الحرم في الا شهر الحرم فجعل يرفع  
 يديه ويقول

لاهم أدعوك دعاء جاهدا \* اقتل بني ضبعاء الا واحدا

ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا \* أعجب اذا قيدتني القائدا

قال ذات اخوتي التسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيت أنا فوميت ورماني الله عز وجل  
 في رجلى فليس يلائني قائد فقال عمر رضى الله تعالى عنه جعل الله هذا في الجاهلية اذ لا دين حرمة  
 حرمها وشرفها يرجع الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار التواعد  
 للساعة ويستحب الله تعالى لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين وانما كثرت من هذه  
 الحكايات ليكون الداخل للحرم على حذر فان الله تعالى سماه ومكن أهله في الحرم الذي

امنسه بجرمة البيت وامن قطانه بجرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهـم يتغاورون ويتجادون وهم آمنون في حرمهـم لا يخافون وبجرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبي اليهم كما قال تعالى (يجبي) أي يجمع ويحمل (اليه) أي خاصة دون غيره من جزيرة العرب (ثمرات كل شئ) من النبات الذي بأرض العرب من ثمر البلاد الحارة كالسرو والرطب والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان والخوخ فاذا خولهم الله تعالى ما خولهم من الامن والرزق بجرمة البيت وحدها وهم كفررة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعزتهم للخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الاذن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز \* (تنبية) \* معنى الكلمة هنا الكثرة كقوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولكن في تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى الاستمرار وان يأتى اليه بعد ذلك من كل ما في الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم في بال وقرأنا فاع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية وأمال حزة والكسائي محضة وورث بالفتح وبين اللغظين والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين أن الرزق من عنده بقوله تعالى (رزقنا من لدنا) أي فلا صنع لاحد فيه بل هو محض تنزيل \* (تنبية) \* ان تصاب رزقا على المصدر من معنى يجبي أو الحال من ثمرات لتخصيصهم بالاضافة كما تنصب عن النكرة المخصصة وان جعلته اعم للمرزوق ان تصب على الحال من ثمرات (ولكن أكثرهم) أي أهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له (لا يعلمون) أي ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا اننا نحن القائلون لذلك بل هم جهلة لا يتفطنون له ولا يفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لماخفوا وغيره ثم بين تعالى ان الامر بالعكس فانهم أحق بأن يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله تعالى (وكم أهلنا من قرية) أي من أهل قرية وأشار الى سبب الاهلاك بقوله تعالى (بطرت معيشتها) أي وقع منها البطر في زمن عيشها الرخي الواسع فكان حالهم كحالكم في الامن وادرار الرزق فلما بطر وامعيتهم أهالكاهم ومعنى بطرهم لها قال عطاء انهم أكلوا رزق الله وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه \* (تنبية) \* ان تصاب معيشتها ما يحذف الجار واتصال الفعل كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو بتقدير حذف ظرف الزمان وأصله بطرت أيام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كشرت أو خسرت أو على التمييز أو على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفته نفسه (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم) بعد ان طال ما تعالوا فيها وغفوها وزخرفوها وزفوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال البكار (الا) سكونا (قليلًا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار والطريق يوما أو ساعة من ليل أو نهار ثم تصير بابا وحشة كالتفارب بعد ان كانت ممتعة القناء بيض الصفاح وسم القنا قال الزجاج شري ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقى أثره في ديارهـم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلا (وكذا) أي ازلا

وابدا (نحن) لاغيرنا (الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر  
متصرفاتهم قال القائل

تخلف الا نارعن اصحابها \* حيناً ويذكرها الفناء فتتبع

(وما كان ربك) أى المحسن اليك بالاحسان بارسالك الى الناس (مهلك القرى) أى هذا  
الجنس كله مجرم وان عظم (حتى يعث في أمها) أى اعظمها وأشرفها (رسولا) لان غيرها  
تبع لها ولم يشترط كونه من أمها فقد كان عيسى عليه السلام من الناصرة وبعث الى بيت  
المقدس (يتلو عليهم) أى أهل القرى كلهم (آياتنا) الدالة على ما ينبغي لنا من الحكمة  
وبعالمها من الإعجاز على نفوذ الكلمة وباهر العظمة الزاماً للعجبة وقطعاً للمعذرة لئلا يتولوا  
ربنا لولا أرسلنا رسولا ولذا لما أوردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول وهو محمد صلى  
الله عليه وسلم ناسم الانبياء من أم القرى كلها وهى مكة ابدال الحرام (وما كما مهلكى القرى)  
أى كلها بعد الارسال (الأوأهلها ظالمون) أى غريقون فى الظلم بالعصيان بترك عزرات الايمان  
وتكذيب الرسل (وما أوتيتهم من شئ) أى من أسباب الدنيا (فتاع) أى فهو متاع (الحياة الدنيا)  
تتمتعون بها أيام حياتكم وليس يعود نفعه الى غيرها فهو آيل الى فساد وان طال زمن التمتع به  
(وزينتها) أى فهو زينة الحياة الدنيا التى هى كلها فضلاء عن زينتها الى فناها فليست هى ولا شئ يبارزى  
ولا أبدي (وما عند الله) أى الملك الاعلى وهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (خير) على تقدير  
مشاركة ما فى الدنيا له فالخيرية فى ظنكم لان الذى عنده اطيب واكثر واشبهى وازهى (و) هو  
مع ذلك كله (ابقى) لانه وان شارك متاع الدنيا فى انه لم يكن ازلياً فهو ابدى وهذا جواب عن  
شبههم فانهم قالوا ترى كمال الدين اثلاث نفوس الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله  
خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثانى انه اخالصة عن الشوائب ومنافع  
الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها أكثر وأما أنها ابقى فلانها داعة غير منقطعة ومن قابل  
المتناهى بغير المتناهى كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الآخرة فلا  
جرم نبيه على ذلك بقوله تعالى (أفلا يعقلون) ان الباقى خير من القانى فيستبدلون الذى هو أدنى  
بالذى هو خير فن لم يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجاً عن حد العقل قال  
ابن عادل ورحم الله الشافعى حيث قال من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثالث  
الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا  
المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما أخذ من هذه الآية انتهى وقرأ أبو عمر وبالبياء  
وهو أبلغ فى الموعظة لاشتماله على الالتفات للاعراض به عن خطاياهم والباقون بالتاء على  
الخطاب جرياً على ما تقدم (أفمن وعدناه) على عظمتنا فى الغنى والقدرة والصدق (وعدا  
حسناً) لا شئ أحسن منه فى موافقة للامنية وبصائه وهو الجنة فان حسن الوعد بحسن  
الموعد ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى (فهو لاقية) أى مدركة لامتناع الخلف فى وعده  
ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كن متعناه متاع الحياة الدنيا) أى الذى هو

مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتخسر على الانقطاع وعن ابن عباس أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر المؤمن يتزود والمنافق يتزنج والكافر يتعم (ثم هو) مع ذلك كله (يوم القيامة) الذي هو يوم التغابن من خسرفيه ثم يريح أصلا (من المخضرين) أي المقهورين على الحضور إلى مكان يود لو افتدى منه بملء الأرض ذهبالم يقبل منه قال قتادة يحضره المؤمن والكافر قال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلى وفي أبي جهل وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن المغيرة \* (تنبيه) \* ثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع في الزمان أو الرتبة وقرأتم هو قالون والكسافي بسكون الهاء والباقون بالضم (ويوم) أي واذ كريوم (يتناديهم) أي ينادى الله هؤلاء الذين يضلون الناس ويصدون عن سبيل الله (فيقول) أي الله تعالى (أين شركائي) من الاوثان وغيرهم ثم بين أنهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله تعالى (الذين كنتم) أي كونا غير يقين فيه (ترعون) أنها تشفع ليدفعوا عنكم وعن أنفسهم فيخلصكم من هذا الذي نزل بكم \* (تنبيه) \* ترعون مفعول محذوفان أي ترعونهم شركائي (قال الذين حق) أي ثبت ووجب (عليهم القول) أي بدخول النار وهم رؤس الضلالة وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد وقولهم (ربنا هؤلاء) إشارة لاتباع (الذين أغويانا) أي أوقعنا الاغواء وهو الاضلال بهم صفتهم والعائد حذف وقولهم (أغويناهم) أي فغروا باختيارهم (كأغوينانا) أي نحن فلهؤلاء مبتدأ والذين أغويناهم صفة والراجع إلى الموصول حذف وأغويناهم الخبر والـ كـاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغروا غيما مثل ماغوينايغنون انالزغوا لا باختيارنا لأن فوقنا مغوين أغويناهم بقسرتهم والهاء أودعونا إلى النجى وسؤلوه لنا فهو هؤلاء كذلك غروا باختيارهم لأن اغواهم لم يكن الاوسوسة وتسويلا لا قسرا والهاء فلا فرق اذا بين غينا وغيمهم وان كان تسويلا لهم داعيا إلى الكفر فقد كان في مقابله دعاء الله تعالى لهم إلى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأزل اليهم من الكتب المشهونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفان الكفر وداعيا إلى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم أخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم \* (تنبيه) \* اعترض أبو علي على الزمخشري في هذا الاعراب بأن الخبر ليس فيه زيادة فائدة على ما في صفة فان قلت قد وصل الخبر بقوله كماغويناهم وفيه زيادة قلت الزيادة بالطرف لا تصيره أصلا في الجملة لأن الظروف فضلات ثم انه أعرب هو هؤلاء مبتدأ والذين أغويناهم خبره وأغويناهم مستأنف وأجاب أبو البقاء وغيره بأن الظروف قد تلزم كقولك زيد عمرو قائم في داره ثم أشاروا بقولهم (تبرأنا بالبين) أي من أمورهم إلى أنه لا لوم علينا في الحقيقة بسببهم فهو تقرير للجملة الاولى ولهذا خلت عن العاطف وعلى تقدير اغواهم (ما كانوا ايانا) أي خاصة (يعبدون) بل كانوا يعبدون الاوثان بما زينت لهم أهواؤهم وان كان لنا فيه نوع دعاء اليه وحث

عليه فأقول ما تريد أن يوزع العذاب على من كان سبباً في ذلك وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأتنا أي  
 تبرأتنا من عبادتهم أي أنا \* ولما لم يذقت إلى هذا الكلام منهم بل عدت ما لأنه لا طائل تحته أشير إلى  
 الاعراض عنه لأنه لا يستحق جواباً كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى (وقيل)  
 أي نافية للاتباع تمسكهم - م واظهار العجزهم الملزوم لتعذيبهم وعظم تأسئتهم وذلك بصيغة  
 المجهول للاستهانة بهم وانهم من الدل والصغار بحيث يجيبون كل أمر كأنهم كانوا (ادعوا) أي  
 كلكم (شركاءكم) أي الذين ادعيتهم جهلاً لشركتهم ليدفعوا عيكم العذاب (فدعوه) أي تدعوا  
 لا يغنى وتمسكاً بما يتحقق أنه لا يجدي اثره الغاية واستيلاء الحيرة والدهشة (فلم يستجيبوا لهم)  
 أي لم يجيبوه - م لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال ابن عادل والأقرب أن هذا على سبيل التقرير  
 لانهم يعلمون أنه لا فائدة في دعواتهم (ورأوا) أي هم (العذاب) عاملين بأنه واقعه لهم لا نزع له  
 عنهم فكان الحال حينئذ مقتضياً بالان يقال من كل من هو اثم (لو أنهم كانوا يتدون) أي  
 تحصل منهم هداية ساعة من الدهر لتأسفوا على أمرهم وتغنياً لملاصهم ولو أن ذلك كان في طاقتهم  
 وجواب لو محذوف أي لتجروا من العذاب ولما رأوه أصلاً قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع  
 والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يتدون في الدنيا ما أبصروا في الآخرة (ويوم يتادبونهم)  
 أي الله تعالى وهم بحيث يستمعهم الداعي ويتقدمهم البصر قد برز والله جميعاً من كان منهم غاصياً  
 ومن كان منهم مطيعاً في صعيد واحد قد أخذوا بنفاسهم الزمام وتراكب الاقدام على الاندام  
 والجمعهم العرق وعمهم العرق (فيقول ماذا) أي أوضحوأوعينوأجوابكم الذي (أجبتهم  
 المرسلين) اليكم \* (تنبيه) \* ويوم يحطوف على الأول فإنه تعالى يسأل عن اشراكهم بدتهم  
 تكذيبهم الانبياء ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج لم يكن لهم  
 جواب الا السكوت وهو المراد بقوله تعالى (فعميت) أي خفيت وأظلمت عليهم الانبياء) أي  
 الاخبار المنجية (يومئذ) التي هي من العظمة بحيث يحق لها في ذلك اليوم أن تذكر \* (تنبيه) \*  
 الاصل فعموا عن الانبياء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد  
 عليه من خارج واذا أخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره واذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام  
 في ذلك اليوم ينفضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالاضلال فلهذا قال تعالى (فهم لا ينصرون)  
 أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لشرط الدهشة أو لعلهم بأنه منله عذاب من أسر على كفره  
 (فأما من تاب) عنه وقوله تعالى (وأمر) تصرح بجميعاً علم التزاماً فان الكفر والايمان ضدان  
 لا يمكن تزلزلاً أحدهما الا بأخذ الآخر وقوله تعالى (وعمل صالحاً) لاجل أن يكون مصداقاً لدعواه  
 بالله ان (وعسى) اذا فعل ذلك (أن يكون من المتلعبين) عند الله وعسى فيحقق على عادة  
 الكرام أو ترجح من النسب بمعنى فليستوقع أن ينلج \* ولما كان كانه قيل ما لا هل القسم الاول  
 لا يتوخون النجاة من ضيق ذلك البلاء الى رحب هذا الرجاء وكان الجواب ربك متعهم من  
 ذلك وماله لم يقطع له - ذا القسم بالفتح كقطع لاهل القسم الاول بالثناء كان الجواب  
 (وربك يخلق ما يشاء ويختار) لا موجب عليه ولا مانع له (ما كان لهم الحيرة) أي أن يفعلوا

يفعل لهم كل ما يختارونه \* (تنبيه) \* الخيرة بمعنى الخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً قال البيضاوي والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العبيد مخلوق منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقال الرازي في النوامع وفيه دليل على أن العبد في اختياره غير مختار فهذا أهل الرضا حطوا الرجال بين يدي ربهم وسلموا الامور اليه بصفاة التقوى يعني فان أمرهم أو نهاهم يادروا وان أصابهم سهم المصائب العظام صابروا وان أزههم أعزوا انفسهم وأكرموا وان أذلهم رضوا وسلموا فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريد فيمضيه قال القائل  
وقف الهوى لي حيث أنت فليس لي \* متأخر عنه ولا متقاً  
أجد الملامة في هواك لذينة \* حب الذاكرك فليلمني اللوم  
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً \* مامن يهون عليك من يكرم

وقيل ما موصوله مفعول ليجتار والراجع محذوف والمعنى ويجتار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والسلاح (سبحان الله) تنزيه له ان يراجه أحد أو ينازع اختياره (وتعالى) أي علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه مداه (عما يشركون) أي عن اشراكهم أو مشاركة ما يشاركونه به \* ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم قال تعالى (وربك) أي المحسن اليك المتولي أمر تربيتك (يعلم ما تكن) أي تخفي وتستر (صدورهم) من كونهم يؤمنون على تقدير أن تأتيهم آيات مثل آيات موسى عليه السلام أو لا يؤمنون ومن كون ما أظهر من أظهر الايمان بلسانه خالصاً ومشوباً ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (وما يعلمون) أي يظهر من ذلك كل ذلك لديه سواء فلا يكون لهم مراد الا بخلقه (فان قيل) هلا اكنى بقوله تعالى ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلمون (أجيب) بأن علم الخفي لا يستلزم علم الجلي اما بعداً ولغظ او اختلاط أصوات يمنع تمييز بعضه عن بعض أو غير ذلك \* ولما كان علمه تعالى بذلك انما هو لكونه الها واحداً فداً صعدا وكان غيره لا يعلم من علمه الا ما علمه قال تعالى (وهو الله) أي المستأثر بالالهية الذي لا يسمي له الذي لا يحيط الواصفون بكنهه عظمته ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله تعالى (لا اله الا هو) وهذا تنبيه على كونه قادراً على كل الممكنات عالم بكل المعلومات منزهاً عن النقائص والآفات ثم علل ذلك بقوله تعالى (له) أي وحده (الجد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال (في الاولى والاخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمد المومنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا (فان قيل) الحمد في الدنيا ظاهر فالحمد في الآخرة (أجيب) بأنهم يحمدونه بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتوحيد يد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقدیس (وله الحكم) أي القضاء النافذ في كل شئ وقال ابن عباس حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية بالثبوت (واليه) لا الى غيره (ترجعون) أي بأيسر أمر يوم النسخ في الصور لبعثرة ما في القبور بالبعث والنشور مع أنكم الآن راجعون في جميع أحكامكم اليه ومقصودون عليه ان شاء امضاها وان أراد ردّها ولو اها في الآخرة غاية التقوية لقلوب

المطيعين ونهاية الزجر والردع للمعتمردين ثم بين سبحانه وتعالى بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه بقوله تعالى (قل) أي يا أفضل الخالق لاهل مسكة (أرأيتم) أي أخبروني (ان جعل الله) أي الملك الأعلى (عليكم الليل) أي الذي به اعتدال حزا النهار (سرمدا) أي دائما (الي يوم القيامة) لانها رمعه (من اله غير الله) أي العظيم الشأن الذي لا كف له (يا تيكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسعون) أي ما يقال لكم سماع اصغاء وتدبر (قل أرأيتم ان جعل الله) أي الذي له الامر كله (عليكم النهار) أي الذي توازن حرارته برطوبة الليل فيتم بها صلاح النبات وغير ذلك من جميع المقدرات (سرمدا) أي دائما (الي يوم القيامة) لاليل فيه (من اله غير الله) أي الجليل الذي ليس له مثل (يا تيكم بليل) أي ينشأ منه ظلام (تسكنون فيه) استراحة عن متاع الاشغال (فان قيل) هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (أجيب) بأنه تعالى ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذلك منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون قال البقاعي فالآية من الاحتباك ذكر الضياء أولاد ليل على حذف الظلام ثانيا والليل والسكون ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار أولا ولما كان التقدير ومن رحته جعل لكم السمع والابصار لتتدبروا آياته وتبصروا في مصنوعاته عطف عليه (ومن رحته) أي التي وسعت كل شيء لا من غيرها من خوف أو رجاء أو تعلق غرض من الاغراض (جعل لكم الليل والنهار) آيتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم فجعل آية الليل (لتسكنوا فيه) فلائسه وافية لمعاشكم (وم جعل آية النهار مبصرة) (لتبصروا من فضله) بأن تسعوا في معاشكم بجهدكم قال البقاعي فالآية من الاحتباك ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعي في المعاش ثانيا وذكر الاستغناء من فضله ثانيا دليلا على حذف عدم السعي في المعاش أولا (ولعلمكم تشكرون) أي وليكون حالكم حال من يرجي منه الشكر لما يتجدد لكم من ثقلها من النعم المتواليمة التي لا يحصرها الا خلقها وأما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الاسباب وكانت الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها الليل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعون) تقرع بعد تقرع للاشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله تعالى من الاشرار به كما أنه لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك ومتعنا بالنظر الى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين ويحتمل أن يكون الاقول لتقرر فساد رأيهم والثاني ابيان أنه لم يكن عن سندا وانما كان محض تشبه وهوى أو أنه ذكر الثاني كما قال الجلال المهلي لبني عليه (وزعنا) أي أخرجنا وأفردنا بقوة وسطوة (من كل أمة شهيدا) أي وهو رسولهم يشهد عليهم بما قالوه (فتلنا) أي فتسبب عن ذلك ان قلنا للامم (ها تو ابرها انكم) أي دليلا على القطعي الذي فرغتم في الدنيا اليه وعولتم في شرككم عليه كما هو شأن ذوى العقول انهم لا يبنون شيئا على غير أساس (فعلوا) أي بسبب هذا

السؤال لما اضطروا ولم يجردوا لهم سدا (ان الحق) في الالهية (الله) أي الملك الذي له الامر كله لا يشركه فيه أحد (وضل عنهم) أي غاب غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) أي يقولونه قول الكاذب المنعمد للكذب لكونه لا دليل عليه ولا شبهة للغلط فيه (ان قارون) ويسمى في التوراة نوح (كان من قوم موسى) قال آثر المفسرين كان ابن عمه لان قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقال ابن اسحق كان قارون عم موسى فكان أخا عمران وهما ابنا بصهر ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نفاق السامري وكان يسمى النور الحسن صورته وعن ابن عباس كان ابن خالته (فبغى عليهم) أي تجاوز الحد في احتقارهم ما خولناه فيه قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقراء وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال شهر بن حوشب زاد في طول ثيابه شبرا روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم وتجبير وقال الكلبى حسد دهر بن عليه السلام على الجبورة روى أهل الاخبار ان قارون كان أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يأمر قومه أن يعلتوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيوطا أخضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامي فقال موسى عليه السلام يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تختر هذه الخيوط فقال الله تعالى يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فان لم يطيعونى في الامر الصغير لم يطيعونى في الامر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله تعالى يأمركم أن تعلتوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتوها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به واستكبر قارون ولم يفعل وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتبروا عن غيرهم وكان هذا بدء عصيانه وبغيه ولما قطع الله تعالى لبنى اسرائيل البحر وأغرق فرعون جعل الجبورة لهر بن عليه الصلاة والسلام فحصلت له النبوة والجبورة وكان له القربان والذبح وكان لموسى عليه السلام الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهر بن الجبورة واست في شئ لأصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهر بن بل الله تعالى جعلها له فقال قارون والله لأصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى عليه السلام رؤساء بنى اسرائيل وأمرهم أن يجي كل رجل منهم بعصا فجازاها فخرمها وألقاها موسى عليه السلام في قبة له كان يعبد الله تعالى فيها وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى عليه السلام أن يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصابت عصا هرون عليه السلام وقد اعتزلها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام لقارون ألا ترى ما صنع لهر بن عليه السلام فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون



ومعه ناس كثير وولى هرود عليه السلام الجبورة وهي رياسة الذبح والقربان وكانت بنو  
اسرائيل يأتون بهداياهم الى هرود عليه السلام فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها  
واعترل قارون باتباعه وكان كثيرا المال والتبع من بني اسرائيل فكان لا يأتي موسى عليه السلام  
ولا يجالسوه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا  
كلام الله تعالى \* ولما ذكر الله تعالى بغيره ذكر سببه الحقيقي بقوله تعالى (وايناه من الكنوز) أي  
الاموال المدفونة المذخورة فضلا عن الظاهرة التي هي بصدد الاتفاق منها ما عساه يعرض  
من المهمات (ما) أي الذي أوتي شيئا كثيرا لا يدخل تحت حصر حتى (ان مفتاحه) أي مفتاح  
الاغلاق التي هو مدفون فيها وراء أبوابها (لتنوء) أي تميل بجهد ومشقة بثقلها (بالعصبة)  
أي الجماعة الكثيرة التي تعصب أي يقوى بعضهم بعضا (أولى) أي أصحاب (التنوء) أي تميلهم من  
ثقلها اياهم \* (تنبيه) \* في المبالغة بالتعبير بالكنوز والمنافع والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل  
على انه أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو في عداده وكل ذلك مما تستعده العقول فلذلك وقع  
التأكيده واختلافوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقال الخليل  
عن ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل أربعون  
رجلا وقيل سبعون وروى عن ابن عباس قال كان يحمل مفتاحه أربعون رجلا أقوى  
ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خبيثة قال وجدت في الانجيل ان مفتاح خرائن  
قارون وقرستين بغلام يزيد فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان قارون أيضا  
ذهب يحمل معه مفتاح كنوزه وكانت من حديد فلما أنقلت عليه جعلت من خشب فتقلت  
فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا وفي الباء في  
بالعصبة وجهان أنها التعدية كالهزمة ولا قلب في الكلام والمعنى لتي المفتاح العصبة الاقوياء  
كما تقول أجاته وجات به وأذهبت به وذهبت به والثاني قال أبو عبيدة ان في الكلام قلبا والاصل  
لتنوء العصبة بالمفتاح أي انتهض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض ولما ذكر الله تعالى  
بغيره ذكر وقته بقوله تعالى (اذ قال له قومه) أي من بني اسرائيل (لاتفرح) أي بكثرة المال  
فرح بطرفان الفرحة بالعرض الزائل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الآخرة وعلى  
غاية الجهل وقلة التأمل بالعواقب قال ابن عباس كان فرحه ذلك شرا كالانه ما كان يخاف معه  
عقوبة الله عز وجل (ان الله) أي الذي له صفات الكمال (لا يحب) أي لا يعامل معاملة المحب  
(الفرحين) أي البطرين الاشرين الراضين في الفرح بما يقضى الذين لا يشكرون الله تعالى بما  
أعطاهم فان فرحهم يدل على سقوط الهمم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وقال النائل في ذلك  
ولست بفراح اذا الدهر سرتي \* وقال آخر

أشد الغم عندي في سرور \* تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا يفرح بالدينا الا من رضى بها واطمان فأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن  
قريب لم يتحدث نفسه بالفرح (وابتغ) أي اطلب طلبا يتحمد لنفسك فيه (فيمآ آتاك الله) أي

الملك الذي الامر كله بيده من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تقوم بشكر الله فيما أنعم الله  
 عليك وتنفقه في رضا الله تعالى فيجازيك بالجنة (ولا تنس) أى ولا تترك (نصيبك من الدنيا)  
 قال مجاهد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب  
 الانسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدى بالصدقة وصله الرحم وقال علي رضي الله  
 تعالى عنه وكرم الله وجهه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة روى  
 أنه صلى الله عليه وسلم قال فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن ديناه لآخرة ومن الشيبه  
 قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد  
 الدنيا دار الآخرة والناور عن ميمون الأزدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل  
 وهو يعظه اغتصم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك  
 وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويسك ما يغنيه وقال  
 منصور بن زاذان قوتك وقوت أهلك (وأحسن) أى أوقع الاحسان بدفع المال الى المهاجرين  
 والاتفاق في جميع الطاعات ويدخل في ذلك الاعانة بالجاء وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن  
 الذكر (كما أحسن الله) الجامع لصفات الكمال (الملك) بأن تعطى عطاء من لا يخاف الفقر كما  
 أوسع الله عليك (ولا تبغ) أى ولا تراد رادة ما (النفس في الارض) بتقير ولا تذيب ولا تكبر على  
 عباد الله تعالى ولا تحقير ثم اتبع ذلك علمه مؤكداً لأن أكثر المفسدين يبسط لهم في الدنيا وأكثر  
 الناس يستبعد أن يبسط فيهم الغير محبوب فتبيل (إن الله) أى العالم بكل شئ التقدير على كل شئ  
 (لا يجب المفسدين) أى لا يعاملهم معاملة من يحبه وقيل ان القائل له هذا موسى عليه السلام  
 وقيل مؤمنو قومه وكيف كان فتدجمع في هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه أبى أن يقبل بل زاد  
 عليه كثر النعمة بأن (قال) أى قارون في الجواب (انما أوتيته) أى هذا المال (على علم) حاصل  
 (عندي) فانه كان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة اى قرأنى له أهلاً فنظمتى بهذا المال عليكم كما فضلتى  
 بغيره وقيل هو علم الكيمياء وقال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث  
 ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه  
 فكان ذلك سبب أمواله وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب  
 ثم أجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أولم يعلم ان الله) أى بماله من صفات الجلال والعظمة  
 والكمال (قد أهلك) وقوله تعالى (من قبله من القرون) فيه تنبيه على أنه لم يعظم مع مشاهدته  
 للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان وبعده وقوله تعالى (من هو أشد منه قوة) أى في البدن  
 والمعانى من العلم وغيره والانصار والخدم (وأكثر جمعاً) في المال والرجال آخرهم فرعون  
 الذي شاهدته في ملكه وحقق أمره يوم هلك فيه تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع  
 علمه بذلك لانه قرأ في التوراة وكان أعلمهم بها ومعهم من حفظ التواريخ واختلف في معنى قوله  
 عز وجل (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فقال قتادة يدخلون النار بغير سؤال ولا حساب  
 وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميائهم وقال الحسن لا يسألون سؤال

استعلام وانما يستلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكتبها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال (فان قيل) كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون (أجيب) بجمل ذلك على وقتين وقال أبو مسلم السؤال قد يكون للعماسية وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب قال ابن عادل وألقى الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (نخرج) أى فتسبب عن تجبره واغتراره بما له ان خرج (على قومه) أى الذين نصحوه في الاقتصاد في شأنه والاكثار في الجود على اخوانه وقوله تعالى (في زينة) فيه دليل على أنه خرج بأظهر زينته وأكلها وليس في القرآن الا هذا القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة فقال ابراهيم النخعي انه خرج هو وقومه في ثياب حر وصفر وقال ابن زيد في تسعين ألفا عليهم المعصقات وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثمانمائة جارية بيض عليهن الخلي والثياب الحر على البغال ولما كان كانه قيل ماذا قال قوم له قيل (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) منهم لسفول همهم وقصور نظرهم على الفاني لكونهم أهل جهل وان كان قولهم من باب الغبطة لامن باب الحسد الذي هو تنفي زوال نعمة المحسود (يا ليت لنا) أى نتمنى تمنا عظيما أن نوتقى من أى مؤت كان وعلى أى وصف كان (مثل ما أوتى قارون) أى من هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتى لانزال أصحاب أموال ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم ان ثم من يريد ان يشكر عليهم (انه لذو حظ) أى نصيب وبجنت من الدنيا (عظيم) بما أوتيه من العلم الذي كان سببها الى جمع هذا المال وهؤلاء الراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما أوتى قارون من المال والعلم الظاهر الذي أدى الى اتباعه قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم) وهم أهل الدين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما يعنى الاحبار من بنى اسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة فقالوا للذين آمنوا (ويلكم) ويل أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر وهو منصوب بمحذوف أى أزمكم الله ويلكم (ثواب الله) أى الجليل العظيم (خير) أى من هذا الخطام الذي أوتيه قارون في الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير حل به الويل ثم بينوا استحقاقه تعظيما له وترغيبا للاسماع في حاله بقولهم (لمن آمن وعمل) تصديقا لآيانه (صالحا) ثم بين تعالى عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله تعالى (ولا يلقاها) أى هذه النصيحة التي قالها أهل العلم وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله أو الجنة المثاب بها (الا الصابرون) أى على أداء الطاعات والاحتراز عن الهزات وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار الذين صار الصبر لهم خلقا ولما تسبب عن نظره هذا الذي أوصله الى الكثير بربه أخذ بالعباد أشار الى ذلك بقوله سبحانه وتعالى (نخسفنا) أى بما لنا من العظمة (به وبداره الارض) روى أنه كان

يؤذى موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداري بالقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت  
 ولا يزيد الاعتوا وتجبرا ومعاداة موسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها  
 صفائح الذهب وكان الملا من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام  
 ويضاحكونه قال ابن عباس نزلت الزكاة على موسى عليه السلام فأتاه فارون فصالحه عن كل  
 ألف دينار دينار وعن كل ألف درهم بدرهم وعن كل ألف شاة بشاة فلم تسمع بذلك نفسه فجمع بنى  
 اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعموه وهو الا ان يريد ان يأخذ أموالكم  
 فقالوا أنت كبيرنا فأمرنا بما شئت قال أمركم ان تحبوا بقلانة البغي فتجعل لها جعلا حتى تقذف  
 موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعاها فجعل لها فارون ألف  
 درهم وقيل ألف دينار وقيل طشتا من ذهب وقيل قال لها اني أمونك وأخلطك بنسائي على ان  
 تتدفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد وكان يوم عيد لهم قام موسى  
 عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجناه  
 فقال له فارون ولو كنت أنت قال ولو كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بقلانة قال  
 ادعها فان قالت فهو كما قالت فلما أن جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء  
 فعظم عليها وسأها بالذي فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى  
 بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم نوبة أفضل من ان أؤذى رسول الله فقالت لا كذبوا  
 ولكن جعل لي فارون جعلا على ان أرميك بنفسى فخر موسى ساجدا بيكى ويقول اللهم ان  
 كنت رسولا فاعصب لي فأوحى الله تعالى اليه اني أمرت الارض ان تطيعك فرها بما شئت فقال  
 موسى عليه السلام يا بنى اسرائيل ان الله بعثني الى فارون كما بعثني الى فرعون فن كان معه فليبيت  
 مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع فارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذهم  
 فأخذت الارض بأقدامهم وفي رواية كان على فراشه وسريره فأخذته حتى غيبت سريره ثم قال  
 خذهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذهم فأخذتهم الى الارض ثم قال يا أرض خذهم  
 فأخذتهم الى الاعناق وفارون وصاحبه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده فارون بالله  
 والرحم حتى روى انه ناشده سبعين مرة وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال  
 يا أرض خذهم فانطبقت عليهم الارض فأوحى الله تعالى اليه ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين  
 مرة فلم ترجه وعزتي وجلالي لودعاني مرة واحدة لاجبته وفي بعض الآثار لا تجعل الارض  
 بعدك طوعا ولا خيرا قال قتادة خسف به فهو يتجبل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى  
 يوم القيامة قال وأصبح بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على فارون ليستبد به  
 وكونه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وبأمواله فاياكم يا أمة هذا النبي ان تردوا ما أتاكم به  
 من الرحمة فتهلكوا وان كنتم أقرب الناس اليه فان فارون كان من أقارب موسى عليه السلام  
 فان الانبياء عليهم السلام كما انهم لا يوجدون الهدى في قلوب العدا فكذلك لا يمنة ونهم من الردى  
 ولا يشنعون الا لمن ارتضى (فما) أى فتسبب عنه انه ما (كان له) أى لفارون وأكدا النبي لما استقر  
 في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة الجار في قوله تعالى (من فئة) أى أعوان وأصل الفئة

الجماعة من الطير كانت سميت بذلك لكثرة رجب وعهار سرعتها الى المكان الذي ذهبت منه  
 (ينصرفون من دون الله) أى غيره بأن عنه واعنه الهلاك (وما كان من المنتصرين) أى  
 المنتصرين منه من قواهم نصره من عدوه فالتصير اذا منعه منه فامتنع ولما خسف به واستبصر  
 الجهال الذين هم كالبهاثم لا يرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله (وأصبح) أى وصاروا لكنه  
 ذكره لقابله المساء (الذين تنووا) أى أرادوا ارادة عظيمة بغاية الشنقة ان يكونوا (مكانه) أى  
 تكون حاله ومنزلته فى الدنيا لهم (بالامس) أى الزمان الماضى القريب وان لم يكن بلى يومهم  
 الذى هم فيه فالامس قديذ كرولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على  
 طريق الاستعارة (يقولون ويكأن الله يبسط) أى يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده) بحسب  
 مشيئته وحكمته لا الكرامته عليه (ويقدر) أى يضيق على من يشاء لالهوان من يضيق عليه  
 بل لحكمته وقضائه ابتلاء منه وفطنة ووى اسم فعل بمعنى أعجب أى أنا والكاف بمعنى اللام  
 وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة بإجماع المصاحف واختلف القراء فى الوقف فالكسائي وقف  
 على الياء قبل الكاف ووقف أبو عمرو على الكاف ووقف الباقون على النون وعلى الهاء وحزرة  
 يسهل الهمزة فى الوقف على اصله وأما الوصل فلا خلاف فيه بينهم \* ولما لاح لهم من واقعة ان  
 الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل على انه -م اعتقدوا أيضا ان الله قادر على ما يريد من غير الرزق  
 كما هو قادر على الرزق من قولهم (لولا ان من الله) أى تفضل الملك الاعظم (علينا) بجرده ولم  
 يعطنا ما تمينا من الكون وعلى مثل حاله (لخسف بنا) مثل ما خسف به (ويكأنه لا يسلط  
 الكافرون) لنعمة الله تعالى كقارون والمكذابين لرسوله وعباد عداهم من ثواب الآخرة وقوله  
 تعالى (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم وتشخيخ لشأنها أى تلك الدار التي سمعت بذكرها وبالغك  
 وصفها وتلك مبتدأ والدار صفته والخبر (تجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بالبحر  
 (ولا فسادا) بعمل المعاصى فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهم ما وميل  
 القلوب اليه - ما كما قال تعالى ولا تتركوا الى الذين ظلموا فعلق الوعد بالركون ومن على رضى الله  
 تعالى عنه ان الرجل يحبه ان يكون شريكه فعله أجود من شركه فعل صاحبه فيدخل تحتها وعن  
 الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه انه كان  
 يرددها حتى قبض قال الرشح شري ومن الطماع من يجعل الملوأفرعون الفساد لقارون. تعلقتا  
 بقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض بقوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض. بقوله من لم يكن  
 مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا تدبر قوله تعالى (والعاقبة) أى المحودة (للمتقين)  
 أى عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما تدبره على والفضيل وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم  
 ولما بين تعالى ان الدار الآخرة ليست لمن يريد علوا فى الارض ولا فسادا بل هى للمتقين بين بعد  
 ذلك ما يحصل فقال تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة أضعاف الى سبعين الى  
 سبع مائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى (ومن جاء بالسيئة) وهى ما نهى الله تعالى عنه  
 ومنه اخافة المؤمنين (فلا يجزى) أى من أى جازوا ظهر ما فى هذا الفعل من الضمير العائد على

من بقوله تعالى (الذين عملوا السيئات) تصوير الحالههم وتقييد اعمالها وتنقيحها من عملها (الا) جزاء  
(ما كانوا يعملون) أي مثله وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة الا بعثلها  
ويجزي الحسنه بأكثر منها كما مر (فان قيل) قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم  
قلها كر ذكر الاحسان واكتفى في ذكر الاساءة بعبارة واحدة فما السبب في ذلك (أجيب) بأن  
هذا المقام مقام ترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغه في النهي عن المعصية مبالغه في الدعوة  
الى الآخرة وأما الآية الأخرى فهي شرح حالهم فكانت المبالغه في ذلك كرمحاسنهم أولى  
(فان قيل) كيف انه تعالى لا يجزي السيئة الا بعثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات  
في الحال عذب أبدا لا يباد (أجيب) بأنه كان على عزم أنه لو عاش أبدا لقال ذلك فعومل بمقتضى  
عزمه (ان الذي فرض) أي أنزل (عليك القرآن) قاله أكثر المفسرين وقال عطاء أوجب  
عليك العمل بالقرآن وقال أبو علي فرض عليك أحكامه وفرائضه (لراذك الى معاد) أي معاد  
ليس لغيبك من البشر وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وتنكير المعاد لذلك وروى  
سعيد بن جبیر عن ابن عباس يعني الى الموت وقال الزهري وعكرمة الى يوم القيامة وقيل الى  
الجنة وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعني الى مكة وهو قول مجاهد وقال  
القتبي معاد الرجل بلده ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج  
من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق ونزل  
بالخفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام فقال  
اشتقت الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لراذك  
الى معاد قال الرازي وهذا أقرب لان ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل له العود اليه وذلك  
لا يليق إلا بمكة وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك أقرب قال أهل التحقيق وهذا آخر مما يدل  
على نبوته لانه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر فيكون معجزا \* ونزل جواب القول كقوله انك لاني  
ضلال مبين (قل) أي للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب في المعاد  
يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم فهو الجاني  
بالهدى وهم في الضلال \* (تنبيه) \* من جاء منصوب بضمير أي يعلم أو باعلم ان جهلناها بمعنى عالم  
واعلمناها عمله (وما كنت ترجو) أي في سالف الدهر بحال من الاحوال (أن يلقى) أي ينزل  
على وجه لم تتدر على رده (اليك الكتاب) أي يوحى اليك القرآن قال البيضاوي أي سيردك  
الى معاد كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه وهو ظاهر على أن المراد بالمعاد مكة وقوله تعالى  
(الارحة) استثناء منقطع أي لكن ألقى اليك الكتاب رحمة (من ربك) أي فأعطاك القرآن وقيل  
متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الارحة فيكون  
استثناء من الاحوال أو من المفعول له (فلا تكون ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم  
الذي دعوا اليه قال مقاتل وذلك حين دعى الى دين أبياته فذكره الله تعالى نعمه ونهله عن  
مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) أي قراءتها والعمل بها (بعد انزلت

الملك) أي لا ترجع اليه - في ذلك (وادع) أي أوجد الدعاء (إلى ربك) أي إلى عبادته وتوحيده  
(ولا تصكون من المشركين) أي باعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه بخلافه في يصدق  
فانه حذف منه نون الرفع اذا أصله يصدق وتلك حذف نون الرفع للجازم ثم حذف الواو واللقاء  
الساكنين (ولا تدع) أي تعبد (مع الله) أي الجامع لجميع صفات الكمال (الها آخر) (فان قيل)  
هذا وما قبله لا يقع منه صلى الله عليه وسلم فما فائدة ذلك النهي (أجيب) بانه ذكر للتبنيح وقطع  
اطماع المشركين عن مساعدته لهم أو ان الخطاب وان كان معه لكن المراد غيره كما في قوله تعالى  
لئن اشركت ليجنن عملك ثم علل ذلك بقوله تعالى (لا اله الا هو) أي لا نافع ولا ضار ولا معطي  
ولا مانع الا هو وكقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وصية لا فلا يجوز اتخاذ  
اله سواه ثم علل وحدانيته بقوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) أي ذاته فان الوجه يعبر به عن  
الذات وقال ابو العالية الاما يريد به وجهه وقيل الاملكه واختلنوا في قوله تعالى هالك من  
الناس من نسر الهلاك باخراجه عن كونه مستغفابه بالامانة أو بتفريق الاجزاء وان كانت  
أجزاءه باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناه اجزائه بل خروجه عن كونه  
مستغفابه ومنهم من قال معنى كونه هالكاً كونه قابلاً للهلاك في ذاته فان كل ما عداه تعالى يمكن  
الوجود قابل للعدم فكان قابلاً للهلاك فأطلق عليه اسم الهالك نظر الى هذا الوجه وعلى هذا  
يحمل قول النبي في بحر الكلام سبعة لا تفتنى العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة  
والنار بأهلها من ملائكة العذاب والحوادث العين والارواح (له الحكم) أي القضاء النافذ  
في المطلق (واليه) وحده (ترجعون) أي في جميع أحوالكم في الدنيا وبالانشور من القبور  
للجزاء في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من قوله صلى الله  
عليه وسلم من قرأ سورة طسم اتصص كان له من الاجر بعدد من صدق بعمى وكذب ولم يبق ملك  
في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقاً حديث موضوع

### ﴿ سورة العنكبوت مكية ﴾

الاعشر آيات من أولها إلى قوله تعالى وليعلن المنافقين قال الحسن فانها مكية وهي سبع  
وستون آية وألف وتسعمائة واحد وثمانون كلمة وأربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون  
حرفاً (بسم الله) الذي أحاط بجميع القوة فأعزجنده (الرحمن) الذي شمل جميع العباد بعمه  
(الرحيم) بجميع خلقه وقوله تعالى (الم) سبق القول فيه في أول البقرة ووروع الاستفهام  
بعده دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسماً للسورة أو للقرآن أو لله وأنه ستر استأثر بعلمه  
الله تعالى واستقلاله بما يضمه بتقديره مبتدأ أو خبراً وغيره مما ستر أول سورة البقرة وقيل  
في الم اشار بالالف الدال على القائم الاعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام بطريق الرض الى  
انه تعالى أرسل جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام ولما قال تعالى في آخر السورة المتقدمة  
وادع الى ربك وكان في الدعاء اليه الحراب والضراب والطعان لان النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه كانوا - موزين بالجهد فشق على البعض ذلك فقال تعالى (أحسب الناس) أى كافة  
(أن يتركوا) أى أظنوا أنهم يتركون بغير اختيار وابتلاء في وقت ما بوجه من الوجوه \* (تنبيه) \*  
ان يتركوا سادسة من على حسب عند الجمهور (أن) أى بأن (يقولوا) أى بقولهم (أمنارهم)  
أى والحال أنهم (لا يفتنون) أى يحتبرون بما تتميز به حقيقة إيمانهم عشاق التكليف كالمهاجرة  
والجاهدة ورفض الشهوات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتبين المخلص من المنافق  
والصديق من الكاذب ولينالوا بالصبر عليها عوالم الدرجات فإن حجج رد الإيمان وإن كان عن  
خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود في العذاب واختلافوا في سبب نزول هذه الآية فقال  
الشعبي نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام ثم هاجروا فبعضهم الكفار فقتلهم من قتل  
وممنهم من نجوا فنزل الله تعالى هاتين الآيتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال إنما  
نزلت في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة  
وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع  
ابن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد  
الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فخرج عليه أبواه وأمر أنه فأنزل  
الله تعالى فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم  
في الابتداء بحجج الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعض فأنزل  
الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى من الأنبياء والمؤمنين فقتلهم  
من نشر بالمنشار وممنهم من قتل وأبلى بنو إسرائيل بفرعون فكان يسوءهم سوء العذاب فذلك  
سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه (فليعلمن الله) أى الذى له الكمال كله  
(الذين صدقوا) فى إيمانهم علم مشاهدة للخلق والأفان الله تعالى لا يخفى عليه خافية (وليعلمن  
الكاذبين) فيه أى فيظهر الله الصادقين من الكاذبين فى الإيمان (فائدة) لبعض المحبين  
لهوى آية (أى علامة) بهم يعرف الصا \* دق فى عشقه من الكذاب  
سهر الليل دائما ونحول الجسم والموت فى رضا الاحباب

(أم حسب) أى ظن (الذين يعملون السيئات) أى الشرك والمعاصي فان العمل بيم أفعال  
القلوب والجوارح (أن يسبقونا) أى يفتونا فلا تنتقم منهم وهذا سادسة من على حسب  
وأم منقطعة والانحراب فيها الآن هذا الحساب أبطل من الأول لأن صاحب ذلك بقدر ان لا  
يتمن لا إيمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بما أوى به ولهذا عقبه بقوله تعالى (ساعما يحكمون)  
أى بشى الذى يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا الخذف المخصوص بالذم ولما بين بقوله  
أحسب الناس أن يتركوا ان العبد لا يترك فى الدنيا سدى وبين فى قوله تعالى أم حسب الذين  
يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين ان من يعترف بالآخرة ويعمل لها  
لا يضيع عمله بقوله تعالى (من يرجوا لقاء الله) أى الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل  
من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقول سعيد بن جبير من كان يطعم



في ثواب الله (فان أجل الله) أي الوقت المضروب لبقائه (لا ت) أي لحاء الاحتمال فانه لا يجوز  
 عليه اخلاف الوعد (فان قيل) كيف وقع فان أجل الله لا ت جوا بالشرط (أجيب) بأنه اذا  
 كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب  
 اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى  
 الله تعالى ويأمله فليس تعدله وليعمل لذلك اليوم كما قال تعالى فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل  
 عملا صالحا (وهو السميع) أي لما قالوه (العليم) يعلم من صدق فيما قال ومن كذب فيمنيب ويعاقب  
 على حسب علمه قال الرازي وههنا الطينة وهي أن للعبد أمور وهي أصناف حسنة عمل قلبه  
 وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل أعضائه وجوارحه  
 وهو يرى فاذا أتى به ذم الأشياء جعل الله تعالى لمسه وعمله ما لا اذن سمعت وأرئيه ما لا عين رأت  
 ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة اهـ (تبيينه) \* لم يذكر الله  
 تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق القول في قوله أحسب  
 الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يتسنون وبقوله تعالى فليعلمن  
 الله الذين صدقوا وبقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ولا شك أن القول يدرك بالسمع  
 والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما علم مما مر والعلم يشملهما ولما بين تعالى  
 أن التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وابعاد ليس له ما دافع بين ان طلب الله تعالى ذلك  
 من المكاف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى (ومن جاهد) أي بذل جهده في جهاد حرب أو نفس  
 حتى كانه يسابق آخر في الاعمال الصالحة (فانما يجاهد نفسه) لان منفعة جهاده له لانه تعالى  
 فانه غنى مطلق كما قال تعالى (ان الله) أي المتصرف في عباده عايشا (لغنى عن العالمين) أي  
 الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا  
 فلنفسه وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم فيمنبغى للعباد أن يكثر من العمل الصالح  
 ويخلصه لان من عمل فعلا يطلب به ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن العمل ويقتنه واذا علم ان  
 عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسأل الله الكريم الفتح أن يوفقنا للعمل الصالح وأن يفعل ذلك  
 بأهلينا وذريتنا ومحبينا بمحمد وآله ولما بين تعالى حال المسبي مجلا بقوله تعالى أم حسب الذين  
 يعملون السيئات أن يسبقونا إشارة الى التعذيب مجلا وذ كرحال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد  
 فأنما يجاهد نفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا والذين عملوا السيئات لتجزئتهم أجمعين ولا كفه  
 طواه لان السياق لاهل الرجاء عطف عليه قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا) تصديقا لاجتماعهم  
 (الصالحات) أي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك إشارة الى ان رحمة تعالى أتم من  
 غضبه وفضله أتم من عدله وأشار بقوله تعالى (لتمكفرن عنهم سيئاتهم) الى ان الانسان وان اجتهد  
 لا بد من ان يزل عن الطاعة لانه مجبول على النقص فالصلاة الى الصلاة كنارة لما بين ما لم تؤت  
 الكبار والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم المختار فالصغار تكفر بعمل الصالحات وأما الكبار فتمكفرون بالتوبة ولم يشهرهم

بالعقوب أتم البشري بالامتثال بالشواب فقال عاطدا على ما تقديره ولنبتن لهم حسناتهم  
 (ولنجز بينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء ما عملوه وهو الصالحات وأحسن نصب  
 ينزع الخافض وهو الباء \* ولما كان من جملة العمل الصالح الاحسان الى الوالدين ذكر ذلك بقوله  
 تعالى (ووصينا الانسان بوالديه) أي وان علينا (حسنا) أي بترابهما وعطفا عليهم ما أي وصينا  
 بآبائنا والديه حسنا أو بآبائنا والديه حسنا لانهم سبب وجود الولد وسبب بقائه بالتربية المعتادة  
 والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو أولى بأن يحسن العبد  
 حاله معه فيطيعهما ما لم يأمرهم بمعصية الله كما قال تعالى (وان جاهدوا لتشرنوبى) وقوله تعالى  
 (ماليس لك به علم) أي لا علم لك بالهيته موافق للواقع فلامنهوم له وأنه اذا كان لا يجوز أن يتبع  
 فيما لا يعلم صحته فبالاولى أن لا يتبع فيما يعلم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك كما جاء في الحديث لاطاعة  
 المخلوق في معصية الله تعالى ولا بد من اضممار القول ان لم يضر قبل ثم علل ذلك بقوله تعالى (الى  
 مرجعكم) أي من آمن منكم ومن كفر ومن برّ والديه ومن عقى ثم تسبب عنه قوله تعالى (فانبتكم  
 بما كنتم تعملون) أي أخبركم بصالح أعمالكم وسيتم افاضاً بكم عليها انزلت هذه الآية في سعد  
 ابن أبي وقاص الزهري وأمه حنسة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس روى أنها لما سمعت  
 باسلامه قالت له يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظننى سقف بيت من الضح وهو بكسر  
 الصاد المجهمة وبجاء مهملة الشمس والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد  
 وكان أحب أولادها اليها فأبى سعد ولبثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب فلم  
 يطعها سعد بل قال والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا انفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم  
 ثم جاء سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية وهي التي في لقمان  
 والتي في الاحقاف فأمر صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى أنها انزلت  
 في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم مترافقين  
 حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن هشام أخواه لامه أسماء بنت مخزومة  
 امرأة من بني تميم بن حنظلة فنزلت بعياش وقال له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد  
 تركت أمك لا تأكل ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى ترالى وهى أشد حبالك منافاستشار عمر فقال  
 هم ما يخذعوك ولك على أن أقسم ما لي بيني وبينك فما زال به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر  
 أما اذ عصيتنى فخذناقتى فليس في الدنيا بعير يطعمها فان رابك منهم ما ريب فارجع فلما انتهوا الى  
 السداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطى لنفسه وله فأخذه وشده  
 وأوثقه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع  
 عن دين محمد فنزلت ونهى تعالى الله عنه وأرضاه ونفعنا به في الدنيا والآخرة \* ولما كان التقدير  
 فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه لدلالة السياق عليه عطف  
 عليه زيادة في الحث على الاحسان الى الوالدين قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا) تحقيقا لايمانهم  
 (الصالحات لندخلهم في الصالحين) أي الانبياء والاولياء بأن فحشرهم معهم أو ندخلهم وهم

الجنة والصلاح منتهى درجات المؤمنين ومنتهى أنبياء الله والمرسلين \* ولما بين سبحانه وتعالى  
المؤمن بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبين الكافر بقوله تعالى وليعلمن الكاذبين بين  
أنه بقى قسم ثالث مذنب بقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) بأن  
عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) أى له بما يصيبه من أذيتهم في منعه عن الايمان  
الى الكفر (كعذاب الله) أى فى الصفر عن الكفر الى الايمان (ولئن) لام قسم (جاء نصر)  
أى للمؤمنين (من ربك) أى بفتح وغنمة (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو  
ضمير الجمع لاتقاء الساكنين (انا كما معكم) فى الايمان فاشركونا فى الغنمة وأما عند الشدة  
فيجبتون كما قال الشاعر

وما أكره الاصحاب حين تعدهم \* ولكنهم فى الغائبات قليل

قال الله تعالى (أوليس الله بأعلم) أى بعالم (بماتى صدور) أى قلوب (العالمين) من الايمان  
والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أى بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى القريرين واللام  
فى الفعلين لام قسم \* ولما بين الفرق الثلاثة وأحوالهم ذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت  
الى الكفر بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أى ظاهرا وباطنا (للذين آمنوا) أى ظاهرا  
وباطنا لم تتحملون الاذى والذل (اتبعوا سبيلنا) أى الذى نسلك فى ديننا تدفعوا عن أنفسكم  
ذلك فقالوا تخاف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم فقالوا اللهم اتبعونا (ولتحمّل  
خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلى والامر بعنى الخبر  
وهو أولى من قول البيضاوى وانما امر واأنفسهم بالحل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة  
فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا للمؤمنين على الاتباع  
وهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله (وما هم) أى الكفار (بجاملين من خطاياهم) أى  
المؤمنين (من شئ انهم لكاذبون) فى ذلك قال الزمخشري وترى فى المتسمين بالاسلام من  
يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا  
وانه فى عنق وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفه العامة وجهاتهم ومنه ما يحكى  
أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشوحوا تبحر فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت  
الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك  
وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن (فان قيل) كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيا  
علم الله تعالى انهم لا يقدر على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا  
لاحين ضمن ولا حين يحزلانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو الخبر عن الشئ الاعلى  
ما هو عليه (أجيب) بأن الله تعالى شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يثوابه  
فكان ضمهم انهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه الخبر عنهم  
ويجوز أن يراد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ  
وفى قلوبهم نية الخلف \* (تنبيه) \* من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بجاملين

شيئا من خطاياهم (فان قيل) قال الله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ثم قال الله تعالى  
 (وليجملن) أى الكفرة (أثقالهم) أى ائقال ما اقترفته أنفسهم (وأثقالهم) أى ائقالهم (أجيب) بأن قول  
 القائل جل فلان عن فلان يريد أن جل فلان خف فان لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا  
 فتوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم يعنى لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون أو زار أنفسهم  
 وأوزار بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل  
 بها من غير أن ينتص من وزر شيء وقال تعالى فى آية أخرى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة  
 من أوزار الذين يضلونهم بغير علم من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شئ (وليسئلن يوم  
 القيامة) أى سؤال توبيخ وتقريع (عما كانوا يفترون) أى يحتلقون من الأكاذيب والباطيل  
 والادام فى النعنين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ولما كان السياق للبلاء  
 والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهم السلام من طال صبره على البلاء  
 ولم يفتزعزعه عن نصيحة العباد بقوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا) أى أول رسل الله الى المخالفين  
 من العباد وهو معنى (الى قومه) وعمره أربعون سنة فان الكفر كان قد عم أهل الارض وكان  
 عليه السلام أطول الانبياء ابتلاءهم ولذلك قال الله تعالى مسيبا عن ذلك ومتعقبا (فلبث فيهم)  
 أى بعد الرسالة (ألف سنة الاخسين عاما) يدعوهم الى توحيد الله تعالى فكذبوه (فأخذهم  
 الطوفان) أى الماء الكثير فغرقوا (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون وفى ذلك تسلية للنبي  
 صلى الله عليه وسلم ولتابعيه رضى الله تعالى عنهم وتثبيت لهم وتهديد لقريش قال ابن عباس  
 كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة  
 وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفسوا ووروى عن ابن عباس أنه  
 بعث وهو ابن أربع مائة وثمانين سنة وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فان كان هذا  
 محنوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه فى قومه وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش  
 ألف سنة وسبع مائة وثمانين سنة وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقى حديثا مرسلا  
 ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع يعرف اليوم بكر لئوح وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك  
 وعن وهب أنه عاش الف وأربعمائة سنة والآية تدل على خلاف قول الاطباء العمر الانساني  
 لا يزيد على مائة وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعى قال الرازى ونحن نقول ليس طبيعيا بل  
 هو عطاء الهى وأما العمر الطبيعى فلا يدوم عنده ولا يجد فضلا عن مائة أو أكثر (فان قيل)  
 هلا قال تسعمائة سنة وخمسين ولم جاء التمييز والابال سنة وثانيا بالعام (أجيب) عن الاول بأن  
 ما أوردته الله تعالى أحكم لأنه لو قيل كاذ كبريا أن توهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا  
 التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه قال تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك  
 أخصر وأعذب لنظا وأملا بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به  
 نوح عليه السلام من أخته وما كابد من طول المصايرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وتقبيلته فكان ذكر رأس العدد الذي لأرأس أكبر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة  
 السامع مدة صبره وعن الثاني بأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب  
 في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض نتيجة المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك  
 والطوفان لغة ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سبيل أو ظلام أو نحو ذلك قال العجاج  
 وعم طوفان الظلام الاثابا \* (فأنجيناها) أي نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) أي الذين  
 كانوا فيها من الغرق وكانوا ثمانمائة وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح  
 سام وحام ويافت ونسأؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد  
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانمائة نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم (وجعنا لها)  
 أي السفينة أو الحادثة والقصة (آية) أي عبرة وعلامة على قدرة الله تعالى وعلمه وانجائه للطائع  
 واهلاكه للعاصي (للعالمين) أي لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم فانه لم يقع في الدهر  
 حادثة أعظم منها ولا أعرب ولا أشهر في تطبيق الماء لجميع الارض بطولها والعرض وانغراق  
 جميع ما عليها من حيوان انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاه ابراهيم عليه السلام  
 عظيما في قذفه في النار واخراجهم من بلادهم اتبعه به بقوله تعالى (وابراهيم) وهو منصوب  
 اما ياذكر يكون (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي خافوا عاقبه بديل ان قال لان الاحيان  
 تشعل ما فيها واتمام معطوف على نوحا واذ ظرف لا رسلنا أي أرسلناه حين بلغ من السن والعلم  
 مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى  
 (ذلكم) أي الامر العظيم الذي هو اخلاصكم في عبادتكم له وتقواكم (خير لكم) أي من  
 كل شيء (ان كنتم تعلمون) أي في عداد من يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم دون نظر  
 الجهل ولما أمرهم بما تقدم ونبي العلم عن جهل خيريته دل عليه بقوله (انما تعبدون من  
 دون الله) أي غيره (أو ثنانا) أي أصناما لا تستحق العبادة لانها اججارة منحوتة لا شرف  
 لها (وتخلفون) أي تصورون بأيديكم (افسكا) أي شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع  
 وأنتم تسمونه باسم الصانع ومربوب وأنتم تسمونه رباً وتقولون كذبا في تسميتها الهة رادعا  
 شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى (ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا  
 عن الحق الواضح (من دون) أي غير (الله) الذي له الملك كله لا يملكون لكم رزقا) أي  
 شيئا من الرزق الذي لا قوام لكم بدونه وأنتم تعبدونهم فكيف بغيركم فتسبب عن ذلك قوله  
 تعالى (فابتغوا) أي اطلبوا (عند الله) أي الذي له صفات الكمال (الرزق) أي كله فانه  
 لا شيء منه الا وهو بيده (فان قيل) لم نذكر الرزق في قوله تعالى لا يملكون لكم رزقا وعرفه  
 في قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق (أجيب) بأنه ذكر في معرض النفي أي لا رزق  
 عندهم أصلا وعرفه عند الاثبات عند الله تعالى اي كل رزق عنده فاطلبوه منه وأيضا الرزق  
 من الله معروف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير

معلوم فنكره لعدم حصول العلم به (راعبدوه) أى عبادة يتبناها وهي ما كانت خاصة من الشرك  
 (واشكروا) أى أوقعوا الشكر (له) خاصة على ما أفانس عليكم من النعم ثم لعل ذلك بقوله  
 تعالى (اليه) وحده (ترجعون) أى معنى فى الدنيا والآخرة فإنه لا حكم فى الحقيقة لاحد  
 سواه وحسباً بالنشر والحشر بأيسر أمر فيشيب الطائع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان  
 التوحيد أتى بعده بالتهديد فقال (وان تكذبوا) أى وان تكذبونى (فقد) أى فكيفكم فى الوعد  
 والتهديد معركتكم بأنه قد (كذب أمم) أى فى الازمان السكائنة (من قبلكم) أى من قبلى من  
 الرسل فجرى الأمر فيهم على سنن واحد لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصي له  
 ولم يضرب ذلك الرسول شيئاً رماً أو ضرباً به إلا أنفسهم (ومع على الرسول) أن يتهرم على التصديق  
 بل ما عليه (الأبلاغ المبين) الموضح مع ظهوره فى نفسه بلا مصرية بحيث لا يبقى فيه شك باظهار  
 المعجزة واقامة الأدلة على الوحدةية \* (تنبيه) \* فى الخطاب بهذه الآية والآيات بعده إلى  
 قوله تعالى فما كان جواب قومه وجهان \* الأول أنه قوم إبراهيم عليه السلام لأن القصة له  
 فكان إبراهيم عليه السلام قال لقومه ان تكذبونى فقد كذب أمم من قبلكم وانما أتيت  
 بعلى من التبليغ فات الرسول ليس عليه إلا التبليغ والبيان (فان قيل) ان إبراهيم عليه  
 السلام لم يسميته الا قوم نوح وهم أمة واحدة (أجيب) بأن قبل قوم نوح أيضاً كان أقوام  
 كقوم ادريس وقوم شيث وادم وإيضاً فان نوحاً عليه السلام عاش أكثر من ألف سنة وكان  
 القرن يموت وتبى أولاده والآباء يوصون الأبناء بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح أمماً  
 ولقد عاش ادريس ألف سنة فى قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد  
 سنه وأعقابهم على التكذيب \* الثانى ان الآية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذه  
 القصص أكثرها المقصود منه تذكري قومه بحال من مضى حتى يمنعوا من التكذيب  
 ويرتدعوا خوفاً من التعذيب فتال فى أثناء حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام  
 هلكوا فان كذبتم فاني أخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى  
 والبقاى وهذه الآية تدل كما قال ابن عادل على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة لأن  
 الرسول اذا بلغ شيئاً ولم يبينه فلم يأت بالبلاغ المبين (أولم يروا) أى يتظروا (كيف يبدئ الله) أى  
 الذى له كل كمال (الخلق) أى يخلقه الله تعالى ابتداء نطفة ثم مضغة ثم علقة (ثم) هو لا غيره  
 (بدمه) أى الخلق كما كان (ان ذلك) أى المذكور من الخلق الاوّل والثانى (على الله)  
 أى الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص (يسير) فكيف ينكرون الثانى (فان قيل)  
 متى رأى الانسان بدء الخلق حتى يقال أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (أجيب) بأن المراد  
 بارؤية العلم الواضح الذى هو كالرؤية فالعاقل يعلم أن البدء من الله تعالى لأن الخلق الاوّل  
 لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاوّل خلقاً أول فهو من الله تعالى (فان قيل)  
 علق الرؤية بالـ كيفية لا بالخلق ولم يقل أولم يروا أن الله خلق أو بدأ الخلق والكيفية  
 غير معلومة (أجيب) بأن هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يكن شيئاً مذكوراً

وأنه خلقه من نقطة هي من غذاء هو من ماء وتراب وهذا التسدر كافي في حصول العلم  
 بإمكان الاعادة (فان قيل) لم ابرز اسمه تعالى في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه  
 كما قال ثم يعيده من غير ابراز (أجيب) بأنه مع اقامة البرهان على أنه يسير أكد باظهار اسمه  
 فانه يوجب المعرفة أيضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع انظ الله وفهم معناه انه الخلق  
 القادر بقدرته كاملة لا يعجزه شيء محيط بذرات كل نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة وقرأ سورة  
 والكسافي وخلف تر وابتداء على الخطاب على تقدير التول والباقون بالياء على الغيبة \* ولما  
 ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج به الخليل قومه قال تعالى لتبينه محمد صلى الله عليه وسلم  
 (قل) أي لهؤلاء الذين تعبدوا بما نزلنا وما آياتنا آياتهم (سيروا) ان لم تنتدوا بآياتكم ابراهيم  
 عليه الصلاة والسلام وتأتوا ما اقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع (في الارض) ان لم  
 يكفكم النظر في احوال بلادكم (فانظروا) أي نظرا اعتبارا (كيف بدأ) ربكم الذي خلقكم  
 ورزقكم (الخلق) من الحيوان والنبات والزرع والاشجار وغير ذلك مما تضمنته الجبال  
 والسهول (ثم الله) أي الخاتمة لجميع صفات الكمال (يشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى  
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الشين وألف بعد الشين بمدودة قبل الهمزة والباقون بكون  
 الشين والهمزة بعد الشين ثم على ذلك بقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) لان نسبة  
 الاشياء كلها اليه واحدة (فان قيل) ابرز اسم الله في الآية الاولى عند البدء فقال كيف  
 يبدئ الله وأنشئه عند الاعادة وههنا أنشئه عند البدء وأبرزه عند الاعادة فقال ثم الله يشئ  
 (أجيب) بأنه في الآية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يستدل اليه البدء فقال كيف  
 يبدئ الله الخلق ثم يعيده اكتفاء بالاولى وفي الثانية كان ذكر البدء مستندا الى الله تعالى  
 فاكتفى به ولم يبرزه وأما اظهاره عند الانشاء ثانيا فقال ثم الله يشئ مع انه كان يكفي أن يقول  
 ثم يشئ النشأة الآخرة فلمحكمة بالغة وهي انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة أظهر اسمه  
 حتى ينههم به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهر اليقوع في ذهن  
 الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونسوة ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته (فان  
 قيل) قال في الاولى أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق بلغظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف  
 بدأ الخلق بلغظ الماضي فما الحكمة (أجيب) بأن الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم  
 وهو موجب للعلم ببدء الخلق وأما الدليل الثاني فعنا ان كان ليس لكم علم بأن الله يبدئ الخلق  
 فانظروا الى الاشياء المخلوقة فيحصل لكم العلم بأن الله بدأ خلقا ويحصل من هذا القدر العلم بأنه  
 يشئ كما بدأ ذلك (فان قيل) قال في هذه الآية ان الله على كل شيء قدير وقال في الاولى ان  
 ذلك على الله يسير فما فائدته (أجيب) بأن فيه فائدتين الاولى ان الدليل الاول هو الدليل النفسي  
 وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الآتي اليه يحصل العلم التام  
 لانه بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه فيتم علمه بأن كل شيء من الله تعالى فقال  
 عند تمام الدليل ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على

الله يسير الثانية ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه فاذا سئلت عن حمله عشرة ارطال تقول ذلك سهل يسير عليه فتقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بأن هذه الامور عند الله سهلة يسيرة فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعداء ولما تم الدليل على الاعداء انتج لا محالة انه (يعذب) أي بعدله (من يشاء) تعذيبه أي منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة (ويرحم) أي بفضله ورحمته (من يشاء) رحمته فلا يعمه سوء (فان قيل) لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي (أجيب) بأن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقته بحكم الاعداء وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعاً للتلافي كون العذاب مذكورا وحده وهذا تحقيق قوله رحمتي سبقت غضبي (والله) وحده (تقبلون) أي تردون بعد موتكم بأيسر سعي (وما أنتم بهجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض) كيف اقبلتم في ظاهرها وباطنها واختلاف في معنى قوله تعالى (ولآفي السماء) لان الخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السماء فقال القراء معناه ولا من في السماء بهجزان عصي كقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

فمن بهجز رسول الله منكم \* ويمدحه وينصره سواه

أراد من يمدحه وينصره فأضمر من يريد أنه لا بهجز أهل الارض من في الارض ولا أهل السماء من في السماء فالمعنى ان من في السماء عطف بتقدير ان يعصى وقال القراء وهذا من غوامض العربية وقال قطرب وما أنتم بهجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل ما يفوتني فلان هنا ولا في البصرة أي ولا في البصرة لو كان بها وكقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض أي على تقدير أن تسكنوا فيها وقال ابن عادل وأبعد من ذلك من قدر موصولين محذوفين أي وما أنتم بهجزين من في الارض من الجن والانس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تهجزون خالقهما وعلى قول الجمهور ويكون المنعول محذوفاً أي وما أنتم بهجزين أي فائتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعي ويمكن أن يكون له نظراً الى قصة غرود وبنائه الصرح الذي أراد به التوصل الى السماء لاسمائها والآيات مكتنفة بقصة ابراهيم عليه السلام من قبلها ومن بعدها \* ولما أخبرهم بأنهم مقدور عليهم وكان ربما يتوهم أن غيرهم ينصرهم صرح بنضيه في قوله تعالى (وما لكم) أي أجمعين وأشار الى سفول رتبة كل من سواه بقوله تعالى (من دون الله) أي غيره وأكده النسي بآيات الجبار بقوله (من ولي) أي قريب يحكمكم لاجل القرابة (ولانصير) ينصركم من عذابه \* ولما بين الاصلين التوحيد والاعداء وقرروهما بالبرهان هدد كل من خالفه على سبيل التفصيل بقوله تعالى (والذين كفروا) أي استروا ما أظهرت لهم أنوار العقول (بآيات الله) أي بسبب دلائل الملك الاعظم المرتبة والمجموعة التي لا أوضع منها (واقاته) بالبعث بعد الموت الذي أخبر به وأقام الدليل عليه



(أوثانك) أى البعداء البغضاء (يتسوا) أى متحققين بأسمهم من الآن بل من الازل لانهم لم يرجوا لقاء الله يوما ولا قال قائل منهم رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين (من رحمتى) أى من أن أفعل بهم من الأكرام بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم (وأوثانك لهم عذاب أليم) أى مؤلم بالغ ألمه (فان قيل) هلا كتفى بقوله تعالى أوثانك مرة واحدة (أجيب) بأن ذلك كثر تشخيما للامر فالأمر وصف لهم لان المؤمن دائما يكون راجيا خائفا وأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف وعن قتادة ان الله تعالى ذم قومها فوالله فقتال أوثانك يتسوا من رحمتى وقال ولا يأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا يأس من روح الله ولا من رحمة وأن لا يأس من عذابه وعقابه فصفة المؤمن أن يكون راجيا لله خائفا ثم ان الله تعالى أخبر عن فظاظة قوم ابراهيم وتكبرهم بقوله تعالى (فما كان جواب قومه) لما أمرهم بالتوحيد وتقوى الله تعالى (الآن قالوا) أى قال بعضهم لبعض اوقاله واحد منهم وكان الباكون راضين (اقتلوه أو حرّقوه) بالنار (قان قيل) كيف سمى قواهم اقتلوه أو حرّقوه جوابا مع انه ليس بجواب (أجيب) عنه من وجهين أحدهما أنه خرج مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع أن السيف ليس بجواب وانما معناه لا أقابل بالجواب وانما أقابل بالسيف وثانيهما أن الله تعالى أراد بيان صلابتهم وأنهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فيبين أنهم لم يكن لهم جواب أصلا وذلك أن من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم أنه يقدر على الجواب ام لا الجواز أن يكون بكونه عن الجواب لعدم الالتفات وأما إذا أجب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه ثم انهم استقر رأيتهم على الاحراق فجمعوا له حطيا الى أن ملؤا ما بين الجبال وأنشروا فيه النار حتى احترقت مادانها بعظيم الاشتمال وقذفوه فيها بالمنجنيق (فأنجاه الله) بما له من كمال العظمة (من النار) أى من احراقها وأذاها وفتعته بأن أحرقت وثاقه (ان في ذلك) أى ما ذكر من أمره وما اشتملت عليه قصته من الحكم (لايات) أى براهين قاطعة في الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه في الاعيان والمعاني لتكون النار لم تحرقه وأحرقت وثاقه وكل ما مرّ عليها من طائر وانجادها مع عظمتها في زمان يسير وانشاء روض مكانها وروى انه لم يتفجع في ذلك اليوم الذى ألقى فيه ابراهيم عليه السلام بالنار وذلك لذهاب حرقتها (لقوم يؤمنون) أى يصدقون بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها (وقال) أى ابراهيم عليه السلام غيرها تب لتهديدهم بقتل أو غيره (انما اتخذتم) أى اخذتم باصطناع وتكلف وأشار الى عظمة الله وعلو شأنه (من دون الله) الذى كل شئ تحت قهره (أوثانا) أى أصناما تعبدونها وما مصدرية (مودة بينكم) أى تواددتكم على محبتها (في الحياة الدنيا) بالاجتماع عندها والتواصل في أمرها بالتناصر والتعاقد كما يتفق ناس على مذهب فيكون ذلك سبب تصادقهم وهذا دال على أن جمع الفسوق لاهل الدنيا هو العادة المستمرة وان الحب في الله والاجتماع له عز زجدا المفاضة من قطع علائق الدنيا وشهواتها التى زينت للناس على ما فيها من الالباس

وعظيم اليأس وقرأ نافع وابن عامر وشعبة مودة بالنصب والتنوين وبينكم نصب النون  
فنصب مودة على أنه منقول له أي لا أجل مودة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع  
مودة من غير تنوين وكسر النون على أن مودة خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة والباقون  
بنصب مودة من غير تنوين وكسر النون وهذا أيضا كاعراب المنونة \* ولما أشار إلى هذا النفع  
الذي هو في الحقيقة شرا تباع ذلك ما يعتبه من الضر البالغ مع إباداة البعد بقوله ( ثم يوم  
القيامة يكفر بعضكم ببعض ) فيذكر كل منكم بحاسن أخيه ويتبرأ منه تلعن الاتباع القادة  
وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى ( ويلعن بعضكم بعضا ) وتذكرون كلكم عبادة الاوثان  
تارة اذا تحققت انها ضرر لانفع لها وتقرن بها أخرى طالبت نصرتها راجين منفعتها وتذكر  
الاوثان عبادتكم وتجدد منفعتكم ( وما أوأكم ) أي جميعا أنتم والاوثان ( النار وما أنتم  
من ناصرين ) محمودكم منها \* ثم بين تعالى أول من آمن بإبراهيم بقوله تعالى ( فآمن له ) أي  
لا أجل دعائه مع ما رأى من الآيات ( لوط ) وكان ابن أخيه هاران وهو أقل من صدقه من  
الرجال ( وقال ) أي إبراهيم عليه السلام لما وجد ير بالانكار من الهجرة أصعبتها ( إلى  
مهاجر ) أي خارج من أرضي وعشيرتي على وجههم فتقتل ومخداز ( إلى ربي ) أي إلى أرض  
ليس فيها أنيس ولا عشير ولا من ترجى نصرته ولا من تنفع مودته فهاجر من كوفي من سواد  
الكوفة إلى حران ثم منها إلى الأرض المقدسة فكانت هجرتان ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة  
ولا إبراهيم عليه السلام هجرتان وهو أول من هاجر في الله وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة  
قال مقاتل وكان اذذاك ابن خمس وسبعين سنة ( فان قيل ) لم يقل اني مهاجر إلى حيث أمرني  
ربي مع أن المهاجرة توهم الجهة ( أجيب ) بأن هذا القول ليس في الاخلاص كقوله إلى ربي لأن  
الملك اذا صدر منه أمر برواح الاختيار ثم ان واحدا منهم سار إلى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد  
هاجر إلى حيث أمره الملك ولكن ليس لا تخلف الوجه فلذا قال مهاجر إلى ربي يعني يوجهني  
إلى الجهة المأمور به للهجرة إليها ليس طلبا للجهة وانما هو طلب الله ثم علل ذلك بما يسليه عن فراق  
أرضه وأهل وده من ذوى رجه وأنسابه بقوله ( انه هو ) أي وحده ( العزيز ) أي فهو جدير  
باعزاز من انقطع اليه ( الحكيم ) فهو اذا أعزأ أحدا منعتة حكمته من التعرض له بالاذلال  
بفعل أو مقال \* ولما كان التقدير فأعززناه بما ظن باعطف عليه قوله ( ووهبنا له ) أي بعظيم  
قدرتنا شكرا على هجرته ( اسحق ) من زوجته سارة رضى الله تعالى عنها التي جمعت إلى العقم  
في شبابه اليأس في كبرها ( ويعقوب ) من ولده اسحق عليهما السلام ( فان قيل ) لم يذكر  
اسم عيل عليه السلام وذكر اسحق وعقبه ( أجيب ) بأن هذه السورة لما كان السياق فيها  
للامتحان وكان إبراهيم عليه السلام قد ابتلى في اسمعيل بفراقه مع أمته ووضعهما في مضجعة  
من الأرض لا أنيس فيها لم يذكره تصریحاً في سياق الامتحان وأفرد اسحق لأنه لم يتصل فيه بشئ  
من ذلك ولان الامتحان به ليكون أمته عجوزا عقيماً أكبر وأعظم لانها أعجب وذكر اسمعيل  
تلويحاً في قوله تعالى ( وجعلنا ) أي بعزتنا وحكمتنا ( في ذريته ) من ولد اسحق واسمعيل

عليه ما السلام (النبوة) فلم يكن بعده نبي أجنبى عنه بل جميع الانبياء من ذرية اسحق الابنينا  
محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل قاله بعض العلماء (فان قيل) ان الله تعالى جعل  
في ذريته النبوة اجابة لدعائه والوالد يسوى بين اولاده فكيف صارت النبوة في ولد اسحق عليه  
السلام أكثر (أجيب) بأن الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى يوم القيامة قسمين  
والناس أجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه أنبياء فيهم فضائل جمة وجاءوا  
تتري واحدا بعد واحد ومجتعين في عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم في القسم  
الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده اسمعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه ما كان فيهم  
وأرسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين  
أولاد اسحق أكثر من أربعة آلاف سنة ولا يعد أن تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك  
المقدار (والكتاب) فلم ينزل كتاب الاعلى اولاده (فان قيل) لم أفرد الكتاب مع انها أربعة  
التوراة والانجيل والزبور والفرقان (أجيب) بأنه أفرد لم يدل مع تناوله جنسية الكتب  
الأربعة انه لا شئ يستحق أن يكتب الاما أنزل فيها وكان راجعا اليها ولو جمع لم يفده هذا المعنى  
(وآياته أجره) على هجرته (في الدنيا) بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد  
العيش وكثرة الولد والحزم في الشجوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة من جميع الخلق  
وغير ذلك قال الرازي وفي الآية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع أحوال ابراهيم عليه  
السلام في الدنيا باضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل الله تعالى وحده  
بالكثرة حتى سلا الدنيا من ذريته ولما كان أولاد بعث الى قومه وأقاربه الاقربين ضالين مضلين  
من جملتهم آزر بدل الله تعالى أقاربه بأقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعلت فيهم  
النبوة والكتاب وكان أولاد اجاهه ولا مال وهم اغاية المذلة الدنياوية آناه الله تعالى من المال  
والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر ألف كلب  
حارس بأطواق الذهب وأما الجاه فصار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء  
الى يوم القيامة فصار معروفا بشيخ المرسلين بعد أن كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم  
يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا للمجهول عند الناس (وانه في الآخرة) أى التي هي  
الدار ومحل الاستقرار (لمن الصالحين) أى الذين خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى  
وزيادة قال ابن عباس مثل آدم ونوح وفي اعراب قوله تعالى (ولو طأ) ما تقدم في اعراب  
نصب ابراهيم (اذ) أى حين (قال لقومه) أهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم وانقطع  
اليهم فصار وقومه حين فارق عمه الخليل ابراهيم عليه السلام منكرا ما رأى من حالهم وقبح  
فعالهم مؤكداً (أفئتمكم لتأتون الفاحشة) وهى اديار الرجال المجاوزة للحد في القبح  
فكأنهم ذلك لافاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله (ما سبقكم بها) وهى حالة  
مينة لعظيم جراتهم على الذكر أى غير مسبوقين به وأغرق في النبي بقوله (من أحد) وزاد  
بقوله (من العالمين) أى كلهم من الانس والجن أى فضلا عن خصوص الناس ثم كرر الانتكار

تأكيد التجاوز قبها الذي ينكرونه بقوله (أنتكم لتأتون الرجال) آيات الشهوة وعطف  
عليها ما ضموا اليها من المناكر بقوله (وتقطعون السبيل) أي طريق المارة بالقتل وأخذ  
المال بفعلكم الفاحشة بمن يترككم فترك الناس المتر بكم أو تقطعون سبيل النساء بالاعراض  
عن الحرث وآيات ما ليس بمرث (وتأتون في ناديتكم المنكر) أي تفعلون في متحدثكم ففعل  
الفاحشة بضمكم ببعض وهو مما تنكره الشرائع والمرآت والعقول وأنتم لا تتعاشون عن شيء  
منه في المجتمع الذي يتعاشي فيه الانسان من فعل خلاف الاولى من غير أن يستحي بضمكم من  
بعض قال ابن عباس المنكر هو الحذف بالحصا والرعي بالبنادق والفرقة ومضغ العلك  
والسوالك بين الناس وحل الازار والسباب والتضارط في مجالسهم والفحش والمزاح وعن  
عائشة رضى الله تعالى عنها كانوا يتحابقون وقيل الصحفية عن يترجم وقيل المجاهرة  
في ناديتهم بذلك العمل وكل معصية فاطهارها أقيح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء  
فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناديا الاما دام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يسم ناديا وعن ملحول  
في أخلاق قوم لوط مضغ العلك وظريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف  
واللوطية ودل على عنادهم بقوله تعالى مسبيا عن هذه القضايح بالنهي عن تلك القبائح  
(فما كان جواب قومه) أي الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ويتقى أذاهم لما أنكر  
عليهم ما أنكر (الآن قالوا) عناد وجهلا واستهزاء (انتنا بعذاب الله) وعبروا بالاسم  
الاعظم زيادة في الجرأة (ان كنت من الصادقين) أي في استقباح ذلك وان العذاب نازل  
بفاعة عليه (فان قيل) قال قوم ابراهيم عليه السلام اقتلوه أو حرّوه وقال قوم لوط انتنا بعذاب  
الله ان كنت من الصادقين وما هتد به مع ان ابراهيم كان أعظم من لوط فان لوطا كان من قومه  
(أجيب) بأن ابراهيم كان يتدح في دينهم ويشتم الهتهم ويعتد صفات نقصهم بقوله لا يسمع  
ولا يصرو ولا ينفع ولا يغني والسب في الدين صعب فجعلوا جزاء القتل والتحريرى ولوطا كان  
ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين  
فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابراهيم كلام ابراهيم فقالوا له انت تقول ان هذا  
حرام والله يعذب عليه فان كنت صادقا فانتنا بعذاب (فان قيل) ان الله تعالى قال  
في موضع آخر فما كان جواب قومه الآن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم وقال هنا  
فما كان جواب قومه الآن قالوا انتنا بعذاب الله فكيف الجمع (أجيب) بأن لوطا كان  
ثابتا على الارشاد مكررا على النهي والوعيد فقالوا أولا انتنا ثم لما نزل ذلك منه  
ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوا ولما ليس منهم طلب النصره من الله بأن (قال) أي لوط  
عليه السلام معرض عنهم مقبلا بكليته على المحسن اليه (وب) أي أيها المحسن الى (انصرتى على  
القوم) أي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه (المفسدين) أي العاصين بآيات الرجال  
ووصفهم بذلك مبالغه في استئزال العذاب واشعارا بأنهم أحقاء بأن يجعل لهم العذاب ولما  
دعا لوط على قومه بقوله رب الى آخره استجاب الله تعالى دعاه وأمر ملائكته باهلاكهم

وأرسلهم مبشرين ومنذرين كما قال تعالى (ولما جاءت) وأسقط ان لانه لم يتصل القول بأول المجيء بل كان قبله السلام والضيافة وعظم الرسل بقوله تعالى (ولما أتت) أي من الملائكة تعظيماً لهم في أنفسهم (أبراهيم بالبشرى) أي بالحق ولد له ويعقوب ولد لاسحق عليهم السلام (قالوا) أي الرسل عليهم السلام لأبراهيم عليه السلام بعد أن بشره وتوجهوا نحو سدوم (انما هم الكواهل هذه القرية) أي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى عن الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم (ان أهلها كانوا ظالمين) أي غريبين في هذا الوصف فلاحية في رجوعهم عنه (فان قيل) قال تعالى في قوم نوح فأخذهم الطوفان وهم ظالمون في ذلك اشارة الى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل فأخذهم وكانوا ظالمين وهنا قال ان أهلها كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون (أجيب) بأنه لا فرق في الموضوعين في كونهم مأمهليكين وهم مصررون على الظلم لكن هنالك الاخبار من الله تعالى عن الماني حيث قال فأخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا انما هم الكواهل فذكروا ما أمروا به فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء أدب وهم كانوا ظالمين في وقت الامر وكونهم يبقون كذلك لا علم لهم به \* ولما قالت الملائكة لأبراهيم عليه السلام ذلك (قال) لهم مؤكداً تنبها على حالة ابن أخيه (ان فيها لوطاً) ولم يقل عليه السلام ان منهم لوطاً لانه نزل عندهم فلذا جاء بالتصريح بالسؤال عنه (قالوا) أي الرسل عليهم السلام له (نحن أعلم) منك (بمن فيها) أي من لوط وغيره (لنصيته وأهله الامر أنه كانت من الغابرين) أي الباقين في العذاب وهم النجرة لعم وجههم معهم الغيرة وقرأ حزمة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم بعدها والباقون يفتح النون وتشديد الجيم بعدها (ولما أتت رسلاً لوطاً) أي المعظمون بنا (سئ) أي حصلت له المساءة والغم (بهم) أي بسببهم تخافة أن يقصدهم قومه بسوء لما رأى من حسن أشكالهم وهو يظن انهم من الناس لانهم جاءوا من عند ابراهيم عليه السلام اليه على صورة البشر روى انهم كانوا يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مرت بهم عبر سبيل حذوهم فأبهم أصابعه كان أولى به قيل انه كان يأخذهم معه وينكحهم ويفترمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك واهذا يقال أجور من قاضي سدوم (وضاق) أي باعمال الحيلة في الدفع عنهم (بهم ذرعاً) أي ذرعه أي طاقته والاصل في ذلك أن من طالت ذراعه نال ما لا يشاله قصرها يضرب مثلاً في العجز والقدرة \* ولما رأوه على هذه الحالة خفضوا عليه (قالوا) له (لاتخف) ان ارسل ربك لاهلاكهم (ولاتخزن) أي على تمكينهم منا أو على أحد من يهلك فانه ليس في أحد منهم خير يوسف عليه بسببه فانهم وصلوا في الخبيث الى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير ملل ولا ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التأكيد (انما نجوك) أي مبالغون في انجائك وقولهم (وأهلك) منصوب على محل الكاف (الامر أنك كانت من الغابرين) فان قيل القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامر أنه لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم

أجيب بأن الدال على الشر كفاعله كما أن الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم  
 على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كأحدهم (فان قيل) ما مناسبة  
 قواهم انا منجوك لقواهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه (أجيب) بأن لوطا  
 لما ضاق عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف اى علينا ولا تحزن لاجلنا فانما لكثرة ثم قالوا له يا لوط  
 خفت علينا وحررت لاجلنا ففى مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك ونجيتك وفى مقابلة  
 حزنك نزيل حزنك ولا تترك تفجع فى أهلك فقالوا انا منجوك وأهلك وقرأ ابن كثير وشعبية  
 وحزة والكسافى بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم انهم  
 بعد بشارة لوط بالنجية قالوا له (انما منزلون) اى لا محالة (على اهل هذه القرية رجرا) اى عذابا  
 (من السماء) فهو عظيم وقعه شديد صدعه واختلف فى ذلك الرجز فقبل حجارة وقبل نار وقبل  
 خسف وعلى هذا يكون المراد ان الامر بالخسف والقضاء به من السماء وقرأ ابن عامر بفتح النون  
 وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى \* (تنبيه) \* كلام الملائكة مع لوط جرى  
 على غلط كلامهم مع ابراهيم عليه السلام فقدموا البشارة على انزال العذاب ثم قالوا انا منجوك  
 ثم قالوا انا منزلون ولم يعلموا التنجية فلم يقولوا انا منجوك لانك نبى أو عابد وعلوا الاهلاك فقالوا  
 (بما كانوا يفسقون) اى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل والحياء كقواهم هناك ان  
 أهلها كانوا ظالمين \* ولما كان التقدير ففعلت رسلا ما وعدوه به من انجائه واهلاك جميع  
 قراهم فتركتها كان لم يسكنها أحد عطف عليه قوله تعالى (واقدرت كما) اى بما لنا من العظمة  
 (منها) اى من تلك القرى (آية) اى علامة على قدرتنا على كل ما نريد (بينه) اى  
 ظاهرة قال ابن عباس منازلهم الخربة وقال قتادة هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله تعالى  
 حتى أدركها أوائل هذه الامة وقال مجاهد وظهور الماء الاسود على وجه الارض (فائدة)  
 اتفق القراء على ادغام الدال فى التاء \* (تنبيه) \* فى هذه الآية اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه  
 القصة من العرب وغيرهم وأنه ليس بينهم وبين الهدى الاتفكيرهم فى أمرهم مع الاتخلاع من  
 الهوى وانما يكون ذلك (لقوم يعقلون) اى يتدبرون فعد من لم يستبصر بذلك غير عاقل  
 \* (تنبيه) \* ههنا أسئلة الاوّل كيف جعل الآية فى نوح و ابراهيم عليهم السلام بالنجاة  
 فقال فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية وقال فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لايات  
 وجعل ههنا الهلاك آية الثانى ما الحكمة فى قوله تعالى فى السفينة جعلناها آية ولم يقل بينة  
 وقال ههنا آية بينة الثالث ما الحكمة فى قوله تعالى هناك للعالمين وقال ههنا لقوم يعقلون  
 (أجيب) عن الاوّل بأن الآية فى ابراهيم كانت فى النجاة لان فى ذلك الوقت لم يكن اهلاكا  
 وأما فى نوح فلان الانجاء من الطوفان الذى علا الجبال بأسرها أمر عجيب الهى وما به النجاة  
 وهو السفينة كان باقيا والفرق لم يبق له بعده أثر محسوس فى البلاد فجعل الباقي آية وأما ههنا  
 فنجاة لوط لم تكن بأمر يبق أثره للحس والهلاك أثره محسوس فى البلاد فجعل الآية الامر  
 الباقي ههنا البلاد وههنا السفينة (وههنا لطيفة) وهى ان الله تعالى آية قدرته موجودة

في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آيات الانجاء لانها اثر الرحمة واخر آيات الهلاك  
 لانها اثر الغضب ورحمة سابقة وعن الثاني بأن الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر آخر وأما  
 الآية ههنا الحسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها سافلها وهو ليس بعماد وانما ذلك بارادة  
 قادر يخصصه بـ كان دون مكان و بزمان دون زمان فهى بيّنة لا يمكن الجاهل أن يقول هذا  
 أمر يكون كذلك وكان له أن يقول في السفينة أمرها يكون كذلك فيقال له فلودام الماء حتى  
 يتفد زادهم كيف كانت تحصل لهم النجاة ولو سلط الله تعالى عليهم الريح العاصفة كيف  
 تكون أحوالهم وعن الثالث بأن السفينة موجودة معلومة في جميع أقطار العالم فعند  
 كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة منه ولا يثق  
 أحد بعجز السفينة بل يكون دائماً يرتجف القلب متضرعاً الى الله تعالى طالباً للنجاة وأما  
 اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطالع عليه الا من مر به او يصل اليها ويكون له  
 عقل يعلم أن ذلك من الله تعالى و ارادته بسبب اختصاصه بـ كان دون مكان ووجوده في زمان  
 دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام أيضاً قد اتى بتكذيب قومه اتبع قصته بقصة لوط  
 بقوله تعالى (والى مدين) أى واقداً أرسلنا وبعثنا الى مدين (أخاهم) أى من النسب والبلد  
 (شعبيا) ومدين قبيل اسم رجل في الاصل وجهل وله ذرية فاشتهرت في القبيلة كتميم وقيس  
 وغيرهما وقيل اسم ماء نسب القوم اليه فاشتهرت في القوم قال الرازى والاول كأنه أشجع لان  
 الله تعالى أضاف الماء الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسماً للماء لكانت  
 الاضافة غير صحيحة أو غير حقيقية والاصل في الاضافة التغير والحقيقة (فان قبيل) قال تعالى  
 في نوح واقداً أرسلنا نوحاً الى قومه فتقدم نوحاً في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك  
 في ابراهيم ولوط وههنا ذكر القوم أولاً وأضاف اليهم أخاهم شعبياً الحكمة في ذلك (أجيب)  
 بأن الاصل في الجميع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معين وانما  
 تبعث الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره غير ان قوم نوح  
 و ابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاصة ولان نسبة مخصوصة يعرفون بها يعرفوا بنبيهم عليه السلام  
 فقيل قوم نوح وقوم لوط فأما قوم شعيب وهو دوصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهر وابه عند  
 الناس فخرى الكلام على أصله وقال تعالى والى عاد أخاهم هوذا والى مدين أخاهم شعبياً  
 (فقال) أى فتسبب عن رساله وبعثه ان قال (يا قوم اعبدوا الله) أى الملك الاعلى وحده  
 ولا تشركوا به شيئاً فان العبادة التي فيها شرك ظاهر أو خفي عدم لان الله تعالى أغنى الشركاء  
 فهو لا يقبل الا ما كان له خالصاً (فان قيل) لم يذكر عن لوط عليه السلام انه أمر قومه بالعبادة  
 والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك (أجيب) بأن لوطاً كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان  
 ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتاج لوط  
 الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ابداً أمر بالتوحيد  
 اذا من رسول الا ويكون أكثر كلامه في التوحيد وأما شعيب فكان بعد ان قرأ ذلك الزمن

وذلك التوم فكان هو أصلا في التوحيد فبدأ به \* ولما كان السياق لاقامة الأدلة على البعث  
الذي هو من مقاصد السورة قال (وارجوا اليوم الآخر) أي وافعلوا ما ترجون به العاقبة  
فأقيم المسبب مقام السبب أو أمر وبالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر  
الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعشوا في الارض)  
حال كونكم (مفسدين) أي متعمدين الفساد \* ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم  
تسبب عنه وتعقبه اهلا كهيم تحقيرهم لان أهل السياات لا يسبقوننا قال تعالى (فكذبوه) في ذلك  
(فان قيل) ما حكاها الله تعالى عن شعيب أمر ونهى والامر لا يكذب ولا يصدق فان من قال  
لغيره اعبد الله لا يقال له كذبت (أجيب) بأن شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه والحشر  
كائن فارجوه والفساد محترم فلا تقربوه وهذا في الاخبارات فكذبوه فيما أخبر به (فأخذتهم  
الرجفة) أي الزلزلة الشديدة وعن النحاة صيحة جبريل لان القلوب رجفت بها (فأصبحوا  
في دارهم) أي في بلادهم أو دورهم فاعتقوا بالواحد ولم يجمع لان اللبس (جاء بين) أي  
باركين على الركب ميتين (فان قيل) قال تعالى في الاعراف وههنا فأخذتهم الرجفة وقال  
في هو فأخذتهم الصيحة والحكاية واحدة (أجيب) بأنه لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت  
سببا للرجفة لان جبريل لما صاح تزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى  
السبب لانتفاء الاضافة الى سبب السبب (فان قيل) ما الحكمة في انه تعالى اذا قال فأخذتهم  
الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فأخذتهم الرجفة قال في دارهم (أجيب) بان المراد من  
الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وأن تكون بلفظ الواحد اذا  
أمن اللبس كما مر وانما اختلف اللفظ للطفقة وهي ان الرجفة هائلة في نفسها فلم تتحجج الى تهويلها  
وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها ~~لكن~~ تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أخذت الزلزلة  
في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كلامه فلم تتحجج  
الى معظم الامرها \* ولما كان معنى ختام قصة مدين فأهلكاهم عطف على ذلك المعنى قوله تعالى  
(وعادا) أي وأهلكنا أيضا عادا (وعودا) مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو لان من  
المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الامم بعضها في الخير والشر على نسق والجرى بهم  
في اهلاك المكذبين وانجاء المصدقين طبقا عن طبق وقرأ حزة وحنص في الوصل وعمودا بغير  
تنوين على تأويل التيسير وفي الوقف بسكون الدال والباقون بالتنوين وفي الوقف بالالف  
(وقد تبين لكم) أي ما حل بهم من مساكنهم أي ما وصف من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة  
الاجسام وسفه الاحلام وعلو الاحتمام وتقرب الازهان وعظم الشأن عند مديركم بتلك  
المساكن ونظركم اليها في ضربكم في التجارة الى الشام فصرفوا في الاقبال على الاستماع  
بالعرض الثاني من هذه الدنيا فامروا بعباد ابنا وامشيدا ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا من أمر  
الله (وزين لهم الشيطان) البعيد من الرحمة المحترق باللعنة بقوة احتياله ومحبوب ضلاله  
ومحاله (أعمالهم) أي الفاسدة من الكفر والمعاصي فأقبلوا بكليتهم عليها (فصدتهم) أي



فتسبب عن ذلك صدمهم (عن السبيل) أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق الا هو  
لكونه يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك \* ولما كان ذلك وبما ظن لفرط غباوتهم قال  
(وكانوا مستبصرين) أى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء \* ولما كان فرعون ومن  
ذكر معه من العتوب يمكن لا يخفى لما أتوا من القوة بالاموال والرجال قال (وقارون) أى وأهلكنا  
قارون وقومه لان وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب لكونه من بنى اسرائيل ولانه ابتلى بالمال  
والعلم فكان ذلك سبب اعجابه فتكبر على موسى وهرون عليه السلام فكان ذلك سبب  
هلاكه (وفرعون وهامان) وزيره الذى أوقدله على الطين فباع سعاده لكونه ذنب الغيرة  
(ولقد جاءهم) من قبل (موسى بالبينات) أى بالحجج الظاهرات التى لم تدع لبسا (فاستكبروا) أى  
طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم افعال من يطلب ذلك (فى الارض)  
بعد حجى موسى عليه السلام اليهم أثرهما كانوا قبله (وما كانوا سابقين) أى فائتين بل أدركهم  
أمر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) أى فتسبب عن تكذيبهم أن كلاً (أخذنا) أى  
بنا من العظمة (بذنبه) أى أخذنا عقوبة ليعلم أنه لا أحد يعجزنا (فمنهم من أرسلنا عليه  
حاصبا) أى ربحا عاصنا فيها حسباء كتوم لوط وهاد (ومنهم من أخذته الصيحة) أى التى  
تظهر شدتها الريح الحاملة لها الموافقة لتصددها فتجرف لعظمتها الارض كدين وثود (ومنهم  
من خسفنا به الارض) أى غيبناه فيها كقارون وجاعته (ومنهم من أغرقنا) بالغمر فى الماء  
كتوم نوح وفرعون وقومه وعذاب قوم صالح المعدى فى الاغراق والمعدى فى الخسف فتارة يهلك  
بريح تقذف بالحجارة من السماء كتوم لوط ارض كعاد (وما كان الله) أى الذى  
لا شئ من الجلال والكمال الاله (ليظلمهم) أى فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم)  
لا غيرها (يظلمون) بارتكاب المعاصى ولم يقبلوا النصيح مع هجرهم ولا خافوا العقوبه على  
ضعفهم \* ولما بين تعالى انه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينعمه معبوده  
مثل تعالى اتخاذه ذلك معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا فقال (مثل الذين اتخذوا) أى  
تكفوا أن اتخذوا (من دون الله) أى الذى لا كف له فرضوا بالادون الذى لا ينفع ولا يضرك  
عوضا عن لا تكفيه الاوهام والظنون (أولياء) ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها  
فى الضعف والوهن (كمثل العنكبوت) أى الدابة المعروفة ذات الارجل الكثيرة الطوال  
(اتخذت بيتا) أى تكافى أخذته فى صنعته ليقبها الردى ويحميها البلاء كما تكافى هؤلاء  
اصطناع آربابهم ليقوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها فى أمره ونعياها  
الشديد فى شأنه فى غاية الوهن (وان) أى والحال ان (أرهن البيوت) أى أضعفها (بيت  
العنكبوت) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) أى  
لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وأيضا انه اذا صح تشبيه  
ما عتدوه فى دينهم بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أى لو كان  
لهم نوع ما من العلم لا تقعوا به ولعلوا ان هذا مثلهم فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثلهم ولقاتل

قوله وعند قوم صالح الخ كذا فى جميع الاصول التى لا بد منها وهو غير مستقيم اه

أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا بجر وجص أو ينصته من صخر وكان أو هن البيوت اذا استقر بيتها بيتا يتايت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقرت يتنادى بعبادة الاوثان ( فان قيل ) لم مثل تعالى ياخذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها ( أجيب ) بأن نسجها فيه فائدة لولما حصلت وهو اصطياد الذباب به من غير أن يقوتها ما هو أعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يقوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي خير وأبقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت \* ( تنبيه ) \* نون العنكبوت أصلية والواو والتاء مزيدتان بدليل جمعه على عنكب وتصفيره عنكب ويذكر ويؤنث فن التأنيث قوله تعالى اتخذت ومن التذكير قول الغائل

على هطالهم منهم بيوت \* كان العنكبوت هو ابتناها

وهذا مطرد في أسماء الاجناس تذكروا وتؤنث وقرأ ورش وأبو عمر و وحقق البيوت بضم الباء والباقون بكسرهما \* ولما كان ضرب المثل بالشئ لا يوضح الامن العالم بذلك الشئ قال الله تعالى ( ان الله ) أى الذى له صفات الكمال ( يعلم ما ) أى الذى ( يدعون ) أى يعبدون ( من دونه ) أى غيره ( من شئ ) أى سواء كان صنما أم انسيا أم جنيا ( وهو العزيز ) فى ملكه ( الحكيم ) فى صنعه وقرأ أبو عمر و وعاصم يدعون بالياء التحية والباقون بالنونية \* ولما ذكر مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كأنه قيل على وجه التعظيم هذا المثل مثلهم فعطف عليه قوله تعالى اشارة الى أمثال القرآن كلها تعظيمها وتبنيها على جليل قدرها وعلو شأنها ( وتلك الامثال ) أى العالمة عن أن تنال بنوع احتيال ثم استأنف قوله تعالى ( نضربها ) أى بما لنا من العظمة يانا ( للناس ) أى تصوير النعماني المعقولات بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهذا حال التشبيهات كلها حتى طرق الى افهام المعاني المحجبة فى الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها روى أن الكفار قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالذباب والبعوض والعنكبوت فقال الله تعالى مجهلا لهم ( وما يعقلها ) أى حق تعقلها فينتفع بها ( الا العالمون ) أى الذين هموا للعلم وجعل طبعهم عمايت فى قلوبهم من أنواره وأشرق فى صدورهم من أسرارهم فهم يضعون الاشياء مواضعها روى الحرث بن أبي اسامة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العالم الذى عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب محظوه قال البغوى والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد أمثال القرآن التى يشبه بها أحوال كنهها هذه الآتة بأحوال كفار الامم المتقدمة \* ولما قدم تعالى أنه لا معجز له سبحانه ولا ناصر لمن خذله استدل على ذلك بقوله تعالى ( خلق الله ) أى الذى لا يدانى فى عظمته ( السموات والارض بالحق ) أى الامر الذى يطابقه الواقع أو بسبب اثبات الحق وابطال الباطل أو بسبب انه محق غير فاصدبه باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار

إليه بقوله تعالى (ان في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة على قدرته تعالى (للمؤمنين) واختص  
 المؤمنون بذلك لانهم المنتفعون به \* ثم خاطب تعالى رأس أهل الايمان بقوله تعالى (اتل  
 ما أوحى إليك من الكتاب) أي القرآن الجامع لكل خير لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على  
 ما أنت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في إقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا نسبة  
 للنبي صلى الله عليه وسلم \* ولما أرشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون العمل بقوله تعالى  
 (وأقم الصلاة) أي التي هي أحق العبادات ثم علل ذلك بقوله تعالى (ان الصلاة تنهى)  
 أي توجب النهي وتجده لله واطب على أقامتها بجميع حدودها (عن الفعشاء) أي عن الخصال  
 التي بلغ قصها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في الشرع (فان قيل) كم من مصل يرتكب الفعشاء  
 (أجيب) بأن المراد الصلاة التي هي الصلاة عند الله تعالى المستحق بها الثواب بأن يدخل  
 فيها ما قدمه للتوبة النصوح متقبلا لقوله تعالى انما يقبل الله من المتقين ويصليها خشعا بالقلب  
 والجوارح فقد روى عن حاتم كائن رجلى على الصراط والجنة عن عيني والنار عن شمالي وملاك  
 الموت من فوق وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها ولا يحبطها فهي الصلاة  
 التي تنهى عن الفعشاء والمنكر وقال ابن مسعود وابن عباس ان الصلاة تنهى وترجع عن  
 معاصي الله عز وجل فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله تعالى  
 الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفعشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل  
 من كان مراعا للصلاة بجره ذلك الى أن يفتى عن السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروى ان  
 فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصفه فقال ان  
 صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف معنى الآية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفعشاء  
 والمنكر مادام فيها وعلى كل حال فان المراعى للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفعشاء والمنكر  
 ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفعشاء والمنكر واللفظ لا يقتضى أن لا  
 يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيد انهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى  
 عن جميع المنكر وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم  
 وقيل المراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلواتك أي بقراءتك وأراد به من يقرأ القرآن  
 في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفعشاء والمنكر روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
 رجلا يقرأ القرآن الليل كله ويصبح سارقا قال ستنهاه قراءته ولما كان الناهي في الحقيقة انما  
 هو ذكر الله أتبع ذلك بقوله تعالى (ولذكر الله أكبر) أي لان ذكر المستحق لكل صفات كمال  
 أكبر من كل شيء فذكر الله تعالى أفضل الطاعات قال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير  
 أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والنفضة وأن  
 تلقو عدواكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذا لىارسول الله قال ذكر الله وسئل  
 صلى الله عليه وسلم أي العبادة أفضل عند الله درجة يوم القيامة قال اذاكروا الله كثيرا قالوا

يارسول الله ومن الغازين في سبيل الله فقال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر  
 ويختضب دمالكان الذاكر الله كثيرا أفضل منه درجة وروى ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم مر على جبل في طريق مكة يتعال له جدران فقال سيروا هذا جدران سبق المفردون قالوا  
 وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذكرات أو والصلاة أكبر من غيرها  
 من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذا ذكر الله أكبر  
 ليستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس ولذا ذكر الله  
 تعالى اياكم برحمة أكبر من ذكركم ايام بطاعته وقال عطاء ولذا ذكر الله أكبر من أن يتقى معه  
 معصية (والله) أي المحيط علما وقدرة (يعلم) أي في كل وقت (ما تصنعون) من الخير  
 والشرف فيجازيكم على ذلك \* ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد أهل  
 الكتاب بقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى نظامنكم أن الجدال  
 ينفع أو يزيد في اليقين أو يرد واحد عن ضلال مبين (الاباتي) أي بالمجادلة التي (هي  
 أحسن) كعارضة الخشونة باللين والغضب بالكفم والدعاء الى الله تعالى بآياته والتنبه على  
 حجه كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن (الالذين ظلموا منهم) بأن حاربوا وأبوا أن يقرروا  
 بالجزية فجادلوهم بالسيف الى أن يسلموا أو يعطوا الجزية وقيل الالذين آذوا رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وقيل الالذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يا الله مغلوله وعن قتادة الآية منسوخة  
 بقوله تعالى فاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يجادلوا أشد من السيف \* ولما  
 بين تعالى عن موجب الخلاف أمر بالاستعفاف بقوله تعالى (وقولوا) أي لمن قبل الاقرار  
 بالجزية اذا أخبروكم بشئ مما في كتبكم (آمننا الذي أنزل البنا) أي من هذا الكتاب المعجز  
 (وأنزل اليكم) من كتبكم أي لانه في أصله حق وان كان قد نسخ منه نسخ وان حدثوكم بشئ  
 منه وليس عندكم ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روى أبو داود انه  
 صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمننا بالله وكتبه ورسله فان  
 قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم أي فان هذا ادعى الى الانصاف وأنتي للخلاف  
 \* ولما لم يكن هذا جامع الفرقين أتبعه بما يجمعه بقوله تعالى (والهنا والهكم واحد) أي  
 لاله لنا غيره وان ادعى بعضكم عزيزا والمسيح (وتحن له) خاصة (مسلمون) أي خاضعون  
 منقادون أتم انقياد فيما يأمرنا به بعد الاصول من الفروع سواء كانت موافقة لفروعكم  
 كالتوجه بالصلاة الى بيت المقدس أو ناسخة كالتوجه الى الكعبة ولا تتخذ الاحبار والرهبان  
 أربابا من دون الله لنا خدما يشرعون لنا مخالفات الكتاب وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (وكذلك)  
 أي ومثل ذلك الانزال الذي أنزلناه الى أنبيائهم من التوراة وغيرها (أنزلنا اليك الكتاب)  
 أي القرآن مصدقا لسان الكتاب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى (فالذين آتيناهم الكتاب)  
 أي التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) أي بالقرآن (ومن هؤلاء) أي أهل  
 مكة أو ممن في عهدده صلى الله عليه وسلم من أهل الكتابين (من يؤمن به) وهم مؤمنوا أهل

مكة وأهل الكتابين (وما يجحد) أى ينكر قال قتادة والجود انما يكون بعد المعرفة (بآياتنا) أى  
 التى جاوزت أقصى غايات العظمة حتى انها استحقت الاضافة اليها (الا الكافرون) أى اليهود  
 ظهر لهم أن القرآن حق والجنائى به محق ووجدوا ذلك وهذا تنفيرهم عما هم عليه يعنى انكم  
 آمنتم بكل شئ وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسئلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم  
 وتعطلون من اياكم فان الجاحد بآية بصير كافرا (وما) أى وأنزلنا اليك الكتاب والحال انك ما  
 (كنت تتلو) أى تقرأ أصلا (من قبله) أى هذا الكتاب الذى أنزلناه اليك وكذا استغراق  
 الكتب بقوله تعالى (من كتاب) أصلا (ولا تحطه) أى تجدد وتلازم خطه وصور الخط  
 واكده بقوله (بيمينك) (فان قيل) ما فائدة قوله بيمينك (أجيب) بأنه ذكر اليمين التى  
 هى أقوى الجارحتين وهى التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كتابا الا ترى  
 انك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامر يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك انه تولى كتبه  
 فكذلك النفي وفى ذلك اشارة الى انه لا تحدث الريبة فى أمره لعاقلة الا بالمواطبة القوية التى  
 ينشأ عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل أصل الفعل ولذلك قال تعالى (اذا) أى لو كنت ممن  
 يخط ويقرأ (لارتاب) أى شك (المبطلون) أى اليهود فيك وقالوا الذى فى التوراة انه  
 اتى لا يقرأ ولا يكتب أو لارتاب مشركو مكة وقالوا العلة تعلمه أو التقطه من كتب الاولين  
 وكتبه بيده (فان قيل) لم سماهم مبطلين ولولم يكن أميا وقالوا اليس بالذى تجده فى كتبنا كانوا  
 صادقين محققين وان كان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لم اعلمه تعلمه أو كتبه بيده فانه رجل كاتب  
 قارى (أجيب) بأن سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أسمى به من الريب فكأنه قال  
 هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لولم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فيمنشدايس بقارى ولا كاتب  
 فلا وجه لارتابهم وأيضا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان  
 بهم وما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحق كليم بالمعجزات فهب انه قارى كاتب فالهم  
 لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا به موسى وعيسى على ان المنزل اليهم معجز وهذا المنزل  
 معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو أسمى ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير أسمى \*  
 ولما كان التقدير ولكنه لا ريب انهم أصلا ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى (بل هو)  
 أى القرآن الذى جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير (آيات) أى  
 دلالات (بينات) أى واضحات جدا فى الدلالة على صدقت (فى صدور الذين آمنوا العلم)  
 أى المؤمنون يحفظونه فلا يتبدل أحده على تحريف شئ منه لبيان الحق لديهم وفى ذلك اشارة  
 الى ان خفاءه عن غيرهم وقال ابن عباس وقتادة بل هو يعنى محمد صلى الله عليه وسلم  
 ذوات بينات فى صدور الذين آمنوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدونه نعمته ووصفه  
 فى كتبهم (وما يجحد) وكان الاصل به ولكنه أشار الى عظمته بقوله تعالى (بآياتنا) أى  
 ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها اليها والبيان الذى لا يجهله أحد  
 (الا الظالمون) أى المتوغلون فى الظلم المكبرون (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى

ههنا الا الظالمون ومن قبل قال الا الكافرون (أجيب) بأن ما من حرف ولا حركة في القرآن الا  
وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تتدرك بعضها ولا تصل الى أكثرها وما أوتي البشر من  
العلم الا قليلا ولا تكن الحكمة هنا أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان انكم المزايا فلا تبطلوها  
بانكار محمد صلى الله عليه وسلم فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك أبلغ فنههم عن ذلك  
استنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان جددتم هذه الآية لزمكم انكار ارسال  
الرسول فتاحتسون في أول الامر بالمشركين حكما وتلتحقون عند جدد هذه الآيات بالمشركين  
حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا أبلغ  
ولما كان التقدير جددوها بما لهم من الرسوخ في الظلم ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات  
عطف عليه قوله تعالى (وقالوا) موهمين مكر اظهرا للصفة بأدنى ما يدل على الصدق (لولا)  
أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم على أي وجه كان من وجوه الانزال (آية)  
تكون بحيث تدل قطعا على صدق الآتي بها (من ربه) أي الذي يدعي احسانه اليه كما  
أنزل على الانبياء قبله كفاقة صالح وعصام موسى ومائدة عيسى عليهم السلام ليستدل بها على  
صدق مقالته وصحة ما يدعيه من حاله وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحنفص آيات بالجمع لان  
بعده قل انما الآيات بالجمع اجماعا والباقون آية بالافراد لان غالب ما جاء في القرآن كذلك \* ولما  
كان هذا انكارا للشمس بعد مشروقها ومكابرة فيما تحدى به من المعجزات بعد حثوقها أشار  
اليه بقوله تعالى (قل) أي لهم انما للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء (انما الآيات عند الله)  
أي الذي له الامر كما ينزل أيته شاء فلا يتدرك على انزال شيء منها غيره فاعلم الا اله الا هو ولا سواه ولو شاء  
أن ينزل ما يقترحونه لفعل (وانما أنا نذير مبين) أي فليس من شأنى الا الانذار وابطائه بما  
أعطيته من الآيات وليس لي أن أقترح عليه الآيات فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا  
على ان المقسود من الآيات الدلالة على الصدق وهي كلها في حكم آية واحدة في ذلك ولم يذكر  
البشارة لانه ليس من أسألها وقوله تعالى (أولم يكن لهم) جواب لقولهم لولا أنزل عليه  
آيات من ربه أي ان كانوا طامنين للعق غير متيقنين آية مغنية عن كل آية (انا أنزلنا) أي  
بما لنا من العظمة (عليك الكتاب) أي القرآن الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك  
(يتلى عليهم) أي تتجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شيء في كل مكان وفي كل زمان من كل مقال  
مصداقا لما في الكتب القديمة من نعمتك وغيره من الآيات الدالة على صدقك فأعظم به آية باقية  
لا تزول ولا تضحل اذ كل آية سواء منقضية ماضية وتكون في مكان دون مكان فالقرآن  
أنهم من كل معجزة لوجوده الأول ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصاة عبانا  
واحياء الميت لم يبق لنا منه أثر فلوا أنكره واحد لم يمكن اثباته معه بدون الكتاب وأما القرآن فهو  
باق لو أنكره واحد فيقال انت يا آية من مثله الثاني أن قلب العصاة عبانا كان في آن واحد ولم يره  
من لم يكن في ذلك المكان وأما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسعه كل أحد \* (وههنا  
لطيفة) \* وهي ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم كانت أشباه لا تختص بمكان دون مكان لان من

جعلتها انشقاق القمر وهو يم الارض لان الخسوف اذا وقع عمّ وذلت لان نبوته كانت عامة  
 لا تختص بقطردون قطر وغاض بحرساوة في قطر وسقط ابوان كسرى في قطر وانهدمت  
 الكنيسة بالر وم في قطر آخر اعلاما بأنه يكون أمر اعاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول  
 الكافر المعاند هذا سحر وعمل يد والقرآن لا يمكن هذا القول فيه وقال أبو العباس المرسي خضع  
 بعض الصحابة من سماع بعض اليهود يقرأ التوراة فعوتبوا اذ تخشعوا من غير القرآن وهم انما  
 تخشعوا من التوراة وهي كلام الله تعالى فاظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغناء  
 \* ولما كان هذا القرآن أعظم من كل آية يشترحونها قال تعالى (أت في ذنبت) أي انزال الكتاب  
 على هذا الوجه البعيد المثال البديع المثال (لرحمة) أي نعمة عظيمة في كل لحظة وتطهيرا  
 لحبث النفوس في كل لحظة (وذكرى) أي عظيمة مستمرة تذكركها \* ولما عمّ بالقول خص  
 من حيث النفع فقال (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بذلك \* ولما كان من المعلوم أنهم  
 يقولون نحن لانصدق أن هذا الكتاب من عند الله فضلا عن أن نكتفي به قال تعالى (قل) أي  
 جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا (كفى بالله) أي الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات  
 (بيني وبينكم شهيدا) أي قد بلغتمكم ما أرسلت به اليكم ونصحتكم وأذرتكم وأنهم قابلوني  
 بالجدو والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروى أن كعب بن الأشرف وغيره قالوا يا محمد من  
 يشهدك أنك رسول الله فنزلت ثم وصف الشهيد وعال كفايته بقوله (يعلم ما في السموات) أي  
 كلها (والارض) أي كذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه اليه من القول  
 عليه وبما أنسبه أنا اليه من هذا القرآن الذي يشهد لي به عجزكم عنه فهو شاعدي والله  
 في الحقيقة هو الشاعدي فيه بالثناء على والشهادة لي بالصدق لانه قد ثبت بالمعجز عنه أنه كلامه  
 \* ولما بين تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب عاد الى الكامل  
 الشامل لهما والانكار العام فقال (والذين آمنوا بالباطل) أي وهو ما يعبد من دون الله  
 (وكمروا بالله) أي الذي يجب الايمان به والشكر له لان له السكال كله وكل ما سواه االك  
 ليس له من ذاته الا العدم (أولئك) أي البعداء البغضاء (هم الخاسرون) أي العريقون في  
 الخسارة فانهم خسروا أنفسهم ابد الأبدين (فان قيل) قوله أولئك هم الخاسرون يقتضى  
 الخصر في من آمن بالباطل وكفر بالله فن يأتي بأحدهما دون الآخر لا يكون كذلك (أجيب)  
 بأنه يستحيل أن يكون الآتى بأحدهما لا يكون آتيا بالآخر لان المؤمن بما سوى الله تعالى  
 مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز يمكن باطل فيكون الله تعالى كذلك ومن كفر بالله  
 تعالى وأنكره فيكون قاتلا بأن العالم واجب الوجود له فيكون قاتلا بأن غير الله فيكون  
 اثباتا لغير الله وايمان به (فان قيل) اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل من آمن  
 بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد الذي في قول التائل قم ولا تقعد  
 واقرب منى ولا تبعد (أجيب) بأن فيه فائدة غيرها وهو أنه ذكر الثاني لبيان قبح الاول كقول  
 القائل أتقول بالباطل وتترك الحق لبيان أن القول بالباطل قبيح \* ولما أذهرهم صلى الله عليه وسلم

وأوعد بالعذاب ان لم يؤمنوا أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (ويستجملونك بالعذاب) نزلت في النظر بن الحرث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين ويجعلون تأخيرهم عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب (ولو لأجل مسمى) قد ضرب لوقت عذابهم فلا تقدم فيه ولا تأخر (لجاءهم العذاب) وقت استجبالهم لان القدرة تامة والعلم محيط (ولبايتهم بغتة) أى فجأة في الدنيا كوقعة بدر والأخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) بل هم في غاية الغفلة عنه والاشتغال بما ينسبه ثم زاد في التعجب من جهلهم بقوله تعالى مبدلاً (يستجملونك بالعذاب) أى يطلبون منك ايقاعهم بما جازوا ولو كان في غير وقته الا ليق به ولو علموا ما هم صائرون اليه لآمنوا أنهم لم يخلقوا فضلاً عن أن يستجملوا ولا عملوا جميع جهدهم في الخلاص منه (وان جهنم) التى هى من عذاب الآخرة (لمحيطة بالكافرين) أى سحيطتهم يوم يأتيهم العذاب أوهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكافر والمعاصى التى توجبها لهم وأتى بالظاهر موضع المضمر تنبيهها على ما استحقوا به عذابها وتعميمها لكل من اتصف به ثم ذكر تعالى كيفية احاطة جهنم بقوله عز وجل (يوم يغشاهم العذاب) أى يلحقهم ويلصق بهم (من فوقهم ومن تحته أرجلهم) فعلم بذلك احاطته من جميع الجوانب (فان قيل) لم خص الجنائين ولم يذكر اليمن والشمال وخلف وقدام (أجيب) بأن المقصود ذكر ما تميزه نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعه فان مر يدخلها تكون الشعلة قد اتمت وخلفه ويمينه ويساره وأما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من أسفل في العادة وتحت الاقدام لاتبقي الشعلة بل تنطفئ الشعلة التى تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس موضع القدم (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق (أجيب) بأن نزول النار من فوق سواء كان من تحت الرأس أم من موضع آخر يجب لان طبع النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه بالرؤس وأما بقا النار تحت القدم فهو يجب والافن جوانب القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم ينطفئ بالدوس وأما فوق فعلى الاطلاق وقوله تعالى (ونقول) قرأنا فاع والكوفيون بالياء أى الموكل بالعذاب من ملائكتهم بأمره والباقون بالنون أى تأمر بالعذاب \* ولما بين عذاب أجسامهم بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على سبيل التشكيل والاهانة (ذوقوا ما كنتم تعملون) جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اسم المسبب على السبب فان علمهم كان سبب العذاب وهذا كثير في الاستعمال \* ولما ذكر تعالى حال المشركين على حدة وحال أهل الكتاب على حدة وجعلهما في الانذار وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايداء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال تعالى (يا عبادى الذين آمنوا) فشرفهم بالاضافة اليه (ان أرضى واسعة) أى في الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق ان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يقتلونكم في دينكم قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى



ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها فان أرض المدينة واسعة آمنة وقال  
 مجاهدان أرضي واسعة فهاجروا واجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في أرض بالمعاصي  
 فاخرجوا منها فان أرضي واسعة وكذا يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي وان  
 يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر الى حيث تنهيه له العبادة ولكن صارت البلدان في زماننا كاهما متساوية  
 فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقرأ بفتح الياء ابن عامر والباقون بتسكينها وقيل  
 نزلت في قوم تحلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل  
 الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله أرضي واسعة يعني رزقي  
 لكم واسع فاخرجوا روى الثعلبي عن الحسن البصري مرسل من قرينته من أرض الى  
 أرض ولو كان شهر الاستوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم وشهد صلوات الله وسلامه عليه ما  
 \* (تنبيه) \* قوله تعالى يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لوجوه الا قول قوله تعالى ان عبادي ليس لك  
 عليهم سلطان والكافر تحت سلطان الشيطان فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي الثاني قوله تعالى  
 يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث أن العبادة مأخوذة من  
 العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه  
 الرابع الاضافة بين الله تعالى والعبد بقول العبد الهى ويتول الله عبدي (فان قيل) اذا كان  
 عباده لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله الذين آمنوا مع أن الوصف انما يذكرا تمييز  
 الموصوف كما يقال يا أيها المكلفون المؤمنون يا أيها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل  
 (أجيب) بأن الوصف يذكرا لتمييز بل مجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون  
 والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملاك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام  
 والطهارة ومثله قولنا الله العظيم فهنا ذكر لبيان أنهم مؤمنون \* ولما كانت الاقامة بمكة  
 قبل الفتح مؤدية الى الفتنة قال تعالى (فاياي) أى خاصة بالهجرة الى أرض تأمنون فيها  
 (فاعبدون) أى وحدون وان كان بالهجرة وكانت هجرة الاهل والاطوان شديدة (فان قيل) قوله  
 تعالى يا عبادي يفهم منه كونهم عابدين فما الفائدة في الامر بالعبادة (أجيب) بأن فيه فائدة تميز  
 احدهما المداومة أى يا من عبدتوني في الماضي اعبدوني في المستقبل الثانية الاخلاص  
 أى يا من تعبدتني اخلاص العمل لى ولا تعبد غيرى (فان قيل) ما معنى الفاء في فاعبدون (أجيب)  
 بأن الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخصصوا العبادة لى في أرضي  
 فأخلصوها في غيرها \* ولما أمر الله تعالى عباده بالحرص على العبادة وصدق الائمة ثم بها حتى  
 يطلبوها أوفى البلاد وان بعدت وشق عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفاً منهم  
 بالموت لتموت عليهم الهجرة بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى كل نفس مفارقة ما ألقته  
 حتى بدنا طالمابسته وانسها وانسته فان أطاعت ربها أُنبت نفسها ولم تنسها الطاعة من  
 الاجل شيئاً والا أوبقت نفسها ولم تزد المعصية في الاجل شيئاً فاذا قدر الانسان انه ميت  
 سهلت عليه الهجرة فانه ان لم ينفارق بعض ما لوفه بها فارق كل ما لوفه بالموت وقد ورد كثيراً

من ذكر هادم اللذات أي الموت فانه ما ذكر في قليل أي من العمل الاكثره ولا ذكر في كثير أي  
 من أمل الدنيا الاقله \* ولما هون أمر الهجرة حذر من رضى في دينه بنقص شيء من  
 الاشياء حث على الاستعداد بغاية الجهد في التزود للمعاد بقوله تعالى ( ثم الياء ترجعون )  
 على أيسر وجه فجازى كلامكم بما عمل وقرأ أبو بكر بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية  
 (والذين آمنوا وعملوا) أي تصديقاً بالآيمانهم (الصالحات لنبوئنهم) أي لننزلنهم (من الجنة  
 غرفاً) أي يوتنا عالية قال البقاعي تحتها قاعات واسعة وقرأ حذرة والكسافي بعد النون بناء  
 مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعدها الواو ياء مفتوحة أي لنشوينهم أي لنقيمهم من  
 الثواء وهو الإقامة يقال توى الرجل إذا أقام فيكون انتصاب غرفاً لاجرائه مجرى لنزلنهم  
 أو بنزع الخافض انشاعاً أي في غرف أو تشبيه الطرف الموقت بالمهم كقوله لا تعدن لهم  
 صراطك والباقون بعد النون ياء موحدة وبعدها واو مشددة وبعدها واو همزة مفتوحة  
 وعلى هذه القراءة فانتصابها على أنها مفعول ثان لأن بوا يتعدى لثنين قال الله تعالى تبوء  
 المؤمنين مقاماً للدلائل ويتعدى باللام قال تعالى واذبوا بالابراهيم \* ولما كانت العلالى  
 لا تروق الا بالرياض قال تعالى ( تجرى من تحتها الأنهار ) ومن المعلوم انه لا يكون  
 في موضع أنهار الا أن يكون فيه بساكنين كبار وزروع ورياض وأزهار فيشرفون عليهم من تلك  
 العلالى \* ولما كانت بحالة لا تكفر فيها يوجب هجرة في لحظة ما كفى عنه بقوله تعالى ( خالدين  
 فيها ) أي لا يغيرون عنها حولا ثم عظم أمرها وشرف قدرها بقوله تعالى ( ثم أجر العاملين ) أي  
 هذا الاجر وهذا في مقابلة قوله تعالى للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون ثم وصفهم بما يرغب  
 في الهجرة بقوله تعالى ( الذين صبروا ) أي أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم  
 فكانت سحبة لهم فأوقنوها على كل شاق من التكليف من هجرة وغيرها فان الانسان قل أن  
 يتنك عن أمر شاق ينبغى الصبر عليه ثم رغب في الاستراحة بالتدوير اليه بقوله تعالى ( وعلى  
 ربهم ) أي المحسن اليهم وحده لا على أهل ولا وطن ( يتوكلون ) أي يوجدون المتوكل اي جادا  
 مستمرا التجديد كل مهم يعرض لهم \* ولما أشار بالتوكل الى أنه الكافي في أمر الرزق في الوطن  
 والغربة لآمال ولا أهل قال عاطف على ما تقديره فكأين من متوكل عليه كفاه ولم يحوجه الى  
 أحد سواه فليبادر من أنقذه من الكفر وهداه الى الهجرة طلب الرضا ( وكأين من دابة )  
 أي كثير من الدواب العاقلة وغيرها ( لا تحمل ) أي لا تطيق أن تحمل ( رزقها ) أي لا تدخر  
 شيئا لغيرها فخرى لانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن الحسن لا تدخر انما تصب  
 في رزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيء يحب الا الانسان والنملة والقارة وعن بعضهم قال  
 رأيت الببليل يدخر في حنينة ويقال للعقرب مخابي الا أنه ينساها ولا تجده أو لا تطيق حمله  
 لضعفها ثم كأنه قيل فمن يرزقها فتبيل ( الله ) أي المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال ( يرزقها )  
 على ضعفها وهي لا تدخر ( واياكم ) مع قوتكم وادخاركم واجتهادكم لافرق بين ترزيقه لها على

ضعفها وعدم ادخارها وترزيقه لكم على قوتكم وانذاركم فانه هو المسبب وحده فان  
الفر يقين تارة يجدون وتارة لا يجدون فصارا لادخار وعدمه غير معتمد ولا منظور اليه  
وقرأ ابن كثير بعد الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقون بعد الكاف همزة  
مفتوحة وبعد هاء اياه مشددة ووقف أبو عمر وعلى الباء ووقف الباقون على النون وحزة  
في الوقف يسهل الهمزة على أصله \* (تنبيه) \* كائين كلمة مركبة من كاف التشبيه وأى التى  
تستعمل استعمال من وماركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الا بالنون ليفصل بين  
المركب وغير المركب لان كائى تستعمل غير مركبة كما يقول القائل رأيت رجلا كائى  
رجل يكون وحينئذ لا يكون كائى مركبا فاذا كان كائى ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز  
(وهو السميع) لا قوالكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى ضمائركم واختلف  
فى سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر أنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا  
من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال  
كل يا ابن عمر قلت لأشبهته يا رسول الله قال لكنى أشبهته وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما  
ولم أجده فقلت يا رسول الله ان الله المستعان فقال يا ابن عمر لو سألت ربي لاعطاني مثل ملك  
كسرى وقبصر أضعافا مضاعفة ولكنى أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت  
وبقيت فى حاله من الناس يحبون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت **وكان من دابة**  
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون  
هاجروا الى المدينة فقالوا كيف تخرج الى المدينة ولين لنا به اذار ولا مال فن يطعمنا ويسقينا  
فنزلت وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا وقال صلى الله عليه وسلم  
لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو وخصا وتروح بطانا وقال  
صلى الله عليه وسلم أيها الناس ليس شئ يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد  
أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه وان الروح  
الأمين نفضت فى روعى أنه ليس من نفس توت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجروا فى الطلب  
ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطالبوه بمعاصى الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته (ولئن)  
اللام لام قسم (سألتم) أى كفار مكة وغيرهم (من خلق السموات والارض) وسواهما على  
هذا النظام العظيم (وسبح الشمس والقمر) لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك  
من المنافع (ليقولن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال لما تقررت فى نظرهم من ذلك وتلقوه  
من آياتهم موافقة للعق فى نفس الامر (فانى) أى فكيف ومن أى وجه (يؤفكون) أى  
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (فان قيل) ذكر فى السموات والارض الخلق وفى  
الشمس والقمر التصغير (أجيب) بأن مجرد خلق السموات والارض آية ظاهرة بخلاف  
خلق الشمس والقمر فانهم ما لو كانوا فى موضع واحد لا يتحرك كان ما حصل الليل والنهار

ولا الصيف ولا الشتاء فإذا الحكمة الظاهرة في تحريكهما وتسخيرهما \* ولما كان قد يشكل  
 على ذلك التفاوت في الرزق عند من لم يتأمل حق التأمل فيقول ما بال الخلق متفاوتين في الرزق  
 قال تعالى (الله) أي بآله من الاحاطة بصفات الكمال (يسيطر الرزق) بقدرته التامة امتحانا  
 (لمن يشاء من عباده) على حسب ما يعلم من بواطنهم (ويقدر) أي يضيق (له) بعد البسط  
 أو لمن يشاء ابتلاء فظهر من ذلك قدرته وحكمته وأنت ترى المملوك وغيرهم من الاقوياء يفتنون  
 في الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص بأحوالهم فاظنك تلك المملوك العالم  
 علما لا تدون من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال تعالى (إن الله) أي الذي له صفات الكمال  
 (بكل شيء) أي من المرزوقين ومن الارزاق وكيف يمنع أو يساق وغير ذلك (علمهم)  
 يعلم مقادير الحاجات والارزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم  
 ويعطيهم بحسب ذلك إن شاء وكم رام بعض الاقوياء اغناء فقيرا وافتقار غنى فكشف الحال عن  
 فساد ما راموا من الانتقال \* ولما قال الله تعالى ييسط الرزق ذكرا اعترافهم بذلك بقوله تعالى  
 (ولئن) اللام لام قسم (سألتم من نزل من السماء ماء) بعد ان كان مضبوطا في جهة العلو  
 (فأحيى به الارض) الغبراء وأشار بآيات الجار الى قرب الانبات من زمان الممات فقال  
 (من بعد موتها) فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن لها شيء من ذلك (ليقولن الله) معترفين  
 بأنه الموجد للممكات بأسرها أصواها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي  
 لا يقدر على شيء من ذلك فلما ثبت أنه الخالق بدأ وعادة كما يشاهد في كل زمان قال منها على  
 عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) بأفضل الخلق  
 مستحجابا منهم في جودهم كيف يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم لا يوحدون (الحمد لله) الذي  
 لا سمى له وليس لغيره احاطة من الاشياء فلزمته الحجية بما أقروا به من احاطته وهم لا يشبثون  
 ذلك باعراضهم (بل أكثرهم لا يعقلون) فيناقضون حيث يشرون بأنه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم  
 يشركون به غيره مما هم معترفون بأنه خلقه فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به ومنهم  
 من آمن بعد ذلك فكان في الذروة من كمال العقل في التوحيد الذي يلزمه سائر القروع  
 ومنهم من كان دون ذلك فكان نفي العقل عنه متبعا بالكمال \* ولما بين هذه الآيات ان الدنيا  
 سببية على الفناء والزوال والتمتع والارتحال وضح ان السرور فيها في غير موضعه فلذلك قال  
 مشيرا بعد سلب العقل عنهم الى أنهم فيها كالبهاائم يتهارجون (وما هذه الحياة الدنيا) فخمرها  
 بالاشارة وانقضى الدناءة مع الاشارة الى هذا الاعتراف فهذا الاسم كافي في الالزام بالاعتراف  
 بالآخرة (الالهو) وهو الاستمتاع بالذات الدنيا (ولعب) وهو العبث ومعبت بهنما  
 لانها فانية وقيل للهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل (فان قيل) قد قال  
 تعالى في الانعام وما الحياة الدنيا لم يقل وما هذه الحياة وقال ههنا وما هذه الحياة فافانته  
 (أجيب) بأن المذکور من قبل ههنا أمر الدنيا فأحيابه الارض من بعد موتها فقال

هذه والمذكور قبلها هناك الآخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم  
 على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال تعالى وما الحياة الدنيا (فان قيل)  
 ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على الله وههنا الخراب اللعب عن الله (أجيب) بأنه لما كان  
 المذكور من قبل هناك الآخرة واطهارهم للحسرة ففي ذلك الوعدية بالاستغفار في الدنيا  
 بل نفس الاشتغال بها فأخذ الأبعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو  
 النفوس الى الاقبال عليها والاستغفار فيها اللهم الامناع يمنع من الاستغفار فيشتغل بها من  
 غير استغفار فيها أو اعاصم بعصمه فلا يشتغل بها أصلاً وكان الاستغفار اقرب من عدمه فقدم  
 الله وما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت أخبر على سبيل التأكيد أنه لا حياة غيرها بقوله  
 تعالى (وان الدار الآخرة لهي) أي خاصة (الحيوان) أي الحياة التامة الباقية (فان قيل)  
 ما الحكمة في قوله تعالى هناك ودار الآخرة خير وقال ههنا وان الدار الآخرة لهي الحيوان  
 (أجيب) بأنه لما كان الحاصل هناك حال اطهار الحسرة ما كان المكاف يحتاج الى وازع  
 قوي فقال الآخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال  
 لا حياة الا حياة الآخرة والحيوان مصدر حي وقياسه حيان فقلبت الياء الثانية واو وبه سمى  
 ما فيه حياة حيوانا وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم  
 للحياة ولذلك اختبر عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كليهما فقلوا كل واحدة منهما  
 غير منزلتها فعدوا الدنيا وجوداً دائماً على هذه الحالة وعدوا الآخرة عدماً لا وجود لها بوجه  
 قال تعالى (لو كانوا يعلمون) أي لم يؤثر واعلمها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة  
 سريعة الزوال فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الانعام أقل يعقلون وقال ههنا لو كانوا  
 يعلمون (أجيب) بأن المثبت هناك كون الآخرة خيراً ولأنه ظاهر لا يتوقف الاعلى العقل  
 والمثبت هنا أن لا حياة الا حياة الآخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعد لم نافع (فاذا) أي فتسبب  
 عن عدم عقولهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا (وكتبوا) البحر (في القلث) أي السفن (دعوا  
 الله) أي الملك الاعلى (مخلصين) بالتوحيد (له الدين) معرضين عن الشركاء بالقلب واللسان  
 حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكتشف الشدايد الا هو (فلما نجاهم)  
 أي الله سبحانه وتعالى موصل لهم (الى البر اذا هم) أي حين الوصول الى البر (يشركون)  
 به كما كانوا فهذا الخبر عنهم بأنهم عند الشدايد مقررون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل  
 وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر حلوا معهم  
 الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب وقال الرازي في اللوامع وهذا  
 دليل على أن معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون  
 اليه في حال الضراء انتهى فعلم أن الاشتغال بالدنيا هو الصادق عن كل خير وان الانتطاع عنها  
 معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد القراء اقرب الى ككل خير وفي اللام في قوله تعالى  
 (ليكفر واجماتيناهم) وجهان أظهرهما أن اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين

بشرهم نعمة النجاة فيكون ذلك فعل من لا عقل له أصلا وهم يتعاشون عن مثل ذلك والشأن  
 كونها للامر (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوآدهم عليها وقرأ ورش وأبو عمرو  
 وابن عامر وعاصم بالكسر وهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون وهي ظاهرة  
 في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امر ا على مثله فان قيل كونها للامر مشكل  
 اذ كيف يأمر الله تعالى بالكفر وهو متوعد عليه (أجيب) بأن ذلك على سبيل التهديد كقوله  
 تعالى اعملوا ما شئتم وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في  
 الاشرار الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة (فسوف  
 يعلمون) يومئذ ما يحل بهم من العقاب وما كان الانسان يكون في البحر على أخوف ما يكون  
 وفي بيته يكون على آمن ما يكون لاسيما اذا كان بيته في بلد حصين فلماذا كر الله المشركين عند  
 الخوف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامر العظيم  
 بقوله تعالى (أو لم يروا) أي أهل مكة يعيون بصائرهم (أنا جعلنا) بهظمتنا لهم (حرما) وقال  
 (آمنا) لانه لا خوف على من دخله فلما آمن كل من دخله كل كانه هو نفسه الآمن وهو حرم  
 مكة فانها مدينة بنتهم وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وأمنة موحية  
 للتوحيد والاخلاص لانهم في أخوف ما أنتم دعوتهم الله وفي آمن ما حصلت عليه كفرتم  
 بالله وهذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فما كان الا لقطعكم بأن  
 النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بأنكم لا تكونون الا من الله  
 فكيف تكفرون به والاصنام التي قلتم في حال الخوف انها الآمن اها كيف آمنتم بها في حال  
 الآمن (و) الحال انه (يتخطف الناس من حواهم) أي من حول من فيه من كل جهة قتلا  
 وسيامع قلة من بركة وكثرة من حواهم فالذي خرق العادة في فعل ذلك حتى صار لي هذا السنن  
 قادر على أن يعكس الحال فيجعل من بالحرم متخطقا ومن حوله آمنا ويجعل الكل في الخوف  
 على منهاج واحد (أهبا باطل) من الشياطين والاديان وغيرها (يوثنون) والحال انه  
 لا يشك عاقل في بطلانه (وبنعمه الله) التي أحدثها لهم من الانبياء وارسال محمد صلى الله عليه  
 وسلم (يكفرون) حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة وغيرها شر كهم بعبادة غيره (ومن  
 أنظلم) أي أشد وضعا للاشياء في غير مواضعها (من افترى) أي تعدد (على الله كذبا) أي  
 أي كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا  
 بها (أو كذب بالحق) أي النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن المجزأ المبين على لسان هذا الرسول  
 الأمين الذي ما أخبر خيرا الا طابقه الواقع (لما) أي حين (جاءه) من غير امهال الى أن ينظر  
 ويتأمل بل سارع الى التكذيب أول ما سمعه وقوله تعالى (ألير في جهنم مثوى للكافرين)  
 استفهام تقرير لثوابهم كقوله

ألستم خير من ركب المطايا \* وأندى العالمين بطون راح

قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة ما تمن الا بل وحقيقته أن الهمة هـ حزة

الانكار ودخلت على النبي فرجع الى معنى التقرير والمعنى اما هذا الكافر المكذب مشوى في جهنم حتى اجترأ مثل هذه الجراءة (والذين جاهدوا) أى أو قعدوا الجهاد بقاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة (فينا) أى بسبب حقنا مراقتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدايد المن مستحضرين لعظمتنا (لهديتهم) مما يجعل لهم من النور الذى لا يضل من صحبه هداية تليق بعظمتنا (سبانا) أى طريق السير الينا وهى الطريق المستقيمة والطريق المستقيمة هى التى توصل الى رضا الله عز وجل قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى قال والذين جاهدوا فينا لنهديتهم سبانا وقال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهديتهم سبيل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهديتهم سبيل ثوابنا وقال أبو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهديتهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لم يعلم وقيل ان الذى ترى من جهلنا بما لم نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وقيل الجهادة هى الصبر على الطاعة وقرأ أبو عمر ويكون الباء الموحدة بالباقون بضمها (وان الله) أى بعظمته وجلاله وكبريائه (لمع المحسنين) أى المؤمنين بالنصرة والمعونة فى دنياهم والمغفرة والثواب فى عقباهم وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين فهو حديث موضوع ورواه ابن عادل عن أبي امامة عن أبي بن كعب

### ﴿ سورة الروم مكية ﴾

وهى ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا (بسم الله) الذى يملك الامركه (الرحمن) الذى رحم الخلق كلهم ينصب الدلائل (الرحيم) الذى لطف بأوليائه وقوله تعالى (الم) تقدم الكلام على ذلك فى قول سورة البقرة وقال البقاعى لما ختم سبحانه وتعالى التى قبلها بأنة مع المحسنين قال ألم شيئا بألف القيام والعلو ولام الوصلة وميم التمام الى أن الله الملك الاعلى القيوم أرسل جبريل عليه الصلاة والسلام الذى هو واصله بينه وبين أنبيائه عليهم السلام الى أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم بالبعوث لاتمام مكارم الاخلاق يوحى اليه وحيا معلما بالشاهد والغائب فى أى الامر على ما أخبر به دلالة على صحة رسالته وكمال علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته (غلبت الروم) وهم أهل كتاب غلبتهم فارس وايسوا أهل كتاب بل يعبدون الاوثان (فى أدنى الارض) أى أقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التى فيها الجيشان والبادى بالغزو والفرس (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدوا الى المفعول أى غلبت فارس اياهم (سيفلبون) فارس (فى بضع سنين) وهو ما بين الثلاث الى التسع أو العشر فالتقى الجيشان فى السنة السابعة

من الانتقاء الاوّل وغلبت الروم فارس وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه  
 كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس لان أهل فارس كانوا  
 مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا  
 الى الروم واستعمل عليه رجلا يقال له شهر ياروبعث قبصر جيشا واستعمل عليه رجلا  
 يدعى بجفنس فالتقى مع شهر ياروباذرعات وبصرى وهي أدنى الشام الى أرض العرب فغلبت  
 فارس الروم وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان  
 النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن تظهر الاميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح  
 كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا  
 من أهل فارس على اخوانكم من أهل الروم ولنظرون عليكم فتزلت هذه الآية فخرج أبو بكر  
 الصديق رضى الله تعالى عنه الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوافوا الله  
 لتظهرت الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له أبي بن خلف الجعبي كذبت  
 يا أبا فضيل فقال أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال أجعل بيننا أجلا فأجابك عليه والمناسبة  
 المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما فان ظهرت الروم على فارس غرمت  
 وان ظهرت فارس غرمت وجعل الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فأخبره بذلك فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في  
 الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبا فضيل لعنك ندمت قال لا فتعال أزيدك في الخطر  
 وأما لك في الاجل فاجعلها مائة فلوس الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت  
 فلما خشى أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال انى أخاف أن يخرج من مكة  
 فأقم لي كفيلا فكن له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج الى أحد أتاه  
 عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج الى  
 أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
 بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجبتهم وقيل كان  
 يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق  
 به وهذه الآية من الآيات البيّنة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانه انبأ عن  
 علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى (فان قيل) كيف صححت المناجبة وانما هي قمار (أجيب)  
 بأن قتادة رجه الله تعالى قال كان ذلك قبل تحريم القمار قال الزمخشري ومذهب أبي حنيفة  
 ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد  
 احتجوا على صحة ذلك بما عده أبو بكر رضى الله عنه بينه وبين أبي بن خلف ولما كان تغلب  
 سلك على ملك من الامور الهائلة وكان الاخبار به قبل كونه أهول ذكر له ذلك بقوله تعالى (قله)  
 أى وحده (الامر من قبل) أى قبل جولة فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس (ومن  
 بعد) أى بعد دولة الروم عليهم ودولتهم على الروم ولما أخبر تعالى بمذهبه المجهزة



أخرى بقوله تعالى (ويومئذ) أي تغلب الروم على فارس (بفرح المؤمنون) أي العريقون  
 في هذا الوصف من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (بنصر الله) أي الذي لا راد لأمراء الروم  
 على فارس وقد فرحوا بذلك وعلوا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل عليه السلام بذلك فيه  
 مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون  
 بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك وعن أبي سعيد الخدري  
 وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون (بنصر من يشاء) من ضعيف وقوى لانه  
 لا مانع له ولا يستل عما يفعل فالغلبة لا تدل على الحسب بل الله قد يزيد ثواب المؤمن فينتليه  
 ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادي دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد  
 (وهو العزيز) فلا يعز من عادي ولا يذل من والي وقرأ قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء  
 والباقون بالضم ولما كان السياق لبشارة المؤمنين قال (لرحيم) فيخصهم بالاعمال الزكية  
 والاخلاق المرضية (وعدا الله) أي الذي له جميع صفات الكمال مصدره وكذا ناصبه مضمرة  
 أي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله) أي الذي له الامر كله (وعده)  
 به وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز أن يكون قوله تعالى لا يخلف الله وعده حالاً من المصدر  
 فيكون كالمصدر الموصوف فهو مميز للنوع كانه قبل وعد الله وعدا غير مخلف (ولا يكن أكثر  
 الناس) لجهلهم وعدم تفكيرهم (لا يعلمون) ذلك وقوله تعالى (يعلمون) بدل من قوله تعالى  
 لا يعلمون وفي هذا الابدال من التكنية انه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويستمدد  
 ليعلم أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يجاوز الدنيا (ظاهراً من  
 الحياة الدنيا) يقيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من أمر معايشهم كيف  
 يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال الحسن  
 ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه وهو لا يحطى وهو لا يحسن بصلي وأمثال  
 هذا لهم كثير وهو وان كان عند أهل الدنيا عظيماً فهو عند الله حقير فلذلك حقره لانهم  
 ما زادوا فيه على أن ساورا البهائم في ادراكها ما تقعها فتستجلبه بنير وب من الحيل وما  
 يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع وأما علم باطنها وهو أنما يجازي الآخرة يتزود منها بالطاعة  
 فهو عمود وح وفي تنكير الظاهر إشارة الى أنهم لا يعلمون الا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها  
 (وهم) أي هؤلاء الموصوفون خاصة (عن الآخرة) أي التي هي المقصودة بالذات وما خلقت  
 الدنيا الا للتوصل بها اليها لظهور الحكم بالقسط وجميع صفات العز والكبر والجلال والاكرام  
 (هم غافلون) أي في غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تخنط في خواطرهم (تنبيه) \*  
 هم الثانية يجوز أن تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وان تكون  
 تكرير للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها من ادعاء على أنهم معدن الغفلة عن  
 الآخرة ومقرها وعلما وأنهم تتبع واليه ترجع (أولم يتفكروا) أي يجهتدوا في اعمال  
 التفكر وقوله تعالى (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم يحدوا الفكر في أنفسهم

أى فى قلوبهم الفارغة من التفكير والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال  
 المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك وأن يكون صلة أى أو لم تفكر وفى  
 أحوالها خصوصا فيعلموا ان من كان منهم قادرا كمالا لا يخلف وعده وهو انسان ناقص فكيف  
 بالاله الحق ويعلموا أن الذى سارى بينهم فى الابدان من العدم وطورهم فى أطوار الصور وقاوت  
 بينهم فى القوى والقدر وبين أحوالهم فى الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بأنواع  
 الضرر ومات أكثرهم مظلوما قبل القصاص والظفر لا بد فى حكمته البالغة من جمعه العدل  
 بينهم فى جزاء من وفى أو غدر أو شكر أو كفر ففى ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى وعلى  
 الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك وعاله بقوله فى أسلوب التأكيد لا جمل انكارهم وعلى التقدير  
 الاوّل يكون المتفكر فيه (ما خلق الله) أى به زجـ لاله وعالوه فى كماله (السموات والارض)  
 على ما هما عليه من النظام المحكم والتساوت المتقن قال البقاعى وافرد الارض لعدم دليل  
 حسي أو عقلي يدلهم على تعددها بخلاف السماء اه وقد يرتد هذا بقوله تعالى خلق سبع سموات  
 ومن الارض مثلهن (وما بينهما) من المعانى التى بها كمال منافعهما (الآ) خلقتا متلبسا  
 (بالحق) أى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذى هو مبدأ الآخرة التى  
 هذا السلوك اوجد الواقع فى تصوير النطق وتنفخ الروح وتميز الصالح منها للتصوير من الفساد  
 يطابق ذلك واذا تدبر النبات بعد ان كان هشما قد تنزل عليه الماء فزها واهتزور باوجده مطابقا  
 لامر البعث واذا ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار والكبار  
 وامطار الامطار واجراء الانهار ونحو ذلك من الاسرار رآه مطابقا لكل ما يحطر بالبال ولما  
 كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الى تضاد قال تعالى (واجل) لا بد أن ينتهى اليه  
 (مسمى) أى فى العلم من الازل لذلك يفنى عند انتهائه وبعده البعث ولما كانوا ينكرون أنهم  
 على كفر أو كد قوله تعالى (وان كثيرا من الناس) مع ذلك على وضوحه (بأقمارهم) أى الذى  
 ملاهم احسانا بروجوعهم فى الآخرة الى العرض عليه لنشاب والعقاب (لكافرون) أى  
 لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (فان قيل) ما الفائدة فى قوله تعالى ههنا وان كثيرا من الناس وقال  
 من قبل ولكن أكثر الناس (أجيب) بأن فائدته انه من قبل لم يذ كر دليل الاعلى الاصلين وههنا  
 قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللامحة ولا شك فى أن الايمان بعد الدليل أكثر من  
 الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد ان يؤمن من ذلك جمع فلا يبقى الا أكثر كما هو فقال بعد  
 اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن أكثر الناس لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو  
 السموات والارض لأن من البعيد أن يذهل الانسان عن السماء التى فوقه والارض التى تحته  
 فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو أمثالهم وحكاية أشكالهم فقال (أو لم يسيروا فى الارض)  
 أى سيرا اعتبار وقوله تعالى (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم وهى ادلاكم  
 بآياتهم ورسولهم تقرير لسييرهم فى أنظار الارض وتظيرهم الى آثار المدمرين كعاد ونمود  
 (كانوا أشد منهم) أى العرب (قوة) أى فى أبدانهم وعقولهم (واما والارض) أى

حرتوها وطلبوها النزرع والفرس والمعادن والمياه وغير ذلك (وعروها) أي أولئك السالفون  
 (أكثر مما عروها) أي هؤلاء الذين أرسلت إليهم بل ليس لهم من إثارة الأرض وعمارتهما  
 كبيراً أمر فان بلاد العرب انما هي في جبال سود وفيها فغيرها واللاتم كم بهم وبيان لضعف  
 حالهم في دنياهم التي لا تخلفهم بغيرها (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بال الحجج الظاهرات مثل  
 ما أتاناكم به رسولنا من وعودنا الصادقة وأمورنا الخارقة كما مر الاسراء وما أظهر فيه من  
 الغرائب كالأخبار بأن العيرت قد دم في يوم كذا يقدمها جمل صفته كذا وغرائره كذا فظهر  
 كذلك وما آمنتم به كالم يؤمن من كان أشد منكم قوة (فما) أي تسبب أنه ما (كان الله) أي  
 على ماله من أوصاف الكمال مريدا (ليظلمهم) بأن يفعل معهم فعل من تعدونه أنتم ظالمين بأن  
 يملكهم في الدنيا ثم يقتص منهم في القيامة قبل إقامة الحجية عليهم بإرسال الرسل بالبينات  
 (ولكن كانوا) بغاية جهدهم (أنفسهم) أي خاصة (يظلمون) أي يجتدون الظلم لها بابها يتبع  
 الضرر موقع جلب النفع (ثم كان عاقبة) أي آخر أمر (الذين أساؤا) وقوله تعالى (السواي)  
 تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار  
 ثم كان عاقبتهم السواي الا أنه وضع المظهر ووضع المضمري العقوبة التي هي أسوأ العقوبات  
 في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاقبة بالرفع على أنها  
 اسم كان والسواي خبرها والباقون بالنصب على أنها خبر كان وقيل السواي اسم لجهنم كما أن  
 الحسنى اسم للجنة واسماءتهم (ان) أي بان (كذبوا بآيات الله) أي القرآن وقيل تفسير السواي  
 ما بعده وهو قوله تعالى أن كذبوا أي ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على  
 ان كذبوا بآيات الله (وكانوا بها) مع كونها أبعد شيء عن الهز (يستزؤون) أي يستمرون على  
 ذلك بتجديده في كل حين \* ولما كان حاصل ماضى أنه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء  
 صرح بذلك في قوله تعالى (الله) أي المحيط علما وقدره (بيد الخلق) أي بدأ الله ما رأيتم  
 وهو يجتد في كل وقت ما يريد من ذلك كما تشهدون (ثم يعيده) أي خلقهم بعد موتهم أحياء  
 ولم يقل يعيدهم لردده الى الخلق (ثم اليه يرجعون) للجزاء فيجزئهم بأعمالهم وقرأ أبو عمرو  
 وشعبة بالماء على الغيبة على التسوق الماضي والباقون بالتاء على الخطاب أي اليه ترجعون  
 معنى في أموركم كلها في الدنيا وان كنتم اقصروا فتنظروا تنسبونها للاسباب وحسب بعد قيام  
 الساعة وهي أبلغ من القراءة الاولى لانها أنص على المقصود \* ولما ذكر الرجوع اتبعه ببعض  
 أحواله بقوله تعالى (ويوم يقوم الساعة) سميت بذلك إشارة الى عظيم القدرة عليهم مع كثرة  
 الخلائق على ما هم فيه من العظما والكبراء والرؤساء (يلبس المجرمون) أي يسكت المشركون  
 لا تقطاع حجتهم فالابلاس أن يبق بأساسا كما تمخيرا يقال ناظرته فابلس ومنه الناقة المبلاس  
 أي التي لا ترغو وقال مجاهد منتمضون وقال قتادة المعنى يأس المشركون من كل خير \* ولما  
 كان الساكت ربما أغناه عن الكلام غيره نفي ذلك بقوله تعالى محقة قاله يجعله ماضيا (ولم يكن)  
 ومعناه لا يكون (لهم من شركائهم) أي عن أمر كوهم بالله وهم الاصنام (شعوا) يتقدونهم

عما هم فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط في قواهم هو لا شفعاؤنا عند الله \* ولما ذكر  
 تعالى حال الشفعااء بهم ذكر حالهم مع الشفعااء بقوله تعالى (وكانوا يشركائهم) أى خاصة  
 (كافرين) أى متبرئين منهم بانهم ليسوا باآلهة وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعااء  
 فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علماء بنى اسرائيل وكذلك كتب السواى بألف قبل الياء  
 اثباتا لله - حزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة) أى وياله من يوم  
 وذا فى تمويله بقوله تعالى (يومئذ يفرقون) أى المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون  
 فرقة لا اجتماع بعد ها هو لاء فى عليين وهو لاء فى أسفل سافلين كما قال عز من قائل (فأما الذين  
 آمنوا) أى اقرؤا بالايمان بأنفسهم (وعملوا) تصديقا لاقرارهم (الصالحات فهم) أى خاصة  
 (فى روضة) وهى أرض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات موجب بهج هذا  
 أصلها فى اللغة قال الطبرى ولا نجد أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض اه والتشكير  
 لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء ومن أمثالهم أحسن  
 من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) قال أبو بكر بن عياش التميمى على  
 رؤسهم وقال أبو عبيدة يسرون أى على سبيل التجسس وكل وقت سرورا تشرق له الوجوه وتبسم  
 الافواه وتزهر العيون فيظهر حسنها وبهجتها فتظهر النعمة بظهور آثارها على أسهل  
 الوجوه وأيسرها وقال ابن عباس بكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الازاعى عن يحيى بن  
 كثير يحبرون هو السماع فى الجنة وقال الازاعى اذا أخذ فى السماع لم يبق فى الجنة شجرة  
 الا وردت وقال ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ فى السماع قطع  
 على أهل سبع سموات صلواتهم وتسيبهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها  
 من النعيم وفى آخر القوم اعرابى قال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى  
 ان فى الجنة نهر احفائه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهما  
 قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الدارمى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسيب وروى ان  
 فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله رجلا من تحت  
 العرش فتقع فى تلك الاجراس باصوات لو سمعها أهل الدنيا لما توارطوا طربا (وأما الذين كفرا)  
 أى غطوا ما كشفته أنوار العقول (وكذبوا) عنادا (بآياتنا) التى لأصدق منها ولا أضوأ من  
 أنوارها بما لها من عظمتنا وهو القرآن (ولقاء الآخرة) أى بالبعث وغيره (فأولئك) أى البغضاء  
 البعداء (فى العذاب) الكامل لا غيره (محضرون) أى مدخلون لا يغيبون عنه (فسحجان الله)  
 أى سجدوا لله تعالى بمعنى صلوا (حين تمسون) أى حين تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب  
 والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح وقوله تعالى (وله الحمد  
 فى السموات والأرض) اعتراض ومعناه بحمده أهلها وقوله تعالى (وعشيا) عطف على حين  
 وفيه صلاة العصر (وحين تطهرون) أى تدخلون فى الظهيرة وفيه صلاة الظهر قال نافع بن  
 الأزرق لابن عباس هل تجدد الصلوات الخمس فى مواقيتها فى القرآن فقراها تين الآيتين وقال

جعلت الايتان الصلوات الخمس ومواقبتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال  
 ادومها لان الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشره من  
 ما كول ومشروب وغير ذلك تخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار  
 ووسطه وآخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين  
 وكذلك باقى الركعات وهن سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس  
 في اوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات من جميع  
 الليل والنهار وهى مقدار النوم والنام مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته بالتسبيح  
 فى العبادة ويعنى زهوه من السوء بالثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله  
 تعالى الظاهرة عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال  
 سبحان الله وبجمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبجمده مائة مرة لم يأت أحد يوم  
 القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال وزاد عليه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبجمده سبحان  
 الله العظيم وعن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أنه خرج  
 ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فساها جويرية فكره  
 أن يقال خرج من عنده برة فخرج وهى فى مسجد هأى مصلها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال  
 ما زلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات  
 لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبجمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنه عرشه ومداد كلماته  
 وعن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتب  
 فى كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكتب كل يوم ألف حسنة قال يسبح مائة  
 تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة وفى غير رواية مسلم ويحط بغير ألف • ولما  
 كان الانسان عند الاصبح يخرج من سنة النوم الى سنة الوجود وهى اليقظة وعند العشاء  
 يخرج من اليقظة الى النوم أتبعه الاحياء والامانة حقيقة بقوله تعالى (يخرج الحى)  
 كالانسان والظائر (من الميت) كالنطفة والبيضة (ويخرج الميت) كالبيضة والنطفة  
 (من الحى) على عكس ذلك أو يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المؤمن من الكافر  
 والكافر من المؤمن (ويحيى الارض) أى بالمطر واخراج النبات (بعدها) أى يسها  
 (وكذلك) أى ومثل هذا الاخراج (تخرجون) بأيسر أمر من الارض بعد تنفرت أجسامكم فيها  
 أحياء للبعث والحساب وقرأ نافع وحذص وحجزة والكسائى الميت بكسر الباء المشددة والباقون  
 بالسكون وقرأ حجة والكسائى وابن ذكوان بخلاف عنه بفتح التاء قبل الحاء وضم الراء على  
 البناء للفاعل والباقون بضم التاء وفتح الراء على البناء للمفعول (ومن آياته) أى ومن جملة  
 علامات توحيدته وكمال قدرته (أن خلقكم) أى أصلكم وهو آدم عليه السلام (من تراب)

لم يكن له أصلا تصاف ما بحياة أو أنه خلقكم من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء انما يتولد من  
 الماء والتراب (ثم) أي بعد اخراجكم منه (إذا أنتم بشر تتشرون) في الارض كقوله تعالى  
 وبث منهن ما رجلا كثيرا ونساء \* (تنبيه) \* الترتيب والمهله ههنا ظاهر ان فانهم يصيرون بشرا  
 بعد أطوار كثيرة وتتشرون حال واذا هي الفجائية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفاء لانها  
 تقتضى التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الاطوار  
 التي قصها علينا في موضع آخر من كونها نطفة ثم عاقبة ثم مضغة ثم عظاما مجردا ثم عظما مكسوا  
 لحافا جأ البشرية والانتشار (ومن آياته) أي على ذلك (ان خلق لكم) أي لاجلكم ليعني نوعكم  
 بالتوالد في تقديم الجار وهو قوله تعالى (من أنفسكم) أي جنسكم بعد ايجادها من ذات أيكم  
 آدم عليه السلام (أزواجا) انما هن شفع لكم دلالة ظاهرة على حرمة التزوج من غير الجنس  
 كالجن قال البقاعي والتعبير بالنفس أظهر في كونها من بدن الرجل أي تخلق حواء من ضلع  
 آدم (لتسكنوا) ماثلين (اليها) بالشهوة والالفة من قواهم سكن اليه اذا مال وانقطع واطمان  
 اليه ولم يجعلها من غير جنسكم لثلاث نفوس امثالها قال ابن عادل والصحيح أن المراد من جنسكم كما  
 قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني أن الجنسين  
 المختلفين لا يسكن أحدهما الى الآخر أي لا تثبت نفسه معه ولا يعيل قلبه اليه \* ولما كان  
 المقصود بالسكن لا ينتظم الابدوام الالفة قال تعالى (وجعل) أي صير بسبب الخلق على هذه  
 الصفة (بينكم مودة) أي معنى من المعاني يوجب أن لا يحب أحد من الزوجين أن يصل الى  
 صاحبه شئ يكرهه (ورحمة) أي معنى يحمل كلا على أن يجتهد للاخر في جلب الخير ودفع الضر  
 وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد تمسك بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله  
 تعالى ورحمة منا (ان في ذلك) أي الذي تقدم من خلق الأزواج على الحال المذكور وما يتبعه  
 من المنافع (آيات) أي دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته (لقوم يتفكرون) أي  
 يستعملون أفكارهم على القوانين المحترمة ويجتهدون في ذلك فيعلمون ما في ذلك من الحكم  
 ولما بين تعالى دلائل الانفس ذكر دلائل الآفاق بقوله تعالى (ومن آياته) أي الدالة على ذلك  
 (خلق السموات) على علوها واحكامها (والارض) على اتساعها واتقانها وقدم السماء على  
 الارض لان السماء كالذكر لها ولما أشار الى دلائل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات  
 الانفس بقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم) أي لغاتكم من العربية والهجمية وغيرهما  
 ونعماتكم وهياتهم فلا تكاد تسمع منطقتين متفقين في همس ولا جهارة ولا شدة ولا رخاوة  
 ولا لكنة ولا فصاحة ولا غير ذلك من صفات الالطوق وأشكاله وأنتم من نفس واحدة (و) اختلاف  
 (ألوانكم) من أبيض وأسود وأشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل  
 واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في ذلك أن الانسان يحتاج الى التمييز بين الأشخاص  
 ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه وليقبل على  
 الصديق قبل أن يفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون

بالسمع فخلق اختلاف الاصوات وأما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو  
 والديق فلا يقع التمييز بين كل واحد بشكله وحليته وصورته ولو أدت الصور والاصوات  
 وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت  
 توأمين يشتهان في الحليسة فيروك الخطأ في التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق على ما أراد  
 وكيف أراد وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وتفرعوا من أصل فذوهم على الكثرة التي  
 لا يعلمها الا الله تعالى مختلفون متفاوتون \* ولما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا يختص  
 بجنس من الخلق دون غيره قال (ان في ذلك) أي الامر العظيم العالی الرتبة في بيانه وظهور  
 برهانه (لايات) أي دلالات واضحات جدا على وحدانيته تعالى (للعالمين) أي ذوي العقول  
 والعلم ولا يختص به صنف منهم دون صنف من جن ولانسان ولا غيرهم فهذا هو حكمة قوله تعالى  
 هنا للعالمين وفيما تقدم بقوله تعالى لقوم يتفكرون وقرأ حفص وحده بكسر اللام \* ولما ذكر  
 تعالى بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جعلتها النوم  
 بالليل والحركة في النهار طلبا للرزق كما قال تعالى (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم  
 (منامكم) أي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا (بالليل والنهار)  
 قبولة (وابتغواكم من فضله) أي منامكم في الزمان لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى  
 الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكسب الانسان بالليل أو منامكم بالليل وابتغواكم  
 بالنهار خلف ونسب بين الزمانين والفعلين بعاضتين وهما الواوان اشعار بان كلام من الزمانين وان  
 اختص بأحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده آيات أخر كقوله تعالى وجعلنا الليل  
 لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن  
 آياته منامكم وابتغواكم بالليل والنهار من فضله وأخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل إشارة الى  
 ان العبد ينبغي ان لا يرى لرزق من كسبه وبجذقه بل من فضل ربه ولهذا قرن الابتغاء بالفضل  
 في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل  
 الله وقوله تعالى وابتغوا من فضله \* (تنبيه) \* قدم الله تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في  
 الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا للحاجة فلا ينبغي الاحتجاج  
 في الحال أو خائف من المآل (ان في ذلك) أي الامر العظيم العالی الرتبة من ايجاد النوم  
 بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر وايجاد ~~كل~~ من الملوك بعد  
 اعدائهم والجد في الابتغاء بعد المذاققة في التحصيل (لايات) هديدة على القدرة والعلم لاسيما  
 البعث (لقوم يسهون) أي من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة  
 \* (تنبيه) \* قال هنا آيات لقوم يسهون وقال تعالى من قبل انتم يتفكرون وقال تعالى للعالمين  
 لان المنام بالليل والابتغاء يظن الجاهل أو الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل  
 أحد كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل آيات للعالمين ولان الامرين الأولين وهما اختلاف  
 الالسنه والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم

لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الاسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان  
 فجعلهما آيات عليه وأما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها  
 ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا  
 سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى أمثال حسنة كالاشكال  
 الهندسية لان خلق الأزواج لا يقع لاحدانه بالطبع الا اذا كان جامد الفكرة فاذا تفكر علم كون  
 ذلك الخلق آية وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثيراً منهما من أفعال العباد وقد يحتاج الى مرشد  
 معين لفكره فقال لقوم يستمعون ويبجلون باللهم من كلام المرشد \* ولما ذكر تعالى العرضيات  
 اللازمة للانفس والمشاركة ذكر العرضيات التي لا آفاق بقوله تعالى (ومن آياته) الدالة على  
 عظيم قدرته (يريكم البرق) أي اراء تكلم له على هيئات وكنهيات طال ما شاهدت وهاتارة تأتي  
 بما ينضروا تارة بما يسر كما قال تعالى (خوفاً) أي للاخافة من الصواعق المحرقة (وطمعا) أي  
 وللإطماع في المياه العذبة (وينزل من السماء ماء) أي الذي لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرأ ابن  
 كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (فيحيي به)  
 أي بذلك الماء خاصة لان أكثر الارض لا يسقي بغيره (الارض) أي بالنبات الذي هولها كل رويح  
 لجسد الانسان (بعدموتها) أي ييسها (ان في ذلك) أي الامر العظيم العالی القدر (لايات)  
 لاسماع على القدرة على البعث (لقوم يعقلون) أي يتدبرون فيستعملون عقولهم في استنباط  
 أسبابها وكيفية تكونها ليطهر لهم كمال قدرة الصانع \* (تنبيه) \* كما قدم السماء على الارض  
 قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء وكان  
 في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي أن البرق  
 اذا لاح فالذي لا يكون تحت كن يخاف الايتلال فيستعدله والذي له صهر ينج أو مصنع يحتاج  
 الى الماء أو زرع يسوى مجارى الماء وأيضاً أهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا  
 قدراً والبروق اللائحة من جانب دون جانب واعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم تظهر للمقيمين  
 في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة وآية  
 (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى هنا آيات لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون (أجيب)  
 بأنه لما كان - دوث الولد من الوالد أمر اعاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام  
 العامية أن ذلك بالطبيعة لان المطرد أقوى الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس أمرا  
 مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا  
 وتارة يكون ضعيفا فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن كان له عقل  
 وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض قيامها بقوله تعالى (ومن  
 آياته) أي على تمام القدرة وكمال الحكمة (أن تقوم السماء والارض بأمره) قال ابن مسعود  
 قامت على غير عمد بأمره أي بارادته فان الارض لنقلها يتوجب الانسان من وقوعها وعدم  
 نزولها وكون السماء في علوها يتوجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان



الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما أفرد السماء والارض لان السماء الاولى  
 والارض الاولى لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ بالكل لانه جنس \* (تنبيه) \*  
 ذكر تعالى من كل باب أمرين أما من الانفس فقوله تعالى خلقتكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين  
 ومن الآفاق السماء والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان  
 اختلاف اللسان واختلاف الالوان ومن عوارض الآفاق البرق والامطار ومن لوازمهما  
 قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر  
 شهادة شاهدين فان قول أحدهما يفيد الظن وقول الآخر يفيد تأكيد وللهذا قال ابراهيم  
 عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي (فان قيل) ما الفائدة في قوله تعالى هنا ومن آياته أن تقوم  
 وقال تعالى قبله ومن آياته يريكم البرق ولم يقل أن يريكم ليصير كالمصدر بأن (أجيب) بأن القيام  
 لما كان غير معتبراً خرج الفعل بأن عن الفعل المستقبل ولم يذ كر معه الحروف المصدرية  
 (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى ذكرست دلائل وذ كر في أربع منها ان في ذلك لايات ولم يذ كر في  
 الاول وهو قوله تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ولا في الآخر وهو قوله ومن آياته أن تقوم  
 السماء والارض (أجيب) عن ذلك أما عن الاول فلان قوله بعده ومن آياته أن خلق لكم أيضا  
 دليل الانفس بخلق الانفس وخلق الأزواج من باب واحد على ما تقدم من أنه تعالى ذكر من كل  
 باب أمرين للتقرير والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لايات كان عائدا اليهما وأما في قيام  
 السماء والارض فلانه ذكر في الآيات السماوية أنها آيات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك اظهرها  
 فلما كان في أول الامر ظاهرا في آخر الامر بعد سرد الأدلة يكون أظهر فلم يميز أحد في ذلك  
 عن الآخر \* ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الاعادة  
 بقوله تعالى (ثم ادعناكم) وأشار الى هوان ذلك القول عنده بقوله عز وجل (دعوة) أي  
 واحدة (من الارض) بأن ينفخ اسرافيل في الصور للبعث من القبور فيها فيقول أيها الموتي  
 اخرجوا (إذا أنتم تخرجون) أي منها أحياء بعد اضعلالكم بالموت والبالا فلا تبقى نسمة  
 من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينتظرون  
 (فان قيل) بم يتعلق من الارض بالفعل أم بالمصدر (أجيب) بهيات اذا جاء نهر الله وهو الفعل  
 بطل نهر معقل وهو المصدر وشم اما التراخي زمانه أو لعظم ما فيه (فان قيل) ما الفرق بين  
 اذا واذا (أجيب) بأن الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب  
 الشرط ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى \* (تنبيه) \* قال ههنا إذا أنتم تخرجون  
 وقال تعالى في خلق الانسان أو لا ثم اذا أنتم بشر تتشرون لان هناك يكون خلق وتقدير  
 وتدرج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر وأما في الاعادة فلا يكون  
 تدرج وتراخي بل يكون بدأ خروج فلم يقل ههنا ثم \* ولما ذكر تعالى الآيات التي تدل على القدرة  
 على الحشر الذي هو الاصل الآخر والوحدانية التي هي الاصل الاول أشار اليهما بقوله  
 تعالى (وله من في السموات والارض) ملكا وخالقا (كل له فاتون) قال ابن عباس كل له

مطمعون في الحياة والنساء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال الكلبى هذا خاص  
 بن كان منهم مطيعا ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون فلا شريك له أصلا  
 ثم ذكر المدلول الآخر بقوله تعالى (وهو الذى يبدؤ الخلق) أى على سبيل التجديد كما  
 تشهدون \* وأشار الى تعظيم الاعادة باداة التراخي فقال (ثم يعيده) أى بعد الموت للبعث  
 وفي قوله تعالى (وهو أهون عليه) قولان أحدهما أنه التفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف  
 تصور التفضيل والاعادة والبداء بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك أجوبة  
 أحدها أن ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من أن اعادة الشيء أهون من  
 اختراعه لاحتياج الابتداء الى اعمال فكر غالباً وان كان هذا مستغنيا عن البارى سبحانه وتعالى  
 فخطبوا بحسب ما ألقوه ثانياً أن الضمير في عليه ليس عائداً على الله تعالى انما يعود على الخلق  
 أى والعود أهون على الخلق أى أسرع لان البداءة فيها تدرج من طور الى طور الى أن صارت  
 انساناً والاعادة لا تحتاج الى هذه التدرجات فكانه قيل وهو أقصر عليه وأيسر وأقل انتقالاً  
 والمعنى يقومون بصيغة واحدة فيكون أهون عليهم يعنى أن يقوموا ونظفانم علقانم مضغاً الى  
 أن بصير وارجالاً ونساءً وهى رواية الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ثانياً أن الضمير في  
 عليه يعود على المخلوق يعنى والاعادة أهون على المخلوق أى اعادة شيئاً بعدما أنشأه هذا في عرف  
 المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى والثانى أن أهون ليس للتفضيل بل هى  
 صيغة بمعنى هين كقولهم الله أكبر أى كبره وهى رواية العوفى عن ابن عباس وقد يجىء أفعال  
 بمعنى الساعل كقول الفرزدق

ان الذى سلك السماء بنى لنا • يتادعائمه أعز وأطول

أى عزيرة طويلة وعود الضمير على البارى تعالى أولى ليوافق الضمير في قوله تعالى (وله المثل) أى  
 الوصف المحبب الشأن كالقدرة العامة والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو أنه ليس كمثل  
 شئ وقال قتادة هو أنه لا اله الا هو قال البيضاوى ومن فسره بلا اله الا الله أراد به الوصف  
 بالوحدانية (الاعلى) أى الذى ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه \* ولما كان الخلق لقصورهم  
 مقيدين بالله هم به نوع مشاهدة قال (فى السموات والارض) أى اللتين خلقتهما ولم يستعصيا  
 عليه فكيف يستعصى عليه شئ فيهما (وهو) أى وحده (العزير) أى الذى اذا أراد شيئاً كان له  
 فى غاية الانتياد كما انما كان (الحكيم) أى الذى اذا أراد شيئاً أتقنه فلم يقدر غيره الى  
 التوصل الى بعض شئ منه ولا تتم حكمة هذا الكون على هذه الصورة الا بالبعث بل هى  
 الحكمة العظمى ليصل كل ذى حق الى حقه بأقصى التحرير \* ولما أبان من هذا أنه تعالى  
 المنفرد بالملك بشمول العلم وتعام القدرة وكال الحكمة اتصل بحسن أمثاله واحكام مقاله  
 وفعاله قوله تعالى (ضرب) أى جعل (لكم) بحكمته أيها المشركون فى أمر الاصنام  
 وبيان الابطال من يشركونها وفساد قوله بأجلى ما ~~يكون~~ من التقرير (مثلاً) مبتدأ (من  
 أنفسكم) التى هى أقرب الاشياء اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى (هل لكم) أى يا من عبدوا مع

الله غيره (ع) أى من بعض ما (ملكتم أيمانكم) أى من العبيد والاماء الذين هم بشر مثلكم وعم في النقي الذى هو المراد بالاستقها مزيادة الجار بقوله تعالى (من شركاء) أى فى حالة من الحالات يسوغ لكم بذلك أن تجعلوا لله شركاء (فى ما رزقناكم) من الاموال وغيرها مع ضعف ملككم فيه \* (فائدة) \* فى مقطوعة عن ما (فأنتم) أى يا معاشر الاحرار والعبيد (فيه) أى الشئ الذى وقعت فيه الشركة (سواء) فيكون أنتم وهم شركاء يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم (فان قيل) أى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من أنفسكم (أجيب) بأن الاولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى من أنفسكم ولم يعد والثانية للتبويض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستقها م الجارى مجرى النقي ثم بين المساواة بقوله تعالى (تخافونهم) أى معاشر السادة فى التصرف فى ذلك الشئ المشترك (كيف فتكم أنفسكم) أى كما تخافون بعض من تشاركونه عن يساويكم فى الحرية والعظمة أن تتصرفوا فى الامر المشترك بشئ لا يرضيه وبدون اذنه وظهر أن حالكم فى عبيدكم مثل له فيما أشركتموه به موضع لبطلانه فاذالم ترضوا هذا لا أنفسكم وهو أن تستوى عبيدكم معكم فى الملك فكيف ترضونه لخالفكم فى هذه الشركاء التى زعمتموها فتسوقونها وهى من أضعف خلقته أفلا تستحيون (كذلك) أى مثل هذا التفصيل العالى (فصل الآيات) أى بينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) أى يتدرون هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الاعلى من لا عقل له (بل اتبع الذين ظلموا) أى أشركوا فانهم وضعوا الشئ فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام (أهواءهم) وهى ما قيل اليه نفوسهم (بغير علم) أى جاهلين لا يفقههم شئ فان العالم اذا اتبع هواه رجا رده علمه ثم بين تعالى أن ذلك بارادته بقوله تعالى (فن يهدى من أضل الله) أى الذى له الامر كله أى لا يقدر أحد على هدايته (ومالهم من ناسرين) أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله لامن الاصنام ولا من غيرها ولما تحررت الأدلة وانتصبت الاعلام أقبل تعالى على خلاصة خلقه ايذاً نابأنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله سبحانه (فاقم وجهك) أى قصدك كله (للدين) أى أخلص دينك لله قاله سعيد ابن جبير وقال غيره سد عملك والوجه ما توجه اليه وقيل أقبل بكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أى ذاته بصفاته وقوله تعالى (حينئذ) حال من فاعل أقم أو منعه أو من الدين ومعنى حينئذ أى ما تلاه مستقما عليه وصل عن كل شئ لا يكون فى قلبك شئ آخر وهذا قريب من معنى قوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى (فطرت الله) أى خلقته منصوب على الاغراء أو المصدر بمادل عليه ما بعدها وهى بناء مجرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسافى بالهاء والباقون بالياء ثم أكد ذلك بقوله تعالى (التي فطر الناس) قال ابن عباس خلق الناس (عليها) وهو دينه وهو التوحيد قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا هو يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة على العهد الذى أخذته عليهم بقوله تعالى ألت بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم

على ذلك الاقرار وهي الحنيفة التي وقعت الخلقه عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلنى وليكن لاعبرة بالايمان النظري في أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المأمور به وهذا قول ابن عباس وجاعة من المفسرين وقيل الآية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله تعالى على الاسلام روى عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أى على خلقته التى جبل عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن علامات الشقاء أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاده دينهما وقيل معنى الحديث أن كل مولود يولد فى مبدأ الفطرة على الخلقه أى الجبله السليمه والطبيع المتبني لقبول الدين فلورثه عليها لا استمر على لزومها الآن هذا الدين موجود حسنه فى العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من الفشو والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات لم يعتد غيره ذكر هذه المعانى أبو سليمان الخطابي فى كتابه \* ولما كانت سلامة الفطرة أمرا مستمرا قال تعالى (لا تبدل خلق الله) أى الملك الاعلى الذى لا كف له فلا يقدر أحد أن يغيره فمن حل الفطرة على الدين قال معناه لا تبدل دين الله فهو خبر بمعنى النهى أى لا تبدلوا دين الله قاله مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله أى دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حلها على الخلقه قال معناه لا تبدل خلق الله أى ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يبصر السعد شقيا ولا الشقى سعيدا وقال عكرمة معناه تحريم اخصاء البهائم أى فى غير المأ كول وفى المأ كول الكبير أما المأ كول الصغير فانه يجوز ويلحق بالخصى المحرم كل تغيير محرم كالوشم (ذلك) أى الشأن العظيم (الدين القيم) أى المستقيم الذين لا عوج فيه توحيد الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله تعالى (متبين) أى راجعين (اليه) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم قال الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب أولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لآفته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (واتقوه) أى خافوه فانكم وان عبدتموه فلا تأمنوا أن تزيفوا عن سبيله (وأقيموا الصلوة) أى داوموا عليها وعلى أداؤها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) أى لا تكونوا ممن يدخل فى عدادهم بمواددة أو معاشرته أو عمل تشابه ونهم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو عام فى كل مشرك سواء كان بعبادة صنم أو نار أو غير ذلك وقوله تعالى (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) أى الذى هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم شيئا ودانوا دينه غير دين من سواهم وهو معنى (وكانوا شيعا) أى فرقا متخالفين كل واحدة منهم تشايح من دان بدينها على من خالتهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فعلم قطعاً أنهم كلهم ليسوا على الحق وقرأ حزة والكسائى بألف بعد الفاء وتخفيف الراء والباقون بغير ألف وتشديد

الراء فعل القراءة الاولى فارقوا أى تر كواد ينهم الذى أمر وا به • ولما كان هـ ذا أمر يتوجب  
 من وقوعه زاده بحجا بقوله تعالى استثنافا (كل حزب) أى منهم (بمادهم) أى عندهم  
 (فرحون) أى مسرورون ظننا منهم أنهم صادقوا الحق وفازوا به دون غيرهم • ولما بين تعالى  
 التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعترفون بها وان كانوا ينكرون ونهاى وقت وهى حالة  
 الشدة بقوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أى حط وشدة (دعوا ربهم) أى الذى لم يشركه  
 فى الاحسان اليهم أحد (منيبين) أى راجعين من جميع ضلالاتهم (اليه) أى دون غيره علمنا منهم  
 بأنه لا فرج لهم عند شئ غيره قال الرازى فى اللوامع فى أواخر العنكبوت وهذا دليل على أن  
 معرفة الرب فى فطرة كل انسان وأنهم ان غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون اليه فى حال  
 الضراء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خلاصا من ذلك الضر (اذا فریق منهم ربهم) أى  
 المحسن اليهم دائما المجتهد لهم هذا الاحسان من هذا الضر (يشركون) أى فاجأ فريق  
 منهم الاشرار الربهم الذى عاقبهم فاذا العجائية وقعت جواب الشرط لانها كالفاء فى أنها  
 للتعقيب ولا تقع أول كلام وقد تجامعها الفاء زائدة (فان قيل) ما الحكمة فى قوله ههنا اذا  
 فريق منهم وقال فى العنكبوت فلما تجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يبق فريق (أجيب)  
 بأن المذكور ههنا غير معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل  
 والذى لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم فى غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا القلة من  
 خرج من الشرك وأما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر البحر والامراض والاهوال  
 والمتخلص من أنواع الضر خلق كثير بل جميع الناس قد يكونون قد وقعوا فى ضر ما فخلصوا  
 منه والذى لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهم خلق عظيم وهو جميع  
 المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يتوا مشركين وأما المساون فلم يتخلصوا من ضر البحر  
 بأجمعهم فلما كان الناجى من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمى الباقي فريقا وقوله تعالى (ليكثروا  
 بما آتيناهم) يجوز أن تكون اللام فيه لام كى وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله  
 تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد بقوله تعالى (فمتعوا فسوف  
 تعلمون) عاقبة تمتعكم فى الآخرة وفى هذا التفات من الغيبة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى دليلا  
 واضحا قاهرا أو ذا سلطان أى ملك معه برهان فقوله تعالى (فهو يتكلم) على الاول كلاما  
 مجازيا وعلى الثانى كلاما حقيقيا وعلى كلام الحالين هو جواب للاستفهام الذى تضمنته أم  
 المنقطعة (بما) أى بصفة ما (كانوا به يشركون) أى فيما هم بالاشراك بحيث لا يجدوا بدا  
 من متابعتها لتزول عنهم الملامة وهذا الاستفهام بمعنى الانكار أى ما أنزلنا بما يقولون سلطانا  
 قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون أى ينطق  
 بشركهم • ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين تعالى حال المشرك الذى دونه وهو من  
 تكون عبادته للدين بقوله تعالى (واذا) معبرا بأداة التصديق اشارة الى أن الرحمة أكثر  
 من النعمة وأمد الفعل اليه فى مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال (أذقنا الناس رحمة)

أى نعمة من خصب وكثرة مطر وغنى ونحوه لاسبب لها الارحمتنا (فرحوا بها) أى فرح بطر  
 مطمئنين من زوالها ناسين شكر من أنعم بها ولا ينبغي أن يكون العبد كذلك (فان قيل) الفرحة  
 بالرحمة مأمورة قال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرحة  
 بالرحمة (أجيب) بأنه هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا  
 بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى  
 (وان تصبهم سيئة) أى شدة من جذب وقلة مطر وفقرو ونحوه (بما قدمت أيديهم) من السيئات  
 (اذا هم يقنطون) أى يأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرونه  
 عند النعمة ويرجون عند الشدة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف  
 والباقون بالفتح (أولم يروا) أى يعلموا (أن الله يبسط الرزق) أى يوسع (لمن يشاء) امتحانا  
 (ويقدر) أى يضيق لمن يشاء ابتلاء وهذا شأنه دائماً مع الشخص الواحد في أوقات متعاقبة  
 متباعدة ومتقاربة ومع الاتضاض ولو في الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه  
 لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا بل كان حالهم الصبر في البلاء والشكر في الرخاء  
 والاقلاع عن السيئة التي نزل بسببها القضاء \* ولما لم تغن عن أحد منهم في استجلاب الرزق قوته  
 وغزارة عقله ودقة مكره وكثرة حيله ولا ضرة ضعفه وقلة عقله وعجز جلته وكان ذلك أمراً عظيماً  
 ومنزاعاً مع شدة ظهوره وجلالته خفيادقاً قال بعضهم

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه \* وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

أشار سبحانه الى عظمته بقوله مؤكداً ان عملهم في شدة اهتمامهم بالسعي في الدنيا عمل من يظن  
 أن تحصيله انما هو على قدر الاجتهاد في الاسباب (ان في ذلك) أى الامر العظيم من الاقتدار  
 في وقت والاعناء في آخر والتوسيع على شخص والتمتعير على آخر والامن من زوال الحاضر  
 من النعم مع تكثر المشاهدة للنزوال في النفس والغير والبأس من حصولها عند المحنة مع كثرة  
 وجدان الفرج وغير ذلك من أسرار آياته (لايات) أى دلالات واضحات على الوحدةانية لله  
 تعالى وتعام العلم وكمال القدرة وانه لا فاعل في الحقيقة الا هو لاكن (لقوم) أى ذوى همم  
 وكفاية القيام بما يحق لهم أن يقوموا به (بؤمنون) أى يوجدون هذا الوصف ويدعون  
 تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام الادلة بادامة التأمل والامعان والتفكير  
 والاعتماد في الرزق على من قال واتدبيرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أى من طالب علم  
 فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا حصلت خوفاً من زوالها اذا اراد القادر ذلك ولا يفتنون  
 بها اذا زالت رجاء في اقبالها فاضلا من الرزق لان أفضل العبادات انتظار الفرج بل همم بها عليهم  
 من وظائف العبادة واجبها ومنذوبها ومعرضون عما سوى ذلك قد وكلوا أمر الرزق الى من  
 تولى أمره وفرغ من قسمه وقام بضمانه وهو القدير العليم \* ولما أفهم ذلك عدم الاكتراف  
 بالدنيا لان الاكتراف بها لا يزيدا والتهاون بها لا ينقصها قال تعالى مخاطباً للاعظم المتأهلين  
 لتنفيذ أوامره (فات) يا خيرا الخلق (ذا القربى) أى القرابة (حقه) أى من البر والصلة

لانه أحق الناس بالبرصلة الرحم جودا وكرما (والمسكين) سواء كان ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) وهو المسافر كذلك من الصدقة وأمة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك • (تنبيه) • عدم ذكر بقية الاصناف يدل على أن ذلك في صدقة التطوع ودخل الفقير من باب أولى لانه أسوأ حالا من المسكين (فان قيل) كيف تعلق قوله تعالى فات ذا التبرى حقه بما قبله حتى جي بالثناء (أجيب) بأنه لما ذكر أن السبيته أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمعسر إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رضي الله عنه لانه نفقة بالقرابة الأعلى الولد والوالدين فاس سائر القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم \* ولما أمر بالایشارة رغب فيه بقوله تعالى (ذلك) أي الايشارة على الرتبة (خير للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أو وجهته وجانبه أي يقصدون بغير وفهم أياما خلاصا لوجهه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى أي يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة (وأولئك) أي العالو الرتبة لغناهم عن كل فان (هم المغفلون) أي الفنايزون الذين لا يشوب فلاحهم شيء وأما غيرهم فغائب أمان لم يتفق فواضح وأمان أنفق على وجه الرياء فتدخس ماله وأبقى عليه وبالله كما قال تعالى (وما آتيتهم من ربا) أي مال على وجه الربا المحترم بزيادة في المعاملة أو المكروه بعطية يتوقع بها مزيد مكانة وكان هذا محرم على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تنسكرا أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيتة تشريفه وكره لعامة الناس فسمى باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة فالربا ربوان فالحرمان كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجز منه منعة والذي ليس بجرام أن يستدعي بهديته أو بهبته أكثر منها وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا والباقون بعدها (ليربو) أي يزيد ويكثر ذلك (في أموال الناس) أي يحصل فيه زيادة تكون أم وال الناس ظرفا لها فهو كتابة عن أن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموالهم لا يملكها أصلا وقرأ نافع بناء الخطاب بعد اللام مضمومة وسكون الواو والباقون بالياء التحتية مفتوحة وفتح الواو (فلا يربو) أي يزكو وينمو فلا ثواب فيه (عند الله) أي الملك الأعلى الذي له الغنى المطلق وصفات الكمال وكل لا يربو عند الله فهو محقوق لا وجود له فما له الى فناه وان أكثر يحق الله الربوا ويربى الصدقات \* ولما ذكر ما زيادته نقص أتبعه ما نقصه زيادة بقوله (وما آتيتهم) أي أعطيتهم (من ربا) أي صدقة وعبر عنها بذلك ليفيد الطهارة والزيادة أي تطهرون بها أموالكم من الشبهه وأبدانكم من مواد الخبث وأخلاقكم من الغل والذنس \* ولما كان الاخلاص عزيزا أشار الى عظمته بتكريره بقوله عز وجل (تريدون) أي بها (وجه الله) أي عظمة الملك الأعلى في عرفون من حقه ما يتلشى عندهم كل ما سواه فيخلصون له (فأولئك هم المضعفون) أي ذوو الاضعاف الذين ضاعقوا أموالهم في الدنيا بسبب ذلك بالانقضاء والبركة وفي الآخرة بكثر الثواب عند الله من عشر أمثال الى ما لا يحصره ونظير المضعف المقوى والمومر لذي القوة واليساره ولما وضع بهذا أنه لا زيادة الا فيما يزيد الله ولا تخير الا فيما يختاره

الله بين تعالى ذلك بطريق لا أوضح منه بقوله تعالى (الله) أي بعظيم جلاله لا غيره (الذي خلقكم) أي أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير لا تملكون شيئاً (ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم) أي من أشركتم بالله (من يفعل من ذلكنم) مشيراً إلى علو مرتبته بأداة البعد وخطاب الكل \* ولما كان الاستفهام الإنكاري التوبيخي في معنى النفي قال مؤكداً المستغفر قال كل ما يمكن منه ولو قل جداً (من شيء) أي يستحق هذا الوصف الذي تطلقونه عليه \* ولما زعمهم قطعاً أن يقولوا لا عزتكم ما لهم ولا لأحد منهم فعل شيء من ذلك قال تعالى معرضاً عنهم منزهاً نفسه الشريفة (سبحانه) أي تنزهها لا يحيط به الوصف من أن يكون محتاجاً إلى شريك (وتعالى) أي علواً لا اتصل إليه العقول (عما يشركون) في أن يفعلوا شيئاً من ذلك \* (تنبيهه) \* يجوز في خبر الجلالة الكريمة وجهان أظهرهما أنه الموصول بعدها والثاني أنه الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم والموصول صفة والراجع من ذلكم لأنه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية يفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل منهما مستقلة بتأكيدهما تعجيزاً للشركاء وقرآناً جزءاً والكسائي يشاء الخطاب والباقون بالياء التهنية \* ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم ما كان حقهم به أن يرجعوا فلم يفعلوا أتبعه ما أصابهم به على غير ما كان في أسلافهم عقوبة لهم على قبائح ما ارتكبوا استعظما للتوبة بقوله تعالى (ظهر الفساد) أي النقص في جميع ما ينفع الخلق (في البر) بالقطع والخوف وقلة المطر ونحو ذلك (والبحر) بالفرق وقلة القوائد من الصيد ونحوه من كل ما كان يحصل منه وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتضلوا أجواف الأصداف من اللؤلؤ وذلك لأن الأصداف إذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فيا وقع فيه من المطر صار لؤلؤاً وقالوا إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وقيل المراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقري التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمى المطر بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر \* ثم بين سببه بقوله تعالى (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم قال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجبار السفينة قال الضعيف كان في الأرض خضرة مونة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها غرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قاييل هايل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر لها زعافا وقصد الحيوانات بعضها بعضا وقال قتادة هذا قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم امتلأت الأرض ظلما فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة \* ولما ذكر تعالى عليه البداية في بعثه الجزئية بقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) كما واصلوا ويعفون كثيراً ما أصلا ورأسا واما عن المعالجة به ويؤخره إلى وقت مآتي الدنيا والآخرة وقرأ قبيل بالنون بعد اللام والباقون بالياء التهنية ثم ثلث بالعله الغائية بقوله تعالى (لعلهم يرجعون) أي عما هم عليه \* ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب



فساد أقوالهم بين لهم ضلال أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأنهم بقوله تعالى  
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الذين لا هم لهم سوى الدنيا (سبروا في الأرض)  
فإن سيركم الماضي لكونه لم تصحبه عبرة عدم (فانظروا) فنظرا اعتبار (كيف كان عاقبة الذين من  
قبل) أي من قبل أيامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالصة فتعلموا أن الله تعالى إذا هم وبال  
أمرهم وأوقعتهم في حفائر مكرهم (كان أكثرهم مشركين) أي فلذلك أهل كآهم ولم تغن  
عنهم كثرتهم وأنجينا المؤمنين وما ضربتهم قلتهم \* ولما نهى الله تعالى الكفار عما هم عليه أمر  
المؤمنين بما هم عليه وخطب النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فإنه أمر  
به أشرف الأنبياء بقوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) أي المستقيم وهو دين الإسلام (من قبل  
ان يأتي يوم) أي عظيم (لامرئله) أي لا يقدر أن يردده أحد وقوله تعالى (من الله) يجوز ان  
يتعلق بيأتي أو بمحمد وفيدل عليه المصدر أي لا يردده من الله أحد والمراد به يوم القيامة لا يقدر  
أحد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه (يومئذ) أي إذ يأتي (بصدعون) أي  
يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ثم أشار إلى التفرق بقوله تعالى (من كفر) أي منهم  
(فعلية كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا) أي بالايان وما يترتب عليه (فلا ننسهم  
بهدون) أي يؤثون منازلهم في القبور وفي الجنة بل وفي الدنيا فإن الله تعالى يعزهم بعزطاعته  
\* (تنبيه) \* أظهر قوله تعالى صالحا ولم ينصركم لآياتهم عود الضمير على من كفر وبشارة بأن أهل  
الجنة كثير وان كانوا قليلا لأن الله تعالى هو مولاهم فهو من كيم وأفرد الشرط وجمع الجزاء  
في قوله تعالى فلا ننسهم بهدون إشارة إلى أن الرحمة أعم من الغضب فتشمله وأهله وذريته وفيه  
ترغيب في العمل من غير نظر إلى مساعد وبأنه ينتفع نفسه وغيره لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضا وأقل ما ينتفع والديه وشيخه في ذلك العمل وقوله تعالى (ليجزى) أي الله سبحانه  
وتعالى الذي أنزل هذه السورة لبيان أنه ينصر أولياءه لاحسانه لأنه مع المحسنين ولذلك اقتصر  
هنا على ذكرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي تصديقا لايانهم (من فضله) علة  
لهدون أولي صدعون والاقتصار على جزاء الموصوفين للاشهاد بأن المتصود بالذات  
والاكتفاء عن فخوى قوله تعالى (أنه لا يحب الكافرين) فإن فيه اثبات البغض لهم فيعذبهم  
والمحبة للمؤمنين فيثيبهم وتأكيده اختصاص الصلاح المنهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بحبهم  
تعليلا لهم وقوله تعالى من فضله دال على أن الاثابة ببعض الفضل \* ولما ذكر تعالى ظهورا فساد  
والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكرانه بسبب العمل الصالح لأن الكريم  
لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضداده سبب التلاية وهم به الظلم قال تعالى (ومن آياته) أي  
دلالاته الواضحة (أن يرسل الرياح مبشرات) أي بالمطر كما قال تعالى نشر ابين يدي رحته أي قبل  
المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد  
وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي الريح بالافراد على ارادة الجنس والباقون بالجمع وهي الجنوب  
والشمال والصبا لانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعلها رباحا ولا تجعلها ربحا وقوله تعالى (وليديقمكم) أي بها (من رحمته) أي من نعمته  
 من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصى بها الاخالقها  
 معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليسرركم وليديقمكم أو على علة محذوفة دل عليها  
 مبشرات أو على يرسل بانتمار فعل معلل دل عليه أي وليديقمكم أرسلها (وتجري الفلك) أي  
 السفن في جميع البحار وما جرى مجراها عند هبوبها وانما زاد (بأمره) لان الربح قد تب ولا  
 تكون موافقة فلا بد من ارساء السفن والاحتياط لحبسها وربما عصفت وأغرقتها (ولتبتغوا)  
 أي تطلبوا (من فضله) من رزقه بالتجارة في البحر (ولعالمكم) أي ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على  
 رجا من أنكم (تشكرون) على ما أنعم عليكم من نعمه ودفع عنكم من نقمه \* (تنبيه) \* قال تعالى  
 في ظهر الفساد ليديقمهم بعض الذي عملوا وقال ههنا وليديقمكم من رحمته فخاطبهم ههنا  
 تشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين وحينئذ فالمحسن قريب فيخاطب والمسي بعيد فلم  
 يخاطب وقال ههنا لبعض الذي عملوا فأضاف ما أصابهم الى أنفسهم وأضاف ما أصاب المؤمن  
 الى رحمته فقال تعالى من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول أعطيتك  
 لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني وأما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي وأيضا فلوقال  
 أرسلت لسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة وأما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة وأيضا  
 فلوقال بما فعلتم لكان ذلك موهما بالنقصان ثوابهم في الآخرة وأما في حق الكفار فاذا قال  
 بما فعلتم أنباء عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلمهم يرجعون وقال ههنا واعلمكم  
 تشكرون فالواشارة الى توفيقهم للشكر في النعم وعطف على النعم قوله تعالى (واقعد  
 أرسلنا) أي بما لنا من القوة وقال تعالى (من قبلك رسلا) تنبيه على أنه خاتم النبيين بتخصيص  
 ارسال غيره بما قبل زمانه وقال (المعقومهم) اعلاما بأن أمر الله اذا جاء لا ينفع فيه قريب  
 ولا بعيد (لجأؤهم بالبينات) فانقسم قومهم الى مسلمين ومجبرمين (فانتقمنا) أي فكأنات  
 معاداة المسلمين للمجبرمين فيناسبها لانا نتقمتنا بالنا من العظمة (من الذين أجرموا) أي أهلكتنا  
 الذين كذبوهم لاجرامهم وهو قطع ما أمرناهم بوصله \* ولما كان محط الفائدة الزامه سبحانه  
 لنفسه بما تفضل به قدمه تجميلا للسرور وتطييبا للنفوس فقال تعالى (وكان) أي على سبيل  
 النبات والدوام (حقا علينا) أي مما أوجبناه بوعدهنا الذي لا خلف فيه (نصر المؤمنين) أي  
 العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والآخرة ولم يزل هذا أدبنا في كل مله على مدى الدهر فليعتد  
 هؤلاء المثل هذا وليأخذوا المثل ذلك أهبة لينظروا من المغلوب وهل ينفعهم شيء روى الترمذي  
 وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان  
 حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين قال  
 البقاعي فالآية من الاحتياط أي وهو ان يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء ~~يجكون~~  
 نظمهما بحيث يدل ما أثبت في كل على ما حذف من الآخر فحذف أولا الاهلاك الذي هو أثر  
 الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الا انعام لدلالة الانتقام عليه \* ثم نبه تعالى على كمال قدرته فهو

التماسر للمؤمنين بقوله تعالى (الله) أى وحده (الذي يرسل) مرة بعد أخرى (الرياح) مضطربة  
 هائجة بعد ان كانت ساكنة (فتثير حبابا) أى ترزعه وتشره (فيبسطه) بعد اجتماعه  
 (في السماء) أى جهة العلو (كيف يشاء) فى أى ناحية شاء قليلا تارة كسيرة ساعة وكثيرا أخرى  
 كسيرة أيام على حسب ارادته واختياره لمدخل فيه لطبيعة ولاغيرها (ويجعلها) إذا أراد  
 (كسفا) أى قطعها غير متصل ببعضها ببعض اتصال يمنع نزول الماء وقرأ ابن عامر بسكون السين  
 بخلاف عن هشام والباقون ينتهجا (فترى) بسبب ارسال الله له أو بسبب جعله ذامسما وفروج  
 يأمن هو من أهل الرؤية أو بأشرف خلقنا الذى لا يعرف هذا حق معرفته سواء (الودق) أى  
 المطر (يخرج من خلاله) أى السحاب الذى هو اسم جنس فى حالى الاتصال والانفصال  
 (فاذا أصاب) أى الله (به) أى بالودق (من) أى أرض من (يشاء) ونبه على ان ذلك فضل منه  
 لا يجب عليه لاحد شئ أصلا بقوله تعالى (من عباده) أى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم  
 جديرون بعلامته شكره والخضوع لامره (اذا هم يستبشرون) أى يظهر عليهم البشر وهو  
 السرور الذى تشرق له البشرة حال الاصابة ظهورا بالغاء عظيم بما يرجونه مما يحدث عنه  
 من الاثر النافع من الخصب والرطوبة واللين ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى (وان) أى والحال  
 أنهم (كانوا) فى الزمن الماضى (من قبل ان ينزل عليهم) أى المطر وقرأ أبو عمرو وابن كثير  
 بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى وقوله تعالى (من قبله)  
 من باب التكرير والتأكيده كقوله تعالى فكان عاقبتهم أنهم ما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد  
 فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد طال بعدما استحكم بأسهم وقوله تعالى (المبلسين) إشارة  
 الى انه تمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر  
 والثانية الى انشاء السحاب فلا تأكيده (فانظر الى أثر رحمت الله) والرحمة هى الغيث وأثرها  
 هو النبات وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائى بأنف بعد الماء المثلثة والباقون بغير ألف  
 ورحمت رحمت هذه مجرورة فوقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالياء (كيف  
 يحيى) أى الله (الأرض) بانحراج النبات (بعدموتها) أى ييسها (ان ذلك) أى القادر  
 العظيم الشأن الذى قدر على احياء الارض (لهي الموقى) كلها من الحيوانات والنباتات أى  
 مازال قادرا على ذلك كما قال تعالى (وهو على كل شئ) من ذلك وغيره (قدير) لان نسبة  
 القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سواء \* ولما بين أنهم عند توقف النامير يكونون  
 آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بقوله تعالى  
 (ولئن أرسلنا) أى بعد وجود هذا الاثر الحسن (ريحا) عقيما (قرأوه) أى الاثر لان الرحمة  
 هى الغيث وأثرها هو النبات والزرع لدلالة السياق عليه (مصفرا) قديدا وأند في التلف  
 من شدة ييس الريح اما بالحر والبرد وقيل رأوا السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يعطر  
 ويجوز ان يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب \* (تنبيه) \* اللام وطمة للقسم  
 دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى (لظلوا) أى اصاروا (من بعده) أى اصفراه

(يكفرون) أى يسهم من روح الله جواب سدمسدا الجزاء وأذلك فسر بالاستقبال  
 \* (تنبيه) \* سعى النافعة رياحا والضاورة ريحا لوجوه أحدها أن النافعة كثيرة الانواع كثيرة  
 الافراد فجمعها لان فى كل يوم وليه تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الرياح الضارة  
 فى أعوام بل الضارة لاتهب فى الدهور ثانياً أن النافعة لاتكون الا رياحا وأما الضارة فنفخة  
 واحدة تقبل كريح السموم ثالثها جاء فى الحديث أن ربحا هبت فقال عليه الصلاة والسلام  
 اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا الشارة الى قوله تعالى فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقوله  
 تعالى ربحا صرصر الى قوله تنزع الناس \* ولما علم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجوه  
 الادلة ووعدوا واعدوا ولم يزداهم دعاؤه الا فرارا ووكفرا وارصادا قال تعالى (فانك لاتسمع  
 الموتى) أى ليس فى قدرتك اسماع الذين لاحياة لهم فلا تظر ولا تسمع أو موتى القلوب اسماعا  
 يتفهمه لانه مما اختص به الله تعالى وهو لا مثل الاموات لان الله تعالى قد ختم على مشاعرهم  
 (ولاتسمع الصم) أى الذين لاسماع لهم (الدعاء) اذا دعوتهم \* ولما كان الاصم قد  
 يحس بدعائك اذا كان مقبلا بحاسة بصره قال تعالى (اذا اولوا) وذكر النعل ولم يقبل  
 ولت اشارة الى قوة التولى له لا يظن انه أطلق على المجانية مثلا ولهذا قال تعالى (مدبرين)  
 وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسبيل الهـمزة الثانية فى الوصل والباقون بالتحقيق  
 واذا وقف حمزة وهشام على الدعاء أبدلوا الهـمزة الفاصم المدة والتوسط والتصر (وما أنت  
 بهادى العمى) أى بوجودهم هداية (عن ضلالتهم) اذا ضلوا عن الطريق وقرأ حمزة بتاء  
 الخطاب مفتوحة وسكون الهاء والعمى نصب الباء والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح  
 الهاء والعمى بالحقض \* (تنبيه) \* قد جعل الله تعالى الكافرين هذه الصفات وهو انه شبهه  
 أولا بالمت وارشاد الميت محال والمحال أبعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه  
 لا يسمع الكلام وانما يفهمهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم بالاعمى وارشاد الاعمى  
 أيضا صعب فانك اذا قلت له مثلا الطريق عن يمينك فانه يدور الى يمينه لكنه لا يلقى عليه بل  
 يصير عن قريب فارشاد الاصم أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الاعمى أسهل من المعاشرة مع  
 الاصم الذى لا يسمع لان غايته الافهام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعلوم  
 والغائب لا اشارة اليه فبدأ أولا بالمت لانه أعلى ثم بالادون منه وهو الاصم وقيدته بقوله تعالى  
 اذا ولوا مدبرين ليكون أدخل فى الامتناع لان الاصم وان كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا  
 ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة أيضا ثم بأدنى منه وهو الاعمى لما مر ثم قال  
 تعالى (ان) أى ما (تسمع) أى سماع افهام وقبول (الامن يؤمن باياتنا) أى القرآن  
 فأنبت للمؤمن استماع الايات فلزم أن يكون المؤمن حيا سمعا بصيرا لان المؤمن يتظر  
 فى البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه (فهم  
 مسلمون) أى مطيعون كما قال تعالى عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا \* ولما أعادته الى دليل الاتفاق  
 بقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح أعاد دليله لان دلائل الانفس وهو خلق الادمى وذكر

أحواله بقوله تعالى (الله) أي الجامع لصفات الكمال (الذي خلقكم من ضعف) أي ما عدى  
ضعف لقوله تعالى ألم تخلقكم من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف) آخر وهو ضعف الطفولية  
(قوة) أي قوة الشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أي ضعف الكبر (وشيبة) أي شيب الهرم  
وهي بياض في الشعر يحصل أوله في الغالب في السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الاكتمال  
والاخذ في النقص بالفعل بعد الخمسين إلى أن يزيد النقص في الثالثة والستين وهو أول سن  
الشيخوخة ويقوى الضعف إلى ما شاء الله تعالى وقرأ عاصم وحزرة بخلاف عن حفص بفتح  
الضاد في الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بالضم وهو لغة قريش \* ولما كانت هذه هي العادة  
الغالبة وكان الناس متنافذين فيها وكان من الناس من يطعن في السن وهو قوى وأتج ذلك  
كله أنه لا بد أن يكون التصرف بالاختيار مع شمول العلم وعمام القدرة قال تعالى (يخلق ما يشاء)  
أي من هذا وغيره (وهو العليم) بتدبير خلقه (التقدير) على ما يشاء (فان قيل) ما الحكمة  
في قوله تعالى هنا وهو العليم التقدير وقوله تعالى من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة إشارة إلى  
كمال القدرة والحكمة إشارة إلى كمال العلم فقدم القدرة هناك على العلم (أجيب) بأن المذكور  
هناك الإعادة بقوله تعالى وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز  
الحكيم لان الإعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هناك أظهر وههنا المذكور الإبداء وهو  
أطوار وأحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا أظهر ثم إن قوله تعالى وهو العليم التقدير فيه  
تبشير وانذار لانه اذا كان عالما بأحوال الخلق يكون عالما بأحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان  
عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير أثاب واذا علم الشر عقاب ولما كان العلم بالأحوال  
قبل الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم وأما الآية الأخرى فالعلم بتلك الأحوال  
قبل العقاب فتعال وهو العزيز الحكيم \* ولما ثبت قدرته تعالى على البعث وغيره عطف على قوله  
أول السورة ويوم تقوم الساعة يليس المجرمون (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بذلك  
لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تسع بفتة أو اعلما ما تبسرها على الله تعالى  
وصارت علما عليها بالغلبة كالنوكب للزهرة (يقسم) أي يحلف (المجرمون) أي الكافرون  
وقوله تعالى (مالئوا) جواب قوله تعالى يقسم وهو على المعنى اذ لوحكى قولهم بعينه لتبيل  
مالئنا أي في الدنيا (غير ساعة) استقلوا أجل الدنيا ما عاينوا في الآخرة وقال مقاتل والكلبي مالئوا  
في قبورهم غير ساعة كما قال تعالى كأنهم يوم يرونهم ولم يبئوا الا ساعة أو ضحاها وكما قال تعالى  
كأنهم يوم يرون ما وعدون لم يبئوا الا ساعة من نهار وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وفي  
حديث رواه الشيخان ما بين النفختين أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (كذلك)  
أي مثل ذلك الصنف عن حقائق الامور الى شكوكها (كانوا) في الدنيا كونها وكالجبلة لهم  
(يؤفكون) أي يصرفون عن الحق في الدنيا وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة  
كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث والمعنى ان الله تعالى أراد أن يفضحهم فخلقوا على شئ تبين لاهل الجمع  
انهم كاذبون فيه \* ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم بقوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمن)

وهم الملائكة والانبياء والمؤمنون (لتدليثتم في كتاب الله) أى فيما كتب الله لكم فى سابق  
 علمه وقضائه أو فى اللوح المحفوظ أو فيما وعده فى كتابه من الحشر والبعث فيكون فى كتاب  
 الله متعلق بليثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتأخير معناه وقال الذين أتوا العلم بكتاب الله  
 والايان لقد ليثتم (الى يوم البعث) وفى ترديعنى الباء فردوا ما قال هؤلاء الكفار وحلقوا عليه  
 وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث)  
 الذى أنكرتموه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بأظهار الراء المثلثة عند التاء المثناة والباقون  
 بالادغام \* (تنبيه) \* سبب اختلاف الفريقين أن الموعود بوعدها إذا شرب له أجل أن علم أن  
 مصيره الى النار وهو الكافر يستقل مدة الليث ويختار تأخير الحشر والابقاء فى القبر وان علم  
 أن مصيره الى الجنة وهو المؤمن فيستكثر المدة ولا يريد تأخيرها فيختلف الفريقان وفى هذه  
 الفاء قولان أظهرهما أنها عاطفة هذه الجملة على ليثتم وقال الزمخشري هى جواب شرط مقدر  
 أى ان كنتم متكررين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان ما قلتم \* ولما كان التقدير قد  
 أتى فقد تبين أنه كما كتابه عالين فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتون فى اخبارنا به فنفعكم ذلك  
 الآن عطف عليه قوله تعالى (ولكنكم كنتم) أى كوناهو كالجبله لكم فى انكاركم له (لا تعلمون)  
 أى ليس لكم علم أصلا لتقرير بطركم فى طلب العلم من أبوابه والتوصل اليه بأسبابه فلذلك كذبتم به  
 فاستوجبت جزاء ذلك التكذيب اليوم \* ولما كانت الآيات دالة على أن هذه الدار دار عمل وأن  
 الآخرة دار جزاء وأن البرزخ حائل بينهما فلا يكون فى واحدة منهما ما للآخرى تسبب عن ذلك  
 قوله تعالى (فيومئذ) أى اذ يتبع ذلك ويقول الذين أتوا العلم تلك المتأله (لا تنفع الذين  
 ظلوا معذرتهم) فى انكارهم له (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم الرجوع الى  
 ما يرضى الله تعالى كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبني فلان فأعتبه أى استرضاني  
 فأرضيته وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحية لان المعذرة بمعنى العذر ولان تأنيها غير حقيقي  
 وقد فصل بينهما والباقون بالتاء الفوقية \* ثم أشارتعالى الى ازالة الاعذار والايان بما فوق  
 الكفاية من الانذار زانه لم يبق من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى (ولقد  
 شربنا) أى جعلنا (لنناس فى هذا القرآن) أى فى هذه السورة وغيرها (من كل مثل) أى  
 معنى غريب هو أوضح وأثبت من اعلام الجبال فى عبارة هى أرشقى من سائر الامثال فان طلبوا  
 شيئا آخر غير ذلك فهو عناد محض لان من كذب دليلا حقا لا يصعب عليه تكذيب الدلائل بل  
 لا يجوز للمستدل أن يشرع فى دليل آخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما ظاهرا الاشكال عليه  
 وعنده الخصم وهذا من العالم فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام ذكروا أنواعا من الدلائل (أجيب) بأنهم سردوها سردا ثم قرروا فردا فردا كمن يقول  
 الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثانى كذا والثالث كذا وفى مثل هذا عدم الالتفات الى  
 عناد المعاند لانه يريد تنزيح الوقت كى لا يتم ~~كن~~ المستدل من الايانات بجميع ما وعد من  
 الدليل فتعطى درجته والى هذا أشار بقوله تعالى (ولئن) اللام لام قسم (جنتهم) بأفضل

الخلق (بآية) مثل العصا واليد لموسى عليه السلام (ليقولن الذين كفر وا) منهم (ان) أى ما  
 (أنتم الأميطون) أى أصحاب أباطيل (فان قيل) لم وحد في قوله تعالى جنتهم وجمع في قوله تعالى  
 ان أنتم (أجيب) بأن ذلك لنسكتة وهى انه تعالى أخبر في موضع آخر فقال ولئن جنتهم بكل آية  
 أى جاءت بها الرسل فقال الكفار ما أنتم أيها المتدعون الرسالة كلكم الا كذا وقال الجلال  
 المحلى ان أنتم أى محمد وأصحابه وأما الذين آمنوا فيقولون نحن بهذه الآية مؤمنون (كذلك)  
 أى مثل هذا الطبع العظيم (يطبع الله) أى الذى له العظمة والكمال (على قلوب الذين  
 لا يعلمون) توحيد الله (فان قيل) من لا يعلم شيئا أى فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه  
 (أجيب) بأن معناه أن من لا يعلم الا أن فقد طبع على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى نبيه صلى الله  
 عليه وسلم بقوله تعالى (فاصبر) أى على انذارهم مع هذا الجفاء والرد بالباطل والاذى فان  
 الكل فعلا لم يخرج منه شئ عن ارادتنا (ان وعد الله) أى الذى له الكمال ~~سكته~~ بنسرك  
 واظهار دينك على الدين كله وفي كل ما وعده (حق) أى ثابت جدا بطابته الواقع كما يكشف  
 عنه الزمان وقد أتى به مطايا الحدثنان \* ولما كان التقدير فلا تجعل عطف عليه قوله تعالى (ولا  
 يستخفنتك) أى يحملتك على الخسة ويطلب أن تحق باستعمال التصريح خوفا من عواقب تأخير  
 وتنسرك عن التبليغ (الذين لا يوقنون) أى أذى الذين لا يصدقون بوعدنا من البعث  
 والحشر وغير ذلك تصديقا بما تاتى في القلب بل هم اما شاكون وأدنى شئ يزلزلهم كمن يعبد الله  
 على حرف أو مكذبون فهم بالغون في العداوة والتكذيب حتى انهم لا يصدقون في وعد الله بنصر  
 الروم على فارس كأنهم على ثقة وبصيرة من أمرهم في أن ذلك لا يكون فاذا صدق الله وعده  
 في ذلك باظهاره عن قرب علموا كذبهم عيانا وعلوا ان كان لهم علم أن الوعد بالساعة لاقامة  
 العدل على الظالم والعود بالفضل على المحسن كذلك يأتي وهم صاغرون ويحشرون وهم  
 داخرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فقد انعطف آخر السورة على أولها واتصل به  
 اتصال الترتيب بالترتيب وهما أنا أسأل الله تعالى الترتيب المحيىب أن يغفر ذنوب من كتب هذا  
 وهو محمد الشريفي الخطيب وينقل ذلك بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبيب وقول  
 البيضاوى تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر  
 عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وأدرك ما صنع في يومه وليلته  
 حديث موضوع رواه الثعلبي في تفسيره والله تعالى أعلم بالصواب

### ﴿سورة لقمان مكية﴾

أوالاولو أن ما في الارض من شجرة اقلام الايتين وهى أربع أو ثلاث وثلاثون آية وخمسة  
 وعشرون وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف (بسم الله) أى الذى وسع كل شئ رحمة وعلما  
 (الرحمن) الذى شملت نعمته سائر برية (الرحيم) بأوليائه فخصهم بعرفته قوله تعالى (الم) تنتم  
 الكلام عليه في أول سورة البقرة وقيل انه أشار بذلك الى أن الله الملك الاعلى أرسل جبريل عليه  
 السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم يوحى ناطق من الحكم والاحكام بما لم ينطق به من قبله امام

ولا يلحقه في ذلك نبي مدى الايام فهو المبدأ وهو الختام والى ذلك أو ما تعبیره باداة البعدى قوله تعالى (تلك) أى الآيات التى هى من العلو والعظمة بمكان (آيات الكتاب) أى الجامع لجميع أنواع الخير (الحكيم) بوضع الاشياء فى حواق مراتبها فلا يستطيع نقص شئ من ابرامه ولا معارضة شئ من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله وشمول عظمته وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (هدى ورجة) بالرفع وهى قراءة حرة خبر مبتدأ مضمرة هى أو هو وقرأ الباقون بالنصب على الحال من آيات والعامل ما فى اسم الاشارة من معنى الفعل وقال تعالى (للمحسنين) اشارة الى أن رجة الله قريب من المحسنين فانه تعالى قال فى البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر وصف فى الكتاب زاد ذكره من أحواله فقال هدى ورجة وقال هناك هدى للمتقين فقوله تعالى هدى فى مقابلة قوله تعالى الكتاب وقوله تعالى ورجة فى مقابلة قوله تعالى الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذى الحكمة كقوله تعالى فى عبثه راضية أى ذات رضا وقوله تعالى هناك للمتقين وقول تعالى هنا للمحسنين لانه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال للمتقين أى يهدى به من يتقى الشرك والعناد وههنا زاد قوله تعالى ورجة فقال للمحسنين كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فناسب زيادة قوله تعالى ورجة ولأن المحسن يتقى وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة) أى يجعلونها كأنها قائمة بسبب اتقان جميع ما أمر به فيها ونذب اليه ودخل فيها الحج لانه لا يعظم البيت فى كل يوم خمس مرات الا معظم له بالحج فعلاً أو قوّة (ويؤتون الزكاة) أى كلها فدخل فيها الصوم لانه لا يؤدى زكاة الفطر الا من صامه فعلاً أو قوّة \* ولما كان الايمان أساس هذه الاركان وكان الايمان بالبعث جامعاً لجميع أنواعه وحامله على سائر وجوه الاحسان قال تعالى (وهم بالآخرة) أى التى تقدم أن الجرمين عنها عافلون (هم يوقنون) أى يؤمنون بها ايمان موقن فهو لا يفعل شيئاً ينافى الايمان ولا يغفل عنه طرفة عين فهو فى الذورة العليا من ذلك فهو عبد الله تعالى كأنه يراه فآية البقرة بداية وهذه نهاية \* ولما كانت هذه الخلال أمهات الافعال الموجبة للكمال وكانت مساوية من وجه لآية البقرة ختمها بختمها بعد أن زماها بزمامها فقال (أولئك) أى العالو الرتبة الحائزون من منازل القرب أعظم رتبة (على هدى) أى متمكنون منه تمكن المستعلى على الشئ وقال (من ربهم) تذكير لهم بأنه لولا احسانه لما وصلوا الى شئ ليلزموا تريغ الجباء على الاعتاب خوفاً من الاجاب (وأولئك هم المفلحون) أى المفلحون بكل مراد \* ولما بين سبحانه وتعالى حال من تحلى بهذا الحال فترقى الى حلية أهل الكمال بين حال اضدادهم بقوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) أى ما يلهى عما يعنى كالا حاديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام (فان قيل) ما معنى اضافة الله الى الحديث (أجيب) بأن معناها التبين وهى الاضافة بمعنى من وان يضاف الشئ الى ما هو منه كقوله جبة خز وباب ساج والمعنى من يشتري الله من الحديث لان الله هو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث



والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد بأكل الحسنة كما  
 تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعية كما أنه قيل ومن الناس  
 من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو قال الكلبى ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن  
 كلفة كان يعبر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم  
 بحديث عاد وحمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيستمطون  
 حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد يعنى شراء المغنيات  
 والمغنين ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات أو ذال هو الحديث وقيل كان  
 النضر يشتري المغنيات ولا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينة فيقول أطعمه واسقيه  
 وغنيه ويقول هذا خير لك مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وعن  
 أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعلم المغنيات ولا بيعهن وأنهن  
 حرام وفي مثل هذا نزلت الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين  
 أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون  
 هو الذي يسكت وعن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن  
 ثمن الكلب وكسب المزار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة لمسكها لغنائها  
 وضربها مقيم عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى ليقول ومن الناس من يشتري لهو  
 الحديث الآية وعن الحسن وغيره قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري  
 لهو الحديث يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعارف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن  
 مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم  
 النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب قال وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون  
 الدقوف وقال ابن جريج لهو الحديث هو الطبل وقال الخليل هو الشرك وقال قتادة هو كل  
 لهو ولعب وقيل الغناء منقذة للمال مسخطة للرب مقسدة للقلب (ليضل عن سبيل الله) أى  
 الطريق الواضح الموصل للملك الاعلى المستجمع لصفات الكمال ضد ما كان عليه المحسنون من  
 الهدى وقرأ ابن كثير وأبو عمر وفتح الباء قبل الضاد من الضلالة بمعنى لئبت على ضلاله  
 والباقون بضمها ونكر قوله تعالى (بغير علم) ليقيد السلب العام لكل نوع من أنواع العلم  
 أى لانه لا علم بشئ من حال السبيل ولا حال غيرها علم يستحق اطلاق العلم عليه (فان قيل)  
 ما معنى قوله تعالى بغير علم (أجيب) بأنه تعالى لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال  
 يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بما حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه  
 قوله تعالى نار بحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أى وما كانوا مهتدين بالتجارة وبصراحتها  
 (ويتخذها) أى السبيل التى لا أشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق (هزوا) أى مهزوا  
 بها وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال عطفا على يضل والباقون بالرفع على يشتري  
 وسكن حزة زاي هزوا وضمها الباقون \* ولما انفتح هذا الشقاء الدائم بينه بقوله تعالى

(أولئك) أي هؤلاء البعداء البغضاء (إلهم عذاب مهين) لاهاتهم الحق باستنار الباطل عليه  
 \* ولما كان الانسان قد يكون غافلا فاذا انبهه اتبذبه سبحانه وتعالى على ان هذا الانسان المنهمك  
 في أسباب الخسران لا يزداد على عمر الزمان الاممنا جأة لكل ما يرد عليه من البيان بقوله تعالى  
 (واذا أتتني آياتي) أي تجدد عليه تلاوتها أي تلاوة القرآن من كل نال كان (ولي) أي بعد  
 السماع مطلق التولية سواء كان على المجانبة أو مدبرا (مستكبرا) أي طالبا للكبر موجدا  
 له بالاعراض عن الطاعة (كان) أي كأنه لم (يسمعها) فهو لم يزل على حالة الكبر (كان  
 في أذنيه وقرا) أي صمما يستوى معه تكليم غيره له وسكوته \* (تنبيه) \* جلستا التشبيه حالان  
 من ضمير ولي أو الثانية بيان للاولى وقرأنا نافع يسكون الذال والباقون بضمها \* ولما تسبب  
 عن ذلك استحقيقه لما يزيل كبره وعظمته قال تعالى (فبشره) أي أعلمه (بعذاب أليم) أي  
 مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضرب من الحرث كما مررت الاشارة اليه \* ولما بين تعالى حال  
 المعرض عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بقوله تعالى (ان الذين امنوا)  
 أي أوجدوا الايمان (وعملوا) أي تصديقا له (الصالحات لهم جنات) أي بساكن (النعيم)  
 أي نعيم جنات فعكس للمبالغة كما أن هؤلاء العذاب المهين ووجد العذاب وجمع الرحمة اشارة  
 الى أن الرحمة واسعة أكثر من الغضب \* ولما كان ذلك قد لا يكون دائما وكان السرور بشيء  
 قد ينقطع قال تعالى (خالدين فيها) أي دائما وقوله تعالى (وعدا لله) أي الذي لا شيء أجل  
 منه مصدره \* وكدانفسه لان قوله تعالى جنات في معنى وعدهم الله تعالى ذلك وقوله تعالى  
 (حقا) مصدر مؤ كدلغيره أي لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملهما مختلف فتقدير الاولى وعد  
 الله ذلك وعدا وتقدير الثانية أحق ذلك حقا كما كدنعيم الجنات ولم يؤ كدالعذاب المهين  
 (وهو العزيز) أي فلا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي لا يضع شيئا الا في محله \* ولما ختم بصفتي  
 العزة وهي غاية القدرة والحكمة وهي ثمرة العلم دل عليها ما باتقان أفعاله بقوله تعالى (خلق  
 السموات) على علوها وكبرها وفضامتها (بغير عمد) وقوله تعالى (ترونها) فيه وجهان  
 أحدهما انه راجع الى السموات اذ ليست بعمد أصلا وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الثاني  
 انه راجع الى العمدة ومعناه بغير عمد مرئية وعلى كلا الوجهين هي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا  
 بقدرة قادر مختار \* (تنبيه) \* أكثر المفسرين ان السموات مبسوطة كصحف مستوية لقوله  
 تعالى يوم نظوى السماء كطي السجل للكتب وقال بعضهم انها مستديرة وهو قول جميع  
 المهندسين والغزالي رحمه الله تعالى حيث قال ونحن نوافقهم في ذلك فان لهم على دليل من  
 المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان في الباب خبر يقول بما يحتمله فضلا عن أن ليس  
 في القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة كقوله تعالى كل في فلك  
 يسبحون والفلك اسم لشيء مستدير بل الواجب أن السموات سواء كانت مستديرة أو مربعة  
 مستقيمة هي مخلوقة لله تعالى باختيار لا بايجاب وطبع \* ولما ذكر تعالى العمدة المقلدة ذكر الاوتاد  
 المقررة بقوله تعالى (وألقى في الارض) أي التي أنتم عليها جبالا (رواسي) والعجب أنهم من فوقها

وجميع الرواسي التي تعرفونها تكون من تحت تبيينها عن (أن تميم) أي تصرف (بكم) كما هو  
 شأن ما على ظهر الماء (وبث) أي فرق (فيها من كل دابة) وقوله تعالى (وأزانا) أي بما  
 لنا من القوة (من السماوات) فيه التفات عن الغيبة \* ولما تسبب عن ذلك تدبير الاقوات  
 وكان من آثار الحكمة التابعة للعلم دل عليه بقوله تعالى (فأبتنا) أي بما لنا من العلو  
 في الحكمة (فيها) أي الارض بمخلط الماء بترابها (من كل زوج) أي صنف من النبات  
 مثابه (كريم) بما له من البهجة والنضرة الجالبة للسرور وفي هذا دليل على عزته التي هي  
 كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهدبه قاعدة التوحيد وقررها بقوله تعالى (هذا)  
 أي الذي تشاهدونه كله (خلق الله) أي الذي له جميع الكمال فلا كلف له فان ادعيتم ذلك  
 (فأروى ما ذاق الذين من دونه) أي غيره بكمتم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه تعالى  
 وأنشأه فأروى ما خلقه ألهمكم حتى استوجبوا عندكم العبادة \* (تنبية) \* ما استتفها من  
 انكار مبتدأ وذاعني الذي بصلته خبره وأروى معلق عن العمل وما بعده ستممة المنعولين  
 ثم أضرب عن تكبيتهم بقوله تعالى (بل) منها على أن الجواب ليس لهم خلق هكذا كان  
 الاصل ولكنه قال تعالى (الظالمون) أي العربيتون في الظلم تعميما وتنبيةا على الوصف  
 الذي أوجب لهم كونهم (في ضلال) عظيم جدا محيط بهم (مبين) أي في غاية الوضوح وهو  
 كونهم يضعون الاشياء في غير مواضعها لانهم في مثل الظلام لانور لهم لانحجاب شمس الانوار  
 عنهم بجبل الهوى فلا حكمة لهم ثم انه تعالى لما نشأها عنهم أثبت البعض أوليائه بقوله تعالى  
 (واقدا تينا) بما لنا من العظمة والحكمة (لقمان) وهو عبد من عبيدنا المطيعين لنا (الحكمة)  
 وهو العلم المؤيد بالعمل أو العمل المحكم بالعلم قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيم حتى يجتمع له  
 الحكمة في القول والفعل قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيم حتى يكون عادلا بها وعن ابن  
 عباس رضي الله عنهما هي العقل والنهم وانظنت واختلف في نسبه وفي سبب حكمته فقيل  
 هو لقمان بن باعورا ابن اخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته وقيل كان من أولاد أزر وعاش  
 ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام  
 فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الأكتفي اذا كتيت وقيل كان قاضيا في بني اسرميل  
 وأكثر الاقويل انه كان حكيمًا ولم يكن نبيا أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه انه سئل  
 أكان لقمان نبيا قال لا لم يوح اليه وكان رجلا حكيمًا وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا  
 ملكا وإنما كان راعيا أسود ورزقه الله تعالى العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره  
 في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وقال مجاهد  
 كان عبدا أسود غليظ الشفتين مشفق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان  
 يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة  
 والحكمة فاختر الحكمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني أسود فقلبي أبيض  
 وعن عكرمة قال كان لقمان أهون مملوك على سيده وأول ماروي من حكمته أنه بيناهو

مع مولاه اذ دخل المخرج وأطال فيه الجلوس فنأدى لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يسبح  
 منه الكبد ويكون منه الباسور ويصعد الحز إلى الرأس فخرج وكتب حكمته على الخش قال  
 وسكر مولاه فطرقوه ما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع منه فدعا لقمان فقال  
 لئيل هذا كنت أنخبوك قال اجعهم فلما اجتمعوا قال على أي شيء خاطرتموه قالوا على أن  
 يشرب ماء هذه البحيرة قال فان لها مواد فاحبسوا موادها عنه قال وكيف نستطيع أن نجبس  
 موادها قال فكيف يستطيع أن يشربها ولها مواد وأخرج الحكميم الترمذي في نوادر  
 الاصول عن أبي مسلم الطولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثيرا  
 التفكر حسن الظن كثيرا الصمت أحب الله فأحبه الله فن عليه بالحكمة نودي بالخلافة  
 قبل داود فقبل له يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس قال  
 لقمان ان أجبرني ربي قبلت فاني أعلم أنه ان فعل ذلك أعاني وعصمني وان خيرني  
 اخترت العافية ولم أسأل البلاء فتسالت الملائكة يا لقمان لم قال لان الخاسر بأشد  
 المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل أو يعان فان أصاب فيالحري أن  
 ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا فهو خير من أن يكن شريفا ضائعا  
 ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطقه فنام  
 نومة فأعطى الحكمة فاتتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط  
 ما اشترط لقمان فوقع في النسي حكاه الله عنه فصيح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره  
 أي يساعده بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصرفت عنك  
 البلية وأوتى داود الخلافة فابتلى بالذنوب والفتنة وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال خير الله  
 تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة فاختر الحكمة فأتاه جبريل وهو قائم فذرت عليه الحكمة  
 فأصبح ينطق بها فقبل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو أرسل  
 الى بالنبوة عزيمة لرجوت فيها الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولو كنته خيرني لغنت  
 أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب الي وروى انه دخل على داود وهو يصنع  
 الدر وع وقد لى الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فادر كته الحكمة فسكت فلما أتمها  
 لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود لحق  
 ما سميت حكيميا وروى ان مولاه أمره بذيح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج  
 اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب  
 فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وروى انه لقيه رجل  
 وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلان الراعي فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث  
 وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وعن ابن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير  
 الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان وكان أسود نوبيا  
 ذامشافر وروى سادات السودان أربعة لقمان الحبشي والتجاشي وبلال ومهجع وعن

أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد  
 في الصمت وقال لقمان لا مال كحصه ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده كالسماد  
 للزروع \* ولما كانت الحكمة هي الاقبال على الله قال الله تعالى (أن اشكر الله) أي وقلنا له  
 أن اشكر الله على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر) أي يجتد الشكر ويتعاهده بنفسه  
 كأنه نائم كان (فانما يشكر لنفسه) أي لأن ثواب شكره له (ومن كفر) أي النعمة (فان الله  
 غنى) عن الشكر وغيره (حيد) أي له جميع المحامد وان كفره جميع الخلق (و) اذكر  
 (اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني) تصغير اشفاق وقرأ حفص بفتح الياء وسكنها ابن كثير  
 وكسرها الباقر (لا تشرك بالله) أي الملك الاعظم (ان الشرك) أي بالله (ظلم عظيم)  
 فرجع اليه وأسلم ثم قال له أيضا يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتيك الفرج من غير بضاعة  
 يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشبهك الدنيا يا بني  
 لا تأكل شبعاً من شبع فأنك أن تلتقيه للكلب خير من أن تأكله يا بني لا تصككونن أبجز من هذا  
 الديك الذي يصوت بالاسحار وأنت النائم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة  
 يا بني لا ترغب في ود الجاهل فتري انك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا ترى الناس انك تخشى  
 ليكرموك بذلك وقلبك فاجري يا بني ندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة كان  
 السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فان الشر للشر خلف يا بني اياك وشدة الغضب  
 فان شدة الغضب محقة لقواد الحكيم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله  
 تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء  
 وجهه ومن ساء خلقه كثرت غمه ونقل الخور من مواضعها يسر من افهام من لا يفهم يا بني  
 لا ترسل رسولا جاهلا فان لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك يا بني لا تشكح أمة غيرك فتورث بنفسك  
 حرنا طويلا يا بني يأتي على الناس زمان لا تقتر فيه عين حليم يا بني اختر المجالس على عينك فاذا  
 رأيت المجلس يذكرك فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالماً يتبعك علمك وان تك غيبياً  
 يعلموك وان يطاع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكرك فيه  
 الله تعالى فانك ان تكن عالماً لا يتبعك علمك وان تكن غيبياً يزيدوك غباوة وان يطالع الله تعالى  
 عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بني لا يأكل طعامك الا الاتقياء وشاور في أمرك العلماء  
 يا بني ان الدنيا أمر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينةك فيها تقوى الله وحشوها  
 الايمان بالله وشراعها التوكل على الله اعلمك أن تجو ولا أراك ناجياً يا بني اني حملت الحديد  
 والحديد فم أحمل شيئاً أثقل من جارا السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من النقر يا بني كن  
 ممن لا يتبني محبة الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه عنهم في غنى والناس منه في راحة يا بني ان  
 الحكمة أجلست المساكين بمجالس الملوك يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي  
 القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء يا بني لا تعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم  
 يا بني اذا أردت ان تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه والا فاحذر يا بني انك

منذ نزلت الى الدنيا استدرتكم واستقبلت الاخرة فدارت اليها تيسراً قريباً من دار أنت عنها  
 تباعد يا بني عودك انك ان يقول اللهم اغفر لي فان الله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل  
 النهار وهم الليل يا بني ارج الله رجاء لا يجرتك على معصيته وخف الله خوفاً لا يؤيسك من  
 رحمة اه وانما كثرت من ذلك اهل الله يتفنى ومن طالعهم بذلك وسياً في كلام الله تعالى  
 زيادة على ذلك واقتصرت على هذا التدر والافوا عظه لابنه لو اراد شخص الاكثر منها  
 لجعل منها مجلدات فقد اخرج ابن ابي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لثمان  
 عليه السلام جراباً من خردل الى جنبه وجعل يعط ابنه موعظة ويخرج خردله فنقد الخردل  
 فقال يا بني وعظمتك موعظة لو وعظمتها جبلات لتنظر فتنظر ابنه فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر  
 ويشفي ويعرض ويرفع من يشاء وان كان عبداً فلا بدع أن يخص محمد اصلي الله عليه وسلم ذال النسب  
 العالي والمنصب المنيف بالرسالة من بين قريش وان لم يكن من أهل الدنيا المتعظمين بها  
 \* ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر المنعم الاول الذي لم يشركه في ايجاده أحد  
 وذكرا عليه الشرك من الفظاعة والشناعة أتبعه وصيته سبحانه للولد بالوالد لكونه المنعم  
 الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه ان يبرهما  
 ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى (حلتها أمه وهن) أي حال  
 كونها ذات وهن بحمله وبالغ في جعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف (على وهن)  
 أي ضعف الحمل وضعف الطاق وضعف الولادة ثم أشار الى ما لها عليه من المنة بعد ذلك بالشفقة  
 وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئاً بقوله تعالى (وفصاله) أي فطامه من الرضاعة بعد  
 وضعه (في عامين) تقاسى فيهما في منامه وقيامه ما لا يعلم حق علمه الا الله تعالى (فان قيل)  
 وصى الله تعالى بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه أكثر من الام لانه  
 حمله في صلبه سنين وورثه بكسبه سنين فهو أبلغ (أجيب) بان المشقة الحاصلة للام أعظم فان  
 الاب حمله خفيفاً لكونه من جلة جسده والام حمله ثقيلاً آدمياً مودعاً فيها وبعد وضعه وترتيبه  
 للولادة ارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر أمك  
 ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أبك وقوله تعالى (ان اشكر لي) لاني المنعم في الحقيقة  
 (ولو الدين) أي لكوني جعلت ما سبب الوجود والاحسان بترتيبك تنسب لوصينا أو عدة له  
 ثم علل الامر بالشكر محذراً بقوله تعالى (التي) لا الى غيري (المصير) فأحاسبك على شركك  
 ومعاصبك وعن القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس  
 فقد شكر الله ومن دعا الوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين \* ولما ذكر تعالى وصيته  
 بهما أو كدحتهما أتبعه الدليل على ما ذكره من قباحة الشرك بقوله تعالى (وان جاهدك)  
 أي مع ما أمرتك به من طاعتها (على ان تشرك بي) وقوله تعالى (ما ليس لك به علم) موافق  
 للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها تدل على  
 الوحدةانية \* ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسيباعته (فلا تطعهما) أي في ذلك

ولو اجتمع على الجهاد لك عليه بل خالفهما وان أدى الامر الى السيف فجاهدهما به لان  
امرهما بذلك مناف للمعكمة حامل على محض الجور والسنة فقيه تنبيه اقر يش على محض الغلط  
في التقليد لا ياتهم في ذلك وربما أفهم ذلك الاعراض عنهم بالكلمة فلهذا قال تعالى (وصاحبهما  
في الدنيا) أى في أمورهما التي لا تتعلق بالدين مادمت حيا بها (معروفا) ببرهما ان كانا على  
دين يقران عليه ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم \* ولما  
كان ذلك قد يجزى الى نوع وهن في الدين ببعض محاباة نبي ذلك بقوله تعالى (واتبع) أى بالغ  
في أن تتبع (سبيل) أى دين رطريق (من أناب) أى أقبل خاضعا (الى) لم يلتفت الى عبادة  
غيرى وهم المتخاصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما ولا عن توحيد الله تعالى ولا عن الاخلاص له  
\* (تنبيه) \* في هذا بحث على معرفة الرجال بالحق وأمر بذكر المشايخ وغيرهم على محك الكتاب  
والسنة فن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا لهما اجتنب واذا كان مرجع  
أمورهم كلها اليه في الدنيا ففي الآخرة كذلك كما قال تعالى (ثم الى) أى في الآخرة (مرجعكم  
فأنبئكم) أى أفعل فعل من يبالغ في التعقيب والاختيار عقب ذلك وتبينه لان ذلك  
أنسب شئ للعصاة وتعتب كل شئ بحسب ما يليق به (بما كنتم تعملون) أى تجددون عمله  
من صغير وكبير وجليل وحقيق فأجازى من أريد وأغفر لمن أريد فأعد لذلك عدته ولا تعمل عمل  
من ليس له مرجع بحاسب فيه ويجازى على مناقيل الذر من أعماله والآياتان معترضان  
في تضاعيف وصية لقمان تأكيد المافيهما من النهى عن الشرك كانه قال تعالى وصينا بمثل  
ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهم ماع أنهم ماتوا البارى في استحقاق التعظيم  
والطاعة لا يجوز أن يتبعوا في الاشرار فما ظنكم بغيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه  
مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شياً ولذلك قيل من أناب الى هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه  
فان سعد أسلم بدعوة أبي بكر له ثم ان ابن لقمان قال لا يه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى  
أحد كيف يعلمها الله تعالى فتال (يا بنى) مجيبا له مستعظنا مضعرا بالنسبة الى حمل شئ من  
غضب الله تعالى (انها) أى الخطيئة (ان تك) وأسقط النون لغرض الایجاز في الایماء  
(مثنى) أى وزن ثم حترها بقوله (حبة) وزاد في ذلك بقوله (من خردل) أى ان تكن  
في الصغر كحبة الخردل وقرأ نافع مثنى بالرفع على أن الهاء ضمير الخطيئة كما مر أو التصة وكان  
تامة وتأتيها الاضافة المثنى الى الحبة كقول الاعشى

وتشرق بالتول الذى قد ذكرته \* كما شرقت صدر القناة من الدم

والشرق الفضة يقال شرق بريقه أى غص والشاهد في شرقت حيث انه لاضافة الصدر الى  
القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم أثبت النون في قوله مبينا عن صغرها (فتمكن) اشارة الى  
ثباتها في مكانها وازداد شوق النفس الى محط الفائدة ويذهب الوهم  $\Rightarrow$  ل مذهب معبر عن  
أعظم الخناء وأتم الأحوال (في حخرة) أى حخرة كانت ولو أنها أشد الصغور واخفاها \* ولما  
أخفى وضيق أظهر ووسع ورفع وخفض ليكون أعظم اضياعها لبقارها بقوله (أوفى السموات)

أى فى أى مكان منها على سعة أرجائها وتباعداً نحوائها وأعاداً ونصاعاً على إرادة كل منهما على  
 حدته بقوله (أوفى الأرض) أى كذلك وهذا ضحك ما ترى لا يتنى أن تكون الصخرة فيهما أوفى  
 غيرهما أوفى أحدهما وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح أنه لما وعظ لقمان ابنه وقال  
 إنها إن تك الآية أخذ حبة من خردل نأتى بها إلى اليرموك فألقاها في عرضه ثم مكثت  
 ما شاء الله تعالى ثم ذكراها وبسط يده فأقبل بها ذباب حتى وضعها في راحته وقال بعض المنصرين  
 المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لافى الأرض ولا فى السماء وقال الرمنخري فيه اضممار  
 تقديره إن تك فى صخرة أوفى موضع آخر فى السموات أوفى الأرض وقيل هذا من تقديم  
 الخاص وتأخير العام وهو جائز فى مثل هذا التسميم وقيل خفاء الشيء يكون بطرق منها أن يكون  
 فى غاية الصغر ومنها أن يكون بعيداً ومنها أن يكون فى ظلمة ومنها أن يكون وراء حجاب فإذا  
 امتنعت هذه الأمور فلا يخفى فى العادة فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط بقوله إن تك  
 منقالت حبة من خردل إشارة إلى الصغر وقوله فتكفى فى صخرة إشارة إلى الحجاب وقوله أوفى  
 السموات إشارة إلى البعد فانها أبعد الأبعاد وقوله أوفى الأرض إشارة إلى الظلمات فان  
 جوف الأرض أظلم إلا ما كن وقوله (يأتى بها الله) أبلغ من قول القائل يعلمها الله لأن من  
 يظهر له شيء ولا يقدر على إظهاره لغيره يكون حاله فى العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره  
 لغيره فتقوله يأتى بها الله أى يظهرها للآلهة يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله) أى الملك  
 العظيم (الطيب) أى نافذ القدرة يتوصل علمه إلى كل خفى عالم به **بكنه** وعن قتادة لطيف  
 باستخراجهما (خبير) أى عالم بواطن الأمور فيعلم مستقرها روى فى بعض الكتب أن هذه  
 آخر كلمة تكلم بها القدمان فانتشقت مرارته من هيبته ما فات قال الحسن معنى الآية هو  
 الاحاطة بالاشياء صغيرة وكبيرها \* ولما نبه على احاطة علمه سبحانه واقامته للحساب أمره  
 بما يدخره لذلك توسلاً إليه وتخشعاً لديه وهو رأس ما يصلح به العمل ويصح التوحيد ويصدق  
 بقوله (يا بى) مكرراً للمناداة تنبيهها على فرط النصيحة لفرط المشقة (أقم الصلاة) أى بجميع  
 حدودها وشروطها ولا تغفل عنها تسيباً فى نجاتك نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهو الاتيان  
 بها على النحو المرضي مانعة من الخلل فى العمل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانها  
 الاقبال على من وحدته فاعتقدت انه القاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه فى التحقيق  
 عدم ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلاة كانت فى سائر الملل غير  
 ان هياتها اختلفت وترك ذكر الزكاة تنبيهها على أنه من حكمته والحكمة تخليه وتخلي ولده من  
 الدنيا حتى ما يكفهم لتوتهم \* ولما أمره **ببكميله** فى نفسه توفية خلق الحق عطف  
 على ذلك تكميله لغيره بقوله (وأمر بالمعروف) أى كل من تقدر على أمره تهذيباً لغيرك وشفقة  
 على نفسك لتخلص أبناء جنسك (وانه) أى كل من قدرت على نبيه (عن المنكر) حياء لاختك  
 ما تحب لنفسك تحققاً للنصيحة وتكميلاً لعبادتك ومن هذا الطراز قول أبى الاسود رجه الله  
 تعالى ابدأ بنفسك فانها عن غيرها \* فان انتهت عنه فأنت حكيم



لانه امره اول بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها  
 ناسب أن يأمر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول ائمة لان الله لما كان في سياق المدح له  
 كما مخاطبين به (فان قيل) كيف قدم في وصيته لانه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر  
 وحسين امر ابنه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم  
 الصلاة (أجيب) بأنه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود الاله فامره به بهذا المعروف بل ينهاه  
 عن المنكر الذي ترتب على هذا المعروف وأما ابنه فامره امر اطلاقا والمعروف يقدم على  
 المنكر \* ولما كان القابض على دينه في غالب الازمان كالقابض على الجر قال له (واصبر) صبورا  
 عظيما بحيث تكون مستعلما (على ما) أي الذي (أصابك) أي في عبادتك وغيرها من الامر  
 بالمعروف وغيره سواء أكان بواسطة العباد أم لا كالمريض وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها  
 بالصبر لانهم مملوك الاستعانة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وأخرج أحمد عن هشام  
 ابن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يعني حكمة لقمان عليه السلام لتكن كلمك طيبة  
 وليكن وجهك بسيطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة  
 أو في التوراة الرفق رأس الحكمة وقال مكتوب في التوراة كما ترجون وقال مكتوب  
 في الحكمة كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك و خليلك أهلك وقيل  
 للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا ومن حكمة انه قال أقصر عن  
 اللجاجة ولا أنطق فيما لا يعنيني ولا أكون من مخفا كما من غير عجب ولا مشاء لغير أرب ومنها من كان  
 له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل  
 في طاعة الله أقرب من التعزيب بالمعصية ومنها انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن  
 الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب وأخوك عند حاجتك اليه \* ولما كان ما أحكمه  
 لولده عظيم الجدوى وجعل ختامه الصبر الذي هو ملاك الاعمال نيه بذلك بقوله على سبيل  
 الاستئناف أو التعليل (ان ذلك) أي الامر العظيم الذي أوصيك به لاسيما الصبر على المصائب  
 (من عزم الامور) أي معزوماتها تسمية لاسم المنعول أو الفاعل بالمصدر أي الامور المقطوع  
 بها المقروضة أو الطاعة الجازمة بجزم فاعلها ثم حذره عن الكبر معبر عنه بلازمه لان نفي  
 الاعم نفي للاخص بقوله (ولا تصرخ ذلك) أي لا تملئه من عمدا اماله باماله العنق متكنا لها سرفا  
 عن الحالة القاصدة قال أبو عبيدة وأصل الصعداء يصيب البعير يلوى منه عنقه وقرأ ابن كثير  
 وابن عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد العين والباقون يالف بعد الصاد وتخفيف العين  
 والرسم يحتملها فانه رسم بغير ألف وهما لغتان لغة الجواز التخفيف وتيمم التثقيب \* ولما كان  
 ذلك قد يكون اغرض من الاغراض التي لا تدوم أشار الى المقصود بقوله (للناس) بلام العلة  
 أي لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الاتهام وانهم من الكبر بل أفهم عليهم  
 بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا عتو وعن ابن عباس لا تكبره فحقر الناس  
 وتعرض عنهم بوجهك اذا كلوك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه الشحنة فيلماك فتعرض

قوله فان قول الحق لا يخفى ما فيه فتأمل

عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقير ليكن الفقير والغنى عندك سواء ثم اتبع ذلك ما يلزمه بقوله (ولا تمش) وأشار بقوله (في الارض) الى أن أصله تراب وهو لا يقدر أن يعدوه وسيصير اليه وأوقع المصدر وموقع الحال والعلة في قوله (مرحا) أي اختيلا ولا يتخفرا أي لا تكن منك هذه الحقيقة لان ذلك مشى أشربطر متكبر فهو جدير بأن يظلم صاحبه ويقحش ويغشى بل امش هو ناقان ذلك يفضى بك الى التواضع فتصل الى كل خير فتفرق بك الارض اذا صرت في بطنها (ان الله) أي الذي له الكبرياء والعظمة (لا يجيب) أي يعذب (كل محتمل) أي مرء للباس في مشيه متجتر يرى له فضلا على الناس (خفور) على الناس بنفسه يظن ان اسباب النعم الذبوية من محبة الله تعالى له وذلك من جهله فان الله يسبغ نعمه على الكافر الجاحد فينبغي للمعارف أن لا يتكبر على عباده فان الكبر هو الذي تردى به سبحانه فن نازعه فيه قصمه \* ولما كان النهي عن ذلك أمرا بضاه قال (واقصد) أي اقتصد واسلك الطريق الوسطى (في مشيك) بين ذلك قواما أي ليكن مشيك قسدا لا تخيلا ولا اسراعا أي بين مشيين لا تدب ديب المتماوتين ولا تنب وثب الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب به المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنها ما كان اذا مشى أسرع فأنما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت وقال عطاء امش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون على الارض هونا وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن وثب اليهود وديب النصارى والقصد في الافعال كالتقسط في الاوزان قاله الرازي في اللوامع وهو المشي الهون الذي ليس فيه تصنع للخلق لا بتواضع ولا بتكبر (واغضض) أي انقص (من صوتك) لتلايكون صوتك منكرا وتكون برفع الصوت فوق الحاجة كالاذان فهو مأوربه وكانت الجاهلية تمدحون برفع الصوت قال القائل

جهير الكلام جهير العطاس \* جهير الروي جهير النعم

وقال مقاتل اخفض من صوتك (فان قيل) لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي (أجيب) بأن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصمخ بقوه وربما يحرق الغشاء الذي داخل الاذن وأما سرعة المشي فلا تؤذي وان آذت فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على العين واليسار ولان المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام ينتقل من السمع الى القلب ولا كذلك المشي وأيضا فلان قبح القول أقبح من قبح الفعل وحسنه أحسن لان اللسان ترجمان القلب \* ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكر كما أن خفضه دونها تماوت وتكبر وكان قد أشار الى النهي عن هذا بمن فافهم ان الطرفين مذمومان علل النهي عن الاول بقوله (ان أنكر) أي أقطع وأبشع وأوحش (الاصوات) كلها المشتركة في المكاره برفعها فوق الحاجة وأخلى الكلام من لفظ التشبيه وأخرجه مخرج الاستعارة تصوير الصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النفاق وجعل المصوت كذلك جارا مبالغة في التمجين وتنبها على أنه من الكراهة بمكان

فقال (لصوت الجير) أي هذا الجنس لما له من العلو المقرط من غير حاجة فان كل حيوان  
 قد يفهم من صوته انه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغير ذلك والجمار لومات تحت الحمل لا يصيح  
 ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت أوله زفير وآخره شهيق  
 وهما فعل أهل النار وأورد الصوت ليكون نصاعاً على ارادة الجنس لئلا يظن ان الاجتماع  
 شرط في ذلك ولذكر الجمار مع ذلك من بلاغة التسميم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستحسن  
 التصريح باسمه بل يكون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى  
 عن الاشياء المستقدرة وقد عد في مساوي الآداب ان يجرى ذكر الجمار في مجلس قوم من ذوى  
 المروءة ومن العرب من لا يركب الجمار استنكافاً ان بلغت منه الرحلة وانما ركبه صلى الله  
 عليه وسلم لخالفته عادتهم واطهاره التواضع من نفسه وأما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فإنه  
 ليس يستنكر ولا مستبشع (فان قيل) كيف يشبه كونه أنكر الاصوات مع ان حرا المنشار  
 بالمبرد وصدق النحاس بالحديد أشد صوتاً (أجيب) من وجهين الأول ان المراد أنكر اصوات  
 الحيوانات صوت الجير فلا يرد السؤال والثاني ان الصوت الشديد للحاجة ومصلحة لا يستبشع ولا  
 ينكر صوته كما مرّت الاشارة اليه بخلاف صوت الجير قال موسى بن أعين سمعت سفيان  
 الثوري يقول في قوله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الجير قال صياح كل شئ تسبيح لله تعالى  
 الا الجمار وقال جعفر الدارق في ذلك هي العطسة القبيحة المنكرة وقال وهب تكلم لقمان باثني  
 عشر ألف كلمة من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم قال خالد الربيعي كان لقمان عبداً ومن  
 حكمته أنه دفع اليه مولا مشاة فقال له اذبحها واثنى بأطيب مضغتين منها فأناها باللسان والقلب  
 ثم دفع اليه مشاة أخرى فقال اذبحها واثنى بأخبث مضغتين منها فأناها باللسان والقلب فسأله  
 مولاة فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقد مرّت الاشارة  
 الى ذلك ومن حكمته أنه قال لابنه يا بني لا ينزان بك امر رضىته أو كرهته الا جعلت  
 في الضمير من ان ذلك خير لك ثم قال لابنه يا بني ان الله قد بعث نبيا هم حتى تأتيه فتصدقه  
 فخرج على حمار وابنه على حمار وترى دأماً سارا أيا ما وليالى حتى لقيتمهما مضارة فاخذوا  
 أهبتهما لها فدخلوا فاسارا ما شاء الله تعالى حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر وقد الماء  
 والزاد واستبطا حماريهما فترلا وجعل يشندان على سوقهما فيبيناهما كذلك اذ نظر لقمان  
 امامه فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد الشجر والدخان العمران والناس  
 فيبيناهما يشندان اذ وطئ ابن اتمان على عظم نأتى على الطريق فخر مغشياً عليه فوثب اليه  
 لقمان وضعه الى صدره واستخرج العظم ياسنانه ثم نظر اليه لقمان فذرفت عيناه فقال يا أبت  
 انت تبكي وأنت تقول هذا خير لي وقد نهدا الطعام والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان  
 فان ذهبت وتركتنى على حالى ذهبت بهم وغم ما بقيت وان أقت معى متساجيعا فقال يا بني أما  
 بكأى فرقة الوالدين وأما ما قلت كيف يكون هذا خيراً فاعلم ما صرف عنك أعظم مما تبليت  
 به واعلم ما تبليت به أيسر مما صرف عنك ثم نظر لقمان امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد  
 واذا بشخص أقبيل على فرس أبلق عليه ثياب بيضاء وعمامة بيضاء يسبح الهواء مسها فلم

يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به أنت لقمان قال نعم قال أنت  
 الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال لك ابنك قال يا عبد الله من أنت أسمع كلامك ولا أرى  
 وجهك قال أنا جبريل أمرني ربي بخسف هذه القرية ومن فيها فأخبرت انك تريد انها  
 قد عوت ربي ان يحب كما عني بما شاء فحب كما بما ابتلي به ابنك ولولا ذلك لخسفت ~~بكم~~ كما مع من  
 خسفت ثم مسح جبريل عليه السلام بيده على قدم ابنه فاستوى قائما ومسح بيده على الذي  
 كان فيه الطعام فامتلا طعاما وعلى الذي كان فيه الماء فامتلا ماء ثم حملها وحار بها  
 فرحل بهما كما يرحل الطير فاذا هما في الدار التي خرجا بعد أيام وليال منها وعن عبد الله بن دينار  
 ان لقمان قدم من سفر فلقى غلامه في الطريق فقال ما فعل أبي فقال مات قال الحمد لله ملكت  
 أمري قال ما فعلت أمي قال ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد  
 فراشي قال ما فعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعلت أختي قال ماتت قال انقطع  
 ظهري وعن أبي قلابة قال قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبرا معه أذى قيل فأى الناس أعلم  
 قال من ازداد من علم الناس الى علمه قيل فأى الناس خير قال الغني قيل الغني من المال قال لا  
 ولكن الغني من التمس عنده خير ووجد والا أغنى نفسه عن الناس وعن سفيان قيل للقمان  
 أي الناس شر قال الذي لا يالي ان يراه الناس مسينا وعن عبد الله بن زيد قال قال لقمان  
 الا ان يد الله على افواه الحكماء لا يتكلم أحدهم الا ما هيا الله تعالى له ولما استدل سبحانه  
 بقوله تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدةانية وبين ~~بكم~~ لقمان ان معرفة  
 ذلك غير مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدةانية بالنعم بقوله تعالى (ألم تروا) أي تعلموا علما  
 هو في ظهوره كالمشاهدة (ان الله) أي الحاضر لكل كمال (سخر لكم) أي لاجلكم  
 (ما في السموات) من الانارة والاطلام والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والبرد وغير  
 ذلك من الانعامات مما لا يحصى كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (و) سخر لكم  
 (ما في الارض) من الجوار والثمار والابار والانهار والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا يحصى  
 (وأسبغ) أي أوسع وأتم (عليكم) وقوله تعالى (نعمه) قرأه نافع وأبو عمرو وحفص بفتح العين  
 وبعد الميم هاء مضمومة والباقون يسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة مضمونة ومعناها الجمع  
 أيضا كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واختلف في قوله عز وجل (ظاهرة وباطنة) على  
 اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة القرآن والاسلام والباطنة ما ستر عليك من  
 الذنوب ولم يجعل عليك بالنقمة وقال الضحالك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة  
 المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من الذنوب وقال  
 الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة التلب وقال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة  
 الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والتصر على الاعداء والباطنة الامداد  
 بالملائكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تمام  
 الرزق والباطنة تمام الخلق وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القضاء الرعب في قلوب

الكفار وقيل الظاهرة الاقرب باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع  
 واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى  
 في دعاء موسى عليه السلام الهى دلتى على اخفاء نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم  
 النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس ونزل في النضر بن الحرث وأبي  
 ابن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله تعالى وفي صفاته (ومن  
 الناس) أى أهل مكة (من يجادل) أى يحاجج فلأهلها أعظم من جداله ولا كبر مثل كبره  
 ولا ضلال مثل ضلاله وأظهر زيادته التشنيع على هذا المجادل بقوله تعالى (في الله) أى المحيط  
 علما وقدرة ثم بين تعالى مجادلتها أنه (بغير علم) أى مستفاد من دله بل بأفراط في ركافة  
 معانيها لعدم أسنادها إلى حسن ولا عقل ملحقه بأصوات الحيوانات العجم فكان بذلك جارا  
 تابعا للهوى (ولا هدى) أى من رسول عهد منه سداد الأقوال والأفعال بما أبدى من المعجزات  
 والآيات البينات فوجب أخذ أقواله مسلمة وان لم يظهر معناها (ولا كتاب) أى من الله تعالى  
 ثم وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى (منير) أى بين غاية البيان بل انما يجادل بالقلوب كما قال  
 تعالى (وإذا قيل) أى من أى قائل كان (لهم) أى المجادلين هذا الجدل (اتبعوا ما أنزل  
 الله) أى الذى خلقكم وخلق آباءكم الأولين (قالوا) بجود الانفعال (بل تتبع) وان أتينا بكل  
 دليل (ما وجدنا عليه آباءنا) لانهم أثبت مناعقولا وأقوم قبلا وأهدى سبيلافه هذه الجادة  
 في غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله وهم يأخذون بكلام آباءهم  
 وبين كلام الله تعالى وبين كلام العلماء عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام الجهال  
 (أولو) أى أتبعونهم ولو (كان الشيطان) أى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة (يدعوهم)  
 الى الضلال فيؤبقهم فيما يخطو الرجن فيؤدبهم ذلك (الى عذاب السعير) وجواب  
 لو محذوف مثل لا تتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب والمعنى ان الله تعالى يدعوهم الى  
 الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان \* ولما بين تعالى حال  
 المشرك والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم لامر الله تعالى بقوله تعالى (ومن يسلم)  
 أى في الحال والاستقبال (وجهه) أى تصدده وتوجهه وذاته كلها (الى الله) أى الذى  
 له صفات الكمال بأن فوض أمره اليه فلم يبق لنفسه أمر أصلا فهو لا يتحرك الا بأمر من  
 أو أمره سبحانه (وهو) أى والحال انه (محسن) أى مخاض يبطنه كما أخلص بظاهرة فهو  
 دائما في حال الشهود (فقد استمسك) أى أوجد الامساك بغاية ما يقدر عليه من القوة في تأدية  
 الامور (بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الازرق الذى لا يخاف انقطاعه لان الوثق العرى  
 جانب الله تعالى فان كل ما عداها الك منقطع وهو باق لا انقطاع له وهذا من باب التمثيل مثل  
 حال المتوكل بحال من أراد ان يسدلى من شاهق جبل فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة  
 من جبل متين مأمون انقطاعه (فان قيل) كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى  
 وقال في البقرة بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فعداه باللام (أجيب) بأن أسلم تعدى تارة

باللام وتارة بالي كما تعدى أرسل تارة باللام وتارة بالي قال تعالى وأرسلناكنا أس رسولا وقال  
 تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (وإلى الله) أي الملك الاعلى (عاقبة الامور) أي مصير جميع  
 الاشياء اليه كما أن منه باديتها وانما خاص العاقبة لانهم مقررون بالبادية \* ولما بين تعالى حال  
 المسلم رجع الى بيان حال الكافر فقال تعالى (ومن كفر) أي سترما أداه اليه عقله من أن الله  
 تعالى لا شريك له وأن لا قدرة أصلا لا حدسوا ولم يسلم وجهه اليه (فلا يحزنك) أي يهمنك  
 ويوجعك (كفره) كأننا من كان فانه لم يفتك شي فيه ولا معجز لنا لا يحزنك ولا تبعه عليك  
 بسببه في الدنيا وفي الآخرة وأقرد الضمير في كفره اعتبارا بلفظ من لارادة التنصيص على كل  
 فرد وفي التعبير هنا بالماضي وفي الاوّل بالمضارع بشارته بدخول كثير في هذا الدين وانهم  
 لا يرتدون بعد اسلامهم وترغيب في الاسلام لكل من كان حاربا عنه فالاية من الاحتباك ذكر  
 الحزن ثانيا دليل على حذف ضمه أولا وذكر الاستسالك أو لا دليل على حذف ضمه ثانيا  
 (الينا) أي في الدارين (مرجعهم فنقبهم) أي بسبب احاطتنا بأمرهم وعقب رجوعهم  
 (بما عملوا) أي ونجازهم عليه ان أردنا (إن الله) أي الذي لا كفء له (عليم) أي محيط  
 العلم بحاله من الاحاطة بأوصاف الكمال (بذات الصدور) أي لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم  
 فينبئهم بما أسرت صدورهم (نتمهم) أي غمهم ليتبعوا بنعيم الدنيا (قليل) أي الى  
 انقضاء آجالهم فان كل ات قريب وان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم) أي  
 لنجهم ونزدهم في الآخرة (الى عذاب غليظ) أي شديد ثقيل لا ينقطع عنهم أصلا ولا يجدون لهم  
 منه محيصا من جهة من جهاته فكانت في شدته وثقله جرم عظيم غليظ جدا اذا ترك على شيء لا يقدر  
 على الخلاص منه ثم انه تعالى لما سأل قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفره  
 أي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقت وكذبهم تبين عن قريب وهو رجوعهم اليه على أنه  
 لا يتأخر الى ذلك اليوم بل تبين قبل يوم القيامة كما قال تعالى (واتن) اللام لام قسم (سألتم  
 من خلق السموات) أي بأسرها ومن فيها (والارض) كذلك وقوله تعالى (ليقولن الله)  
 أي المسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد  
 أقر وابتان كل ما أشركوا به بعض خلقه ومضوع من مصنوعاته \* ولما تبين بذلك صدقه صلى  
 الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستأنفا (قل الحمد) أي الاحاطة بجميع أوصاف  
 الكمال (لله) أي الذي له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخافتين ولا غيره على ظهور  
 الحجية عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) أي ليس لهم علم عنهم من تذكيرك مع  
 اعترافهم بما يوجب تصديقتك \* ولما أثبت لنفسه سبحانه الاحاطة بأوصاف الكمال استدل على  
 ذلك بقوله تعالى (لله) أي الملك الاعظم (مافی السموات) كلها (والارض) كذلك  
 ملكا وخالقا فلا يستحق العبادة فيه ما غيره \* ولما ثبت ذلك أنتج قطعا قوله تعالى (إن الله) أي  
 الذي لا كفء له (هو) أي وحده (الغني) مطلقا لان جميع الاشياء له ومحتاجا اليه وليس  
 محتاجا الى شيء أصلا (الحمد) أي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم على الاطلاق المحمود بكل

لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه هو الذي أنطقها ومن قيد الحرس أطلقها \* ولما قال  
 تعالى لله ما في السموات والارض أو هم تناهى ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما  
 وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا حد ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته الموجبة  
 لمداه بقوله تعالى (ولو أن ما في الارض) أى كلها وادل على الاستغراق وتقضى كل فرد فرد من  
 أفراد الجنس بتوله تعالى (من شجرة) حيث وحدها (أقلام) أى والشجرة عتدها من بعدها  
 على سبيل المبالغة سبع شجرات وأن ما في الارض من البحر مداد لتلك الاقلام (والبحر) أى  
 والحال أن البحر (عتده) أى يكون مداد الله وزيادة فيه (من بعده) أى من ورائه (سبعة  
 أبحر) تكتب بتلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض كلها دواة (مانفدت كلمات الله)  
 وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويستلونك عن الروح الآية فلما  
 هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه أحبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيت من  
 العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت فقالوا أأنت تتلو فيما  
 جاءك أنأ وتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال صلى الله عليه وسلم هي في علم الله تعالى قليل  
 وقد أنا كم ما أن علمتم به اتفعمتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد  
 أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة  
 ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينقد فينقطع فنزلت (فان قيل) كان  
 مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (أجيب) بأنه أغنى عن ذكر المداد  
 قوله تعالى عتده لانه من مداد الدواة وأمتها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل البحر السبعة  
 دواته مداد افهى تصب فيه مدادها أبدا صيلا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام  
 والبحر مدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله مانفدت كلماته ونفدت  
 الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد  
 كلمات ربي لان المحسور لا ينفى بما ليس بمحسور فيا لها من عظمة لا تنهاى ومن كبرياء لا يجارى  
 ولا يضاهاى (فان قيل) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس (أجيب) بأنه أريد  
 تفصيل الشجرة وتصنيفها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد برت  
 أقلاما (فان قيل) الكلمات جمع قلة والموضع موضع الكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله  
 (أجيب) بأن معناه أن كلماته لا تنفد لانه لا تنفد بكلمه وقرأ أبو عمرو والبحر نصب  
 الراء وذلك من وجهين أحدهما العطف على اسم ان أى ولو أن البحر وعتده الخبر والثانى  
 النصب بفعل مضمرية يسره عتده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحجج الى ضمير رابطين  
 الحال وصاحبها الاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو أن الذى فى الارض حال كون البحر مدودا  
 بكذا وقرأ الباقر برفع الراء وذلك من وجهين أيضا أحدهما العطف على ان وما فى حيزها  
 والثانى انه مبتدأ وعتده الخبر والجملة حالية والرابط الواو \* (تنبيه) \* قوله تعالى سبعة ليس  
 لانحصارها فى سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بألف بحر وانما خصت السبعة

بالذ كرم بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان  
الاول ان المعلوم عند كل احد حاجته اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام  
والمكان منحصر في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا  
فصارت السبعة كالعدد الحاسر للكثيرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه  
قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في كل في معي واحد والكافري يأكل في سبعة امعاء الثاني ان  
في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا  
وابواب الجنة عمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون  
واو اتقول القراء لها واو الثمانية وليس ذلك الا للاستئناف لان العدد تم بالسبعة ثم بين نتيجة  
ذلك بقوله تعالى (ان الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (عزيز) أي كامل القدرة  
لانهاية لمقدوراته (حكيم) أي كامل العلم لانهاية لمعلوماته \* (تنبيه) \* قد علم مما تقرآن  
الآية من الاحتياك ذكر الاقلام دليل على حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة البحر دليلا  
على حذفها في الاشجار \* ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من  
غيرتها ذكربعض آثارها في البعث بقوله تعالى (ما خلقكم) أي كلكم في عزته وحكمته  
الاكتفاء نفس واحدة وأعاد الثاني نصا على كل واحد من الخلق والبعث على حدته بقوله تعالى  
(ولا بعثكم) أي كلكم (الا كففس) أي كبعث نفس وبين الافراد تحقيقا للمراد تأكيذا  
للسهولة بقوله تعالى (واحدة) فان كلفه مع كونها غير نافذة نافذة وقدرته مع كونها باقية  
بالغة نسبة القليل والكثير الى قدرته على حد سواء لانه لا يشغله شأن عن شأن ثم دل على ذلك  
بقوله تعالى مؤكدا (ان الله) أي الملك الاعلى (سميع) أي بالغ السمع يسمع كل مسموع  
(بصير) أي بليغ البصر يصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء \* ولما قررتعالى هذه الآية  
الخارقة دل عليها بأمر محسوس يشاهد كل يوم مرتين بقوله تعالى (المر) وهو محتمل وجهين  
أحدهما أن يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وكأنه تعالى ترك  
الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لا فائدة في الخطاب معهم ومن هو غيره من  
المؤمنين فهم تبع له والوجه الثاني المراد منه الوعظ والوعاظ يخاطب ولا يعين أحدا  
فيقول بل مع عظيم يمسكين الى الله مصيرك فن نصيرك ولما ذات تصيرك (ان الله) أي بجلاله  
وعز كاله (يولج) أي يدخل ادخالا امرية فيه (الليل في النهار) فيغيب فيه بحيث لا يرى  
شيء منه فاذا النهار قد عم الارض كلها أسرع من اللعج (ويولج النهار) أي يدخله كذلك  
(في الليل) فيضئ حتى لا يبقى له أثر فاذا الليل قد طبق الاقفاق مشارقها ومغاريبها في مثل الطرف  
فيميز سبحانه كلامهما من الآخر بعد اضمحلاله فذلك الخلق والبعث في قدرته بعزته  
وحكمته لبوغ سمعه ونفوذ بصره (وسخر الشمس) آية للنهار يدخل الليل فيه (والقمر) أي  
آية لليل كذلك ثم استأنف ما حضر افه بقوله تعالى (كل) أي منها (يجرى) أي في فلكه  
سائر امتدادها وبالغاومنتها (الى أجل مسمى) لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الفلك



لا يزيد ولا ينقص هذا في الشهر مرتة وتلك في السنة مرتة لا يتقدروا احد منهما أن يعتدى طوره  
ولأن ينقص دوره ولا أن يغير سيره \* (تنبيه) \* قال تعالى يوبخ بصيغة المستقبل وقال  
في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ابلح الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم وتسخر  
الشمس والقمر أمر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى أجل  
وفي الزمر لأجل لان المعنيين لا تقان بالحرفين فلا عليك في أيهما وقع قال الاكثر ون هذا  
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل عام \* ولما كان الليل والنهار على الافعال بين  
أن ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما يتصرف الله لا يخفى عليه بقوله تعالى (وان الله) أي  
بعله من صفات الكمال (يعتعملون) أي في كل وقت على سبيل التجدد (خبير) أي لا يخفى  
عليه شيء منه لانه الخالق له كله دقه وجله \* ولما ثبت بهذه الاوصاف الحسنى والافعال العليا  
أنه لا يوجد بالحقيقة الا الله تعالى قال تعالى (ذلك) أي المذكور (بأن) أي بسبب  
أن (الله) أي الذي لا عظيم سواه (هو) وحده (الحق) أي بسبب أنه الثابت في ذاته  
الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة (وان ما يدعون) أي هؤلاء المختوم على مداركهم  
وأشار الى سفول رتبهم بقوله تعالى (من دونه) أي غيره (الباطل) أي العدم في حده  
ذاته لا يستحق أن تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرأ أبو عمرو وحجزة والكسائي  
وحفص يدعون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وان مقطوعة من ما في الرسم  
(وان الله) أي الملك الاعظم وحده (هو العلي) على خلقه بالقهر فله الصفات العليا والاسماء  
الحسنى (الكبير) أي العظيم في ذاته وصفاته \* ولما قال تعالى ألم تر أن الله يوبخ الليل  
في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر آية سماوية وأشار الى السبب والمسبب ذكر بعده آية أرضية  
تدل على باهر قدرته وكمال نعمته وشمول انعامه وأشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى  
(الم تر) وفي الخطاب بذلك ما تقدم (أن الفلك) أي السفن كبارا وصغارا (تجوى) أي بكم  
حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر (في البحر) أي على وجه الماء (بنعمة الله) أي بانعام الملك  
الاعلى المحيط علما وقدرة المحسن اليكم بتعليم صفتها حتى تهيأت لذلك على يد أيكم نوح العبد  
الشكور عليه السلام وقبل نعمة الله هنا هي الريح التي تعرك بامر الله (ليريكمن آياته)  
أي بمخائب قدرته ودلائله التي تدللكم على أنه الحق الذي أثبت بوجوب وجوده ما ترون من  
الاجمال النقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرة فنادونها (ان في ذلك) أي الامر الهائل  
البديع الرفيع (آيات) أي دلالات واضمحلت على ماله من صفات الكمال (لكل صبار)  
على المشاق فيبعث نفسه في التفكير في عدم غرقه وفي مسيره الى البلاد الشاسعة والاقطار  
البعيدة وفي كون سيره ذهابا وايابا تارة بربحين وتارة بربح واحدة وفي انجاء أيه نوح عليه  
السلام ومن أراد الله تعالى من خلقه بها واغراق غيرهم من جميع أهل الارض وفي غير ذلك  
من شؤنه وأموره (شكور) أي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان كما ورد الايمان  
نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما أنه لا يعرف في الرخاء من

عظيمة الله ما كان يعرفه في الشدة الامن طبعهم الله تعالى على ذلك ووقفهم له وأعانهم عليه  
 ولهذا قال تعالى وقليل من عباد الشكور وهما أنا سؤال الله الحنان المنان من فضله أن  
 يجعلني منهم ويفعل ذلك بأهلي وأحبابي فإنه كريم جواد \* ولما ذكر تعالى ان في ذلك لايات ذكر  
 أن الكل معترفون غير أن البصير يدركه أولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه أولا كما قال تعالى  
 (واذا غشيهم) أي علاهم وهم في النلك حتى صار كالمغطى لهم (موج) أي هذا الجنس  
 وأفرده لشدة اضطرابه وإتيانه شيئا في اثر شيئا متبايعا يركب بعضه بعضا كأنه شيء واحد وأصله  
 من الحركة والازدحام واختلف في قوله تعالى (كالظلال) فقال مقاتل كالجبال وقال  
 الكلبي كالسحاب والظلال جمع ظلة شبه به الموج في كثرتها وارتفاعها (فان قيل) كيف جعل  
 الموج وهو واحد كالظلال وهو جمع (أجيب) بأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء فلما صار والى  
 هذه الحالة (دعوا الله) أي مستحضرين لما يتدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالين  
 بجميع مضمون الآية السابقة من حقيقته وعلوه وكبريائه وبطلان ما يدعونه من دونه  
 (مخلصين له الدين) أي الدعاء بأن ينجيهم لا يدعون شيئا سواه بأنفسهم ولا قلوبهم لما اضطرتهم  
 الى ذلك (فلما نجاهم) أيخلصهم من تلك الاحوال (الى البر) نزلا عن تلك المرتبة التي  
 اخلصوا فيها الدين وانقسموا قسمين (فمنهم) أي تسبب عن نعمة الانجاء انه كان منهم (مقتصد)  
 أي عدل موف في البر بما قد عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له بمعنى أنه ثبت على ذلك وهم  
 قليل كما دل عليه التصريح بالتبويض قيل نزات في عكرمة بن أبي جهل هرب في عام النسخ الى  
 البحر فجاهتهم ربح عاصف فقتال عكرمة لئن نجاني الله من هذه لأرجعن الى محمد صلى الله عليه  
 وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فأسلم وحسن اسلامه وقال  
 مجاهد مقتصد في القول مضمحل للكفر وقال الكلبي مقتصد في القول أي من الكفار لان بعضهم  
 كان أشد قولا وأعلى في الافتراء من بعض ومنهم جاحد للنعمة ملق بلباب الحياة في التصريح  
 بذلك وهو الاكثر كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبويض (فان قيل) ما الحكمة في قوله  
 تعالى في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الى البر فمنهم  
 مقتصد (أجيب) بأنه لما ذكره هنا أمر اعظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي أثر ذلك في قلوبهم  
 فخرج منهم مقتصد وهناك لم يذكرم مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم  
 حيث لم يبق عندهم أثر وقوله تعالى (وما يججد بآياتنا الا كل ختار) أي غدار فانه نقض للعهد  
 القطري أي لما كان في البحر والختار أشد الغدر (كفور) أي للنعم في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك  
 لايات أي يعترف بها الصبار الشكور ويحجدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار افظا  
 ومعنى والكفور في موازنة الشكور كذلك أما لفظا فيهما فظاهر وأما كون الختار في موازنة  
 الصبار معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر أو شديد الغدر مثال مبالغته من الختار وهو  
 أشد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا يعهد منه الاضرار فانه بصير ويفوض  
 الامر الى الله تعالى وأما الغدار فيعاهدك ولا يصبر على العهد فينقضه وأما ان الكفور في

مقابله الشكور معنى فظاهر \* ولما ذكر تعالى الدلائل من أول السورة الى هنا وعظ بالتقوى بقوله تعالى (يا أيها الناس) أي عامة وقيل أهل مكة (أتقوا ربكم) أي الذي لا محسن اليكم غيره (واخشوا) أي خافوا (يوماً) لا يشبه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره عند أدنى هول من أهواله شيئاً بوجه (لا يجزى) أي لا يقضى ولا يغنى (والدعن ولده) والراجع الى الموصوف محذوف أي لا يجزى فيه وفي التعبير بالمضارع إشارة الى أن الوالد لا تزال تدعوه الوالدية الى الشفقة على الولد ويتجدد عنده العطف والرقه والمفعول اما محذوف لانه أشهد في النبي واما مدلول عليه بما في الشق الذي بعده وقوله تعالى (ولامولود) عطف على والد أو مبتدأ خبره (هو جازعن والده) أي فيه (شيئاً) من الجزاء وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة (إن وعد الله) أي الذي له معاهد العز والجلال (حق) أي أن هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لأن الله تعالى وعده ووعده حق وقيل إن وعد الله حق بأن لا يجزى والدهن ولده ولامولود هو جازعن والده شيئاً لانه وعد بأن لا تزروا زرة وقرأ أخرى ووعد الله حق (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزخرفها ورونقها فانها زائله لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أي الذي لأعظم منه ولا مكافئ مع ولايته معكم (الغرور) أي الكثير الغرور والمبالغ فيه وهو الشيطان الذي لأحقر منه لما جمع من البعد والطرود والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها ويلهمكم به من تعظيم قدرها وينسيكم كيدها وغدرها وتعبها وأذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم فلا تعدونه معاداً فلا تتخذون له زاداً لما اقترن بغروره من حلم الله تعالى وامهاله قال سعيد بن جبيرة الغرة بالله أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة \* وروى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد ألقيت حباتي في الارض فحق السماء تطر وحل امرأتى أذكر أم أنى وما عمل غداً وأين أموت فنزل قوله تعالى (إن الله) أي بماله من العظمة وجميع أوصاف الكمال (عنده) أي خاصة (علم الساعة) أي وقت قيامها لا علم لغيره بذلك أصلاً (وينزل الغيث) أي في أراده المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عاصم بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي (ويعلم ما في الارحام) أي من ذكر أو أنثى اسمي أو ميت تام أو ناقص (وما تدرى نفس) أي من الانفس البشرية وغيرها (ماذا تكسب غداً) أي من خيراً أو شراً وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أي كما لا تدرى في أى وقت تموت ويعلمه الله تعالى وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال يا رسول الله إن امرأتى حبلى فأخبرني ما تادو بلادنا مجديبة فأخبرني متى ينزل النيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن عكرمة أن رجلاً يقال له الوارث من بني حازن جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة وقد أجدت بلادنا فحقى تخصب وقد تركت امرأتى حبلى فحقى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا أ كسب غداً وقد علمت بأى أرض ولدت

فبأى أرض أموت فنزلت هذه الآية وعن قتادة قال خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع  
 عليهم ملكا مقربا ولا نبييا مرسلان الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم  
 الساعة في أى سنة ولا فى أى شهر ألبلا أم نهارا وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل ألبلا  
 أم نهارا ويعلم ما فى الارحام فلا يعلم أحد ما فى الارحام أذ كرام أمتى أجرأم أسود ولا تدري  
 نفس ماذا تكسب غدا أخيرا مشرا وما تدري نفس بأى أرض تموت ليس أحد من الناس  
 يدري أين مضجعه من الارض أفى بجرام فى بر أم سهل أم جبل وعن أحمد وابن أبي شيبة موقوفا  
 على شهر بن حوشب أن ملك الموت مر على سليمان فجعل يتظر الى رجل من جلسائه يديم النظر  
 اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال فكأنه يريدنى فرالريح أن تحملنى وتلقينى  
 بالهند فأمر سليمان الريح فحمله الى بلاد الهند فوق صحابة فلما استقر فيها قبض روحه ملك  
 الموت عليه السلام ثم جاء الى سليمان عليه السلام فسأله عن نظره الى الرجل فقال ملك الموت  
 كان دوام نظرى اليه تعجبا منه إذا مرت ان أقبض روحه بالهند وهو عندك وعن ابن عمر قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله  
 ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدري نفس  
 بأى أرض تموت الا الله وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله متى  
 الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثكم باشراتها اذا ولدت الامة ربها  
 فذلك من اشراتها واذا كانت الحفاة الرعاة رؤس الناس فذلك من اشراتها واذا تطاول رعاء  
 الغنم فى البقيان فذلك من اشراتها وخمس من الغيب لا يعلمهن الا الله ثم ثلاث ان الله عنده علم  
 الساعة الى آخر الآية وعن أبي أمامة أن اعرابيا وقف على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر على  
 ناقه له عشر اه فقال يا محمد ما فى بطن ناقى هذه فقال له رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وهلم الى حتى أخبرك وقعت أنت عليها وفى بطنها ولد منك فأعرض عنه رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله يحب كل حبي كريم ويغض كل قاس لئيم متفحش ثم أقبل على  
 الاعرابي فقال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الآية وعن سلمة بن الاكوع  
 قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة حراء اذ جاءه رجل على فرس فقال له من أنت قال  
 أنا رسول الله قال متى الساعة قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال ما فى بطن فرسى قال غيب وما  
 يعلم الغيب الا الله قال متى غطرت قال غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل شىء الا الخمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن ابن مسعود  
 قال أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شىء غير خمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن  
 علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لم يعم على نبيكم الا الخمس من سراير الغيب هذه الآية  
 فى آخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الى آخر السورة وعن ربهى قال حدثنى رجل من بني عامر  
 أنه قال يا رسول الله هل بئى من العلم شىء لا تعلمه فقال لقد علمنى الله خيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا  
 الله الخمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن بنت معوذ قالت دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم صبيحة عرسى وعندى جارىتان تغنيان وتقولان وفيما نبي يعلم ما فى غد فقال أما هذا فلا تقولاه ما يعلم ما فى غد إلا الله وعن ابن عزة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تدرى نفس بأى أرض تموت وعن أبى مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل فى غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم فردد عليه السلام ثم وضع يده على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ما الإسلام قال أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال نعم ثم قال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خير وشره قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت قال نعم ثم قال ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان كنت لا تراها فانه يرالك قال فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت قال نعم ثم قال ففى الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت (ان الله) أى المختص بأوصاف الكمال (عليم) أى شامل علمه للامور كلها كلياتها وجزئياتها فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن الغير فى هذه الخمس (خبير) أى يعلم خبايا الامور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها وجلاياها كل عنده على حد سواء فهو الحكيم فى ذاته وصفاته ولذلك أخنى هذه المفاتيح عن عباده لانه لو أطلعهم عليهم الفات كثير من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الاحكام فقد انطبق آخر السورة بآيات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة على أولها الخبر بحكمة صفته التى من علمها حق علمها وتخلق بعبادته اليه وحضت عليه لاسيما الايقان بالآخرة كان حكيمًا فسبحان من هذا كلامه وتعالى كبرياؤه وعز مرامه رما رواه البيضاوى تبعًا للزمخشري من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لقمان كان له اقممان رقيبتا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرين بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر

حديث موضوع

### (سورة السجدة مكية)

وهى ثلاثون آية وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

(بسم الله) ذى الجلال والاكرام (الرحمن) بعموم البشارة والندارة (الرحيم) الذى أسكن فى قلوب أحبائه الشوق اليه والخضوع بين يديه وتقدم فى البقرة وغيرها الكلام على (الم) وعالم يسبق انما الإشارة الى ان الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب معجزدال باعجازه على صحة رسالته ووحداية من أرسله وسرد سبحانه هذه الاحرف

في أوائل أربع من هذه السور فزادت على الطواسين بواحدة إشارة إلى أن هذه المعاني في غاية  
 الثبات لا انقطاع لها \* ولما كان المقصود في التي قبلها اثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذي  
 فيه تبيان كل شيء أخبر سبحانه وتعالى عن هذا بأنه من عنده بقوله تعالى (تنزيل الكتاب)  
 أي الجامع لكل هدى على ما ترون من التدرج من السماء (لأريب) أي لاشك (فيه)  
 لأن نافي الشك هو الاجتياز معه لا يتفك عنه فكل ما تقولونه مما يخالف ذلك تعنت أو جهل من  
 غير ريب حال كونه (من رب العالمين) أي الخالق لهم المدبر لصلحهم فلا يجوز في عقل  
 ولا يخطر في بال ولا يقع في وهم ولا يتصور في خيال أنه يصل شيء من كتابه تعالى إلى هذا النبي  
 الكريم بغير أمره ولا يتخيل أن ثبأمنه ليس بقول الله تعالى ثم لا يتخيل أنه من كلامه ولكنه  
 أخذ من بعض أهل الكتاب لأن هذا لا يفعل مع بعض الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن  
 هو عالم بالسر والجهر محيط علمه بالحق والجلي \* (تنبيه) \* في تنزيل الكتاب امرات مختلفه  
 وأظهرها ما جرى عليه الجلال المهلي من أن تنزيل الكتاب يبدأ ولا ريب فيه خبراً قول ومن  
 رب العالمين خبر ثان وقوله تعالى (أم يقولون) أي مع ذلك الذي لا يمتري فيه عاقل (افتراه)  
 أي تعمد كذبه أم فيه هي المنقطعة والاضراب للانتقال لاللابطال وقيل الميم صلة أي  
 أتقولون افتراه وقوله تعالى (بل هو الحق) أي الثابت ثباتاً لا يضاهاه ثبات شيء من الكتب قبله  
 اضراب ثان ولوقيل بأنه اضراب ابطالي لنفس افتراه وحده لكان صواباً وعلى هذا يقال  
 كل ما في القرآن اضراب فهو اضراب اتقالي الا هذا فانه يجوز أن يكون ابطالاً لانه ابطال  
 لقوله هم أي ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد إلى هذا فانه قال  
 والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه من رب العالمين  
 قال ابن عادل ويشهد لوجهه أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا مفترى انكار لأن يكون من  
 رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقريرانه من عند الله وهذا أسلوب  
 صحيح محكم انتهى وقوله تعالى (من ربك) أي المحسن اليك بانزاله واحكامه حال من الحق  
 والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو العامل أيضاً في (تنذر) ويجوز أن يكون العامل في  
 لتنذر غيره أي أنزله لتنذر (قوما) أي ذوي قوّة وجلد ومنعة (مأثمهم من نذير) أي رسول في  
 هذه الأزمان القريبة لقول ابن عباس ان المراد الفترة ويؤيده اثبات الجار في قوله تعالى  
 (من قبلك) ولما ذكر تعالى عله الانزال أتبعه عله الانذار بقوله تعالى (لعلهم يهتدون) أي  
 ليكون حالهم في مجاري العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة وأما التوحيد  
 فلا عذر لاحد فيه مع اقامة الله تعالى من حجة العقل ومع ما أتقنه الرسل عليهم الصلاة والسلام  
 آدم فمن بعده من أوضع النقل بآثار دعواتهم وبقيام دالاتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن  
 سأله عن أبيه أبي وأبوك في النار وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات قبل دعوته على  
 الشرك فهو في النار لكن ذكر بعض العلماء أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى  
 أحياه أبويه وأسلمها على يديه ولا بدع في ذلك فان الله تعالى أكرمه بأشياء لا يتحصر \* ولما ذكر

تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة الدليل قال (الله) أي  
 الحاوي لجميع صفات الكمال وحده (الذي خلق السموات) كلها (والارض) بأسرها  
 (وما بينهما) من المنافع العينية والمعنوية (في ستة أيام) كما يأتي تفصيله في فصلات ان شاء الله تعالى  
 (ثم استوى على العرش) وهو في اللغة سرير الملك استواء يليق به تعالى لم تعهدوا منزه وهو  
 أنه تعالى أخذ في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه لا شريك له ولا نائب فيه ولا وزير كما تعهدون من  
 ملوك الدنيا اذا امتنعت مما لكم وتباعدت أطرافها وتشاءت أقطارها (ما لكم من دونه)  
 لان كل ما سواه دونه وتحت قهره ودل على عموم النبي بقوله تعالى (من ولي) أي يلي أموركم  
 ويقوم بحكمكم وينصركم اذا حل بكم شيء مما تنذرون به (ولا شفيع) يشفع عنده في تدبيركم  
 أو في أحد منكم بغير إذن (أفلا تتذكرون) هذا فتؤمنون \* ولما اتى أن يكون له وزير  
 أو شريك في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم الذي أبدعه فقال مستأنفاً فسر المراد  
 بالاستواء (يدبر الامر) أي كل أمر هذا العالم بأن يفعل في ذلك فعل الناظر في أدياره لا يتقن  
 خواتمه ولو أزمه كما نظر في اقباله الاحكام فواتحه وعوازمه لا بكل شأمنه الى أحد من خلقه  
 قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان استواء على العرش به في اظهاره القدرة والعرش  
 مظهر التدبير لا مقر للتدبير \* ولما كان المقصود للقرب انما هو تدبير ما يمكن مشهادتهم له من العالم  
 قال تعالى مفرداً (من السماء) أي فينزل ذلك الامر الذي أتقنه كما يتقن من ينظر في ادياره ما عمله  
 (الى الارض) أي غير متعرض الى ما فوق ذلك على أن السماء تشمل كل عال فيدخل جميع  
 العالم العلوي والارض تشمل كل ما سفل فيشمل ذلك العالم السفلي \* (تنبيه) \* ههنا همزتان  
 مكسورتان فقالون وابن كثير يسهل الاولى كالياء مع المد والقصر وورش وقبيل يسهل الثانية  
 ولهما ابد الهامن غير مد وأسقط أبو عمرو والاولى مع المد والقصر والباقون يجمعان \* ولما كان  
 الصعود أشق من النزول على ما جرت به العوائد فكان بذلك مستبعداً أشار الى ذلك بقوله تعالى  
 (ثم يهرج) أي يصعد (اليه) أي يصعد الملك الى الله تعالى أي الى الموضع الذي شرفه أو  
 أمره بالكون فيه كقوله تعالى اني ذاهب الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله  
 ونحو ذلك أو الى الموضع الذي ابتدأ منه نزول التدبير الى السماء كأنه صاعد في معارج وهي  
 الدرج على ما تتعارفون بينكم في أسرع من لمح البصر (في يوم) أي من أيام الدنيا (كان  
 مقداره) لو كان الصاعد واحداً منكم على ما تعهدون (ألف سنة مما تعدون) من سنينكم التي  
 تعهدون قال البقاعي والذي دل على هذا التقدير شيء من العرف وشيء من اللفظ أما اللفظ  
 فالتعبير بكان مع انتظام الكلام بدونها أو أريد غير ذلك وأما العرف فهو ان الانسان المتكبر يبنى  
 البيت العظيم العالي في سنة مثلاً فاذا فرغه صعد اليه خادمه الى أعلاه في أقل من درجتين من  
 درج الرمل فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنائه الاجراً ولا يبعده هذا وهو خلق محتاج فما ظنك  
 بمن خلق الخلق في ستة أيام ولو شاء لخلقهم في لحظة وهو غني عن كل شيء قادر على كل شيء انتهى  
 فنزول الامر وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون وهو ما بين السماء والارض فان

مسافته خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة  
 كأنه تعالى يقول لو سأرا أحد من بنى آدم لم يقطعه الا في ألف سنة والملائكة ينطعون في يوم  
 واحد هذا في وصف عروج الملك من الارض الى السماء وأما قوله تعالى تعرج الملائكة والروح  
 اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فأراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي  
 هي مقام جبريل عليه السلام فسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين  
 ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا قاله مجاهد والضحاك وورد انه صلى الله عليه وسلم قال بين  
 السماء والارض خمسمائة عام ثم قال أتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم قال سماه  
 أخرى أتدرون كم بينها وبينها قلنا الله ورسوله اعلم قال خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال  
 هل تدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله اعلم قال العرش ثم قال أتدرون ما بينه وبين السماء  
 السابعة قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم  
 قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله اعلم قال أرض أخرى أتدرون كم بينهما قلنا الله  
 ورسوله اعلم قال مسيرة سبع مائة عام حتى عد سبع أرضين ثم قال ايم الله لودليتكم بجبل لهبط على  
 علم الله وقدرته وروى من مثل السموات والارض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل  
 الكرسي على السموات والارض كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع كرسيه السموات  
 والارض يدل على ان الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار ألف سنة وخمسين ألف سنة كلها  
 في القيامة ومعناه حينئذ يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع  
 الامر والتدبير اليه بعد قضاء الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت فهو على الكافر  
 كخمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك بل جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كمثل صلاة  
 مكتوبة تملأها في الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية  
 النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من يتفدأ أمره في سنين متطاولة فقوله في يوم كان  
 مقداره ألف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه ألف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه  
 وكم يكون دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقدار خمسين ألف سنة لان ذلك اذا  
 كان اشارة الى دوام نفاذ الامر فسواء يعبر بألف سنة أو بخمسين ألف سنة لا يتفاوت الا  
 ان المبالغة بالخمسين أكثر وسيأتي بيان فائدتها في موضعها ان شاء الله تعالى \* ولما تقرّر هذا  
 من عالم الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامرين انه تعالى عالم بما كان وما يكون بقوله  
 تعالى (ذلك) أي الاله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب عن الخلق  
 ومنه الذي تقدمت مفاتيحه وما حضر وظهر فيدبر أمرهما (العزير) أي الغالب على أمره  
 (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه ايماء بأنه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا \* ولما ذكر تعالى  
 الدليل على الوحدة من الآفاق بقوله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما ما ذكر الدليل  
 عليها من الانفس بقوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه  
 بجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان



في أحسن تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان  
 يتقنه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض وقيل معناه  
 أحسن الى كل خلقه وقرأ نافع والسكوفيون بفتح اللام فعلا ماضيا وبالجملة صفة للمضاف أو  
 المضاف اليه والباقون بسكونها على انه بدل من كل شيء يدل اشتغال والضمير عائد على كل شيء  
 \* ولما كان الحيوان أشرف الاجناس وكان الانسان أشرفه خصه بالذكر ليقوم دليل الوحدةانية  
 بالانفس كما قام بالآفاق فقال دالاعلى البعث (وبدأ خلق الانسان) أي آدم عليه السلام  
 (من طين) قال الرازي ويمكن أن يقال الطين ماء وتراب مجتمعان فالآدمي أصله مني والمني أصله  
 غذاء والاعذية اما حيوانية أو نباتية والحيوانية ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء  
 والتراب الذي هو الطين (ثم جعل نسله) أي ذريته (من سلالة) أي نطفة سميت سلالة  
 لانها قبل من الانسان أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قوله لهم للولد سليل هذا على  
 التفسير الاول لان آدم كان من الطين ونسله من سلالة (من ماء مهين) أي ضعيف وعلى  
 التفسير الثاني هو أن أصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي ماء مهين وهو نطفة الرجل  
 وأشار الى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره بقوله تعالى (ثم سواه) قومه بتصوير أعضائه  
 وابداع المعاني على ما ينبغي (ونفخ فيه) أي آدم (من روحه) أي جعله حيا حساسا بعد  
 ان كان جادا وازفاقة الروح الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله فياله من  
 شرف ما أعلام فضله اشعار بأنه خلق عجيب وان له شأنه مناسبة ما الى الحضرة الربوبية قال  
 البيضاوي ولا جله أي ولا اجل كون ان له شأنه الى آخره روى من عرف نفسه فقد عرف ربه  
 هذا الحديث لا أصل له وبتقدير أن له أصلا ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه وتأمل  
 في حقيقة ما عرف ان له صناعا ووجداله واليه أشار بقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون  
 ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى (وجعل لكم) بعد  
 ان كنتم نطفة أمواتا (السمع) أي لتدركوا به ما يقال لكم (والابصار) أي لتدركوا بها  
 الاشياء على ما هي عليه (والافتدة) أي القلوب المودعة غمرا من العقول (فان قيل) ما الحكمة  
 في تقديم السمع على البصر والبصر على الافتدة (أجيب) بأن الانسان يسمع أولا كلاما  
 فينظر الى فائده ليعرفه ثم يفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه (فان قيل) ما الحكمة  
 في ذكر المصدر في السمع وفي البصر والقواد الاسم ولهذا جمع الابصار والافتدة ولم يجمع السمع  
 لان المصدر لا يجمع (أجيب) بأن السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار  
 لها فيه وان الصوت من أي جانب كان واصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع بادراك  
 البعض دون البعض وأما البصر فجعله العين ولهافيه اختيار فانها تهتزك الى جانب المرئي دون  
 غيره وكذلك الؤاد محله الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره فالسمع أصل دون  
 محله لعدم الاختيار له والعين كالاصول وقوة الابصار التي والقواد كذلك وقوة الفهم آتته فذكر  
 في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافتدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع

قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما  
 ويرى في زمان واحد صورتين فأكثر ويشبهتهما (فان قيل) لم قدم السمع ههنا وقدم القلب  
 في قوله تعالى في البقرة ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم (أجيب) بأنه تعالى  
 عند الاعطاء ذكر الادنى ثم ارتقى الى الاعلى فكأنه قال أعطاكم السمع ثم أعطاكم ما هو أشرف  
 منه وهو القلب وعند السلب قال ليس لهم قلب يدركونه ولا ما هو دونه وهو السمع الذي  
 يسمعون به ممن له قلب ينتهم الحقائق ويستخرجها \* ولما لم يادروا الى الايمان عند التذكير  
 بهذه النعم الجسام قال تعالى (قل لئلا ماتشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا لما منيذة مؤكدة  
 للقله وقوله تعالى (وقالوا) معطوف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول والاله ليس  
 بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة الرسالة بنى الرب عن الكتاب ثم على الوجدانية  
 بشمول القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم وختم بالتعجب من كفرهم وكان  
 استبعادهم للبعث الذى هو الثابت الاصل من أعظم كفرهم وهو قولهم (أئذا) أى انبعث اذا  
 (ضللنا) أى غبنا (في الارض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه وأصله من ضل  
 الماء فى اللبن اذا ذهب فيه وقولهم (أئنالى خلق جديد) أى يجدد خلقنا استفهام انكارى  
 زيادة فى الاستبعاد (فان قيل) انه تعالى ذكر الرسالة من قبل وذ كر دليلها وهو التنزيل الذى  
 لا ريب فيه وذ كر الوجدانية وذ كر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين  
 \* ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذ كر الدليل (أجيب) بأنه ذ كر دليله أيضا وهو ان خلقه الانسان  
 ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على انكار الحشر بالخلق الاول ثم يعيده  
 وهو أهون عليه وقوله تعالى الذى أنشأها أول مرة وأيضا خلق السموات والارض كما قال أو  
 ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقرأ نافع والكسافى أئذا  
 ضللنا فى الارض انا الاول بالاستفهام والثانى بالخبر وقرأ ابن عامر الاول بالخبر والثانى  
 بالاستفهام والباقون بالاستفهام فهما ومذهب قالون وأبي عمرو فى الاستفهام تسهيل الثانية  
 واتحاد الالف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال  
 وهشام يسهل الثانية ويحققهما مع الادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال وقوله تعالى  
 (بل هم بلىقاء ربهم كافرون) أى جاحدون اضراب عن الاول أى ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا  
 بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثانى لما اعترفوا بالعذاب والثواب  
 أو يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلىقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المنضى اليه  
 ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب بقوله تعالى (قل) أى يا أفضل الخلق لهم (يتوفاكم)  
 أى يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) أى يقبض أرواحكم وهو عزرائيل  
 عليه السلام والتوفى استيفاء العدد معناه أن يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد  
 الذى كتب عليه الموت روى أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها  
 ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من

ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خطوة  
 ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض مثل الطست يتناول منها حيث  
 يشاء وفي بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتزع أعوانه روح  
 الانسان فاذا بلغ نغرة نجره قبضه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين  
 المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فبان أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل  
 يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يرازيك عسكر  
 الموت فيصير ملقى لاروح في شيء منه وهو على حاله كاملا لانقص في شيء منه يدعى الخلل بسببه  
 فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده تعالى صرفه في ذلك فقام به كما تر ونه مع أن مما رجة الروح  
 للبدن أشد من مما رجة تراب البدن لبقية التراب لانه ربما يستدل بعض الخدق على بعض ذلك  
 بنوع دليل من شئ ونحوه فكيف يستبعد شئ من الاشياء على رب العالمين ومدبر الخلائق أجمعين  
 نسأل الله تعالى أن يقبضنا على التوحيد وان يستعملنا في طاعته ما أحيانا ويفعل ذلك بأهلنا  
 وأحبائنا \* ولما قام هذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم أن التقدير ثم يعيدكم خلقا  
 جديدا كما كنتم أول مرة فخذفه كما هو عادة القرآن في حذف كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع  
 الى ذكره وعطف عليه قوله تعالى (ثم الى ربكم) أي الذي ابتداء خلقكم وترتيبكم وأحسن  
 اليكم غاية الاحسان (ترجعون) أي تصيرون اليه أحياء فيجزى بكم بأعمالكم \* ولما تقرّر  
 دليل البعث بما لا يخفى عليه ولا يلبس شرع في بعض أحواله بقوله تعالى (ولو ترى) أي تبصر  
 (إذا مجرمون) أي الكافرون (ناكسو رؤسهم) أي مطأطؤوها خوفا وخجلا وحرنا وذلا  
 ر عند ربهم) المحسن اليهم المتوحد بتدبيرهم قائلين بغاية الذل والرقعة (ربنا) أي المحسن  
 الينا (أبصرنا) أي ما كنا نكذب به (وسمعنا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه  
 (فارجعنا) بمالك من هذه الصفة المقتضية للاحسان الى الدين اذ ار العمل (نعمل صالحا)  
 فيها (اطاموقنون) أي ثابت لنا الآن الايقان بجميع ما أخبرنا به عنك فلا يتقهم ذلك ولا  
 يرجعون وجواب لو محذوف تقديره رأيت أمر اظطعنا والمخاطب يحتمل أن يكون النبي صلى  
 الله عليه وسلم شفاه لصدور فانهم كانوا يؤذونه بالكذب ويحتمل أن يكون عاما واذ على بابها  
 من الماضي لان لو تصرف المضارع للمضى وانما جى هنا ماضيا لتحقيق وقوعه نحو أتى أمر الله  
 وجعله أبو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة اليه وقوله تعالى (ولو شئنا) أي بما لنا من  
 العظمة (لا تينا كل نفس) أي مكلفة لان الكلام فيها (هداها) فتهدى بالايان والطاعة  
 باختيار منها جواب عن قولهم ربنا أبصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال اني لو أردت منكم  
 الايمان اهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تين اني ما أردت ولا شئت ايمانكم فلا أردكم وهذا صريح  
 في الدلالة على صحة مذهب أهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى ما أراد الايمان من الكافر  
 وما شاء منه الا الكفر (ولكن) لم أشأ ذلك لانه (حق القول مني) وأنا من لا يخالف الميعاد

لان الاخلاف اما العجز أو نسيان أو حاجة ولا شئ من ذلك يلقى مجنابي ولا يجعل بساحتى وأكاد  
 لأجل انكارهم فقال مقصداً (لأن جهنم) أى التى هى محل اهانتى (من الجنة)  
 أى الجنة طائفة ابليس وكأنه تعالى انهم تحقير الهيم عندهم من يستعظم أمرهم وبدأ بهم  
 لاستعظامهم لهم ولأنهم الذين أضلوههم (والناس أجمعين) حيث قلت لابليس لأن ملائكة  
 جهنم منك وعن تبعلت منهم أجمعين فلذلك شئت كفر الكافر وعصيان العاصى بعد ان جعلت  
 لهم اختياراً ونغيت العاقبة عنهم فصار الكسب ينسب اليهم ظاهراً والخلق فى الحقيقة  
 والمشيئة لى \* ولما تسبب عن هذا القول الصادق أنه لا يحصر بهم عن عذابهم قال لهم الخزنة  
 اذا دخلوا جهنم (فذوقوا) العذاب (بما) أى بسبب ما (نسيتم لقاء يومكم) وحققه وبين  
 ذلك بقوله تعالى (هذا) أى بترككم الايمان به (اننا نيناكم) أى عاملناكم بما لنا من  
 العظمة ولكم من الحقارة معاملة الناسى لكم فتركناكم فى العذاب (وذوقوا عذاب الخلد)  
 أى المختص بأنه لا آخر له (بما) أى بسبب ما (كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب  
 وانكار البعث \* ولما ذكر تعالى علامة أهل الكفر ان ذكر علامة أهل الايمان بقوله تعالى  
 (انما يؤمن بآياتنا) أى الدالة على عظمتنا (الذين اذا ذكروا بها) أى من أى مذكر كان  
 فى أى وقت كان (خروا سجداً) أى بادروا الى السجود بمبادرة من كأنه سقط من غير قصد  
 خضه الله من شدة تواضعهم وخشيتهم وخبائتهم خضوعاً بائناً دائماً (وسجوا) أى أوقعوا  
 التسبيح به عن كل شائبة نقص متلبسين (بمحمد ربهم) أى قالوا سبحان الله وبجمده وقبل  
 صلوا بأمر ربهم \* ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به فى قوله تعالى (وهم لا يستكبرون)  
 أى عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجهد أحداً مكاناً للموضع جبهته فى غرقت  
 الصلاة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد  
 اعتزل ابليس يبكى يقول يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود  
 فأبيت فى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ والمستمع والسامع \* ولما كان  
 المتواضع ربما ينسب الى الكسب لى ذلك عنهم ميبنا لما تضمنته الآية السالفة من  
 خوفهم بقوله تعالى (تجافى) أى ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) عبره عن ترك النوم  
 قال ابن رواحة

نبي تجافى جنبه عن فراشه \* اذا استنقلت بالمشركين المضاجع

والمضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذى يضجع عليه يعنى الفراش وهم المتسجدون الذين يقعون  
 الصلاة قال أنس زيات فبنا معاشر الانصار كنا نصلى الى المغرب فلانرجع الى رحا لنا حتى نصلى  
 العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضاً قال زيات فى أناس من أصحاب النبي صلى الله  
 عليه وسلم كانوا يصلون صلاة المغرب الى صلاة العشاء قال عطاءهم الذين لا ينامون حتى يصلوا  
 العشاء الآخرة والتجبر فى جماعة وهذه صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة كان

كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان قيام ليلة وعن أنس كان يجتنب الفرس قبل  
 صلاة العشاء وعنه أيضا قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقدًا قط قبل العشاء ولا  
 متحدثًا بعدها فإن هذه الآية تنزل في ذلك وعن ابن عباس إن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم  
 الذين لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم فلماذا كذلك جعل الرجل يعتزل فرأشه مخافة أن تغلبه  
 عينه فوقف قبل أن ينام الصغير ويكسل الكبير وعن مالك بن دينار قال سألت أنسًا عن هذه الآية  
 فقال كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأوائل يصلون المغرب  
 ويصلون بعدها إلى العشاء الآخرة فتزلت هذه الآية فيهم وعن ابن أبي حازم قال هي ما بين  
 المغرب والعشاء صلاة الأوابين وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى  
 تتعابى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وعن معاذ بن جبل أيضا قال كنت  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قرييا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله  
 أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من  
 يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج  
 البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم حنة والصدقة تطاهق الخطيئة وصلاة الرجل  
 من جوف الليل ثم قرأت تجافي جنوبهم عن المضاجع حتى بالغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس  
 الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فأخذ  
 بلسانه فقال كف عنك هذا قلت يا رسول الله وأنا مؤخذون بما تكلم به فقال تكلمت أملك  
 يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم وعن كعب قال إذا حشر  
 الناس نادى مناد هذا يوم الفصل أين الذين تتعابى جنوبهم عن المضاجع أين الذين يذكرون  
 الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ثم يخرج عنق من نار فيقول أمرت بثلاث من جعل مع الله  
 الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل معتلانا أعرف بالرجل من الوالد بولده والمولد بوالده  
 ويؤمر بقراء المسلمين إلى الجنة فيحبسون فيقولون تحبسوننا ما كان لنا أموال وما كنا أمراء  
 وعن أبي امامة الباهلي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب  
 الصالحين قبلكم وقربا إلى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الآثام ومطردة للداء وعن ابن  
 مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه وحسافه  
 بين حبه وأهله إلى صلواته رغبة فيما عندي وثقفا عما عندي ورجل غزاني سبيل الله فأنزمت مع  
 أصحابه فعلم ما عليه من الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع حتى هرب قدمه وعن عائشة رضي  
 الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنتظر قدماء فقلت لم تصنع هذا  
 يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وعن علي أن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها  
 أعدت الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وأخرج  
 البيهقي في شعب الإيمان عن ربيعة الخريشي قال يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد

فيكونون ماشاء الله أن يكونوا ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم  
 ليقيم الذين تجب في جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون وفيهم قلة  
 ثم يلبث ماشاء الله أن يلبث ثم يعود فينادى المنادى سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقيم  
 الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم أكثر من الأولين ثم يلبث ماشاء الله  
 أن يلبث ثم يعود وينادى سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقيم الحياء دون على كل حال  
 فيقومون وهم أكثر من الأولين وأخرج ابن جرير عن ابن عباس تجب في جنوبهم عن المضاجع  
 يقول تجب في لذكر الله أما في الصلاة وأما في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله  
 \* ولما كان هجران المصعب قد يدور لغير العبادتين أنه لما بقوله تعالى مينا الحالمهم (يدعون)  
 أي داعين (ربهم) الذي عودهم بإحسانه ثم علاه بقوله تعالى (خوفا) أي من سخطه وعقابه فإن  
 أسباب الخوف من عقابهم كثيرة سواء أرفوا أسبابا يوجب خوفا أو لا لأنهم لا يأمنون مكر  
 الله لأنه يفعل ما يشاء (وطمعا) في رضاه الموجب الثوابه وقال ابن عباس خوفا من النار وطمعا  
 في الجنة وعبر به دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنتائجهم لا يعتدون أعمالهم شيئا بل  
 يطلبون فضله بغير سبب وان كانوا محتمدين في طابته \* ولما كانت العبادة تقطع غالبها من  
 التوسع في الدنيا رجمادعت نفس العابد إلى التمسك بما في يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة  
 وصفهم الله تعالى بقوله تعالى (ومما رزقناهم) أي بعظم تنال بحول منهم ولا قوة (يتفقون)  
 من غير اسراف ولا تقدير في جميع وجوه القرب التي شرعها الله فلا يبخلون بما عندهم اعتمادا  
 على الخلاق الرزاق الذي ضمن الخلق فهم عاضين لهم أو تقي منهم بما عندهم \* ولما ذكر تعالى  
 جزاء المستكبرين ذكر جزاء المتواضعين بقوله عز من قائل (فلا تعلم نفس) أي من جميع النفوس  
 مقربة ولا غيرها (ما أخنى) أي خنى (لهم) أي لهؤلاء المذكوريين من نتائج الغيوب  
 وخزائنها كما كانوا يخفون أعمالهم في الصلاة في جوف الليل وبالصدقة وبغير ذلك وقرأ  
 يسكون البيا والباقون بالفتح \* ولما كانت العين لا تفر فتجميع الاعتماد الاسن والسرور قال  
 تعالى (من قرءة عين) أي من شئ نفيس تقربه أعينهم لاجل ما ألقوها عن قرارها بالنوم ثم  
 صرح بما أفهمته فاء السبب بقوله تعالى (جزاء) أي أخفهاها لهم لجزائهم (بما) أي بسبب  
 ما (كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا روى البخاري في التفسير عن أبي هريرة  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت  
 ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة أقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخنى لهم  
 الآية وعن ابن مسعود قال انه لما كتوب في التوراة لقد أعد الله تعالى للذين تجب في جنوبهم  
 عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل  
 وانه لقي القرآن فلا تعلم نفس ما أخنى لهم من قرءة عين وعن ابن عمر قال ان الرجل من أهل  
 الجنة ليصبي فيشرف عليه النساء فيقلن يا فلان بن فلان ما أنت بمن خرجت من عندها بأولى بك  
 منافية قول ومن أنتن فيقلن نحن من اللاتي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخنى لهم من قرءة عين

جزء بما كانوا يعملون وعن عامر بن عبد الواحد قال بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث  
في مكان سبعين سنة ثم يلففت فاذا عوي بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك أن يكون  
لنامتك نصيب فيقول من أنت فتقول أنا مزيد فيمكث معها سبعين سنة ويلتفت فاذا هو  
بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول قد آن لك أن يكون لنامتك نصيب فيقول من أنت فتقول  
أنا التي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن سعيد بن جبيرة قال يدخلون  
عليهم على مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثمرات معهم نصف من الله من جنات عدن  
ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن كعب قال  
أوصف لكم منزل رجل من أهل الجنة كان يطلب حلالاً وبأكل حلال حتى لقي الله تعالى على  
ذلك فإنه يعطى يوم النيامة قسراً من لواؤة واحدة وليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون ألف  
غرفة وأسفل الغرف سبعون ألف بيت كل بيت سقفه صفائح الذهب والفضة ليس بموصول  
ولولا أن الله تعالى هضره النظر لذهب بصره من نوره غلظ الحائط خمسة عشر ميلاً وطوله في السماء  
سبعون ميلاً في كل بيت سبعون ألف باب يدخل عليه في كل بيت من كل باب سبعون ألف  
خادم لا يراهم من في هذا البيت ولا يراهم من في هذا البيت فاذا خرج من قصره سار في ملكه  
مثل عمر الدنيا يسير في ملكه عن يمينه وعن يساره ومن وراءه وأزواجه معه وايس معه ذكر غيره  
ومن بين يديه ملائكة قد هروا له وبين أزواجه سترو بين يديه سترو ووصاف ووصائف قد أفهموا  
ما يشتمى وما تشتمى أزواجه ولا يموت هو ولا أزواجه ولا خدامه أبداً فيهم يزداد كل يوم من  
غير أن يبلى الأول وقرّة عين لا تنقطع أبداً لا يدخل فيه روعة أبداً وعن أبي هريرة أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو أن أحد أهل الجنة رجل أصاف آدم من دونه  
فوضع لهم طعاماً وشرباً حتى خرجوا من عنده لا ينقصه ذلك شيئاً مما أعطاه الله وعن سهل بن  
سعد قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى ثم قال فيها ما لا  
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية قال  
القرطبي أنهم أخفوا عمداً وأخفي لهم ثواباً تقدموا على الله ففترت تلك الآية وعن أبي أيمن  
قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وأيتها فضة وترابها  
المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وأيتها ذهب وترابها المسك والثالثة أولو  
وأرضها الولو ومساكنها الولو وأيتهم الولو وترابهم المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ملاعين رأت  
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلاه هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين  
الآية وعن المغيرة بن شعبه يرثع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأل ربه  
فقال أي رب أي أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل يحيى بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له  
ادخل فيقول كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك  
مثل ما كان لك من ملوك الدنيا فيقول نعم أي رب قد رضيت فيقال له فان لك هذا وعشرة أمثاله  
عنه فيقول قد رضيت أي رب فيقال له فان لك هذا وما اشتمت نفسك ولذت عينك فقال موسى

أي رب فأى أهل الجنة أرفع منزلة قال أياها أردت وسأحدثك عنهم أني غرست كرامتهم بيدي  
 وختمت عاينها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصدق ذلك في كتاب الله  
 فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين \* ونزل في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه والوليد  
 ابن عقبة بن أبي معيط أخى عثمان لأمه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة لعلي أسكت فأنك صبي  
 وأنا شيخ وأنا والله أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ منك حشوا  
 في الكتبية فقال له علي أسكت فأنك فاسق (فمن كان مؤمنا) أي راسخا في التصديق بجميع  
 ما أخبرت به الرسل (لمن كان فاسقا) أي راسخا في الفسق خارجا عن دائرة الأذعان وقال تعالى  
 (لا يستويون) ولم يقل تعالى لا يستويون لأنه لم يرد. ومنا واحد أو فاسقا واحدا بل أراد  
 جميع المؤمنين وجميع الفاسقين فلا يستوي جمع من هؤلاء يجمع من أولئك ولا يفرد بفرد قال  
 قتادة لا يستويون لافي الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة \* ولما نفي استواءهم أتبعه حال كل على  
 سبيل التفصيل وبدأ بحال المؤمن بقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا) أي تصديقا بالآياتهم  
 (الصالحات) أي الطاعات (فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي إليها المؤمنون قائم المأوى  
 الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وهي نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد وآه نزله  
 أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال تأوى  
 إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن عيين العرش (نزلا) أي عداد الهمة أقل قدومههم قال  
 البقاعي كما هي اللصيف على ملاح أي عند قدومه (بما) أي بسبب ما (كانوا يعملون) من  
 الطاعات فإن أعمالهم من رحمة ربهم وإذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك هو  
 لعمرى ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر  
 وهم كل لحظة في زيادة لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها فإياها أن تخضع أو يغرثك لمجد \* ثم نفي بحال  
 الكافر بقوله تعالى (وأما الذين فسدوا) أي خرجوا عن دائرة الإيمان الذي هو معدن التواضع  
 وأهل للمساخبة والملازمة (فأوأهم النار) أي التي لا صلاحية فيها للإيوان يوجد من الوجوه  
 ملحوظة \* ومنزلهم أي فالنار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا) أي وهم محتمون  
 فكيف إذا أراد بعضهم (أن يخرجوا منها) بأن يخيل إليهم ما يظنون به القدرة على الخروج  
 منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من محيط الأدلة ومن دائرة الطاعات إلى ميدان المعاصي  
 والزلات فيعالجون الخروج فاذا ظنوا أنه يسر لهم وهم بعد في غمراتها (أي يدوا فيها) فهو عبارة  
 عن خلودهم فيها (وقيل لهم) أي من أي قائل وكل بهم (ذوقوا عذاب النار) أهانة لهم  
 وزيادة في تعذيبهم وقوله تعالى (الذي كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وجوزأبر البقاء أن يكون  
 صفة للنار فإن ذكر على معنى الجحيم والحريق \* ولما كان المؤمنون الآن يتمنون أصابتهم  
 بشئ من الهوان قال تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا قال الحسن  
 هو مصائب الدنيا واسقامها وقال عكرمة الجوع بمكة - سبع - نين أكلوا فيها الجيف والعظام  
 والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يدم بدر (دون العذاب الأكبر) وهو ذاب



الآخرة فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة (فإن قيل) ما الحكمة في مقابلة الآخرة  
بالأكبر والآخرة في مقابلة الأقصى والأكبر إنما هو في مقابلة الأصغر (أجيب) بأنه  
حصل في عذاب الدنيا أمران أحدهما أنه قريب والآخرة قليل صغير وحصل في عذاب  
الآخرة أيضاً أمران أحدهما أنه بعيد والآخرة عظيم كبير لكن العرف في عذاب الدنيا  
هو أنه الذي يصلح للتخويف فإن العذاب الآخرة وإن كان قليلاً فلا يحترز عنه بعض الناس  
أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلاً وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض  
الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به هو  
العظيم والكبير لا البعيد لما ذكر فقال في عذاب الدنيا العذاب الآخرة العاقل ولو قال  
تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلاً وقال في  
عذاب الآخرة إلا كبير لذلك الممتنع ولو قال من العذاب إلا بعد الأقصى لما حصل التخويف به  
مثل ما يحصل بوصفه من الكبير (لعمركم يرجعون) إلى الإيمان أي من بقي منهم بعد بدر (فإن قيل)  
ما الحكمة في هذا الترحي وهو على الله تعالى محال (أجيب) بوجهين أحدهما معناه  
لنذيقنهم إذا ذاقه الراجي كتوابعه تعالى إلى الناس بنا كما يعني تركناكم كما يترك الناس حيث لا يلتفت  
إليه أصلاً كذلك ههنا والثاني نذيقنهم العذاب إذا ذاقه يقول القائل لهم يرجعون بسببه  
(ومن) أي لا أحد (أظلم ممن ذكرنا آيات ربه) أي القرآن (ثم أعرض عنها) فلم تفكر فيها و  
لا تستبعد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكر بها عقلاً  
كافي بيت الحماسة

وما يكشف الغماء إلا ابن حرة \* يرى غمرات الموت ثم يزورها

أي لا يكشف الأمر العظيم إلا الرجل كريم موصوف بمأذكرو الغماء بتشديد الميم والمدأي  
في مدة اقتحام الحرب والشاهد في قوله ثم يزورها إذا المعنى أنه استبعد أن يزور غمرات الموت  
بعد أن رآها واستيقننها وأطلع على شدتها (إنامن الجرمين) أي الكافرين (منتقمون) وعبر  
بصيغة العظمة تنبيهها على أن الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد  
العذاب في الظالمين فكيف إذا كانوا أظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم  
في الدنيا أما باطنها بالاستدراج بالنعم وأما ظاهرها بإحلال النقم وفي الآخرة بدوام العذاب على  
مزالها وبقدر الأصول الثلاثة وعاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله  
تعالى لتندرقوم ما آتاهم من نذير بين أنه ليس بدعاً من الرسل بقوله تعالى (واقعدنا نينا  
موسى الكتاب) أي الجامع للأحكام وهو التوراة فكان ذلك رسل مثلك وذكر موسى عليه  
السلام لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو أقول من أنزل عليه كتاب من أنبياء بني إسرائيل  
بعد فترة كثير من الأنبياء بينه وبين يوسف عليهما السلام ولم يحترز عيسى عليه السلام لذلك  
والاستدلال لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى  
عليه السلام فذكر المجمع عليه (فلا تكن في مرتبة) واختلف في الهاء في قوله تعالى (من آتاه) على

أقوال أحدها أنهم اعاندة على موسى عليه السلام والمصدر مضاف لمفعوله أي من لقاء موسى ليلة الاسراء وامتحن المبرد الزجاجي هذه المسئلة فأجاب بما ذكر قال ابن عباس وغيره المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت ليلة أسرى موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً مريوماً إلى الحرة والبياض سبط الرأس ورأيت ملكاً خازن النار والرجال في آيات أراهن الله آياه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكنيب الأحمر وهو يصلي في قبر (فان قيل) قد صح في حديث المعراج أنه راه في السماء السادسة وسراجه في أمر الصلاة فكيف الجمع بين هذين الحديثين (أجيب) بأنه يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكنيب الأحمر قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس فلما صعد إلى السماء السادسة وجدته هناك قد سبقه لما يريد الله تعالى وهو على كل شيء قدير (فان قيل) كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الآخرة وهي ليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون (أجيب) عن ذلك بأجوبة الأول أن أنبياء أفضل من الشهداء والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن تنفى ويفضوا إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجمهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكروا الشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فابعبد يعبد ربه تعالى في الجنة أتمماً كما يعبد في دار الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار مثل حال الملائكة الذين قال الله تعالى في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي مقتضى الطبع ناهياً أن الضمير يعود إلى الكتاب وحينئذ يجوز أن تكون الأضافة للنساء أي من لقاء الكتاب لموسى أو المفعول أي من لقاء موسى الكتاب لأن اللقاء تصح نسبه إلى كل منهما لأن من لقيه فقد لقيه قال السدي المعنى فلا تكن في مرية من لقائه أي تلتقي موسى كتاب الله تعالى بالرضا والقبول نالها أنه يعود على الكتاب على حذف مضاف أي من لقاء موسى كتاب موسى رابعها أنه عائذ على ملك الموت عليه السلام لانه قد ذكره خامسها يعود على الرجوع المنهوم من قوله إلى ربكم ترجعون أي لا تكن في مرية من لقاء الرجوع سادسها أنه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلى به موسى من الابتلاء والامتحان قاله الحسن أي لا بد أن تلتقي ما لقي موسى من قومه واختار موسى عليه السلام الحكمة وهي أن أحد من الأنبياء لم يؤذ من قومه إلا الذين لم يؤمنوا وأما الذين آمنوا به فلم يخال قومه غير قوم موسى عليه السلام فان لم يؤمن به آذاه كفره ومن آمن به نجي

اسرائيل آذنه أيضا بالخالفه فطلبوا أشياء مثل رؤية الله جهره وكقولهم اذهب أنت وديك فقاتلا  
وأظهر هذه الاقوال أن الضعير اما موسى واما الكتاب واختلف في الضعير أيضا في قوله تعالى  
(وجهناه) على قولين أحدهما يرجع الى موسى أي وجعلنا موسى (هدى) أي هاديا (لبنى  
اسرائيل) كما جعلنا الهانبا تمتك والثاني أنه يرجع الى الكتاب أي وجعلنا كتاب موسى  
هاديا كما جعلنا كتابك كذلك (وجعلنا منهم) أي من أنبيائهم وأخبارهم (أفعمه يدون) أي  
يرفعون البيان ويعملون على حسبه (بأمرنا) أي بما نزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من  
أمتك صحابة يهدون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم  
اهتديتم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة قبل الميم ولهيم أيضا البداهيات  
وحققها الباقون ومد هشام بين الهمزتين بخلاف عنه وقوله تعالى (لما صبروا) قرأ حمزة  
والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي بسبب صبرهم على دينهم وعلى البلا من عدوهم  
ولاجله وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبرهم على ذلك وان كان الصبر أيضا  
انما هو بتوفيق الله تعالى (وكانوا باياتنا) الدالة على قدرتنا ووجداننا لما الهامن العظمة  
(يرفتون) أي لا يرتابون في شيء منها ولا يعجبون فعل الشاقيها بالاعراض \* ولما أفهم قوله  
تعالى منهم انه كان منهم من يضل عن أمر الله قال الله تعالى (ان ربك) أي المحسن اليك  
بارسالك لي عظم ثوابك (هو) أي وحده (يفصل بينهم) أي بين الهادين والمهدين والضالين  
والمضلين (يوم القيامة) بالقضاء الحق (فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين لا يخفى  
عليه شيء منه وأما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو عليهم وما اختلفوا فيه لا على وجه  
القصدي يقع في محل العقوبة \* ولما أعاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى (أولم يهد)  
أي بين كآرواه البخاري عن ابن عباس (لهم كم أهلكا) أي كثرة من أهلكا (من قباهم من  
القرون) الماضين من المعرضين عن الآيات ونجينا من آمن بها وقوله تعالى (عشرون) حال  
من ضمير لهم (في مساكنهم) أي في أسفارهم الى الشام وغيرها كما كن عاد وثمود وقوم لوط  
في عتبروا (ان في ذلك) أي الامر العظيم (لايات) أي دلالات على قدرتنا (أفلا يسمعون)  
سمع تدبر واتعاط فيتعظوا بها (أولم) أي يقولون في انكار البعث أئذا ضلنا في الارض ولم  
(يروا أنا) عالنا من العظمة (نسوق الماء) أي من السماء أو الارض (الى الارض الجرز  
أي التي جرت نبتاتها أي قطع بالبيس والشمس أو بأيدي الناس فصارت ملساء لانيات فيها وفي  
البخاري عن ابن عباس انما التي لا تظن الا مطر الا بغنى عنها شيئا لا يقال للتي لا تبت كالسباح  
جرز ويدل عليه قوله تعالى (فخرج به) من اعماق الارض بذلك الماء (زرعا) أي بتالاساق  
له باختلاط الماء بالتراب وقبل الجرزا هم موضع باليمن (تأكل منه أفعالهم) أي من حبه وورقه  
وتبنيه وحشيشه (وأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات وقدم الانعام لوقوع الامتنان بها الات  
بها اقوامهم في معاشهم وأبدانهم ولان الزرع غذاء للدواب لا يتمنه وأما غذاء الانسان  
فقد يصلح للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الانسان يأكل من الحيوان (فان قيل)

في سورة عبس قدم مالا نسا أولافا لحكمة (أجيب) باق لسباق فيها الطعم م الانسان الذي  
 هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان الى طعامه ثم قال أتبتنا فيها حبا وذكر من طعامه  
 من العنب وغيره ما لا يصلح للانعام فقدمه وهذا السباق لمطلق اخراج الزرع وأول صلاحه انما  
 هو لا كل الانعام ولا يصلح للانسان \* ولما كانت هذه الآية مبصرة قال (أفلا يبصرون) هذا  
 فيعلموا أنا نقدر على اعادتهم بخلاف الآية الماضية فانها كذت مسبوقة فقال أفلا يبصرون  
 \* ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى (ويقولون) أي مع هذا البيان الذي ليس  
 معه خفاء (متى هذا الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم  
 نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة (ان كنتم صادقين) أي  
 عريقين في الصدق بالاخبار بأنه لا بد من وقوعه حتى تؤمن اذا رأيتناه قال الله تعالى لنبيه صلى  
 الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الجاهلة (يوم الفتح) أي الذي تبتهزؤون به وهو يوم القيامة  
 (لا يفتح الذين كفروا) أي غطوا آيات ربهم التي لا يخفونها سواها في ذلك أنتم وغيركم من اتصف  
 بهذا الوصف (إيمانهم) لانه ليس ايمانا بالغيب (ولا هم يتظنون) أي يهلون في ايقاع العذاب بهم  
 لحظة تامن منتظرا (فان قيل) قد سألتوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن  
 سؤالهم (أجيب) بأنه ~~كان~~ غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه  
 التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما علم من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا  
 بعد ولا تستهزؤا فكاثي بكم وقد حصلت في ذلك اليوم وأمنت فلم ينفعكم الايمان واستنظرتهم  
 في ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قيل) من فسر يوم الفتح أو يوم بدر كيف يستقيم على  
 تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقة يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (أجيب) بأن المراد  
 أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كالم ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الفرق  
 وقوله تعالى (فأعرض عنهم) أي لا تبال بكذبيهم (وانتظر) أي انزال العذاب بهم (انهم  
 منتظرون) أي بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك كان ذلك قبل الامر بقتالهم وقيل  
 انتظر عذابهم يقينك انهم منتظرونه بانفهام استهزاء كما قالوا فأتا بمتعدنا وعن أبي هريرة قال  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في النجوى يوم الجمعة الم تنزيل أي في الركعة الاولى وهل  
 أتى على الانسان أي في الركعة الثانية وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى  
 يقرأ تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة ومن قرأهما  
 كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 من قرأ سورة الم تنزيل أعطى من الاجر كمن أحيا ليلة القدر وقول البيضاوي تبعا للزمخشري  
 عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام قال شيخنا  
 ابن حجر لم أجده والله تعالى أعلم بالصواب

﴿ سورة الاحزاب مدنية ﴾

وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وعشرون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفاً وعن  
أبي ذر قال قال أبي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثاً وسبعين آية قال والذي يحلف  
به أبي بن كعب ان كانت تعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة  
اذا زنيا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسخ من  
القرآن وأما ما حكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكثرها الداجن فن تأليفات  
الملاحدة والروافض (بسم الله) الذي مهما أراد كان (الرحمن) الذي شئت رحمة كل موجود  
بالكفر والجلود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف عليه ونزل في أبي سفيان وعكرمة بن  
أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي  
راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكافوه فقام  
معهم عبد الله بن سعد بن أبي مسرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عرب  
ان الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك  
فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله انك لن تفي قتلهم فقال اني قد  
أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن  
يخرجهم من المدينة (يا أيها النبي اتق الله) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان أهل مكة  
منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن قوله  
على أن يعطوه شطراً ومالههم وخوفه المنافقون من اليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فأنزل الله  
تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائماً أي ائبت  
قائماً فسقط بذلك ما يقال الامر بالشئ لا يكون الا عند اشتغال المأمور بغير المأمور به اذ لا يصح  
أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي صلى الله عليه وسلم كان متقبلاً لان الامر  
بالدائمة يصح في ذلك فيقال للجالس اجلس هنا حتى آتيتك ويقال للساكت قد أحسنت  
فاسكت نسلم أي دم على ما أنت عليه وأيضاً من جهة العقل ان الملائكة تقي منه عادة على ثلاثة  
أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه  
فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا بالثاني وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه مادام  
في الدنيا فكيف والامور البسنية شاغلة فالآدمي في الدنيا تارة مع الله والاخرى مقبل على  
مالا بد منه وان كان معه الله ولهذا أشار بقوله عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر مثلكم  
يوحى الى يعنى برفع الحجاب عنى وقت الوحي ثم أعود اليكم كما نى منكم فأمر بتقوى توجب  
ادامة الحضور وقال الضحك المعناه اتق الله ولا تنقض الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع  
النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة (تنبيه) جعل الله تعالى نداً نبيه صلى الله عليه وسلم  
بالنبي والرسول في قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحترم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل  
اليك وترك نداً باسمه كما قال تعالى يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفاً وتوحيها  
بفضله (فان قيل) ان لم يوقع اسمه في النداء فقد وقع في الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله

وما محمد الرسول (أجيب) بأن ذلك لتعليم الناس أنه رسول الله وتلقين لهم أن يسجدوا بذلك  
ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاختيار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاختيار  
كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان  
لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم  
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي إن الله وملائكته يصلون على النبي وقرأ نافع النبي بالهمز  
والباقون بغير همز \* ولما وجه إليه صلى الله عليه وسلم الأمر بنحية الولي الودود أتبعه النبي  
عن الالتفات نحو العدو والحسود بقوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) في شيء من  
الاشياء لم يتقدم اليك من الخالق فيه أمر وان لاح لا تخ خوف أو برق رجاء فجابهم واحترس منهم  
فانهم أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمناذة قال أبو حيان سبب  
نزولها أنه روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يحب اسلام اليهود وقاتبته ناس على  
النفاق وكان يلين لهم جانبهم وكأوا يظهرون النصائح من طريق الخادعة فنزلت تحذير الله منهم  
وتنبها على عداوتهم انتهى وبهذا سقط ما قيل لم خص الكافر والمنافق بالذكر ولان ذكر غيرهما  
لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الامطاعا ولان كل من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته  
فهو كافر أو منافق لان من يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ايجاب معتقدا أنه ان لم يفعل  
يعاقبه بحق يكون كافرا أو قرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي الكافرين بالامالة محضه وورش  
بين وبين والباقون بالفتح \* ثم قال تعالى الامر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليهم ما  
واللزوم بقوله تعالى (ان الله) أي بعظيم كماله (كان) ازلا وأبدا (علما) أي شامل العلم (حكما)  
أي بالغ الحكمة فهو تعالى لم يأمرك بأمر الا وقد علم ما يترتب عليه وأحكم اصلاح الحال فيه  
\* ولما كان ذلك مقهرا للمخالفة كل ما يدعو اليه كافر وكان الكافر رجعا إلى شيء من مكارم  
الاخلاق قيده بقوله تعالى (واتبع) أي بغاية جهدهك (ما يوسى) أي يلقي القاء خفيا كما يفعل  
المحب مع حبيبه (اليك من ربك) أي المحسن اليك بصلاح جميع أمرك وأتى موضع الضمير  
بالظاهر ليبدل على الاحسان في التريفة لتقوى على امثال ما أمرت به الآية السالفة \* ولما  
أمره باتباع الوحي رغبه فيه بالتعليل بأوضح من التعليل الاول في أن مكرهم خفي بقوله  
تعالى مذكرا بالاسم الاعظم بجميع ما يدل عليه من الاسماء الحسنى زيادة في التقوى على  
الامثال مؤكدا للترغيب (ان الله) أي بعظمته وكماله (كان) ازلا وأبدا (بما يعملون) أي  
الفريقان من المكابدين (خبيرا) أي فلاتهم بشأنهم فانه سبحانه كافيكه وان تعاطم  
وقرأ أبو عمرو وبما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء على الغيبة على ان الواو ضمير الكفرة  
والمنافقين والباقون بالتاء على الخطاب فيها \* ولما كان الآدمي موضع الحاجة قال تعالى  
(وتوكل) أي دع الاعتماد على التدبير في أمورك واعتمدها (على الله) أي المحيط علما  
وقدره فانه يكفيك في جميع أمورك (وكفى بالله) أي الذي له الامر كله على الاطلاق (وكيلا)  
أي موكولا اليه الامور كلها فلا تلتفت في شيء من أمرك الى غيره لانه ليس لك قلبان تصرف كل

واحد منهم الى واحد كما قال تعالى (ما جعل الله) أى الذى له الحكمة البالغة والعظمة  
 الباهرة (لرجل) أى لاحد من بنى آدم ولا غيره وعبر بالرجل لانه أقوى جسمًا وفهماً فيفهم غيره  
 من باب أولى وأشار الى التأكيد بقوله تعالى (من قلبي) وأكده الحقيقة وقزرها وجلالها  
 وصورها بقوله تعالى (في جوفه) أى ما جمع الله تعالى قلبي في جوف لان القلب معدن  
 الروح الحيوانى المتعلق للنفس الانسانى أولاً ومنبع القوى بأسرها ومدير البدن بإذن الله  
 تعالى وذلك يمنع التعدد (وما جعل أزواجكم اللاقى) أباح لكم التمتع بين (تظاهرون منهن)  
 كما يقول الانسان للواحدة منهن أنت على كظهر أُمى (أنتها تكم) بما حرم عليكم  
 من الاستمتاع بين حتى تجعلوا ذلك على التأييد وترتبوا على ذلك أحكام الامتهات لها  
 (وما جعل أديعاءكم) جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه (أبناءكم) حقيقة ليجعل لهم ارتكهم  
 ويحترم عليكم حلالهم وغير ذلك من أحكام الانشاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كالم يرفى  
 حكمته أن يجعل للاندان قلبي لانه لا يخلو أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من  
 أفعال القلوب فأحدهما أفضله غير محتاج اليها وأما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك  
 فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً على ما ظاننا موقناً كافي حاله واحدة  
 لم ير أيضاً ان تكون المرأة الواحدة أمال رجل زوجها لان الام مخدومة مخفوض لها الجناح  
 والمرأة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوك وهما حالتان متناقضتان ولم ير  
 أيضاً أن يكون الرجل الواحد عدداً لرجل وابنه لان البنية اصالته فى النسب وعراقته فيه  
 والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد أن يكون أصيلاً غير  
 أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيراً وكانت  
 العرب فى جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام اعتمه خديجة فلما تزوجها  
 النبى صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فغيرا اختيار النبى صلى الله عليه وسلم فقال  
 له أبوه وعمه يا زيد أختار العبودية على الربوبية قال ما أنا بفارس هذا الرجل فلما رأى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه أعتقه وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حذرة بن عبد المطلب  
 فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وحكاه كانت تحت زيد بن حارثة قال  
 المنافقون تزوج امرأته ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فيه وكذا قوله  
 تعالى ما كان محمد أباً أحدهم من رجالكم وروى ان رجلاً كان يسمى أباهم محمد بن محمد  
 الفهرى وكان رجلاً ليلاً حافظاً لما سمع فتسالت قريش ما حفظ أبوه عمره هذه الاشياء الاولة  
 قلبان وكان يقول لى قلبان أعقل بكل واحد منهما ما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله تعالى  
 المشركين يوم بدر انهم هزموا بمهم فلقية أبو سفيان وهو علق احدى نعليه بيده والاخرى  
 فى رجله فقال له ما فعل الناس فقال له بين مقتول وهارب فتسأل له فيما بالك احدى نعليك فى  
 رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا أنهم ما فى رجلى فأكذب الله تعالى قوله وقولهم  
 وضربه مثلاً فى الظهار والنبي وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم

الله تعالى وقيل سمى في صلته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن  
 الحسن نزلت في أن الواحد يقول لي نفسان نفس تأمرني ونفس تنهاني (فان قيل) ما وجه  
 تعدية الظهار واخواته بن (أجيب) بأن الظهار كان طلاقاً في الجاهلية فكانوا يتجنبون  
 المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تطاهر منها بعدتها جهة الظهار فلما  
 تضمن معنى التباعد منها عدى بن (فان قيل) ما معنى قولهم أنت على كظهر أمي (أجيب)  
 بانهم أرادوا ان يقولوا أنت على حرام كبطن أمي فكأنوا عن البطن بالظهر لثلايد كروا البطن  
 الذي ذكره يقارب ذكر الفرج لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يبي به أحدهم على عمود بطنه  
 أراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محترماً عندهم  
 محظوراً وكان أهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول  
 فلقد صد المطلق منهم الى التعليل في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله  
 كظهر أمه وهو منكر وزور وفيه كفاية كما سيأتي ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة وقرأ ابن  
 عامر والكوفيون اللاني بالهمزة المكسورة والياء بعدها في الوصل وسهل الياء كالهزمة ورش  
 والبري وأبو عمرو مع المد والقصر وعن أبي عمرو والبري أيضاً الباء الساكنة مع المد لا غير  
 وقالون وقيل بالهمزة ولا ياء بعدها وقرأ تطهرون عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها  
 وكسر الهاء مخففة وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والظاء مخففتين وألف بعد الظاء وفتح الهاء  
 مخففة وابن عامر كذلك الا أنه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء مع تشديد الظاء  
 والهاء ولا ألف بعد الظاء وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى كل ما ذكرنا الى الاخير (قواكم  
 بأفواهكم) أي مجرد قول لسان من غير حقيقة كاهذيان (والله) أي المحيط علماً وقدرة وله  
 جميع صفات الكمال (يقول الحق) أي ماله حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا قدرة  
 لاحد على نقضه فان أخبر عن شيء فهو كما قال (وهو) أي وحده (يهدي السبيل) أي يرشد  
 الى سبيل الحق \* ولما كان كانه قيل فمناقول اهدنا الى سبيل الحق قال تعالى (ادعوهم) أي  
 الادعاء (لا بآئهم) أي الذين ولدوهم ان علموا ولذا قال زيد بن حارثة قال صلى الله عليه وسلم  
 من دعى الى غير آبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام وأخرجه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص  
 ثم عمل تعالى ذلك بقوله تعالى (هو) أي هذا الدعاء (أقسط) أي أقرب الى العدل من التبني  
 وان كان انما هو ازيد الشفقة على المتبني والاحسان اليه (عند الله) أي الجامع لصفات الكمال  
 وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كئدهوا الا زيد بن محمد  
 حتى نزل القرآن ادعوهم لا بآئهم الآية وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل  
 وظرفه ضممه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال  
 فلان ابن فلان أما اذا جهلوا فهو ما ذكره بقوله تعالى (فان لم تعلموا آباءهم) جهل أصلي أو طارئ  
 (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) ان كانوا دخلا في دينكم أي قولوا لهم اخواننا  
 (ومواليكم) ان كانوا محترمين أي قولوا موالى فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا لهم آباء فسبواهم



اخوانكم في الدين أى أن تقول عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله وأشباهم من الاسماء وأن  
 يدعى الى اسم مولاه وقيل مواليكم أو لياؤكم في الدين \* ولما كان عادتهم الخوف مما سبق  
 من أحوالهم على النهى لشدة ورعهم أخبرهم انه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ وساقه  
 على وجه يعم ما بعد النهى أيضا بقوله تعالى (وليس عليكم جناح) أى اثم وميل واعوجاج وعبر  
 بالطرف ليفيد ان الخطأ لا اثم فيه بوجه ولو عبر بالباء لظن ان فيه انما ولكن يعنى عنه فقال  
 تعالى (فمما أخطأتم به) أى من الدعاء بالبنوة والمظاهرة أو في شئ قبل النهى أو بعده ودل قوله  
 تعالى (ولاكن ما) أى الاثم فيما (تعمدت قلوبكم) على زوال الجرح أيضا وقوع بعد النهى  
 على سبيل النسيان أو سبق اللسان ودل تأييد الفعل على انه لا يعمد بعد البيان الشافي  
 الا قلب فيه رخصة الاثمة ودل جمع الكثرة على عموم الاثم ان لم ينه المتعمد \* (تبيهه) \* يجوز  
 في ما هذ وجهان أحدهما ان تكون مجرورة المحل عطف على ما الجرورة قبلها بنى والتقدير  
 ولكن الجناح فيما عمدت كما مررت الاشارة اليه والثانى أنهما رفوعة المحل بالابتداء والخبر  
 محذوف تقديره توأخذون به أو عليكم فيه الجناح ونحوه ولما كان هذا الكرم خاصا  
 بما تقدم عم سبحانه وتعالى بقوله (وكان الله) أزلا وأبدا (عقورا) أى من صفته السترايل يبلغ  
 على المذهب التائب (رحيما) به ولما نهي تعالى عن التبنى وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبني  
 زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على أبيه وعمه كما مر عمل تعالى النهى فيه بالخصوص بقوله تعالى  
 دالا على ان الامر أعظم من ذلك (النبي) أى الذى ينبتة الله تعالى بدقائق الاحوال في بدائع  
 الاقوال ويرفعه دائما في مراتب السكال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال (أولى بالمؤمنين) أى  
 الراخين في الايمان فغيرهم أولى في كل شئ من أمور الدين والدنيا لما حازه من الحضرة الربانية  
 (من أنفسهم) فضلا عن آباءهم في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم روى أبو هريرة رضى  
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة  
 اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأى مؤمن ترك ما لا فليته عصبته من كانوا  
 فان ترك ديننا أو ضياعا فليأتنى فأنا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول أنا أولى  
 بكل مؤمن من نفسه فأى رجل مات وترك ديننا فالى ومن ترك ما لا فهو لورثته وعن أبي هريرة  
 قال كان المؤمن اذا توفى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل هل عليه دين فان قالوا  
 نعم قال هل ترك وقاء دينه فان قالوا نعم صلى الله عليه وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وانما لم يصل  
 عليه صلى الله عليه وسلم أولا فيما اذالم يترك وفاقا لان شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد ورد  
 ان نفس المؤمن محبوسة عن مقامها الكريم ما لم يوف دينه وهو محمول على من قصر في وقائه  
 في حال حياته اما من لم يقصر لفقره مثلا فلا كما أوضحت ذلك في شرح المنهاج في باب الرحمن  
 وانما كان صلى الله عليه وسلم أولى بهم من أنفسهم لانه لا يدعوهم الا الى العقل والحكمة  
 ولا يأمرهم الا بما ينجيهم وأنفسهم انما تدعوهم الى الهوى والفتنة فتأمرهم بما يرددهم فهو  
 يتصرف فيهم تصرف الآباء بل أعظم بهذا السبب الرباني فأى حاجة الى السبب الجسماني

(وأزواجه أمهاتهم) أي المؤمنين أي مثلهن في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتن إكراماً له صلى الله عليه وسلم لاني حكم الخلوة والنظر والنظهار والمسافرة والنفقة والميراث وهو صلى الله عليه وسلم أب للرجال والنساء وأما قوله تعالى ما كان محمد أباً أحد من رجالكم فعناء ليس أحد من رجالكم ولد له وسياق ذلك ويحرم سؤالهن الامن وراء حجاب وسياق ما يتعلق بذلك ان شاء الله تعالى في محله وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بغيلام وهو يقرأ في المصحف النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم فقال يا غلام حكمت ما فقال هذا مصحف أبي فذهب اليه فسأله فسال انه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفاق بالاسواق ومعنى ذلك ان هذا كان يقرأ أولاً ونسخ لما روى عن عكرمة انه قال كان في الحرف الاول النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم وعن الحسن قال في القراءة الاولى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقوله تعالى (وأولوا الارحام) أي القرابات بأنواع النسب من البنوة وغيرها (بعضهم أولى) بحق القرابة (ببعض) أي في التوارث ثم نسخ لما كان في صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون بالخلف والنصرة فيقول ذمتي ذمتك ترثني وأرثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم نسخ بآية الموارث وبالآية التي في آخر الانفال وأعادها ناكيداً فان آية الموارث مقدمة ترتيباً ونزولاً على آية الانفال وآية الانفال على هذه كذلك وقوله تعالى (في كتاب الله) يحتمل ان ذلك في اللوح المحفوظ أو فيما أنزل وهو هذه الآيات المذكورة أو فيما فرض الله وما بين انهم أولى بسبب القرابة بين المفضل عليه بقوله تعالى (من) أي هم أولى بسبب القرابة من (المؤمنين) الانصار من غير قرابة مرجحة (والمهاجرين) أي ومن المهاجرين المؤمنين من غير قرابة كذلك وقوله تعالى (الآن تفعّلوا) استثناء منقطع كما جرى عليه الجلال المحلى أي لكن أن تفعّلوا (إلى أوليائكم معروفاً) بوصية فخائر ويجوز أن يكون استثناء من أعم العام كما قاله الزمخشري في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبي الا في الوصية تريدانه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعّلوا إلى لانه في معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (كان ذلك) أي ما ذكر من آيتي ادعوهم والنبي أولى وقيل أول ما نسخ من الآيات الارث بالايان والهجرة ثابتاً (في الكتاب) أي اللوح المحفوظ والقرآن (مسطوراً) قال الاصماني وقيل في التوراة قال البقاعي لان في التوراة اذ انزل رجل بقوم من أهل دينه فعليهم أن يكرموه ويواسوه وميراثه لذوى قرابته فالآية من الاحتياط أثبت وصف الايمان أو لا دليل على حذفه ثانياً ووصف الهجرة ثانياً دليل على حذف النصرة أولاً (وإذ) أي واذكر حين (أخذنا) بعظمتنا (من النبيين ميثاقهم) أي عهدهم في تليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم في الميثاق والمكره وفي تصديق بعضهم لبعض وفي اتباعك فيما أخبرنا به في قولنا لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقولهم أقررنا \* ولما ذكرنا أخذ على جميع الانبياء من

العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما أخذ عليهم من العهد في التبليغ بقوله تعالى  
 (ومنك) أي في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي المائدة يا أيها الرسول  
 بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تهتم بمرأعة  
 عدو ولا خليل حقير ولا جليل \* ولما أتم المراد اجالا وعموما وخصه صلى الله عليه وسلم من  
 ذلك العموم متبداً به لقوله صلى الله عليه وسلم كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث  
 لينا تشریفه ولأنه المتصوّر بالذات اتبعه بقية أولى العزم الذين هم أصحاب الكتب ومشاهير  
 أرباب الشرائع ورتبهم على ترتيبهم في الزمان لأنه لم يقصد المفاضلة بينهم بالتأسيمة بالمتقدمين  
 والمتأخرين قال (ومن يوحى) أول الرسل إلى المخالفين (وإبراهيم) أبي الأنبياء (وموسى) أول  
 أصحاب الكتب من بني إسرائيل (وعيسى بن مريم) خاتم أنبياء بني إسرائيل ونسبه إلى أمته  
 مناداة على من ضل فيه بدعوى الألوهية وبالتوبيخ والتسجيل بالقضية \* (تبيينه) \* ذكر هذه  
 الخمسة من عطف الخاسر على العام كما علم مما أقرّر وقوله تعالى (وأخذنا) أي بعظم تناق ذلك  
 (منهم ميثاقاً غليظاً) أي شديداً بالوفاء بما جملوه وهو الميثاق الأول وإنما كرر لزيادة وصفه بالغلظ  
 وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في باب وقيل الميثاق  
 الغليظ الميثاق على الوفاء بما جملوه ثم أخذ الميثاق (ليسأل) أي الله تعالى يوم القيامة  
 (الصادقين) أي الأنبياء الذين صدقوا وعهدهم (عن صدقهم) أي عما قالوه لتوهم تكليفاً  
 للكافرين بهم وقيل ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان  
 صادقاً في قوله وقيل ليسأل الأنبياء ما الذي اجابتهم به أمهم وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم  
 عن صدقهم بقولهم وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذاباً أليماً) أي مؤلماً معطوف على أخذنا  
 من النبيين لأن المعنى إن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لاجل إثابة المؤمنين وأعد  
 للكافرين عذاباً أليماً ويجوز أن يعطف على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال أناب المؤمنين  
 وأعد للكافرين وقيل أنه قد حذف من الثاني ما أثبت مقابله في الأول ومن الأول ما أثبت  
 مقابله في الثاني والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأجابهم ويسأل الكافرين عما كذبوا به  
 رسلهم وأعد لهم عذاباً أليماً ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من الأمر بتقوى الله تعالى بحيث  
 لا يبقى معه الخوف من أحد بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا) ورتبهم في الشكر بذكر  
 الاحسان والتصريح بالاسم الاعظم بقوله تعالى (نعمة الله) أي الملك الاعلى الذي لا كفه له  
 (عليكم) أي لتذكروهم علمها بالنفوذ لا مره وعبر بالنعمة لأنها المقصودة بالذات والمراد انعامه  
 يوم الاحزاب وهو يوم الخندق ثم ذكر وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها ليدكرهم ما كان فيه  
 منها بقوله تعالى (اذ) أي حين (جاءتكم جنود) أي الاحزاب وهم قريش وعظمان وود قريظة  
 والنضير وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام (فأرسلنا) أي  
 تسبب عن ذلك انما رأينا عجزكم عن مقابلتهم وبقاوتهم أرسلنا (عليهم ريحاً) وهي ريح الصبا  
 قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق بيصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التي ارسلت لهم الصبا الماروي ابن  
 عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبورلاق  
 الصبار يخ فيها روح ما هبت على محزون الا زال حزنه (وجنودا) أي وأرسلنا جنودا من  
 الملائكة (لم تروها) وكانوا الفاولم تقاتل يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت  
 الاوتاد وقلعت أطناب الفساطيط وأطذات النيران واكذأت القديور وجالت الخيل بعضها  
 على بعض وكثرت كبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان  
هلم الى واذا اجتمعوا عنده قالوا النجاء النجاء فانهم زعموا من غير قتال لما بعث الله تعالى عليهم من  
الرب (وكان الله) أي الذي له جميع صفات الجلال والجمال (بما يعملون) أي الاحزاب  
من التحزب والتجمع والمكرو وغير ذلك (بصيرا) أي بالغ الابصار والعلم \* (تنبيه) \* قال  
البخاري قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق وهي الاحزاب في شوال سنة أربع روى  
محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام  
ابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عمار  
الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حاربوا الاحزاب على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقالوا اناسه كون معكم عليه حتى نستأصله فقاتلهم قريش بامعشر يهود انكم أهل  
الكتاب الاول والعلم بما أصبغنا تخلف فيه فحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من  
دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب  
يؤمنون بالحبث والطاغوت الى قوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم  
ما قالوا ونشطوا المادعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ثم  
خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان فدعوهم الى ذلك وأخبروهم انهم سيكونون  
معهم عليه وان قريشا قد بايعوههم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن  
حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وبما جمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار به على النبي صلى الله  
عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان أول مشهد شهده سلمان رضي الله عنه مع النبي  
صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حرق قال يا رسول الله انا كتاب فارس اذا حوصرنا خندقنا علينا  
فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أكلوه وأحكموه قال أنس رضي الله عنه  
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد  
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجزع قال

اللهم ان العيش عيش الآخرة \* فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا \* على الجهاد ما بقينا أبدا

قال البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول  
والله لولا الله ما اهتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينتنا علينا \* وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الأولى قد بغوا علينا \* إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوتاً أبيضاً بيناً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش في  
عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان حتى نزلت بجمع الأسيال  
من رومة بين الجرف والغاية وأقبلت غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم  
عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن وانضفت لهم اليهود من قريظة والنضير حتى نزلوا  
إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع  
في ثلاثة آلاف من المسلمين فنضرب هناك أسكروا والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري  
والنساء فرفعوا إلى الآطام ومضى على الفريقين قريش من شهر لآخر بينهم الاتراحي بالنبل  
والجحارة وكان بنو غطفان من أعلى الوادي من قبل المشرق وقريش من أسفل الوادي من  
قبل المغرب كما قال تعالى (اذجأؤكم) وهو يدل من اذجأؤكم (من فوقكم) أي من أعلى  
الوادي (ومن أسفل منكم) أي من أسفل الوادي (واذ) أي واذا كرحين (زأغت الابصار) أي  
مالت عن سداد التصديق والواله الخزع بما حصل لهم من الغفلة الحاصلة من الرعب وقوله تعالى  
(وبلغت القلوب الحناجر) جمع خبيرة وهي منتهى الخلة قوم كناية عن شدة الرعب والخفقان  
قال المبتاعى ويجوز وهو الأقرب أن يكون ذلك حقيقة يجذب الطحال والرئة لها عند ذلك  
بانتفاخهما إلى أعلى الصدر ولهذا يقال للعبان التفتخ بخره أي رثته فلما اشتد البلاء على الناس  
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحرث بن عمرو وهما قائد غطفان  
فأعطاهما ثلث غمار المدينة على أن يرجعا عن مهاجمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
فجري بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لسعد بن مسعود بن عبادة واستشارهم فيه فقالوا يا رسول الله أشيأ أنزل الله تعالى به  
لا بد لنا من عمل به أم أمر تحببه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال لا والله بل لكم والله ما أصنع ذلك  
إلا إنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم  
شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان  
لأن عبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا مرة الا قرى أو يبعوا أخين أكرمنا الله تعالى  
بالإسلام وأعزنا الله تعالى بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى  
يحكمكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم أنت وذلك فتناول سعد رضى الله تعالى عنه  
الصحيفة فجاءها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر بن  
لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن

قوله ان الاولى قد  
بغوا هكذا في جميع  
النسخ وليس عوزون  
وتحريه ان الذين قد  
بغوا علينا كما  
في شرح المواهب

الخطاب ومرداس أخو محارب بن فهر قد تلبسوا للاقتتال وخرجوا على خيلهم ومر واعي بنى  
 كانه فقالوا لهم يا بني كانه فاستعملون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى  
 وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله ان هذمه ملكم دمة ما كانت العرب تكيد هاشم تيمه وامكان من  
 الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت فيه فحالت بهم في السجدة بين الخندق وسلع وخرج  
 على رضى الله تعالى عنه في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم  
 وأقبلت الفرسان تعنى نحوهم وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد  
 أحدا فلما كان يوم الخندق خرج مع الميبري مكانه فلما وقف هو وخيله قال له على يا عمرو انك كنت  
 تعاهد الله تعالى لا يدعوك رجل من قريش الى خصلتين الا أخذت منه احداهما قال له أجل قال  
 له على فاني ادعوك الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام قال لا حاجة لى  
 بذلك قال فاني ادعوك الى البراز قال ولم يا ابن اخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال على ولكنى  
 والله أحب أن أقتلك فخمى عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه ففقره أو ضرب وجهه ثم أقبل  
 على على فتنازلا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله مهزومة حتى اقتحمت من الخندق هاربة  
 وقتل مع عمرو رجلا من منبه بن عثمان أصابه سهم فمات بكفة ونوقل بن عبد الله المخزومي  
 وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتله أحسن  
 من هذمه فنزل اليه على رضى الله تعالى عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا حاجة لنا في جسده وغنمه فشا أنكم به نخل بينهم وبينه \* ولما نشأ عن هذا قلب التلويح  
 وتجدد ذهاب الافكار كل مذهب عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد بقوله تعالى (وتظنون  
 باقاه) الذى له صفات الكمال (الظنون) أى أنواع الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان  
 الله تعالى منجز وعده في اعلاء دينه أو تمجدهم فخافوا الزلزال وروى أن المسلمين قالوا بلغت  
 القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن  
 روعتنا وأما الضعاف التلويح والمنافقون فقالوا ما حكى الله عنهم فيما يأتى وقرأ نافع وابن عامر  
 الظنوننا هنا والرسول والاسبيلا في آخر السورة باثبات الالف في الثلاثة وقصار وصلوا وأبو عمرو  
 وحجرة يحدف الالف وقفا وصلوا قال الزمخشري وهو القياس والباقون بالالف في الوقف دون  
 الوصل زادوها في لقاصلة كما زادوها في القافية قال \* أقلى اللوم عاذل والعتابا \* ورسم الثلاثة  
 بالالف \* ولما كانت الشدة في الحقيقة انما هي للثابت لانه ما عنده الا الهلاك أو النصره قال  
 تعالى (هنالك) أى في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة (ابتلى المؤمنون) اختبروا فظهر المخلص  
 من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا) أى حركوا وأزعجوا بما يرون من الاهوال  
 بتطافر الاعداء مع الكثرة وتطير الارجيف (زلزالا شديدا) فثبتوا بتثبيت الله تعالى لهم  
 على عدوهم وعن صفية قالت تر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة  
 وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم من يدفع عنا ورسول الله

صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نحو وعد قومهم لا يستطيعون أن ينصرفوا اليئاعنهم اذا اتانا  
 قالت فقات يا احسان ان هذا اليهودى يطوف بنا كما ترى بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على  
 عورائنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه  
 فاقته فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا باصاحب هذا قالت فلما قال  
 ذلك ولم أر عنده شيئا احتجرت ثم أخذت يهودا ثم نزلت من الحصن اليه فضرته بالعمود حتى  
 قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا احسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه  
 الا أنه رجل قال ما لي بسلبه من حاجتي يا ابنة عبد المطلب وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتباعهم من فوقهم ومن أسفل  
 منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يا رسول الله  
 انى قد أسلت وان قومي لم يعلموا يا سلامى فرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما  
 أنت فينا رجل واحد فذل عذانا ان استطعت فأنما الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى  
 أتى قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بنى قريظة قد عرفت ودى اياكم وخاصة ما بينى  
 وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بعمتكم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا الحرب محمد وقد  
 ظاهروهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهنتكم البلدكم وبه أموالكم وأولادكم  
 ونسأؤكم لا تقدرن على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم  
 ونسأؤهم بغيره ان أوهمزة وغنمية أصابو عا وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم  
 وبين الرجل والرجل يبلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا  
 منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمد صلى الله عليه وسلم  
 حين تنجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب  
 ومن معه من رجال قريش قد عرفت ودى اياكم وفراقى محمد او قد بلغنى أمر رأيت أن حقا  
 على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا انهم قالوا انهم قالوا انهم قالوا انهم قالوا انهم  
 ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ  
 من القبيلتين من قريش وغطفان رجلا من أشرفهم فنعطيهم فقتضرب أعناقهم  
 ثم تكون معك على من بى منهم فأرسل اليهم أن نعم فان بعثت اليكم اليهودي يمتسون رهنا من  
 رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلى  
 وعشيرة وأحب الناس الى ولا أراكم تهتمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا انهم  
 ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة  
 خمس وكان ما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى  
 قريظة عكرمة بن أبي جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا اننا لنسأبنا ارم مقام قد هلك الخلف  
 والخافر فأعدوا للقتال حتى تساجر محمد صلى الله عليه وسلم ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم  
 ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف

عليكم ولست نأمن مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نتأجر محمد أصلي الله عليه وسلم فإنا نخشى أن ضرمتمكم الحرب واشتدت عليكم أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمان والله إن الذي حدثكم به نعيم ابن مسعود لحق فأرسلوا إلى بني قريظة أنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا فقاتلت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم به هذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الآن يسأتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن يكن غير ذلك استمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان أنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله تعالى بينهم وبعث الله تعالى عليهم الرياح في ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قلوبهم وتطرح آياتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم قال من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتيهم بخبرهم أدخله الله تعالى الجنة قال حذيفة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت إلينا فقال مثل ما سألت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت إلينا فقال ألامن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله رقت حتى أتيتته وإن جنبي يضطربان فمسح رأسي ووجهي ثم قال أنت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تتحدثن شيئا حتى ترجع إلي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمي وشددت على أسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كافي أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تعالى تفعل فيهم ما تفعل وأبوسفبان قاعد يصطلي فأخذت سهمي فوضعت في كبدي قوسي فأردت أن أرميه ولورميته لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تتحدثن شيئا حتى ترجع فرددت سهمي في كفاي فلما رأيت أبوسفبان ما تفعل الرياح وجنود الله تعالى بهم لا تقترلهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فتسال يامعشر قريش أياخذن كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت قال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان فإذا رجل من هوازن فقال أبوسفبان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد ذلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره وبلغنا من هذه الرياح ما ترون فأرتحلوا فاني مرتحل ثم قام إلى جملته وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب به على ثلاث فخأطلق عقباله إلا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كافي أمشي في حمام فأتيتته وهو قائم يصلي فلما أخبرته الخبر فضحك حتى بدت أنيابها في سواد الليل قال فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفا فأدناني النبي صلى



الله عليه وسلم فأنا مفي عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى بيطن قدميه فلم أزل  
 نائما حتى أصبحت فقال قم يا نومان \* ثم إن الله تعالى بين حال غير النابتين بقوله تعالى (واذ يقول  
 المنافقون) معتبرين قشير وقيل عبد الله ابن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي  
 ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) أي باطلا استدرجننا به إلى الانسلاخ عما كنا  
 عليه من دين آباءنا وإلى الثبات على ما صرنا إليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور هذا  
 الدين على الدين كله والتسكين في البلاد حتى حفر الخندق فإنه قال إنه أبصر بما رقى له من ضوء  
 حفرة سلمان مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى من الحيرة من أرض فارس وقصور الشام  
 من أرض الروم وإن تابعيه ليظهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى  
 في لبس سراقة بن مالك بن جعشم سوار كسرى بن هرمز كما هو مذكور في دلائل النبوة للبيهقي  
 وكذبوا في شكهم فنادوا المصدقون وخاب الذين هم في ريبهم يترددون (واذ قالت طائفة  
 منهم) أي من المنافقين وهم أم أوس بن قبطى وأصحابه (يا أهل يثرب) أي المدينة وقال أبو  
 عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها وفي بعض الأخبار  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أن تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كأنه كره تلك اللفظة  
 فعدلوا عن هذا الاسم الذي وسمها به النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسم الذي كانت تدعى به  
 قديما مع نبيه عنه واحتمال تحبه بأشبهتقائه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف وقال أهل  
 اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها مالا للعلمية والوزن  
 أو العلمية والتأنيث وأما يثرب بالثناة وفتح الراء فوضع آخر بالين قال الشاعر  
 وعدت وكان الخلف منك حجية \* مواعيد عرقوب أخاه يثرب

وقال آخر

وقد وعدتكم موعدا لووفت به \* مواعيد عرقوب أخاه يثرب

وقرأ (لامقام) حنص بضم الميم أي لا إقامة (لكم) في مكان القتال ومصارعة الأبطال  
 والباقون بنتحها أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) إلى منازلكم عن اتباع محمد  
 صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال إلى منازلكم \* ولما بين تعالى هؤلاء الذين هتكوا الستر  
 وينو ما هم فيه من سفول الأمر أتبعهم آخر بن تستروا ببعض الستر تسكين بأذيال النفاق خوفا  
 من أهوال الشقاق بقوله تعالى (ويستأذن) أي يجتهد كل وقت طلب الأذن لأجل الرجوع  
 إلى البيوت والكون مع النساء (فريق منهم) أي طائفة شأنها الشرقة (النبي) في الرجوع  
 وقد رأوا ما حواهم من علو المقادير به من حسن الخلق والخلق وماله من جلاله الشامل وكرم  
 الخصال وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يتولون) أي في كل قليل مؤكدين لعلمهم بكذبهم وتكذيب  
 المؤمنين قولهم (إن يوتنا) أو يجمع الكثرة إشارة إلى كثرة أصحابهم من المنافقين (عورة)  
 أي غير حصةهم الخلل كبير يمكن كل من أراد من الأحزاب أن يدخلها يدخلها منه وقيل  
 قصرة الجدران فإذا ذهبنا إليها حفظناها منهم وكفينا من يأتي الينا من مفسديهم حيا للدين

وذبا عن الاهلين وقر اورش وأبو عمرو وحفص يضم الباء والباقون بالكسر ثم كذبهم الله  
 تعالى بقوله تعالى (وما) أى والحال أنهما (هى بعورة) فى ذلك الوقت الذى قالوا هذا فيه  
 ولا يريدون بذهابهم حياتها (ان) أى ما (يريدون) باستئذانهم (الافرار) من القتال \* ولما  
 كانت عنيتهم مشقة بجلازمة دورهم فأظهروا الشدة والعناية بحمايتهم ازورابن تعالى  
 ذلك بقوله تعالى (ولو دخلت) أى بيوتهم أو المدينة وأنت القبل نصاعلى المراد وإشارة الى  
 أن ما ينسب اليهم جدير بالضعف وأنى بادة الاستعلاء بقوله تعالى (عليهم) إشارة الى أنه دخول  
 غلبة (من أقطارها) أى جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهرب وحذف الفاعل للايماء  
 بأن دخول هؤلاء الاحزاب ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه  
 (تم سئلوا) من أى سائل كان (افتنه) أى الشرك ومقاتلة المسلمين وقرأ (لا توهها) نافع وابن  
 كثير بتصرف الهمزة لجأؤها أو فعلوها والباقون بالمدى لا عطاها اجابة لسؤال من سألهم  
 (وما تلبثوا بها) أى ما احتبسوا عن الفتنة (الايسير) أى لا سرعوا الى الاجابة للشرك لطيبة  
 به انفسهم فعلم بذلك أنهم لا يقصدون الا الفناء ولا حفظ البيوت من المضار وهذا قول أكثر  
 المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من البيوت سمى بذلك لان الانسان لا يخرج منه  
 من بيته الا الموت أو ما هو يقاربه فكانه فتنة وعلى هذا يكون الضمير فى به اراجعا للبيوت  
 أو المدينة أى ما لبثوا بالبيوت أو بالمدينة بعد اعطاء الكفر الايسر حتى هلكوا (واقعد كانوا)  
 أى هؤلاء الذين أسرعوا الاجابة الى الفرار (عاهدوا الله) الذى لأجل منه (من قبل) أى  
 من قبل غزوة الخندق (لا يولون الا ديار) أى لا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة  
 هم وايوم أحد ان يفسلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا والمثلها  
 وقال قتادة هم أناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة  
 والفضيلة فأزالوا الذين شهدوا الله قتالنا لئلا نقاتل فساق الله تعالى اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي  
 هم سبعون رجلا يابى عوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك  
 ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربى ان تعبدود ولا تشركوا به شيئا واشترط  
 لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأرلادكم قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا  
 يا رسول الله قال لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال  
 البغوى وهذا القول ليس بمضى لان الذين يابى عوا اليه العقبة كانوا سبعين نفر ليس فيهم شاك  
 ولا من يقول مثل هذا القول وانما الآية فى قوم عاهدوا الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفرروا فنقضوا  
 العهد انتهى ولما كان الانسان قديما ون بالعهد لا عرض المعاهد عنه قال تعالى (وكان عهد  
 الله) المحيط بصفات الكمال (مسؤلا) أى عن الوفاء به ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم  
 بقوله تعالى (قل) أى لهم وأكذلظنهم نفع الفرار (ان يتبعكم الفرار) فى تأخير آجالكم فى وقت  
 من الاوقات الذى ما كان استئذانكم الا بسببه (ان فررتهم من الموت أو القتل) أى الذى كتب  
 لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتأخر بالفرار والالم يقصره الثبات كما كان على رضى الله

تعالى عنه يتول دهم الامر وتوقد الجمر واشتد من الحرب الحر أي يوحى من الموت أفر يوم  
 لا يقدر أو يوم قدر وذلك ان أجل الله الذي جعله محيطا بالانسان لا يقدر ان يعتاده أصلا (وإذا)  
 أي ان فررتم (لا تتعنون) في الدنيا بعد فراركم (الاقليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل فالعاقل  
 لا يرغب في شيء قليل ينوت عليه شيئا كثيرا \* ولما كان ربما يقولون بل يتفعلنا لانا طامرا ينامر  
 هرب فسلم ومن ثبت فاصطلم أمره الله تعالى بالجواب عن هذا بقوله تعالى (قل) أي لهم منكرا  
 عليهم (من ذا الذي يعصمكم) أي يجبركم ويعصمكم (من الله) المحيد بكل شيء قدرة وعلما في حال الفرار  
 وقبله وبعده (ان أراد بكم سوا) أي هلا كما وعزيمة فيرد ذلك عنكم (أو) يسيبكم بسوا ان  
 (أراد) أي الله (بكم رحمة) أي خيرا سماه بها لانه أثرها والمعنى هل احترزتم في جميع أعماركم عن  
 سوء أراده فتنفعكم الاحتراز أو اجتمد غير في منعكم رحمة منه فسم له أمره أو وقع الله بكم شيئا  
 من ذلك فتقدر أحد مع بذل الجهد على كسبه بدون اذنه ويمكن ان تكون الآية من الاحتياط  
 ذكر السوء أو لادليل على حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا لادليل على حذف ضدها أولا وهذا  
 بيان لقوله تعالى ان يتفعلكم الشرار وقوله تعالى (ولا يجردون لهم) أي في وقت من الاوقات  
 (من دون الله) أي غيره (وليا) أي يوالهم فينتفع بهم بنوع نفع (ولانصيرا) أي ينصرهم من  
 أمره فيرد ما أراد به من سوء عنهم تقرير بقوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من الله الآية  
 \* ولما أخبرهم تعالى بما علم مما وقعوه من أسرارهم وأمره صلى الله عليه وسلم بوغفاهم حذرهم  
 بدوام علمه عن يخون منهم بقوله تعالى (قد يعلم الله) الذي له احاطة الجلال والجمال (المعوقين  
 منكم) أي المشبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والثائلين لاخوانهم)  
 أي ساكني المدينة (هلم) أي اتوا واقبلوا (الينا) موهمين ان ناحيتهم مما يقام فيها القتال  
 ويواظب فيها على صالح الاعمال قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يفتطون أنصار رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ما محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلا كذبة رأس  
 ولو كانوا الجمال اتقهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل برزت في المنافقين  
 وذلك أن اليهود أرسلت الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان  
 ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحد فأنابوا شق عليكم أنتم اخواننا  
 وجيراننا فاهلم الينا فقبل عبد الله بن أبي و أصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخونونهم بابي  
 سفيان ومن معه وقالوا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا أن يقتلنا هنا انطلقوا بنا الى  
 اخواننا يعني اليهود فلم يزداد المؤمنون يقول المنافقين الا ايماننا واحتسابا (تنبيه) \* هلم اسم  
 صوت سمى به فعل مدة مثل احضرو قرب وأهل الجواز يسقون فيه بين الواجد والجماعة  
 وبلغتهم جاء القرآن العزيز وأما بنو تميم فتقول هلم يارب جل هلم يا رجب لان هلموا ياربون (ولا) أي  
 والحال انهم لا (ياتون البأس) أي الحرب أو مكانها (الاقليلا) أي للربا والسمعة بقدر ما يراهم  
 المخلصون فاذا اشتد فلو بالماركة وكفى كل منهم ما اليه تسلوا عنه لو اذا وعادوا عن لا يتفعلهم  
 من الخلق عيادا (أشعة) أي يفعلون ما تقدم والحال ان كلامهم شحيح (عليكم) أي يحصل

نفع منهم أو من غيرهم نفس أو مال \* (تنبيه) \* أمثلة جمع صحيح وهو جمع لا يقاس اذ يقاس فعمل  
الوصف الذي عينه ولا منه من واحد أو واحد أن يجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلاء وضنين واضناء  
وقدم مع أشباه وهو القياس والشح البخل وصفهم الله تعالى بالبخل ثم بالجبن بقوله تعالى (فإذا  
جاء الخوف) أي بجي أسبابه من الحرب ومقدماتها (رأيتهم) أي أيها المخاطب وقوله تعالى  
(يتظرون) في محل حال من منعول رأيتهم لأن الرؤية بصرية وبين بعدهم حسا ومعنى يحرف  
الغاية بقوله تعالى (الملك) أي حال كونهم (تدور) فهي اما حال ثانية واما حال من يتظرون  
عينا وشما لبادارة الطرف (أعينهم) أي زانعا رعبا ثم شبهها في سرعة تقلب الغير قصد صحيح  
بقوله تعالى (كالذي) أي كدوران عين الذي (يعشى عليه) مبتدأ غشيانه (من الموت) أي  
من معالجة سكراته خوفا ولو اذابك وذلك لأن قرب الموت وغشية أسبابه تذهب عقله وتشتت  
بصره فلا يطرف (فإذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) أي تناولوكم تناولا صعبا  
بأنواع الاذى ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن والظور وأصل السلق البسط بقهر اليد  
أو اللسان ومنه سلق امرأته أي بسطها وجامعها قال القائل

فقد هي لنا المفضح \* فان شئت سلقناك \* وان شئت على أربع

والسليقة الطبيعة المباشرة والسليق المطعم من الارض (بالسنة حداد) ذرية قاطعة فصيحة  
بعد ان كانت عند الخوف في غاية اللجاجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق وبيس الشفاء وهذا  
اطلب العرض الفاني من الغنمة وغيرها يقال للخطيب الذرب اللسان الفصيح مسلق وقال  
ابن عباس سلقوكم أي عضه وكم وتناولوكم بالنقص والغنمة وقال قتادة بسطوا ألسنتهم فيكم  
وقت قسمة الغنمة ويقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال ولستم بأحق بالغنمة منا ثم بين  
المراد بقوله تعالى (أنصه) أي خصامه تعليا (على الخير) أي المال الذي عندهم وفي اعتقادهم  
انه لا خير غيره لا يريدون أن يصل شيء منه اليكم ولا يفوتهم شيء منه فهم عند الغنمة أشجع قوم  
وعند البأس أجهن قوم \* ولما وصفهم تعالى بهذه الصفات الدنيئة أخبر تعالى ان أساسها الذي  
نشأت عنه عدم الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال (أولئك) أي البعداء البغضاء (لم يؤمنوا)  
أي لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان أقرت به ألسنتهم (فأحبط الله) أي بجلاله وتفرد في  
كبريائه وكاله (أعمالهم) التي كانوا يأتونها مع المسلمين أي فأظهر بطلانها واذالم تثبت لهم  
الاعمال فتبطل وقال قتادة أبطل الله تعالى جهادهم (وكان ذلك) أي الاحباط (على الله)  
بإله من صفات العظمة (يسيرا) أي هيبتا تعلق الارادة به وعدم ما يمنعه وقوله تعالى  
(يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) يجوز أن يكون مسمتا نفا أي هم من الخوف بحيث انهم  
لا يصدقون ان الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز أن يكون حالا من أحد الضمائر المتقدمة اذا  
صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله أبو البقاء والمعنى أن هؤلاء المنافقين يحسبون الاحزاب يعني  
قريشا وغطفان واليهود ولم يتفرقوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كأنهم غائبون حيث  
لا يشاؤون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين

والباقون بالكسر (وان يأت الأحزاب) بعدما ذهبوا كرة أخرى (يودوا) أى يتنوا  
 (لأنهم بادون فى الاعراب) أى كانوا فى البادية بين الاعراب الذين هم عندهم فى محل نقص  
 وعن تكبره مخالطته ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله تعالى (يسألون) كل وقت (عن أنبيائكم)  
 أى أخباركم العظيمة مع الكفار وما آل اليه أمركم جريا على ما هم عليه من النفاق ليقبوا لهم  
 عندكم وجهها كأنهم مهتمون بكم يظهرن بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب (ولو)  
 أى والحال انهم لو (كانوا) هؤلاء المنافقون (فيكم) هذه الكفرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان  
 قتال (ماقاتلوا) معكم (الاقليلا) نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الاحزاب من حضورهم معكم  
 تارة واستئذانهم فى الرجوع الى منازلهم أخرى \* ولما أخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التى  
 هى غاية فى الذم أقبل عليهم اقبالا يذلهم على تناهى الغضب بقوله تعالى مؤكدا محتملا لابل  
 انكارهم (لقد كان لكم) أيها الناس كافة الذين المنافقون فى غمارهم (فى رسول الله)  
 الذى جلاله من جلاله وكاله من كاله (اسوة) أى قدوة (حسنة) أى صالحة وهو المؤمنسى به  
 أى المقتدى به كما تقول فى البيضة عشرون مناحد حديد أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد  
 أو أن فيه خصلة حسنة من حقها أن يؤتى بها كالبات فى الحرب ومقاسات الشدايد إذ  
 كسر رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضر وبالأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا  
 أنتم كذلك واستنوا بسنته \* (تنبية) \* الاسوة اسم وضع المصدر وهو الاتساء فالاسوة  
 من الاتساء كالقدوة من الاقتداء واتتسى فلان بفلان أى اقتدى به وقرأ عاصم بضم الهمزة  
 والباقون بكسر هاء وهما الغتان كالعدوة والعدوة والقذوة والقدوة وقوله تعالى (لمن كان) أى  
 كونا كأنه جبلته له (يرجو الله) أى فى جبلته أنه يجتد الرجا مشمرا للذى لا عظيم فى الحقيقة  
 سواء فيؤمل اسعاده ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمؤمنين أى ان الاسوة بربول الله  
 صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله  
 (واليوم الآخر) أى يخشى يوم البعث الذى فيه جزاء الاعمال (وذكر الله) أى الذى له صفات  
 الكمال وقبده بقوله تعالى (كبرا) تحقيقا لما ذكر فى معنى الرجا الذى به الفلاح أو ان المراد به  
 الدائم فى حال السراء والضراء \* ولما بين تعالى حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء  
 الاحزاب بقوله تعالى (ولما رأى المؤمنون) أى الكاملون فى الايمان (الاحزاب) أى الذين  
 أدهشت رؤيتهم القلوب (قالوا) أى مع ما حصل لهم من الزلازل وتعاضم الاحوال (هذا) أى  
 الذى نراه من الهول (ما وعدنا الله) أى الذى له الامر كله من تصديق دعوانا الايمان بالبلاء  
 والامتحان (ورسوله) المبالغ بنحو قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل  
 الذين خلوا من قبلكم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم أحسب  
 الناس أن يتركوا أنما مال ذلك ثم قالوا فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الاغرورا  
 (وصدق الله) أى الذى له صفات الكمال (ورسوله) أى الذى كاله من كاله أى ظهر صدقه ما فى  
 عالم الشهادة فى كل ما وعدنا به من السراء والضراء كما رأينا به وما صادفنا فيما غاب عنا مما

وعدابه من نصر وغيره واضهار الاسمين للتعظيم والتميز بذكركهما قال بعض المفسرين ولو  
 أعيدوا مضميرين لجمع بين الباري تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم فكان يقال وصدقا وقد ورد  
 صلى الله عليه وسلم على من جمعهما بقوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى  
 وأنكر عليه بقوله بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله قصد الى تعظيم الله تعالى  
 وقيل انما رد عليه لانه وقف على يعصهما واستشكل بعضهم الا قول بقوله حتى يكون الله ورده  
 أحب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم أعرف  
 بقدر الله تعالى من غيرنا أن نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقول ذلك فالله جل وعلا أولى وحينئذ فالقائل بأنه انما رد عليه لانه وقف على يعصهما أولى  
 \* ولما كان هذا قولاً لا يمكن أن يكون لسانياً فقط كقول المنافقين كذبه اظن المنافقين ذلك  
 بقوله تعالى شاهد الهم (وما زادهم) أى مارأوه من أمرهم أو الرعب (الايامنا)  
 بالله ورسوله (وتسليماً) بجمع جوارحهم في جميع القضاء والتقدير \* ثم وصف الله تعالى  
 بعض المؤمنين بقوله تعالى (من المؤمنين) أى المذكورين سابقاً وغيرهم (رجال)  
 أى في غاية العظمة عندنا ثم وصفهم بقوله تعالى (صدقوا ما عاهدوا الله) المحيط علماً وقدرة  
 (عليه) أى أقاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أى نذره بأن قاتل  
 حتى استشهد كحزمة ومصعب بن عمرو وأنس بن النضر والحب النذر استعير للموت لانه كندر  
 لازم في رقبة كل حيوان وقيل الحب الموت أيضاً قال قتادة قضى نحبه أى أجله وقيل  
 قضى نحبه أى بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليلته أى  
 اجتهد \* وقيل قضى نحبه قتل يوم بدر أو يوم أحد روى أن أنسا قال غاب عني أنس بن  
 النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال  
 المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى أعذرك اليك  
 مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم واستقبله سعد بن  
 معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين فقال واهازيح الجنة أجد هادون أحد فقاتل حتى قتل قال أنس  
 ابن مالك فوجدنا في جسده بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم فوجدناه  
 قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخته بينانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية  
 نزلت فيه وفي أشباهه (وممنهم) أى الصادقين (من ينتظر) أى السعادة كعثمان وطلحة  
 (وما بدلوا) أى العهد ولا غيره (تبديلاً) أى شيأ من التبديل روى أن من لم يقتل في عهد  
 النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ثبت مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يوم أحد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه وذب عنه  
 ووقاه بيده حتى شلت أصبعه قال اسمعيل بن قيس رأيت يد طلحة شلاء وفيها النبي صلى الله  
 عليه وسلم يوم أحد وعن معاوية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وعن  
 طلحة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فقال أيها  
 السائل هذا منهم وعنه أيضا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الاعرابي جاهل سله عن  
 قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترئون على مسألته بها بونه ويوقر ونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه  
 ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم أتى طلعت من باب المسجد فقال أين السائل عن  
 قضى نحبه قال الاعرابي أنا فقال هذا من قضى نحبه وهذا يقوى القول بأن المراد بالنحيب بذل  
 الجهد في الوفاء بالعهد وعن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في سبيل الله فبتخى وجه الله فوجب أجرنا إلى الله فنامن مضى لم يأكل من أجرة شيئا منهم مصعب  
 ابن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه الا نمره فكأ اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه  
 منها واذا وضعناها على رجله خرج رأسه منها فقال صلى الله عليه وسلم ضعوهما على رأسه  
 واجعلوا على رجله من الأذخر قال ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها أينعت أي أدركت  
 ونضجت له ثمرته أو يهديها أي يجنيها وهذا كناية عما فتح الله تعالى لهم من الدنيا وعن زيد بن  
 ثابت قال لما نسخنا المصحف من المصاحف فتبدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد الا مع خزيمه بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه  
 فألحقها في سورتها في المصحف (ليجزى الله) أي الذي يريد اظهار جميع صفاته يوم البعث  
 للخاص والعامة ظهورا تاما (الصادقين) أي في الوفاء بالعهد وادعائهم آمنوا به (بصدقهم) أي  
 في عملهم وينعمهم في الآخرة فالصدق سبب وان كان فضلامنه لانه الموفق له \* (تنبيه) \*  
 في لام ليجزى وجهان أحدهما انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وفيها تعلق بدأوجه  
 اما بصدقوا واما بما زادهم واما بما بدلو او على هذا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء  
 وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى  
 عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهم استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما (وبعذاب المنافقين)  
 أي الذين أخفوا الكفر وأظهروا الاسلام في الدارين بكذبهم في دعواهم الايمان المنتضى  
 لبيع النفس والمال (ان شاء) بأن يميتهم على نفاقهم (أو يتوب عليهم) ان شاء بأن يهديهم  
 الى التوبة فيتوبوا فالكل بإرادته \* (تنبيه) \* جواب ان شاء مقدر وكذا من فعل شيء أي ان  
 شاء تعذيبهم عندهم وقرأ قالون والبرى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل  
 ورش وقنبل الثانية وايدلاها أيضا حرف مد وحققتها الباقون وفي الابتداء بالثانية الجميع  
 بالتحقيق \* ولما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون من صلابتهم في الخداع وخبت سرايرهم  
 قال معللا ذلك كله على وجه التأكيد (ان الله) أي بما له من الجلال والجمال (كان) أزلا  
 وأبدا (غفورا) لمن تاب (رحيما) بهم \* ثم بين تعالى بعض ما جزاهم الله تعالى بصدقهم بقوله  
 تعالى (ورد الله) أي بما له من صفات الكمال (الذين كسروا) وهم من تحزب من العرب  
 وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقه المؤمنين حال كونهم

(بغيتهم) أي متعيطين لم يشف صدورهم بقيل ما أرادوا بل تفرقوا عن غير طائل حال كونهم  
 (لم يسألوا خيرا) لامن الدين ولا من الديابيل ذلا وندامة فهو حال ثانية أو حال من الحال الاولى  
 فهي متداخلة (وكفى الله) أي الذي له العزة والكبرياء (المؤمنين القتال) بما ألقى  
 في قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود  
 لما تقدم من الحيلة التي فعلها قال سعيد بن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر النبي صلى الله  
 عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى خلاص الى كل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم انك ان تشالا تعبد فييتماهم على ذلك اذ جاء نعيم  
 ابن مسعود الاشجعي وكان يأمنه الفريقان جميعا فخذل بين الناس فانطلق الاحزاب من زمين  
 من غير قتال فذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال (وكان الله) أي الذي له صفات  
 الكمال أزلا وأبدا (قويا) على احداث ما يريد (زينا) غالبا على كل شيء \* ولما أم الله  
 تعالى حال الاحزاب اتبعه حال من عاونوهم بقوله تعالى (وأنزله الذين ظاهروهم) أي عاونوا  
 الاحزاب (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة ومن دخل معهم في حصنهم من بني النضير (من  
 صياصيمهم) أي حصونهم متعلق بأنزل ومن لا يتداه الغاية والصياصي جمع صيصية وهي  
 الحصون والسلاع والمعازل ويقال لكل ما يتشعب به ويتحصن فيه صيصية ومنه قيل لقرن  
 الثور والظبي واشوكه الديك صيصية عن سعيد بن جبير قال كان يوم الخندق بالمدينة فجاء  
 يوسف بن حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من  
 غطفان وطلحة ومن تبعه من بني أسد وبنو الاعور ومن تبعهم من بني سليم وقريظة كان بينهم  
 وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنتضوا ذلك وظاهر والمشركون فأنزل الله تعالى فيهم  
 وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وكانت غزوة بني قريظة في آخر ذي القعدة  
 سنة خمس من الهجرة وعن موسى بن عقبة أنها في سنة أربع قال العلماء بالسيران رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لما أصبح في الليلة التي انصرف الاحزاب واجعين الى بلادهم انصرف رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى  
 جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسه الخيزوم والغبار على وجه  
 الفرس والسرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله  
 تعالى يأمرك بالسرا الى بني قريظة وأنا عامدا اليهم فان الله دق عليهم دق البيض على الصفا وانهم لك  
 طعمة فأذن في الناس أن من كان ساءما مطبعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة وقدم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه اليهم وابتدرها الناس فسار على حتى اذا دنا من  
 الحصون سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنوا من هؤلاء الاخبث قال أظنك سمعت  
 في منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دار رسول الله صلى الله



عليه وسلم من حصنهم قال يا اخوان القرودة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمة قالوا يا أبا التماسم  
 ما كنت جهولا ومتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه قبل أن يصل الى بنى قريظة قال  
 هل ترابكم أحد قالوا امر بنادحية بن خليفة بن خزيمة على بغلة شهباء عليهم اقطيعة من ديباج قال صلى الله  
 عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بنى قريظة ينزل بهم حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب ولما أتى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فقتلوا حتى به الناس فأتاه رجال من  
 بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي أحد  
 العصر الا في بنى قريظة فصلوا العصر به بعد العشاء الآخرة فاعابهم الله تعالى بذلك ولا عنقهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حبي بن أسد يخطب دخل الى بنى قريظة في حصنهم حين رجعت  
 عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يباحزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من  
 الامر ما نزل واني عارض عليكم خلا لاثلاثا فخذوا أيها شتم قالوا وما هي قال نبأ يع هـ ذا  
 الرجل وصدقته فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على  
 دياركم وأبنايتكم وأموالكم ونسائكم قالوا لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال  
 فاذا أبيتهم هـ ذاقهم فلنقتل أبناؤنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجلا  
 مصلي بالسيوف ولم نترك وراءنا قلائبهم منا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه فانهم لآت  
 نهلك ولم نترك وراءنا أحدا ولا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لتحدث النساء والابناء قالوا  
 نقتل هؤلاء المساكين فاخير العيش بعدهم قال فان أبيتهم هذه فان الليلة ليلة السبت فعسى أن  
 يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فانزلوا علينا ان نصيب منهم غرة قالوا انفسد سببتنا وتحدث فيه ما لم  
 يكن أحدث فيه من كان قبلنا فتركهم قال علماء السير وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 نحو اوعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على  
 حكمي فأبوا وكانوا قد طلبوا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو وكانوا حلفاء الاوس  
 يستشيرونه في أمرهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال  
 والنساء والصبيان يكونون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد قال  
 نعم وأشار بيده الى حلقة يعنى انه يقتلكم قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى قد عرفت اني  
 خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط  
 في المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله تعالى علي ثم اصنعت  
 وعاهد الله تعالى لا يبطأ بنى قريظة أبدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت فيه الله ورسوله فلما  
 بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو جاءني لاستغفرت له فأما اذ فعل فما  
 أنا بالذي أطلقته من مكانه حتى يتوب الله عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على  
 حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتبني ذراريهم ونساءؤهم  
 فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم

وخندق في سوق المدينة خندقا وقد همهم فنضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل  
 كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف) أي الله تعالى (في قلوبهم الرعب) حتى سلوا  
 أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي كما قال الله تعالى (فريقا تقتلون) وهم الرجال يقال  
 كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخسين ويقال  
 تسعمائة (فان قيل) ما فائدة تقديم المنعول في الاقل حيث قال تعالى فريقا تقتلون وتأخيره  
 في الثاني حيث قال وتأسرون فريقا (أجيب) بأن الرازي قال ما من شيء من القرآن الا وله  
 فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي يظهر من هذا والله أعلم أن التائل يدأ بالاهم فلا هم  
 والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم وكان الاسراء هم النساء  
 والذراري ولم يكونوا مشهورين والسبي والاسراء ظهر من القتل لانه يبي فيظهر لكل أحد انه  
 أسير فقدم من المهلين ما اشتهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو أشهر قدمه على المحل الخفي  
 انتهى وقرأ ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين والباقون بسكونها \* ولما ذكر الناطق  
 بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم)  
 أي حصونهم لانه يحامي عليها ما لا يحامي على غيرها (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح  
 والاثاث وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان وللفارسه  
 سهم كاللراجل من ايس له فرس سهم وأخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان  
 هذا أول في وضع فيه السهمان وجرى على سنته في المغازي واصطفى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم من سباياهم ربحانة بنت عمرو بن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض عليها  
 أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك  
 فتركها وكانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزها رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ووجد في نفسه من أمرها فيبئنا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبية  
 ابن شعبة يبشرنى بالسلام ربحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ربحانة فسر ذلك روى ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك  
 فقال انكم في منازلكم وقال عمر اننا نخم من كاخست يوم بدر قال لانما جعلت هذه طعمة لى  
 دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وأنزل الله تعالى توبد أبي لبابة على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم تضحك  
 يا رسول الله أضحك الله تعالى منك فقال تيب على أبي لبابة فقالت الأبيشمره بذلك يا رسول الله  
 قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرته واذلقت قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة  
 أبشركم قد تاب الله تعالى عليك فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح أطلقه ومات سعد بن  
 عاذ بعد انقضاء غزوة بني قريظة قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر  
 فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني لاني حجرتي قالت وكانوا كما قال

الله تعالى رجاء بينهم راختلف في تفسير قوله تعالى (وأرضاً) أى وأورثكم أرضاً (لم تطوها) فعن مقاتل انها خير وعليه أكثر المفسرين وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كأنه حدث انها مكة وعن عكرمة كل أرض تفتح الى القيامة ومن بدع التفسير أنه أراد نساءهم انتهى \* ولما كان ذلك أمراً باهراً سئله بقوله تعالى (وكان الله) أى أزلاً وأبداً بما له من صفات الكمال (على كل شيء) هذا وغيره (قديراً) أى شامل القدرة روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كان يقول لا اله الا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده ولما أرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى جانب ما يتعلق بجانب التعظيم لله تعالى بقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ذكراً ما يتعلق بجانب الشفقة وبأبواب الزجاة فانهم أولى الناس بالشفقة ولها ذكراً ما يتعلق بجانب الشفقة فقال (يا أيها النبي قل لأزواجك) أى نساءك (إن كنتن) أى كوننا راسخاً (تردن) أى اختياراً على (الحياة) ووصفها بما يزيد فيها ذوى الهمم ويذكر من له عقل بالآخرة بقوله تعالى (الدنيا) أى ما فيها من السعة والرفاهية والنعمة (وزينتها) أى المناقمة لما أمرنى به ربى من الاعراض عنه واحتقاره من أمرها لانها أبغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه (فمعالين) أصله ان الأمر يكون أعلى من الأمور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتى صار معناه أقبل وهو هنا كناية عن الاخبار والارادة بعلاقة ان المخبر يدنو الى من يخبره (أمتعن) أى بما أحسن به اليك من متعة الطلاق وهي واجبة لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بأن وجب لها جميع المهر او كانت مفوضة لم توطأ ولم يفرض لها شيء صحيح أما فى الاولى فلان المهر فى مقابلة منفعة بضعها وقد استوفى الزوج فوجب للايحاء المتعة وأما فى الثانية فلان المفوضة لم يحصل لها شيء فيجب لها متعة للايحاء بخلاف من وجب لها النصف فلان متعة لها لانه لم يستوف منفعة بضعها فيكفى نصف مهرها للايحاء هذا اذا كان الفراق لا بسببها وسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً أو ما قيمته ذلك وأن لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا على شيء فذلك والا قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يساره واعساره ونسبها وصفاتها قال تعالى ومنعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره (وأستر كن) أى من حباله عصمتى (سراج جيل) أى طلاقاً من غير مضارة ولا نوع حطة ولا مقاهرة (وان كنتن) أى بما الكن من الجيلة (تردن الله) أى الامر بالاعراض عن الدنيا (ورسوله) أى المؤتمراً بما أمره به من الانسلاخ عنها المبالغ للعباد جميع ما أرسله به من أمر الدنيا والدين لا يدع منه شيئاً لماله عليه كمن وعلى سائر الناس من الحق بما يبلغهم عن الله تعالى (والدار الآخرة) أى التى هى الخيوان بما لها من البقاء والعلو والارتقاء (فان الله) بما له من جميع صفات الكمال (أعدت) أى فى الدنيا والآخرة (للحسنيات منكن) أى اللاتي يفعلن ذلك (أجراً عظيماً) تستحقن ودون الدنيا وزينتها ومن للبيان لانهن كلهن محسنات قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألهن عن عرض الدنيا شيئاً وطلبن منه زيادة فى النفقة وأذنبه بغيره بعضهن على بعض فهجرهن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن لا يتربهن شهر أو لم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لا علمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفانزل فأخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقامت على باب المسجد فتناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزل قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا الذي استنبطت ذلك الامر وأنزل الله تعالى آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من قریش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع من غير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير عرض عليهن رضي الله تعالى عنهن ذلك وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رأس المحسنات اذ ذلك وكانت أحب أهله فخبرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد وعن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يباه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر ثم استأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساءه واجاسا كما قال فقال لا تقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقامت اليها فوجأت عنقها فاضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهر أو تسع وعشرين يوما ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لا زواجك حتى يبلغ للمحسنات منكن أجر اعظما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أعرض عليك أمر الأ أحب ان تجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت أفيك يا رسول الله استشيرا أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسالك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يعثني معننا ولكن يعثني معلما بشارا قوله واجأ أي مهمما والواجب الذي أسكته اللهم رعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن وقوله فوجأت عنقها أي دققت وقوله لم يعثني معننا العنت المشقة والصعوبة وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهر اقال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل على فقالت يا رسول الله انه مضى تسع وعشرون أعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون \* (تيسيه) \* اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تقويضا للاطلاق

اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ولاذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن  
تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين  
أمتعنن وأسرحنك ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال اعائشة لا تنهني حتى  
تستشيرى أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان  
تفويض طلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمرو بن  
مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها وقع  
طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي  
الا ان عند أصحاب الرأي انه يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال  
زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فتلاث وهو قول  
الحسن ورواية عن مالك وروى عن علي أنه اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة رجعية  
وان اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على انه اذا اختارت زوجها لا يقع شيء وعن  
مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتى واحدة أو مائة أو الف ما بعد أن تختارنى قال الرازى وهنا  
مسائل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا والجواب ان التخيير  
كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ الرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهن صار من الرسالة  
وأما التخيير معنى فبنى على ان الامر للوجوب أم لا والظاهر أنه للوجوب ومنها ان واحدة  
منهن لو اختارت نفسها وقلنا انهن الاتين الابانة النبي صلى الله عليه وسلم لم فهل كان يجب على  
النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر نظر الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم انه كان  
يجب لان الخلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم غير جائز بخلاف أحدنا فانه لا يلزمه شرعا  
الوفاء بما يعد ومنها ان المختارة بعد البيونة هل كانت تحرم على غيره أم لا الظاهر انه لا تحرم  
والا لم يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان  
يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها أم لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلى الله  
عليه وسلم على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره أصلا لا بمعنى انه لو أتى به له وقب  
أو عوتب انتهى ولما خيرهن واخترن الله ورسوله عددهن الله للتوفى عما يسوء النبي صلى الله  
عليه وسلم وأرعدهن بتضعيف العذاب بقوله تعالى (يا نساء النبي) أى المختارات له لما بينه  
وبين الله تعالى مما يظهر شرفه (من يأت منكن بفاحشة) أى سيئة من قول أو فعل كالنشوز  
وسوء الخلق واختيار الحياة الدنيا وزينتها على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك  
وقال ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله تعالى لئن أشركت  
ليحيطن عماك وقرأ ابن كثير وشعبة (ببينه) بفتح الباء التحتية أى ظاهر فحشها والباقون  
يكسرها أى واضحة ظاهرة في نفسها (يضاعفها العذاب) أى بسبب ذلك (ضعفين) أى  
ضعفي عذاب غيرهن أى مثليه وانما ضعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن  
وأقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم

أشتمته للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أجمع ولذلك جعل حداً للترضع في حدّ العبد  
وعوتب الانبياء عالم يعاتب به غيرهم وقرأ نافع وعاصم وحزرة والكسائي بالياء التحتية وألف بعد  
الضاد وتخفيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير وابن عامر بالنون ولا ألف بعد الضاد  
وتشديد العين مكسورة العذاب بالنصب وأبو عمر والياء وتشديد العين مفتوحة العذاب بالرفع  
وقوله تعالى (وكان ذلك على الله يسيراً) فيه ايدان بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه  
وسلم ليس بعن عنهن شيئاً وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعياً الى تشديد  
الامر عليهن غير صارف عنه \* ولما بين تعالى زيادة عقابهن أتبعه زيادة ثوابهن بقوله تعالى  
(ومن يقنت) أي يطع (منسكناً لله) الذي هو أهل لان لا يلتفت الى غيره (ورسوله) الذي  
لا ينطق عن الهوى فلا تخالفه فيما أمر به ولا تختار عيشاً غير عيشه (وتعمل) أي مع ذلك  
يجوارحها (صالحاً) أي في جميع ما أمر به سبحانه أو نهى عنه فلا تقتصر على عمل القلب  
(نوتها أجرهما مرتين) أي مثل ثواب غيرهن من النساء قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين  
حسنة فقرة على الطاعة ومرة لطابهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب  
المعاشرة والقناعة \* (تنبيه) \* قوله تعالى نوتها أجرهما مرتين في مقابلة قوله تعالى يضاعفها  
العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهي أنه عند اتياء الاجر ذكر الموتى وهو والله تعالى وعند العذاب  
لم يصرح بالمعذب بل قال يضاعف وهذا الشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حزة والكسائي  
بالياء التحتية في يعمل ويوتها اجلا على لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية في يعمل  
على معنى من والنون في نوتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى (واعتدنا) أي هيأنا بما لنا من  
العظمة (لها) أي بسبب قناعتهم النبي صلى الله عليه وسلم المريد للتخلي من الدنيا التي يغضها  
الله تعالى مع ما في ذلك من توفير الحظ في الآخرة (رزقاً كريماً) أي في الدنيا والآخرة  
زيادة على أجرها أما في الدنيا فلان ما يرزقهن منه يوفقن لصرفه على وجه يكون فيه أعظم  
الثواب ولا يخشى من أجله نوع عقاب وأما في الآخرة فلا يوصف ولا يحدد ولا تكديف فيه أصلاً  
ولا كد وهذا ما جرى عليه المقامى وهو أولى مما جرى عليه كثير من المفسرين من الاقتصار  
على رزق الجنة وعمله الرازى بتوله ووصف رزقاً يكونه كرى ما سمع ان الكريم لا يكون وصفاً  
الترزاق وذلك اشارة الى ان الرزق في الدنيا مقدر على ايدى الناس فان التاجر يسترزق من  
السوقة والعاملون والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا  
لا يأتي بنفسه انما هو مسخر للغير يكتسبه ويرسله الى الاعيان وأما في الآخرة فلا يكون له مرسل  
ومسك في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي  
الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق انتهى \* ولما ذكر تعالى ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن  
وأجرهن مثلاً أجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة الى الاماء قال تعالى (يانساء النبي لستن  
كأحد) قال البغوي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر  
والمؤنث والمعنى لستن بجماعة واحدة (من) جماعات (النساء) اذا قصبت جماعة النساء

واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويك في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى  
والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم  
في أنهم على الحق المبين وقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسوله بقوله تعالى فإيمانكم من أحد  
عنه حاجزين والجل على الأفراد بأن يقال ليست كل واحدة منكم من أحاد النساء صحيح  
بل أولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الجل على الجمع وعن ابن عباس معنى استن كأحد من  
النساء يريد ليس قدر كمن عمدي مثل قدر غيرك من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وتوايكن  
أعظم لدي \* ولما كان المعنى بل أنتن أعلى النساء ذكر شرط ذلك بقوله تعالى (ان اتقين) الله  
تعالى أي جعلتن بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب  
عن هذا النهي قوله تعالى (فلا تخضعن) أي إذا تكلمتن بحضرة أجنبي (بالقول) أي  
بأن يكون لينا عذبار خا والخضوع النظام والتواضع واللين ثم سبب عن الخضوع قوله تعالى  
(فيطمع) أي في الخيانة (الذي في قلبه مرض) أي فساد وريية من فسق ونفاق وأرنحو ذلك  
وعن زيد بن علي قال المرض مرضان مرض زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس أن نافع بن  
الازرق قال له أخبرني عن قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض قال الفجور والزنا قال وهل  
تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت الأعمش وهو يقول

حافظ للقرج راض بالتقي \* ليس من قلبه فيه مرض

والتعبير بالطمع للدلالة على ان أمنيته لا سبب لها في الحقيقة لأن اللين في كلام النساء خلق  
لهن لا تكلف فيه وأريد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للآتيان به هذه بل المرأة  
سندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الاطماع \* ولما نهاهن عن الاسترسال  
مع صحبة النساء في رخاوة الصوت أمرهن بضده بقوله تعالى (وقلن قولاً معروفاً) أي يعرف  
انه بعيد عن محل الطمع من ذكر الله وما تحجب اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام  
بتصريح وبيان من غير خضوع \* ولما أمرهن بالتقول وقدمه لعمومه اتبعه الفعل بقوله  
تعالى (وقرن) أي اسكنن وامكثن دائماً (في بيوتكن) فمن كسر القاف وهم غير نافع وعاضم  
جعل الماضي قرر بفتح العين ومن قصه وهو نافع وعاضم فهو عند قرير بكسرهما وهما الغتان  
قال البغوي وقيل وهو الاصح انه أمر من الوقار ~~بقوله~~ من الوعد عدن ومن الوصل صلن  
أي كن أهـل وقار وسكون من قوله وقرف لان يقر وقورا اذا سكن واطمأن انتهى ومن فتح  
القاف فغم الراء ومن كسر هارقق الراء وعن محمد بن سيرين قال ثبت انه قيل لسودة زوج النبي  
صلى الله عليه وسلم مالك لا تحجين ولا تعترين كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتبرت  
وأمرني الله أن أقر في بيتي فوالله لأخرج من بيتي حتى أموت قال فوالله ما خرجت من باب  
حجرتها حتى خرجت بجنارتها \* واختلف في معنى التبرج في قوله تعالى (ولا تبرجن) فقال  
مجاهد وقتادة هو التمسك والتعجب وقال ابن جرير هو التبختر وقيل هو ابراز الزينة وابرار  
المحاسن للرجال وقرأ البري بتشديد التاء في الوصل والباقون بالتخفيف واختلف أيضا

في معنى قوله تعالى ( تبرج الجاهلية الاولى ) فقال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقال أبو العالية هي زمن داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام كانت المرأة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقال الكلبي كان ذلك في زمن عمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتغشى وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهم الصلاة والسلام وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابلدس أتى رجلا من أهل السهل واجرت نفسه منهم فكان يخدمهم واتخذ شيئا مثل الذي يرميه الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأتوه وهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فحوا اليهم فنزلوا معهم وظهروا الفاحشة بينهم فذلت قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل الجاهلية الاولى ما كانوا عليه قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام وبعضه قوله صلى الله عليه وسلم لا يذركم في العجيب ان فيك جاهلية كفرنا واسلام وقول البيضاوي عن أبي الدرداء قال ابن حجر لم أجده عن أبي الدرداء وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى كقوله تعالى وانه أهلك عادا الاولى ولم تكن لها أخرى \* ولما أمرهن بلزوم البيوت للتخليفة عن الشواذب أرشدهن الى التصلية بالرغائب بقوله تعالى ( وأقن الصلاة ) أي فرضا ونفلا صلة لما ينسكن وبين الخالق ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ( واتبين الزكاة ) احسانا الى الخلائق وفي هذا إشارة الفتوح وتوسيع الدنيا عليهم فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة ولما أمرهن بخصوص ما تقدم لانها أصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهم ما حق الاعتناء جزته الى ما وراءهما ثم وجع في قوله تعالى ( وأطعن الله ) أي الذي له صفات الكمال ( ورسوله ) أي الذي لا ينطق عن الهوى فيما أمر به ونهى عنه ( انما يريد الله ) أي الذي هو ذو الجلال والاكرام بما أمر به ونهى عنها من الاعراض عن الزينة وما يتبعها والاقبال عليه ( ليذهب ) أي لاجل ان يذهب ( عنكم الرجس ) أي الاثم الذي نهى الله تعالى عنه النساء قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك وقوله تعالى ( أهل البيت ) في ناصبه أوجه أحدها النداء أي يا أهل البيت أو المدح أي أمدح أهل البيت أو الاختصاص أي أخص أهل البيت كما قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لانورث والاختصاص في الخطاب أقل منه في المتكلم وسمع منك الله نرجو الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها



فمن بنات طارق \* غشى على النمارق

وقولهم  
 فمن بنى ضبة أصحاب الجمل \* الموت أحلى عندنا من العسل  
 وقولهم فمن العرب أقرى الناس للضيف واختلاف في أهل البيت والاولى فيهم ما قال البقاعي  
 انهم كل من يكون من الزام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج والاماء  
 والاقارب وكلما كان الانسان منهم أقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم أخص وأزوم كان  
 بالارادة **شوق** وأجدروا بؤيده قول البيضاوي وتخصيص الشيعة أهل البيت بشاطمة وعلى  
 وابنيه ما رضى الله تعالى عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط  
 من رجل من شعرا سود فجلس فقامت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن  
 والحسين فأدخلهم ما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج  
 بذلك على عصمتهم وكون اجاعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم  
 لانهم في بيته وتلاقوه تعالى واذكرن ما تبلى في بيوتكن من آيات الله وعن أم سلمة رضى الله تعالى  
 عنها قالت في بيتي أنزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فارسل رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي فقلت يا رسول الله اما أنا  
 من أهل البيت فقال بلى ان شاء الله وقال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي  
 وآل عتبيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازي والاولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن  
 والحسين وعلي منهم لانه كان من أهل بيته معاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولما لزمته له  
 ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا لأصحاب الطباع السليمة والعقول  
 المستقيمة في الطاعة وتفسير الهم عن المعصية بقوله تعالى (ويطهركم) أى يفعل في طهركم  
 الصيانة عن جميع التاذورات الحسية والمعنوية فعل المبالغ فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر بقوله  
 تعالى (تطهيرا) وعن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر يأتي  
 كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الصلاة رحمة الله كل يوم خمس  
 مرات ثم بين تعالى ما أنعم الله به عليهم من أن يوتهم مهابط الوحي بقوله تعالى (واذكرن)  
 أى في أنفسكن ذكرا دائما واذكرنه لغيركن على جهة الوعظ والتعليم (ما تبلى) أى يتابع  
 ويوالي ذكره (في بيوتكن) أى بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الذي خيركن وقوله تعالى  
 (من آيات الله) أى القرآن بيان للموصول فيعلق بأعني ويجوز أن يكون حالا امامن  
 الموصول وامامن عائده المقدر فيعلق بمحذوف أيضا واختلف في قوله تعالى (والحكمة)  
 فقال قتادة يعني السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه (ان الله) أى الذى له جميع  
 العظمة (كان) أى ولم يرزل (لطيفنا) أى يوصل الى المقاصد بلطائف الاضداد  
 (خبيرا) أى بجميع خلقه يعلم ما يستررون وما يعلنون لا تخفى عليه خافية فيعلم من يصلح لبيت  
 النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينار دنيا وما لا يصلحهم والطارق الموصلة

لكل ما قضاه وقدره وان كانت على غير ما يافه الناس من انقطع الى الله كفاء الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ولقد صدق الله تعالى وعده في لطفه وحقق بره في خبره بان فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم خبيراً فافاض بها من رزقه الواسع ولما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليحميه من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس والروم ومصر وما بقي من ايمان فعم النخ جميع الاقطار الشرق والغرب والجنوب والشمال ومكن أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بيكيلون المال كيلا البلاد وذخائر أولئك الملوك حتى صار انصباة رضوان الله تعالى عليهم بيكيلون المال كيلا وزاد الامر حتى دون عمر رضى الله تعالى عنه الدواوين وفرض للناس عامة أرزاقهم حتى للرضعاء وكان أولاد لا يقرض لهم ولود حتى يقطم فكانوا يستعجلون بالقطام فننادى مناديه لا تعجلوا أولادكم بالقطام فاننا نقرض لكل مولود في الاسلام وفاوت بين الناس في العطاء بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعده منه وبحسب السابقة في الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث أرضى جميع الناس حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فسأله عما وراءه فقال تركتم يسألون الله تعالى أن يزيدني عمرك من أعمارهم قال عمر انما هو حقهم وأنا أسعى بأدائه اليهم وانى لاعم بنصحتي كل من طوقني الله أمره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات عاشا الرعية لم يرح ريح الجنة فكان فرضه لازواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفا لكل واحدة وهي نحو ألف دينار في كل سنة وأعطى عائشة خمسة وعشرين ألفاً لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فأبى أن تأخذ الاما تأخذها صواحبها وروى عن برزة بنت رافع قالت لما خرج العطاء أرسل عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما أدخل اليها قالت غفر الله لعمر غيري من اخواتي أقوى على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك قالت سبحان الله ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوباً قالت لي ادخلي يديك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بنى فلان وبنى فلان من ذوى رحها وأيام لها فقسمة حتى بقيت منه بقية تحت الثوب قالت برزة بنت رافع غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق قالت فلنكم ماتت تحت الثوب قالت فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهماً ثم رفعت يديها الى السماء وقالت اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عاى هذا فانت قال البقاعى ذكر ذلك البلاذرى في كتاب فتوح البلاد انتهى وعن مقاتل قال قالت أم سلمة بنت أبي أمية ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربي ايدى الرجال ولا يدكر النساء في شئ من كتابه نخشى أن لا يكون فيهن خير فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) أى الداخلين في الاسلام المنقادين لحكم الله في القول والعمل ولما كان الاسلام مع كونه أكمل الاوصاف وأعلاها يمكن أن يكون بالظاهر فقط اتبعه المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الاذعان فقال عاطفاه ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالاول والدلالة على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف في كل وصف منها (والمؤمنين والمؤمنات) أى المصدقين بما يجب أن يصدق به ولما كان

المؤمن المسلم قد لا يكون في أعماله مخلصا قال (والقائتين والقاتلتين) أي المخلصين في إيمانهم  
 وإسلامهم المداومين على الطاعة \* ولما كان القنوت قد يطلق على الإخلاص المقتضى  
 للمداومة وقد يطلق على مطلق الطاعة قال (والصادقين والصادقات) أي في ذلك كله من  
 قول وعمل \* ولما كان الصدق وهو إخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه أو شئ يندسه قد  
 لا يكون دائما قال مشيرا إلى أن ما لا يبـ<sup>سـ</sup>كون دائما لا يكون صدقا في الواقع (والصابرين  
 والصابرات) أي على الطاعات وعن المعاصي \* ولما كان الصبر قد يكون مجيبة دل على صرفه  
 إلى الله بقوله تعالى (والخاشعين والخاشعات) أي المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم  
 \* ولما كان الخشوع والخضوع والاختبات والسكون لا يصح مع توفير المال فإنه سكون إليه  
 قال معلما أنه إذ ذاك لا يكون على حقيقته (والمصدقين والمتصدقات) بما وجب في أموالهم  
 وبما استحب سرا وعلانية تصديقا لخشوعهم \* ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيثار  
 اتبعه ما يعين عليه بقوله تعالى (والصائمين والصائمات) أي فريضا ونفلا للإيثار بالقنوت  
 وغير ذلك \* ولما كان الصوم يكسر ثمرة الفرج وقد يشيرها قال تعالى (والحافظين فر وجهم  
 والحافظات) أي عملا لا يحل لهم وحذف مشغول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير  
 والحافظات وكذا كذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس القواصل \* ولما كان حفظ الفرج  
 وسائر الأعمال لا يكاد يوجد إلا بالذكور وهو الذي يكون عنده المراقبة الموصلة إلى المهانسة  
 المحقة للمشاهدة المحببة للنساء قال تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)  
 أي بقلوبهم وألسنتهم في كل حالة ومن علامات الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ  
 من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا  
 ومضطجعا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال  
 الذاكرون الله تعالى كثيرا والذاكرات قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل  
 فهو داخل في قوله تعالى أن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله تعالى ربه ومحمد صلى الله عليه  
 وسلم رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع  
 الله تعالى في الفرض والرسول صلى الله عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى والقاتلين  
 والقاتلتين ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى والصادقين والصادقات ومن  
 صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله تعالى والصابرين والصابرات  
 ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله تعالى والخاشعين والخاشعات  
 ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن  
 صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله  
 تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في قوله تعالى والحافظين  
 فر وجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى والذاكرين  
 الله كثيرا والذاكرات (أعد الله) أي الذي لا يقدر أحدا أن يقدره حق قدره مع أنه لا يعاظمه

شيء (لهم مغفرة) أي لما اقترفوه من الصغائر لأنهم مكفورات بفعل الطاعات والآية عامة وفضل الله  
 تعالى واسع \* ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز أتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى (وأجراً  
 عظيماً) أي على طاعتهم والآية وعدلهم ولا مثاليهم بالإنابة على الطاعة والتدرع بهذه الخصال  
 وروى أن سبب نزول هذه الآية أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله  
 الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فافينا خيرنا ذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل  
 الله تعالى هذه الآية روى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي  
 طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا  
 فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسارة قال ومم ذلك قالت  
 لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل لما نزل في نساء النبي  
 صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت \* (تنبيه) \* عطف الإناث على  
 الذكور لا اختلاف جنسهما والعطف فيه ضروري لا اختلافهما إذا نوا عطف الزوجين وهو مجموع  
 المؤمنين والمؤمنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما وليس العطف  
 فيه بضروري بخلافه في الأول لأن اختلاف الجنس أشد من اختلاف الصفة وفائدة العطف  
 عند تغاير الأوصاف الدلالة على أن أعداد المعتد من المغفرة والأجر العظيم أي تهيمته للمذكورين  
 للجمع بين هذه الصفات فصار المعنى أن الجاهلين والجاهلات لهذه الطاعات العشر أعد الله  
 تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم وقوله تعالى (وما كان) أي وما صح (لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله  
 ورسوله أمره) أي إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكراً لله تعالى اتعظيم أمره والأشعار  
 بأنه قضاء الله تعالى نزلت في زينب بنت جحش الأسديّة وأخيها عبد الله بن جحش وأمه أمية بنت  
 عبد المطلب عمّة النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد  
 بن حارثة وكان اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم  
 زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة  
 عمك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت يضاء جيلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك  
 رواه الدارقطني بسند ضعيف وقيل في أم كاثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم  
 فزوجها من زيد (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أي أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب  
 عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم \* (تنبيه) \* الخيرة  
 مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس وجع الضمير في قوله تعالى لهم وفي قوله تعالى  
 من أمرهم لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث أنها في سياق النبي ويجوز أن يكون الضمير في من  
 أمرهم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وجع لله العظيم كما جرى عليه البيضاوي وقرأ أن يكون  
 الكوفيون وهشام بالياء التحية والباقون بالفوقية ولأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى  
 ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى (ومن يعص الله) أي الذي لأمره لا حدمعه  
 (ورسوله) أي الذي معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما أرسل به إليهم

وقوله تعالى (فقد ضل) قرأه قالون وابن كثير وعاصم بالانظهار والباقون بالادغام  
وزاد ذلك بقوله تعالى (ضلالا مبينا) أي فقد أخطأ خطأ ظاهرا لا خفاه فيه فالواجب على كل  
أحد أن يكون معه صلى الله عليه وسلم في كل ما يختاره وإن كان فيه أعظم المشقات عليه تحلقا  
بقول الشاعر

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي \* متأخر عنه ولا متقدم  
وأهنتني فأهنت نفسي عامدا \* ما من يهون عليك من يكرم

فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب بذلك وجعلت أمرها بيد النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك  
أخوها فأنكحها صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عشرة دينار وستين درهما وخمسة درعما ووزارها وعلقة وخمسة من الطعام وثلاثين  
صاعا من تمر ومكثت عنده حينما ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة  
فأبصر زينب فاعة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت  
في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له  
فقطن زيد فالتقى في نفس زيد كراهتها في الوقت فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد  
أن أفارق صاحبتي قال مالك أراك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا  
ولكنها تتعاطم علي لسرفها وتؤذي بالسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك  
زوجك يعني زينب بنت جحش وائق الله في أمرها فأنزل الله تعالى (وإذا تقول للذي أنعم الله  
الملك الذي له كل السكال (عليه) وتولى نبيه عليه الصلاة والسلام آياه وقرآن نافع وابن كثير وابن  
ذكوان وعاصم بالانظهار والباقون بالادغام \* ثم بين تعالى منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم  
بقوله تعالى (وأنعمت عليه) أي بالعتق والتبني حيث استشارك في فراق زوجته التي أخبرك  
الله تعالى أنها يفارقها وتصير زوجتك (أمسك عليك زوجك) أي زينب رضي الله عنها (واائق  
الله) الذي له جميع العظمة في جميع أمرك (وتخفي) أي والحال انك تخفي أي تقول قولا  
مخفيا (ما في نفسك) أي ما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد (ما الله  
مبديه) أي ظهره بحمل زيد على تطلقها وإن أمرته بامساكها وتزوجك بها وأمرك بالدخول  
عليها وهذا دليل على انه أخفى غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد لأن  
الله تعالى ما أبدي غير ذلك ولو أخفى غيره لا بد أنه سبحانه لأنه لا يدل قوله وقول ابن عباس كان في  
قلبه حبا بعبير وكذا قول قتادة ودلوا أنه لو طلقها زيد وكذا قول غيره ما كان في قلبه لو فارقها  
زيد تزوجها \* ولما ذكر تعالى إخفاء ذلك ذكره بقوله تعالى عاطفا على تخفي (وتخشى الناس)  
أي من ان تخبر بما أخبر الله تعالى به فيصوبوا اليك مرجحات الظنون لاسيما اليهود والمنافقون  
وقال ابن عباس والحسن تستحيهم وقيل تخاف لأئمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق  
امرأته ثم نكحها (والله) أي والحال ان الذي لا شيء أعظم منه (أحق ان تخشاه) أي وحده  
ولا تجمع خشية الناس مع خشيتك في أن تؤخر شيئا أخبرك به حتى يأتيك فيه أمر قال عمر وابن

مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه وروى  
 عن مسروق قال قالت عائشة لو كنتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية  
 وتختفي في نفسك ما الله مبديه ويؤيد ما مروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جعدان  
 قال سألتني علي بن الحسين بن زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى وتختفي في نفسك ما الله  
 مبديه وتختفي الناس والله أحق أن تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال يا رسول الله اني أريد أن أطلقها فقال له أمسك عليك زوجك فقال علي بن الحسين  
 ليس كذلك لأن الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وإن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد  
 وقال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك  
 عليك زوجك وقد أعلمت أنك ستكون من أزواجك وهذا هو الملاقى والاليق بحال الانبياء  
 عليهم السلام وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم انه يبدى ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير  
 تزويجها منه فقال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجة من زواجها والدخول بها  
 وذلك بانقضاء عدتها منه لأن به يعرف انه لا حاجة له فيها وانه قد تصاصرت عنها همته  
 والاراجعها (زوجنا كها) أي ولم نخوجك إلى ولي من الخلق يعقدك عليها تنسرينا لك ولها  
 بما لنا من العظمة التي خرقتنا عواذ الخلق حتى اذعن لذلك كل من علم به وسرت به جميع  
 النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض في ذلك بينت شفة عما يؤمنه ويؤثر فيه فلو كان  
 الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز  
 أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على أنه انما وتب على اخفاء ما أعلمه الله تعالى  
 من أنها ستكون زوجته وانما أخفاه استحياء أن يقول لزيدان التي تحتك وفي نكاحك  
 ستكون امرأتى قال البغوي وهذا هو الاولى والاليق وان كان الآخر هو انه أخفى  
 محبتها ونكاحها لوطيقها لا يتدح في حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم على ما يقع  
 في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الودوميل النفس من طبع البشر وقوله  
 أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو خشية الأثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه  
 لم يرديه أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال أنا أخشاكم لله واتقاكم  
 ولكن المعنى الله أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى أحدا معه فأتت تخشاه وتخشى الناس أيضا  
 ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء  
 انتهى وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها  
 روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرهها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عينيها قال فلما رأيتها  
 عظمت في صدرى حتى ما استطيع ان أنظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكرها فوليبتها  
 ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا  
 بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال علي بن الحسين  
 الخ غيره مستقيم أه

فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله وسلم أطمعنا الخبز واللحم حتى  
 امتد النهار فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسانه يسلم عليهم ويقنن يا رسول الله كيف وجدت أهلك  
 قال نعم أدري أنا أخبرته أن القوم خرجوا أو أخبرني قال فأنطلق حتى دخل البيت فذهبت  
 أدخل معه فألقى الستريني بينه ونزل الحجاب وعن أنس رضي الله عنه قال ما أولم النبي صلى  
 الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية ~~أكثر~~ وأفضل ما أولم  
 على زينب قال ثابت فمأولم قال أطمعهم خبزاً ولحماً حتى تركوه قال أنس رضي الله عنه  
 كانت زينب تنفخ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من  
 فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لأدل عليك  
 ثلاث ما من نساءك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحداً وأنك عنك الله في السماء وان  
 السفير بلخبريل عليه السلام وأخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال جاء  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد يقال له زيد بن محمد فدرعا  
 فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول أين زيد فجاء منزله يطلبه فلم يجده وتقوم اليه  
 زينب بنت جحش زوجته فضلا فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقالت ليس هو ههنا  
 يا رسول الله فادخل فأبى أن يدخل فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو بهمهم  
 بشئ لا يكاد يفهم منه الا ربما أعلن بسبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد الى منزله  
 فأخبرته امرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله فقال زيد ألا قلت له ان يدخل قالت  
 قد عرضت ذلك عليه فأبى قال فسمعت شيئاً منه قالت سمعته حين ولي تكلم بكلام لا أفهمه وسمعته  
 يقول سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فقال يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهل ادخلت يا رسول الله لعل زينب أعجبتك  
 فأفارقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها  
 سيلاً بعد ذلك اليوم فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك  
 زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها فينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس  
 يتحدث مع عائشة اذا أخذته غشية فسرى عنه وهو يتيسم ويقول من يذهب الى زينب  
 يبشرها ان الله زوجنيها من السماء وقرأوا ذلك قول للذي الآية قالت عائشة فأخذني ما قرب  
 وما بعد لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم الامور وأشرفها زوجها الله من السماء وقلت  
 هي تنفخ علينا بهذا ولما ذكر تعالى التزويج على ماله من العظمة ذكر عنته بقوله تعالى (التي  
 لا يكون على المؤمنين حرج) أي ضيق واثم (في أزواج أديانهم) أي الذين تبنيهم  
 وأجر وهم في تمهيم أزواجهم مجرى أزواج البنين على الحقيقة (اذا قضوا منهن وطراً)  
 أي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة \* (فائدة) \* لامقموعة في الرسم من لكي  
 \* (تنبيه) \* الادعياء جمع دعي وهو المتبني أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته

ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل به المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب  
 لا تحل للاب (وكان أمر الله) من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهارها ما أخبرك الله  
 تعالى به كراهية لسوء المقالة واستحباب ذلك وكذا كل أمر يريد به سبحانه (مفعولا) أى قضاء  
 الله تعالى ما ضاؤا - حكمه نافذ فى كل ما أرادته لا معقب لحكمه (ما كان على النبي) أى الذى  
 منزله من الله تعالى الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق (من حرج فيما فرض) أى قدر  
 (الله) بما له من صفات الكمال وأوجبه (له) لأنه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك فكيف  
 برأس المؤمنين وقوله تعالى (سنة الله) منه وببئزج الخافض أى كسنة الله (فى الذين خلوا من  
 قبل) من الانبياء عليهم السلام أنه لا حرج عليهم فيما أباح لهم قال الكلبى ومقاتل أرادوا وعليه  
 السلام حين جمع بينه وبين المرأة التى هو بها فكذلك جمع بين محمد وبين زينب وقيل أراد بالسنة  
 النكاح فإنه من سنة الانبياء عليهم السلام فكان من كان من الانبياء عليهم السلام هذا سنة  
 فقد كان لسليمان بن داود وعليه ما السلام ألف امرأة وكان لداود مائة امرأة (وكان أمر  
 الله) أى قضاء الملك الاعظم فى ذلك وغيره (قدرا) وأكده بقوله تعالى (مقدورا) أى لا خلف  
 فيه ولا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه وقوله تعالى (الذين) نعت للذين قبله  
 (يياغون) أى الى أهمهم (رسالات الله) أى الملك الاعظم سواء كانت فى نكاح أم غيره (ويخشونه)  
 أى فيخبرون بكل ما أخبرهم به (ولا يخشون أحدا) قل أو جل (الا الله) فلا يخشون قالة  
 الناس فيما أحل الله لهم (وكفى بالله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (حسيبا) أى حافظا  
 لأعمال خلقه ومحاسبهم \* وما أفاده هذا كله ان الدعى ليس ابنا وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب  
 كما رواه الترمذى عن عائشة تزوج حليمة ابنة قال تعالى (ما كان) أى بوجه من الوجوه  
 (محمد) أى على كثرة نسائه وأولاده (أبنا أحد من رجالكم) لا يجازى بالتبني ولا حقيقة بالولادة  
 فثبت بذلك انه يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل تعالى من بنيكم لأنه لم يكن له فى ذلك الوقت  
 سنة خمس وما داناها ابن ذكر لعلمه تعالى انه سيولد له ابنة ابراهيم عليه السلام مع ما كان  
 له قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم وانه لم يبلغ أحد منهم الحلم عليهم السلام قال  
 البغوى ولو بلغوا لكانوا رجاله لارجالهم انتهى وهذا انما يأتى على ان المراد التبني وقال  
 البغوى والصحيح انه أراد بأحد من رجالكم الذين لم يلد لهم انتهى ومع هذا الاول أوجه  
 كما جرى عليه البقاعى \* ثم لما نبي تعالى أبوته عنهم قال (ولكن) كان فى علم الله غيبا وشهادة  
 (رسول الله) أى الملك الاعظم الذى كل من سواه عبده (وخاتم النبيين) أى آخرهم الذى  
 ختمهم لان رسالته عامة ومعها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال وذلك  
 مفض لا يبلغ له ولدا ذلوا بلغ له ولد لاق بعنصه ان يكون نبيا كراما له لأنه أعلى النبيين  
 رتبة وأعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبياء كرامة الاوله مثلها وأعظم منها ولو صار أحد من  
 ولده رجلا لكان نبيا به - مدظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبى اكرامه  
 روى أحمد وابن ماجه عن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم



قال في ابنه ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان صديقا نبيا وللبخاري نحوه عن البراء بن عازب  
 وللبخاري من حديث بن أبي أوفى لو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي اعاش ابنه  
 ولكن لا نبي بعده وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد لولم اختم به النبيين لمعلت له انبا يكون  
 من بعده نبيا وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه لما حكم أنه لا نبي بعده لم يهطه ولذا ذكر  
 يصير رجلا وقيل من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم اذ هو كالمولود ليس له  
 غيره والحاصل أنه لا يأتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقا استقباه وهذا  
 الآية مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه وأعظمه وذلك أنه في سياق الإنكار بأن يكون بينه  
 وبين أحد من رجالهم نبوة حقيقة أو مجازية ولو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الاولاده ولأن  
 فائدة اثبات النبي تتم شي لم يأت به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه وسلم التمام فلم يبق بعد  
 ذلك مرام بعثت لأتم مكارم الاخلاق وأما تجديد ما وهى مما أحدث بعض النسفة فالعلماء  
 كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن المعجز الذي من سمعه فكأنما  
 سمعه من الله عز وجل لوقوع التحقق والقطع بأنه لا يقدر غيره أن يقول شي يأمنه فهما حصل  
 ذهول عن ذلك قرره من يريد الله تعالى من العلماء فيعود الاستبصار كما روى في بعض الآثار علماء  
 امتي كأنبياء بني اسرائيل وأما تبيان عيسى عليه السلام بعد تجديد الهدى لجميع ما وهى  
 من أركان المكارم فلا جمل فتنة الدجال ثم طامة بأجوج وبأجوج ونحو ذلك مما لا يستقل  
 باعبائه غيرني وما أحسن قول حسان بن ثابت في مرثية لابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم  
 مضى ابنك محمود العواقب لم يشب \* بعيب ولم يذم بقول ولا فعل  
 رأى انه ان عاش ساوالت في العلا \* فاشترأت تقي وحيدا بالمثل

وقال الغزالي في آخر كتابه الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا اللفظ ومن قرائن أحوال صلى  
 الله عليه وسلم انه أفهم عدم نبي بعده أبدا وعدم رسول بعده أبدا وانما ليس فيه تأويل  
 ولا تخصيص وقال ان من أوله بتخصيص النبيين بأولى العزم من الرسل ونحو هذا فكلامه من  
 أنواع الهديان لا يمنع الحكم بتكفيره لانه مكذب لهذا النص الذي أجمعت الامة على أنه غير  
 مؤول ولا مخصوص انتهى وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه السلام غير قادم في هذا النص  
 فانه من أمته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو قد كان نبيا قبله لم يتجدد شي لم يكن فلم  
 يكن ذلك قادم في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم اذ لولاه لما وجد ذلك  
 انه لم يكن نبي من الانبياء شرف الاول صلى الله عليه وسلم مثله أو أعلى منه وقد كانت الانبياء  
 تأتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجددة لها فكان المقررة لشريعة نبينا صلى الله عليه  
 وسلم المتبع للتمه من كان ناهضا لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بفتح التاء  
 والباقون بكسرهما فالفتح اسم للاالة التي يختم بها كالمطابع والقالب لما يطبع به ويتلب  
 فيه يقلب فيه والكسر على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني آخرهم  
 لانه ختم النبيين فهو خاتمهم (وكان الله) أي الذي له كل صفة كمال ازلا وأبدا (بكل شي) من

ذلك وغيره (عليما) فيعلم من يليق بالخدمة ومن يليق بالبدء قال الاستاذ ولي الدين الملوي  
 في كتابه حصن النفوس في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاجدية والمجدية علما  
 وصفة برهان على خفة اذ الحدم مقرون بالفضاء الامور مشروعة عنده واخر دعواهم  
 ان الحمد لله رب العالمين وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 مثلي ومثل الانبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون  
 من حسن بنيانه الاموضع تلك اللبنة لا يعيبون بدواها فكنت اناموضع تلك اللبنة ختم بي  
 البنان وختم بي الرسل وقال عليه الصلاة والسلام ان لي اسماء أنا محمد وأنا أحمد  
 وأنا الماحي يحو الله تعالى بي الكفر وأنا الحاشم الذي يحشر الله تعالى الناس على  
 قدي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي \* ولما كان ما أثبتته لنفسه سبحانه وتعالى  
 من احاطة العلم مستلزما للاحاطة بأوصاف الكمال قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا  
 ذلك بالسنتهم (اذكروا الله) الذي هو أعظم من كل شيء تصديق الدعا كما ذلك (ذكر كثيرا)  
 قال ابن عباس لم يقرض الله تعالى على عبادة فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذرا أهله  
 في حال العذر غير الذكرفانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يهذرا أهله في تركه الا مغلوبا على عقله  
 وأمرهم به في الاحوال فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى اذكروا  
 الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد  
 الذكر الكثير ان لا يفساه ابدافيم ذلك سائر الاوقات وسائر ما هو أهله من التقدير والتهلل  
 والتمجيد (وسجود بكرة وأصيلا) أي أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصها بالذكر للدلالة  
 على فضلها على سائر الاوقات لكونها مشهودين كافر اذ التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة  
 فيها وقال البغوي وسجود أي صلواته بكرة أي صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقال الكلبي  
 وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله  
 ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخوانه وقيل المراد من قوله  
 تعالى ذكر كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحدث \* وعن أنس لما نزل قوله تعالى  
 ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما أنزل الله تعالى  
 عليك خيرا الا أشركا فيه أنزل الله تعالى (هو الذي يصلي عليكم) أي يرجمكم (وملائكته) أي  
 يستغفرون لكم فالصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين فذكر صلواته  
 تحريضا للمؤمنين على الذكروالتسبيح قال السدي قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام  
 أي صلي ربنا فكبرها هذا الكلام على موسى فأوحى الله تعالى اليه قل لهم اني أصلي وان صلواتي  
 رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل الصلاة من الله هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل  
 التناء عليه واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم وهو سبب للرحمة من حيث انهم  
 مجابو الدعوة فقد اشتركت الصلاتان واللفظ المشترك يجوز استعماله في معنيهما معا وكذلك  
 الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جاز قال الرازي وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى

وهو غـير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفوره  
والمراد هو القدر المتـرك فتكون الدلالة تضمنية \* ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه قال  
تعالى (ليخرجكم) أي ليدم اخراجه اياكم بذلك (من الظلمات) أي الكفر والمعصية  
(الى النور) الى الايمان والطاعة أو ليخرجكم من الجهل الموجب للضلال الى العلم المنير  
للهدى (وكان) أي أزلا وأبدا (بالمؤمنين) أي الذين صاروا الايمان وصفاهم (رحيما) أي  
يلبغ الرحمة بتوفيقهم حيث اعتنى بصلاح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين فعملهم  
ذلك على الاخلاص في الطاعات فرفع لهم الدرجات في روضات الجنات (تحيتهم) أي المؤمنین  
(يوم يلقون) أي يرون الله تعالى (سلام) أي يسلم الله تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات  
وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت فلا يقبض روح  
مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك  
السلام وقبل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم (وأعد) أي والحال  
انه أعد (لهم) أي بعد السلامة الدائمة (أجرا كريما) هو الجنة وتقدم ذكر الكريم في الرزق  
(فان قيل) الأعداد انما يكون من لا يقدر عند الحاجة الى الشيء عليه واما الله تعالى فغير محتاج  
ولا عاجز حيث يلقاه يؤتيه ما يرزى به وزيادة فامعنى الأعداد من قبل (أجيب) بان الأعداد  
للذكار لا للحاجة قال البيضاوى ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم  
(يا أيها النبي) أي الذي نخبره بما لا يطلع عليه غيره (انا أرسلناك) أي بعظمتنا الى سائر خلقنا  
(شاهدا) أي عليهم يتصديقهم وتكذيبهم وبنجاتهم وضلالتهم وشاهد الرسل بالبلغ وهو  
حال مقدرة أو مقارنة لقرب الزمان (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار  
(وداعيا لله) أي الى توحده وطاعته وقوله تعالى (بآذنه) حال أي متلبسا بتسليمه ولا يريد  
حقيقة الأذن لانه مستفاد من أرسلناك (وسراجا) أي مثله في الأهداء به بعد البصائر فيجلى ظلمات  
الجهل بالعلم للمبصر لمواقع الزوال كما بعد النور الحسى نور الابصار (منبرا) أي نبراعلى من اتبعه  
فيصير في أعظم ضياء ومن تخلف عنه كان في أشد ظلام وعبره دون الشمس مع أن الشمس أشد  
اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يؤخذ منه شيء والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة اذا انطفأ  
الاول يبقى الذي أخذ منه وكذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي سراجا يؤخذ  
منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم قال ابن  
عادل وفي هذا الخبر لطيفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل أصحابه كالسراج وجعلهم  
كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور يستفاد منه فكذلك  
الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم فلا يؤخذ الا قول النبي صلى الله  
عليه وسلم وفعله فأنوار المجتهدين  $\leftarrow$  لهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسراج  
والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجا كان للجهتدان يستنير عن أراد منهم ويأخذ النور عن  
اختار وليس كذلك فان مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل يؤخذ

النور من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجاً \* (تنبيه) \* جوز  
القراء أن يكون الاصل وتالياً سراجاً ويعني بالسراج القرآن وعلى هذا فيكون من عطف  
الصفات وهي الذات واحدة لأن التالي هو المرسل وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على  
مخدوف مثل فراقب أحوال أمتك ولم يقل اندر المرصين إشارة للكرم وقوله تعالى (بأن لهم  
من الله فضلاً كبيراً) كقوله تعالى أعد لهم أجراً عظيماً والعظيم والكبير متقاربان \* ولما أمره  
سبحانه وتعالى بما يسرتهاه عما يضره بقوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي لا تترك  
إبلاغ شيء مما أنزلت اليك من الأندار وغيره كراهة لشيء من مقالهم وأفعالهم في أمر زينب  
وغيرها فإنك نذير لهم وزاد على ما في أول السورة محط الفائدة في قوله مصرحاً بما اقتضاه ما قبله  
(ودع) أي اترك على حالة حسنة لك وأمر جليل بك (أذاهم) فلا تحسب له حساباً أصلاً واصبر  
عليه فإن الله تعالى دافع عنك لأنك دافع باذنه (وتوكل على الله) أي الملك الاعلى (وكنى بالله)  
أي الذي له الاحاطة الكاملة (وكيلاً) أي حافظاً قال البغوي وهذا منسوخ بآية القتال ولما بدأ  
الله تعالى بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى يا أيها  
النبي اتق الله وثني بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه الشريقات بقوله تعالى بعده  
يا أيها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك  
شاهداً وكان تعالى كلما ذكر نبيه مكرمة وعلمه أدياً ذكر للمؤمنين ما يناسبه فلذلك بدأ في إرشاد  
المؤمنين بجانب الله تعالى فقال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ثم ثني بما يتعلق  
بجانب من تحت أيديهم بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) أي عقدتم  
على الموصوفات به هذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيهن وأتم الوصله بينكم  
وبينهن ثم كما تثلث في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الأمة تثلث في حق المؤمنين بما  
يتعلق بهم فقال بعده هذا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه  
وسلموا تسليماً (فإن قيل) إذا كان هذا إرشاداً بما يتعلق بجانب من هو من خواص المرأة فلم  
خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى (ثم طلقتهوهن من قبل أن تمسوهن)  
أي تجامعهوهن أطلق المس على الجماع لأنه طريق له كما سمي الخراجاً لما يناسبه (أجيب)  
بأن هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها ويبيانه أن المرأة إذا طلقت قبل  
المسيس لم يحصل بينهن مائتاً كيد العهد ولهذا قال تعالى في حق المسوسة وكيف تأخذونه وقد  
أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً فإذا أمر الله تعالى بالتمتع والاحسان  
مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما حصلت المودة بالنسبة إليها بالافضاء أو حصل تأكدها  
بوصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى فلا تقل لهما أف ولوقال لا تضرهما ولا تشتمهما  
ظن أنه حرام لمعنى يختص بالضرب أو الشتم لهما فأما إذا قال لا تقل لهما أف علم منه معان  
كثيرة فكذلك ههنا أمر بالاحسان مع من لا مودة معها فاعلم منه الاحسان إلى المسوسة ومن لم  
تطلق بعد ومن ولدت عنده منه وقرأ حزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقون بفتح

التاء ولا أتبع الميم • ولما كانت العدة قال الرجال وان كانت لاقطة باسقاطهم لما فيها من  
 حق الله تعالى قال تعالى (فما لكم عابدين من عدة) أي أياماً يتربصن فيها بأنفسهن (تعدتونها)  
 أي تحصون ما وتسوتونها بالاقراء وغيرها فتعدتونها صفة لعدة وتعدتونها المامن العسد  
 وامامن الاعتداد أي تحسبونها أو تسوتونها من عددها من قولك عدت الدراهم فاعتدها أي  
 استوفيت عددها نحو وكلته فاكل ووزته فاتزن (فان قيل) ما العدة في الايمان ثم وحكم من  
 طلقت على الفور بعد العقد كذلك (أجيب) بأن ذلك اذاحة لما في توهيم ان تراخي الطلاق  
 وربما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب فيؤثر في العدة وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد  
 الخلو وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتبسيه على ان شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة فخبرنا  
 لطفة المؤمن وفي هذه الآية دليل على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى  
 رتب الطلاق بكلمة ثم وهي للتراخي - في لو قال لا جنبيه اذ انكحتم فان طالق أو كل امرأة  
 أتزوجها فهي طالق فذلك لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة  
 رضي الله تعالى عنهم وبه قال أهل العلم منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهم ما وروى  
 عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب  
 الرأي وقال ربيعة ومالك والاولا زاعى ان عين امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى عن كريمة  
 عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال كذبوا على ابن مسعود رضي الله عنه ان كان قالها فزلة  
 من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى اذ انكحتم المؤمنات ثم  
 طلقتموهن ولم يقبل اذ اطلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عطاء عن جابر لاطلاق قبل النكاح  
 وقوله تعالى (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به محله كما قال ابن عباس رضي الله عنه  
 اذ لم يكن سعى لها صداقاً الا فلها نصف الصداق ولا تمتع لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة  
 بقوله تعالى فأنصف ما فرضتم أي فلا تمتع لها مع وجوب نصف الفرض واختلاف في المتعة  
 هل هي واجبة أو مندوبة وهي عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى  
 فتعالين أمتعن وعند بعض الأئمة انها مندوبة وقال بعضهم هي مندوبة عند استحقاقها  
 نصف المهر واجبة عند عدمه وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال لظهور الآية  
 (وسر حوهن سرا حايلاً) أي خلوها سيلاً بالمعروف من غير ضرار وليس لكم عليهن  
 عدة (وقيل) السراح الجميل أن لا يطالب بما دفعه اليها بأن يخلى لها جميع المهر وقوله تعالى  
 (يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك الالتي آتيت أجورهن) أي مهرهن لان المهر أجر على  
 البضع بان لا يثار الا فضل له لالتوقف الحل عليه وليفيد احلال المملوك بكونها مسبية بقوله  
 تعالى (وما مملكت عيبتك مما آفأ الله) أي الذي له الامر كله (عليك) مثل صفة بنت حبي  
 النصيرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية مما كان في ايدي الكفار وتقييد  
 الاقارب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى (وبينات عنك) أي الشقيق وغيره (وبينات  
 عنك) أي نساء قريش ولباباً بالعمومة لشرفها آتيتها قوله تعالى (وبينات خالك) جارياً

في الافراد والجمع على ذلك النحو (وينات خالاتك) من نساء بنى زهرة وقال البقاعي ويمكن في ذلك  
 احتسابك عجيب وهو وينات عمك وينات أعمامك وينات عماتك وينات عمتك وينات خالك وينات  
 أخواتك وينات خالاتك وينات خالاتك انتهى وقوله تعالى (اللاتى هاجرن معك) يحتمل تقييد  
 الحل بذلك في حقه خاصة وبعضه ما روى الترمذى والحاكم عن أم هانئ بنت أبي طالب انها  
 قالت في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرتني ثم أنزل الله تعالى انه أحلنا  
 لك أزواجك الآية فلم أكن لاحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أى الاسراء الذين أطلقوا  
 من الاسر وخلى سبيلهم قال ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل انتهى ثم ان الله تعالى ذكر  
 ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وأمرأة) أى حرة (ومنة ان وهبت نفسها  
 للنبي ان أراد النبي) أى الذى أعلننا قدره بما خصصناه به (ان يستنكها) أى يوجد نكاحه  
 له بأبجدها من منكوحاته فتصير له مجرد ذلك بلا مهر ولاولى ولاشهود وخرج باؤمنة الكفاية  
 فلا تحل له لانها تنكح به ولانه أشرف من أن يضع مائه في رحم كافرة ولقوله تعالى وأزواجه  
 أمهاتهم ولا يجوز أن تكون المشركة أم المؤمنين ونحوها سألته ربي أن لا أزقح الامن كان  
 معي في الجنة فأعطاني رواه الحاكم وصححه اسناده وأما التسرى بالكفاية فلا يحرم عليه قال  
 الماوردى لانه صلى الله عليه وسلم تسرى برجمانة وكانت يهودية من بنى قريظة واستشكل  
 بهذا عملهم السابق بأنه أشرف من أن يضع مائه في رحم كافرة وأجيب بأن القصد بالنكاح  
 أصالة التوالد فاحتيط له وبأنه يلزم فيه أن تكون الزوجة المشركة أم المؤمنين بخلاف الملك  
 فيها وخرج بالحرة الرقيقة وان كانت مؤمنة لان نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم  
 ويفقدان مهر حرة ونكاحه غنى عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم  
 منزله عنه (تنبيه) في نصب امرأة وجهان أحدهما أنه عطف على مفعول أحلنا أى وأحلنا  
 لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال أبو البقاء وقد رده هذا قوم وقالوا أحلنا ما مضى وان  
 وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فأحلنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا  
 في المعنى قال وهذا اليسر يصحح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك  
 كما تقول أجهت لك أن تكلم فلانا ان سلم عليك والثاني أنه نصب بقدر تقديره ونحل لك امرأة  
 وفي قول الله تعالى ان وهبت ان أراد اعتراض الشرط على الشرط والثاني هو قيد في الاول  
 ولذلك نعر به حالا لان الحال قيد وهذا الشرط الفقهاء أن يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو  
 قال لزوجته ان اكلت ان ركبت فأنت طالق فلا بد أن يتقدم الركوب على الاكل وهذا التحقيق  
 الحالية والتقييد كما ذكر اذ لو لم يتقدم لخلاجه من الاكل غير مقيد بركوب فلماذا الشرط تقدم  
 الثاني ولكن يشترط أن لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول كقوله لامرأة ان  
 تزوجت ان طلقتك فمبدي حرة لا يتصور ههنا تقدم الطلاق على التزوج قال بعض المفسرين وقد  
 عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك أن الشرط الثاني ههنا لا يمكن تقدمه  
 في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن لا يمكن عقلا وذلك أن المفسرين

فسروا قوله تعالى ان اراهم قبل الهبة لان القبول منه صلى الله عليه وسلم يتم سكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر فان العصمة كانت في تأخر ارادته عن هبتها ولما جاء أبو حيان الى هنا جعل الشرط الثاني مقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستش كل شيأ مما ذكر قال ذلك البعض وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من أنه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته آفاً ولما كان ربحاً فهم أن غير النبي صلى الله عليه وسلم يشارك في هذا المعنى قال الله منها للخصوصية (خاصة لك) وزاد المعنى بياناً بقوله تعالى (من دون المؤمنين) أي من الانبياء وغيرهم \* (تنبيهات) \* الاول في اعراب خالصة وفيه أوجه أحدها أنه منصوب على الحال من فاعل وهبت أي حالة كونها خالصة لك دون غيرك ثانياً أنها نعت مصدر مقدر أي هبة خالصة فنصبه بوهبت ثالثاً أنها حال من امرأة لأنها وصفت فتخصصت وهو معنى الاول واليه ذهب الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى انا أحللتك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق \* (التنبيه الثاني) \* في انعقاد النكاح يلفظ الهبة في حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء لا يتعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعي ومعه في الاية ان اباحة الوطء بالهبة ووصول التزويج بلانظها من خواصه صلى الله عليه وسلم وقال النخعي وأبو حنيفة وأهل الكوفة يتعقد بلفظ الهبة والتملك وان معنى الآية ان تلك المرأة صارت اخصاً لك ترجحة من أتهات المؤمنين لانحل لغيرك تبدأ بالتزويج (وأجيب) بأن هذا التخصيص بالواهبية لا فائدة فيه فان أواجه صلى الله عليه وسلم كلهن خالصات له وما مرر للتخصيص فائدة \* (التنبيه الثالث) \* في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امرأة ممنه فقال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعد ذلك ككاح أو ملك عين وقوله تعالى وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال غيرهما بل كانت وهوية وهو ظاهر الآية واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها أم لسانكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر بن أبي أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم \* (التنبيه الرابع) \* في ذكر شي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت منها أشياء كثيرة ينشرح الصدر بها في شرح التنبيه فلا أطيل بذكرها هنا ولكن أذكر منها طرفاً يسيراً كبير كبركة صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام فان ذكرها مستحب قال النووي في روضته ولا يعد القول بوجودها التلاوي الجاهل ببعض الخصائص في الخبر الصحيح فيعمل به أخذاً بأصل النامى فوجب بيانها التعرف وهي أربعة أنواع \* أحدها الواجبات وهي أشياء كثيرة منها الضحى والوتر والاضحية وفي الحديث ما يدل على أن الواجب أقل الضحى وقياسه أن الوتر كذلك \* ومنها السواك لكل صلاة والمشاركة لذوى الاحلام في الامر وتخيير نسائه بين مفارقتهم طلباً للدنيا واختياره طلباً للآخرة ولا يشترط الجواب له ممنه

فورا فلواختارونه واحدة لم يحرم عليه طلاقها أو كرهته توقفت القرقة على الطلاق وليس  
 قواها اخترت نفسى بطلاق كما مرت الإشارة اليه وله تزوجها بعد الفراق النوع الثاني المحرمات  
 وهي أشياء كثيرة منها الزكاة والصدقة وتعلم الخط والشعر ومداد العين الى متاع الدنيا وخاتنة  
 العين وهي الاعياء بما يظهر خلافه دون الخديعة في الحرب وامسال من كرهت نكاحه ومنها  
 نكاح كابية لا للتسرى بها كما تزول يحرم عليه أكل النوم ونحوه ولا الاكل متكئا النوع  
 الثالث الخفيفات والمباحات وهي كثيرة جدا منها تزويج من شاء من النساء لمن شاء ولو انفسه  
 بغير إذن من المرأة ووليها متوليا للطرفين وزوجه الله تعالى وأبيح له الوصال وصنى المغنم ويحكم  
 ويشهد لولده ولو انفسه وأبيح له نكاح تسع وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ومات  
 عن تسع قال الائمة وكثرة الزوجات في حقه صلى الله عليه وسلم لتوسعة في تليغ الاحكام  
 عنه الواقعة سرا مما لا يطلع عليه الرجال ونقل محاسنه الباطنة فانه صلى الله عليه وسلم  
 تكمل له الظاهر والباطن وحرم عليه الزيادة عليهن ثم نسخ وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى  
 وينعقد نكاحه محرما وبلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح أو التزويج لظاهر قوله  
 تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها ولا مهر للواهبه له وان دخل بها وتجب اجابته على  
 امرأة ورغب فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها النوع الرابع الفضائل وهي كثيرة  
 لا تدخل تحت المحصر منها تحريم منكوحاته على غيره سواء كن موطوات أم لامطلقات  
 باختيارهن أم لا وتحريم سراريه وهن اماؤه الموطوات بخلاف غير الموطوات وتقدم ان  
 نساء امهات المؤمنين لا المؤمنات بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه أبو الرجال والنساء وتقدم  
 الكلام على قوله تعالى ما كان محمدا أبأ أحسن من رجالكم وان نوابهن وعقابهن مضاعف  
 ومنها انه يحرم سواهن الامن وراه حجاب وأفضلهن خديجة ثم عائشة وأفضل نساء العالمين  
 مريم بنت عمران اذ قيل يقوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة  
 ثم آسية امرأة فرعون وأما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة  
 بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون فأجيب عنه بان  
 خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم  
 خاتم النبيين ومنها أنه أول النبيين خلقا وأفضل الخلق على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان  
 نبيا و آدم منجدل في طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وبأنه أول من قال بلى وقت ألت برلكم  
 ويخلق آدم وجميع المخلوقات من أجله وكآبة اسمه الشريف على العرش والسموات والجنات  
 وسائر ما في الملكوت ويشق صدره الشريف ويجمع ل خاتم النبوة يظهره بازاء قلبه وبحراسة  
 السماء من استراق السمع والرمي بالشهب ويأجياه أبو به حتى آمنابه وبأنه أول من تشق عنه  
 الارض يوم القيامة وأول من يقرع باب الجنة وأول شافع وأول مشفع وأكرم بالشفاعات  
 الخمس يوم القيامة أولها العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يقزعون اليه بعسدا الانبياء  
 الثانية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله وأحبنا منهم الثالثة في ناس استحقوا



دخول النار فلا يدخلونها \* الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون منها الخامسة في رفع  
 درجات ناس في الجنة وكما ثبت بالأخبار وخص منها بالعظمى ودخول خلق من أمتة الجنة بغير  
 حساب وهي الثانية قال النووي في روضته ويجوز أن يكون خص بالثالثة والخامسة أيضا  
 ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجدا وترابها طهورا وأحلت له العنائم أرسل  
 إلى الكافة ورسالة غيره خاصة وأما عموم رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان لا يختص  
 بالباقيين فيمن كان معه في السفينة وهو أكثر الأنبياء أتباعا وأمتة خير الأمم وأفضلها أصحابه  
 وأفضلهم الخلق الأربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع على  
 ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة ولها فضائل كثيرة على سائر الأمم \* منها أنهم أول من يدخل  
 الجنة بعد الأنبياء عليهم السلام \* ومنها وضع الأصروايلة القدر والجمعة ورمضان على أحد  
 قولين ونظر الله تعالى إليهم ومغفرته لهم أول ليلة لهم وطيب خلوف فم صاعه عنده تعالى  
 واستغفار الملائكة عليهم السلام في ليلة ونهاره وأمر الله تعالى الجنة أن تزين لهم ورد صدقاتهم  
 إلى فقرائهم والغرة والتجميل من أثر الوضوء وسلسلة الاستناد والحفظ عن ظهر قلب وأخذ العلم  
 عن الأحداث والمشايخ وكتابه صلى الله عليه وسلم معجز محفوظ من التغيير والتبديل وقيم بعده  
 حجة على الناس ومعجزات سائر الأنبياء انقضت وشريعته مؤيدة نامحة لغيرها من الشرائع  
 وتطوعه قاعدا كقائم ويحرم رفع الصوت فوق صوته قال القرطبي وكره بعضهم رفعه عند قبره  
 صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام وتجب اجابته في الصلاة ولو بان الفعل ولا تبطل  
 ويحرم نداؤه من وراء الحجرات ويحرم نداؤه باسمه كما محمد صلى الله عليه وسلم لا بكنيته كما أبا القاسم  
 ويحرم التكني بكنيته مطلقا وقيل مختص بزمنه وقيل على من اسمه محمد وكان يتبرك ويستشفى  
 بيوله ودمه وفضلاته المازلة من الدر لا ترى بخلافها من القبل والذي صوبه بعض المتأخرين  
 طهارتهم وهو الصواب وأولاد بناته ينسبون إليه وأعطى جوامع الكلام وكان يؤخذ عن الدنيا  
 عند تلقى الوحي ولا يقطع عنه التكليف ورؤيته في النوم حق ولا يعمل بها فيما يتعلق بالأحكام  
 لعدم ضبط النائم والكذب عمد عليه كبيرة ولا يجوز الجنون على الأنبياء ولا الاحتلام ولا تأكل  
 الأرض لحومهم وفي هذا القدر كفاية ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الخصائص فان  
 العلماء قد صنفوا في ذلك تصانيف وأنا سأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يشفعه فينا ويدخلنا معه  
 الجنة ويهمل ذلك بأهلينا ومشايخنا وأخواننا ومحبينا ولا يحرمنا زيارته ولا رؤيته قبل الممات  
 \* ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص  
 تام القدرة لمنع غيره من ذلك قال تعالى (قد) أي أخبرناك بأن هذا أمر يخصك غيرهم لا ناقد  
 (علمنا فرضنا) أي قدرنا بعظمتنا (عليهم) أي على المؤمنين (في أزواجهم) أي من شرائط  
 العقد وأنهم لا فعل لهم امرأة بلفظ الهبة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولي وشهود وهذا عام  
 لجميع المؤمنين المتقدمين والمتأخرين (و) في (ماملكت أيمانهم) من الاماء بشرائه وغيره بأن  
 تكون الامة ممن تحمل لمالكها كالكفاية بخلاف الجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء وقيل

المراد ان أحد اغريك لا يملك رقبته بيدهم النفسها منه فيكون أحق من سيدها \* ولما فرغ من تعليل  
الدونية علل التخصيص لغا ونشر امثولة تعالى (التي لا يكون عليك حرج) أي ضيق  
في شيء من أمر النساء حيث أحلنا لك أنواع المنكوحات وزدناك الواهبة فلكيلا تعلق  
بخالصة وما بينهما ما عترض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خاص من كذا (وكان الله)  
أي المتصف بصفات الكمال أزلا وأبدا (عفو ورحيما) أي يبلغ السر لي عباده \* ولما ذكر  
تعالى ما فرض في الأزواج والاموال الشامل للعدل في عشرتهم وكان صلى الله عليه وسلم أعدل  
الناس فيهما وأشد هم لله خشية وكان يعدل بينهم ويعتذر مع ذلك عن ميل القلب الذي هو  
خارج عن طوق البشر بقوله اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك خفف عنه سبحانه  
وتعالى بقوله (ترجي) أي تؤخر وتترك مصاحبته (من تشاء ممنن وتؤوي) أي تضم (الملك  
من تشاء) وتراجعها وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بإسما كنة بعد الجيم من الأرجاء أي  
تؤخرها مع أفعال تكون بها راجية لعطفك والباقيون بضمزة مضمومة وهو مطلق التأخير  
(ومن ابتغيت) أي طلبت (ممن عزات) أي من القصة (فلا جناح عليك) أي في وطئها ووضعها  
اليك \* (تنبيه) \* اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فاشهر الأقوال أنهم في القسم بينت  
وذلك أن التسوية بينهم في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار  
الاختيار إليه فيهن وقال ابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين عن النبي  
صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة في النفقة فهجرهن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا  
حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلى بيبل من  
اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على أمن من أمهات المؤمنات وأن لا يتكهن أبدا  
وعلى أن يؤوي إليه من يشاء ويرجي من يشاء فبرضين قسم لهن أو لم يقسم قسم لبعضهن دون  
بعض أو فصل بعضهن في النفقة والقصة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان لك  
من خصائصه فرضين بذلك واختاره على هذا الشرط وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة  
إلى أمته نسبة السيد المطاع والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها  
رق فكيف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم  
بين المملوكات واختلفوا هل أخرج أحد منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحد منهن  
عن القسم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهم في القسم  
الاسودة فأنها رضيت بترك حثها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن  
روى جرير عن منصور عن أبي رزين قال لما نزلت آية التخيير أشدقن أن يطلقهن فقلن يا رسول  
الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بعضهن وأوى إليه بعضهن فكان من أوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة  
وكان يقسم بينهم سواء وأرجأ منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان  
لا يقسم لهن ماشاء وقال مجاهد ترجي من تشاء ممنن أي تعزل من تشاء ممنن بغير طلاق وترد

اليك من نساء بعد العزل بلا تجديد عقد و ل ابن عباس تطلق من نساء منهن وتعتك من نساء  
 وقال الحسن قترك نكاح من شئت من نساء أمتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب  
 امرأة لم يكن امره خطبتهما حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من نساء من  
 المؤمنات اللاتي يهن أنفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من نساء فلا تقبلها وروى هشام عن  
 أبيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة  
 أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من نساء منهن قلت يا رسول الله ما أرى  
 ربك الا يسارع في هوائك (ذلك) أي التفرؤيض الى مشيقتك (أدنى) أي أقرب (أن) أي  
 الى أن (تقرأ بينهن) أي بما حصل لهن من عشرتك الكريمة وهو كفاية عن السرور والطمأنينة  
 يلوغ المراد لان من كان كذلك كانت عينه قارة ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب  
 هذا اذا كان من القرار بمعنى السكون ويجوز أن يكون من القر الذي هو ضد الحر لان  
 المسرور تكون عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فذلك يقال للصديق أقر الله تعالى عينك  
 وللعديق خض الله عينك (ولا يحزن) أي بالفرق وغيره مما يحزن من ذلك (ويرضين) لعلمهن ان  
 ذلك من الله تعالى (بما آتيتن) أي من الاجور ونحوها من نفقة وقسم وايشار وغيره  
 أ ك ذلك بقوله تعالى (كلهن) أي ليس منهن واحدة لاهي كذلك لان حكم كلهن فيه سواء  
 ان سويت بينهن وجدان ذلك تنضامك وان رجحت بعضهن على أن يحكم الله تعالى فتطمئن  
 نفوسهن ورا ذلك تأكيذا للمال ذلك من الغرابة بقوله تعالى (والله) أي بما له من الاحاطة  
 بصفات الكمال (يعلم ما في قلوبكم) أي الخلاق كلهم فلا بدع أن يعلم ما في قلوب هؤلاء  
 (وكان الله) أي أزلا وأبدا (علما) أي بكل شيء من طبيعته ومن ربه صبه (حليما) لا يعاجل من  
 عساه بل يديم احسانه اليه في الدنيا فيجب أن يبقى لعله وحله فعلمه موجب للخوف منه وحله  
 مقتض للاستحياء منه وأخذ الخليم شديد فينبغي لعبده المحب له ان يحلم عن تعلم تقصيره في حقه  
 فانه سبحانه يأجره على ذلك بأن يحلم عنه فيما علمه منه ويرفع قدره ويعلى ذكره وروى  
 البخاري في التفسير عن معاذ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم  
 المرأة من بعد أن أنزلت هذه الآية ترجى من نساء الآية قات لها ما كنت تقولين قالت كنت  
 أقول له ان كان ذلك الى فاني لأأريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدا ولم أمره الله تعالى  
 بالخير وخبرهن واخترن الله ورسوله زاد الله تعالى سرورهن بقوله تعالى (لا تحمل لك النساء  
 من بعد) أي بعد من معك من هؤلاء التسع اللاتي اخترتك شكرا من الله لهن لكونهن لما  
 نزلت آية التخيير اخترن الله ورسوله فخرم عليه النساء سواهن ونهاهن عن تطليقهن وعن  
 الاستبدال بهن بقوله تعالى (ولا أن تبدل بهن) أي هؤلاء التسع وأعرق في النبي بقوله تعالى  
 (من) أي شيامن (أزواج) أي بأن تطلقهن أي هؤلاء المعينات أو بعضهن وتأخذ بدلها من  
 غيرهن (ولو أعجبك حسنهن) أي النساء المغايرات ان معك قال ابن عباس يعني أسماء بنت  
 عيسى الخنسية امرأة جعفر بن أبي طالب فلما استشهد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يخطبهم أفهمى عن ذلك وقرأ أبو عمرو لا تحل لك بالنساء العوقية والباقون بالياء الغصية وشد  
 البرى التام من ان تبدل \* (تنبيه) \* فى الآية دليل على اباحة النظر الى من يريد نكاحها لكن  
 من غير العورة فى الصلاة فينظر الرجل من الحرة الوجه والكفين ومن الامة ما عدا ما بين السرة  
 والركبة واحتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امرأته انظر اليه فإنه أحرى  
 ان يؤدم بينكما أى تدوم المودة واللفة رواه الحاكم وصححه وقوله تعالى (الامم ملكت عينك)  
 استثناء من النساء لانه يتناول الأزواج والاماء أى فتحل لك وقد ملك بعدهن مارية وولدت  
 له ابراهيم ومات واختلنواهل أبيع له النساء من بعد قالت عائشة مامات رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم حتى أحل الله له النساء أى ففسخ ذلك وأبيع له أن يباح أكثر منهن بأية أنا أحلنا لك  
 أزواجك (فان قيل) هذه الآية متقدمة وشرط النامح أن يكون متأخرا (اجيب) بأنهم مؤخرون  
 فى النزول متقدمة فى التلاوة وهذا أصح الاقوال وقال أنس مات على التحريم وقال عكرمة  
 والضالك معنى الآية لا تحل لك النساء بعد اتى أحلنا لك بالصيغة التى تقدم ذكرها وقيل لابي  
 ابن كعب لومات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له أن يتزوج فقال وما يمنع من ذلك قيل  
 قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله تعالى له ضمير بان النساء فقال يا أيها  
 النبي أنا أحلنا لك أزواجك ثم قال لا تحل لك النساء من بعد قال أبو صالح أمر أن لا يتزوج  
 أعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والحال والحالة ان شاء ثمانية  
 وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن يقول  
 ولأن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى وقال ابن زيد فى قوله تعالى ولا ان تبدل  
 بهن من أزواج وكانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل لرجل بأدنى  
 بأمرأتك وأبادلك بأمرأتى تنزلنى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا ان  
 تبدل بهن من أزواج يعنى تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجته وتأخذ زوجته الامام ملكت  
 عينك فلا بأس أن تبادل بجاراتك من شئت فأما الحرائر فلا روى عطاء بن يسار عن أبي هريرة  
 قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن ومعه عائشة فقال له النبي  
 صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما الاستئذان على رجل من مضر  
 مذ أدركت ثم قال من هذه الحبرة الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين فقال عيينة أفلا  
 أنزل لك عن أحسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج  
 قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا أحق مطاع وانه على ما ترى لسيد قومه \* ولما  
 أمر تعالى فى هذه الآيات بأشياء ونهى عن أشياء وحدد حدودا حذر من التهاون بشئ منها  
 ولو بنوع تأويل بقوله تعالى (وكان الله) أى الذى لا شئ أعظم منه وهو المحيط بجميع صفات  
 الكمال (على كل شئ رقيباً) أى حافظا على ما بكل شئ قادر عليه فحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حد  
 بكم وهذا من أشد الاشياء وعيدا \* ولما ذكر حالة النبي صلى الله عليه وسلم مع أمته فى قوله  
 تعالى يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً اذ كراههم معه من الاحترام له صلى الله عليه وسلم بقوله

تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا الايمان صدقوا دعواكم فيه بأن (لا تدخلوا بيوت النبي)  
 أي الذي تأتيه الانبياء من علام الغيوب مما فيه رفعت في حال من الاحوال أصلاً (الا) في حال  
 (ان يؤذن لكم) أي ممن له الاذن في بيوته صلى الله عليه وسلم منه أو ممن يأذن له في الدخول  
 بالدعاء (الى طعام) أي أكله حال كونهم (غير ناظرين) أي منتظرين (اناء) أي نضجه وهو  
 مصدر أنى يأنى وقرأ هشام وحزرة والكسائي بالامالة وورث بالفتح وبين اللفظين والباقيون  
 بالفتح \* ولما كان هذا الدخول بالاذن مطلقاً وكان يراد تقييده قال تعالى (ولكن اذا دعيت)  
 أي عن له الدعوة (فادخلوا) أي لاجل مادعاكم له ثم تسبب عنه قوله تعالى (فاذا طعمتم)  
 أي أكلتم طعاماً وشربتم شراباً (فاتشربوا) أي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد  
 الاكل او الشرب لامستريحين لقرار الطعام (ولامستأنسين الحديث) أي طالبين الانس لاجله  
 \* (فائدة) \* قال الحسن حسبك بالثقله ان الله لم يجوز في أمورهم وعن عائشة رضی الله تعالى  
 عنها أنها قالت حسبك بالثقله ان الله تعالى لم يحتملهم ثم علل ذلك بقوله تعالى مصوباً بالخطاب  
 الى جميعهم معظماً له بأداة البعد (ان ذلكم) أي الامر الشديد وهو المكث بعد الفراغ  
 (كان يؤذى النبي) أي الذي هيأناه لسمع ما ننبه به مما يكون سبب شرفكم وعلوكم في الدارين  
 فاحذروا أن تشغلوه عن شيء من منته ثم تسبب عن ذلك المانع له من مواجعتهم له بما يزيد اذاه  
 بقوله تعالى (فيسخى منكم) أي بأن يأمركم بالانصراف (والله) أي الذي له جميع الامر  
 (لا يسخى من الحق) أي لا يفعل فعل المستخى فيؤديه ذلك الى ترك الامر به \* (تنبيه) \*  
 قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب حين نبى بها رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم لما روى ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك انه كان ابن عشر سنين فقدم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أمهاتى توطننى على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقدمته عشر سنين وتوفى وأنا ابن عشرين سنة فكانت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل  
 وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش أصح النبي صلى  
 الله عليه وسلم بها عروساً فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رطمتهم عند النبي  
 صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه انكى  
 يخرجوا فغشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضی الله تعالى عنها  
 ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يخرجوا  
 فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرجع  
 ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فنسب النبي صلى الله عليه وسلم لم يني وبينه الستة ووزلت  
 آية الحجاب وقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 البيت وأرخى الستة واني لني الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن  
 يؤذن لكم الى قوله تعالى والله لا يسخى من الحق وروى عن ابن عباس انها نزلت في ناس  
 من المسلمين كانوا يصينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى

أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية  
 يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وروى أبو يعلى الموصلي عن أنس قال  
 بعثني أم سليم برطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين يديه فأصاب منه ثم أخذ  
 بيدي فخرجنها وكان حديث عهد بعرس زينب بنت جحش قال فترينسا من نسائه وعندهن رجال  
 يتحدثون فهزيمه وهنأه الناس فقالوا الحمد لله قرت به منك يا رسول الله فضى حتى أتى عائشة  
 فاذا عندها رجال قال فذكره ذلك وكان إذا ذكره الشيء عرف في وجهه قال فأتيت  
 أم سليم فأخبرتها فقالت أبو طلحة أين كان كما قال ابنك ليحدثن أمر قال فلما كان من العشي خرج  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا  
 الآية وروى البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عرو وسابز ينب فقالت لي  
 أم سليم لو أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلی فعمدت إلى تمر وأقط وبعن  
 فاتخذت حبة في برمة وأرسلت بهاسي إليه فقال لي ضعها ثم أمرني فقال ادع لي رجلا  
 سماهم وادع لي من أقيت ففعلت الذي أمرني فربعت فاذا البيت خاص بأهله وفي رواية  
 الترمذي أن الراوي قال قلت لأنس كم كانوا قال زهاء ثمانمائة فرأيت النبي صلى الله  
 عليه وسلم وضع يده على تلك الحبة وتكلم بعشاء الله تعالى ثم يدعو عشرة عشرية يأكلون منه  
 ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى ولما أكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كاهم عنها قال  
 الترمذي فقال لي يا أنس ارفع رفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت فخرج  
 معي من خرج وبقي قوم يهدون فنزلت \* ولما كان البيت يطلق على المرأة لزمته له عادة أعد  
 الضمير إليه مراد به النساء استخدا ما فقال تعالى (واذا سألهن) أي الأزواج (مما  
 أي شيئا من آلات البيت) (فاسألوهن) أي ذلك المناع كائين ركائبات (من وراء حجاب)  
 أي ستر يستركم عنهن ويستترهن عنكم وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها  
 والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها (ذلكم) أي الأمر العالی الرتبة (أطهر  
 لقلوبكم وقلوبهم) أي من وسواس الشيطان والريب لأن العين وزيرة القلب فاذا لم تر  
 العين لم يشته القلب فأما إذا رأت العين فقد يشتهى القلب وقد لا يشتهى فالقلب عند عدم الرؤية  
 أطهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى  
 الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفتح فكان عمر رضى  
 الله تعالى عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابلة من اللبالي عشاء وكانت  
 امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزله الله عز وجل  
 الحجاب وعن أنس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم  
 مصلى فأنزله الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر  
 والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزله الله تعالى آية الحجاب قال وبلغني ما آذنين

رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه قال فدخلت عليهن فجعلت اسستقر رهن واحدة واحدة  
فقلت والله لئنتمن أوليبدله الله تعالى أزواجه يرامنكن حتى أتيت علي زينب فقالت يا عمر  
اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعطى نساءه حتى تعظهن أنت قال فخرجت فأنزل الله  
تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجه خيرا منككن الآية \* ولما بين تعالى للمؤمنين  
الادب أكد بما يحملهم على ملاطفة نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وما كان) أي وما صح  
وما استقام (لكم) في حال من الاحوال (ان تؤذوا رسول الله) فله اليكم من الاحسان  
ما يستوجب به منكم غاية الاحرام والاجلال فضلا عن الكف عن الاذى فلا تؤذوه بالدخول  
الى شيء من بيوته بغير اذنه أو المكث بعد فراغ الحجابة ولا بغير ذلك \* ولما كان قد قصر  
صلى الله عليه وسلم عليهن أحل له غيرهن وقصرهن الله عليه بقوله تعالى (ولان تنكحوا)  
أي فيما يستقبل من الزمان (أزواجه من بعده) أي فراقه بموت أو طلاق سواء أدنل بها  
أم لا (أبدا) زيادة لشرفه واظهارا لمزيتة ولانهن أتهات المؤمنين ولانهن أزواجه في الجنة  
ولان المرأة في الجنة مع آخر أزواجه كما قاله ابن القشيري روى ان هذا الآية نزلت في رجل  
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانككن  
عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طهمة بن عبيد الله فأخبر الله تعالى ان ذلك محترم وقال (ان  
ذلكم) أي الايذاء بالنكاح وغيره (كان عبد الله) أي القادر على كل شيء (عظيما) أي  
ذنبا عظيما (فان قيل) روى عن الزهري أن العالمة بنت طيبان التي طلقها النبي صلى  
الله عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له (أجيب) بأن ذلك كان قبل تحريم أزواج النبي صلى الله  
عليه وسلم على الناس وقيل لا تحرم غير الموطوءة لما روى ان أشعث بن قيس تزوج المستعبدة في  
أيام عمر فهم برجمها فأخبر بأنه صلى الله عليه وسلم فارقه قبل أن يمسيها فترك من غير تكبير فأما  
اما زه صلى الله عليه وسلم فيحرم بنهن الموطوءات على غيره اكرامه بخلاف غير الموطوءات وقيل  
لا تحرم الموطوءات أيضا ونزل فيمن أضر نكاحه نكحة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان  
تبدوا) أي بالسننكم وغيرها (ثيبنا) أي من ذلك وغيره (أو تخنوه) في صدوركم (فان  
الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (كان) أي أزلا وأبدا به هكذا كان الاصل ولكنه  
أتى بما يعمره وغيره فقال (بكل شيء) أي من ذلك وغيره (عليما) فهو يعلم ما أسررت وما أعلنت  
وان بالغتم في كتمه فيجازي عليه من ثواب وعقاب وفي هذا التعميم مع البرهان على المتصود  
مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد \* ولم تنزل آية الحجاب قال الآباء والانباء والاقارب ونحن  
أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل قوله تعالى (لا جناح) أي لا اثم (عليهن في آياتهن)  
دخولا وخلوة من غير حجاب سواء كان الاب من النسب أو من الرضاع (ولا آبائهن) أي  
من البطن أو الرضاة (ولا اخوانهن) لان عارهن عارهم فلا فرق أن يكونوا من النسب  
أو الرضاع (ولا آبنا أخوانهن) فانهم بمنزلة آبائهم (ولا آبنا أخواتهن) فانهم بمنزلة  
أمهاتهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبابالهمزة الثانية ياء خالصة في الوصل وحدثها

الباقون وفي الآتي داء الثانية الجميع بالتحقيق (ولانسائهن) أي المسلمات القربى منهن  
 والبعدي بمنزلة واحدة وأما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب من الرجال لكن ربح الزوى انه  
 يجوز أن تنظر منها ما يبدو عند المهنة (ولامام ملكة أيمانهن) من العبيد لانهم لما هن عليهم  
 من السلطان يعد منهم الرية هيبه لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم \* (تنبيه) \* قدم تعالى الآباء  
 لان اطلاعهم على بناتهم أكثر وكيف وهم قد رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم الابناء  
 ثم الاخوة وذلك ظاهر وانما الكلام في بنى الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على بنى الاخوات  
 لان بنى الاخوات آباؤهم ليسوا بمحارم خالات آبائهم وبنى الاخوة آباؤهم محارم فبنى  
 الاخوات مفسدة ما وهى ان الابن ربما يحكى خالته عند أبيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك في بنى  
 الاخوة (فان قيل) لم يذكر الله تعالى من المحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا أعمامهن  
 ولا أخوالهن (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما ان ذلك معلوم من بنى الاخوة وبنى الاخوات  
 لان من علم ان بنى الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في أمر  
 الخالة وثانيهما ان الاعمام ربما يذكر بنات الاخ عند آبائهم وهم غير محارم وكذلك الحال  
 في ابن الخال وذكر ملك اليمين بعد هذا كله لان المفسدة في التكشف لهم ظاهرة وقوله تعالى  
 (واتقين) عطف على محذوف أى امتثلن ما أمرتن به واتقين (الله) أى الذى لا شئ أعظم  
 منه فلا تقربن شيئا مما يكرهه وانما أمرهن لان الرية من جهة النساء أكثر لانه لا يكاد الرجل  
 يعرض الامن فتن بها الاجابة لما يرى من مخايلها ومخايل أشكالها \* ولما كان الخوف لا يعظم  
 الا لمن كان حاضرا مطلقا قال (ان الله) أى العظيم الشأن (كان) أى أزلا وأبدا (على  
 كل شئ) من أفعال الكفر وغيرها (شهدا) أى لا يغيب عنه شئ وان دق فهو مطلع عليك  
 حال الخلو فلا تخفى عليه خافية \* ولما أمر تعالى بالاستئذان وعدم النظر الى نساءه احترامه  
 كل بيان حرمة بقوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أى محمد صلى الله عليه وسلم  
 قال ابن عباس أراد ان الله تعالى يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس أيضا يصلون  
 يبركون والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال أبو العالية صلاة الله تعالى ثنؤه  
 عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء \* (تنبيه) \* بيان كمال حرمة في ذلك ان حالته  
 منحصرة في حالتين حالة خلو فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا  
 بيوت النبي وحالة تكون في ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى اما احترامه في الملا  
 الاعلى فان الله وملائكته يصلون عليه واما احترامه في الملا الادنى فقوله تعالى (يا أيها الذين  
 آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أى حيود بقية الاسلام وأظهروا شرفه  
 بكل ما تصل قدرتكم اليه من حسن متابعتة وكثرة الثناء الحسن عليه والانتقاد لامره في كل  
 ما يأمر به ومنه الصلاة والسلام عليه بألسنتكم روى عبد الرحمن بن أبي ليلى لقيني كعب بن عجرة  
 فقال الا هدى لك هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدني قال قلنا  
 يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل



محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وروى أبو جهم الساعدي انهم  
 قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد  
 وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم  
 وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
 أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة وروى أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وروى عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقلنا يا نبي البشرى  
 في وجهك فقال جبريل فقال يا محمد ان ربك يشرك السلام ويقول أما مرضيك أن لا يصلي  
 عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يصلي عليك أحد من أمتك الا صلت عليه عشرا  
 وروى عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه  
 الملائكة ما صلى علي فليقل العبد من ذلك أولئك الروايات وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له  
 عشر درجات وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة  
 سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام \* (تنبيه) \* دللت الآية على وجوب الصلاة على  
 النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب قالوا وقد أجمع العلماء أنهم لا تجب في غير الصلاة  
 فتعين وجوبها فيها والمناسب لها من الصلاة تشهد آخرها فتجب في تشهد آخر الصلاة أي بعده  
 وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد فالقائل بوجوبها في العمر مرتبة في غيرها محجوج  
 بإجماع من قبله والحديث كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم  
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الى آخره وقيل تجب كلما ذكر واختاره  
 الطحاوى من الحنفية والجلي من الشافعية لقول جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر  
 فلما رقى الدرجة الاولى قال آمين ثم رقى الثانية فقال آمين ثم رقى الثالثة فقال آمين فقالوا  
 يا رسول الله معنالك تقول آمين ثلاث مرات فقال لما رقيت الدرجة الاولى جاءني جبريل فقال  
 شقي عبد أدرك رمضان فافلح من نفسه ولم يغفر له فقالت آمين ثم قال شقي عبد أدرك والديه أو  
 أحدهما فلم يدخله الجنة فقلت آمين ثم قال شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين وفي  
 رواية رقى المنبر فقال آمين آمين آمين قبل يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال قال لي جبريل رغم  
 أنت رجى أدرك والديه أو أحدهما لم يدخله الجنة فقلت آمين ثم قال رغم أنت عبد دخل عليه  
 رمضان لم يغفر له فقلت آمين ثم قال رغم أنت امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين وكذلك  
 قوله وسلموا أمر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا في التثنية سلام عليك  
 أيها النبي الخ وذكر في السلام المصدر لئلا يكيد ولم يذكره في الصلاة لانها كانت مؤكدة بقوله  
 تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وأقل الصلاة عليه اللهم صل على محمد وأهلكها اللهم  
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما بارتكت على ابراهيم وعلى آبن ابراهيم انك جيد مجيد آل ابراهيم - قيل واسحق وأولادهم  
 \* (فائدة) \* كل الانبياء من بعد ابراهيم عليه السلام من ولد اسحق لانبينا محمد صلى الله عليه  
 وسلم فانه من نسل اسحق ولم يكن من نسل نبي غيره وخص ابراهيم عليه السلام بالذكر لان الرحمة  
 والبركة لم يجتمع للنبي غيره فقال الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (فان قيل) اذا صلى  
 الله وملائكته عليه فأى حاجة به الى صلاتنا (أجيب) بأن الصلاة عليه ليست لحاجة اليها الا فلا  
 حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله تعالى عليه وانما هو اظهاره وتعظيمه مناشفة عليه ايثينا  
 عليه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وفي رواية  
 أخرى وملائكته سبعين وتجوز الصلاة على غيره تعالى وتكره استقلاله في العرف ما شرعنا  
 لذكر الرسل ولذلك كره أن يقال لمحمد عز وجل وان كان عزيزا جايلا \* ولما أمر الله تعالى  
 باحترام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نهى عن ايذاء نفسه وايذاء رسوله بقوله تعالى (ان الذين  
 يؤذون الله) أى الذى لا أعظم منه ولا نعمة عندهم الا من فضله (ورسوله) أى الذى اسحق  
 عليهم بما يجبرهم به عن الله تعالى ما لا يتدرون على القيام بشكره (لهم الله) أى أبعدهم  
 وأبغضهم (في الدنيا) بالحل على ما يوجب السخط (والآخرة) بادخال دار الاهانة كما قال تعالى  
 (وأعد لهم عذابا مهينا) أى ذاهانة وهو النار ومعنى يؤذون الله يقولون فيه ما صورته اذى  
 وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث رصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة  
 الولد والزوجة اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير  
 ابن الله وقالوا يد الله مغلوله وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله  
 وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وعن أبي هريرة قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقني ولم  
 يكن له ذلك فأما يكذبه اياى فقوله ان يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون على من اعادته  
 وأما شقته اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد  
 وعن أبي هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب  
 الدهر وأنا الدهر بيدي الاصر أتلب الليل والنهار معنى الحديث ان كان من عادة العرب  
 في الجاهلية أن يسبوا الدهر ويذموه عند التوازل لاعتقادهم ان الذى يصيهم من أفعال الدهر  
 فقال تعالى انا الدهر أى انا الذى أحل بهم التوازل وانا فاعل لذلك الذى تنسبونه للدهر  
 في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يهدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاريح وعن  
 أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب  
 بغلق كعلقى فليخلقوا ذرة واخلقوا حبة أو شعيرة ويحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف أى  
 أولياء الله كقولته تعالى واسأل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي وليا  
 فقد آذنته بالحرب وقال من أذاني وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله  
 وارتكاب معاصيه ذكره على ما يهانه الناس بينهم والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه أذى من

أحد وقال بعضهم في الجلالة تعظيماً للمراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى  
 انما يابعون الله وأما ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس انه شج في وجهه وكسرت  
 ربا عيته وقيل ساحر شاعر مجنون \* ولما كان من أعظم اذاه أذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم  
 غير معصومين يتصور أن يؤذوا على الحق قال تعالى مقيد الكلام (والذين يؤذون المؤمنين  
 والمؤمنات) أي الراضخين في صفة الايمان (بغير ما كتبوا) أي بغير شيء واقعوه  
 متعمدين له حتى أباح أذاهم (فقد احتلوا) أي كلفوا أنفسهم ان يحملوا (بهمانا) أي كذبا  
 وجورا زائدا على الخدم وجبا العزاء في الدنيا والآخرة (وانما بيننا) أي ذنبنا ظاهر اجدا  
 موجبا للعقاب في الآخرة \* (تبييه) \* اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت  
 في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقال الضعالي والكلبي  
 نزلت في الزناة الذين كانوا يعيشون في طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لتضاه  
 حوائجهم فيغزون المرأة فان سكنت اتبعوها وان زجرتهم انتمواعنها ولم يكونوا يطلبون الا  
 الاماء وامكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الامّة لان زوى الكل كان واحدا يخرجن في درع  
 ونجار الحرّة والامة فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهي الحران ان يتشبهن  
 بالاماء بقوله تعالى (يا أيها النبي) ذكره بالوصف الذي هو منبع المبراة والحكمة  
 (قل لا زواجك) بدأه بمالهن به من الوصلة بالفساح (وبناتك) نهيهن لمالهن من  
 الوصلة ولهن في القسمين من الشرف وأخرهن عن الأزواج لان أزواجه يكفونه أمرهن  
 (ونساء المؤمنين يدنين) أي يقربن (عليهن) أي على وجوههن وجميع أبدانهن فلا يد عن شيئا  
 منها مكشوفاً (من جلايبهن) ولا يتشبهن بالاماء في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن يكشف  
 الشعور ونحوها ظنا ان ذلك اخفي لهن وأستر بالجلباب التميمص وثوب واسع دون المخفضة  
 تلبسه المرأة والمخفضة ماستر للباس والنجار وهو كل ما غطي الرأس وقال البغوي الجلباب  
 الملاة التي تشتمل به المرأة فوق الدرع والنجار وقال حمزة الكرمانى قال الخليل كل ما يستر به  
 من دنار وشعار وكساء فهو جلباب والكل تصح ارادته هنا فان كان المراد القميص  
 فادناؤه اسباغته حتى يغطي بدنها ورجلها وان كان ما يغطي الرأس فادناؤه ستر وجهها وعنقها  
 وان كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها وان كان  
 المراد ما دون المخفضة فالمراد ستر الوجه واليدين ودل ابن عباس وعبيدة أمر نساء المؤمنين أن  
 يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلايب الاعيان واحدة ليعلم أنهن حرائر \* ولما أمرتعالى بذلك  
 علله بقوله تعالى (ذلك) أي الستر (أدنى) أي أقرب من تركه في (أن يعرفن) انهن حرائر  
 بما يميزهن عن الاماء (فلا) أي فتسبب عن معرفتهن أن لا (يؤذين) عن تعرضن للاماء  
 فلا يشغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الانبياء الالهية قال ابن عادل ويمكن أن يقال المراد  
 يعرفن انهن لا يزينن لان من تستر وجهها مع أنه ليس بعوردة أي في الصلاة لا يطمع فيها انها

تكشف عورتها بفرض انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى • ولما رآها من تعالى  
لهذا الامر خفت عاقبة ما كثر فيه من التشبيه بالاماء فأخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله  
تعالى (وكان الله) أى الذى له الكمال المطلق أزلا وأبدا (غفورا) أى لما سلف منهن من  
ترك السترة وهجاء لاذنوب عينا وأثرا (رحيما) بهن إذ سترهن وعن يمثل أو امره ويحبب  
نواهيته قال البغوى قال أنس مرتت بعمر جارية متنتعة فعلاها بالدرة وقال بالكاع أتشبهين  
بالحرأثرأقى القناع ويظهر أن عمر انما فعل ذلك خوفا من أن تلبس الاماء بالحرأثر فلا يعرف  
الحرأثر فيعود الامر كما كان \* ولما كان المأذون بعامضى وغيره أهل النفاق ومن داناهم  
حذرهم بقوله تعالى مؤكدا فدفعوا لظنهم دوام الحلم عليهم (لئن لم ينته) عن الاذى (المنافقون)  
أى الذين يظنون الكفر ويظهرون الاسلام (والذين فى قلوبهم مرض) أى غل • قرب من  
النفاق حامل على المعاصى (والمرجعون فى المدينة) المؤمنين أى بالكذب وذلك ان ناسا  
منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذيعون فى الناس أنهم قد قتلوا  
أو هزوا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك وأصل الرجفة التحريك من الرجفة وهى الزلزلة  
سمى به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة (لنغرينك بهم) أى لنسلطنك عليهم  
بالقتل والجلاء أو بما يضطرهم الى طلب الجلاء وقواته تعالى (ثم لا يجاورونك) أى يساكنونك  
(فيها) أى المدينة عطف على لغرينك وشم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أعظم ما يصيبهم (اد قليلا) أى زمانا أو جوارا قليلا ثم يخرجون منها وقيل نسلطك  
عليهم حتى تقتلهم وتختل منهم المدينة وقوله تعالى (ملعونين) أى مبعودين عن الرحمة حال  
من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزنجشري وأبو البقاء (أيما تفتقروا أى وجدوا) (أخذوا  
وقتلوا) ثم أكد بالمصدر بغضائهم وارهبا لهم بقوله تعالى (قتيلا) أى الحكم فهم هذا  
على وجه الامر به وقوله تعالى (سنة الله) أى المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكدا أى سن  
الله ذلك (فى الذين خلوا من قبلى) أى فى الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء  
وسعوا فى وهمهم بالارجاف ونحوه أيما تفتقروا (ولئن تجد لسنة الله) أى طريقة الملك الاعظم  
(تديلا) أى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى يتبدل وينسخ فان النسخ يكون فى الاقوال  
أما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ \* ولما بين تعالى حالهم فى الدنيا أنهم ملعونون  
ومهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم بالقيامه وذكرا ما يكون لهم فيها  
بقوله (يسألك) يا أشرف الخلق (الناس) أى المشركون استهزاء منهم وتعتا وامتحانا  
(عن الساعة) أى متى تكون فى أى وقت (قل) أى لهم فى جوابهم (انما علمها عند الله)  
الذى أحاط علمه بجميع الاشياء (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها  
أنت لا تعرفه (اعل الساعة) أى التى لا ساعة فى الحقيقة غيرها المالمال من العجائب (تكون)  
أى توجد وتحدث على وجه مهول عجيب (قريبا) أى فى زمن قريب قال البقاعى ويجوز  
أن يكون التذكير لاجل الوقت لان السؤال عنها انما هو عن تعيين وقتها قال البخارى

في الصحيح اذا وصفت صفة المؤمن قلت قريية واذا جعلته ظرفاً او بدلاً ولم ترد الصفة نزع الهاء  
 من المؤنث وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والاثني \* ثم استأنف الاخبار بحال الساتلين  
 عنها بقوله تعالى (ان الله) أي الملك الاعلى (لعن) أي أبعداً بعداً عظيماً من رحمة  
 (الكافرين) أي الساترين لما من ثأته أن يظهر عمادات عليه العقول السليمة من أمرها  
 (وأعدت) أي أوجدوها (لهم) من الآن (سعيراً) أي ناراً شديدة الاضطرام والتوقد  
 لتكذيبهم بها وبغيرها مما أوضع لهم أدلته (خالدين) أي مقدرًا خلودهم (فيها) أي السعير  
 وأعاد عليها الضمير مؤشلاً لانها مؤنثة أولانه في معنى جهنم وقوله تعالى (أبداً) بيان لارادة  
 الحقيقة ائلاية وهم بالخلود المكث الطويل (لا يجدون ولياً) أي يتولى أمراً مما يصيبهم  
 بشفاة أو غيرها (ولأنصيراً) ينصرهم وقوله تعالى (يوم) معمول لخالدين أي مقدرًا  
 خلودهم فيها على تلك الحال يوم (تقلب) أي تقلبا كثيراً (وجوههم في النار) أي ظهرا  
 لبطن كاللحم يشوى بالنار حالة كونهم (يقولون) وهم في محل الجزاء وقد فات المحل القابل  
 للعمل متعين بقولهم (بالتناطعنا) أي في الدنيا (الله) أي الذي لأمر لا حد معه ما  
 لا يدركون تلافيه لانهم لا يجدون ما يقدر أنه يبردهم من ولي ولا نصير ولا غيره ما سوى  
 هذا التني \* ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان والخضوع أعادوا العادل بقولهم (وأطعنا  
 الرسول) أي الذي بلغنا عنه حتى لا يتبلى بهذا العذاب \* (تنبيه) \* تقدم الكلام على  
 القراءة في الرسول والسبيل أقول السورة عند الظنوننا (وقالوا) أي الاتساع منهم لما لم يتفهم  
 شي متبرئين بالدعاء على من أضلهم بما لا يرى عليلاً ولا بشي غليلاً (ربنا) أي أيها المحسن الينا  
 وأسقطوا أداة الذم على عادة أهل الخصوص بالحضور زيادة في التوثيق باظهار أنه لا واسطة  
 لهم الاذاهم وانكسارهم (انا أطعنا ساداتنا وكبرائنا) يعنون قائدهم الذين اقتنوهم الكفر  
 وقرأ ابن عامر بألف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقون بغير  
 ألف بعد الدال وفتح التاء على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء (فأضلونا) أي فتسبب  
 عن ذلك أنهم أضلونا بما كان لهم من نفوذ الكلمة (السبيل) أي طريق الهدى فأحلووا ذلك  
 على غيرهم كما هي عادة المخطئ من الاحالة على غيره مما لا يتفهمه ثم كأنه قيل فما تريدون لهم فتالوا  
 مبالغين في الرقة للاستعطف باعادة الرب (ربنا) أي المحسن الينا (آثم ضعفين من العذاب)  
 أي مثلي عذابنا لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كثيراً) أي أطردهم عن محال الرحمة طرداً  
 متناهيًا وقرأ عاصم بالباء الموحدة أي لعناها وأشد اللعن وأعظمه والباقون بالتاء المثناة أي  
 كثيراً عدداً \* ولما بين تعالى أن من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب أرشد المؤمنين الى الامتناع  
 من الايذاء بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا بما يتلى عليهم (لاتكفروا)  
 بايذاءكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر زيب وغيره كونها هو كالطبع لكم (كالذين آذوا  
 موسى) من قومه بنى اسرائيل آذوه بأنواع الاذى كما قال بينا صلى الله عليه وسلم حين قسم قسما  
 فتكلم فيه بعضهم فقال لقد آذى موسى بأكثر من هذا فصبر واختلفوا فيما آذى به موسى

فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن موسى كان رجلا حيا استيرا لا يرى  
 من جلده شيء استحياء منه فإذا من أذاه من بني إسرائيل فقالوا ماتت هذه السترا الأمن عيب  
 بجلده ما برص واما أدرة واما آفة وان الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا كما قال تعالى (فبرأه)  
 أى فتسبب عن أذاهم ان برأه (الله) الذى له صفات الجلال والكمال (مما قالوا) نخلها يوما وحده  
 ليغتسل فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى نياحه لياخذها فنزل الحجر ثوبه فجمع  
 موسى عليه السلام وأخذ عصاه وطلب الحجر فجعل يقول توبى حجرتوبى حجرتوبى حتى انتهى الى  
 ملا من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه  
 واستتر به وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر اندب من أن تضربه ثلاثا وأربعا أو خمسا  
 والادرة عظم الخصى لتفخه فيها وقوله فجمع أى أسرع وقوله نياحه هو بفتح النون والذال وأصله  
 أثر الجرح اذ الم يرتفع عن الجلد فشيبه به الضرب بالحجر وقال قوم ايذاؤهم اياه للمامات هرون في  
 التيه ادعوا على موسى انه قتله فأمر الله الملاذكة عليهم السلام حتى مروا به على بني إسرائيل  
 فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر موسى أى زانية  
 لتتدف موسى بنفسها على رأس الملا فعصها الله تعالى وبرأ موسى من ذلك وكان ذلك سبب  
 الخسف بقارون ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان يوم حنين أثر رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى فلانا كذا الناس من العرب  
 وآثرهم في القسمة فقال رجل هذه قسمة والله ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لا خبرن  
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال  
 فن يعدل اذالم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قدا وذى بأكثر من هذا فصبر والصرف  
 بكسر الصاد صبغ أحر يصبغ به الاديم \* ولما كان قصدهم بهذا الاذى اسقاط وجهته قال  
 تعالى (وكان) أى موسى عليه السلام كونا واسخا (عند الله) أى الذى لا يذل من والاه  
 (وجها) أى معظما رفيع القدر ذوا وجهة يقال وجه الرجل بوجه فهو وجهه اذا كان ذاجاه  
 وقدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله تعالى لا يسأله شيئا الا أعطاه وقال الحسن كان محباب  
 الدعوة وقيل كان محبا مقبولا \* ولما نهاهم عن الاذى أمرهم بالنتع ليصبروا وذوى  
 وجهة عنده ~~م~~ كزرا للنداء استعطافا واطهارا للاهتمام بقوله تعالى (يا أيها الذين  
 آمنوا) أى ادعوا ذلك (اتقوا الله) أى صدقوا دعواكم بخافة من له جميع العظمة  
 فاجعلوا لكم وقاية من سخطه بأن تبدلوا له جميع ما أودعكم من الامانة (وقولوا)  
 في حق النبي صلى الله عليه وسلم في أمر زينب وغيرها وفي حق بناته ونسائه وفي حق المؤمنين  
 ونسائهم وغير ذلك (قولاسديدا) قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن  
 صدقا وقال عكرمة هو قول لاله الا الله \* وقيل مستقيما (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن  
 عباس يتقبل حسنا تكلم وقال مقاتل يزكى أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يجمعها  
 عينا وأثرا فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (ومن يطع الله) أى الذى لا أعظم منه (ورسوله)

أي الذي عظمته من عظمته في الاوامر والنواهي (فقد فاز) وأككذلك بقوله تعالى  
 (فوزا عظيما) أي ظفر بجميع مراداته يعيش في الدنيا سعيدا وفي الآخرة سعيدا \* ولما  
 أرشد الله تعالى المؤمنين الى مكارم الاخلاق وأدب النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن  
 الآداب بين ان التكليف الذي وجهه الله تعالى الى الانسان أمر عظيم بقوله تعالى (انا عرضنا  
 الامانة) واختلف في هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة من القرائض  
 التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها (على السموات والارض والجبال) على أنهم ان  
 أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وإيتاء الزكوات  
 وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد  
 من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة القرائض وحدود الدين وقال ابو العباس  
 ما امروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع  
 وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه وقال هذه أمانتي  
 استودعتكمها فالفرج أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له وقال  
 بعضهم هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معا هذا  
 في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف  
 ان الله تعالى عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن أتحمالن هذه الامانة  
 بما فيها قلن وما فيها فقال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن (فأبين) على عظم  
 اجرامها وقوة أركانها وسعة أرجائها (أن يحملنها) أي قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك  
 لا نريد ثوابا ولا عقابا (وأشفقن منها) أي وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيم الله تعالى  
 أن لا يقوموا بها لامعصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمن لم يجتنعن من  
 حملها فالجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض اتنيا  
 طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال في الحجارة وان منها ما يهبط من خشية الله وقال تعالى  
 ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الآية  
 وقال بعض أهل العلم ركب الله فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن  
 الخطاب وأجبن بما أجبن وقال بعضهم المراد بالعرض على السموات والارض هو العرض على  
 أهل السموات والارض عرضها على من فهمها من الملائكة كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها  
 وقيل المراد المقابلة أي قابلنا الامانة مع السموات والارض والجبال فربحت الامانة قال  
 البغوي والاول أصح وهو قول أكثر العلماء \* (تنبيه) \* قوله تعالى فأبين أي بضمير هذه كضمير  
 الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لتلايته وهم أنه قد غلب المؤنث  
 وهو السموات على المذكور وهو الجبال (فان قيل) ما الفرق بين ابائهن واباء ابليس في قوله تعالى أبي  
 أن يكون مع الساجدين (أجيب) بأن الاباء هناك كان استكبارا لان السجود كان فرضا وهمنا  
 استصغارا لان الامانة كانت عرضا وانما امتنعن خوفا كما قال تعالى وأشفقن منها أي خفن من

الامانة أن لا يؤدبها فيلحقهن العقاب (وجملها الانسان) أي آدم قال الله تعالى لا آدم  
ان عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطعها فهل أنت آخذها بما فيها قال  
يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم عليه السلام وقال بين  
أذني وعاتقي فقال الله تعالى أما إذا تحملت فسا عينك اجعل لبصرك حجبا فإذا خشيت ان تنظر  
لما لا يحل فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحين وغلافا فإذا خشيت فأغلق وأجعل لئرجلك  
سترا فإذا خشيت فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان  
أخرج من الجنة الامتداد ما بين الظهر والعصر وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال  
مثلت الامانة بصخرة ملقاة ودعت السموات والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا  
لا نطبق حياها وجاء آدم عليه السلام من غير ان يدعى وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها  
لحملتها فقلن اجل فحملها الى ركبته ثم وضعها وقال والله لو أردت ان أزداد لا زددت  
فقلن له اجل فحملها الى حقويه وقال والله لو أردت ان أزداد لا زددت فقلن له اجل فحملها  
حتى وضعها على عاتقه فأراد ان يضعها فقال له الله تعالى مكانك فانها في عنقك وعنق  
ذريتك الى يوم القيامة (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا  
بأمر الله تعالى وما احتمل من الامانة وقال الكبي ظلوما حين عصي ربه جهولا لا يدري  
ما العقاب في ترك الامانة وقال قاتل ظلوما لنفسه جهولا بما قبله ما تحمل وذكر الزجاج وغيره  
من أهل المعاني في قوله تعالى وجملها الانسان قولا آخر فقالوا ان الله تعالى اثنى آدم واولاده  
على شئ واثنى السموات والارض والجبال على شئ فالامانة في حوزة آدم ما ذكرنا من الطاعة  
والقيام بالفرائض والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن  
له وقوله تعالى فأبين أن يحملنها أي أبين الامانة يقال فلان حمل الامانة أي اثنى فيها بالحياة  
قال تعالى وليحملن أثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التأويل أنه قال  
وجملها الانسان يعنى الكافر والمنافق حملا الامانة أي خانها والاقول قول السلف وهو  
الاولى وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى  
استعدادهن وبإيائهن الالباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وتحمل الانسان  
قابليته واستعدادها او كونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى  
هذا يحسن أن يكون علة للعمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا  
لهما عن التعدي ومجاورة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما وعن أبي  
هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء أعرابي فقال متى  
الساعة فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكلمه ما قال  
وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله  
قال اذا ضعت الامانة فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الامانة  
الى من ائتمك ولا تخن من خانك وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم



ان من أعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يقضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها  
وقوله تعالى (ليعذب الله) أى الملك الأعظم متعلق بعرضنا المترتب عليه حمل الانسان (المنافقين  
والمنافقات والمشركين والمشركات) أى المضيعين الامانة \* (تنبيه) \* لم يعد اسمه تعالى فلم  
يقول ويعذب الله المشركين وأعادته في قوله تعالى (ويتوب الله) أى بماله من العظمة (على  
المؤمنين والمؤمنات) أى المؤذنين للامانة ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين والمؤمنات  
كان المعنى حاصلًا ولكنه أراد تفضيل المؤمن على المنافق بحمله كالكلام المستأنف \* ولما  
ذكر تعالى في الانسان وصفين الطلوم والجهول ذكر تعالى من أوصافه وصفين بقوله تعالى  
(وكان الله) أى على ماله من الكبرياء والعظمة (عَنُورًا) للمؤمنين حيث عنا عن  
قرطاتهم (رحيمًا) بهم حيث أنابهم بالعضو على طاعتهم مكرما لهم بأنواع الكرم \* وما رواه  
البضاوى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه  
أعطى الامان من عذاب القبر حديث موضوع رواه الثعلبي

### ﴿سورة سبأكية﴾

الاورى الذين أوتوا العلم الآية وهى أربعة وأخمس وخمسون آية ونعمانمائة وثلاث وثمانون  
كلمة واربعه آلاف وخمسمائة واثنا عشر حرفا (بسم الله) أى الذى من شمول قدرته اقامة  
الحساب (الرحمن) أى الذى من عموم رحمة ترتيب الثواب والعقاب (الرحيم) أى  
الذى يمتن على أهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عقاب \* ولما ختم السورة التى قبل  
هذه بصفتى المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله (الحمد لله) أى ذى الجلال والجمال على هذه النعمة  
(فائدة) السور المفتحة بالحمد خمس سورتان فى النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان  
فى النصف الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة هى فاتحة الكتاب تقرأ مع  
النصف الاول ومع النصف الثانى الاخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على  
احصائها منحصرة فى قسمين نعمة الایجاد ونعمة الایباء فان الله تعالى خلقنا أولًا برحمته وخلق  
لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما ندوم به  
قلنا حلتان الایداء والاعادة وفى كل حالة له تعالى نعمتان نعمة الایجاد ونعمة الایقاء فقال فى  
النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر  
على نعمة الایجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فأشار الى الایجاد الاول  
وقال فى السورة الثانية الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما فأشار الى  
الشكر على نعمة الایقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا شرع تنقاد له الخلق لاتبع كل واحد هواه  
ورفعت المنازعات وأدت الى التقابل والنفاق وقال ههنا الحمد لله (الذى له ما فى السموات  
وما فى الارض) ملكا وخلقنا اشارة الى نعمة الایجاد الثانى بدليل قوله تعالى (وله) أى وحده  
(الحمد) أى الاحاطة بالكمال (فى الآخرة) أى ظاهر الحكل من يجمعه الحشر وله كل ما قيمه الا يتدعى

أحد ذلك في شيء منه ظاهرا ولا باطنا وقال في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض  
 اشارة الى نعمة الابتداء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يوم القيامة يرسلهم الله تعالى  
 مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طيبتم فادخلوها  
 خالدين وفاقحة الكتاب لما اشتمت على ذكر نعمتين أشار بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الى  
 النعمة العاجلة وأشار بقوله تعالى مالك يوم الدين الى النعمة الآجلة فرتب الاقتراح  
 والاختتام عليهما (فان قيل) قد ذكرتم أن الحمد ههنا اشارة الى النعم التي في الآخرة فلم ذكر  
 الله تعالى السموات والارض (أجيب) بأن نعم الآخرة غير مرتبة فذكر الله تعالى النعم  
 المرتبة وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله الحمد في الآخرة ليقابل نعم الآخرة بنعم  
 الدنيا ويعلم فضلها ابدا وما هو قيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال تعالى وقالوا  
 الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده وتقدم الكلام على الحمد لغة  
 واصطلاحا والشكر كذلك في أول الفاتحة ففتح الله علينا بكل خير وفعل ذلك بأحبنا \* ولما  
 تنزه أن الحكمة لاتتم الا بايجاد الآخرة قال تعالى (وهو الحكيم) أي الذي بلغت حكمته  
 النهاية التي لا مزيد عليها والحكمة هي العلم بالامور على وجه الصواب متصلا بالعمل على وفقه  
 (الخبير) أي البليغ الخبر وهو العلم بطواهر الامور وبواطنها حالا وما لا يتم بين كمال خبره بقوله  
 تعالى (يعلم ما يلج) أي يدخل (في الارض) أي هذا الجنس من المياه والاموال والاموات  
 وغيرها (وما يخرج منها) من المياه والمعادن والنبات وغيرها (وما ينزل من السماء) أي من هذا  
 الجنس من قرآن وملائكة وماء وحرارة وبرودة وغير ذلك (وما يعرج فيها) من الكلام الطيب  
 قال تعالى اليه يصعد الكلام الطيب والملائكة والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل الصالح  
 يرفعه \* (تنبيه) \* قدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تذر أولا ثم تسقى  
 ثانيا وقال تعالى ما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان كلمة  
 الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لكان الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها اي فهم نفوذ  
 فيها وصعوده وتمكنه فيها ولهذا قال في الكلام الطيب اليه يصعد الكلام الطيب لان الله تعالى  
 هو المنتهي ولا مرتبة فوق الوصول اليه (وهو) أي والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقية  
 للابدان (الرحيم) أي المنعم بانزال الكتب وارسال الرسل لاقامة الاديان وغير ذلك  
 (الغفور) أي المحاء للذنوب للمترطين في شكر نعمته مع كثرتها أوفى الآخرة مع ماله من  
 سوابق هذه النعم الفاتمة للحصر \* (تنبيه) \* قدم تعالى صفة الرحمة على صفة الغفور ليعلم  
 أن رحمة سبقت غضبه \* ثم بين تعالى أن هذه النعمة التي يستحق الله تعالى بها الحمد وهي نعمة  
 الآخرة أنكروها قوم فقال (وقال الذين كفروا) اي ستروا ما دلتم عليه عقولهم من براهينها  
 الظاهرة (لاتأتينا الساعة) أي أنكروا مجيئها أو استظهارها استهزاء بالوعده وقوله تعالى  
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهم (بلى) ردلكلامهم وايشار لما نقوه (وربي)  
 أي المحسن الى جماعتي بدمعكم وبما خصني من تبييني وارسالي اليكم الى غير ذلك من أمور

لا يخصصها الا هو (لتأنيذكم) أى الساعة لتظهر فيها ظهورا تاما الحكمة بالعدل والفصل  
 وغير ذلك من عجائب الحكم والفضل وقوله تعالى (عالم الغيب) قرأه نافع وابن عامر برفع الميم  
 على هو عالم الغيب أو مبتدأ وخبره ما بعده وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بجره نعتا لربى وقرأ حمزة  
 والكسائي بعد العين بلام ألف مشددة وخفض الميم (لا يعزب) أى لا يغيب (عنه مقال)  
 أى وزن (ذرة) أى من ذات ولا معنى والذرة النملة الجراء الصغيرة جدا صارت مثلا فى أقل  
 القليل فهى كناية عنه \* وقرأ الكسائي بكسر الزاى والباقون بضمها وقوله تعالى  
 (فى السموات ولا فى الارض) فيه لطيفة وهى أن الانسان له جسم وروح فالاجسام  
 أجزاءها فى الارض والارواح فى السماء فقوله تعالى فى السموات اشارة الى علمه بالارواح  
 وما فيها من الملائكة وغيرهم وقوله تعالى ولا فى الارض اشارة الى علمه بالاجسام وما  
 فى الارض من غيرها فاذا علم الارواح والاجسام قدر على جمعها فلا استبعاد فى الاعادة  
 وقوله تعالى (ولا أصغر) أى ولا يكون شئ أصغر (من ذلك) أى المثلث (ولأ أكبر)  
 أى منه (الافى كتاب سين) أى بين هو اللوح المحفوظ جعله مؤكدة لثبوت العزوب (فان  
 قيل) فأى حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من الذرة لا بد وأن يعلم الاكبر  
 (أجيب) بأنه تعالى أراد بيان اثبات الامور فى الكتاب فلما اقتصر على الاصغر لتوهم  
 متوهم أنه ثبت الصغار لكونها محل النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال  
 الاثبات فى الكتاب ليس كذلك فان الاكبر أيضا مكتوب \* ثم بين علمه ذلك كله بقوله (ليجزى  
 الذين آمنوا وعملوا) تصديقا لايانهم (الصالحات) أى وانه ما خلق الاكوان الا لأجل  
 الانسان فلا يدعه بغير جزاء ثم بين جزاءهم بقوله تعالى (أو تلك) أى العالو الرتبة (لهم مغفرة)  
 أى لزلاتهم وهفواتهم لان الانسان المبني على النقصان لا يقدر أن يقدر العظم السلطان حق  
 قدره (ورزق كريم) أى جليل عزيز دائم لذيد نافع شهى لا كدر فيه وهو رزق الجنة  
 \* (تنبيه) \* ذكر تعالى فى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أمرين الايمان والعمل الصالح وذكر  
 لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفوره لقوله تعالى ان الله  
 لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال  
 لا اله الا الله ومن فى قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب  
 فان من عمل اسيد كريم عملا فعند فراغه لا بد وأن ينعم عليه وقوله تعالى كريم معنى ذى كرم  
 أو مكرم أو لانه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب ويتسبب فيه لا يأتي غالبا  
 (فان قيل) ما الحكمة فى تمييزه الرزق بأنه كريم ولم يصف المغفرة (أجيب) بأن المغفرة واحدة  
 وهى للمؤمنين وأما الرزق فثمة شجرة الرقوم والحيم ومنه الفواكه والشراب الطهور فيرزق الرزق  
 لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها \* ولما بين تعالى حال المؤمن بين يوم  
 القسامة بين حال الكافرين فى ذلك اليوم بقوله سبحانه (والذين سعوا) أى فعلوا فعل الساعى  
 (فى آياتنا) أى القرآن بالابطال وتزهيد الناس فيها وقوله تعالى (مجزى) قرأه ابن كثير وأبو عمرو

بغير ألف بعد العين وتشديد الجيم أى مبطنين عن الايمان من اراده والباقون بألف بعد العين  
وتخفيف الجيم وكذا فى آخر السورة أى مسابقين كى يقوتونا (أولئك) الحقيرون عن أن يبالغوا  
مراد ابعاجرتهم (لهم عذاب) وأى عذاب (من رجز) أى سبب العذاب (أليم) أى مؤلم وقرأ ابن  
كثير وحفص أليم بالرفع على أنه صفة لعذاب والباقون بالجر على أنه صفة لرجز قال الرازى قال  
هنالك لهم رزق كريم ولم يقل عن التبعية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جسد كريم  
وقال هنالك لهم عذاب من رجز أليم باقظة صالحة للتبعض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقوله  
الغضب وقوله (ويرى الذين أوتوا العلم) أى الذى قد فقه الله تعالى فى قلوبهم سواء كانوا من أسلم  
من العرب أو أهل الكتاب وقيل مؤمنوا أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل الصعابة  
ومن شابعهم فيه وجهان أحدهما أنه عطف على ليجزى أى وليمعلم الذين أوتوا العلم والناى أنه  
مستأنف أخبر عنهم بذلك (الذى أنزل اليك من ربك) أى المحسن اليك بانزاله (هو الحق) أى أنه  
من عند الله تعالى \* (تنبيه) \* الذى أنزل هو المنعول الاول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان  
لان الرؤية عملية وقوله تعالى (ويهدى الى صراط) أى طريق (العزير الحميد) فى فاعله وجهان  
أظهرهما انه ضمير الذى أنزل وهو القرآن والثانى ضمير اسم الله تعالى وهاتان الصفتان يفيدان  
الرهبة والرغبة العزير يفيد التخويف والاتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب فى الرحمة  
للمصدق (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم على وجه التعجب لبعض (هل ندلكم على رجل)  
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ينبتكم) أى يخبركم اخبارا لا أعظم منه بما حواه من العجب  
الخارج عما تفعل أنكم (اذا منقتم) أى قطعتم وقرقتم بعد موتكم وقوله تعالى (كل ممزق)  
يحتمل أن يكون اسم مفعول أى كل غزيرق فلم يبق شئ من أجسادكم مع شئ بل صار الكل بحيث  
لا يعز بين ترابه وتراب الارض ويحتمل أن يكون ظرف مكان بمعنى اذا منقتم وذهبت بكم الرياح  
والسيمول كل مذهب (انكم لى خلق جديد) أى تشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا  
وفاتوا وترابا والهزمة فى قوله (أفترى) أى تعمد (على الله) أى الذى لا أعلم منه (كذبا)  
أى بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل صحيح القصد همزة استفهام فالقراء الجميع  
يحققونها واستغنى بها عن همزة الوصل فانها تحذف لاجلها فلذلك ثبت هذه الهمزة ابتداء  
ووصلا قال البغوى هذه ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فلذلك نصبت (أم به جنة)  
أى جنون يحكى به ذلك واستدل الجاحظ بهذه الآية على ان الكلام ثلاثة أقسام صدق وكذب  
ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم الثالث ان قولهم أم به جنة لا جائز أن يكون  
كذبا لانه قسم الكذب وقسم الشئ غيره ولا جائز أن يكون صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم  
ثالث (وأجيب) عنه بأن المعنى أم لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم أم به جنة لان المجنون لا  
افتراه \* (تنبيه) \* قوله أفترى يحتمل أن يكون من تمام قول الكافر من أول أى من كلام  
القاتلين هل ندلكم ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب للقاتل هل ندلكم كان القائل لما  
قال له هل ندلكم على رجل قال له هل افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه أم به جنة أى جنون

ان كان لا يعتقد خلافه • ولما كان الجواب ايسر به شئ من ذلك عطف عليه قوله تعالى (بل الذين لا يؤمنون) أى لا يوجدون الايمان لانهم طبعوا على الكفر (بالآخرة) أى المشتبهة على البعث والعذاب (فى العذاب) أى فى الآخرة (والضلال البعيد) أى عن الصواب فى الدنيا فرآه الله تعالى عليهم ترددهم وأثبت لهم سبحانه ما هو أقطع من القسمين فقوله تعالى بل الذين كفروا فى العذاب فى مقابلة قولهم أفترى على الله كذبا وقوله تعالى والضلال البعيد فى مقابلة قولهم أم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مؤذالى أنه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا الكذب الى البرى • وأما الضلال فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه فى الايذاء فإنه لا يشهد عليه بأنه يعذب وانما ينسبه الى عدم الهداية فيبين تعالى انهم هم الضالون • ثم وصف ضلالهم بالبعد ووصف الضلال به للاسناد المجازى لأن من يسمى المهدي ضالا لا يكون أضل والنبي صلى الله عليه وسلم هادى كل مهتد • ولما ذكر تعالى الدليل على كونه عالم الغيب وكونه مجازيا على السيئات والحسنات ذكر دليلا آخر فيه التهديد والتوحيد بقوله تعالى (أفلم يروا) أى ينظروا (الى ما بين أيديهم) أى امامهم (وما خلفهم) وذلك اشارة الى جميع الجوانب من كلا الخافقين فقوله تعالى (من السماء والارض) دليل التوحيد فانهم ما يدلان على الوحدة اية ويدلان على الحشر والاعادة لانهم ما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى أليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وأما دليل التهديد فقوله تعالى (ان نشأ) أى بما لنا من العظمة (نخسفهم الارض) أى كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس فهو ببعض أفعالنا فيه بأولى من غيره (أو نسقط عليهم كسنا) أى قطعنا (من السماء) فنهلكهم بها وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها • (تنبيه) • فى قوله تعالى أفلم يروا الرأيان المشهوران قدره الزمخشري أفعموا فلم يروا وغيره يدعى أن الهمزة مقدمة على حرف العطف وقوله من السماء بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز أن يكون حالا فيتعلق به أيضا قيل وثم حال محذوفة تقديره أفلم يروا الى كذا مقهورا تحت قدرتنا أو محيطابهم فعملوا انهم حيث كانوا فان أرضى وسمانى محيطبة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم وقرأ حذرة والكسائي ان يشأ يخسف بهم الارض أو يسقط بالياء فى الثلاثة كقوله تعالى أفترى على الله كذبا والباقون بالنون وأدغم الكسائي الفاء فى الباء وأظهرها الباقون (ان فى ذلك) أى فإماترون من السماء والارض (لاية) أى علامة بينة تدل على قدرتنا على البعث (لكل عبد) أى متحقق انه مر بوب ضعيف مسخر لما يراد منه (منيب) أى فيه قابلية الرجوع الى ربه بقلبه • ولما ذكر تعالى من ينيب من عباده وكان من جلتهم داود عليه السلام كما قال ربه فاستغفر ربه وخررا كعاه وأتاب ذكره بقوله تعالى (ولقد آتينا) أى أعطينا اعطاء عظيم اذ الاعلى نهاية المصكنة بما لنا من العظمة (داود منا فضلا) أى النبوة والكتاب والملك أوجيع ما أوقى من حسن الصوت وتلين الحديد وغير ذلك مما خص به وهذا الاخير أولى • (تنبيه) • قوله تعالى منافيه اشارة الى بيان

فضل داود عليه السلام لان قوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا مستقل بالمفهوم ونام كما  
 يقول القائل آتى الملك زيد اخلعة فاذا قال القائل آتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما  
 يكون له فكذلك آتاه الله تعالى الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض وتطيره  
 قوله تعالى يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة تصل الى كل أحد  
 لكن رحمة في الآخرة على المؤمنين رحمة من عنده لخواصه وقوله تعالى (يا جبال)  
 سحكي بقول مضمون ان شئت قدرته مصدرا ويكون بدلان من فضل على جهة تفسيره به كأنه  
 قيل آتيناك فضلا قولنا يا جبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ ذلك وجهان ان شئت جعلته  
 بدلان من آتيناك معناه آتيناكنا يا جبال وان شئت جعلته مستأنفا (أوبى) أى رجعى (معه)  
 بالتسبيح اذا سجع أمر من التأويب وهو الترجيع وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقال العيني  
 أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا كأنه يقول أوبى النهار  
 كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحى معه وقيل سبى معه وقوله تعالى (والطير) منصوب  
 باجماع القراء السبعة واختلف في وجه نصبه على أوجه أحدها أنه عطف على محل جبال لانه  
 منصوب تقديره لان كل منادى في موضع نصب الثانى أنه عطف على فضلا قاله الكسائى  
 ولا بد من حذف مضاف تقديره آتيناك فضلا وتسبيح الطير الثالث انه منصوب بانما فعل أى  
 وسخرنا له الطير قاله أبو عمرو\* (تنبيه)\* لم يكن الموافقة في التأويب منحصر في الطير والجبال  
 ولكن ذكر الجبال لان الصنوبر للجمود والطير للنفور وكلاهما تستبعد منه الموافقة فاذا  
 وافقت هذه الاشياء فغيرها أولى ثم من الناس من لم يوافقهم وهم القاسية قلوبهم التي هي أشد  
 قسوة قال المفسرون كان داود عليه الصلاة والسلام اذا نادى بالتياحة اجابته الجبال بصداها  
 وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود  
 اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه  
 فتور اسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا له وقال وهب بن منبه كان يقول للجبال سبى وللطير أجبى  
 ثم يأخذ في تلاوة الزبور بين تلك بصوته الحسن فلا يرى الناس منظر أحسن من ذلك ولا يسمعون  
 شيئا أطيب منه وذلك كما كان الحصى يسبح في كف نبينا صلى الله عليه وسلم وكف أبى بكر وعمر  
 رضى الله عنهم او كما كان الطعام يسبح في حضرة الشريفة وهو يؤكل وكما كان الحجر يسلم عليه  
 وأسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه وحينئذ الجذع مشهور وكما كان الضب يشهد  
 له والجمل يشكو اليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطائر الذي يسمى الحرة تشكو والذي  
 أخذ يضاها قامر النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها\* ولما ذكر تعالى طاعة أكنف الارض  
 وألطف الحيوان الذي أنشأه الله تعالى منها ذكر سبحانه وتعالى ما أنشأه من ذلك الا كنف وهو  
 أصلب الاشياء بقوله تعالى (وألنا له الحديد) أى الذى ولدناه من الجبال جعلناه في يده كالشع  
 والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله تعالى يسير وكان  
 سبب ذلك ما روى في الاخبار أن داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج

للناس متشكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود  
 واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي  
 فلما رآه داود تقدم اليه على عادته يسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصله فيه فراع داود ذلك  
 وقال ما هو يا عبد الله فقال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى  
 أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال بقوت منه ويطعم عياله قال ان الله له الحديد وعلمه صنعة  
 الدروع وانه أول من اتخذها يقال انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فبأكل ويطعم منها  
 عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال انه كان يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة  
 آلاف درهم فينتفق منها ألفين على نفسه وبعياله ويتصدق بأربعة آلاف درهم على فقراء بني  
 اسرائيل وانما اختار الله تعالى له ذلك لانه وقاية للروح التي هي من أمره ويحفظ الآدمي المكتم  
 عند الله تعالى من القتل فالزرادخيم من القواس والسياف وغيرهما لان القوس والسيف  
 وغيرهما من السلاح ربما تعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال صلى الله عليه وسلم  
 كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه وتعالى عله الالانة بصيغة الامر  
 اشارة الى أن عمله كان لله تعالى بقوله عز من قائل (أن اعمل ساعات) أي دروعا طولا واسعات  
 يجرها لا بسها على الارض وذكر الصفة يعلم منها الموصوف واختلف في معنى قوله سبحانه وتعالى  
 (وقدر في السرد) أي نسج الدروع يقال لصانعه الزرادوا السردا فقبل قدر المسامير في حلق  
 الدروع أي لا تجعل المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقا فافتتقلقل فيها ويقال السرد المسمار  
 في الحلقة يقال درع مسرودة أي مسمورة الحلق وقدر في السردا جعله على القصد وقدر  
 الحاجة وقيل اجعل كل حلقة مساوية لاختمام كونها ضيقة لتلايقها منها هم ولتكن  
 في نخنها بحيث لا يقطعها سيف ولا تثقل على الذراع فتتمعه خفة التصرف وسرعة الانتقال  
 في الكثر والقر والطعن والضرب في البرد والحتر والظاهر كما قال البقاعي انه لم يكن في حلقة  
 مسامير لعدم الحاجة بالالانة الحديد اليها والالم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة  
 وقد أخبر بعض من رأى ما نسب اليه بغير مسامير وقال الرازي يحتمل أن يقال السرد هو عمل  
 الزرد وقوله تعالى وقدر في السرد أي انك غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب والكسب  
 يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع أوقاتك  
 بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى (واعملوا الصالحات) أي استم مخلوقين  
 الالعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه وأما الكسب فقدر واقع ثم أكد طلب الفعل الصالح  
 بقوله تعالى (انما يعملون بصير) أي مبصر فأجازيكم به يريد بهذا داود وآله (تبيينه) •  
 كما أن الله تعالى لداود عليه السلام الحديد لأن لنا صلي الله عليه وسلم في الخندق تلك  
 السكبية وذلك بعد ان لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضربها رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة وفي رواية رش عليها ما فعدت كثيرا أهبل لا ترد فأساوتك  
 الحضرة التي أخبره سلمان عنها أنها كسرت قوسهم ومعاولهم وعجزوا عنها فضربها صلى الله

عليه وسلم ثلاث ضربات كسرى في كل ضربة ثلاث منها وبرقت مع كل ضربة بركة كبرهها تكبيرة  
وأضاعت للصحابه رضى الله تعالى عنهم ما بين لابقى المدينة بحيث كانت في النهار كأنها مصباح  
في جوف بيت مظلم فسألوه عن ذلك فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن إحدى الضربات أضاعت له  
صنعا من أرض اليمن حتى رأى أبوابها من مكانه ذلك وأخبره جبريل عليه السلام أنها ستفتح على  
أمته وأضاعت له الأخرى قصور الحيرة البيض كأنها أنياب الكلاب وأخبر أنها مفتوحة لهم  
وأضاعت له الأخرى قصور الشام الحجر كأنها أنياب الكلاب وأخبر بفتحها عليهم فصدق الله تعالى  
في جميع ما قال وأعظم من ذلك تصلب الخشب له عليه السلام حتى صار سيفه أقوى المتن جيد  
الحديدية وذلك أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عرجونا فصار في يده سيفا قائمه منه فقاتل به فكان يسمى العرجون ثم لم يزل عنده يشهد به  
المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل وهو عنده وعن الواقدي أنه انكسر  
سيف سلمة بن أسلم يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين  
رطاب فقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل والحام داود للعديد ليس بأعجب  
من الحام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذتين عنهما لما قطعها أبو جهل يوم بدر فأتى بها يحملها  
في يده الأخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقتها فاصقت وصحمت مثل أخيها كما  
نقله البيهقي وغيره ومجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وإنما ذكر بعضها تبركا بذكره صلى الله عليه  
وسلم وأسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة من يفعل ذلك بأهلينا ومحبينا \* ولما تم الله تعالى  
المراد من آيات داود عليه السلام أتبعها بعض آيات ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام لمشاركته  
في الأنابة بقوله تعالى (ولسليمان) أي عوضا عن الخليل التي عقرها الله تعالى (الريح) قرأ شعبة  
الريح بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله أو محذوف والباقون بالنصب باضمار فعل أي  
وسخرنا (غدوها) أي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شهر) أي تحمله وتذهب به  
وجميع عسكره من الصباح إلى نصف النهار مسيرة شهر (ورواها) أي من الزوال إلى الغروب  
(شهر) أي مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدوم من دمشق  
فيمتد بالصلغر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وهذا كما سخر الله تعالى الريح لنبينا صلى  
الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب فكانت تهدي خيامهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي  
لا تجاوز عسكرهم إلى أن هزمهم الله تعالى بها وكان حلت شخصين من الصحابة رضى الله تعالى  
عنهم في غزوة تبوك فألقتهما بجبل طي وتحمّل من أراد الله تعالى من أولياء أمته كما هو في غاية  
الشهرة ونهاية الكثرة وأما أمر الأسراء والمعراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه إلا الله  
تعالى مع أن الله تعالى صرفه في آيات السماء بحسب المطر نارة وأرساله أخرى \* ولما ذكر تعالى  
الريح أتبعها ما هو من أسباب تكويده بقوله تعالى (وأسلتنا) أي أذينا بما لنا من العظمة  
(له عين القطر) أي النحاس حتى صار كأنه عين ماء فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن يجرى الماء  
وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (ومن الجن) أي الذي سترناهم عن العيون من



الشياطين وغيرهم عطف على الريح أي وسخرنا له من الجن (من يعمل بين يديه) أي قد أمكنه الله  
 تعالى منهم غاية الامكان في غيبته وحضوره (بإذن) أي بأمر (ربه) أي يتمكن المحسن اليه  
 (ومن يزغ) أي يعل (منهم عن أمرنا) أي عن أمره الذي هو من أمرنا (نذقه من عذاب السعير)  
 أي النار أي في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة يحرقه وهذا كما أمكن  
 نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك العقرية فثقله وهم يربطه حتى تلعب به صبيان المدينة ثم تركه  
 تأذبا مع أخيه سليمان عليه السلام فيما سأل الله تعالى فيه وأما الاعمال التي يدور عليها إقامة  
 الدين فأغناه الله تعالى فيها عن الجن بالملائكة الكرام عليهم السلام وسلط جمعاً من صحابته على  
 جماعة من مردة الجن منهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه لما ولاة النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ  
 زكاة رمضان ومنهم أبي بن كعب قبض على شخص منهم كان يسرق من ثمره وقال لقد علمت الجن  
 ما فيهم من هو أشد مني ومنهم معاذ بن جبل لما جعله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين  
 فأناه شيطان يسرق وتصوله به وور منها صورة فبسل فضبطه والتفت يدها عليه وقال له يا عدو  
 الله فشكاهما فاستروا أخبره أنه من جن نصيبين وانهم كانت لهم المدينة فلما بعث النبي صلى الله  
 عليه وسلم أخرجهم منها وسأله أن يخلى عنه على أن لا يعود ومنهم بريدة ومنهم أبو أيوب الأنصاري  
 رضي الله تعالى عنه ومنهم زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله  
 تعالى عنه صارع الشيطان فصرعه عمر ومنهم عمار بن ياسر قاتل الشيطان فصرعه عمار  
 وأدى أنف الشيطان بحجر ذلك البيهقي في الدلائل وأما عين القطر فهي مما تضمنه قول  
 النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت مفاتيح خزائن الأرض والملك في الدنيا والخلد فيها ثم الجنة  
 فاخترت أن أكون نبيا عبداً أجوع يوماً وأشبع يوماً الحديث فشم ذلك اللؤلؤ الرطب إلى عين  
 الذهب المصني إلى مادون ذلك وروى الترمذي وقال حسن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال عرض علي ربي لي جعل لي بطعام مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع  
 يوماً فاذا جعت تضرعت إليك وشكرتك وإذا شبعت شكرتك وجدتك وللطبراني بإسناد  
 حسن عن ابن عباس أن اسرافيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض وقال  
 إن الله أمرني أن أعرض عليك أن تسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فان  
 شئت نبياً مملوكاً وان شئت نبياً عبداً فأومأ إلى جبريل عليه السلام أن تواضع فقال نبياً عبداً  
 ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً من حديث أبي هريرة وله في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس  
 وفي البخاري في غزوة أحد عن عقبه بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مفاتيح  
 خزائن الأرض وأومأ بتأجير الأرض هذا ما يتعلق بالأرض وقد زيد صلى الله عليه وسلم على ذلك بأن  
 أيده ربه سبحانه بالتصرف في خزائن السماء نارة بشق القمر ونارة برجم النجوم ونارة باختراق  
 السموات ونارة بجبس المطر ونارة بإرساله إلى غير ذلك مما قد أكرمه الله تعالى به مما لا يحيط به إلا الله  
 عز وجل صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وحشرنا ومحبينا معهم في دار

كرامته • ولما أخبر تعالى أنه حضر لسليمان الجن ذكر حالهم في أعمالهم بقوله تعالى (يعملون له) أي في أي وقت شاء (ما يشاء) أي عمله (من محاريب) أي ابنية من نفعة غير مساجد يصعد إليها بدرج سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها ومساجد والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت وكان مما عملوه له بيت المقدس ابتدأه داود عليه السلام ورفعها قامة رجل فأوحى الله تعالى إليه اني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان عليه السلام اقضى تمامه على يديه فلما توفاه الله تعالى استخلف سليمان عليه السلام فأحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ريبضا وأنزل على كل ريبض سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقتلعون الجواهر من الحجارة من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها فأتى من ذلك بشئ لا يحصىه الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصويرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللاآتي فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللاآتي والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفبر وزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت أبهى ولا أتور من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع أخبار بني اسرائيل فأعلمهم أنه بناء لله تعالى وان كل شئ فيه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عبدا لله تعالى روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه اياه وسأله أن لا يأتى هذا البيت أحد يصلى فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمته وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه مجتصر فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر الى دار ملكه من أرض العراق وبني الشاطين باليمن لسليمان حصونا كثيرة مجيبة من الصخر (وتماثيل) جمع تماثيل وهو كل شئ مثله بشئ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك (فان قيل) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير \* (أجيب) • بأن هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقدمات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالبي لم يكن اتخاذ التصاوير اذ ذلك محرما ويجوز أن تكون غير صور الحيوان كصور الاشجار ونحوها لان التمثال كل ما صور له مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو بصور محدوفة الرأس روى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلاه

فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعها واذا قعد أظله السران بأجنحتهما وقيل كانوا  
 يتخذون صور الانبياء والملائكة والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل ان  
 هذا كان أول الامر فلما تقدم الزمن قال لهم ابليس ان آباءكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوا  
 الاصنام ولم تكن التصاوير ممنوعة في شريعتهم كما أن عيسى عليه السلام كان يتخذ صوراً من  
 الطين فينفخ فيها فتكون طيراً (وجفان) أي قصاع وصحاف يؤكل فيها واحدتها جفنة  
 (كالبواقي) جمع جابية وهي الحوض الكبير يجبي اليه الماء أي يجتمع يقال كان يجلس على  
 الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها وقرأ ورش وأبو عمرو بابيات اليا بعد الباء الموحدة  
 في الوصل دون الوقف وابن كثير بابياتها ووقفا ووصلا والباقون بال حذف ووقفا ووصلا \* ولما  
 ذكر القصاع على وجهه يتعجب منه ذكر ما يطبخ فيه طعام تلك الجفان بقوله تعالى (وقدور  
 راسيات) أي نباتات نباتا عظيما لانهم الكبرها كالجبال لها قوائم لا يحركن عن أماكنها العظمهن  
 ولا يبدن ولا يعطن وكان يصعد عليها بالسلام وكانت بالين \* ولما ذكر المساكن وما يتبعها أتبعها  
 الامر بالعمل بقوله تعالى (اعملوا) أي وقلنا لهم اعملوا أي تمتعوا واعملوا ودل على مزيد قربهم  
 بحذف أداة النداء وعلى شرفهم بالتعبير بالآل بقوله تعالى (آل داود) وقوله تعالى (شكرا)  
 يجوز فيه أوجه أحدها أنه مفعول به أي اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكر السدا  
 مسته ثانياً أنه مصدرين معنى اعملوا كأنه قال اشكروا وشكرا بعملكم أو اعملوا عمل شكر  
 ثالثها أنه مفعول من أجله أي لاجل الشكر واقتصر على هذا البقاعى رابعها أنه مصدر واقع  
 موقع الحال أي شاكرين خامسها أنه منصوب بشعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا وشكرا  
 سادسها أنه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عمل شكرا أي ذا شكر \* (تنبيه) \* كما قال تعالى  
 عقب قوله سبحانه أن اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقب ما تعمله الجن له اعملوا آل داود شكرا  
 إشارة الى أنه لا ينبغي أن يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشياء وانما الاكثار من العمل  
 الصالح الذي يكون شكرا وقوله تعالى (وقليل) خبر مقدم وقوله تعالى (من عبادي) صفة له  
 وقوله تعالى (الشكور) مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتي المتوفر الدواعى بظاهره وباطنه من  
 قلبه ولسانه ويديه على الشكر بان يصرف جميع ما أنعم الله تعالى به عليه فيما يرضيه قليل ومع ذلك  
 لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى  
 عجزه عن الشكر وعبر بصيغة فعول إشارة الى أن من يقع منه مطلق الشكر كثير وأقل ذلك حال  
 الاضطرار وقيل المراد من آل داود عليه السلام هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيتهما  
 عليهم السلام قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول كان داود عليه السلام نبي الله صلى الله عليه  
 وسلم قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تأنق ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان  
 من آل داود عليه السلام قائم يصلي وقال صلى الله عليه وسلم في صلاة النافلة أفضل الصلاة  
 صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقال في صوم التطوع أفضل الصيام  
 صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وروى عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم

اجعاني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور  
فانا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر • ولما كان الموت مكتوباً  
على كل أحد قال تعالى (فلما قضينا) وحقق صفة القدرة بأداة الاستعلاء بقوله تعالى (عليه)  
أي سليمان عليه السلام (الموت) قال أهل العلم كان سليمان يتخذ في بيت المقدس السنة  
والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما دنا  
أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله تعالى فسألها ما اسمك فتقول كذا  
وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا فيؤمر بها فتتلع فان كانت تنبت لغرس  
غرسها وان كانت تنبت لدواء كتب ذلك حتى تنبت الخروبة فقال لها ما أنت قالت الخروبة قال  
لاى شئ تنبت قالت لغراب مسجدك قال عليه السلام ما كان الله ليخربه وأنا حتى أنت التي  
على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائطه ثم قال اللهم عمم على الجن موتى  
حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويعتفون على الناس  
أنهم يعلمون الغيب وقال الملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك  
ساعة فدعا الشياطين فينوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه  
فتقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان  
للمعرب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته  
وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبون حيا فلا ينكرون خروجه  
الى الناس لطول صلواته فكثروا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عاصم سليمان  
فخر ميتا فعملوا بموته حينئذ كما قال تعالى (ماد لهم على موته الا دابة الارض) أي الارضة لانا جعلنا  
له من سعة العلم ووفور الهيبة ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء موتهم (تا كل منسأته)  
قال البخارى يعنى عصاه فالمنسأه العصا اسم الة من نساءه أخره كالمكسحة والمكسنة من نساء  
الغنم أي زجرتها وسقتها ومنه نساء الله في أجله أي أخره وقرأ نافع وابو عمرو وبعد السين  
بألف وابن ذكوان بعد السين بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين فاذا  
وقف حمزة سهل الهمة وقيل لم يكن شيطان ينظر اليه في صلواته الا احترق فتربه شيطان فلم  
يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد ختر ميتا ففتحو عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة  
(فلما ختر) أي سقط على الارض بعد أن قصت الارضة عصاه (تبيت الجن) أي علمت علما  
بينا لا يقدرون معه على تدبير وتلبس وانفضح أمرهم وظهر ظهورا تاما (ان) أي أنهم  
(لو كانوا) أي الجن (يعلمون الغيب) أي علمه (مالبتوا) أي أقاموا حولا (في العذاب  
المهين) من ذلك العمل الذي كانوا مسخرين فيه ويجوز أن تكون أن تعليمة ويكون التقدير  
تبين حال الجن فيما ينظرون بهم من أنهم يعلمون الغيب لانهم الخ وسبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك  
أنهم وضعوا الارضة على موضع من العصا فآكلتها منها يوما وليلة مقادارا وحسبوا على ذلك  
النحو فوجدوا المدة سنة قال ابن عباس فسكر الجن الارضة فهم يأوتونها بالماء والطين في جوف

الخشب \* (تنبیه) \* قد تقدم أن كل شيء أثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم  
 السلام من الخوارق ثبت له مثله أو أعظم منه أو له نفسه أو واحد من أمته وهذا الذي ذكر  
 سليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يعيل قد ثبت مثله لشخص من هذه الأمة من غير  
 شيء يعتمد عليه قال القشيري في رسالته في باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا وقال أبو عمران  
 الاصطخري رأيت أبا تراب في البادية قائما ميتا لا يمسه شيء انتهى \* (فائدة) \* روى ان سليمان  
 عليه السلام كان عمره ثلاثا وخسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن  
 ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين ماضين من ملكه وروى ان داود  
 عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات قبل أن يتم  
 فوصى به الى سليمان عليه السلام فأمر الشياطين بأتمامه \* ولما بقي من عمله ستة سأل الله تعالى  
 أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروى ان افريدون جاء  
 ليصدر كرسيه فلما نادى منه ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعد يومئذ منه \* ولما بين  
 تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام بين حال الكافرين لانعمه  
 بحكاية أهل سبب فقال تعالى (انقد كان لسببا) أي القبيلة المشهورة روى أبو سبرة النخعي  
 عن أبي قرّة بن مسيب القطيعي قال قال رجل يارسل الله اخبرني عن سببا كان رجلا أو امرأة  
 أو أرضا قال كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشام منهم أربعة فأما  
 الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومدج وانمار وحير فقال رجل وما أنمار قال  
 الذين منهم خشم وبجيلة وأما الذين تشاموا فالحزم وجذام وعاملة وغسان وسببا يجمع هذه  
 القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب ينقسمون الى قسمين حطانية وعدنانية فالقحطانية  
 شعبان سببا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضروا أما قضاة فمختلف فيها فبعضهم  
 نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان أول من قيل له أنم صباحا وأبيت اللعن  
 قال بعضهم وجميع العرب منسوب الى اسمعيل بن ابراهيم وليس بصحيح فان اسمعيل عليه  
 السلام نشأ بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل عليه  
 السلام منهم عاد وثمود وطسم وجديس وأهم وجرهم والعماليق يقال ان أهما كان  
 ملكا ويقال انه أول من سقف البيوت بالخشب المنتشور وكانت الفرس تسميه آدم الاصغر  
 وبنوه قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل أسأله الله عليهم فأهلكهم وطم مناهلهم وفي ذلك يقول  
 بعض الشعراء  
 وكردهر على وبار \* فهلكت عنوة وبار

واسم سببا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وتسمى سببا قيل لانه أول من سبأ في العرب  
 قاله السهيلي ويقال انه أول من تتوج وذكروا بعضهم انه كان مسلما وله شعر يشير فيه بوجود  
 النبي صلى الله عليه وسلم وقال في سليمان عليه السلام  
 سيملت بعد ناملك عظيم \* نبي لا يرخص في الحرام  
 ويملك بعدء منهم ملوك \* يدينوه القباد بكل دامي

ويملك بعدهم من مملوك \* يصير الملك فينايانقسام  
ويملك بعد قطان نبي \* تقي نخبت خير الانام  
يسمى أحدا باليت انى \* أعر بعد مبعثه بعام  
فأعضده وأحبوه بنصرى \* بكل مدح وبكل راي  
متى يظهر فكونوا نصريه \* ومن يلقاه يبلغه سلامي

وقرأ البرزى وأبو عمرو وبعد الموحدة بهم - مزنة مفتوحة من غير تنوين لأنه صار اسم قبيلة وقبيل  
بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة منونة وإذا وقف جزة وهشام أبدا لا همزة الفاء ولهما  
أيضا الروم مع التسهيل وقرأ (في مساكنهم) أى التى هي فى غاية الكثرة جزة وخص بسكون  
السين وفتح الكاف ولألف بينهما إشارة الى انه الشدة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن  
الواحد وقرأ الكسائى كذلك لأنه يكسر الكاف والباقون بفتح السين وألف بعدهما وكسر  
الكاف إشارة الى أنها فى غاية الملاعبة لهم واللين وكانت بأرض مأرب من بلاد اليمن  
قال جزة الكرمانى قال ابن عباس على ثلاثة فرائخ من صنعاء (آية) أى علامة  
ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الآية بقوله تعالى (جنتان عن يمين وشمال) أى عن يمين الوادى  
وشماله قد أحاطت الجنتان بذلك الوادى وقيل عن يمين من أناهما وشماله (فان قيل) كيف  
عظم الله تعالى جنتى أهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قرى العراق يحترف به من الجنات  
ماشتت (أجيب) بأنه لم يرد بسنتان اثنتين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة  
عن يمين بلدتهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامتها كأنها  
جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بسنتان كل رجل منهم عن يمين  
مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لأحداهما جنتين من أعناب فبكت كانت أخصب البلاد  
وأطيبها وأكثرها ثم اراحتى كانت المرأة تضع على رأسها مكتة لاقطوف به بين الأشجار  
فبكتى المكتل من جميع أنواع الفواكه من غير أن تمس شيئا بيدها مما يتساقط فيه من الثمر  
وقوله تعالى (كلوا من رزق ربكم) أى المحسن اليكم الذى أخرج لكم منهما ما تشتمون  
(واشكروا لله) أى خصوه بالشكر بالعمل فى كل ما رضى به ليدم لكم النعمة حكاية لما قال  
لهم نبيهم أو اسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك ثم استأنف تعظيم ذلك  
بقوله (بادة طيبة) أى حسنة التربة ليس بها سبخ حسنة الهواء سليمة من الهوام ليس فيها  
بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية يمر الغريب بها وفى ثيابه القمل فيموت من  
طيب هوائها وأشار الى انه لا يقدر أحد أن يتدره حتى قدومه بقوله تعالى (ورب غفور) أى لذنب  
من شكره وتقديره فلا يعاقب عليه ولا يعاتب قال البقاعى وأخبرني بعض أهل اليمن أنها اليوم  
مغارة قرب صنعاء قال وفى بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا فى مقدار دربلى بلاد الشام  
وهو فى غاية الصفاء كأنه قطع المصطكى وايس له نوى أصلا انتهى \* ولما نسب عن هذا الانعام

بطرهم الموجب لاعراضهم عن الشكر دل على ذلك بقوله تعالى (فأعرضوا) أى عن الشكر  
 فكفروا وقال وهب أرسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله  
 تعالى عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوههم وقالوا ما نعرف الله تعالى علينا من نعمة فقولوا ربكم  
 فليجس هذه النعمة عنا ان استطاع \* ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله تعالى (فأرسلنا  
 عليهم سيل العرم) جمع عرمة وهو ما يسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته أى سيل واديهم  
 فأغرق جنتهم وأموالهم \* قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب وغيرهما كان ذلك السد بينه  
 بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة  
 حير فسدت ما بين الجبلين وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبيت منه دونها بركة ضخمة  
 وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم ينتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغفروا  
 سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أو دية اليمن فاقتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب  
 الاعلى ففتح فجري ماؤد في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث  
 الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على  
 ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا وسلط الله تعالى عليهم جزا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله  
 فأغرق الماء جنتهم وأموالهم ونخر أرضهم قال وهب وكانوا فيما يزعمون ويجدون  
 في علمهم وكهانهم أنه يخرب سددهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما  
 جاء زمانه وما أراد الله تعالى بهم من التعريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة الى هرة  
 من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها  
 فتغلقت في السد فنقبت وحسرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد  
 خلا فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الردى فغرقوا  
 ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدى سبأ وتفرقوا ايدى  
 سبأ أى تفرقوا وتبددوا قبيل والأوس والخزرج منهم قال البقاعى وكان ذلك في الفترة التي  
 كانت بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم \* (تنبيه) \* في العرم اقوال غير ما ذكر أحدها أنه  
 من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذا اصل السيل العرم والعرم الشديد وأصله من  
 العرامة وهي الشراسة والصعوبة الثانى أنه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه  
 تقديره فأرسلنا عليهم سيل المطر العرم أى الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للوادي الذي  
 كان فيه الماء نفسه قال ابن الاعرابى العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ماء أحمر أرسله  
 الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع أنه اسم للجرذ وهو القاروقيل هو الخلد وانما أضيف اليه  
 لانه تسبب عنه كما مر (وبدلناهم بجناتهم) أى جعلنا لهم بدلها (جناتين) هما في غاية ما يكون  
 من مضادة جناتهم ولذلك فسرها بقوله تعالى اعلاما بأن اطلاق الجناتين عليهم ما مشاكلة  
 لفظية للتعلم بهم (ذواتى أكل خطا) أى ثم رشع وانخط الاراك وعرمة يقال له البرير هذا قول  
 أكثر المفسرين وقال المبرد والزجاج كل بيت قد أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو

خط وقال ابن الاعرابي الخط ثم شجر يتقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به  
وعن أبي عبيدة كل شجر ذى شوك وقرأ أبو عمرو كل بغير تنوين والباقون بالتنوين وسكن  
الكاف نافع وابن كثير وضعها الباقون قال البغوي فمن جعل الخط اسما للمأكول فالتنوين  
في أكل أحسن ومن جعله أصلا وجعل الاكل ثمه فالإضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول  
العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم فتصف الأعناب بالكرم لانها منه وقوله تعالى  
(وَأَنْزَلْ) أى وذواتى أنزل (وشئى من سدر قليل) معطوفان على أكل لاعلى خط فان الأثل هو  
الطرفاء ولا ثمرة رقيق هو شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا وقيل هو نوع من الطرفاء  
ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شئ كالعضص أخضر في طعمه وطبعه والسدر  
شجر معروف وهو شجر النبق وينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك  
بل كان سدر ابريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ولهذا قال بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة غضة  
لا تؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغسال وهو الضال وسدر له ثمرة تؤكل وهى النبق ويغسل بورقه  
والمراد في الآية الاقول وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فغيره الله تعالى من شر الشجر  
بأعمالهم \* (تنبيه) \* قد نبهت في شرح المنهاج على ان الباء في الأبدال والتبديل والتبدل  
والاستبدال هل تدخل على المتروك أو على المأخوذ عند قول المنهاج ولو أبدل ضادا بظاء (ذلك)  
أى الجزء العظيم بالتبديل (جزئناهم) بما لنا من العظمة (بما كثرنا) أى غطوا الدليل الواضح  
وهو ما جاء به الرسل اذ روى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقيل بكفرانهم - م النعمة  
(وهل يجازى) أى مثل هذا الجزء الذى هو على وجه العقاب (الا الكفور) أى الابليغ  
في الكفر وقال مجاهد يجازى أى يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى قال الفراء  
المؤمن يجزى ولا يجازى أى يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته وقال بعضهم المجازاة تقال في  
النعمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك جزئناهم يدل على أن يجزى في النعمة أيضا قال  
ابن عادل ولعل من قال ذلك أخذ من أن المجازاة مفاعلة وهى في أكثر الامر تكون ما بين اثنين  
يوجد من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله تعالى مبتدئ  
بالنعم (وقيل) المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من  
السوء وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفر بالجزاء  
والجزاء عام للمؤمن والكافر لانه لم يرد بالجزاء العام انما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز  
أن يراد العموم وليس بموضع الاترى أنك لو قلت جزئناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر  
والمؤمن لم يصح ولم يعد كلاما قتيبين انما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذى لا يجوز  
غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقرأ آجرة  
والكسائي وحقق بالنون مضمومة وكسر الزاى الكفور بالنصب والباقون بالياء المضمومة  
ونصب الزاى الكفور بالرفع \* ولما تم الخبر عن الجنان التى بها القوام نعمة ونعمة اتبعه  
مواضع السكان بقوله تعالى (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة (بينهم) أى بين سبأ وهم باليمن



(وبين القرى التي بارك فيها) أي بالتوسعة على أهلها بالماء والشجر وغيرهما وهي قرى الشام التي يسرون إليها للتجارة (قرى ظاهرة) أي متواصلة من اليمن إلى الشام (وقد رافقها السير) أي بحيث يقبلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهائهم سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء من سبأ إلى الشام وقبل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام فلا يحملون شيئا مما جرت به عوائد السفار فكان سيرهم في القدر والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلاها وعلى رأسها مكنلها فتمتن بغزلها فلأتأتى بيتها حتى يتملى مكنلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهي حقيقة بأن يقال لأهلها والنازلين بها على سبيل الامتنان بلسان القائل أو الحال (سيروا) ودل على تقاربها جذا قوله تعالى (فيها) ودل على كثرتها وطول مسافتها واصلحيتها للسير أي وقت أريد مقصد ما لها هو أدل على الامن وأعدل للسير في البلاد الحارة بقوله تعالى (ليالي) وأشار إلى كثرة الظلال والرطوبة والاعتدال الذي يمكن معه السير في جميع النهار بقوله تعالى (وأياما) أي في أي وقت شئت والى عظيم أمانها في كل وقت بالنسبة إلى كل مسلم بقوله (أمين) أي لا تخافون في ليل أو نهار وان طال مدة سفركم فيها أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الامن فلا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقبل تسيرون فيها ان شئت ليالي وان شئت أياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك لئلا لعدم علم العدو بسيرهم وبهضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة \* ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف التي تستدعي غاية الشكر لمافيها من اللطاف دل على بطرهم للنعمة بها بأنهم جعلوها سببا للشجر والملايل بقوله تعالى (فقالوا) أي على وجه الدعاء (ربنا بعدد بين أسفارنا) أي إلى الشام أي اجعلها مساوزا لسطا ولو افيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد والماء فيطروا النعمة وملوا العافية كبنى امراة للماطلب والنوم والبصل فأجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بتشديد العين ولا ألف قبلها فعمل طلب والباقون بألف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر على انه شكيوى منهم لبعدهم سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتدال بما أنعم الله عليهم فيه (وظلوا) حيث عدوا النعمة تقمة والاحسان اساءة (أنفسهم) بالكسر (فجعلناهم) أي بما لنا من العظمة (أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيدي سبا قال كثير

أيدي سبا أعزما كنت بعدكم \* فلم يحل للعينين بعدك منظر

(ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل جهة من البلاد كل التفريق قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد أمانا فلحقوا بالشام ومز الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومز خزيمية إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمر بن عامر وهو جد الأوس والخزرج (ان في ذلك) أي المذكور (آيات) أي عبرا ودلالات بينة

جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم وما خلقهم من السماء والارض بالايجاد  
 والاعدام للذوات والصفات والخسف والمسح فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان بطرهم لتلك  
 النعمة حتى ملوها ودعوا بازالتهادليل على ان الانسان مادام حيا فهو في نعمة يجب عليه  
 شكرها كانه ما كانت وان كان يراها بولية لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم  
 تقما واللذة ألما ولذلك ختم الآية بالصبر بصيغة المبالغة بقوله تعالى (لكل صبار) على طاعة  
 الله وعن معصيته (شكور) لنعمة قال مقاتل يعني المؤمن من هذه الامة صبور على البلاء  
 شكور على النعماء قال سطر هو المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر وقرأ قوله تعالى  
 (ولقد صدق عليهم ابليس) أي الذي هو من البلس وهو ما لا خير عنده أو الابل اس وهو اليأس  
 من كل خير ما يكون ذلك أبلغ في التبكيت والتوبيخ (ظنه) قرأه الكوفيون بتشديد الدال بعد  
 الصاد أي ظن فيهم ظنا حيث قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين الاعبادك ولا تجدد أكتهم  
 شاكرين فصدق ظنه وحقته بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه والباقون بالتخفيف أي صدق عليهم في  
 ظنه بهم أي على أهل سبا كما قاله أكرس المنسرين حين رأى انهما كهم في الشهوات أو الناس  
 كلهم كما قاله مجاهد أي حين رأى أباهم آدم ضعيف العزم أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب  
 أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلهم ولا غوينهم أو الكفار و منهم سبا  
 كما قاله الجلال المحلى (فاتبعوه) أي بغاية الجهد عميل الطبع وقوله (الافريقان من المؤمنين)  
 استثناء متصل على قول مجاهد ومنقطع على قول غيره وقال السدي عن ابن عباس رضى الله  
 عنه يعنى المؤمنين كلهم لان المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار  
 أو الافريقان فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة ان ابليس لعنه  
 الله تعالى لما سأل النظرة فانظره الله تعالى وقال لا غوينهم ولا ضلهم لم يكن مستيقنا وقت هذه  
 المقالة أن ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم \* ولما  
 كان ذلك رجعا وهم ان لا بليس امر ابنته نفاه بقوله تعالى (وما) أي والحال أنهما (كان)  
 أصلا (له عليهم) أي الذين اتبعوه ولا غيرهم وأغرق فيما هو الحق من النبي بقوله تعالى (من  
 سلطان) أي تسلط قاهر رشي من الاشياء بوجه من الوجوه لانه مثلهم في كونه عبدا عاجزا  
 مقهورا ذليلا خائفا مدحورا قال القشيري هو مسلط ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك  
 على الهداية نفسه والمعنى ان الامر لله وحده (الآ) أي لكن نحن سلطنا عليهم بسلطاننا وملكنا  
 قيادهم بقهرنا وعبر عن التميز الذي هو سبب العلم بالعلم فقال (لنعلم) أي بما لنا من العظمة (من  
 يؤمن) أي يوجد الايمان لله (بالآخرة) أي يتعلق علمنا بذلك في عالم الشهادة في حال تميزه تعلقا  
 تقوم به الحجية في مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به في عالم الغيب (من هو منها) أي الآخرة  
 (في شك) فهو لا يجتدلها ايمانا أصلا لان الشك ظرف له محيط به وانما استعار الاموضع لكن اشارة  
 الى أنه ممكنه تمكيننا تاما صار به كن له سلطان حقيقي \* (تنبيه) \* قال الرازي ان علم الله تعالى  
 من الازل الى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق

علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل أن العالم  
سيوجد فاذا وجد علمه موجود ابداً ذلك العلم واذا عدم علمه معدوماً كذلك المرأة المصقولة  
الصابية يظهر فيها صورة زيدان قابلهما ثم اذا قابلهما عمر وتظهر فيها صورته والمرأة لم تتغير  
في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغيير في الخارجيات وكذا هنا قوله الانعلم أى يقع في العلم  
صدور الكفر من الكافر والايمن من المؤمن وكان علم الله تعالى أنه سيكفر زيد ويؤمن عمرو  
وقال البغوى المعنى الالتميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوماً  
عنده بالغيب وقوله تعالى (وربك) أى المحسن اليك باخراة الشيطان بنبوتك واجتنابه عن  
امتك (على كل شئ) من المكفين وغيرهم (حفيظ) أى حافظ أتم حفظ تحقيق ذلك ان الله تعالى  
قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل  
بالشئ لا يمكنه حفظه ولا العاجز \* ولما بين تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم  
عن مضى عاد الى خطابهم فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل) أى يا أعلم الخلق باقامة  
الادلة لهؤلاء الذين أشركوا من لا يشك في حقارته من له أدنى مسكة (ادعوا الذين زعمتم)  
أى أنهم الهة كما تدعون الله تعالى لاسمى في وقت الشدائد وحذف منفعولى زعم وهو ما ضميرهم  
والهة تبنيها على استهجان ذلك واستيشاعه وليس المذكور في الآية منفعول زعم ولا قائماً  
مقام المنفعول لفساد المعنى وبين حقارتهم بقوله تعالى (من دون الله) أى الذى حاز جميع العظمة  
والمعنى ادعوهم فيما يهكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم ثم  
أجاب عنهم اشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون منقال ذرة) من خيراً وشر  
(في السموات ولا في الارض) أى فى أمر ما وذكروهما للعموم العرفى أولان آلهتهم بعضها  
سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للخير  
والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم \* ولما كان هذا ظاهراً فى نبي الملك  
الخاص عن ثبوت المشاركة نبي المشاركة أيضاً بقوله تعالى مؤكداً تكذيباً لهم فيما يدعون (ومالهم)  
أى الآلهة (فيهما) أى فى السموات والارض ولا فى غيرهما ولا فى فيما فهم ما واغرق فى النفي بقوله  
تعالى (من شرك) أى شركة لا خلقاً ولا ملكاً (وماله) أى الله (منهم) وأى كذا النفي باثبات الجار  
فقال (من ظهير) أى معين على شئ مما يريد من تدبير أمرهما وغيرهما فكيف يصح مع هذا  
لعجز أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد \* ولما كان قد بقي من اقسام النفع  
الشفاعة وكان المقصود منها أثرها لا عينها انشاه بقوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى فلا  
تنفعهم شفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده (الامن أذن له) أى وقع منه اذن له على  
لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة أو أكثر فى أن يشفع فى غيره وفى أن يشفع فيه غيره  
وقرأ أبو عمرو ووحدة والكسائي بضم الهمزة والباقون بفتحها وقوله تعالى (حتى اذا فرغ  
عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من أن ثم انتظاراً للاذن وتوقعاً وتعملاً وقرعاً من الراجين  
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان

وطول من التبرص ومثل هذه الحال دل عليها قوله عز من قائل رب السموات والارض  
 وما بينهما الرحمن لا يملكون يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون  
 الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتوقعون ويتربصون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا  
 فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع  
 لهم بكلمة يتكلم به رب العزة فى اطلاق الاذن (قالوا) أى قال بعضهم لبعض  
 (ماذا قال ربكم) أى فى الشفاعة ذاكرين صفة الاحسان ليرجع اليهم رجاؤهم فتسكن بذلك  
 قلوبهم (قالوا) قال القول (الحق) أى الثابت الذى لا يمكن ان يبدل بل يطابق الواقع فلا  
 يكون شئ يخالفه وهو الاذن فى الشفاعة لمن ارتضى منهم وهم المؤمنون (وهو العلى  
 الكبير) أى ذوالعلو فلا رتبة الا دون رتبته والكبير اى فليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم  
 الا باذنه روى البخارى فى التفسير عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا  
 قضى الله الامر فى السماء صفت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا  
 فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق  
 السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فخرتها وبتدين أصابعه فيسمع الكلمة  
 ويلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على  
 لسان الساحر والكاهن فرجا أدركه الشهاب قبل ان يلقيها ورجا ألقاها قبل ان يدركه  
 فكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا فيصدق بتلك  
 الكلمة التى من السماء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 اذا أراد الله أن يوحى بالامر وتكلم بالوحى أخذت السماء رجفة أو قال رجفة شديدة خوفا  
 من الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه  
 جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ثم يعز جبريل عليه السلام على  
 الملائكة كلما مر بسما سألهم ملائكتهم ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل عليه السلام قال  
 الحق وهو العلى الكبير فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل عليه السلام فينتهى جبريل عليه  
 السلام بالوحى حيث أمره الله تعالى وقال مقاتل والسكبي والسدى كانت الفترة بين عيسى  
 ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها  
 وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلى  
 الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل  
 السموات من أشراط الساعة فصعقوا بما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل  
 عليه السلام جعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا  
 قال ربكم قالوا الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع  
 عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للعبدة عليهم قالت لهم الملائكة عليهم السلام ماذا  
 قال ربكم فى الدعاء قالوا الحق فأقروا به حيث لم ينفعهم الاقرار ولم يسأل تعالى عن شركائهم

أن يملكوا شيئاً من الأكوان وأثبت جميع الملك له وحده وأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم  
 أن يقررهم بما يلزم منه ذلك بقوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات) أي بالمطر (والارض)  
 أي بالنبات وأفرد الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم أمره تعالى أن يتولى الاجابة بقوله تعالى  
 (قل الله) أي ان لم يقولوا رزقنا الله تعالى فقل أنت ان رزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم يقرون  
 به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن من صدورهم من العناد وحب  
 الشرك قد ألبم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تقوه هو ايات الله تعالى  
 رزقهم لزمهم أن يقال لهم فالكلم لا تعبدون من يرزقكم وتوثرون عليه من لا يقدر على  
 الرزق ألا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار  
 حتى قال فسـ يقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون  
 بالسنتهم مرة ومرة يتلعثمون عناداً وفرادى واحذرا من الزام الحجمة ونحوه قوله عز وجل قل  
 من رب السموات والارض قل الله قل أفخذتم من دونه أولياء لا يعلمون ان أنفسهم نفاع  
 ولا ضرر وأمر بان يقول لهم بعد الازام والالهام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاسر  
 عنه (وأنأ وأياكم) أي أحد الغريقتين من الذين يوحدون الرزق من السموات والارض  
 بالعبادة ومن الذين يشركون به الجهاد الذي لا يوصف بالقدرة (لهلى هدى) أي في متابعة  
 ما ينبغي ان يعمل مستعين عليه (أوفى ضلال) عن الحق (مبين) أي بين في نفسه داع لكل  
 أحد الى معرفة أنه ضلال وهذا ليس على طريق الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك أنه على  
 هدى ويقين وان الكفار على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من  
 استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل القرض والتقدير ويسميه أهل البيان الاستدراج  
 وهو أن يذكر مخاطبه أمر ايسره وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصفى الى ما ياقبه اليه اذ لو بدأه  
 بما يكره لم يصغ ونظيره قوله هم آخرى الله الكاذب منى وملك ومثله قول حسان رضى الله  
 تعالى عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا سفيان

أتهجوه ولست له بكف • فشر كانه يركم الفداء

فان أبي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاه

مع العلم لكل أحد انه صلى الله عليه وسلم خير خاق الله كلهم • (تنبيه) • ذكر تعالى في الهدى  
 كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدى كانه مرتفع مطلع فذكر بكلمة تعالى فكانه مستعل  
 على فرس جوادير كضه حيث شاء والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فأتى بكلمة في فكانه  
 منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه قال البغوي وقال بعضهم أو بمعنى الواو والالف  
 فيه صلة كانه يقول وأنا وأياكم لهلى هدى وفي ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم في الضلال  
 (قل) أي لهم (لا تسألون) أي من سائل ما (عما أجرنا) أي لا تؤاخذون به (ولانسئل) أي في  
 وقت من الاوقات من سائل ما (عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وهذا ادخل في الانصاف  
 وأبلغ في التواضع حيث أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (وقيل) المراد

بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل) أي لهم (يجمع بيننا ربنا) أي يوم القيامة (ثم يفتح) أي يحكم (بيننا بالحق) أي الامر الثابت الذي لا يقدر أحد منا ولا منكم على التخلف عنه وهو العدل والفضل من غير ظلم ولا ميل فيدخل المحققين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتح) أي الحاكم الفاصل في القضايا المغلقة البليغ الفتح لما انطلق فلا يقدر أحد على قصه (العليم) أي البليغ العلم بكل دقيق وجليل فلا تخفى عليه خافية (قل) أي لهم (أروني) أي أعلموني (الذين ألحقتم به) أي بالله (شركاء) أي في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وقوله تعالى (كلا) أي لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بإبطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعبادتهم وقد نبه على تفاخر غلطهم بقوله تعالى (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره الذي لا مثل له وكل شيء يحتاج اليه (الحكيم) أي المحكم لكل ما يفعله فلا يستطيع أحد نقض شيء منه فكيف يكون له شريك وأنتم ترون ماترون له من هاتين الصفتين المنافيتين لذلك (تنبيه) في هذا الضمير وهو قولان أحدهما انه عائذ الى الله تعالى أي ذلك الذي ألحقتم به شركاء هو الله والعزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشأن والله مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبره (فان قيل) ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويعرفهم (أجيب) بأنه أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وأن يقاس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على الحالة القياس اليه والاشراك به \* ولما بين تعالى مسئلة التوحيد شرع في الرسالة بقوله سبحانه وتعالى (وما أرسلناك) أي بعظمتنا (الا كافة للناس) أي ارسالا عاما شاملا لكل ما شمله ايجادا فانه حال من الناس قدم للاهتام وقول البيضاوي ولا يجوز جعلها حالا من الناس أي لان تقديم حال المجرور عليه كتقديم المجرور على الجار رده أبو حيان بقوله هذا ما ذهب اليه الجمهور وذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى وهذا هو الذي ينبغي اعتماده ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومن أمثلة أبي علي زيد خير ما يكون خير منك والتقدير زيد خير منك خير ما يكون وأنشد

إذا المرء أعينه المطالب ناشئا \* فطلبها كهلا عليه شديد

أي فطلبها عليه كهلا وأنشد أيضا

تسلبت طرا عنكم بعد دينكم \* بذكركم حتى كانكم عندي

أي عنكم طرا (وقيل) انه حال من كاف أرسلناك والمعنى الاجماع للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج وقيل ان كافة صفة المصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم قال أبو حيان أما كافة بمعنى عامة فالقول عن النحويين أنهم لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة المصدر

محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لموصوف محذوف قال البقاعي وأما  
 الجن فخالهم مشهور أي أنه أرسل اليهم وأما الملائكة فالدلائل على الإرسال اليهم في غاية الظهور  
 انتهى وهذا هو اللائق بعموم رسالته وإن خالف في ذلك الجلال المحلى في شرحه على جمع  
 الجوامع وفي عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فضيلة على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام  
 فلتن كان داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له والطير والآلة الحديد وسليمان عليه السلام  
 بما ذكره فقد فضل محمد صلى الله عليه وسلم نبينا بإرساله إلى الناس كافة والخصاص في كفه  
 والجبال أمرت بالسير معه ذهباً وفضة والحجارة شكت إليه أخذ فراخها وأبيضها والضرب  
 شهد له بالرسالة والجبل شكك إليه وسجد له والأشجار أطاعته والأشجار سلمت عليه واتمرت  
 بأمره وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وإنما ذكرت ذلك تبركاً بذكره صلى الله عليه وسلم  
 وأنا أسأل الله تعالى أن يشفع في وفي والدي وجميع أحبائي وبقية المسلمين أجمعين \* ولما  
 كانت البشارة هي الخبر الأول الصدق الساتر وكان في ذكرها رد لقولهم في الكذب والجنون  
 قال تعالى (بشيراً) أي مبشراً للمؤمنين بالجنة (ونذيراً) أي منذراً للكافرين بالعذاب (ولكن  
 أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك \* ولما سلب عنهم العلم  
 اتبعه دليله كقوله تعالى معبراً بصيغة المضارع الدال على ملازمة التكرير للاعلام بأنه على  
 سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد (ويقولون) من فرط جهلهم بعاقبة ما يوعدونه (متى هذا الوعد)  
 أي البشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في الاستهزاء \* ولما كان قول  
 الجماعة أجدر بالقبول وأبعد عن الرد من قول الواحد أشار إلى زيادة جهلهم بقوله تعالى  
 (أن كنتم) أي أيها النبي وآتباعه (صادقين) أي متمكنين في الصدق (قل لكم) أي أيها  
 الجاحدون الاجلاف الذين لا يجوزون الممكات ولا يتدبرون ما أوضهها من الدلالات (مبعاد  
 يوم) أي لا يحتمل القول وصف عظمه لما يأتي فيه لكم من العقاب سواء كان يوم الموت كما قاله  
 الضحاك أو البعث كما قاله أكثر المفسرين (لأنستأخرون) أي لا يوجب تأخركم (عنه ساعة)  
 لأن الآتي به عظيم القدرة محيط العلم ولذلك قال (ولانستقدمون) أي لا يوجد تقدمكم  
 لحظة فلا دنها ولا تتمكنون من طلب ذلك (فان قيل) كيف انطبق هذا جواباً عن سؤالهم  
 (أجيب) بانهم ما سألو عن ذلك وهم منكرون له الاتعتنا لاسترشاد الجاهل الجواب على طريق  
 التهديد مطابقاً لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون بيوم يقاضونهم  
 فلا يستطيعون تأخر عنه ولا تقدم عليه (وقال الذين كفروا) مؤكدين قطعاً للاطماع  
 عن دعائهم (لئن نؤمن) أي نصدق أبداً وصرحوا بالمنزل عليه صلى الله عليه وسلم بالإشارة فقالوا  
 (بهذا القرآن) أي وإن جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة لبقية الكتب (ولا بالذي  
 بين يديه) أي قبله من الكتب التوراة والإنجيل وغيرهما بل نحن قانعون بما وجدنا عليه آباءنا  
 وذلك لما روى أن كفار مكة سألو بعض أهل الكتاب فأخبروهم أن صفة هذا النبي عندهم  
 في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر بها فكفروا بها

جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون  
 ما دل عليه من الاعادة للجزء حقيقة ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما آلهم في الآخرة فقال  
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أو للخطاب (ولو) أي والحال أنك لو (ترى) أي يوجد منك  
 رؤية لحالهم (إذا الظالمون) أي الذين يضعون الأشياء في غير محالها فيصدقون آباؤهم لا حسان  
 يسرهم كقدر من غير دليل ولا يصدقون ربهم الذي لأنعمة عندهم ولا عند آباؤهم إلا منه  
 (موقوفون) أي بعد البعث بأيدي جنوده أو غيرها بأيسر أمر منه (عند ربهم) أي في موضع  
 الهاسية (يرجع بعضهم) أي على وجه الخصام عداوة كان سيها مواددة في الدنيا بطاعة  
 بعضهم لبعض في معاصي الله تعالى (إلى بعض القول) أي بالملامة والمباينة والخاصة  
 \* (تنبيه) \* مفعول ترى وجواب لو محذوفان للفهم أي لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم  
 راجعا بعضهم إلى بعض القول لرأيت حالا فطبعة وأمرهم كرا ويرجع حال من ضمير  
 موقوفون والقول مفعول يرجع لأنه يتعدى قال تعالى فان رجعت الله وقوله تعالى (يقول  
 الذين استضعفوا) أي وقع استضعافهم عن هوقه في الدنيا وهم الاتباع في تلك الحال  
 على سبيل اللوم (للذين استكبروا) أي أوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا من أسبابه التي أدت  
 إلى استضعافهم للأوليين وهم الرؤس المتبوعون (لولا أنتم) أي لولا ضلالكم وصدكم أي بان عن  
 الإيمان (لكنا مؤمنين) أي باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا محمل له قال  
 ابن عادل وأنتم بعد لولا مبتدأ على أضغ المذاهب وهذا هو الأوضح أعنى وقوع ضمائر الرفع  
 بعد لولا أي وغيره فصيح خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا الحنا وأنه لم يرد إلا في قول زياد  
 وكم موطن لولاي والاقيس جعل الياء ضمير نصب أو جر مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله  
 ضمير \* ولما يتضمن كلامهم سوى قضية واحدة ذكر الجواب عنها بقوله تعالى (قال  
 الذين استكبروا) على طريق الاستئناف (للذين استضعفوا) ردا عليهم وانكار القول لهم أنهم  
 هم الذين صدوهم (أنحن) خاصة (صددناكم) أي منعناكم (عن الهدى بعدا ذجاكم) أي على  
 السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تفعل ذلك لأن المانع ينبغي أن يكون أرجح من المقتضى  
 حتى يعمل عمله والذي جاء به الرسل هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب  
 الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعلقكم بالمانع وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم  
 باظهار الذا ل عند الجيم والباقون بالادغام وأمال الالف بعد الجيم جزء وابن ذكوان وقتها  
 الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذنا أمر وثنا واذ وقف جزء على جاءكم سهل الهمزة مع المتد  
 والقصر وله أيضا ابد الها القامع المتد والقصر (بل كنتم) أي جبلة وخلقنا (مجرمين) أي كافرين  
 لا خياركم لا لقولنا ونسويانا (فان قيل) اذ واذ من الظروف الملازمة للظرفية فلم وقعت  
 اذنا ما لها (أجيب) بأنه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف  
 إلى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ و يومئذ \* ولما أنكر المستكبرون بقولهم  
 أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وابتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن



ذلك بكسبهم واختيارهم كرت عليهم المستضعفون كما قال تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين  
 استكبروا) رد الانكارهم صدهم (بل) أى الصادقنا (مكر الليل والنهار) أى الواقع فيهما من  
 مكرهم فأبطلوا اضرايهم باضرايهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكرهم  
 بنا ليل ونهارا (اذ تأمر وتسان فكفر بالله) أى الملك الاعظم بالاستمرار على ما كناه عليه قبل  
 اتيان الرسل (وتجعل له أندادا) أى شركاء نعبدهم من دونه (فان قيل) لم قيل قال الذين  
 استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (أجيب) بان الذين استضعفوا مراءؤلا  
 كلامهم في جواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جى بكلام آخر للمستضعفين  
 فعطف على كلامهم الاول \* (تنبيه) \* يجوز رفع مكر من ثلاثة أوجه أحدها الفاعلية تقديره  
 بل صدنا مكرهم في هذين الوقتين كما مر الثاني أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى مكر الليل صدنا  
 الثالث العكس أى سبب كفرنا مكرهم وازدادة المكر الى الليل والنهار ما على الاسناد المجازي  
 كقولهم ليل ماكر والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسع الكلام كقول الشاعر  
 \* ونمت وما ليل المطى تنائم \* فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الطرف  
 فجعل كالمفعول به فيكون مصدرا مضافا للمفعول قال ابن عادل وهذا أحسن من قول من  
 قال ان الاضافة بمعنى فى أى مكر فى الليل لان ذلك لم يثبت فى محل النزاع وقيل مكر الليل  
 والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقتت قلوبهم  
 \* (تنبيه) \* قوله تعالى أو لا يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ  
 المستقبل وقوله تعالى فى الآيتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا  
 بلفظ الماضى مع أن السؤال والمراجعة فى القول لم يقع أشار به الى أن ذلك لا بد من وقوعه  
 فان الامر الواجب الوقوع كأنه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال  
 فعلى الاصل (وأسروا) أى الفريقان (الندامة) من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون  
 فى قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واذلالهم والمستضعفون  
 على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما) أى حين (وأوالعذاب) أى حين رؤية العذاب أخفها  
 كل عن رفيقه مخافة التعيير وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد أى أظهر والندامة  
 قال ابن عادل ويحتمل أن يقال انهم لما تراجعوا فى القول رجعوا الى الله تعالى بقولهم أبصرنا  
 ومعنا فارجعنا نعمل صالحا وأجيبوا بأن الامر ذلكم فأسروا وذلك القول وقوله تعالى  
 (وجعلنا الاغلال) أى الجوامع التى تغل البى الى العنق (فى أعناق الذين كفروا) يع  
 الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل فى أعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويعا بهم وللدلالة  
 على ما استحقوا به الاغلال وهذا الاشارة الى كيفية عذابهم (هل يجوزون) أى بهذه الاغلال  
 (الاما) أى الاجزأما (كانوا يعملون) أى على سبيل التجديد والاستمرار \* ولما كان  
 فى هذا تسلية أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية النبوية بقوله تعالى (وما أرسلنا)  
 أى بظلمتنا (فى قرية) وأكسد النبي بقوله تعالى (من نذير الاقال مترفوها) ووساؤها

الذين لا شغل لهم الا التسم بالفاني حتى اكسبهم البغي والطغيان ولذلك قالوا الرسلهم (انما  
 أرسلتم به) أي أي المذرون (كافرون) أي واذ قال المتكفرون ذلك تعهم المستضعفون  
 (وقالوا) أي المترفون أيضا متناخرين (نحن أكثر أموالا واولادا) أي في هذه الدنيا  
 ولولم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك فاعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا  
 أن المؤمنين كانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بعذبين) أي ان الله  
 تعالى قد أحسن اليانا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة ثم ان الله سبحانه وتعالى  
 بين خطاهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهم (ان ربي) أي المحسن الى  
 بالانعام بالسعادة الباقية (يسطر الرزق) أي يوسع في كل وقت أراد بالاموال والاولاد  
 وغيرها (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) أي يضيقه على من يشاء ابتلاء بدليل مقابلته ببسط  
 وهذا هو الطباق البدعي فالرزق في الدنيا لا تدل سعته على رضا الله تعالى ولا ضيقه على  
 ضغطه فربما اوسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما  
 وكم من مؤسرتي وكم من معسرتي (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) أي  
 ليس لهم علم فيتدبروا به ما ذكرنا من الامر فيعلمون أنه ليس كل موسع عليه في دنياه سعيدا  
 في عقباه ولا كل مضيق عليه في دنياه شقيبا ثم بين تعالى فساد استدلالهم بقوله سبحانه وتعالى  
 (وما أموالكم) أي أيها الخلق الذي أنتم من جناتهم وان كثرت وكررت والنا في تصرحها بباطال  
 كل على حيله فقال (ولأولادكم) كذلك (بالتى) أي بالاموال والاولاد التي (تقربكم  
 عندنا) أي على ما لنا من العظمة (زنى) أي درجة عليية وقربة مكينة \* (تنبيه) • قوله  
 تعالى بالتى تقربكم بكم صفة للاموال والاولاد كما تقرب لان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة  
 المؤنثة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول دلالة الثاني عليه فالاول والتقدير وما  
 أموالكم بالتى تقربكم عندنا زنى ولأولادكم بالتى تقربكم ولا حاجة الى هذا ونقل عن الفراء  
 ما تقدم من أن التى صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الرخصى التى صفة  
 لموصوف محذوف قال ويجوز أن تكون التى هى التقوى هى المقربة عند الله تعالى زنى  
 وحدها أي ليست أموالكم ولأولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال أبو حيان  
 ولا حاجة الى هذا الموصوف انتهى وزانى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربي وقال  
 الاخفش زانى اسم مصدر كانه قال بالتى تقربكم عندنا تقريبا وأمالها جزء والكسائي محضة  
 وأبو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (الامن آمن وعمل  
 صالحا) أي تصديقا لا يمانه على ذلك الاساس استثناء من مقبول تقربكم أي الاموال  
 والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي يتفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه  
 على الصلاح أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أي الاموال وأولاد من آمن  
 وعمل صالحا (فأولئك) أي العالو الرتبة (لهم جزاء الضعف) أي أن يأخذوا جزاءهم  
 مضاعفا في نفسه من عشرة أمثاله الى ما لا نهاية له (بما عملوا) فان أعمالهم ثابتة محفوظة

بأساس الايمان ثم زاد وقال تعالى (وهم في الغرفات) أي العلى الى المبنية فوق البيوت  
 في الجنات زيادة على ذلك (آمنون) أي ثابت أمانهم دائماً لا خوف عليهم من شيء من الاشياء  
 أصلاً وأما غيرهم وهم المرادون بما بعده فأموالهم وأولادهم وبال عليهم وقرأ جزء بسكون الراء  
 ولألف بعد الفاء على التوحيد على ارادة الجنس وعدم اللبس لانه معلوم أن لكل أحد غرفة  
 تخصه وقد أجمع على التوحيد في قوله تعالى يجزون الغرفة ولأن لفظ الواحد أخف فوضع  
 موضع الجمع مع أمن اللبس والباقون بضم الراء وألف بعد الفاء على الجمع جمع سلامة وقد أجمع  
 على الجمع في قوله تعالى انبؤ أنهم من الجنة غرفاً ثم بين حال المسى وهو من يعده ماله وولده من  
 الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى (والذين يسعون) أي يجسدون السعي من غير توبة بأموالهم  
 وأولادهم (في) أبطال (آياتنا) أي جتنا على ما له من عظمة الانتساب اليها (مجزين) أي  
 طالين تعجزها أي تعجز الآتين بها عن انقاذ مرادهم بما يلقون من الشبهه فيضلون غيرهم  
 بما أوسعنا عليهم وأعززناهم به من الاموال والاولاد (أو لئلا) أي هؤلاء البعداء البغضاء  
 (في العذاب) أي المزيل للعدوية (محضرون) أي يحضرون فيه الموكولون بهم من جنودنا  
 على أهون وجه وأسمله (قل) أي يا أشرف الخلق لجميع الخلق ومنهم هؤلاء (ان ربى) أي  
 المحسن الى هذا البيان وغيره (يسيط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) متى شاء (من عباده)  
 امتحانا (ويقدر) أي يضيقة له) بعد البسط ابتلاء قال البيضاوى فهذا في شخص واحد  
 باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرر \* ولما بين بهذا البسط أن فعله بالاختيار بعد  
 ان بين بالاول كذبهم في أنه سبب السلامة من الناردل على أنه الفاعل لا غيره بقوله تعالى  
 (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي فهو يعوضه لانه عوض سواء اما جلابا للمال أو بالقناعة  
 التي هي كثر لا ينفد واما جلابا لثواب الذي كل خلفه وونه وعن سعيد بن جبير ما كان في غير  
 اسراف ولا تقصير فهو يخلفه وعن الكلبي ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في خير من نفقة فهو  
 يخلفه على المنفق اما أن يجعل له في الدنيا واما أن يدخره في الآخرة وعن مجاهد من كان  
 عنده من هذا المال ما يقيم فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة  
 الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأول وما أنفقتم من شيء فهو  
 يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه فدل ذلك على انه مختص  
 بالاخلاف لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على أي وجه كان وعن أبي هريرة أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق بفق عليك وسلم يا ابن آدم انفق أنفق عليك  
 وعن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان  
 ينزلان يقول أحدهما اللهم أعطه منة نقا خلقا ويقول الآخر اللهم أعطهما مئة كاتلنا وعنه أيضاً  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقتت أحد صدقة من مال وما زاد الله رجلاً يعفو  
 الاعزاز وما تواضع أحد لله الا رفاه الله عز وجل وعن عبد الحميد بن الحسن الهلالي قال أنبأنا  
 محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة

وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقي الرجل به عرضه كتب له بها صدقة  
 قلت ما معنى وقي به عرضه قال ما أعطى الشاعر وذو اللسان المتقى وما أنفق المؤمن من نفقة  
 فعلى الله خلقها ضامنا إلا ما كان من نفقة في بيان أو عصية الله عز وجل قوله قلت ما معنى  
 مقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر (وهو خير الرازقين) فإن قيل قوله تعالى خير الرازقين بنى عن  
 كثرة الرازقين ولا رازق إلا الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى هو خير الرازقين الذين يغذونهم  
 هذا الغذاء عن يمينهم الله تعالى فيضيفون الرزق اليهم لأن كل من يرزق غيره من سلطان  
 يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عماله فهو واسطة لا يقدر إلا على ما قدره الله وأما  
 هو سبحانه فهو يوجد المعدوم ويرزق من بطيعة ومن يعصيه ولا يضيق رزقه بأحد ولا يشغله  
 فيه أحد عن أحد وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني عن يشتهي فيجد فكم من مشته  
 لا يجد وواجد لا يشتهي وقرأ أبو عمرو وقالون والكسافي فهو يخلق بسكون الهاء والباقون  
 بالضم \* ولما بين تعالى أن حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الأنبياء وحال قومه  
 كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم وأولادهم بين ما يكون عاقبة  
 حالهم بقوله تعالى (ويوم نحشرهم) أي نجتمعهم جمعاً بكرة بعد البعث وعم التابع والمتبوع  
 بقوله تعالى (جميعاً) فلم تغادر منهم أحداً وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء والباقون  
 بالتون \* ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مهولة قال تعالى (ثم نقول للملائكة)  
 أي توبوا للكافرين واقنأطاعم ارجون منهم من الشفاعة (أهلؤا) أي الضالون وأشار  
 إلى أنه لا ينفع من العبادة إلا ما كان خالصاً بقوله تعالى (اياكم) أي خاصة (كانوا يعبدون)  
 فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وورد على المثل السائر  
 \* اياك أعنى واسمعي يا جاره \* ونحوه قوله عز وجل أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون  
 الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على  
 طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعيرهم  
 أبلغ ونجدهم أعظم ولذلك (قالوا) أي الملائكة متبرئين منهم مفتحين بالتنزيه تخضعاً بين يدي  
 البراءة خوفاً (سبحانك) أي تنزهك تنزيهاً يليق بجلالك عن أن يستحق أحد غيرك أن يعبد أنت  
 وإينا) أي معبودنا الذي لا وصاله بيننا وبين أحد إلا بأمره (من دونهم) أي ليس بيننا وبينهم  
 ولا يبل عداوة وكذا كل من تقرب إلى شخص بعصية الله تعالى فإنه يقسى الله تعالى قلبه عليه  
 ويغضه فيه فيجانبه ويعاديه \* ثم أضربوا عن ذلك ونقوا عنهم عبودهم على الحقيقة بقولهم (بل  
 كانوا يعبدون الجن) أي إبليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضا بذلك وكانوا  
 يدخلون في أجواف الأصنام ويخاطبونهم ويستجيرون بهم في الأماكن المخوفة ومن هذا تعس  
 عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القטיפقة وقيل صور الشياطين لهم صور قوم من الجن وقالوا  
 هذه صور الجن فاعبدوها ثم استأنفوا قولهم (أكثرهم) أي الأنس (بهم) أي الجن  
 (مؤمنون) أي واضعون في الأشرار لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقيل الضمير الأقل

للمشركين والاكثر بمعنى الكل وقيل منهم من يقصد بعبادته بتزيين الحق غيرهم وهم مع ذلك  
 يصدقون ما يرد عليهم من اخبارات الحق على السنة الكهانة وغيرهم مع ما يرون فيها من  
 الكذب في كثير من الاوقات \* ولما بطلت تمسكاتهم وانقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك  
 تقريرهم الناشئ عن تنديعهم بقوله تعالى بلسان العظمة (قال يوم) أي يوم مخاطبتهم بهذا  
 التبكيت وهو يوم الحشر (لا يملك) أي شيئاً من الملك (بعضكم لبعض) أي من المقربين  
 والمبعدين (نفعوا ولا ضرراً) بل تنقطع الاسباب التي كانت في دار التكليف من دار الجزاء التي  
 المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على أم الوجوه (فان قيل) قوله تعالى نفعوا مقيد  
 للحشر فما فائدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك (أجيب)  
 بأن العبادة لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انه ليس فيهم  
 ذلك الوجه الذي تحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى (وتقول) أي في ذلك الحال من غير  
 امهال (للذين ظلموا) أي بوضع العبادة في غير موضعها عند ادخالهم النار (ذوقوا عذاب  
 النار التي كنتم) أي جبلة وطبعاً (بها تكذبون) عطف على لا يملك فيمن المقصود من تهيد  
 (فان قيل) قوله ههنا التي كنتم بها صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل المكذب هنا  
 النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فاقادته (أجيب) بأنهم  
 كانوا متلبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها  
 وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لا يسوه وهنالم يلابسوه بعد  
 لانه عقب حشرهم وسؤالهم فهو أول ماراذا النار فقبل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون  
 (واذ اتلى عليهم) أي في وقت من الاوقات من أي نال كان (آياتنا) أي من القرآن حال كونها  
 (بينات) أي واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ما هذا) يعنون محمد صلى  
 الله عليه وسلم (الارجل) أي مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم وتزيدون أنتم عليه  
 بالكثرة (يريدان يصدقكم) بهذا الذي يتلوه (عما كان يعبد آباؤكم) من الاصنام أي لا قصد  
 له الا ذلك لتكونوا له اتباعا فعارضوا البرهان بالتقليد (وقالوا ما هذا) أي القرآن وقيل القول  
 بالوحدانية (الافك) أي كذب مصروف عن وجهه (مفتري) باضافته الى الله تعالى  
 كقوله تعالى في حقهم أفيك آلهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول أجمتنا لافكنا عن آلهتنا  
 (وقال الذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه العقول من جهة القرآن (للعق) أي الهدى الذي  
 لا أثبت منه باعتبار كمال الحقيقة فيه (لما جاءهم) من غير نظر ولا تأمل (ان) أي ما (هذا) أي  
 الثابت الذي لا شيء أثبت منه (الاحمر) أي خيال لا حقيقة له (مبين) أي ظاهر قال ابن عابد  
 وهذا انكار للتوحيد وكان يختص بالمشركين وأما انكار القرآن والمهجرة فكان متفقا عليه بين  
 المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم انتهى ولم يحملهم على ذلك  
 الا الحظوظ النفسانية والعلق الشهوانية قال الطويل بن عمرو والدوسي ذوالنور اقدأ كثروا  
 على في أمره صلى الله عليه وسلم حتى خشوت في أذني ما الكرفس خوفا من أن يخلص الى

شئ من كلامهم فيستغنى ثم أراد الله تعالى لي الخير فقلت واتكل أي اني والله لليب عاقل شاعر  
 ولي معرفة بغث الكلام من سمينه فالي لا أسمع منه فان كان حقا تبعته وان كان باطلا كنت  
 منه على بصيرة أو كما قال قال فتصدت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أعرض علي ما جئت به فلما  
 عرضه علي قلت بأبي وأمي ما سمعت قولاً قط هو أحسن منه ولا أمر أعدل منه فما توقفت في أن  
 أسلت ثم سألت النبي صلى الله عليه وسلم في أن يدعو له الله تعالى أن يعطيه آية يعينه بها على  
 قومه فلما أشرف علي حاضر قومه كان له نور في وجهته فخشى أن يظنوا انهم مثله فدعا الله تعالى  
 بتحويله فتحول في طرف سوطه فأعانه الله تعالى علي قومه فأسلموا \* (تبيينه) \* في تكرير الفعل  
 وهو قال والتصريح بذكر الكفرة وما في لامي الذين والحق من الاشارة الى القائلين والمقول  
 فيه وما في لمان المفاجأة الى البت بهذا القول انكار عظيم للقول وتجبيل بليغ منه \* ولما  
 بارزوا بهذا القول من غير إثارة من علم ولا خبر من سمع بين ذلك بقوله تعالى (وما) أي قالوا  
 ذلك والحال أناما (آتيناهم) أي هؤلاء العرب (من كتب) أصلاً لانهم لم ينزل عليهم قط قبل  
 القرآن كتاب وأتى بصيغة الجمع مع تأكيد النبي قبل كتابك الجامع (يدرسونها) أي يجتهدون  
 دراستها كل حين فيها دليل على صحة الاشارة (وما أرسلنا) أي ارسالاً لا شبهة فيه لمناسبته لما  
 لنا من العظمة (اليهم) أي خاصة بمعنى أن ذلك الرسول مأمور بهم بأعيانهم فهم مقصودون  
 بالذات لأنهم داخلون في عموم أو مقصودون من باب الامر بالمعروف في جميع الزمان الذي  
 (قبلك) أي قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة (من نذير) أي ليكون عندهم قول منه يدعوهم  
 الى الاشارة أو يذريهم على تركه وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه رأيهم ثم هتددهم بقوله  
 تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من قوم نوح ومن بعدهم يادروا الى ما يادرا اليه هؤلاء من  
 التكذيب لان التكذيب كان في طباعهم لما عندهم من الجلافة والكبر (وما يلقوا) أي هؤلاء  
 (معشار ما آتيناهم) أي عشر اصغراماً آتيناهم اولئك من القوة في الايدان والاموال والمكينة  
 في كل شئ من العقول وطول الاعمار وانخلو من الشواغل (فكذبوا) أي بسبب ما طبعوا  
 عليه من العناد (رسلي) اليهم (فكيف كان تكبير) أي انكارى على المكذبين رسلي بالعقوبة  
 والاهلاك أي هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكبر في كذب لان الاول للتكثير  
 أي فعلوا التكذيب كثيراً فكان سبباً لتكذيب الرسل والثاني للتكذيب أو الاول مطلق  
 والثاني مقيد ولذلك عطف عليه (قل انما أعظكم) أي أرشدكم وأنصح لكم (بواحدة) أي  
 بمصلحة واحدة هي (أن تقوموا) أي توجهوا وانفوسكم الى تعترف الحق وعبر بالقيام اشارة الى  
 الاجتهاد (لله) أي الذي لأعظم منه على وجه الاخلاص واستحضار ما له من العظمة بما له  
 لديكم من الاحسان لا لارادة المغالبة حال كونكم (مثنى) أي اثنين اثنين قال البقاعي  
 وقدمه اشارة الى أن أغلب الناس ناقص العقل (وفرادى) أي واحداً واحداً من وثق بنفسه  
 في رصانة عقله واصابة رأيه قام وحده ليكون أصنى لسرته واعون على خلوص فكره ومن خاف  
 عليها ضم اليه آخر ليدكره اذ انسى ويقومه اذ ازاع ولم يذكر غيرهما من الاقسام لان الازدحام

يشتم الخواطر ويخطئ القول \* ولما كان ما طلب منهم هذا الاجل عظيما جدرا بأن يهتم له  
 هذا الاهتمام أشار اليه بأداة التراخي بقوله تعالى (ثم تفكروا) أى فى أمر محمد صلى الله عليه  
 وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته (ما يصاحبكم) أى رسوا لكم الذى أرسل اليكم وهو محمد صلى  
 الله عليه وسلم (من جنه) أى جنون يحمله على ذلك (ان) أى ما (هو) أى المحدث عنه  
 بعينه (الانذير) أى خالص انذاره (لكم بين يدي) أى قبل حلول (عذاب شديد) أى فى الآخرة  
 ان عصفوه روى البخارى عن ابن عباس انه قال صد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا  
 ذات يوم فقال يا صباها فاجتعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرايتم لو أخبرتكم أن العدو  
 يصحبكم أو يسيبكم أما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال  
 أبو لهب تبألت لهذا جمعنا فأنزل الله تعالى تبألت يا أبا لهب وتب \* ولما اتقى عنه بهذا  
 ما تخيلوا به بقي امكان أن يكون لغرض أمر دنيوى فتمناه بقوله تعالى (قل) أى لهم يا أشرف  
 الخلق (ما) أى مهما (سألتكم من أجر) أى على دعائى لكم من الانذار والتبليغ (فهو  
 لكم) أى لا أريد منه شيئا وهو كناية عن انى لا أسألكم على دعائى لكم الى الله تعالى اجرا  
 أصلا بوجه من الوجوه فاذا ثبت أن الدعاء ليس لغرض دنيوى وان الداعي أربح الناس عقلا  
 ثبت أن الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو أمر الله تعالى الذى له الأمر  
 كله (ان) أى ما (أجرى) أى توابى (الاعلى الله) أى الذى لا أعظم منه فلا ينبغي لذى همه  
 أن يطلب شيئا الا من عنده (وهو) أى والحال انه (على كل شئ شهيد) أى حفيظ مهمين بليغ  
 العلم بأحوالى فيعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحنص أجرى  
 فى الوصل بفتح الياء والباقون بالسكون (قل) أى لمن أنكرا التوحيد والرسالة والحشر  
 (ان ربي) أى المحسن الى أنواع الاحسان (يقذف بالحق) أى يلقيه الى أنبيائه أو يرمى  
 به الباطل الى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) أى  
 ما غاب عن خلقه فى السموات والارض \* (تنبيه) \* فى رفع علام أوجه أظهرها انه خبر ثان  
 لان أو خبر مبتدأ مضمرا أو بدل من الضمير فى يقذف وقال الزمخشري رفع محمول على محل ان  
 واسمها أو على المستكن فى يقذف يعنى بقوله محمول على محل ان واسمها نعمت الا أن ذلك  
 ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل الا فى العطف بالحرف بشروط عند بعضهم ويريد  
 بالمحل على الضمير فى يقذف أنه بدل منه لانه نعمت له لان ذلك انشرد به الكسائى وقرأه - زة  
 وشعبة بكسر الفين والباقون بالضم (قل) لهؤلاء (جاء الحق) أى الاسلام وقيل القرآن  
 وقيل كل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله  
 عليه وسلم وقيل المراد من جاء الحق أى ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر وأكذبت كذبا لهم  
 فى ظنهم انهم يغلبون بقوله تعالى (وما) أى والحال أنه ما (بيد الباطل) أى الذى أنتم عليه  
 من الكفر (وما يعبد) أى ذهب فلم يتبق منه بقية مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يتبق له  
 أبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدى ولا يعبد مثلا فى الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد \* أصبح لا يدي ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل  
النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنهم ويقول جاء  
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد وقيل الباطل  
ابليس أى ما ينشئ خلقا ولا يعيده والمنشىء والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدى لاهله  
خيرا ولا يعيده أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى شئ ينشئه ابليس ويعيده  
فعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان  
من شاط اذا هلك وحينئذ يكون غير منصرف وان جعلته من شطن كان منصرفا \* ولما يبق  
بعده هذا الا أن يقولوا عندا أنت ضال ليس بك جنون ولا كذب وامكنك قد عرض لك  
ما أضلك عن المحجة قال تعالى (قل) أى لهؤلاء المعاندين على سبيل الاستعفاف بما فى قولك  
من الانصاف وتعليم الآداب (ان ضللت) أى عن الطريق على سبيل القرض (فانما  
أضل على نفسى) أى اثم اضلالى عليها (وان اهتديت فيما) أى فاهتدأتى انما هو بما  
(يوسى الى ربي) أى المحسن الى من القرآن والحكمة لا بغيره فلا يكون فيه ضلال  
لانه لاحظ للنفس فيه أصلا (فان قيل) أين التقابل بين قوله تعالى فانما أضل على نفسى  
وقوله تعالى فيما يوسى الى ربي وانما كان يقال فانما أضل على نفسى وان اهتديت فانما  
اهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقوله تعالى من اهتدى  
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها أو يقال فانما أضل نفسى (أجيب) بأنهم امتقابلان  
من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بسببها لان الامارة بالسوء ومالها مما يقعها فهداية  
ربه وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسنده  
الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به وفتح  
الياء من ربي عند الوصل نافع وأبو عمرو والباقون بالسكون وهم على مراتبهم فى المد  
ثم علل الضلال والهداية بقوله تعالى (انه) أى ربي (سميع) أى لكل ما يقال  
(قريب) أى يدرك قول كل ضال يمهتد وفعله وان أخفاه \* ولما أبطل تعالى شبههم وختم  
من صفاته بما يقتضى البطش بمن خالفه عطف على ولوترى اذا الظالمون (ولوترى) أى تبصر  
بأشرف الخلق (أذفرعوا) أى عند الموت أو البعث أو يوم يدرى جواب لو محذوف نحو  
لأيت أمر أعظما (فلا) أى فتسبب عن ذلك الفرع أنه لا (قوت) أى لهم مثلا لانهم فى قبضتنا  
ثم حقر أمرهم بالإناء للمفعول بقوله تعالى (وأخذوا) أى عند الفرع من كل من تأمره  
بأخذهم سواء أكان قبل الموت أم بعده (من مكان قريب) أى القبور أو من الموقف الى النار  
أو من صحراء بدر الى القلب وقال الكاظمي من تحت أقدامهم \* وقيل أخذوا من ظهر الارض  
الى بطنها وحينما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يقوتونه والعطف على فرعوا أو لافوت  
(وقالوا) أى عند الاخذ ومعانية الثواب والعقاب (أمنابه) أى القرآن الذى قالوا انه افك



مفترى أو محمد صلى الله عليه وسلم الذي قالوا انه ساحر (واني) أى وكيف ومن أين (لهم  
 التناوش) أى تناول الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) أى عن محله اذ هم فى الآخرة  
 ومحله فى الدنيا ولا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التى هى دار العمل وهذا تمثيل لحالهم فى طلبهم  
 أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا بحال من أراد أن يتناول شيئا  
 من علوه كما يتناوله الآخرون قدر ذراع تناولا سهلا لاتعب فيه (فان قيل) كيف قال تعالى من  
 مكان بعيد وقد قال تعالى فى كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريب وسبحى الله تعالى  
 الساعة قريبة فقال اقتربت الساعة اقرب للناس حسابهم لعل الساعة قريب (أجيب) بأن  
 الماضى كالامس الدابر وهو من أبعد ما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين  
 الحاضر سنون فانه أت فيوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيامة فى الدنيا قريب لا يمانه  
 وقرأ أبو عمر وروبو بكر وحزرة والكسائى بعد الالف بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو  
 مضمومة فعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا  
 فى الدنيا فضعوه وأما من هم زفضل معناه هذا أيضا وقيل التناوش بالهمزة من التناوش الذى  
 هو حركة فى ابطاء يقال جاء منتشا أى مبطئاً متأخرا والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم  
 فيه قال ابن عباس يسألون الرذيق قال وأنى لهم الرذالى الدنيا من مكان بعيد أى من الآخرة  
 الى الدنيا وأمال انى محضة حزة والكسائى وأبو عمرو وبين بين وورش بالفتح وبين اللقطين  
 والباقون بالفتح (وقد) أى كيف لهم ذلك والحال أنهم قد (كشروا به) أى بالذى طلب منهم  
 أن يؤمنوا به محمد صلى الله عليه وسلم أو اقترن أو البعث (من قبل) أى فى دار العمل  
 (و) الحال أنهم حال كفرهم (يتدفون) أى يرمون (بالغييب) ويتكلمون بما يظنهم فى  
 الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن وفى القرآن سحر شعور  
 كهانة وقال قتادة يعنى يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا الجنة ولا نار (من مكان بعيد) أى ما غاب  
 علمه عنهم غيبة بعيدة وهذا تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرى شيئا ولا يراه من مكان بعيد لا مجال  
 للظن فى حقوقه (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار  
 والفوز بالجنة أو من الرذالى الدنيا كما حكى عنهم ارجعناهم حمل صالحا \* وقرأ ابن عامر  
 والكسائى بضم الحاء وهو المسمى بالاشعاع والباقون بكسرها (كافعل) أى بأيسر وجه  
 (بأشياءهم) أى أشباههم من كفره الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (من قبل) أى قبل زمانهم فان  
 حالهم كان كحالهم ولم يحتل أمرنا فى أمة من الامم بل كان كلما كذبت أمة رسولاها أخذتها  
 فاذا أذقناها بأسنا أذعنوا وخضعوا فلم يقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيئا لا بالصدق عن  
 اهلا كهم ولا لادرا كهم شيئا من الخير بعد اهلا كهم ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قاب أو ألقى  
 السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول الى قصدهم بقوله تعالى مؤ كذا الانكار هم أن يكون  
 عندهم شئ من شك فى شئ من أمرهم (انهم كانوا) أى فى دار القبول (فى شك) أى فى جميع  
 ما تخبرهم به رسلا عنان من الجزاء والبعث وغير ذلك (مريب) أى موقع فى الرية فهو يلبغ

في بابيه كما يقال عجب عجب أو هو واقع في الريب كما يقال شعر شاعر أي ذوشه عرفه واسم فاعل من  
 أراب أي أتى بالريب أو دخل فيه وأرسته أي أوقعته في الريب ونسبة الاربابة الى الشك مجاز  
 قال الزمخشري الآن بينهما فرقا وهو أن المريب من المتعدى منقول عن يصح أن يكون  
 مرييا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر  
 شاعر انتهى وقول السضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة  
 سبأ لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيامة رقيقا ومصافحا حديثه موضوع

### ﴿سورة فاطر مكية﴾

وهي ست وأربعون آية ومائة وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا وهي  
 ختام السور المفتحة باسم الحمد التي فصلت فيها النعم الاربعة التي هي أمهات النعم المجموعة في  
 الفاتحة وهي الابدان الاول ثم الابقاء الاول ثم الابدان الثاني المشار اليه بسورة سبأ ثم الابقاء  
 الثاني الذي هو أنهاها وأحكامها وهو الختام المشار اليه بهذه السورة المفتحة بالابتداء  
 الدال عليه بانها القدرة وأحكامها المفصل أمره فيها في فريقي السعادة والشقاوة تفصيلا  
 شافيا على أنه استوفى في هذه السورة النعم الاربعة كما يأتي بيانه في محله (بسم الله) الذي  
 أحاطت دائرة قدرته بالممكنات (الرحمن) الذي عم الخلق بعموم الرحمة (الرحيم) الذي شرف  
 أهل الكرامة بدوام المراقبة \* ولما أثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الابدان الثاني  
 وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطاء والانععام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك  
 (الحمد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال اعداما وابدانا (الله) أي وحده \* ولما كان  
 الابدان من العدم أدل دليل على ذلك قال تعالى دال على استحقاقه للعمامد (فاطر السموات  
 والارض) أي خالقه ما ومبدعهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس أو شاقهما النزول الارواح  
 من السماء وخروج الاجساد من الارض وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت أدري ما فاطر  
 السموات والارض حتى اختصم الى أعرايينان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما أي ابتدأتهما  
 \* (تبيينه) \* ان جعلت اضافة فاطر محضة كان نعمتا وان جعلت غير محضة كان بدلا وهو قليل من  
 حيث أنه مشتق \* ولما كانت الملائكة عليهم السلام مثل الخافقين في أن كل منهم مبدع من  
 العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان لا طريق لعامة الناس الى معرفتهم الا الخبر أخبر  
 عنهم بعدما أخبر عما طريقه المشاهدة بقوله تعالى (جعل الملائكة رسلا) أي وساطين الله  
 وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون رسالته بالوحى والالهام والرؤية الصادقة أو بينه وبين  
 خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (أولى) أي أصحاب (أجنحة) يهتفونهم لما يراهم ثم وصفها بقوله  
 تعالى (مثنى) أي جناحين لكل واحد من صنف منهم (وثلاث) أي ثلاثة ثلاثة لاصنف  
 آخر منهم (ورباع) أي أربعة أربعة لاصنف آخر منهم فهم متفاوتون بتفاوت مالهم من  
 المراتب ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكاهم الله تعالى عليه فيتصرفون فيه على  
 ما أمرهم به وانما لم تصرف هذه الصفات لتكثر العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألقاط

الاعداد من صيغ الى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة (يزيد في الخلق ما يشاء)  
 أي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهم ما ينزلة  
 اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران وأعون عليه (فان قيل) قياس  
 الشفع من الاجنحة أن يكون في كل شق نصفه فمما صورة الثلاثة (أجيب) بأن الثالث لعله  
 يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أوله لغير الطيران قال الزمخشري فقد مر بي  
 في بعض الكتب ان عندها من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلقون بهما أجسادهم  
 وجناحان يطرون بهما في الامر من أمور الله تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياة  
 من الله تعالى انتهى وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند  
 سدرة المنتهى وله ستمانه جناح ينثر من رأسه الدر والياقوت وروى انه عليه السلام آل جبريل  
 أن يتراعى في صورته فقال انك ان تطيق ذلك فقال اني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في ليلة منيرة فأتاه جبريل في صورته فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان  
 الله ما كنت أرى أن شيا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل عليه السلام له  
 اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالشرق وجناح بالمغرب وأن العرش على كاهله وأنه ليتضائل  
 الاطيان لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وهو الوجه الحسن والصوت الحسن  
 والشعر الحسن وقيل هو الخط الحسن وعن قتادة الملاح في العينين والآية كما قال الزمخشري  
 مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتماد صورته وتسام في الاعضاء وقوة  
 في البطش ومتمانة في العقل وجزالة في الرأي وبراعة في القلب وسماحة في النضر وذلاقة  
 في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به  
 الوصف ثم علل تعالى ذلك كله بقوله وكذا الاجل انكارهم البعث (ان الله) أي الجامع  
 لجميع أوصاف الكمال (على كل شيء قدير) وتخصيص بعض الاشياء دون بعض انما هو  
 من جهة الارادة قال أبو جعفر بن الزبير لما أوضحت سورة سبأ انه سبحانه مالك السموات  
 والارض ومستحق الحمد في الدنيا والآخرة أوضحت هذه السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه  
 وأنه الاهل للحمد والمستحق اذا لكل خلقه وملكه وتجردت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم  
 ملكه سبحانه وتجردت هذه لتعريف بالاختراع والخلق • ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة  
 بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهد كل أحد في نفسه من السعة والضيق مع العجز عن دفع  
 شيء من ذلك أو اقتناصه وقال مستأنفاً ومعللاً مستنجباً (ما) أي مهم ما فهمي شرباً (يقفح  
 الله) أي الذي لا يكافئه شيء (للناس) لان كل ما في الوجود لا يلهم (من رحمة) أي من  
 الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التي لا تدخل تحت حصر قلت أو كثرت  
 فبرسلها (فلا عسك لها) أي الرحمة بعد دفعه كما يعلم كل أحد في نفسه من أنه اذا حصل له خير

لا يعدمه من يودانه لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر على تأثير ما فيه (وما يمسك فلا  
مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرجعة والثاني مطلق  
يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رجته سبقت غضبه \* ولما كان ربما ادعى أحد فجورا  
حال امسالك الرجعة أو النعمة انه هو الممسك قال تعالى (من بعده) أي امساكه وارساله  
(وهو) أي هو فاعل ذلك والحال انه هو وحده (العزير) أي القادر على الامسالك  
والارسال الغالب على كل شيء ولا غالب له (الحكيم) أي الذي يفعل في كل من الامسالك  
والارسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراده على قوانين الحكمة فلا يستطيع نقض  
شيء منه \* ولما بين بما يشاهده كل أحد في نفسه انه المنعم وحده أمر بذكر نعمته بالاعتراف بأنها  
منه فان الذكر يعود الى الشكر وهو قيد الموجود وصيد المعدوم المقفود قال (يا أيها  
الناس) أي الجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله تعالى وعن ابن عباس يريد يا أهمل  
مكة (اذكروا) بالقلب واللسان (نعمت الله) أي الذي لا منعم في الحقيقة سواه (عليكم)  
أي في دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما صنع لكم من المن لتشكروه ولا تكفروه  
\* (تنبيه) \* نعمت هنا مجرورة في الرسم وقف عليها ان كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء  
والباقون بالتاء واذا وقف الكسائي أمال الهاء \* ولما أمر بذكر نعمته أكد التعريف بأنها  
منه وحده على وجه بين عزته وحكمته بقوله تعالى منها المن غفل من بخال من حمد واداء على أهل  
القدر الذين يدعون أنهم يخلقون أفعالهم ومنها على نعمة الابداء الاول (هل من خالق)  
أي للنعم وغيرها (غير الله) أي فليس لغيره في ذلك مدخل يستحق أن يشرك به \* وقرأ  
حزرة والكسائي بكسر الراء نعمت الخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ من ادفيه من والباقون  
بالرفع وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه خبر المبتدأ والثاني أنه صفة لخالق على الموضع والخبر اما  
محدوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل  
قد اعتمد على أداة الاستفهام \* ولما كان جواب الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده قال  
منها على نعمة الابقاء الاول بقوله تعالى (يرزقكم) أي وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها  
منصرة في قسمين نعمة الابداء ونعمة الابقاء \* ولما كانت كثرة الرزق كما هو شاهد مع  
وحدة المنبع أدل على العظمة قال (من السماء) أي بالمطر وغيره (والارض) أي بالنبات  
وغيره \* ولما بين تعالى انه الرازق وحده قال (لا اله الا هو فاني توفىكون) أي من أين تصرفون  
عن توحيد مع اقراركم بأنه الخالق الرازق وتشركون المنحوت بمن له الملكوت \* ولما بين  
تعالى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى (وان  
يكذبوك) أي بأشرف الخلق في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك (فقد  
كذبت رسل من قبلك) في ذلك (فان قيل) فما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن  
يعقب الشرط وهذا سابق له (أجيب) بأن معناه وان يكذبوك فتأس بنكذيب الرسل من  
قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني

بالتكذيب عن التأسى (فان قيل) ما معنى التأسى في رسل (أجيب) بأن معناه فقد كذبت  
 رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذروا أهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما  
 أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة قال التشيرى وفي هذا إشارة للحكماء وأرباب  
 القلوب مع العوام والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل وأهل الحقائق  
 أبدانهم في مقاساة الأذية والعوام أقرب الى هذه الطريقة من القراء المتعنين ثم بين من  
 حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب له الثواب بقوله تعالى (والى الله) أى  
 وحده لان له الاسور كلها (ترجع الامور) أى فى الآخرة فيجازيكم واياهم على الصبر  
 والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى (يا أيها الناس) ولما  
 كانوا يتكفرون بالبعث أكد قوله تعالى (ان وعد الله) أى الذى له صفات الكمال بكل  
 ما وعد به من البعث وغيره (حق) أى ثابت لا يخاف فيه وقد وعد أنه يردكم اليه فى يوم تنتقع  
 فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب (فلا تغرنكم) أى بأنواع الخداع من اللهو  
 والزينة (الحياة الدنيا) فانه لا يلبق بذى همة عليه اتباع الدنى والرضا بالدون الزائل عن  
 العالى الدائم (ولا يغرنكم بالله) أى الذى لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال (الغرور) أى  
 الذى لا يصدق فى شئ وهو الشيطان العدو ولذلك استأنف قوله تعالى مظهر فى موضع الاضمار  
 (ان الشيطان) أى المحترق بالغضب البعيد عن الخير (لكم) أى خاصة (عدو) فهو  
 فى غاية الفراغ لاذاكم تدويب مكائده كلها اليكم وبما سبق له مع أيكم آدم عليه السلام بما  
 وصل أذاه اليكم وأيضا من عادى أبالك فقد عاداك فاجتهدوا فى الهرب منه ولا توالوه كما قال  
 تعالى (فاتخذوه) أى بغاية جهدكم (عدوا) أى فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم  
 الا ما يدل على معاداته ومناصبته فى سرركم وجهركم قال التشيرى ولا تقوى على عداوته  
 الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة ثم عال  
 عداوته بقوله (انما يدعوه حزبه) أى الذين يوسوس لهم فيعرضهم لاتباعه والاعراض عن  
 الله تعالى (ليكونوا) باتباعه كونا راسخا (من أصحاب السعير) وهذا غرضه لا غرض له  
 سواء ولكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم بأن يقرر فى قلوبهم جانب الرجاء وينسبهم جانب الخوف  
 ويريهم أن التوبة فى أيديهم ويسوف لهم بها بالنسحة فى الامل والابعاد فى الاجل للافساد  
 فى العمل والرحن انما يدعوه عباده ليكونوا من اهل النعيم كما قال تعالى والله يدعوا الى دار  
 السلام \* ثم بين تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد)  
 أى فى الدنيا بقوات ما ياملونه مع تفرقة قلوبهم وانسداد ابصارهم وسنالة همهم حتى انهم رضوا  
 أن يكون الههم حجرا وفى الآخرة بالسعير التى دعاهم الى صحبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله  
 سبحانه (والذين آمنوا وعملوا) أى تصديقا لايمانهم (الصالحات) من صلاة وزكاة وصوم  
 وغير ذلك من المأمورات (لهم مغفرة) أى ستر لنوبهم فى الدنيا ولولا ذلك لاقتضوا وفى الآخرة  
 بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا (وأجر كبير) هو الجنة والنظر الى وجهه

الكريم فالغفيرة في مقابلة الايمان فلا يؤبد مؤمن في النار والاجر الكبير في مقابلة العمل  
 الصالح ونزل كما قال ابن عباس في أبي جهل ومشركي العرب (أمن زين له سوء عمله) أي قبحه  
 الذي من شأنه أن يسوء صاحبه حالاً أو مآلاً بان غلب وهمه وهو ما على عقله (فراه) أي السيئ  
 بسبب التزيين (حسماً) أي عملاً صالحاً (فان) أي السبب في رؤية الاشياء على غير ما هي  
 عليه ان (الله) أي الذي له الامر كله (بضل من يشاء) فلا يرى شيئاً على ما هو به فيقدم على  
 الهلاك البين وهو يرام عين النجاة (ويهدى من يشاء) فلا يشك كل عليه أمر ولا يفعل الا حسناً  
 \* (تنبيه) \* من موصول مبتدأ وما بعده صلته والخبر محذوف واختلف في تقديره فقد رده  
 الكسائي تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة قوله تعالى تسليمة لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث  
 حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل آية ظاهرة ووجهة فاهرة (فلا تذهب نفسك عليهم) أي  
 المزين لهم (حسرات) أي لاجل حسراتك المترادفة لاجل اعراضهم جمع حسرة وهي شدة  
 الحزن على ما فات من الامر وقدره الزجاج وأضله الله كمن هدام وقدره غيرهما كمن لم يزين له  
 وهو أحسن لموافقته لفظاً ومعنى وتظيره أفن كان على بينة من ربه أي كمن هو أعمى أفن يعلم انما  
 أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أصحاب الاهواء  
 والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكتاب  
 فليسوا ومنهم لانهم لا يستحلون الكفار (ان الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال (عليم) أي بالغ  
 العلم (بما يصنعون) فيجازيهم عليه ثم عاد تعالى الى البيان بقوله سبحانه (والله) أي الذي له صفات  
 الكمال لا شيء غيره من طبيعة ولا غيرها (الذي أرسل الرياح) أي أوجدها من العدم فهو بوجوه ادليل  
 على الفاعل المختار لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك  
 الى الشمال وفي حركته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على  
 مسخر مدبر مؤثر مقدر وقوله تعالى (فتشير سحاباً) عطف على أرسل لان أرسل بمعنى المستقبل  
 فلذلك عطف عليه وأتى بأرسل لتحقيق وقوعه وبشيرة لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة  
 الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ولما أسند فعل  
 الارسال اليه تعالى وما يفعله يكون بقوله تعالى كن فلا يفتي في العدم لازمانا ولا جزاً من الزمان  
 فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه فكانه كان ولانه فرغ عن كل شيء فهو  
 قدر الارسال في الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة \* ولما أسند فعل الاشارة الى الريح وهي  
 تواف في زمان فقال تشير أي على هيئتها وقرأ ابن كثير وحجة والكسائي بالتوحيد والباقون  
 بالجمع وقوله تعالى (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة (الى بلاد ميث) أي لانبات بها وقرأ  
 نافع وحفص وحجزة والكسائي بتشديد الباء والباقون بالتخفيف (فأحياناً به) أي بالمطر  
 النازل منه وذكر السحاب كذكر المطر حيث أقيم مقامه أو بالسحاب فانه سبب السبب  
 أو الصائر مطراً (الارض) بالنبات والكلا (بعد موتها) أي يبسها \* (تنبيه) \*  
 العدول في سقنا وأحياناً من الغيبة في قوله تعالى والله الذي أرسل الرياح الى ما هو أدخل

في الاختصاص وهو التكلم فيهما ما فهم ما من مزيد الصنع والكاف في قوله تعالى ( كذلك )  
 في محل رفع أي مثل احياء الموات (النشور) للاموات وجه الشبه من وجوه أولها أن  
 الارض الميتة قبلت الحياة كذلك الاعضاء تقبل الحياة ثانيا كما أن الريح يجمع السحاب  
 المقطوع كذلك تجميع الاعضاء المتفرقة ثالثا كما أن نسوق الريح والسحاب الى البلاد الميتة  
 كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت (فان قيل) ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين  
 الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد (اجيب) بأنه تعالى لما ذكر كونه  
 فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله تعالى جاء على  
 الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يم-تر  
 فقال نعم فقال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آية في خلقه وقيل يحيى الله الخلق بما يرسله من  
 تحت العرش كنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق \* ولما كان الكافرون يعززون بالاصنام  
 كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم غير مواطئة  
 قلوبهم كانوا يعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين  
 آيتتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا بين تعالى ان لا عزة الا لله بقوله سبحانه (من كان)  
 أي في وقت من الاوقات (يريد العزة) أي الشرف والمنعة (فله العزة جميعا) أي في الدنيا  
 والاخرة والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى لله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه  
 لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا من عند صاحبه وما لكه وتظيره قوله من أراد التصيحة فهي عند  
 الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك أقت ما يدل عليه مقامه وقال قتادة من كان يريد العزة  
 فليتعزز بطاعة الله تعالى ومعناه الدعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله  
 بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده \* ثم عرف أن ما تطلب به  
 العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى (اليه) أي لا الى غيره (يصعد الكلم الطيب) قال  
 المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله  
 والله أكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل  
 ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله  
 الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعدين فلا يتر على جمع من الملائكة الا استغثوا  
 لقاتلن حتى يحيي بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه يصعد  
 الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله  
 الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعن الحاكم موقوفا  
 وعن الشعبي مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله  
 والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فيباه اوجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح  
 لم تقبل (والعمل الصالح يرفعه) أي يقبله فصعد الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله

تعالى اياهما أو صعود الكعبة بصفتهم والمستكن في رفعه الله تعالى وتخصيص العمل به هذا الشرف لما فيه من الكافة وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني الاخلاص سبب قبول الخبرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فجعل تقيض الصالح الشرك والرياء \* (تنبيه) \* صعود الكعب الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما أو صعود الكعبة بصفتهم والمستكن في رفعه الله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكافة أو ~~العلم~~ لم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد أو للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه قال الرازي في اللوامع العلم لا يتم الا بالعمل كما قيل العلم يهتف بالعمل فان أجاب والا ارتحل انتهى وقد قيل

لا ترض من رجل حلاوة قوله \* حتى يصدق ما يقول فعاله

فاذا وزنت مقالته بفعله \* فتوازن فاخاه ذلك جماله

وقال الحسن الكلب الطيب ذكر الله تعالى والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتقى ولا بالتخلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه الله \* ولما بين ما يحصل العزة من على الهمة بين ما يكسب المذلة ويوجب النعمة من ردى الهمة بقوله تعالى (والذين يذكرون) أى يعملون على وجه المكراى السترا المكرات (السيات) أى مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداولهم الرأى في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلاؤه كما قال تعالى واذ يكرهون الذين كفروا يثبتونك الآية وقال الكلبي معناه يعملون السيات وقال مقاتل يعني الشرك وقال مجاهد هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد) أى لا توبة دونه بما يذكرون (ومكروا وائتوا) أى البعدا من الفلاح (هو) أى وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينقذه ويعلى أمره (بيور) أى يفسد ولا يتقذاذا الامور مقدرة فلا تتغير بسبب مكرهم كما دل عليه بقوله تعالى (وان الله خلقكم من تراب) أى يتكون ابيكم آدم منه فزجه من جلاله لا يمكن لغيره تمييزه ثم أحاله عن ذلك الجوهر أصلا ورأسا واليه الاشارة بقوله تعالى (ثم) أى بعد ذلك في الزمان والرتبة خلقكم (من نطفة) أى جعلها أصلا ثانيا من ذلك الاصل الترابي أشد امتزاجا منه (ثم) بعد أن أنهى التدبير زمانا ورتبة الى النطفة التي لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والفعل بالاختيار (جعلكم أزواجا) أى بين ذكور وإناث دلالة على أظهر مما قبلها على الاختيار وعن قتادة زوج بعضكم بعضا \* (تنبيه) \* يصح أن يقال كما قال ابن عادل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم عليه السلام وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي بالآخرة الى الماء والتراب فهم من تراب صار نطفة \* ولما بين تعالى بقوله سبحانه خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله سبحانه (وما تحمل من اثنى ولا تضع) أى حمل (الا) أى مصوبا (بعلمه) أى في وقته ونوعه وشكله



وغير ذلك من شأنه محتصا بذلك كله حتى عن أمته التي هي أقرب اليه فلا يكون الا بقدرته فما شاء أمته وما شاء أخرجه كمال عمله ثم بين نفوذ ارادته بقوله تعالى (وما يعمر من معمر) أي وما يعد في عمره من منصره الى كبر وانما سماه معمر بما هو صائر اليه فمعناه وما يعمر من أحد وفي عود ضمير قوله تعالى (ولا ينقص من عمره) قولان أحدهما أنه يعود على معمر آخر لان المراد بقوله تعالى من معمر الجندس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد أن فرض كونه معمر الاستحمال أن ينقص من عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر والثاني أنه يعود على المعمر نفسه لفظا ومعنى والمعنى انه اذا ذهب من عمره حول أحصى وكتب ثم حول آخر كذلك فهذا هو النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبيرة وأبو مالك ومنه قول الشاعر

حياتك أنفاس تعدد كلما \* مضى نفس منك انتقصت به جزءا

وقال الزمخشري هذا من الكلام المتساع فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين وانكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والتقصير في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يئيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق قال وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح ان حج فلان أو غزاه عمره أربعون سنة وان حج وغزاه عمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا أفرد أحدهما فاطم تجبوا وزبه الاربعون فقد نقص عن عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصله تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر ورضي الله تعالى عنه لو أن عمر دعا الله لاخر في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يراود وينقص وقرأ هذه الآية وقد استفاض على الالسنه أطال الله تعالى بقاءه لوفسح في مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبيرة يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسف ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب في قوله تعالى (الافى كتاب) أي مكتوب فيه عمر فلان كذا وكذا وعمر فلان كذا ان عمل كذا وعمره كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس قال الزمخشري ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله تعالى أو صحيفة الانسان \* ولما كان ذلك أمر الا يحيط به العدو ولا يحصره الحدف كان في عداد ما ينكره الجهلة قال تعالى مؤكدا السهولتسه (ان ذلك) أي الامر العظيم من كتب الآجال كلها وتقديرها (على الله) أي الذي له جميع العزة (يسير) أي هين وقوله تعالى (وما يستوى البحران هذا عذب أي طيب حلوة لذيذ ملائم لطبعه (قرات) أي بالغ العذوبة (سائغ شرابه) أي شربه مري سهل انحداره لما له من اللذة والملاحة لا يطبع (وهذا ملح أجلاج) أي جمع الى الملوحة المرارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لآلم الحلق وأبيح في البطن ما هو كالنار

شرب مثلاً للمؤمن والكافر وقوله تعالى (ومن كل) أي الملح والعذب (تأكلون) أي من السمك المنوع إلى أنواع تفوت الحصر (لحاطرياً) أي شهى المطعم (وتستخرجون) أي من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) أي نساء كم من الجواهر الدر والمرجان وغيرها ما ذكر استطراداً في صفة البحرين وما فيهما من النعم وقام التمثيل والمعنى كما أنهم ما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو متصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته فلا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتركا كهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وهي بقاء أحدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر وقيل يخرج الحلية منهما كما هو ظاهر قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال البغوي لأنه قديم ~~يكون~~ في البحر الأجاج عيون عذبة تخرج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك انتهى \* (فائدة) عاب المبرد وغيره قول الشافعي رضي الله تعالى عنه كل ماء من بحر عذب أو ملح قالت طهريه جازوا وقالوا الله لن وانما يقال ملح كما قال تعالى وهذا ملح أجاج وهم مخطئون في ذلك كما قيل

وكم من عائب قولاً صحيحاً \* وأفتنه من النهيم السقيم

ولكن تأخذ الأذان منه \* على قدر التريحة والنهيم

قال النووي وأجاب أصحابنا بأجوبة أصحها أن فيه أربع لغات ملح ومالح وملح وملاح بضم الميم وتخفيف اللام قال عمر بن أبي ربيعة

ولو تفلت في البحر والبحر مالح \* لاصبح ماء البحر من ريتها عذبا

وقال آخر

وللرزق أسباب تروح وتغتدى \* وانى منها غير غاد وراتح

فتمت بثوب العدم من حله الغنى \* ومن بارد عذب زلال بمالح

وقال محمد بن حازم

تلونت الوان على كثيرة \* وخالط عذبا من اخالك مالح

وقال خالد بن يزيد بن معاوية في رمله بنت الزبير

ولو وردت ماء وكانت قبيله \* مليها شربنا ماء باردا عذبا

وقال الخطابي يقال ماء ملاح كما يقال أجاج وزعاق وزلال قال وانما نزل الشافعي من اللغة

العالية إلى التي هي أدنى للايضاح وحسباً للاشكال والالتباس لتسلاية وهم متوهم أنه أراد

بالملاح المذاب فيظن ان الطهارة به جائزة وثاني الاجوبة أن الشافعي امام في اللغة فتولده فيها حجة

وثالثها أن هذه اللفظة ليست من كلام الشافعي ولم يذكرها بل من كلام المزني وهذا ليس بشئ

وكيف ينسب الخطا إلى المزني وعنه مندوحة وقولهم لم يذكرها الشافعي غير صحيح وقد أنكره

البيهقي وقال بل سمي الشافعي البحر مالحاً في كتابين أمالي الحج والمناسك الكبير \* (فائدة) \*

أخرى وهي أن ابن عمر قال في البحر التيمم أحب الينامنه وقال بحر كم هذا نار وتحت النار

بحر حتى عدتسبعة أبحر وسبعة أنوار ولكن روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من  
لم يطهره البحر فلا طهره الله ويؤول كلام ابن عمر بأنه سيصير يوم القيامة ناراً أو بأنه مهلكة  
يهلك كما هلك النار ولما كان الأكل والاستخراج من المنافع العامة عم الخطاب ولما كان  
استقرار شيء في البحر دون غرق أمر اغريباً لئلا صار كنه صارت مدة الفقه لا يتوهم بأنه من  
أكبر الآيات دلالة على القادر المختار الأهل البصائر خص بالخطاب فقال (وترى الفلك)  
أى السفن سمى فلما كان لدورانها وسفينتها اقشروا الماء وقتها الظرف في قوله تعالى (فيه) لأنه  
أشد دلالة على ذلك (موانخ) أى جوارى مستديرة الريح شاققة للماء بجريها هذه مقبله وهذه  
مدبرة وجهها إلى ظهره هذه بريح واحدة يقال شحرت السفينة الماء ويقال للسحاب نبات  
مخز لانها تنخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخز لانها تنخر الماء كأنها  
تقشره كما تنخره ثم علق بالمخز معلا قوله تعالى (لتبتغوا) أى تطلبوا واطلبوا شديداً (من فضله)  
أى الله بالتوصل بذلك إلى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولو جعلها ساساً كنه لم يترتب عليها  
ذلك ولم يجربه ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجرب لم يشك كل لدلالة المعنى عليه (ولعلكم  
تشكرون) أى وليكون حالكم بهذه الدالة على عظيم قدرة الله تعالى ولطفه حال من يرجى  
شكره \* (تنبيه) \* حرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل  
كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا \* ولما ذكر تعالى اختلاف الذوات الدالة على بديع صنعته أتبعه  
اختلاف الأزمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تعالى (يولج) أى يدخل الله (الليل في  
النهار) فيصير الظلام ضياء \* ولما كان هذا الفعل في غاية الإعجاب وكان لكثرة تكراره قد  
صار مألوفاً فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة به عليه بإعادة الفعل بقوله تعالى (ويولج  
النهار في الليل) فيصير ما كان ضياءً ظلاماً وتارة يكون التوالج يتصغر هذا وطول هذا فدل  
كل ذلك على أنه تعالى فاعل بالاختيار \* ولما ذكر الليل والنهار ذكر ما ينشأ عنه ما بقوله تعالى  
(وسخر الشمس والقمر) ثم استأنف قوله تعالى (كل) أى منها ما (يجرى) أى في فلكه  
(الاجل) أى لاجل أجل (مسمى) مضروب له لا يقدر أن يتعداه فإذا جاء ذلك الاجل غرب  
هكذا كل يوم إلى أن يأتي الاجل الأعظم فيختل هذا النظام باذن الملك العلام وتقوم الناس  
ليوم الرحام وتكون الامور العظام \* ولما ذكر سبحانه أنه الفاعل المختار القادر على ما يريد  
بما يشاء هذه كل أحد في نفسه وفي غيره وختم بما تكرر مشاهدته في كل يوم مرتين أنتج ذلك  
قطعا قوله تعالى معظماً بإدابة البعد وميم الجمع (ذلكم) أى العالى المقدر الذى فعل هذه الافعال  
كلها (الله) الذى له سنة كل كمال ثم شبههم على أنه لا مدبر لهم سواه بخبر آخر بقوله تعالى (ربكم)  
أى الموجد لكم من العدم الربى بجميع النعم لا رب لكم سواه ثم استأنف قوله تعالى (له)  
أى وحده (الملك) أى كاه وهو مالك كل شيء (والذين تدعون) أى تعبدون (من دونه)  
أى غيره وهم الاصنام وغيرها وكل شيء دونه (ما يملكون) فى حال من الاحوال وأغرق فى النبي  
بقوله تعالى (من قطمير) وهو كاريوى عن ابن عباس لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة

عليها كناية عن أدنى الاشياء فكيف بما فوقه فليس لهم شئ من الملك والالوية من الاحتيال  
ذكر الملك اولاد ليل الاعلى حذفه ثانياً والملك ثانياً لادب الاعلى حذفه اولاً وقيل القطمير هو القمع  
وقيل ما بين القمع والنواة ففي النواة على الاول أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة الضئيل  
وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللسافة والنشير وهو ما في ظهر النواة والرقروق وهو ما بين  
القمع والنواة ثم بين ذلك بقوله تعالى (ان تدعوهن) أي المعبودات من دون دعاء عبادة  
أو استعانة (لا يستعوا دعاءكم) أي لانهم جاد (ولوسعوا) أي على سبيل القرض والتقدير  
(ما استجابوا لكم) أي لعدم قدرتهم على الانتفاع \* ولما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين  
عدم النفع منهم في الآخرة ووجود الضرر منهم في الآخرة بقوله سبحانه (ويوم القيامة)  
أي حين ينطقهم الله تعالى (يكفرون بشرككم) أي بأشراككم فيذكرونه ويتبرون منه  
بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في آية أخرى (ولا يتذكرك) أي يخبرك  
أيها السامع بالامر مخبر هو (مثل خبير) أي عالم به أي أن الخبير بالامر وحده هو الذي  
يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يمكن الطعن في شئ مما أخبر به بخلاف غيره والمعنى  
ان هذا الذي أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما أخبرت به \* ولما اختص  
تعالى بالملك ونفى عن شركائهم النفع أنجز ذلك قوله تعالى (يا أيها الناس) أي كافة (أنتم)  
أي خاصة (الفقراء) وقوله سبحانه (الى الله) اعلام بأنه لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه  
وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره (فان قيل)  
لم عرف الفقراء (أجيب) بأنه قصد بذلك أن يريدهم أنهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء  
وان كانت الخلائق كلها مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان النقر يتبع الضعف وكلما كان  
الفقر أضعف كان أحقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق  
الانسان ضعيفاً وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر ان كان المعنى أنتم بعض  
الفقراء قال القرطبي والنقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة فالاول عام فكل حادث مفتقر  
الى خالقه في اول حال وجوده لبيدته وينشئه وفي ثانياً لبيدته ويقتبه وأما فقر الصفة فهو  
التجرد وفقر العوام التجرد عن المال وفقر الخواص التجرد عن الاعلال فحقيقة الفقر التجرد  
تجرد السر عن العلوات \* ولما ذكر العبد بوصفه الحقيقي أتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم  
فقال (والله هو الغني) أي المستغنى على الاطلاق فلا يحتاج الى أحد ولا الى عبادة احد من  
خلقه وانما أمرهم بالعبادة لاشفاقه تعالى عليهم ففي هذا رد على المشركين حيث قالوا النبي  
صلى الله عليه وسلم ان الله له محتاج الى عبادتنا حتى أمرنا بها أمر بالغا وهددنا على تركها  
مبالغا (فان قيل) قد قابل الفقر بالغنى فما فائدة قوله تعالى (الحمد) أي التجود في صنعه  
بخلقه (أجيب) بأنه لما أثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعاً بغناه الا اذا كان  
الغنى من نعم اجواد او اذا جاد وانتم جده المتعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحمد ليدل به  
على أنه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه أن يحمدوه وقوله تعالى

(ان يشأيد هبكم) أي جميعا بيان لغنائه وفيه بلاغة كاملة لان قوله تعالى ان يشأيد هبكم أي ليس اذ هابكم موقوفا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج اليه فان المحتاج الى الشيء لا يقال فيه ان شاء فلان هدم داره وانما يقال لولا حاجة السكنى الى الدار لبهتم ان شاء تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله تعالى (ويأت بخلق جديد) أي ان كان يتوهم متوهم أن هذا الملك كماله وعظمته فلوا ذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر ان يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجل وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبد لا يشرك به شيئا (وما ذلك) أي الامر العظيم من الازهار والايان (على الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال خاصة (بعزير) أي بمنع ولا شاق وهو محمود عند الاعداء كما هو محمود عند الایجاد (فان قيل) استعمل تعالى العزيز تارة في القائم بنفسه فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القائم بغيره فقال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى عزيزا عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد أو بعنيين (أجيب) بأن العزيز في اللغة هو الغالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل فتوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز أي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين على الله تعالى وقوله سبحانه عزيزا عليه ما عنتم أي يحزنه ويؤذيه كالتغلب الغالب وقوله تعالى (ولا تزوروا زورا) فيه حذف الموصوف للعلم به أي ولا تحمل نفس آفة انفس أخرى (فان قيل) وكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى وليحملن أثقالهم واثقالهم أثقالهم (أجيب) بأن تلك الآية في الضالين المضلين فانهم يحملون أثقالا اضلالهم وكل ذلك أوزارهم وليس فيها شيء من أوزار غيرهم (وان تدع) أي نفس (منقلة) أي بالوزر (الى جملها) أي من الوزر أحد العمل بعبءه (لا يحمل) أي من حامل ما (منه شيء) أي لا طواعية ولا كرها بل لكل امرئ شأن يغنيه (ولو كان) ذلك الداعي أو المدعو للعمل (ذاقربي) لمن دعاه (فان قيل) ما الفرق بين معنى قوله تعالى ولا تزوروا زورا أخرى ومعنى قوله تعالى وان تدع من جملها لا يحمل منه شيء (أجيب) بأن الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ بمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لودعت الى أن تحذف بعض وزرها لم تجب ولم تغث وان كان الداعي أو المدعو بعض قرابتها من أب أو ولدا أو أخ قال ابن عباس يلقي الاب أو الام ابنة فيقول يا بني اعمل على بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبى ما على (تنبه) \* أضر الداعي أو المدعو بدلالة ان تدع عليه \* ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعهم ذلك فلم ينفعهم نزل (انما تنذر) أي انذارا يفيد الرجوع عن القبيح (الذين يخشون ربهم) أي المحسن اليهم فيوقعون هذا الفعل في الحال ويواطئون عليه في الاستقبال ولما كان أولى الناس عقلا وأعلاهم همة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى (بالغيب) وهو حال من القاعل أي يخشونه غائبين عنه أو من المفعول أي غائب عنهم \* ولما كانت الصلاة جامعة للخضوع الظاهر والباطن فكانت أشرف العبادات وكانت أقامتها بمعنى حفظ جميع

حدودها في كل حال أدل الطاعات على الاخلاص قال تعالى معبراً بالماضي لان مواقيت الصلاة مضبوطة (وأقاموا) أي دبلا على خشيتهم (الصلاة) في أوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن (ومن تركي) أي تطهر أي بفعل الطاعات وترك المعاصي (فإنما يتزكى لنفسه) اذ نفعها (والى الله) أي الذي لا اله غيره (المصير) أي المرجع كما كان منه المبدأ فيجازى كلا على فعله \* ثم لما بين تعالى الهدى والضلالة وهدى الله تعالى المؤمن ولم يهد الكافر ضربا لها مائلا بقوله تعالى (وما يستوى الاعمى) أي عن الهدى (والبصير) بالهدى أي المؤمن والكافر وقيل الجاهل والعالم وقيل هما مثلا للصم والله تعالى (ولا الظلمات) أي الكفر (ولا النور) أي الايمان أو ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل) أي الجنة (ولا الحرور) أي النار أو ولا الثواب ولا العقاب \* (تنبيه) \* قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور تكون بالنهار مع الشمس وقيل السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقوله تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمن والكافر أبلغ من الاقول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء وللجهال \* (تنبيه) \* زيادة لافي الثلاثة لتأكيدهم في الاستواء وجاء ترتيب هذه المنفقات على أحسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للمؤمن والكافر عقب بما كل منهما فيه والكافر في ظلمة والمؤمن في نور لان البصير وان كان حديد البصر لا بد له من ضوء يصرف فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصله فحسن تأخيرها ولما تقدم الاعمى في الذكر ناسب تقديم ما فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولان النور فاصله ثم ذكر ما كلي منهما فاما المؤمن الظل وللکافر الحرور وأخر الحرور لاجل الفاصله كما مر وقولنا لاجل الفاصله أولى من قول بعضهم لاجل السجيع لان القرآن يفوق عن ذلك وقد منع الجمهور أن يقال في القرآن سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى وما يستوى الاحياء مبالغة في ذلك لان المنفقات بين الحياة والموت أتم من المناقاة المتقدمة وقدم الاحياء لشرف الحياة ولم يعد لانا كيدا في قوله تعالى الاعمى والبصير وكررها في غيره لان مناقاة ما بعده أتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يصير أعمى فلما مناقاة الامن حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها مناقية أبدا لا يجتمع اثنان منها في محل فالمناقاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمة (فان قيل) الحياة والموت بمنزلة العمى والبصير فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت (أجيب) بان المناقاة بينهما ما أتم من المناقاة بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمناقاة بينهما أتم من المناقاة بين الاعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس وقد يوجد في أفراد العميان من يساوي بعض أفراد البصراء كما هي ذكته بصيرة يساوي بصيرا بل يدا فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة منتعبة ووجد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من أفراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا يوجد فيها ما يساوي هذا الواحد ثم نبه سبحانه بقوله تعالى

(ان الله) أى القادر على المفاوطة بين هذه الاشياء وعلى كل شئ بما له من الاحاطة من صفات  
الكمال (يسمع من يشاء) على ان الخشية والقسوة انما هما يده تعالى وان الانذار انما هو لمن قضى  
باتفاعة فيه عظ ويوجب (وما أنت) أى بنفسك من غير اقدار الله تعالى لك (يسمع) أى  
بوجه من الوجوه (من فى القبور) أى الحسية أو المعنوية اسماعيا ينفعهم بل الله يسمعهم  
ان شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات (ان) أى ما (أنت الانذير) أى تنبيه القلوب الميتة  
بقوارع الانذار ولست بوكيل تقهرهم على الايمان \* ثم بين تعالى أنه ليس نذير من تلقاء  
نفسه انما هو باذن الله تعالى وارساله بقوله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (أرسلناك)  
أى الى هذه الأمة (بالحق) أى الامر الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع فان من نظر  
الى كثرة ما أتت به من الدلائل علم مطابقة الواقع لما يأمر به \* (تنبيه) \* يجوز فى قوله تعالى بالحق  
أوجه أحدها أنه حال من الفاعل أى أرسلناك محقين أو من المفعول أى محققاً أو نعت لمصدر  
محذوف أى ارسلناك بالحق ويجوز أن يكون صلة لقوله تعالى (بشيراً) أى لمن أطاع  
(ونذيراً) أى لمن عصى (وان) أى وما (من أمة الاخلا) أى سلف (فيها نذير) أى نبي ينذرها  
\* (تنبيه) \* الأمة الجماعة الكثيرة قال تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون ويقال  
لكل أهل عصر أمة والمراد ههنا أهل العصر (فان قيل) \*كم من أمة فى الفترة بين عيسى  
ومحمد صلى الله عليهم ما وسلم لم يحل فيها نذير (أجيب) بان آثار النذارة اذا كانت باقية لم تحل من  
نذير الى أن تدرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله تعالى محمداً صلى الله  
عليه وسلم (فان قيل) كيف اکتفى بذكر النذير عن البشرى فى آخر الآية بعد ذكرهما (أجيب) بأنه  
لما كانت النذارة مشفوعة من البشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها للاسما وقد اشتملت  
الآية على ذكرهما أولاً لان الانذار هو المقصود والاهم من البعثة (وان يكذبوك) أى أهل مكة  
(فقد كذب الذين من قبلهم) أى ما أتتهم به رسلكم عن الله تعالى (جاءتهم) أى الامم الخالية  
(رسلكم بالبينات) أى الآيات الواضحات والدلالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها  
(وبالزبر) أى الامور المكتوبة كصحف ابراهيم عليه السلام (وبالكتاب) أى جنس الكتاب  
كالتوراة والانجيل (المنير) أى الواضح فى نفسه الموضح لطريق الخير والشركاء أنك أتيت قومك  
بعمل ذلك وان كانت طريقتك أوضح وأظهر وكأبك أنور وأبهرو وأظهر وأشهر وفى هذا تسامية  
للنبي صلى الله عليه وسلم حيث علم ان غيره كان مثله فى تكذيبه وكان محققاً لاذى القوم \* (تنبيه) \*  
لما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند الجبى \* بها اليهم اسناداً مطلقاً وان كان بعضهم فى جنسهم  
وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب \* ولما سلام الله تعالى هدى من خالفه وعصاه  
بما فعل فى تلك الامم الماضية بقوله تعالى (ثم أخذت) أى بأنواع الاخذ (الذين كفروا) أى ستروا  
تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام عليهم ودعاتهم لهم (فكيف كان  
نكير) أى انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك أى هو واقع موقعه \* (تنبيه) \* أثبت ورش  
الياء بعد الراء فى الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفاً ووصلاً \* ولما ذكر تعالى الدلائل

ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم بقوله تعالى (ألَمْ تَرَ) أي تعلم أي أيها الخطاب  
 (إن الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (أنزل من السماء ماء) كما ان السيد اذا نصح بعض  
 عبده ولم ينزجر يقول لغريمه اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر ما ذكره للاول ويكون فيه اشعار  
 بأن الاول فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فينتبه له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج  
 الى كلام اجنبي عن الاول بل يأتي بما يقاربه لتلاي سمع الاول كلام الآخر فترك التفكير فيما  
 كان وقوله تعالى (فأخرجنا) أي بما لنا من القدرة والعظمة (به) أي بالماء (ثمرات) أي متعددة  
 الانواع فيه الثمرات من الغيبة الى التسكيم وانما كان ذلك لان المنة بالاجرايح ابلغ من انزال الماء  
 وقوله تعالى (مختلفا) نعمت لثمرات وقوله تعالى (ألوانها) فاعل به ولولا ذلك لانت مختلفا ولكنه  
 لما أسند الى جمع تكسير غير عاقل جازتذ كبره ولو أنت فقيل مختلفة كما تقول اختلفت ألوانها الجاز  
 أي مختلفة الاجناس من الرمان والتفاح والعنب وغيرها مما لا يحصر والهيآت من الحرة  
 والصفرة والخضرة ونحوها فالذي قدر على المقارنة بينها وهي من ماء واحد لا يستبعد عليه ان  
 يجعل الدلائل بالكتاب وغيره نور الشخص وعي لا آخر \* ولما ذكر تعالى تنوع ما من الماء وقدمه  
 لانه الاصل في التكوين أتبعه التكوين من التراب الذي هو أيضا شيء واحد بقوله تعالى ذاكرة  
 ما هو أصلب الارض وأبعدها عن قابلية التكوين (ومن الجبال جدد) قال الجلال المحلى  
 رحمه الله تعالى جمع جدة طريق في الجبل وغيره وقال الزمخشري الجدد الخطوط والطرائق وقال  
 ابو الفضل الجدة ما تخالف من الطرائق لون ما يليها ومنه جدة الجمار للخطوة السوداء على  
 ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (بيض وجر) وصفه  
 وقوله تعالى (مختلف) صفة للجدد وقوله تعالى (ألوانها) فاعل به كما ترى نظيره ويحمل معنيين  
 أحدهما أن البياض والحرة يتفاوتان بالشدّة والضعف فرب أبيض أشد من أبيض وأجر  
 أشد من أجر فنفس البياض مختلف وكذا الحرة فلذلك جمع ألوانها فيكون من باب المشكك  
 والثاني ان الجدد كلها على لونين بياض وجر والبياض والحرة وان كانا لونين الا أنهم ما جمعا  
 باعتبار محلهم ما وقوله تعالى (وغيرا بيب سود) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه معطوف على جر  
 عطف ذي لون على ذي لون ثانيها أنه معطوف على بيب ثالثها واقتصر عليه الجلال المحلى  
 أنه معطوف على جدد أي صفور شديدة السواد قال الجلال المحلى يقال كثيرا أسود غريب  
 وقليل غريب أسود وقال البغوي أي سود غريب على التقديم والتأخير يقال أسود غريب  
 أي شديد السواد تشبيها بلون الغراب أي طرائق سود وعن عكرمة هن الجبال الطوال السود  
 وقال الزمخشري الغريب تأكيد للسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر  
 فاقع ووجهه أن يضرر المؤكد قبله فيكون الذي بعده مفسر لما أضرر كقوله النابغة الجعدي

والمؤمن العائذات الطير عسوها \* ركان مكة بين الغيل والسند

هما موضعان والمؤمن اسم الله وهو مجرور بالقسم والعائذات منصوب بالمؤمن والمراد بها  
 الحمام لما عادت بمكة والتعبات اليها حرم التعرض لها والطير منصوب بالبدل أو بعطف البيان



ووجه الاستدلال بذلك أن الطيردال على المحذوف وهو منقول مؤمن والعائذات الطيرقال  
 أبو حيان وهذا لا يصح الاعلى مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو  
 اختيار ابن مالك ورد عليه بأن هذا ليس هو التأكيدي المختلف في حذف مؤكده لأن هذا  
 من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية الزمخشري له توكيديا من حيث انه لا يقيد معنى زائدا  
 وانما يقيد بالمبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم يقيد غير الاول  
 توكيديا فقالوا وقد يبيح مجرد التوكيد نحو قوله تعالى نفخة واحدة والهين اثنين والتوكيد  
 المختلف في حذف مؤكده انما هو في باب التوكيد الصناعاتي ومذهب سيبويه جوازها وقال ابن  
 عادل والاولى فيه أن يسمى توكيديا نظريا اذا الاصل سود غرايب سود \* ولما ذكر تعالى  
 ما الاغاب فيه الماء مما استحال الى امر آخر بعيد من الماء واتبعه التراب الصرغ ختم  
 بما الاغاب فيه التراب مما استحال الى ما هو في غاية البعد من التراب فقال (ومن الناس  
 والدواب) ولما كانت الدابة في الاصل اسم المادب تعلى الارض ثم غلب اطلاقه على ما يركب  
 قال (والانعام) ليعم الكل صريحا (مختلف ألوانه) أى ألوان ذلك البعض الذى أفهمته من  
 (كذلك) أى مثل الثمار والاراضى منه ما هو ذلون ومنه ما هو ذلونين أو أكثر \* ولما قال  
 تعالى ألم تر عني ألم تعلم ان الله أنزل من السماء ماء واعد آيات الله وعلام قدرته وآثار صنعه وما  
 خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته من أنه فاعل بالاختيار  
 فهو يفعل ما يشاء قال تعالى (انما يخشى الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (من عبادة  
 العلوان) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى  
 واطماني فالتخشية بقدره معرفة الخشى والعالم يعلم الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان  
 العالم أعلى درجة من العابد لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم بين تعالى ان الكرامة  
 بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه علما ازداد منه خشية وخوفا  
 ومن كان علمه أقل كانت خشيته أقل قال رسول الله عليه الصلاة والسلام انى لا أعلمكم بالله  
 وأشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال  
 مسروق كنتى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يحب بعمله وقال رجل للشعبى  
 افتنى أيها العالم فقال له العالم من خشى الله تعالى قال السهروردي في الباب الثالث من  
 معارفه فينتفى العلم عن لا يخشى الله تعالى كما اذا قال انما يدخل الدار بغدادى فينتفى دخول  
 غير البغدادى الدار وقيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقد  
 ظهرت عليه الخشية حتى أثرت فيه (فان قيل) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا  
 الكلام أو آخر (أجيب) بأنه يختلف فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان  
 المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم فاذا عملت على العكس انقلب  
 المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان  
 \* (تنبيه) \* رسم العلماء بالواو وقوله تعالى (ان الله) أى الهيطة بالجلال والاكرام (عزير) أى

غالب على جميع أمره (غفور) أى لذنوب من أراد من عباده تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه أن يخشى • ولما بين سبحانه العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه بقوله تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على تلاوته وهى شأنهم ودينتهم وعن مطرف هى آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدى هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاءهم المؤمنون (وأقاموا الصلاة) أى أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم) من زكاة وغيرها (سرا وعلانية) قبل السر في المسنون والعلانية في المفروض • (تنبيه) • أشار تعالى بقوله سبحانه وتعالى يتلون كتاب الله الى الذكر وبقوله تعالى وأقاموا الصلاة الى العمل البدنى وبقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم الى العمل المالى وفى هاتين الآيتين الشريقتين حكمة بالغة وهى أن قوله تعالى انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله وأقاموا الصلاة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم معنى الشفقة على خلقه وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فذلك والافعلانية ولا يمنع ظنه أن يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء • ولما أحلّ تعالى هؤلاء المحل الاعلى بين حالهم بقوله تعالى (يرجون) أى فى الدنيا والآخرة (تجارة) أى بما عملوا (لن تبور) أى تكسد وتهلك بل هى باقية لانها رفعت الى من لا تضيق اليه الودائع وهى رابحة رابحة لكونه تعالى تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق (ليوفيهم أجورهم) أى جزاء أعمالهم بالثواب (ويريدهم من فضله) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى سوى الثواب مالم تر عين ولم تسمع أذن ويحتمل أن يريدهم النظر اليه تعالى كما جاء فى تفسير الزيادة وهذا هو النعمة العظمى (انه غفور شكور) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم وقيل غفور عند اعطاء الاجر شكور عند اعطاء الزيادة • (تنبيه) • فى خبران من قوله ان الذين يتلون كتاب الله وجهان أحدهما أنه الجملة من قوله تعالى يرجون تجارة أى ان التالين يرجون وان تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق بيرجون أو تبور أو يعذوف أى فعلوا ذلك ليوفيهم وعلى الوجهين الاولين يجوز أن تكون لام العاقبة والثانى ان الخبر انه غفور شكور يجوز هذا الزمخشري على حذف العائد أى غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من أنفقوا أى أنفقوا ذلك راجين • ولما بين تعالى الاصل الاول وهو وجود الله تعالى الواحد بالدلائل فى قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى (والذى أوحينا) أى بما لنا من العظمة (اليك من الكتاب) أى الجامع خيرى الدارين • (تنبيه) • من الكتاب يجوز أن تكون من للبيان كما يقال أرسل الى فلان من الثياب جملة وأن تكون للجنس وأن تكون لا ابتداء الغاية كما يقال جاءنى كتاب من الامير وعلى كل فالكتاب يمكن أن يراد به اللوح

المحفوظ يعني الذي أوحينا من اللوح المحفوظ (هو الحق) أي الكامل في الثبات ومطابقة  
 الواقع ويمكن ان يراد به القرآن وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلى يعني الارشاد والتبيين للذين  
 أوحينا اليك من القرآن ويمكن أن تكون من التبعض وهو فصل أو مبتدأ وقوله تعالى (مصدقاً  
 لما بين يديه) أي لما تقدمه من الكتب حال مؤكدة لأن الحق لا يتفك عن هذا التصديق وهذا  
 تقريراً لكونه وحياً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لمالم يكن قارئاً كاتباً وأتى ببيان ما في كتاب  
 الله لا يكون ذلك الا بوحى من الله تعالى (فان قيل) لم يجعل ما تقدمه مصداقاً للقرآن (أجيب)  
 بان القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحى وأما ما تقدم فلا يذم من معجزة تصدقه  
 \* (تنبيه) \* قوله تعالى هو الحق آ كمن قول القائل الذي أوحينا اليك حق من وجهين  
 أحدهما أن التعريف للتعبير يدل على أن الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة  
 الثاني أن الاخبار في الغالب تكون اعلاماً بثبوت أمر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قام فان  
 السامع ينبغي أن يكون عارفاً بزيد ولا يعلم قيامه فيخبره فاذا كان الخبر معلوماً فتكون الاخبار  
 للنسبة فتعرف باللام كقولنا ان زيدا العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهوراً (ان الله)  
 أي الذي له جميع صفات الكمال (بعباده الخبير) أي عالم أدق العلم وأتقنه بيواطن أحوالهم  
 (بصير) أي بظواهر أمورهم وبواطنها أي فهو يسكن الخشية والعلم في القلوب على قدر  
 ما أتوا من الكتاب في علمه فانت أحقهم بالكمال لانك أخشاهم وأتقاهم فلذلك آتيناك هذا  
 الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقدم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك  
 الامور الروحية وقوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) في معناه وجهان أحدهما اننا أوحينا اليك  
 القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال تعالى أورثناه وهو يريد نوريته فعبر  
 عنه بالماضي لتحقيقه وقال مجاهد أورثنا أعطينا لان الميراث اعطاء واقتصر على هذا الجلال  
 المحلى وقيل أورثنا أخرنا ومنه الميراث لانه تأخر عن الميت ومعناه أخرنا القرآن من الامم  
 السالفة وأعطينا كونه وأهلنا كمله \* (تنبيه) \* أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب القرآن  
 وقيل ان المراد جنس الكتاب (الذين اصطفينا) أي اخترنا (من عبادنا) قال ابن عباس  
 رضى الله عنه يريد بالعباد أمة محمد صلى الله عليه وسلم أي من الصحابة والتابعين وتابعيهم  
 ومن بعدهم الى يوم القيامة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس رضى الله عنه أن الله تعالى أورث  
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب أنزله أي لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم  
 وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله تعالى  
 وحل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله تعالى ثم قسمهم بقوله تعالى (فمن ظالم لنفسه) أي  
 في التصير بالعمل به (ومنهم مقتصد) أي يعمل به في أغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات) وهو  
 من يضم الى العمل به التعليم والارشاد الى العمل روى أسامة بن زيد في هذه الآية قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى أبو عثمان النهدي قال سمعت  
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية

فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا تاج وظالمنا مغفوره وروى أبو  
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورشنا الكتاب الآية قال  
أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم  
لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهمة ثم يدخل الجنة ثم قرأ قوله تعالى الحمد لله الذي أذهب  
عنا الحزن الآية وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل  
ثم أورشنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق  
بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم فقتل ومثلكم فجعلت  
نفسها معنار قال مجاهد والحسن فتم ظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم أصحاب  
الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس رضي الله  
عنه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرأى والظالم الكافر نعمة الله تعالى غير الجاحد لها  
لأنه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي تساوت  
سيئاته وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه  
والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم هو الموحد  
بلسانته الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي ينعج جوارحه من المخالفة بالتكليف  
والسابق هو الموحد الذي ينسبه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد  
صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وقيل الظالم التالي للقرآن غير العالم به والعامل به والمقتصد  
التالي العالم غير العامل والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم  
والسابق العالم وقال جعفر الصادق بدأ بالظالم أخبارا بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وإن الظلم  
لا يؤثر في الاضطفاء ثم نفي بالمقتصد لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لثلاثا يأمن أحد  
مكره وكلهم في الجنة وقال أبو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال  
العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قرية فاذا عصي دخل في حيازالظالمين فاذا تاب دخل  
في حلة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير  
ذلك والله أعلم \* ولما كان هذا ليس في قوة العبد في مجارى العادات ولا يوجد بالكسب  
والاجتهاد أشار الى عظمته بقوله تعالى (بإذن الله) أي يتمكن من له القدرة التامة والعظمة  
العامرة والفعل بالاختيار وجميع صفات الجمال والجلال والكمال وتسهيله وتيسيره لثلاث  
يأمن أحد مكره تعالى قال الرازي في اللوامع ثم من السابقين من يبلغ محل القرب فيستغرق  
في وحدها نيتة تعالى (ذلك) أي ايرانهم الكتاب أو السابق أو الاضطفاء (هو الفضل الكبير)  
ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوالهم بين جزاءهم ومآلهم بقوله تعالى مستأنفا جوا بل من سأل  
عن ذلك (جنات عدن) أي إقامة بلا رحيل لانه لا سبب للرحيل عنها وقوله تعالى (يدخلونها)  
أي الثلاثة أصناف خبر جنات عدن ومن دخلها لم يخرج منها لانه لا شيء يخرجها ولا هو يريد

الخروج منها وقرأ أبو عمر وبضم الباء وفتح الحاء والباقون بفتح الياء وضم الحاء \* ولما كان  
الداخل الى مكان أول ما ينظر الى ما فيه من النقائس قال تعالى (يحلون فيها) أي يلبسون على  
سبيل التزين والتجلى (من أساور) أي بعض أساور (من ذهب) فمن الأولى للتبعض والثانية  
للتبيين وقوله تعالى (ولؤلؤ) عطف على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء  
اللؤلؤ وقرأ عاصم ونافع بالنصب عطفا على محمل من أساور والباقون بالجر \* (تنبيه) \*  
أساور جمع أسورة وهي جمع سوار وذكر الأساور من بين سائر الحلى في مواضع كثيرة كتقوله  
تعالى وحلوا أساور من فضة يدل على كون المتجلى غير مبتذل في الأشغال لأن كثرة الأعمال  
باليدين فاذا حليت بالأساور علم الفراغ من الأعمال ولما كانت هذه الزينة لا تليق الاعلى  
لللباس الفاخر قال تعالى (ولباسهم فيها حرير وقالوا) أي ويقولون عند دخولهم وعبر عنه  
بالماضى تحقيقا له (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما حزن  
النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال بكرمة حزن  
السيات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العقاب وقيل  
حزن أهوال القيامة وقال الكلبى ما كان يحزنهم فى الدنيا من أمر يوم القيامة وقال  
سعيد بن جبيرة الحزن فى الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله تعالى عن أهل  
الجنة كل الأحزان ما كان منها معاش أو معادى وهذا أولى الكل قال عليه الصلاة والسلام  
ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى منشرهم وكانى بأهل لا اله الا الله ينقضون  
التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ثم قالوا (ان ربنا) أى الحسن  
البنامع اساءتنا (لغفور) أى محاء للذنوب عينا وأثر للمتقين الاولين ولغيرهما من المذنبين  
(شكور) للصف الثالث ولغيره من المطيعين \* (تنبيه) \* ذكر الله تعالى عن هذه الثلاثة ثلاثة  
أمور كلها تفيد الكرامة الأول قولهم الحمد لله فان الحامديشاب الثانى قولهم ربنا فان الله  
تعالى اذا نودى به هذا اللفظ استجاب للمنادى ما لم يكن يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور  
شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم فى الآخرة بحمدهم فى الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم  
الله ويرزقهم بسبب حمدهم فى الآخرة وقولهم (الذى أحلنا دار المقامة) أى الإقامة اشارة  
الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل منها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة  
التي فيها الجمع ومنها التفريق الى دار البقاء اما الى الجنة واما الى النار أجازنا الله تعالى ومحبينا  
منها وقولهم (من فضله) أى بلا عمل منافان حسناتنا انما كانت منامنه تعالى اذ لا واجب  
عليه متعلق بأحلتنا ومن اتم اللعله واما لابتداء الغاية وقولهم (لا يمسنافها) أى فى وقت  
من الاوقات (نصب ولا يمسنافها الغوب) حال من مفعول أحلنا الاول أو الثانى لان الجملة  
مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول أظهر والنصب التعب والمشقة والغوب  
الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال اذا اتى السبب اتى المسبب فاذا قيل لم آكل فيعلم اتقاء  
الشيء فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم أشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم أشبع ولم آكل والآية

الكرامة على ما تقر من نقي السبب ثم نقي المسبب فما فائدة أجب بأن النصب هو تعب  
البدن والغوب هو تعب النفس وقيل الغوب الوجع وحينئذ فالسؤال زائل وأجاب  
الرازي بجواب قال ابن عادل ليس بذلك فقر كته \* ولما بين تعالى ما هم فيه من النعمة في دار  
السرور التي قال فيها القائل

علماء لا تنزل الاحزان ساحتها \* لومها حرم مسته سراء

بين ما لاعدائهم من النعمة زيادة في سرورهم بما قاسوا في الدنيا من تكبرهم عليهم ونغارهم  
بقوله تعالى (والذين كفروا) أي ستر وامتدلت عليه عقولهم من شמוש الآيات وأنوار  
الدلالات (لهم نار جهنم) أي بما تجهموا أولياء الله الدعاة اليه (لا يقضى) أي يحكم  
(عليهم) أي يموت ثان (فيموتوا) أي فيسبب عن القضاء موتهم فيستريحوا كقوله تعالى  
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أي بالموت فنستريح بل العذاب دائم \* (تنبيه) \* نصب  
فيموتوا يا شماران \* ولما كانت الشدائد في الدنيا تنفرج وان طال أمدها قال تعالى  
(ولا يخفف عنهم) وأعرق في النبي بقوله تعالى (من عذابها) أي جهنم \* (تنبيه) \* في الآية  
الاولى أن العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير من اجافاسدا  
لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما أن يقنى واما أن يأنه  
البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم الثانية وصف العذاب بأنه لا يفتر  
ولا ينقطع ولا بأقوى الاسباب وهو الموت حتى يتموه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك  
ليقض علينا ربك أي بالموت الثالثة ذكر في المعذبين الاشقياء أنه لا ينقض عذابهم ولم يقل  
تعالى يزيدهم عذابا وفي المنابين قال تعالى يزيدهم من فضله وقوله تعالى (كذلك)  
اما رفوع المحل أي الامر كذلك واما منصوبه أي مثل ذلك الجزء العظيم (نجزي  
كل كفور) أي كافر بالله تعالى وبرسوله وقرأ أبو عمرو وياضه وممة وفتح الزاي ورفع كل  
والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل (وهم) أي فعل ذلك بهم والحال انهم  
(بصطر خون فيها) أي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يتدرون عليه من الجهد في  
الصياح من البكاء والتوجع يقولون (ربنا) أي أيها المحسن الينا (أخرجنا) أي من  
النار (نعمل صالحا) ثم فسروه وبينوا بقولهم (غير الذي كنا نعمل) في الدنيا (فان قيل)  
هلا كتفي بقولهم نعمل صالحا كما كتفي به في قولهم فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة  
زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه  
(أجيب) بأن فائدة زيادة التمسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم  
فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما  
قال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه  
صالحا فعمله فيقال لهم توبيخا وتقريرا (أو لم نعمركم) أي نطل أعماركم مع اعطائنا لكم  
العقول ولم نعاجلكم بالاخذ (ما) أي زمانا (يتذكر فيه من تذكر) قال عطاء وقتادة

والكافي ثاني عشرة سنة وقال الحسن أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك  
 عن علي وروى البزار أنه صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم  
 ستون سنة وروى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله  
 في العمر وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال  
 أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف  
 على أول نعمكم لأنه في معنى قد عمرناكم كقوله ألم نريك ثم قال ولبيد وقال تعالى ألم نشرح لك  
 صدرك ثم قال تعالى ووضعنا عنك وزرك إذ هما في معنى ريند الوشر حنا واختلاف في النذير  
 فقال الآكثرون هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة  
 ووكيع هو الشيب والمعنى أول نعمكم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر ما من شعرة  
 تبيض إلا قالت لا ختها استعدى فقد قرب الموت \* ولما سبب عن ذلك أن عذابهم لا ينتفك قال  
 تعالى (فذوقوا) أي ما أعددت لكم من العذاب دائماً أبداً (قال الظالمين) أي الذين وضعوا  
 أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها (من نصير) أي في وقت الحاجة حتى يرفع العذاب عنهم  
 قال البقاعي وهذا عام في كل ظالم \* ولما كان تعالى عالماً بكل ما نقي وما أثبت قال تعالى (إن  
 الله) أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً (عالم غيب السموات والأرض) لا تخفى عليه خافية  
 فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم وقوله تعالى (أنه عليهم بذات الصدور) تعليل له لأنه إذا علم  
 مضمرة الصدور قبل أن يعلمها أربابها حتى تكون غيباً محضاً كان أعلم بغيره ويعلم أنكم  
 لو مدت أعماركم لم ترجعوا عن الكفر أبداً ولو رددتم لعدمت لما نهيت عنه وأنه لا مطمع  
 في صلاحكم \* ولما كان من انشأ شيئاً كان أعلم به قال تعالى (هو) أي وحده لا شريكاً لكم  
 ولا غيرهم (الذي جعلكم) أي الناس (خلقت في الأرض) أي يخلف بعضكم بعضاً وقيل  
 جعلكم أمة واحدة خلقت من قبلها ورأت فيمن قبلها ما ينبغي أن يعتبر به وقال التشبيري  
 أهل كل عصر خليفة عن قديمهم فمن قوم هم أسلافهم جمال ومن قوم هم أراذل وأسافل  
 \* (تنبيه) \* خلقت جمع خليفة وهو الذي يقوم بعد الإنسان بما كان قائماً به والخلفاء جمع  
 خليفة قاله الأصمباني (فن كفره عليه كفره) أي وبال كفره (ولا) أي والحال أنه لا يزيد  
 الكافرين) أي المغطين للحق (كفرهم) أي الذي هم متلبسون بظانون أنه يسعدهم  
 وهم راخون فيه غير منتهقلين عنه (عند ربهم) أي المحسن إليهم (الأمم) أي غضبان  
 الكافر السابق كان محقوتاً (ولا يزيد الكافرين) أي العريقتين في صفة التغطية للحق  
 (كفرهم الإخسارا) أي للاخرة لأن العمر كراس مال من اشترى به رضا الله تعالى ربح  
 ومن اشترى به منخط الله تعالى خسر ولما بين أنه سبحانه هو الذي استخلفهم أكد بيان ذلك  
 عندهم بأمره صلى الله عليه وسلم بما يضطرهم إلى الاعتراف بقوله تعالى (قل) أي لهم  
 (أرايتم) أي أخبروني (شركاءكم) أضافهم إليهم لأنهم وإن كانوا جعلوا لهم شركاء لم ينالوا  
 شيئاً من شركته لأنهم ما انتصوه شيئاً من ملكه وإنما شاركوا العابدين في أوهامهم بالسواائب

وغيرها وفي أعمالهم فهم شركاء وهم بالحقيقة لا شركاء ثم بين المراد من عدتهم لهم شركاء بقوله  
 تعالى (الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) أي غيره وهم الاصنام الذين زعمت  
 انهم شركاء لله تعالى (أروني) أي اخبروني (ماذا) أي الذي أو أي شيء (خلقوا  
 من الارض) أي لتصبح لكم دعوى الشركة فيهم والافادعواكم ذلك فيهم كذب محض وانكم  
 تدعون انكم ابعدهم الناس منه في الامور الهينة فكيف بمثل هذا (أم لهم شرك) أي شركة  
 مع الله تعالى وان قلت (في السموات) أي أروني ماذا خلقوا لكم من السموات فالآية  
 من الاحتياط حذف أو الاستثناء عن الشركة في الارض للدلالة مثله في السماء ثانيا عليه  
 وحذف الامر بالاراءة ثانيا للدلالة مثله أو لاعليه (أم آتيناهم كتابا) ينطق على اننا اتخذنا  
 شركاء (فهم) الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على  
 المشركين قاله مقاتل فيكون التثنية من خطاب الى غيبة (على بينة) أي حجة (منه) بأن  
 لهم معي شركة ولما كان التقدير لا نبي لهم من ذلك قال تعالى منها على ذمهم أحوالهم وسفه  
 آرائهم وخسة همهم ونقصان عقولهم (بل ان) أي ما (بعد الظالمون) أي الواضعون  
 الاشياء في غير موضعها (بعضهم بعضا) أي الاتباع للمتبعين بأن شركاءهم تقربهم الى الله  
 تعالى زلتي وأنها تشفع وتضر وتنفع (الآغرورا) أي باطلا ولما بين تعالى حقارة الاصنام  
 بين عظمتها سبحانه بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له جميع صفات الجلال (يسك السموات)  
 أي على كبرها وعلوها (والارض) أي على سعتها وبعدها عن التماسك على ما تشاهدون  
 وقوله تعالى (ان تزولا) أي برجة عظيمة وزلزلة كبيرة يجوز أن يكون مفعولا من أجله  
 أي كراهة أن تزولا وقيل ان لا تزولا ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض أي  
 يمنعهما من أن تزولا ويجوز أن يكون بدل اشتمال أي يمنع زوالهما لان ثباتهما على ما هما  
 عليه على غير القياس لولا شاع قدرته وباهر عزته وعظمتته فان ادعيت عنادا أن شركاءكم  
 لا يقدر على الخلق لعله من العال فادعوهم لازالة ما خلق الله تعالى \* ولما كان في هذا  
 دليل على أنهم ما حادثان زائلتان أتبعه ما هو أبين منه بقوله تعالى معبرا بأداة الامكان  
 (ولئن) لام قسم (زالتا) أي بزلزلة شراب أو غير ذلك (ان) أي ما رأيت مسكهما من أحد  
 من بعدهم) جواب القسم الموطأه بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب  
 القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول البضاري تعال للزنجشري والجملة سدت مسد  
 الجوابين فيه تجوز فالمراد بسدتهما أنها تدل عليهما لأنها فاعلة مقامهما اذ يلزم أن  
 تكون معمولة وغير معمولة لأنها باعتبار جواب القسم لا محل لها من الاعراب وباعتبار  
 جواب الشرط لا محل ومن في من أحد من يذلة كما كيدا الاستغراق وفي من بعده لا بداء الغاية  
 والمعنى أحدهما أو من بعد الزوال (أنه كان) أي أزلا وأبدا (حليما) اذ أمسكهما وكانا جديرتين  
 بأن تهتدا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لأنه  
 لا يستعمل الامن يخاف الفت فيفتن الفرصة (غفورا) أي محاملا لذنوب من رجع اليه وأقبل



بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه \* ولما بلغ كفار مكة ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا  
 لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله) أى الذى  
 لا يقسم بغيره (جهداً بيمانهم) أى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءهم نذير) أى رسول (ليكونن أهدي  
 من احدى الامم) أى اليهود والنصارى وغيرهم أى آية واحدة منها ماراً وامن تكذيب بعضها  
 بعضها اذ قالت اليهود ايمست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (فلما  
 جاءهم نذير) أى على ما شرطوا وازيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانوا يشهدون أنه  
 خيرهم نفساً وأشرفهم نسباً وأكرمهم خالقاً (ما زادهم) أى مجيئه شيئاً مما هم عليه من  
 الاحوال (الانفورا) أى تباعدوا عن الهدى لانه كان سبباً في زيادتهم في الكفر كالابل التى  
 كانت تفر من ربهما فقلت عن الطريق فدعاها فاذا دت بسبب دعائه تفرته فصارت بحيث  
 يتعذر أو يتعسر ردها قبيحاً أنه لا عهد لهم مع ادعائهم انهم أوفى الناس ولا صدق عندهم مع  
 جزمهم بأنهم أصدق الخلق ثم علل نفورهم بقوله تعالى (استكباراً) أى طلباً لايجاد الكبر  
 لانفسهم (فى الارض) أى التى من شأنها السنول والتواضع والجلول فلم يكن نفورهم لامر محمود  
 ولا مباح ويجوز ان يكون استكباراً بدلاً من نفوراً وأن يكون حالاً أى حال كونهم مستكبرين  
 قاله الاخفش وقوله تعالى (ومكر السبي) فيه وجهان أظهرهما أنه عطف على استكباراً  
 والثانى أنه عطف على نفوراً وهذا من اضافة الموصوف الى صفة فى الاصل اذا الاصل والمكر  
 السبي والبصريون يؤولونه على حذف موصوف أى العمل السبي أى الذى من شأنه أن يسوء  
 صاحبه وغيره وهو ارادتهم لاهانة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأطفاء نور الله عز وجل وقال  
 الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ جزءة فى الوصل بهمزة  
 ساكنة أى بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم المكر واتقانه واخفائه جهدهم والباقون بهمزة  
 مكسورة واذا وقف جزءة أبدل الهمزة بياء وأدغم الياء الاولى فى الياء الثانية ووقف الباقون  
 بهمزة ساكنة (ولا) أى والحال أنه لا (يحقيق) أى يحيط احاطة لازمة خسارة (المكر السبي)  
 أى الذى هو عربى فى السوء (الابأهله) أى وان أذى غير أهله لئلا يحيط بذلك الغير  
 (فان قيل) كثيراً ما ترى الماكر يمكر ويفسده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تبدل على  
 عدم ذلك (أجيب) بأجوبة أحدها أن المكر فى الآية هو المكر الذى مكره مع النبي صلى  
 الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الاجم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثانياً  
 أنها عام وهو الاصح ويدل له قول الزهري بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا ولا  
 تعينوا ما كرا فان الله تعالى يقول وقرأ هذه الآية ولا تغفوا ولا تعينوا باغياً يقول الله تعالى انما  
 بغىكم على أنفسكم ولا تنكروا ولا تعينوا انا كنا قال الله تعالى فمن نكث فأنما ينكث على نفسه  
 ثالثاً أن الاعمال بعواقبها ومن مكر بغيره ونكث فيه المكر عاجل فى الظاهر فهو فى الحقيقة هو  
 الفائر والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشفقة المسلم فى الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله  
 تعالى (فهل ينظرون) أى ينتظرون (الاسف الاولين) أى سنة الله تعالى فيهم من تعذيبهم

تكذيبهم رسالهم والمعنى فهل ينتظرون الا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار  
ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء في اللب وذكاه في النفس عدل عن ضميرهم الى خطاب  
أعلى الخلق بقوله تعالى (فلن تجد) أى فى وقت من الاوقات (لست الله) أى طريقة الملك  
الاعظم التى شرعها وحكم بها وهى اهلاك العاصين وانجاء الطائعين (تديلا) أى من أحد يأتى  
بسنة غيرها تكون بدلا لها لانه تعالى لا مكافئ له (ولن تجد لست الله) أى الذى لأمر لآحد  
معه (تحويلا) أى من حالة الى أخف منها لانه لا مرد لقضائه \* (فائدة) \* ترسم سنت لست  
لست الثلاثة بالتاء بالجرورة كما رأيت ووقف أبو عمرو وابن كثير والكسائى بالهاء والباقون  
بالتاء واذا وقف الكسائى أمال الهاء على أصله ولما ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم فى اهلاكهم  
نبيهم بتد كبير حال الاولين بقوله تعالى (أولم يسيرا) أى فيما مضى من الزمان (فى الارض)  
أى التى ضربوا فى المتاجر بالسير اليها فى الشام واليمن والعراق (فينظروا) أى فيتسبب عن  
ذلك السير أنه يتجدد لهم نظروا عتبار يوم من الايام فإن العاقل من اذا رأى شيئا تشكر فيه حتى  
يعرف ما ينطق به لسان حاله ان خفى عليه ما جرى من مقاله وأشار بسوقه فى أسلوب الاستفهام  
الى أنه لعظمه خرج عن أمثاله فاستحق السؤال عن حاله (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين  
من قبلهم) أى على أى حالة كان آخر أمرهم ليعلموا أنهم ما أخذوا الا بتكذيب الرسل عليهم  
السلام فيخافوا أن يفعلوا مثل افعالهم فيكون حالهم كحالهم فانهم كانوا يعززون على ديارهم ويرون  
آثارهم وأملهم كان فوق أملهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا أطول منهم أعمارا وأشد اقتدارا  
ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم يا أهل مكة كفرتم بجدد ومن قبله عليهم  
السلام (وكانوا) أى أهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال أنهم كانوا (أشد منهم) أى من هؤلاء  
(قوة وما كان الله) أى الذى له جميع العظمة وأكدا استغراق فى النقي بقوله تعالى (ليحجزه)  
أى مريدا ان يحجزه ولما اتفت ارادة العجز فيه اتقى العجز بطريق الاولى وأبلغ فى التأكيد  
بقوله تعالى (من شئ) أى قل أو جل وعتم بما يصل اليه ادرا كما بقوله تعالى (فى السموات) أى  
جهة العلو وأكده بقوله عز وجل (ولا فى الارض) أى جهة السفلى (انه كان) أى أزلا وأبدا  
(علما) أى بالاشياء كلها حقيرها وجميلها (قديرا) أى كامل القدرة أى فلا يريد شيئا  
الا كان ولما كانوا يستعجلون بالتوعد استهزاء كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك  
فامطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب أليم على ان التقدير ولو عاملكم الله تعالى معاملة  
المواخذ ليجل اهلاككم عطف عليه قوله تعالى اظهار الحكم مع العلم (ولو يؤاخذ الله)  
أى بما لمن صفات العلو (الناس) أى المكلفين (بما كسبوا) أى من المعاصى (ما ترك  
على ظهرها) أى الارض (من دابة) أى نعمة تدب عليها كما كان فى زمن نوح عليه السلام  
أهلك الله تعالى ما على ظهر الارض الا من كان فى السفينة مع نوح (فان قيل) اذا كان الله  
تعالى يؤاخذ الناس بما كسبوا وغابال الدواب (أجيب) بأن المطرانعام من الله فى حق  
العباد واذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت

جميع الحيوانات وبأن خلقة الحيوانات نعمة والمعاصي تزيل النعم وتحل النقم والدواب أقرب النعم لأن المفرد أو لاثم المركب والمركب إما أن يكون معدنا وإما أن يكون ناميا والنامي إما أن يكون حيوانا أو نباتا والحيوان إما إنسان أو غير إنسان فالدواب أعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للإنسان (فإن قيل) كيف يقال للماعلة الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر متقابل للوجه فهو كالتضاد (أجيب) بأن الأرض كالداية الحاملة للثقل والحمل يكون على الظهر وأما وجه الأرض فلأن الظاهر من باب والبطن والباطن من باب فوجه الأرض ظهر لانه هو الظاهر وغيره من باطن وبطن (ولكن) لم يعاملهم معاملة المواخذ المناقش بل يحلم عنهم فهو (يؤخرهم) أي في الحياة الدنيا ثم في البرزخ (إلى أجل مسمى) أي سماه في الأزل لا تقضاء أعمارهم ثم يبعثهم من قبورهم وهو تعالى لا يتدل القول لديه لماله من صفات الكمال (فاذا جاء أجلهم) أي القضاء الأعداى قبض كل واحد منهم عند أجله أو الأيجاد الأبقاى بعث كل منهم فجازاه بعمله (فإن الله) أي الذى له الصفات العليا (كان) ولم يزل (بعباده) الذين أوجدهم ولا شريك له في إيجاد واحد منهم بجميع ذواتهم وأحوالهم (بصيرا) أي بالغ البصر والعلم بمن يستحق العذاب ومن يستحق الثواب قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته وما رواه البيضاوى تبع للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة ان ادخل من أى الأبواب شئت حديث موضوع

### ❖ (سورة يس مكية) ❖

وهي ثلاث وعشرون آية وسبع مائة وتسعة وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف وتسمى أيضا التلب والدافعة والقاضية والمعجمة تم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والبيضاوى ذكر هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا القاضى ذكر بالمأرأة ولكن المثبت مقدم على النافى (بسم الله) أي الذى جل ملكه عن أن يحاط بمقداره (الرحمن) الذى جعل الأذى يوم الجمع رحمة عامة (الرحيم) الذى أنار قلوب أوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه وقوله تعالى (يس) كالم فى المعنى والأعراب وقال ابن عباس يس قسم وروى عن شعبة أن معنما يا إنسان بلغة طي على أن أصله يا أييسين فاقصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله فى عين الله وقال أكثر المنسرين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال أبو العالمة يارجل وقال أبو بكر الوراق يا سيد البشر قال ابن عادل فى ذكر هذه الحروف أوائل السور أمور تدل على أنها غير خالية من الحكمة لكن علم الإنسان لا يصل إليها والذى يدل على أنها فيها حكمة هو أن الله عز وجل ذكر من الحروف نصفها وهى أربعة عشر حرفا نصف ثمانية وعشرين حرفا هى جميع الحروف التى فى لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة ثم إن الله تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال والتسعة الأخيرة من الفاء إلى الياء وعشرة فى الوسط من الراء إلى الغين وذكر من القسم الأول حرفين

الالف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك  
 من القسم الاول من حروف الحلق والصدور الا واحد لم يذكره وهو الحاء ولم يذكر من القسم  
 الاخير من حروف الشفة الا واحد لم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا  
 فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء  
 وذكر العين وترك الغين وليس لها امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو الحكمة لكنها غير  
 معلومة وهب ان واحد يدعي فيه شيئا فاذ يقول في كون بعض السور مفتحة بحرف كسورة  
 ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة أحرف كالم  
 وطس والر وبعضها بأربعة أحرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورة  
 حم عسق وكهيعص وهب أن قائلا يقول ان هذه اشارة بأن الكلام اما حرف واما فعل واما  
 اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو والعطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف  
 التشبيه وباء الاصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض وأول للتخيير وأم للاستفهام المتوسط  
 وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جاءت ثلاثة أحرف كالى وعلى فى الحرف والى وعلى  
 فى الاسم والياء لوالواو وعلا يعلو فى الفعل والاسم والفعل جاء على أربعة أحرف والاسم  
 خاصة جاء على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة كيجل ومسجد ويرد حل فاجاء فى القرآن اشارة الى  
 أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فاذ يقول هذا القائل فى تخصيص  
 بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن أعلمه الله  
 تعالى به واذ اعلم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارية وكل واحد منها قسمان  
 قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم أمما القلبية مع انها أبعد عن الشك والجهل فنها ما لم يعلم  
 دليله عقلا وانما واجب الايمان به والاعتقاد سماعا كالصراط الذى هو أدق من الشعر وأحد  
 من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذى توزن به الاعمال التى لا ثقل لها  
 فى نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلى وانما المعلوم  
 بالعقل امكانها ووقوعها معلوم متطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله  
 تعالى وصدق الرسل وكذلك فى العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كقنادر النصب وعدد  
 الركعات والحكمة فى ذلك ان العبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة فلا  
 يكون الايمان الا لمحض الفائدة بخلاف ما لم تعلم الفائدة فربما أتى الفائدة وان لم يؤمر كما لو قال  
 السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلم بما فى الثقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها  
 كنزها ولو انقلها وان لم يؤمر واذ اعلم هذا فكذلك فى العبادات اللسانية الذكورية يجب أن  
 يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الاتقياد لامر المعبود الالهى فاذا  
 قال حم طس يس علم انه لا يدرك ذلك المعنى يفهمه بل يلفظ به امتثالاً لما أمر به انتهى كلام ابن  
 عادل بحروفه وهو كلام دقيق وقرأ يس بامالة الياء شعبة وحزرة والكسائي والباقون بالفتح  
 وأظهر النون من يس عند واو (والقرآن) قانون وابن كثير وأبو عمرو ووحنص وحزرة

وأدغم الباقون وهي واو القسم أو العطف ان جعل يس مقسما به ثم وصف القرآن بقوله تعالى  
 (الحكيم) أي المحكم بعظيم النظم وبيد المعاني وقوله تعالى (انك لمن المرسلين) أي  
 الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورية وما  
 تخلقوا به من أوامره ونواهيه كالملائكة الذين تقدم ذكرهم في السورة الماضية انهم رسله  
 جواب القسم وهو رد على الكفار حيث قالوا استمرسلا (فان قيل) المطلب يثبت  
 بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام (أجيب) بأوجه أولها أن العرب كانوا يتقون الايمان  
 الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الناجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه وسلم  
 ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 يصيبه من آلهتهم وهي الكواكب عذاب والنبي صلى الله عليه وسلم يحلث بأمر الله وانزال  
 كلامه عليه بأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم أرفع شأنا وأمنع مكانا فكان  
 ذلك بوجوب اعتقاد أنه ليس بكاذب ثانيا أن المناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما  
 الآخر بتشبه دليله وأسكته يقول المغلوب انك قترت هذا بقوة جدالك وأنت خير في نفسك  
 بضعف مقالتك وتعلم أن الامر ليس كما تقول وان أقت عليه الدليل صورة وبجزت أنا عن القدح  
 فيه وهذا كثير الوقوع بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لان الساكت  
 المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الاقول فلا يجد أمر اليمين فكذلك النبي صلى الله  
 عليه وسلم أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الرجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد أباؤكم  
 وقالوا ما هذا الا فلك مستترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الاصحح مبین فالتسك  
 بالايمان لعدم فائدة الدليل ثالثها ان هذا ليس بمجرد الخلف بل دليل خرج في صورة اليمين لان  
 القرآن معجزة ودليل كونه مرسلها هو المعجزة والقرآن كذلك (فان قيل) لم يذكر في صورة  
 الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين (أجيب) بأن الدليل اذا ذكر في صورة  
 اليمين واليمين لا يقع ولا سيما من العظيم الاعلى أمر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على  
 الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل عليه السامع لكونه دليلا شافيا يسر به الفوائد فيقع في السمع  
 وفي القلب وقوله تعالى (على سراط) أي طريق واسع واضح (مستقيم) أي هو التوحيد  
 والاستقامة في الامر يجوز أن يكون متعلقا بالمرسلين تقول أرسلت عليه كذا قال تعالى  
 وأرسل عليهم طيرا أبابيل وأن يكون متعلقا بحدود فاعلى أنه حال من الضمير المستكن في لمن  
 المرسلين لوقوعه خيرا وأن يكون حالا من المرسلين وأن يكون خيرا ثانيا لانك وقرأ قبل سراط  
 بالسين عوضا عن الصاد وخلف بالاشتمام وهو بين الصاد والزاي والياقون بالصاد الخالصة  
 \* ولما كان كانه قيل ما هذا الذي أرسل به كان كانه قيل جوابا هو القرآن الذي وقع الاقسام به  
 وهو (تنزيل) أو حال كونه تنزيل (العزير) أي المتصف بجميع صفات الجلال  
 (الرحيم) أي الحاوي لجميع صفات الاكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده بعد الانعام  
 بايجادهم فهو الواحد المنفرد في ملكه وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي تنزيل بالنصب

على الحال كما مر أو باضمار أعني والباقون بالرفع على انه خبر مبتدأ مضمركمتر \* ولما ذكر تعالى المرسل وهو الله تعالى والمرسل وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل به وهو القرآن ذكر المرسل لهم بقوله تعالى (لتذرقوما) أي ذوى باس وقوة وذكاه وفطنة (مأندرج) أي لم تذروا أصلاً (أباؤهم) أي لم يذروا في زمن الفترة (فهم) أي بسبب زمان الفترة (غافلون) أي عن الايمان والرشد وقوله تعالى (لتدحق القول على أكثرهم) فيه وجه أشهرها أن المراد بالقول هو قوله تعالى لقد حق القول مني لاملأن جهنم منكم وعن تبعك منهم أجبين ثانياً أن معناه لقد سبق في علمه تعالى أن هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول أي وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره كما قال تعالى ما يبدل القول لدى ثالثها المراد لقد حق القول الذي قاله الله تعالى على لسان الرسل من التوحيد وغيره (فهم) أي بسبب ذلك (لا يؤمنون) أي بما يلحق اليهم من الانذار بل يزيدهم عى استكباراً في الارض ومكراً السيئ \* ونزل في أبي جهل وصاحبه (اناجعلنا في أعناقهم أغلالاً) أي بأن تضم اليها الايدي لان الغل يجمع اليد الى العنق وذلك ان أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً صلى الله عليه وسلم يصلى ليرخن رأسه فأناه وهو يصلى ودعه حجر ليدمغه به فلما رفعه أثبت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده الى عنقه فلما رجع الى أصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأناه وهو يصلى ليرميه بالحجر فأعنى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت كلاماً وحال بيني وبينه كههيئة الفعل يخطر بذهنه لودنوت منه لا كافي فأنزل الله تعالى هذه الآية ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال تعالى لقد حق القول على أكثرهم وتقدم أن المراد به البرهان وقال بعد ذلك بل عاينوا وأبصروا وما يقرب من الضرورة حيث الترتت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم يؤمن علم أنه لا يؤمن أصلاً وقال أهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن هنالك غل اراد منعناهم عن الايمان بوانع بفعل الاغلال مثلاً لذلك فهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أيديهم وقال القراء معناه حبسناهم عن الانشاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه ولا تمسكها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدم أن قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه انهم لا يصلون لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة فكانه قال لا يصلون ولا يركون واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فهى الى الاذقان) على وجهين أشهرهما انه عائد على الاغلال لانها هى المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالنساء أن الغل اغلظته وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس العنق جميعه قال الزمخشري والمعنى اناجعلنا في أعناقهم أغلالاً ثقلاً بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من أن يطأطأ رأسه ثانياً ما أن الضمير يعود الى الايدي واليه ذهب الطبرى وعليه جرى الجلال المحلى لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين ودل على الايدي وان لم تذكر

الملازمة المفهومة من هذه الآلة أعنى الغلّ وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون  
 الهاء والباقون بكسرهما والاذقان جمع ذقن وهو جمع اللعين (نهم مقمحون) أى  
 رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون لفتة الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه  
 ولا يطأطون رؤسهم له والاقحاح رفع الرأس الى فوق كالاتعاق وهو من فتح البعير رأسه اذا  
 رفعها بعد الشرب اما البرودة الماء واما الكراهة طعمه \* ولما كان الرافع رأسه غير ممنوع من  
 النظر أمامه قال تعالى (وجعلنا) أى بعظمتنا (من بين أيديهم) أى الوجه الذى يمكنهم علمه  
 (سدا) فلا يسلكون طريق الاهتداء \* ولما كان الانسان اذا انستت عليه جهة مال الى أخرى  
 قال تعالى (ومن خلقهم) أى الوجه الذى هو خلقى عنهم (سدا) فلا يرجعون الى الهداية فصارت  
 كل جهة يلتفتون اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك  
 قال تعالى (فأغشيناهم) أى جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة (فهم) أى بسبب  
 ذلك (لا يصرون) أى لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار الحق وما يتفعم بصرف ظاهر ولا  
 بصيرة باطنة وأيضا الانسان مبدؤه من الله تعالى ومصيره اليه فعصى الكافرين بان لا يصروا  
 ما بين أيديهم من المصير الى الله تعالى وما خالفهم من الدخول فى الوجود بخلق الله تعالى كن  
 أحاط بهم سد فغطى أبصارهم بحيث لا يصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة  
 الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وأيضا فات السالك اذا لم يكن له يد من سلكه  
 طريق فان انست الطريق الذى قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا انست الطريق من  
 خلفه ومن قدامه والموضع الذى هو فيه لا يكون موضع إقامة هلاك (فان قيل) ذكر السد من  
 بين الايدي ومن الخلف ولم يذكره من اليمين والشمال فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأنهم اذا  
 قصدوا السلك الى جانب اليمين أو جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ ومولين عن شئ  
 فصاروا اليه توجههم ما بين أيديهم فيجعل الله تعالى السد هناك فيمنعه من السلك فكيفما  
 توجه الكافر يجعل الله تعالى بين يديه سدا وقرأ حزة والكسائي وحفص سدا يفتح السين  
 فى الموضعين وهو لغة فيه والباقون بالضم \* ولما منعوا بذلك حس البصر أخبر عن حس السمع  
 بقوله تعالى (وسواء عليهم) أى مستو ومعتدل غاية الاعتدال (أأنذرتهم) أى بما أخبرناك  
 به من الزواجر المانعة للكفر (أم لم تذرهم لايؤمنون) لانهم ممن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون  
 وقد سبق أيضا فى البقرة تفسيره والكلام على الهمزتين ثم بين الله تعالى الاقل الناجى لانه  
 المقصود بالذات بقوله تعالى (انما تنذر) أى انذارا ينفع المنذرفتمأثر عنه النجاة (من  
 اتبع الذكر) أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن) أى خاف عقابه (بالغيب) أى  
 قبل موته ومعاشة أهواله أو فى سريره ولا يعتبر برحمة فانه تعالى كما هو رحيم منتقم جبار  
 (فبشره) أى بسبب خشيته بالغيب (بمغفرة) أى لذنوبه وان عظمت وتكررت \* ولما حصل  
 العلم بمحو الذنوب عينها وأثرها قال تعالى (وأجر كريم) أى هو الجنة فانها دار لا كدر فيها  
 بوجه والمقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم متعنا ومحيينا بالنظر الى وجهك الكريم

ولما ذكر تعالى خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى بقوله تعالى (انا نحن) أى  
بنا نحن العظيمة التي لا تضاهى (فحي الموتى) أى كلهم حسابا بالبعث ومعنى بالانتاذا اذا اردنا  
من ظلمة الجهل (ونكتب) أى جله عند نفع الروح وشيا فشيئا بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا فى  
ذلك الاجمال (ما قدموا) أى وأنروا من جميع أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم من صالح وغيره  
فاكتفى بأحدهما للدلالة الآخر عليه كقوله تعالى سراييل تقيكم الجزأى والبرد وقيل المعنى  
ما أسلفوا من الاعمال الصالحة كانت أو فاسدة كقوله تعالى بما قدمت أيديهم أى بما قدموا  
فى الوجود وأوجدوه وقيل نكتب نيأتهم فانها قبل الاعمال وقوله تعالى (واتارهم) فيه وجوه  
أحدها وهو مبنى على التفسير الاخير وهو كتب النيات المراد بالآثار الاعمال ثانياها ما سئوا  
من سنة حسنة وسئئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسئئة كالظلمات  
المستورة التي وضعتها الظلمة والكتب المضلة قال صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة  
حسنة فعمل به من بعده كان له أجرها ومن عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم  
شيئا ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل به من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من  
غير أن ينقص من أوزارهم شيئا ثانياها خطاهم الى المساجد لما روى أبو سعيد الخدرى قال  
شكت بنو سامة بعد منازلهم عن المسجد فأنزل الله تعالى ونكتب ما قدموا واتارهم فقال  
صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ومشيمكم ويثيبكم عليها وقال صلى الله عليه وسلم  
أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم مشيا والذى ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الامام أعظم  
أجرا من الذى يصلى ثم ينام (فان قيل) الكتابة قبل الاحياء فكيف أخرج فى الذكر حيث قال تعالى  
فحي الموتى ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا وتحييمهم (أجيب) بأن الكتابة معظمة لامر الاحياء  
لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة فى نفسها ان لم يكن هنالك احياء ولا اعادة لا يبقى  
لها أثر أصلا والاحياء هو المعتمد والكتابة مؤكدة معظمة لامر فلها تقدم الاحياء لانه تعالى  
قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبوت والاحياء العظيم يختص بالله تعالى والكتابة دونه  
تقرير التعريف الامر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم ولما كان ذلك الامر ربعا  
أوهم الاقتصار على ما ذكر من أحوال الآدميين دفع ذلك بقوله تعالى (وكل شئ) من أمور  
الدنيا والآخرة (أحصيناه) أى قبل ايجاده بعلمنا القديم احصاء وحفظا وكتبا (فى امام)  
وهو اللوح المحفوظ (سبين) أى لا يخفى فيه شئ من جميع الاحوال والاقوال فهو تعميم بعد  
تخصيص لانه تعالى يكتب ما قدموا واتارهم وايست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ محصى  
فى امام مبين وهذا يفيد أن شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله تعالى ولا يقوته  
كقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر يعنى ليس ما فى الزبر منحصر فيما  
فعلوه بل كل شئ مكتوب لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال تعالى نكتب ما قدموا بين  
ان قبل ذلك كتابة أخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب  
عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكده فى قوله تعالى ونكتب لان من يكتب شيئا فى أوراق



ويرميها قد لا يجدها فكان انه لم يكتب فقال تعالى نكتب ونحفظ ذلك في امام مبين وهو قوله  
 تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقوله سبحانه وتعالى (واضرب) بمعنى واجعل  
 لهم) وقوله تعالى (مثلا) معقول أول وقوله تعالى (أصحاب) مفعول ثان والاصل واضرب  
 لهم مثلا مثل أصحاب (القريبة) فترك المثل وأقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله تعالى  
 واسأل القرية قال الزمخشري وقيل لاحاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم  
 مثلا أو مثل أصحاب القرية بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكية وقوله تعالى (اذ جاءها)  
 الخ يدل اشتمال من أصحاب القرية أى اذ جاء أهلها (المرسلون) أى رسل عيسى عليه السلام  
 وضافه الى نفسه في قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله عليه السلام واذ  
 أرسلنا الخ يدل من اذ الاولى وفي هذا الطيفة وهي أن في القصة أن الرسل كانوا مبعوثين من  
 جهة عيسى عليه السلام أرسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام هو  
 ارسالنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا تفهم يا محمد أن أولئك كانوا رسل الرسول  
 وانما هم رسل الله تعالى فتكذيبهم كتكذيبك فتمت التسليم بقوله تعالى اذ أرسلنا ويؤيد هذا  
 مسألة فقهية وهي ان كل وكيل للوكيل باذن الموكل عند الاطلاق وكيل الموكل لا وكيل  
 الوكيل حتى لا يعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزل الموكل الاول \* (تنبيه) \* في بعث  
 الاثنين حكمة بالغة وهي أنهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله تعالى فكان  
 عليهما انهاء الامر اليه والايان بما أمر الله تعالى والله سبحانه عالم بكل شئ لا يحتاج الى شاهد  
 يشهد عنده وأما عيسى عليه السلام فبشر فأمر الله تعالى بارسال اثنين ليكون قوله هما على  
 قوه هما عند عيسى عليه السلام حجة تامة وقرأ أبو عمرو ويكسر الهاء والميم في الوصل وحجزة  
 والكسائي بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف فحجزة بضم الهاء والباقون  
 بكسرها والجميع في الوقف بسكون الميم (فكذبوهما) أى مع ما لهما من الآيات لان من  
 المعلوم انما أرسلنا رسولا الا كان معه من الآيات ما منله آمن عليه البشر سواء أكان عنان  
 غير واسطة أو كان بواسطة رسوانا كما كان للطفيل بن عمرو الدوسي ذى النورين لما ذهب  
 الى قومه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون له آية فكانت نورا في جبهته ثم سأل أن تكون  
 في غير وجهه فكانت في سوطه \* وما كان المتظافر على الشئ أقوى لشأنه وأعون على ما يراد  
 منه تسبب عن ذلك قوله تعالى (فعززنا) أى قويننا (بنالت) يقال عزز المطر الارض أى قواها  
 ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل أرض صلبة وتعزز لحم الناقة أى صاب وقوى  
 والمنعول محذوف أى فقوينناهما بنالت أو فغليناها ما بنالت لان المقصود من البعثة نصرة  
 الحق لانصرتهمما والكل كانوا مقوين للسدين بالبرهان قال وهب اسم المرسلين يحيى ويونس  
 واسم الثالث شمعون وقال كعب الرسولان صادق ومصدق والثالث سلوم وقرأ أشعبة بتخفيف  
 الزاى الاولى والباقون بتشديدها والزاى الثانية ساكنة بلا خلاف (فقالوا انا اليكم مرسلون)  
 وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة

رأيا حبيبا التجار يري غمما فسلم عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم  
 من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أسعكآ آية فالانعم نشق في المريض ونبرئ الاكثه  
 والابرس باذن الله تعالى فقال ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالافانطلق بنا ننظر حاله فأقني بهما  
 الى منزله فمسخاه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيفا ففشا الخبر في المدينة وآمن حبيب التجار  
 وشق الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيمس وكان من ملوك الروم  
 فانهى الخبر اليه فدعاهما فقتال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جثتما  
 قالاندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال أولينا الله دون آلهتنا  
 قالانعم من وجدك وآلهتك فقال قوم احيى أنظر في أمركما وأمر بحبسهما ووجد كل واحد منهما  
 مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الخواريين شمعون الصفار على أثرهما  
 لينصرهما فدخل البلد متمكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصوا خبره الى الملك  
 فدعاه فرضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين  
 في السجن وضربتتهما حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال  
 الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال  
 لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالالا الله تعالى الذى خلق كل شئ وايس له شريك فقال  
 لهما شمعون فصناه وأجزا قالافعل ما يشاء ويحكم يريد قال لهما شمعون وما آتيكما فالامآتمنى  
 الملك فدعا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زال يذيع وان ربهما حتى انشق موضع  
 البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك  
 فقال شمعون للملك أرايت ان سألت الهك يصنع مثل هذاحتى يكون لك الشرف ولا آلهتك  
 فقال الملك ليس عنك سران الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يبصر ولا يسمع وكان  
 شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصل كثيرا ويضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم  
 ثم قال الملك لهما ان قدرا الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنابه وبكما قالالا الهنا قادر على كل  
 شئ فقال الملك ان ههنا ميثامات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا آخرته فلم أدفته حتى يرجع أبوه  
 وكان غابا فجاءوا بالمدت وقد تغير وأروح فجعل يذيع وان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه  
 سرا فقام المدت وقال انى دخلت سبعة أودية من النار وأنا أذكركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله تعالى  
 ثم قال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال  
 شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره  
 بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن قوم وكثر آخرون فمن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا وقيل  
 ان ابنة الملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين الرجلين أن يحيا ابنتك  
 فطلب الملك منهما ذلك فقاما وصليا ودعوا الله تعالى وشمعون معهما فى السر فأحيا الله تعالى  
 المرأة ثم انشق القبر عنها فخرجت وقالت أسلموا فانهم ما صادفان قالت ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت  
 من الرسولين أن يردها الى مكانها فذرت اترابا على رأسها فعادت الى قبرها كما كانت وقال ابن

سحق عن كعب ووهب بل كفروا جتمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب  
 المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين (قالوا) أي أهل القرية  
 للرسول (ما أنتم) أي وان زاد عددكم (الابشر مثلنا) لامزية لكم علينا فواجه الخصوصية  
 لكم في كونكم رسلا دوننا فعملوا كونهم بشر امثلهم دليل على عدم الارسال وهذا عام  
 في المشركين قالوا في حق محمد صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الذكر من بيننا وقد استوتينا  
 في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله عليهم بقوله سبحانه الله أعلم حيث يجعل رسالته وبقوله  
 تعالى الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك \* (تبيينه) \* رفع بشر لا تقاض النفي المقتضى اعمال  
 ما بالاشتم قالوا (وما أنزل الرحمن) أي العام الرحمة فعموم رحمة مع استوائنا في عبوديته  
 يقتضى أن يسوى بيننا في الرحمة فلا يخصكم بشئ دوننا وأغرقوا في النفي بقولهم (من شئ) أي  
 وحى ورسالة (ان) أي ما (أنتم الا تكذبون) أي في دعوى رسالتنا حالما وما لا (قالوا)  
 أي الرسل (ربنا) أي الذي أحسن إلينا (يعلم) أي ولهذا يظهر على أيدينا الآيات  
 (انا اليكم مرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى التسم وزاد واللام المؤكدة  
 لانه جواب عن انكارهم (وما علينا) أي وجوبنا من قبل من ارسلنا (الا البلاغ المبين)  
 أي المؤيد بالأدلة القطعية من الحجج القولية والفعالية بالمعجزات وهي ابراء الأكمة والابرس  
 واحياء الميت وغيرها فكان جوابهم بعد هذا الآن (قالوا انا نظيرنا) أي تشاء منا (بكم)  
 وذلك أن المطرح بس عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم ولاستغرابهم ما دعوه واستقبحاهم له  
 ونفرتهم عنه قالوا (لئن لم تنتهوا) أي عن متالتكم هذه (انرجنكم) أي لنقتلنكم قال قتادة  
 بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم شرقتلة (وليسنكم منا) أي لامن غيرنا (عذاب أليم)  
 كأنهم قالوا لانكتفى بركم بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الأليم  
 أو يكون المراد وليسنكم بسبب الرجم منا عذاب أليم أي مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكأنهم  
 قالوا ولايكفيننا الشتم بل شتم يؤدي الى الضرب والايلام الحسى واذا فسرنا أليم بمعنى مؤلم  
 ففعليل بمعنى منفعلي قليل ويحتمل أن يقال هو من باب قوله تعالى عيشة راضية أي ذات رضا  
 أي عذاب ذو ألم فيكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم أجابهم المرسلون بأن (قالوا طأركم)  
 أي شؤمكم الذي أحل بكم البلاء (معكم) وهو أعمالكم القبيحة التي منها تكذبونكم وكفركم  
 فأصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حفظكم من الحير والشر والهزيمة  
 في قوله تعالى (أئن ذكركم) أي وعظمت وخوفتم همزة استنهام وجواب الشرط محذوف  
 أي تطيرتم وكفرتم فهو محل الاستنهام والمراد به التوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل  
 الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا وورش وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما  
 مع عدم الادخال \* ولما كان ذلك لا يصح أن يكون سببا للتطير بوجه أضر بوا عنه بقولهم  
 (بل) أي ليس الامر كما زعمتم في أن التذكير بسبب التطير بل (أنتم قوم) أي غرركم ما آتاكم الله  
 من القوة على القيام فيما تريدون (مسرغون) أي عادتكم الخروج عن الحدود والطغيان

فهو قيمته لذات \* ولما كان السياق لان الامر بيد الله تعالى فلا هادي لمن يضل ولا مضل لمن  
 هدى فهو يهدي البعيد في البقعة والنسب اذا اراد ويضل القريب فيما اذا اراد وكان بعد  
 الدار ملزوما في الغالب بعد النسب قدم مكان المجي على فاعله بيانا لان الدعاء يقع الاقصى ولم  
 يقع الا في فتال تعالى (وجاء من أقصى) أي أبعد بخلاف ما مر في القصر ولا أجل هذا  
 الغرض عدل عن التعبير بالقرية وقال (المدينة) لانها أدل على الكبر المستلزم بعد  
 الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله تعالى (رجل) بين اهتمامه بالتهي عن  
 المنكر ومسايقته الى ازالته كما هو الواجب بقوله تعالى (يسعى) أي يسرع في مشيه فوق  
 المشى ودون العدو وحرصا على نصيحة قومه \* (تنبيه) \* في تكبير الرجل مع أنه كان معلوما  
 معروفا عند الله تعالى فيه قائدتان الاولى أن يكون تعظيما لشأنه أي رجل كامل في الرجولية  
 الثانية أن يكون مفيدا يظهر من جانب المرسلين أمر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال  
 انهم نواطوا والرجل هو حبيب النجار كان يثخت الاصنام وقال السدي كان قصارا وقال وهب  
 كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب في المدينة وكان  
 مؤمنا وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله تعالى ورأى  
 فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعي تبصير للمؤمنين وهدايتهم لئلا يجهدهم  
 في النصح ولما تشوقت النفس الى الداعي الى اتيانه بيته بقوله تعالى (قال) واستعطفهم  
 بقوله تعالى (يا قوم) وأمرهم بمجاهدة النفوس بقوله (اتبعوا المرسلين) أي في عبادة الله تعالى  
 وسده بجمع بين اظهار دينه واظهار النصيحة فتقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه  
 وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة وأما الايمان فكان قد آمن  
 من قبل وقوله يسعي يدل على ارادته النصح (فان قيل) ما الفرق بين مؤمن آل فرعون حيث قال  
 اتبعوني أهدكم وهذا قال اتبعوا المرسلين (أجيب) بأن هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصحهم  
 ولم يعلموا سيرته فتقال اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل وأما مؤمن  
 آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بعيسى وهرون عليهما السلام  
 واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون أني اخترته ولم يكن الرجل الذي جاء من  
 أقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم \* ولما قال لهم اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين  
 فنزل درجة وقال (اتبعوا من لا يسألكم اجرا) أي أجرة لان الخلق في الدنيا يسألون طريق  
 الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه وعدم الاستماع من الدليل لا يحسن الا  
 عند أحد أمرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق  
 لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة (وهم مهتدون) عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق  
 فهب أنهم ليسوا بمرسلين ليسوا بجهتدين فاتبعوهم وقوله تعالى (ومالي لا أعبد الذي فطرني)  
 أصله ومالي لا أعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون الكلام أسرع قبولا حيث أراد  
 لهم ما أراد لنفسه والمراد تقريرهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (والله

ترجعون) دون واليه أرجع مبالغة في التهديد وفي العدول عن محاسبة القوم الى حال نفسه  
 مبالغة في الحكمة وهي أنه لو قال مالكم لاتعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله مالي  
 لانه لما قال مالي فأخذ لا يخفى عليه حال نفسه علم كل واحد أنه لا يطلب العاة ويبيانه من أحد  
 لانه أعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرنى أشار به الى وجود المقتضى فان قوله مالي اشارة  
 الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضى فقوله الذي فطرنى  
 دليل المقتضى فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه  
 ومنع بالايان والمنع يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان  
 وجود المقتضى مع أن المستحسن تقديم المقتضى لان المقتضى لظهوره كان مستغنيا  
 عن البيان فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان للحاجة اليه واختار من الآيات فطرة نفسه  
 لان خالق عمره ويجب على زيد عبادته لان من خلق عمره لا يكون الا كامل القدرة واجب  
 الوجود فهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر  
 ايجاباً \* (تنبيه) \* أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة فكانت عليه  
 أظهر وفي الرجوع معنى الزجر فكان بهم أليق روى أنه لما قال اتبعوا المرسلين أخذوه  
 ورفعوه الى الملك فقال له أفأنت تتبعهم فقال ومالي لأعبد الذي فطرنى أى شئ ينعنى أن  
 أعبد خالقى واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزىكم بأعمالكم ومعنى فطرنى خلقتى اختراعاً  
 ابتداء وقيل خلقتى على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم عاد الى السياق  
 الأول فقال (أأخذ) وهو استنهام بمعنى الانكار أى لأأخذ وبين علو رتبته تعالى بقوله  
 (من دونه) أى سواء مع دنوا المنزلة وبين عجز ما عبده بتعدد فقالت (آلهة) وفي ذلك لطيفة  
 وهي أنه لما بين أنه يعبد الذي فطره بين أن من دونه لا تجوز عبادته لان الكل محتاج مة مقر  
 حادث وقوله أأخذ اشارة الى أن غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها وقراً نافع وابن كثير  
 وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل فيهما الفساقون وأبو عمرو وهشام  
 وورش وابن كثير بغير ادخال ألف والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله  
 تسهيل الثانية والتحقيق لانه متوسط بزائد وله أيضاً الباء ألفاً ثم بين عجز تلك الالهة بقوله  
 (ان يردن الرحمن) أى العاتم النعمة على كل المخلوقين العابد والمعبود (بضم) أى سوء ومكروه  
 (لاتغن عنى شفاعتهم شيئاً) أى لو فرض أنهم شفّعوا ولكن شفاعتهم لا توجد (ولا ينقدون)  
 أى بالنصر والمظاهرة من ذلك المكروه أو من العذاب لو عذبني الله تعالى ان فعلت ذلك (فان  
 قيل) ما الحكمة في قوله تعالى هذا ان يردن الرحمن بصيغة المضارع وقال في الزمر ان أرادني  
 الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هناك باسم الله (أجيب) بأن الماضي  
 والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلاً لان المذكور هنا من قبل بصيغة الاستقبال  
 في قوله أأخذ وقوله مالي لأعبد والمذكور هنا من قبل بصيغة الماضي في قوله أقرأيتم  
 • (تنبيه) • ان يردن شرط جوابه لاتغن عنى الخ والجمله الشرطية في محل نصب صفة

لالهة \* (فائدة) \* أثبت ورش الياء بعد النون في الوصل دون الوقف والباقون بغيرها ووقفا  
 ووصلا (اني اذا) أي ان عبدت غير الله تعالى (لني ضلال مبين) أي خطأ ظاهر وقرأ نافع  
 وأبو عمرو بفتح الياء وسكنها الباقون وهم على مذاهبهم في المذ \* ولما أقام الأدلة ولم يبق لاحد  
 تخلف عنه علة صرح بما لوح اليه من ايمانه بقوله (اني آمنت) أي أوقعت التصديق الذي  
 لا تصديق في الحقيقة غيره وفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون واختلف في  
 الخطاب بقوله (بربكم) على أوجه أحدها أنه خاطب المرسلين قال المنسرون أقبل القوم عليه  
 يريدون قتله فأقبل هو على المرسلين وقال اني آمنت بربكم (فاسمعون) أي اسمعوا قولي  
 واشهدوا لي وثانيها هم الكفار لما نصحهم وما نذعهم قال آمنت بربكم فاسمعون وثالثها بربكم  
 أي السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يامسكين ما أكثر أملاك يريد كل سامع يسمعه  
 فلما قال ذلك وثب التوم عليه وثبه رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود ووطئوه بأرجلهم وقال  
 السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن  
 خرقوا خرقا في حلقه فعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية مشهور رضى الله تعالى عنه  
 \* (تنبيه) \* في قوله فاسمعون فوائدها أنه كلام متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان  
 يعلم ان الكلام جماعة سامعين يتفكرون ومنها أن يذبه القوم ويقول اني أخبرتكم بما فعلت حتى  
 لا تقولوا لم أخفيت عنكم ولو أظهرته لآمنتم معك (فان قيل) انه قال من قبل ومالي لأعبد  
 الذي فطرنى وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي (أجيب) باننا قلنا الخطاب مع الرسل  
 فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه  
 وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار فذبه بيان التوحيد لانه لما قال أعبد الذي فطرنى  
 ثم قال آمنت بربكم فهم أنه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرنى وهو بعينه ربكم بخلاف  
 ما لو قال آمنت بربي فيقول الكافر وأنا أيضا آمنت بربي \* (فائدة) \* أخبر النبي صلى الله عليه وسلم  
 أن مثل صاحب يس هذا في هذه الأمة عروة بن مسعود النقي حيث نادى قومه بالاسلام ونادى  
 على عليه بالأذان فرموه بالسهام فقتلوه \* ثم انه سبحانه وتعالى بين حال هذا الذي قال آمنت  
 بربكم بعد ذلك بقوله تعالى ايجازا في البيات لاهل الأيمان (قيل) أي قيل له بعد قتلهم ايام قبناه  
 للمفعول لان المقصود المقول لا قائله والمقول له معلوم (ادخل الجنة) لانه شهيد وان شهداء  
 يسرحون في الجنة حيث شاؤوا من حين الموت وقيل لما هموا باقتله رفعه الله تعالى الى الجنة  
 وقرأ هشام والكسائي بضم القاف وهو المسمى بالاشمام والباقون بالكسر \* ولما أفضى به  
 الى الجنة (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) أي بغفران ربي الى الحسن الى في الآخرة بعد  
 احسانه في الدنيا بالايان في مدة يسيرة بعد طول عري في الكفر (وجعلني من المكرمين) أي الذين  
 أعطاهم الدرجات العلاء فنصح لقومه حيا وميتا بتبني علمهم بالكرامة له ليعملوا مثل عمله فينالوا  
 ما ناله \* (تنبيه) \* في القصة حث على المبادرة الى مفارقة الأشرار واتباع الاخيار والحلم عن  
 أهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه وأنه لا يدخل أحد الجنة الا برحمة

لله وان كان محمداً كما وقع للانصار رضى الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد  
الدار والذنب وفي قول من استشهد منهم في بئر معونة كما رواه البخاري في المغازي عن أنس  
بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا وفي غزوة أحد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا طيب  
مشربهم ومأكلهم وحسن مقيامهم ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى بنا لئلا يزهوا  
في الجهاد ولا ينكوا عن الحرب فقال الله تبارك وتعالى فانا بلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على  
رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أنهم ماتوا في سورة آل عمران  
وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى ان في قريش من حتم عوته على الكفر ولم ينقص ما قضى له من  
الاجل فالله سبحانه يؤيده هذا الدين بغيره لم لتظهر قدرته وحكمته (وما أنزلنا من  
العظمة على قومه) أي حبيب (من بعده) أي من بعد اهلاكه أو رفعه (من جند من السماء)  
لاعلاكمهم كما أرسلنا يوم بدر وانحنى دقل كفتينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقاق باهلاكمهم  
وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والالكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيها  
في استئصالهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم من قبله (أجيب)  
بأن استحقاق العذاب كان بهـ حيث أمر واواستكبروا فبين حال الاهلاك بقوله تعالى  
(وما كنا منزلين) أي ما كان ذلك من سقتنا وما سمع في حكمنا أن يكون عذاب الاستئصال يجند  
كثير (ان) أي ما (كانت) أي الواقعة التي عذبوا بها (الاصححة) صاحبها جبريل عليه  
السلام فإلوان آخرهم وأكداً أمرها وحق وحدثها بقوله تعالى (واحدة) أي لحقارة  
أمرهم عندنا ثم زاد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك بقوله تعالى (فأذا هم خامدون)  
أي ثابت لهم الخلود ما كانوا كما كانت بهم حركة يوم من الدهر شبهوا بالنار رمز الى أن الحى  
كانت الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كاشهاب وضوته \* يصير رماداً بعد اذ هو ساطع

وقال المعري

وكلنار الحياة فن رماذ \* وأخرها وأولها دخان

قال المنسرون أخذ جبريل عليه السلام بعضا دقي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فإلوا  
(يا حسرة على العباد) أي هؤلاء ونحوهم عن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها  
بجاز أي هذا وأنت فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والندامة بقوله تعالى (ما يأتيهم  
من رسول) أي رسول كان في أي وقت كان (الا كانوا به) أي بذلك الرسول (يستزؤون)  
والمستزئي بالناصحين المخلصين أحق أن يتحسروا ويتحسروا عليه وقيل يقول الله تعالى يوم القيامة  
يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا بالرسل \* ولما بين تعالى حال الأولين قال للعاشرين (الم يروا)  
أي أهل مكة القائلين للنبي صلى الله عليه وسلم استمرسلا والاستفهام للتقرير أي اعلموا  
وقوله تعالى (كم) خبرية بمعنى كثيرا وهو مفعول لاهلكنا تقديره كثيرا من القرون أهلكتها وهي  
معمولة لما بعد ما معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية والمعنى أما

(أهلكنا قبلهم) كثيراً (من القرون) أى الام قال البغوى والقرن أهل كل عصر  
 وهو بذلك لاقتراهم في الوجود (انهم) أى المهلكين (اليهم) أى الى أهل مكة (لا يرجعون)  
 أى لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون \* وقيل لا يرجعون أى الباقون لا يرجعون الى المهلكين  
 بسبب ولا ولادة أى أهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك أن الأهلاك الذى يكون مع قطع النسل  
 اتم وأعم قال ابن عادل والاقول أشهر نقلاً والثانى أظهر عقلاً وقوله تعالى (وان) نافية  
 أو مخففة وقوله تعالى (كل) أى كل الخلائق مبتدأ وقرأ (لما) ابن عامر وعاصم وحجة  
 بتثنية الميم بمعنى الا والباقون بالتخفيف واللام فارقة وما مزيدة وقوله تعالى (جميع) أى  
 مجموعون خبر أول (لدينا) أى عندنا فى الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى (محضرون) أى  
 للحساب خبر ثان وما أحسن قول القائل

ولو اننا اذا امتنا تركنا \* لكان الموت راحة كل حى

والكا اذا امتنا بهتنا \* ونسئل بعدها عن كل شىء

ولما قال تعالى وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذ كر ما يدل على امكانه قطعاً لانكارهم  
 واستبعادهم فقال تعالى (واية) أى علامة عظيمة (لهم) أى على قدرتنا على البعث وايجادنا له  
 (الارض) أى هذا الجنس الذى هم منه ثم وصفها بما حقق وجه الشبه بقوله تعالى (الميتة)  
 التى لا روح لها لانه لا نبات بها أعم من أن يكون به نبات وفنى أولم يكن به شىء أصلاً \* ثم استأنف  
 بيان كونها آية بقوله تعالى (أحييناها) أى باختراع النبات فيها وباعادته بسبب المطر كما كان  
 بعد اضعاله (فان قيل) الارض آية مطلقاً فلم خصها بهم حيث قال تعالى وآية لهم (أجيب) بأن  
 الآية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشىء بأبلغ الوجوه وأما من عرف الشىء بطريق الرؤية فلا يذ كر  
 له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله المخلصين عرفوا الله تعالى قبل الارض والسماء  
 فليست الارض معرفة لهم \* (تنبيه) \* آية خير مقدم ولهم صفتها آية متعلقة بآية لانها علامة  
 والارض مبتدأ وأعرب أبو البقاء آية مبتدأ ولهم الخبر والارض الميتة مبتدأ وصفة  
 وأحييناها خبره فالجمله مفسرة لآية وبهذا بدأ ثم قال وقيل فذكر الوجه الاقول \* ولما كان  
 اخراج الاقوات نعمة أخرى قال (وأخرجنا منها حبا) أى جنس الحب كالحنطة والشعير  
 والارز \* ثم بين عموم نفعه بقوله (فنه) أى بسبب هذا الاخراج (يا كلون) أى من ذلك الحب  
 فهو حبة حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين لا تقدر ان تدعون أن ذلك  
 خيال صخرى بوجه من الوجوه وفى هذه الآية وأمثالها حث عظيم على تدبر القرآن واستخراج  
 ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله تعالى وكباله وقد أنشدنا الاستاذ القشيرى فى تفسيره  
 وعيب على من أهمل ذلك

يا من تصدق فى دست الامامة فى \* مسائل الفقه املاء وتدرىسا

غفقت عن حجج التوحيد بتحكمها \* شيدت فرعا وما مهدت تأسيسا

\* ولما ذكر الزرع وهو ما لا ساق له أتبعه بذكر ما له ساق بقوله (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة



(فيها) أي الارض (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) ذكر هذين النوعين لكثرة  
نفعهما وقدم النخل لانه نفع كله خشبه وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وغره طلعوا بسررا  
ورطبا وغرا وفيه زينة دائما لكونه لا يسقط ورقه \* ولما كانت الجنان لا تصلح الا بالماء قال  
تعالى (ونحننا) أي فتحناسها عظيما (فيها) أي الارض (من العيون) شيئا خذف  
الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة عند الاخفش قال البقاعي والتعريف  
هنا يدل على أن الارض مركبة على الماء فكل موضع منها صالح لأن يتفجر منه الماء ولكن الله  
تعالى عنعه من بعض المواضع بخلاف الانبجار ليس فيها شيء غالب على الارض فتي ذلك تذ كبر  
بالنعمة في حبس الماء عن بعض الارض ليكون موضعا للسكن ولو شاء لتفجر الارض كلها عيونا  
كما فعل بقوم نوح فأغرق أهل الارض كلهم وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص برفع العين  
والباقون بالكسر \* ولما كان حياة كل شيء انما هي بالماء أشار الى ذلك بقوله تعالى (لما آكوا  
من ثمره) أي ثمرا ذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود على الاعناب لانها أقرب مذ كوزو كان  
من حق الضمير أن يثنى لتقديم شيئين وهما الاعناب والنخيل الا أنه اكتفى بذكر أحدهما وقيل  
الضمير لله على طريق الانقائات عن التكلم الى الغيبة وقرأ حمزة والكسائي برفع الشاء والميم وهي  
لغة فيه أوجع غاروا الباقون بفتحهما وقوله تعالى (وما علمته أيديهم) عطف على الثمر والمراد  
ما يتخذ منه كالعصير والديس مما موصولة أي ومن الذي علمته أيديهم ويؤيد هذا قراءة حمزة  
والكسائي وشعبة بخذف الهاء من علمته وما نافية على قراءة الباقين باثباتها أي وجدوها  
معمولة ولم تعملها أيديهم ولا صنع لهم فيها وقيل أراد العيون والانهار التي لم تعملها يد مخلوق  
مثل دجلة والفرات والنيل ثم لما عدد النعم أشار الى الشكر بقوله تعالى (أفلا يشكرون) أي  
أشكروا فهو أمر بصيغة الاستفهام أي اذ ابوا داعيا في ايقاع الشكر والدوام على تجديده في  
كل حين بسبب هذه النعم \* ولما أمرهم الله تعالى بالشكر وشكر الله تعالى بالعبادة وهم تركوها  
وعبدووا غيره واشركوا قال تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج) أي الاصناف والانواع  
(كلها) أي وغيره لم يخلق شيئا ثم بين ذلك بقوله تعالى (مما ننبت الارض) دخل فيه بدل  
نجم وشجر ومعادن وغيره من كل ما يتولد منها (ومن أنفسهم) من الذكور والانات وقوله  
تعالى (ومما لا يعلمون) يدخل فيه ما في أقطار السموات وتخوم الارضين من المخلوقات  
العجيبة الغريبة \* ولما استدلت تعالى بأحوال الارض وهو المكان الكلي استدلت بالليل  
والنهار وهو الزمان الكلي بقوله تعالى (وآية لهم الليل) أي على اعادة الشيء بعد فئانه (نسلخ)  
أي تفصل (منه النهار) فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى عنه الجوهر  
والزمان لا يستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان \* (تنبيه) \* نسلخ استعارة  
تعبية مصرحة تشبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب  
أحدهما على الآخر (فأذا هم) أي بعد ازالة النهار الذي سلخناه من الليل (مظلمون) أي  
داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضياء ساترا له كما يستتر الجلد الشاة حال الماوردى

وذلك ان ضوء النهار يتسداخل في الهواء فيضي فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه وقد  
 ارشد السياق حتما الى أن التقدير والنهار نسلخ منه الليل الذي كان ساتره وغالب عليه فاذا هم  
 مبصرون \* ولما ذكر الوقتين ذكر آيتيهما مبتدئا بآية النهار بقوله تعالى (والشمس) اي التي سلخ  
 النهار من الليل يغيبوبتها (تجربى لمستقرها) أي لمستقرها ينتهي اليه دورها لا تتجاوز  
 فشيء مستقر المسافر اذا قطع سيره وقيل مستقرها بانتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام  
 الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى ابعاد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لا تتجاوز  
 وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مستقرها تحت العرش وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا ي  
 ذر حين غربت الشمس تدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت  
 العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها  
 ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقرها \* ولما  
 كان هذا الجرى على نظام لا يحتل على عمر السنين وتعاقب الاحساب عظمه بقوله تعالى (ذلك)  
 أي الامر الباهر لعقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل بقوله تعالى (تقدير العزيز) أي الذي  
 لا يقدرا احد في شيء من امره على نوع مغالبة وهو غالب على كل شيء (العليم) أي المحيط  
 علمه بكل شيء الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه وهن ولا يلحقه  
 يومانوع خلل ويحتمل أن تكون الاشارة الى المستقر أي ذلك المستقر تقدير العزيز العليم  
 \* ولما ذكر آية النهار أتبعها آية الليل بقوله تعالى (والقمر قدرناه) أي من حيث سيره (منازل)  
 ثمانية وعشرين منزلا في ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر  
 ثلاثين يوما وليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس  
 عليه السلام فاذا صار القمر في آخر منزله دق فذلك قوله تعالى (حتى عاد) أي بعد أن كان  
 بدرا عظيما (كالعرجون) من النخل وهو عود العذق ما بين شماليه الى منتهاه وهو منبته من  
 النخلة رقيقا منحنيا ثم وصفه بقوله تعالى (القديم) فانه اذا اعتق بيس وتقوس واصفر فيشبه  
 التمر في رفته وصفرتة في رأى العين في آخر المنازل قال القشيري ان القمر يبعد عن الشمس ولا  
 يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا الى أن  
 يتلاشى وقرأنا فاع وابن كثير وأبو عمرو والقمر يرفع الراء والباقون بالنصب والرفع على الابتداء  
 والنصب باضمار فعل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله  
 تعالى والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت  
 عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها \* ولما قرأنا لكل منها منازل لا يعودها فلا يقبل  
 ما هو آية الاخر بل اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان ذلك واذا جاء ذلك ذهب هذا قال  
 تعالى (لا الشمس) التي هي آية النهار (ينبغي) أي يسهل (لها) أي مادام هذا الكون موجودا  
 على هذا الترتيب (أن تدرك القمر) أي تجتمع معه في الليل فالنهار سابق الليل (ولا

الليل سابق النهار) أي فلا يأتي أحدهما قبل انقضاء الآخر فالآية من الاحتمال لأنه نفي  
 أو لا ادراك الشمس لقوتها القمر فقيمه دليل على ما حذف من الثاني من نفي ادراك الشمس  
 للقمر أي فيغلبها وان كان يوجد في النهار لكن من غير سلطنة فيه بخلاف الشمس فانها لا تكون  
 في الليل أصلاً ونفي ثانياً سبق الليل النهار وفيه دليل على حذف سبق النهار لليل أولاً كما قدره  
 (وكل) أي من الشمس والقمر (في فلك) محيط به وهو الجسم المستدير أو السطح المستدير  
 أو الدائرة لأن أهل اللغة على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة  
 المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمودك لا يعزق العمود الخيمة وهي صفة مستديرة  
 (فان قيل) فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر المنسرين على أن السماء مبسوطة  
 لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع (أجاب)  
 الرازي بأنه ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل  
 دل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقيب لا يخرج عن كونه  
 سقفاً وكذلك على جبال ومن الأدلة الحسية أن السماء لو كانت مستوية لكان ارتفاع أول  
 النهار ووسطه وآخره مستويًا وليس كذلك وذكر غير ذلك من الأدلة وفي هذا كفاية \* ولما ذكر  
 لها فعل العقل من كونها على نظام محترز لا يحتل وسيرمة قدر لا يعوج ولا ينحل جمعها جمعهم  
 بقوله تعالى (يسبحون) وقال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على انها أحياء لان ذلك لا يطلق  
 الا على العاقل قال الرازي ان أرادوا القدر الذي يكون منه التسبيح فنقول به لأن كل شيء  
 يسبح بحمده وان أرادوا شيئاً آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق  
 الاصنام ألاتاً كاون ما لكم لا تنطقون \* ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حمله حدودا في السباحة  
 في وجه الفلك ذكر ما هيأ به من الفلك للسباحة على وجه الماء بقوله تعالى (وآية لهم) أي على  
 قدرتنا التامة (أنا) أي على ما لنا من العظمة (سجدوا لربهم) أي آباءهم الاصول قال البغوي  
 واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الاولاد والالف واللام في قوله تعالى (في الفلك)  
 لتعريف أي فلك نوح عليه الصلاة والسلام وهو مذكور في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا  
 وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى (المشحون) أي الموقر الماء له حيوانا  
 وناساً وهو يتقلب في تلك المياه التي لم ير أحد قط مثلها ولا يرى أيضاً ومع ذلك فسلمها الله  
 تعالى وأيضاً الأذى يسب في الماء ويغرق فيه. له في الفلك وقع بقدرته تعالى ان كان من  
 الطبيعيين من يقول الخفيف لا يسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون أثقل  
 من الثقال التي تسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال أكثر المفسرين ان الذرية  
 لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح عليه  
 الصلاة والسلام واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام  
 ما تركبون وقوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير  
 ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك ابيان الجنس فان كان المراد بقية نوح عليه السلام

ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقى  
للآب نسل ولا عقب وعلى هذا فتقوله تعالى حملنا ذريتهم الى كمال النعمة أى لم تكن النعمة  
مقتصرة عليكم بل متعدية الى أعقابكم الى يوم القيامة وهذا قول الزمخشري قال ابن عادل  
ويحتمل أن يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفقار الافائدة  
في وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم أى لم يكن الحمل حلالهم وانما كان حلالا في أصلابهم من  
المؤمنين كن حمل صندوقا لقيمة له وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانياً ان  
المراد بالذرية الجنس أى حملنا أجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على  
الجنس ولذلك تطلق على النساء النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذراري أى النساء لان  
المرأة وان كانت صنفاً غير صنف الرجل لكنهما من جنسه ونوعه يقال ذراري نياى أمنا لثالثها  
أن الضمير في قوله تعالى وآية لهم الليل للعباد وكذا وآية لهم انما حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى  
قال وآية للعباد انما حملنا ذرية العباد ولا يلزم أن يكون المراد بالضمير في الموضوعين أشخاص معينين  
كتقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ويذيق بعضهم بأس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في  
القتال فقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم فهم في الموضوعين يكون عائداً الى القوم ولا يكون  
المراد أشخاص معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية لهم أى لئلا  
بعض منهم انما حملنا ذرية كل بعض منهم أو ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك قال ابن  
عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح عليه السلام لم تكن محض ذريتهم ولم يعلموا من حمل فيها فأما  
جنس الفلك فانه ظاهر لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين  
أى بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليرىكم من  
آياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وآية لهم الارض  
الميتة وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك (أجيب) بأن حملهم في الفلك هو العجب أما نفس  
الفلك فليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب وأما نفس الارض فعجيب ونفس الليل فعجيب  
لا قدرة لاحد عليها ما الا الله (فان قيل) قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل ذريتهم مع  
أن المقصود في الموضوعين بيان النعمة لادفع النعمة (أجيب) بأنه تعالى لما قال في البر والبحر عم  
الخلق جميعاً ان ما من أحد الا وجل في البر والبحر وأما الحمل في البحر فلم يتم فقال ان كما حملناكم  
بانفسكم فقد حملنا من يهكم أمره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقاء وقرأ  
نافع وابن عامر بألف بعد الباء التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون بغير ألف وفتح  
الفوقانية على الافراد واختلف في تفسير قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله) أى من مثل  
الفلك (مايركبون) فقال ابن عباس يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر وقيل أراد به  
السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيأتها وقال قتادة والضحاك وغيرهما  
أراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار كالفلك الكافر في البحار (وان نشأ) أى لاجل  
مالنا من القوة الشاملة والقدرة التامة (نغرقهم) أى مع أن هذا الماء الذي يركبونه ليس

كالماء الذي جلت فيه آباءهم (فلا صريح لهم) أي مغيب لهم لينجيهم مما يريد بهم من الفرق أو فلا  
 اثانة كقولهم أتاهم الصريح (ولاهم) أي بانفسهم من غير صريح (يتقذون) أي يكون  
 لهم انقاذ أي خلاص لانفسهم أو غيرها (الارحة) أي فخص نتقذهم ان شئنا رحة (منا) أي  
 لهم لا وجوب علينا ولا المنفعة تعود منهم الينا (ومتاعا) أي وعتبنا اياهم بلذاتهم (الى حين) أي  
 الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم) أي من أي قائل كان (اتقوا ما بين أيديكم) أي من عذاب  
 الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) تعاملون معاملة المرحوم  
 بالآكرام وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم  
 يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ومقاتل ما بين أيديكم وقائع الله فحين كان  
 قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الآخرة (تنبيهان) أحدهما الارحة منصوب على المفعول له  
 وهذا مستثنى من رخص وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وقيل على اسقاط  
 الخافض أي الارحة والفاء في قوله تعالى فلا صريح لهم رابطة لهذه الجملة بما قبلها فالضمير  
 في لهم عائذ على المغرقين ثانياً ما جواب اذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه قوله تعالى بعده  
 الا كانوا معرضين وعلى هذا قلنا كانوا زائد (وما أتيتهم من آية من آيات ربهم) أي  
 المحسن اليهم (الا كانوا) أي مع كونها من عند من غمرهم احسانه وعظم فضله وامتنانه  
 (عنها معرضين) أي دائماً معرضهم (واذا قيل لهم) أي من أي قائل كان (انفقوا) أي على  
 من لا شيء له شكر الله على ما أعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم  
 انما يرحم الله تعالى من عباده الرحما وبين تعالى أنهم يبخلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى  
 (عمارزقكم الله) أي مما أعطاكم الله الذي له جميع صفات الكمال (قال الذين كفروا) أي  
 ستروا وغطوا ما دلهم عليه أنوار عقولهم من الخيرات (للذين آمنوا) أي استترنا بهم (أنظم  
 من لو يشاء الله) أي الذي له جميع العظمة كما زعمتم في كل وقت يريد (أطعمه) وذلك  
 أن المؤمنين قالوا الكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله سبحانه  
 وتعالى وهو ما جعله الله من حروثهم وأموالهم قالوا أنظم من لو يشاء الله أطعمه لكانت نظره  
 لا يشاء ذلك فإنه لم يطعمهم مما ترى من فقرهم فخص أيضاً انشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه  
 فتركو والتأدب مع الامر وأظهروا التأدب مع بعض ارادة الله المنهى عن الجري معها  
 والاستسلام لها وهذا مما يتسك به الجلاء يقولون لانعطي من حرمه الله تعالى وهذا الذي  
 يزعمونه باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فنع الدنيا عن الفقير لا بخلا  
 وأمر الغنى بالانفاق لاجابة الى ماله ولاكن ليبلوا الغنى بالفقير فيما فرض له في مال الغنى فلا  
 اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن أرشدهم الى الخير  
 (ان) أي ما (أنتم الا في ضلال) أي محيط بكم (مبين) أي في غاية الظهور وما دروا  
 ان الضلال انما هو لهم (فان قيل) قولهم من لو يشاء الله أطعمه كلام حق فلماذا ذكر في معرض  
 الذم (أجيب) بأن مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى أو لعدم جواز الامر بالاتفاق

مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد فبين ذلك تعالى بقوله سبحانه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصح أمره بالاعطاء لان من كان له مع الغير مال وله في خزائنه مال بخير ان أراد اعطى مما في خزائنه وان أراد أمر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز أن يقول من في يده ماله في خزائنه أكثر مما في يدي أعطه منه (فان قيل) ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا أنتفق على من لو يشاء الله رزقه لانهم أمروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا أنتفق فلم قالوا أنطم (أجيب) بأن هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم يأثروا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الاطعام وهذا كقول القائل اعطه زيدا ديناراً فيقول لا أعطيه درهماً مع أن المطابق هو أن يقول لا أعطيه ديناراً ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك هنا (تنبيه) انما وصفوا المؤمنين بأنهم في ضلال مبين انظروا أن كلام المؤمنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال الرازي ووجه ذلك أنهم قالوا أنطم من لو يشاء الله أطعمه وهذا إشارة الى أن الله تعالى ان شاء أن يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم أمرًا بتحصيل الحاصل وان لم يشأ اطعمهم لا يقدر أحد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تأمر وتناهيه ووجه آخر وهو أنهم قالوا ان أراد الله تجويبعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيًا في ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز وأنتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا أمره السيد بأمر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله أمر به مثاله اذا أراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه أحد وقال للعبد اضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لتسبب الى ان يريد أن يطلع عدوه على الخد منسه وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله سبحانه اذا قال أنفقوا مما رزقكم الله لا يجوز أن يقال لم يطعمهم الله مما في خزائنه وقد تقدم ماله بهذا تعلق (ويقولون) أي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم (متى هذا) وزادوا في الاستهزاء بتسميته وعدا فقالوا (الوعد) أي البعث الذي تهدد وتناهيه نارة تلويحًا ونارة تصریحًا محملوه لنا (ان كنتم صادقين) فيه قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ينظرون (الاصححة) وبين حقارة شأنهم وقام قدرته بقوله عز وجل (واحدة) وهي نفخة اسرافيل عليه السلام الاولى المميتة (تأخذهم) وقوله تعالى (وهم يحضمون) قرأه حزة بسكون الخاء وتحقيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضًا فالمفعول محذوف وأبو عمرو وقالون باخفاء فتحمة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير وهشام كذلك الا أنهم باختلاس فتحمة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في القراءات الثلاث يحضمون فأدغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى الساكن قبلها انقلابًا كاملًا وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيهًا على أن الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا وأولهما فهذه أربع قراءات ولما كانت هذه

هي النفخة المميتة تسبب عنها قوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي يوجدون الوصية  
 في شيء من الأشياء (ولأهلهم) أي فضلا عن غيرهم (يرجعون) أي فيروا حالهم بل يموت كل  
 واحد في مكانه حيث تفجؤه الصيحة وربما أفهم التعبير بالي أنهم يريدون الرجوع فيخطون  
 خطوة أو نحوها وفي الحديث لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان فوبها ما بينهما فلا يبغانه  
 ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها \* ولما دل ذلك  
 على الموت قطع عقبه بالبعث بقوله تعالى (ونفخ في الصور) أي القرن النفخة الثانية للبعث  
 وبين النفختين أربعون سنة \* ولما كان هذا النفخ سبباً للقيام بهم عنده من غير تخلف عبر  
 تعالى بما يدل على التعجب والتسبب والفتنة بقوله تعالى (فأذا هم) أي حين النفخ (من  
 الاجداث) أي القبور واحداً حدث المهمة هي ومن فيها السماع ذلك النفخ (فان قيل)  
 كيف يكون ذلك الوقت أجدات وقد زلت الصحة الجمال (أجيب) بأن الله تعالى يجمع  
 أجزاء كل ميت في الذي قبره فيخرج من ذلك الموضع وهو جده (الذي ربه) أي إلى الموقف  
 الذي أعده لهم من أحسن اليهم بالتربة (ينسلون) أي يسرعون المشي مع تقارب الخطأ بقوة  
 ونشاط فيألهام من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت واحد يصيح تارة ويميت أخرى  
 (فان قيل) المسمى إذا توجه إلى من أحسن إليه يقدم رجلاً ويؤخر أخرى والنسلان سرعة  
 المشي فكيف يوجد منهم (أجيب) بأنهم ينسلون من غير اختيارهم (فان قيل) قال في آية أخرى  
 فإذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان  
 وقوله تعالى في الموضعين إذا هم يقتضى أن يكونا معاً (أجيب) بأن القيام لا ينافي المشي  
 السريع لان المشي قائم ولا ينافي النظر وبان ذلك لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد  
 كقول القائل \* مفر مكرم قبل مدبر معاً \* واعلم ان النفختين يورثان ترزلاً وانقلاباً بالاجرام  
 فعند اجتماع الاجرام يفرقها وهو المراد بالنفخة الاولى وعند تشرق الاجرام يجمعها وهو المراد  
 بالنفخة الثانية \* ولما تشوقت النفوس إلى ما يتولون إذا عاينوا ما كانوا يشكرون استأنف  
 قوله تعالى (قالوا) أي الذين هم من أهل الويل (يا) للتبسيه (ويلنا) أي هلاكنا وهو مصدر لافعل  
 له من لفظه (من بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله  
 تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعانوا القيامة  
 دعوا بالويل وقال أهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها دعوا بالويل وصار  
 عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا مكانهم الذي كانوا فيه مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ  
 مرقدنا هي بالنسبة إلى ما انكشف لهم من العذاب الا كبر فقالوا من بعثنا من مرقدنا (فان قيل)  
 ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا (أجيب) بأنهم لما بعثوا تذكروا ما كانوا  
 يسمعون من الرسل عليهم الصلاة والسلام فقالوا يا ويلنا أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا بما  
 فنبهنا كما اذا كان الانسان موعوداً بأن يأتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلاً هاتلاً يقبل عليه  
 فيرتجف في نفسه ويقول أهذا الذي أنا لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور

موضع الرقاد إشارة الى أنهم شكوا في أنهم كانوا يماقتبها أو كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب  
 على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين وقالوا من مرقدنا إشارة الى متوهمهم احتمال الالتباه  
 وقواهم (هذا) إشارة الى البعث (ما) أى الذى (وعد) أى به (الرحمن) أى العام الرحمة الذى  
 رحمة مقتضية ولا بد للبعث لينصف المظلوم من ظالمه ويجازى كلا بعمله من غير حيف وقد رجنا  
 بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام الينا بذلك وطالما أنذرنا حلوله وحذرونا صعوبته وطوله  
 (وصدق) أى فى أمره (المرسلون) أى الذين أتونا بوعد الله تعالى ووعدده (تنبيه) فى اعراب  
 هذا وجهان أظهرهما انه مبتدأ وما بعده خبره ويكون الوقف تاما على قوله تعالى من مرقدنا  
 وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان أحدهما أنها مسندة لأنفة آما من قول الله تعالى أو من قول  
 الملائكة أو من قول المؤمنين الثانى أنهم من كلام الكفار فتكون فى محل نصب بالقول الثانى  
 من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم فى ما وجهان أحدهما أنها  
 فى محل رفع بالابتداء والخبر مقدر أى الذى وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حتى عليكم واليه  
 ذهب الزجاج والخمى والثانى انه خبر مبتدأ من مرقدنا فى هذا الذى وعده الرحمن (أن) أى  
 ما (كانت) أى النسخة التى وقع الاحياء بها (الاصححة واحدة) أى كما كانت صحيحة الامانة  
 واحدة (فأذا هم) أى فجأة من غير توقف أصلا (جميع) أى على حالة الاجتماع لم يتأخر منهم  
 أحد (لدينا) أى عندنا (محضرون) ثم بين تعالى ما يكون فى ذلك اليوم بقوله تعالى (فاليوم  
 لا نظلم نفس) أى أى نفس كانت مكروهة أو محبوبة (شيئا) أى لا يقع لها ظلم ما من أحد ما فى  
 شئ ما (ولا تجزون) أى على عمل من الاعمال شيئا من الجزء من أحد (الاما كنتم تعملون) ديدنا  
 لكم بما ركز فى جيلاتكم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى (ان أصحاب الجنة) أى الذين  
 لاحظ للشارفهم (اليوم) أى يوم البعث وهذا يدل على انه يحجل دخولهم ودخول بعضهم اليها  
 ووقوف الباقيين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار النار وعبر بما يدل  
 على أنهم بكليانهم مقبلون عليه ومطرقون له مع توجههم اليه بقوله (فى شغل) أى عظيم جدا  
 لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا فى الدنيا فى أشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات وقرأ ابن عامر  
 والكوفيون بضم الغين والباقيون بالاسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله (فا كهون) أى متلذذون  
 فى النعمة واختلف فى هذا الشغل فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى اقتضاى الابكار  
 وقال وكيع بن الجراح رضى الله عنهم ما فى السماع وقال الكلبى فى شغل عن أهل النار وما هم  
 فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم وقال ابن كيسان فى زيادة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله  
 تعالى فا كهون وقيل فى شغل عن هول اليوم يأخذون ما آتاهم الله تعالى من الثواب فاعندهم  
 خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فا كهون مقيم لبيان سلامتهم فانه لو قال فى شغل جاز أن  
 يقال هم فى شغل أعظم من التفكير فى اليوم وأهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه  
 أمر من أموره أو يخبر بخسران وقع فى ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال فا كهون  
 أى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن عباس رضى الله عنهم فا كهون



فرحون \* ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالقرين الملائم قال تعالى (هم) أى  
 بطواهرهم وبواطنهم (وأزواجهم) أى أشكالهم الذين لهم فى غاية الملازمة كما كانوا يتركونهم  
 فى المضاجع على الذمما يكون ويصفون أقدامهم فى خدمتنا وهم يكون من خشيتنا وفى هذا  
 اشارة الى عدم الوحشة (فى ظلال) أى يجدون فيها برذا لا يكاد ونغاية المراد فلا تصيبهم الشمس  
 كما كانوا يشوون أقدامهم فى دار العمل بجزر الصيام والصبر فى مرضاتنا على الآلام ويعرون  
 أيديهم وقلوبهم من الاموال يبذل الصدقات فى سبيلنا على عجز اللبالي وكر الايام \* (تنبيه) \*  
 ظلال جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى بضم الظاء ولألف بين  
 اللامين وهم مبتدأ وخبره فى ظلال كما قاله أبو البقاء \* ولما كان التمتع لا يكمل الا مع العلو  
 الممكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد  
 النظر قال تعالى (على الارائك) أى السرر المزينة العالية التى هى داخل الجبال قال ثعلب  
 لا تكون أريكة حتى تكون عليها سجلة وقال ابن جرير الارائك الجبال فيها السرر وروى  
 أبو عبيدة فى الفضائل عن الحسن قال كالأندرى ما الارائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن  
 فأخبرنا أن الاريغة عندهم الجبله فيها السرير وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون  
 أبصارهم ويضعون نفوسهم لاجلنا (متكئون) كما كانوا يداون فى الاعمال قائمين بين  
 أيدينا فى أغلب الاحوال والانتكاه الميل على شق مع الاعتماد على ما يرجح الاعتماد عليه او  
 الجلوس مع التمكن على هيئة المتربع وفى هذا اشارة الى الفراغ وقوله تعالى (لهم) أى خاصة  
 بهم (فيها فاكهة) أى لا تقطع أبدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على غير الارادة  
 اشارة الى أن لا جوع هناك لأن التفكه لا يكون لدفع الجوع (ولهم ما يدعون) أى يتنون  
 \* (تنبيه) \* فى ما هذه ثلاثة أوجه موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف  
 مصدرية ويدعون مضارع ادعى افعل من دعا يدعو وأشرب بمعنى التنى وقال الزجاج  
 هو من الدعاء أى ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامى فيكون الافتعال بمعنى الفعل  
 كلاحتمال بمعنى الحمل والارتجال بمعنى الرحل وقيل افعل بمعنى تفاعل أى ما يدعونه  
 كقولهم ارتعوا ورتاموا بمعنى واحد ثم فسر الذى يدعونه أى يطلبونه بغاية الاشتياق اليه  
 واستأنف الاخبار عنه بقوله تعالى (سلام) أى عظيم جدا عليكم يا أهل الجنة والسلام  
 يجمع جميع النعم ثم بين هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله (قولا من رب) أى دائم الاحسان  
 (رحيم) أى عظيم الاكرام بما ترضاه الالهية كما كانوا فى الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا  
 فيرجهون فى حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية على الدهش والضعف اعظيم  
 الامر وبالتأهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روى جابر بن عبد الله قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب  
 عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فينظرون اليهم وينظرون  
 اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحجب عنهم فيسبى نوره وبركه

عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أي يقولون سلام عليكم بأهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة الأبدية \* ولما ذكر ما للمؤمنين من النعيم ذكر ما للكافرين من العذاب بقوله تعالى (وامتازوا) أي ويقال للمجرمين امتازوا أي انفردوا (اليوم أي المجرمون) عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم قال الضحاك لسلك كافر في النار بيت يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار فيكون فيه أبدا لا يدين لا يرى ولا يرى وقيل إن قوله تعالى وامتازوا أمر تكوينا فحين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسماهم ويظهر على جباههم وفي وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون بسماهم \* ولما أمر وأبالاتمياز وتخصت منهم الابصار وكلفت الوجوه وتنكست الرؤس قال تعالى مو يخالهم (ألم اعهد اليكم) أي أوصيكم ايضاً عظيماً بما نصبت من الأدلة ومنحت من العقول وبعثت من الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلت من الكتب في بيان الطريق الموصل الى النجاة \* ولما كان المقصود بهذا الخطاب توبيخهم وتبكيهم وكانت هذه السورة قلباً وكان القلب أشرف الاعضاء وكان الانسان أشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى (يا بني آدم) أي على لسان ربي عليهم الصلاة والسلام واختلف في معنى هذا العهد على وجوه أقواها ألم أوص اليكم كما أمرت وقيل أمركم وقيل غير ذلك واختلفوا في هذا العهد ايضاً على أوجه أظهرها أنه مع كل قوم على لسان رسالهم كما أمرت وقيل هو العهد الذي كان مع آدم في قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم وقيل هو الذي كان مع ذريته عليه السلام حين أخرجهم وقال ألسنت بربكم قالوا بلى (أن لا تعبدوا الشيطان) أي البعيد المحترق بطاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد تطلق على العبادة ثم علل النهي عن عبادته بقوله تعالى (أنه لكم) والتأكيدي لان أفعالهم أفعال من يعتقد صداقته (عدو مبين) أي ظاهراً للعداوة جتاً من جهة عداوته لا ليكم التي أخرجتكم من الجنة التي لا منزل أشرف منها ومن جهة أمركم بما ينقص الدين من التضاف والخصام ومن جهة تزيينه للشاني الذي لا يرغب فيه عاقل لو لم يكن فيه عيب غير فائه فكيف اذا كان أكثره أكداراً وأذنا سافراً فكيف اذا كان شاغلاً عن الباقي فكيف اذا كان عاتقاً عن المولى فكيف اذا كان مغضباً له حاجباً عنه (فان قيل) اذا كان الشيطان عدواً للانسان فما بال الانسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة ونحو ذلك (أجيب) بأنه يستعين عليه باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله تعالى فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقائه نوعه ويجعلها سبباً لفساد حاله ويدعوها الى مسالك المهالك وكذا يستعين بغضبه الذي خلقه الله تعالى فيه لدفع المفاسد عنه ويجعلها سبباً لوبال وفساد أحواله وسيل الانسان الى المعاصي كبل المريض الى المضار وذلك حيث يعرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لاتضم القليل من الغذاء يميل الى الأكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد فساد معدته وصحح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه \* ولما منع من عبادة الشيطان

امر بعبادة الرحمن بقوله عاطفا على أن لا (وأن اعبدوني) أي وحدوني وأطيعوني (هذا) أي  
 الامر بعبادتي (صراط) أي طريق (مستقيم) أي بليغ الاستقامة وعبادة الشيطان طريق  
 ضيق معوج غاية الضيق والعوج وقرأ قبل بالسین وخلف بالاشمام أي بين الصاد والزاي  
 والباقون بالصاد ثم ذكر ما ينبه لعداوة الشيطان بقوله تعالى (واقعدوا منكم) أي عن  
 الطريق الواضح السوي بما سلطه به من الوسوسة (جبلا) أي أما كبارا عظاما كانوا كالجبال  
 في قوة العزائم وصعوبة الانقياد ومع ذلك كان يلعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من  
 أقدره على ذلك والافهوا ضعف كيدا واحقرا أمرا وقرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والياء الموحدة  
 وتشديد اللام مع التنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضم  
 الجيم والموحدة وكلها لغات ومعناها الخلق والجماعة أي خلقتنا (كثيرا) ثم زاد في التوبيخ والانكار  
 بقوله تعالى (أفلم تسكنوا عقولون) أي عداوته واضلله وما حل بهم من العذاب فتؤمنوا ويقال  
 لهم في الآخرة (هذه جهنم) أي التي تستقبلكم بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعبادتي  
 الصالحين (التي كنتم توعدون) أي ان لم ترجعوا عن غيركم (اصلوها) أي فاسوا وحزها وتوقدها  
 وهول أمر ذلك اليوم فان ذكره على حد ما مضى بقوله تعالى (اليوم) ليكونوا في شغل شاغل كما  
 كان أصحاب الجنة وشتان ما بين الشغلين (بما) أي بسبب ما كنتم تكفرون أي تسترون ما هو  
 ظاهر جدا بعقولكم من آياتي في دار الدنيا \* (تنبيه) \* في هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم  
 وحزنهم من ثلاثة أوجه أحدها قوله تعالى اصلوها أمر تنكيل واهانة كتقوله تعالى ذق انك أنت  
 العزيز الكريم ثانياً قوله تعالى اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتهم قد دمضت وبقي اليوم  
 العذاب ثالثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران نبي عن نعمة كانت فكفر  
 بها وحياء الكفور من المنهم أشد الآلام كما قيل

أليس يكاف لذي همة \* حياء المسمى من المحسن

• ولما كان كانه قيل هل يحكم في ذلك اليوم بعلمه أو يجزى الامر على قاعدة الدنيا في العمل  
 بالبينه نيه على أظهر من قواعد الدنيا بقوله تعالى مهولا (اليوم) على النسق الماضي في مظهر  
 العظمة لانه المتي بالتحويل (تختم) أي بما لنا من عظيم القدرة (على أقواهم) أي الكفار  
 لاجترائهم على الكذب كقوله سبحانه والله ربنا ما كنا مشركين (وتكلمنا أيديهم) أي بما عملوا  
 اقرارا هو اعظم شهادة (وتشهد أرجلهم) أي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار (بما  
 كانوا) أي في الدنيا يجبلاتهم (يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر عنه فالآية من الاحتيال  
 أثبت الكلام للأيدي أولا لانها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيز الأرجل ثانيا وأثبت  
 الشهادة للأرجل ثانيا لانها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز الأيدي أولا وتقر به ان  
 قول المباشر اقرار وقول الحاضر شهادة وفي كيفية هذا الختم وجهان أقواهما أن الله تعالى  
 يسكت ألسنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وان ذلك في قدرة الله تعالى يسيرا ما  
 الاسكات فلا خفاء فيه وأما الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره

عنها والله سبحانه قادر على كل الممكنات والوجوه الاخر انهم لا يتكلمون بشئ لا تقطاع  
اعذارهم وانهم تلك استارهم فيقفون ناكسي الرؤس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة  
فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامر بحيث لا يسمع منه الا انكار كقول القائل  
الحيطان تكى على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما روى أبو هريرة  
ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال  
هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه صحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون  
في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في صحاب قالوا لا يا رسول الله قال والذي نفسي بيده  
لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤيتهم ما قال فيلقى العبد فيقول ألم أكرمك ألم أسودك  
ألم أزوجك ألم أسخر لك الخيل والابل وأتركك تتزايد وترافع قال بلى يارب قال فظننت أنك  
ملاقي فيقول لا يارب فيقول اليوم أنساك كما نسيتني الى أن قال ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت  
فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصدقت ويثني بخير ما استطاع ثم  
قال فيقال له أفلا نبعت عليك شاهدا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه  
فيقال لفخذ انطق قال فتسطق لفخذ وجه وعظامه بما كان يعمل قال وذلك لمنافق وذلك ليعذر  
من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه ولما روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة  
العبد ربه قال يقول العبد يارب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول فاني لأجيز على نفسي  
الاشهاد مني فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتين شهودا فيختم  
على فيه ويقول لاركانه انطق فتسطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وهو حقا  
فعنك كنت أنا ضل وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل من أحدكم فخذ وكفه \* (تنبيه) \*  
ههنا سؤالات الاول ما الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم وأسند الكلام والشهادة  
الى الايدي والارجل الثاني ما الحكمة في جعل الكلام للايدي والشهادة للارجل الثالث أن  
يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم أعداء للعجربين وشهادة العدو  
على العدو غير مقبولة وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والنفاق لا تقبل شهادتهم  
والايدي والارجل صدرت الذنوب عنها فهي فسقة فينبغي أن لا تقبل شهادتهم أجيب عن  
الاول بأنه لو قال نختم على أفواههم وتنطق ايديهم لاحتمل أن يكون ذلك جبرا وقهرا  
والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم أي بالاختيار بعد ما يقدرها  
الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وأجيب عن الثاني بأن الافعال  
تسند الى الايدي قال تعالى وما علمته ايديهم أي ما عملوه وقال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى  
التهلكة أي ولا تلقوا أنفسكم فاذن الايدي كالعامل والشاهد على العامل ينبغى أن يكون غيره  
فجعل الارجل والجلود من الشهود باضافة الافعال اليهن وأجيب عن الثالث بأن الايدي  
والارجل ليسوا من أهل التكليف ولا ينسب اليها عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى

العبد المكاف لا الى أعضائه ولا يقال وردان العين تزي وان الفرج يزي وان اليد كذلك لان  
 معناه ان المكاف يزي بها لانها هي تزي وأيضا فانا نقول في ردشهادتها قبول شهادتها لانها ان  
 كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لا بد ان يكون مذبنا في الدنيا وان صدقت في ذلك  
 اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال لفاستق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدى  
 حرق قال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله ~~كذبت~~ في نهار  
 هذا اليوم فقد وجد الشرط ووقع الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم  
 فقد وجد الشرط أيضا بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار ذلك اليوم الذي علمت  
 عتق عبدا على كذبي فيه ثم بين سبحانه وتعالى انه قادر على اذهاب الابصار كما هو قادر على  
 اذهاب البصائر بقوله تعالى (ولو نشاء) وعبر بالمضارع ليتوقع في كل حين فيكون أبلغ  
 في التهديد (لطمسنا على أعينهم) أى الظاهرة بحيث لا يبذلها جفن ولا شق وهو مسمى  
 الطمس كقوله تعالى ولو نشاء الله لذهب بسعهم وأبصارهم يقول انا أعيننا قلوبهم ولو شئنا  
 أعيننا أبصارهم الظاهرة وقوله تعالى (فاستبقوا الصراط) أى استدروا الطريق ذا هبين  
 كعادتهم عطف على لطمسنا (فأنى) أى فكيف (ييصرون) الطريق حينئذ وقد أعيننا  
 أعينهم أى لو نشاء لاضللتناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فلا ييصرون الطريق وهذا  
 قول الحسن والسدى وقال ابن عباس ومقاتل معناه لو نشاء لطمسنا أعين ضاللتهم  
 فاعينناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فأبصر وارشدهم فأنى ييصرون  
 ولم أفعل ذلك بهم \* ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال تعالى (ولو نشاء) أى مسخهم  
 (لمسخناهم) أى حولناهم عن تلك الحالة فجعلناهم حجارة أو جعلناهم قردة وخنازير \* ولما  
 كان المقصود من المفاجأة بهذه المصائب بان انه سبحانه لا كافة عليه في شئ من ذلك قال تعالى  
 (على مكاتهم) أى المكان الذى كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا به مجلوس أو قيام أو غيره  
 في ذلك الموضع خاصة قبل أن يتحرك منه وقرأ أشعبة بألف بعد النون على الجمع والباقون بغير  
 ألف على الافراد (فما استطاعوا) أى بأنفسهم بنوع معالجة (مضيا) أى الى جهة من  
 الجهات ثم عطف على جملة الشرط قوله تعالى (ولا يرجعون) أى يتجهدهم بوجه من  
 الوجوه رجوع الى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على أن هذه الامور حق لا كما يقولون من  
 أنها خيال وسحر وقيل لا يقدر على ذهاب ولا رجوع (ومن نعمره) أى نطل عمره اطالة كثيرة  
 (تنكسه) قرأه عادى وحزة بضم النون الاولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة  
 من نكسه مبالغة والباقون بفتح النون الاولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة  
 من نكسه وهى محتملة للمبالغة وعدمها ومعنى تنكسه (فى الخلق) أى خلقه نزده الى أوذل  
 العمر يشبه الصبي فى الخلق وقيل تنكسه فى الخلق أى ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد  
 زيادتها لان الله تعالى أجرى العادة فى النوع الآدمى أن من استوفى سن الصبا والشباب  
 اثنتين وأربعين سنة حسمت غرائزه فلا تزيد فيه غريزة ووقفت قواه كلها فلم يزد فيها شئ هذا

في البدن وأما في المعارف فتارة وتارة وهذا أيضا في غير الانبياء عليهم السلام اما هم فلا يتقص  
شي من قواهم بل تزداد كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عشي غير مكثرت وأن العصا  
رضي الله عنهم يجهدون أنفسهم فيكون جهدهم أن لا يدركوا مشيد الهويينا وانه صلى الله عليه  
وسلم صار عركانة الذي كان يضرب بقوة المثل وكان وان قامن نفسه أنه يصرع من صارعه فلم  
يلكه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعاد الى ذلك ثلاث مررات كل ذلك لا يتمك في يده حتى خرج  
يقول ان هذا العجب يا محمد تصرعني وحتى انه دار على نسانه وهن تسع كل واحدة منهن تسع  
مررات في طلق واحد الى غير ذلك مما يحكى من قواه التي فاق بها الناس ولم يحك عن نبي من  
الانبياء عليهم السلام ممن عاش منهم ألفا ومن عاش دون ذلك انه نقص شي من قواه بل قد ورد  
في الصحيح من حديث أبي هريرة أن ملك الموت عليه السلام أرسل الى موسى عليه السلام  
ليقبض روحه فلما جاءه صكه فنفق أعينه فقال لربه أرسلتني لعبد لا يريد الموت قال ارجع اليه  
فقل له يضح يده على متن نور قلبه بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال الموت قال  
فالأ ن وكان موسى وقت قبضه ابن مائة وعشرين سنة (أفلا يعقلون) أي أن القادر على ذلك  
عندهم قادر على البعث فيؤمنون وقرأ أفاع وابن ذكوان بانتاه على الخطاب والباقون بالياء على  
الغيبة \* ولما مضى الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم غرا نمن الفضائل مما عجز عنها الأولون  
والآخرون وأتى بقرآن أعجز الناس والجن وعالوم وبركات فاقت القوى ليس بشعر خلافا  
لما رموه به بغيا وكذبا وعدوانا قال تعالى (وما علمناه) أي نحن (الشعر) فيما علمناه وهو أن  
يتكلف التقيد بوزن معلوم وروى مقصود وقافية يلتزمها ويدير المعاني عليها ويحتلب  
الالفاظ تكلفا اليها كما كان زهير وغيره في قصائدهم وما أنامن المتكافئين لأن ذلك وان كنتم أنتم  
تعدونه نحر الا يلقى بجنابنا لانه لا يفرح به الا من يريد ترويح كلامه وتحليته بصوغه على وزن  
معروف مقصود وقافية ملتزمة على أن فيه تقيصة أخرى وهي أعظم ما يوجب التفرقة عنه وهي  
أنه لا بد أن يوهي التزامه بعض المعاني ولما لم تعلمه هذه الدناءة طبعناه على جميع فنون البلاغة  
ومكاه من سائر وجوه الفصاحة ثم أسكا قلبه ينابيع الحكمة ودريناه على القاء المعاني الجميلة  
بما ألهمناه اياه ثم ألقاه اليه جبريل عليه السلام مما أمرناه به من جوامع الكلم والحكم  
فلا تكلف عنده أصلا ما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما  
أو قطيعة رحم ولما كان الشعر مع ما بيني عليه من التكلف الذي هو بعيد جدا عن صحايا  
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف شرفهم بما يكسب مدحا وهجوا فيكون أكثره  
كذبا الى غير ذلك قال تعالى (وما ينبغي له) أي وما يصح له الشعر ولا يسهل له على ما اختبرتم  
من طبعه نحو ما من أربعين سنة لأن منصبه أجل وهمته أعلى من أن يكون مدحا  
أو عيايا أو أن يتقيد بما قد يجرت تقيصة في المعنى وجبلته منافية لذلك غاية المنافاة بحيث لو أراد  
تظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وما  
كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت \* كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا \* فقال أبو بكر  
رضي الله عنه اغما قال الشاعر \* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا \* فقال عمر رضي الله عنه  
أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابن شريح قال قلت  
لعائشة رضي الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل  
من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال \* ويأتيك بالآخبار من لم تزود \* وفي رواية قالت كان  
الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر الا بيت أخي بن قيس طرفة العبدي  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا \* ويأتيك بالآخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالآخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست  
بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان متأتيا له وأما قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم  
والبخاري أنا النبي لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب وقوله كما رواه الشيخان أيضا  
هل أنت الا اصبع دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت

فاتفق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنشورات على أن  
الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حررك الباءين في قوله أنا النبي لا كذب  
وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية من قوله هل أنت الا اصبع الخ وقيل الضمير للقرآن  
أى وما يصح أن يكون القرآن شعرا (فان قيل) لم خص الشعر بنبي التعليم مع أن الكفار كانوا  
ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جلمة الصحر والكهانة ولم يقل وما علمناه الشعر  
وما علمناه الكهانة (أجيب) بأن الكهانة انما كانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم  
اليها عندما كان يخبر عن الغيوب وتكون كما يقول وأما الصحر فكانوا ينسبونه اليه عندما  
ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكليم الجذع والحجر وغير ذلك وأما الشعر  
فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلو القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدثى الا  
بالقرآن كما قال تعالى ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأنا وبسورة من مثله الى غير ذلك  
ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فأخبروا بالغيوب أو أشبهوا الخلق الكثير بالشئ اليسير فلما  
كان يتحدث به صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنبي  
التعليم \* ولما نفي أن يكون ما أتى به من جنس الشعر قال تعالى (ان) أى ما (هو) أى هذا  
الذى أناكم به (الاذكر) أى شرف وموعظة (وقرآن) أى جامع للحكم كاهادينا واخرى  
يتلى في المحاريب ويكرز في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والنظر الى وجه  
الله العظيم (مبين) أى ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز قل ما سألكم عليه من  
أجر وما أنا من المتكفين ان هو الاذكر للعالمين كما هم ذكهم وغيبهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله  
عن بلاغته جدا انما ذكر للاذكياء جدا وقوله تعالى (لينذر) ضميره للنبي صلى الله عليه  
وسلم ويدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء الفوقية على الخطاب وقيل للقرآن ويدل له قراءة  
الباقيين بالياء التحتية على الغيبة واختلف في قوله تعالى (من كان حيا) على قولين أحدهما

أن المراد به المؤمن لانه حتى القلب والكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى أو من كان  
 ميتاً فأحييناه والثاني المراد به العاقل فهم ما في عقل ما يخاطب به فان الغافل كالميت (ويحوق)  
 أي يجب ويثبت (القول) أي العذاب (على الكافرين) أي الغريبين في الكفر فانهم  
 أموات في الحقيقة وان رأيهم أحياء ويمكن أن تكون هذه الآية من الاحتباك حذف  
 الايمان أولاً للمادل عليه من ضده ثانياً وحذف الموت ثانياً للمادل عليه من ضده أولاً وأفرد  
 الضمير في الاقل على اللفظ اشارة الى قوله السعداء وجمع في الثاني على المعنى اعلاماً بكثرة  
 الاشقياء (أولم يروا) أي يعلموا علمها هو كالرؤية والاستفهام للتقرير والواو والداخله عليه اللعطف  
 (انا خلقناهم) أي في جملة الناس (مما علمت أيدينا) أي مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه  
 غيرنا وذكرا لا يدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد المبالغة في الاختصاص والتفرد في  
 الاحداث كما يقول القائل علمت هذا يدي اذا تقرب به ولم يشاركه فيه أحد (أنعاماً) على  
 علم منافعها ومقاديرها ومنافعها وطبائعها وغير ذلك من أمورها وانما خص الانعام بالذكر  
 وان كانت الاشياء كلها من خلقه وإيجاده لان الانعام أكثر أموال العرب والنفع بها أعم  
 (فهم لها مال كون) أي خلقناها لا أجلهم فلكأهم ايها يتصرفون فيها تصرف الملاك  
 أو فهم لها ضابطون فأهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لأملك السلاح ولا \* أملك رأس البعيران نصرا

والذئب أخشاه ان مررت به \* وحدي وأخشى الرياح والمطرا

والشاهد في قوله ولا أملك رأس البعير أي لا أضبطه والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من  
 بني آدم لا يقدر على ضبطها بل خلقناها مذللة كما قال تعالى (وذللناها لهم) أي يسرنا  
 قيادها ولو شئنا جعلناها وحشية كما جعلنا أصغر منها وأضف فن قدر على تدليل الاشياء  
 الصعبة جدا غيره قادر على تطويق الاشياء لنفسه ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (فنهركوبهم)  
 أي ما يركبون وهي الابل لانها أعظم من كوباتهم لعموم منافعها في ذلك وكثرتها (ومنها  
 يأكلون) أي ما يأكلون لحمه \* ولما أشار الى عظمة نفع الركوب والاكل بتقديم الجارة  
 وكانت منافعها الغيرة كذلك كثيرة قال تعالى (وله من فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها  
 وأشعارها وجلودها ونسلها وغير ذلك (ويشارب) أي من البانج جمع مشرب بالفتح وخص  
 الشرب من عموم المنافع بعموم نفعه وجمعه لاختلاف طعم ألوان الثلاثة ولما كانت  
 هذه الاشياء من العظمة فكان لو فقدتها الانسان لتكدرت معيشته تسبب عنها استئناس  
 الانكار عليهم في تخلفهم عن طاعته بقوله تعالى (أفلا يشكرون) أي المنعم عليهم بها فيؤمنون  
 ولما ذكرهم تعالى نعمه وحذرهم نقمه عجب منهم في سفول نظرهم وقبح أثرهم بقوله تعالى  
 مو يخالهم (واتخذوا من دون) أي غير (الله) الذي له جميع صفات الكمال والعظمة (الهة)  
 أي أصناما يعبدونها بعد ما رأوا امنه تعالى تلك القدرة الباهرة والنم المتظاهرة وعلموا انه  
 المنفرد بها (لعلهم يتصرون) أي رجاء أن ينصروهم فيما أحرزتهم من الامور والامر بالعكس



كما قال تعالى (لا يستطيعون) أي الالهة المتخذة (نصرهم) أي العابدين (وهم) أي العابدون  
 (لهم) أي للالهة (جند محضرون) أي الكفار جند للاصنام فيغضبون لها ويحضرونها  
 في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود  
 من دون الله تعالى ومعداتباعه الذين عبدوه كانوا جنده يحضرون في النار وهذا كقوله  
 تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا  
 وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم \* ولما بين تعالى ماتين  
 من قدرته الظاهرة الباهرة ووهن أمرهم في الدنيا والآخرة ذكر ما يسلى نبيه صلى الله عليه وسلم  
 بقوله تعالى (فلا يحزنك قواهم) أي في تكذيبك كقولهم استمرسلا (ان تعلم ما) أي كل  
 (يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب وغيره (وما يعلنون) أي يظهرونه بالسنتهم من الأذى  
 وغيره من عبادة الاصنام فنجازيهم عليه \* ولما ذكر تعالى دليلا على عظم قدرته ووجوب عبادته  
 بقوله تعالى أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ذكرا دليلا من الانفس أئين من الأول  
 بقوله تعالى (أولم ير) أي يعلم (الانسان) علما هو في ظهوره كالخسوس بالبصر (انما خلقناه)  
 أي بالنامن العظمة (من نطفة) أي شئ حقير يسير من ماء لا انتفاع به بعد ابد اعنا اياه من تراب  
 وأنه من لحم وعظام (فاذا هو) أي فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجأة لحالة هي أبعد شئ  
 من حالة النطفة وهي انه (خصيم) أي بليغ الخصومة (مبين) أي في غاية البيان عما يريد  
 حتى انه يجادل من اعطاء العقل والقدرة في قدرته وأنشدا الاستاذ القشيري في ذلك

أعلمه الرماية كل يوم \* فلما استدساعده رماني

وكم علمته علم القوافي \* فلما قال فاقية هجاني

وفي هذا تسلية ثانية تهوّن ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشرو فيه تقييح بليغ لانكاره  
 حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاته بخود القدرة على ما هو اهورن مما علمه  
 في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شئ وأمهنة شريفا  
 مكرما بالعقوق والتكذيب (وضرب) أي هذا الانسان (لنا) أي على ما يعلم من عظمتنا  
 (مثلا) أي أمر اعجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى روى ان أبي بن خلف الجمعي وهو  
 الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بأحد مبارزة اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتنه  
 بيده فقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار  
 فترأت وقيل هو العاصي بن وائل قاله الجلال المحلى وأكثر المفسرين على الاول (ونسى) أي  
 هذا الذي تصدى على مهانة أصله لمخاضة الجبار (خلقته) أي بدء أمره من المنى وهو أغرب  
 من مثله والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول وأن يكون بمعنى الترك ثم استأنف الاخبار  
 عن هذا المثل بأن (قال) أي على طريق الانكار (من يحيي العظام وهي رميم) أي صارت  
 ترابا ترمع الرياح ورميم قال البيضاوي بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغبلة ولذلك لم يؤنث  
 أو اسم مفعول من رمته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء اه

قال البغوي ولم يقل رمية لانه معدول عن فاعله فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان  
 مصروفا عن اعرابه كقوله تعالى وما كانت أتتك بغيا أسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية  
 \* (تنبيه) \* هذه الآية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر لان المنكرين للحشر منهم من لم يذكرفيه  
 دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون أننا ضللنا في الارض أنسألني خلق  
جديدا أننا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون من يحيي العظام وهي رميم قالوا ذلك على طريق  
 الاستبعاد فأبطل الله تعالى استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه أي نسي اننا خلقناه من تراب  
 ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام أعضاء مختلفة الصورة وما  
 اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذان بهما  
 استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من  
 نطفة مذرة لم تكن محلا للحياة أصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه  
 واختاروا العظم بالذكر لانه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوى جانب  
 الاستبعاد من البلاء والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم  
 فقال وضرب لنا مثلا أي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من  
ذكر شبهة وان كان في آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم  
لم يبق شيأ فكيف الحكم على العدم بالوجود فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بأن قال تعالى لنبيه  
صلى الله عليه وسلم قل) أي لهؤلاء البعداء البغضاء (يحييها) أي بعد أن أنشأها أول مرة  
(الذي أنشأها) أي من العدم ثم أحيها (أول مرة) فكما خلق الانسان ولم يكن شيأ  
مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيأ منذ كورا الوجه الثاني ان من تفرقت أجزاءه في مشارق  
العالم ومغاربه وصار بعضها في أبدان السباع وبعضها في حواصل الطيور وبعضها  
في جذران الربوع كيف تجتمع وأبعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصار أجزاء الماء كحل  
في أجزاء الاكل فان أعيدت أجزاء الاكل فلا يبقى للماء كحل أجزاء تتخلق منها أعضاؤه واما  
أن تعاد الى بدن الماء كحل فلا يبقى للاكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي الماء كحل كذلك  
فاذا اكل انسان انسانا صار الاصل من أجزاء الماء كحل فضليا من أجزاء الاكل والاجزاء  
الاصلية للاكل هي ما كان قبل الاكل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (وهو بكل  
خلق) أي مخلوق (عليم) أي يجمع الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للاكل  
ويجمع الاجزاء الاصلية للماء كحل وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع أجزاءه المتفرقة في البقاع  
المبتددة بحكمته وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال  
انكارهم بقوله تعالى (الذي جعل لكم) أي في جملة الناس (من الشجر الاخضر) أي  
الذي نشاهدون فيه الماء (نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ  
والاخرى العفار الاول يفتح الميم وسكون الراء والحاء المجهمة شجر سريع الوري أي القديح  
والثاني يفتح المهملة وفاء وراء بعد ألف الزندقن أراد منهما النار قطع منهما غصنين منسل

السواكين وهما أخضران يقطران الماء فيسحق المرخ وهو ذكركر على العفار وهو أنثى فيخرج  
منهما النار باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستعبد المرخ والعفار وقال  
الحكباء في كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم) أى فتسبب عن ذلك مفاجاتكم لانه  
(منه) أى من الشجر الموصوف بالخضرة (توقدون) أى توجدون الا يقاد ويتجدد لكم ذلك  
مرة بعد أخرى وهذا أدل على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء  
يطغى النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس  
الذى خلق) أى أوجد من العدم (السموات والارض) أى على كبرهما وأعظم ما فيهما من  
المنافع والمصانع والمعائب والبدائع وأثبت الجارحة تحية قال الامرونأ كيد اللتقرير فقال تعالى  
(بقادر على أن يخلق مثلهم) أى مثل هؤلاء الاناسى فى الصغر أى يعيدهم باعيانهم وقيل  
الضمير يعود على السموات والارض لتضمنهم من يعقل والاول أظهر لانهم المخاطبون وقوله  
تعالى (بلى) جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام المصير لها ايجاباً أى هو قادر على ذلك  
أجاب نفسه تعالى (وهو) مع ذلك أى مع كونه عالماً بالخلق (الخلق) أى الكثير الخلق  
(العليم) أى البالغ فى العلم الذى هو منشأ القدرة فلا يخفى عليه كلى ولا جزئى فى ماض ولا حال  
ولا مستقبل شاهد أوثق \* ولما تقرر ذلك انج قوله تعالى مؤكداً لاجل انكارهم القدرة  
على البعث (انما أمره) أى شأنه ووصفه (اذا أراد شيئاً) أى خلق شيئاً من جوهر أو عرض أى  
شيء كان (أن يقول له كن) أى أن يريد (فيكون) أى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده  
بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاوله عمل  
واستعمال آلة قطع المادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وقرأ ابن عباس  
والكسائى بنصب النون عطف على يقول والباقون بالرفع أى فهو يكون \* ولما كان ذلك  
تسبب عنه المبادرة الى تنزيهه تعالى عما يشربوه له من الامثال فلذلك قال (فسبحان) أى  
تنزه عن كل شائبة نقص تنزهها لا يبلغ افهامكم كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية  
العظمة فقال (الذى بيده) أى قدرته وتصرفه خاصة لا يبد غيره (ملكوت كل شئ) أى  
ملكه التام وملكه ظاهر وباطن \* ولما كان التقدير منه تدون عطف عليه قوله تعالى (والله)  
أى لا الى غيره (ترجعون) أى معنى فى جميع أموركم وحساب البعث لينصف بينكم فيدخل  
بعض النار وبعض الجنة وعن ابن عباس كنت لأعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به  
فاذا به لهذه الآية ومارواه البيضاوى عنه صلى الله عليه وسلم أن لكل شئ قلباً وقلب القرآن  
يس وایما سلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك  
يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبض روحه وغسله ويتبعون  
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وایما سلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك  
الموت روحه حتى يحبته رضوان بشرية من الجنة فيسرها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو  
ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو

ريان حديث موضوع وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفورا له وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنة وعن يحيى بن أبي كثير قال بلغنا أن من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

### ❖ (سورة الصافات مكية) ❖

وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا (بسم الله) الذي له الكمال المطلق (الرحمن) الذي من رحمة العدل في الدارين (الرحيم) الذي لا يدنو من جنابه نقص واختلاف في تفسير قوله تعالى (والصافات صفا) أي وهو ترتيب الجمع على خط فقال ابن عباس والحسن وقتادة هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للسلاة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كصفوف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقيل هي الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل هي الطير تصف أجنتها في الهواء لقوله تعالى والطير صافات واختلف أيضا في قوله تعالى (فالزاجرات زجرا) فأكثر المفسرين على أنها الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح واختلف أيضا في قوله تعالى (فالتاليات ذكرا) فالأكثر أيضا أنهم الملائكة عليهم السلام يملون ذكر الله تعالى وقيل هم جماعة قراء القرآن (فان قيل) قال أبو مسلم الاصفهاني لا يجوز جعل هذه الاضافات على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة عليهم السلام مبرؤون من هذه الصفة (أجيب) بوجهين الأول أن الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم تجمع على صافات والثاني أنهم مبرؤون من التأنيث المعنوي وأما التأنيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة \* (تنبيه) \* اختلف الناس ههنا في المقسم به على قولين أحدهما أن المقسم به خالق هذه الاشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولأن الحلف في مثل هذا الموضوع تعظيم للمعروف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى ففي ذلك اضمات تقديره ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التاليات ومما يؤيد هذا أنه تعالى صرح به في قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طعماها ونفس وما سواها والثاني وعليه الاكثر ان المقسم به هذه الاشياء اظاها اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل وأما النهي عن الحلف بغير الله تعالى فهو نهى للمخلوق عن ذلك وأما قوله تعالى وما بناها فانه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالبانى للسماء ولو كان المراد بالقسم بالسماء القسم عن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وهو لا يجوز وأيضا لا يعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وقال البيضاوي أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار

الهيبة منتظرين لامر الله الزاجرين للاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها والناس  
 عن المعاصي بالهام الخيرا والشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلالها قدسه على  
 أنبيائه وأوليائه أو بطواف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوفة والارواح المدبرة لها  
 والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو ينقوس العلماء  
 الصادقين في العبارات الزاجرين عن الكفر والنسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله  
 وشرائعه أو ينقوس الغزاة الصادقين في الجهاد الزاجرين للخيل والعدو والتالين ذكر الله  
 لا يشغلهم عنه مباراة العدو وقال الزنجشيري الفناء في فالزاجرات والتاليات اما أن تدل على  
 ترتب معانيها في الوجود كتوله **يا هف زياة للعرث الصابح فالغائم فالآيب**  
**أى الذى صبح فغتم فآيب** واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه **كقولك**  
**خذنا الافضل فالأكل** واعمل الاحسن فالاجل واما على ترتب موصوفاتها كقوله **رحم**  
**الله المحلقين فالمتصرين والبيضاوى ذكره هذا حديثا قال شيخنا القاضى زكريا لم أره بهذا**  
**اللفظ اه** لكنه لفصل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس **وقرأ أبو عمرو وجوزة بالادغام**  
**فما ذكر والباقون بالاظهار وجواب القسم (ان الهكم) أى الذى اتخذتم من دونه آلهة**  
**(لواحد) اذ لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفا والزر وال تلاوة وما يترتب**  
**عليها فكان غير حكيم (فان قيل) ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبيان من وجهين**  
**الاول أن المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن أو الكافر فالاول باطل**  
**لان المؤمن مقتربه من غير حلف والثانى باطل أيضا لان الكافر لا يقربه سواء حصل الحلف**  
**أو لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير الثانى أنه يقال أقسم في أول هذه**  
**السورة على أن الاله واحد وأقسم في أول سورة الذاريات على أن القيامة حق فقال**  
**والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبت هذه المطالب**  
**العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمنالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء (أجيب)**  
**عن ذلك بأوجه أولها أنه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في غالب السور بالدلائل**  
**اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تأكيد لما تقدم لاسمها والقرآن**  
**أنزل بلفظة العرب واثبت المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوقة عند العرب ثانيا أن**  
**المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بأنها آلهة فكانه قيل ان هذا**  
**المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفى في ابطاله مثل هذه الحجج ثالثها أنه تعالى**  
**لما أقسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد عقبه بما هو الدليل اليقيني في كون**  
**الاله واحدا وهو قوله تعالى (رب) أى موجود ومالك ومدبر (السموات) أى الاجرام**  
**العالية (والارض) أى الاجرام السافلة (وما بينهما) أى من الفضاء المشهور بما يجوز**  
**عن عده القوى وذلك لانه تعالى بين في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ان النظام**  
**أحوال السموات والارض يدل على أن الاله واحد فهنا لما قال ان الهكم لواحد أردفه**

بقوله رب السموات والارض وما بينهما كأنه قيل بينا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على أن الاله واحد فتاة لولا يحصل لكم العلم بالتوحيد \* (تنبيه) \* علم من قوله تعالى وما بينهما أنه تعالى خالق لأعمال العباد لأن أعمالهم موجودة فيما بين السماء والارض وهذه الآية دلت على أن كل ما حصل بين السماء والارض فالله ربه وما لكم وهذا يدل على أن فعل العبد حصل بخلاق الله تعالى (فان قيل) الاعراض لا يصح وصفها بأنها حصلت بين السماء والارض لأن هذا الوصف انما يكون حاصل في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك (أجيب) بأنها لما كانت حاصلة في الأجسام الحاصلة بين السماء والارض فهي أيضا حاصلة بين السموات والارض (ورب المشارق) أي والمغرب وجعلها باعتبار جميع السنة فان الله تعالى خلق للشمس ثمانمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لا ترجع الى الكوة التي تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع أشرق عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كأنه أراد جميع ما أشرق عليه الشمس وقيل المراد بالمشارق مشارق الكواكب ومغاربها لأن لكل كوكب مشرقا ومغربا (فان قيل) ان الله تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين فالجمع بين هذه المواضع (أجيب) بأن المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة ويقول تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرقا والشتاء والاصيف ومغربا والشتاء والاصيف وأمام موضع الجمع فقد مر (فان قيل) لم اكنفي بذكر المشارق (أجيب) بوجهين الاول انه اكنفي به كقوله تعالى تقيم لكم الحز والثناني ان الشروق أقوى حالا من الغروب وأكثر نفعا منه فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذا الدققة استدلل ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يأتي بالشمس من المشرق (انازينا) أي بعظمتنا التي لا تداني (السماء) ولما كانوا الايرون الاما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال تعالى (الدينا) اي التي هي أدنى السموات اليكم (زينة الكواكب) أي بضوئها كما قاله ابن عباس أو بها وقرأ عاصم وحزرة زينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة تنوين بزينة الميمنة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرهما الباكون (فان قيل) قد ثبت في علم الهيئة أن هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماها الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (أجيب) بأن الناس الساكنين على سطح كرة الارض ان نظروا الى السماء الدنيا فانهم يشاهدونها من زينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى (وحفظا) منصوب بفعل مقدر أي حفظناها بالشهب أو معطوف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا (من كل شيطان) أي بعيد

عن الخبير محترق (مارد) أى عات خارج عن الطاعة \* ولما تشوف السامع الى معرفة هذا  
 الحفظ وغرته وبيان كَيْفِيَّتِهِ اسْتَأْنَفَ قَوْلَهُ تَعَالَى (لَا يَسْمَعُونَ) أى الشياطين المفهومون  
 من كل شيطان (الى الملا الأعلى) أى الملائكة أو اشراقهم فى السماء وعدى السماع بالى  
 لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لِنَفْسِهِ وَتَهْوِيلًا لِمَا يَمْنَعُهُمْ عَنْهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ جِزَةِ وَالْكَسَائِ  
 وَحِفْظُ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَتَشْدِيدِهَا وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ مِنَ التَّسْمَعِ وَهُوَ طَلِبُ السَّمَاعِ وَقِرَاءَةُ الْبَاقُونَ  
 بِسُكُونِ السَّيْنِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ (وَيَقْتَدِفُونَ) أى الشياطين يرمون بالشهب (من كل جانب)  
 أى من آفاق السماء وقوله تعالى (دحورا) مصدر دحره أى طرده وأبعده وهو متعول له  
 وقيل هو جمع داحر نحو قاعد و قعود فيكون حالاً بنفسه من غير تأويل وقيل غير ذلك  
 (ولهم) أى فى الآخرة (عذاب) غير هذا (واصب) أى دائم وقال مقاتل أى دائم  
 فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى (الامن خطف) فيه وجهان أحدهما أنه مرفوع  
 المهمل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو أحسن لأنه غير موجب والثانى أنه منصوب على أصل  
 الاستثناء والمعنى أن الشياطين لا يسمعون الملائكة الامن خطف وقوله تعالى (الخطفة)  
 مصدر معرف بالجنسية أو المعرفة ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملائكة  
 مسارقة (فاتبعه) أى لحقه (تهاب) أى كوكب (ثاقب) أى مضى قوى لا يحطئه يقتله  
 أو يحرقه أو ينقبه أو يخبله \* (تنبيه) \* ههنا سؤالات أولها أن هذه الشهب التى يرمى بها  
 هل هى من الكواكب التى زين الله السماء بهم أم لا والاوّل باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت  
 تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب  
 السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وأيضا جعلها رجوما  
 للشياطين مما يوجب وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين  
 كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك فهو أيضا  
 مشكل لأنه تعالى قال فى سورة الملك ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما  
 للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد على المصابيح فوجب أن تكون تلك المصابيح هى  
 المرجوم بها بأعيانها ثانياً كيف يجوز أن تذهب الشياطين حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم  
 ولا يصلون الى تنصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين  
 الذين لهم منية فى معرفة الحيل الدقيقة بالثبات التواريخ المتواترة على أن حدوث الشهب  
 كان حاصل قبل مجئ النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل  
 مجئ النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه واذا ثبت أن  
 ذلك كان موجودا قبل مجئ النبي صلى الله عليه وسلم امتنع جله على مجئ النبي صلى الله عليه  
 وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى خلقتنى من نار  
 وقال تعالى والجآن خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات  
 واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار (أجيب) عن الاول بأن هذه الشهب غير تلك

الكواكب الثابتة وأما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين  
فمقول كل نير يحصل في الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض الا أن تلك المصابيح منها باقية على  
وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهى هذه الشهب التى يحدثها الله  
تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثانى بأن هذه  
الواقعة انما تتفق فى النادرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين وأجاب أبو على  
الجلبائى بأن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والالم يذهبوا اليه وانما ينعنون من المصير  
الى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة فرمصاصوا الى موضع تصيبهم الشهب ورمصاصوا  
الى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا فى بعض الاوقات وسلموا فى بعض  
الاوقات جاز أن يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم أنهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فى  
سلك البحر أن يسلكه فى موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفى جواب أبى على نظر اذ ليس فى  
السماء موضع قدم الا وفيه ملك قائم أو راع أو ساجد وعن الثالث بأن الاقرب ان هذه الحالة  
كانت موجودة قبل النبى صلى الله عليه وسلم لكن بقله ولما جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقعت  
بكثرة فصارت بسبب الكثرة محجزة وعن الرابع بأن الشياطين ليسوا من نار خاصة وعلى التنزل  
بأنهم من النيران الخالصة الا أنهم نيران ضعيفة ونيران الشهب أقوى حالاً منهم فلا جرم صار  
الأقوى مبطلاً للاضعف الا ترى أن السراج الضعيف اذا وضع فى النار القوية فانه ينطفى  
فكذلك ههنا \* ولما كان المقصود الاعظم من القرآن اثبات الاصول الاربعة وهى الالهيات  
والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر افتتح الله سبحانه هذه السورة باثبات ما يدل على  
الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووجدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ما ورب  
المشارك والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والتشر والقيامة وهو أن من قدر على ما هو أشق  
وأصعب وجب أن يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى (فاستفتهم) أى سل كفار مكة  
أن يقولوا بأن يسئوا لك ما نسألهم عنه من انكارهم البعث وأصله من الفتوة وهى الكرم  
(أهم أشد) أى أقوى وأشق وأصعب (خلقنا) أى من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمتها  
(أم من خلقنا) أى من الملائكة والسموات والارض وما بينهما والمشارك والكواكب والشهب  
النواقب \* (تنبيه) \* فى الاثبات عن تغليب للعقلاء وهو استفهام يعنى التقرير رأى هذه الاشياء  
أشد خلقاً كقوله تعالى خلقت السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أنتم أشد  
خلقاً أم السماء بناها وقيل معنى أم من خلقنا أى من الامم الماضية لان لفظ من يذكرون يعقل  
والمعنى ان هؤلاء الامم ليسوا بأحكام خلقاً من غيرهم من الامم الخالية وقد أهل كاهم بذنوبهم  
فمن الذى يؤمن هؤلاء من العذاب (انا خلقناهم) أى أصلهم آدم بعظمنا (من طين) أى تراب  
رخومهم (لازب) أى شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق ونخر بحيث يعلق باليد وقال  
مجاهد والضالك مستن فهو مخلوق من غير أب ولا أم وقرأ حزة والكسائى (بل عجت)  
بضم التاء والباقون يفتحها أما بالضم فباستناد التهجى الى الله تعالى وليس هو كالتعجب



من الآدميين كما قال تعالى فيسخرزون منهم سخر الله منهم وقال تعالى نسوا الله فنسيهم فالحجب  
 من الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قديكون بمعنى الانكار والذم وقديكون  
 بمعنى الاستحسان والرضا كما في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب  
 ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع  
 الصوت بالبكا وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شيء ولو كان وافق  
 رسوله صلى الله عليه وسلم فلما عجب رسوله قال تعالى وان تعجب فمجب قولهم أي هو كما تقول  
 وأما بالفتح فعلى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجب من تكذيبهم اياك (ويسخرزون)  
 أي وهم يسخرزون من تعجبك قال قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين  
 أنزل ومن ضلال بنى آدم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من سمع القرآن  
 يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخر وامنه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه  
 وسلم فقال تعالى بل عجبنا ويسخرزون (واذا ذكروا) أي وعظوا بالقرآن (لا يذكرون)  
 أي لا يعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس وقتادة يعني انشقاق القمر (يسخرزون)  
 أي يستهزؤون بها وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية (وقالوا ان) أي ما (هذا  
 الاسحرميين) أي ظاهر في نفسه ومظهر لسخريته ثم خصوا البعث بالانكار اعلاما بأنه أعظم  
 مقصود بالنسبة الى السحر فقالوا ومظهرين له في مظهر الانكار (أندأمتنا) وعظفوا عليه  
 ما هو موجب عندهم لشدة الانكار فقالوا (وكأ) أي كونا في غاية التمكن (ترابا) وقدموه  
 لأنه أدل على مرادهم لأنه أبعد عن الحياة (وعظاما) كأنهم جعلوا كل واحد من الموت  
 أو الكون الى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهم ما مانعا من البعث وهذا بعد  
 اعترافهم بأن ابتداء خلقتهم كان من التراب ثم كرروا الاستفهام الانكاري على قراءة تمن  
 قرأه كما سيأتي بيانه زيادة في الانكار (فقالوا أئنا لمبعوثون) وقولهم (أواباؤنا الاولون)  
 عطف على محل ان واسمها وعلى الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة  
 الاستبعاد لبعده زمانهم وهذا بيان للسبب الذي جعلهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وهو  
 اعتقادهم أن من مات وتفرقت أجزاءه في العالم فإفنيه من الارض اختلط بالارض وما فيه من  
 المائية والهوائية اختلط بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ثم أنه تعالى  
 لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء البغضاء  
 (نعم) أي تبعثون على كل تقدير قدرته (وأنتم داخرون) أي مكرهون عليه صاغرون ذليلون  
 وانما كتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لأنه ذكر في الآية المتقدمة البرهان القطعي على انه  
 أمر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع الا بالخبر والخبر الصادق  
 فلما قامت المحجة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله نعم  
 دليلا قاطعا على الوقوع وقرأمتنا بضم الميم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وكسرها  
 الباقون وأما أندأمتنا فقرأت نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وابن

عامر بالخبر في الاول والاستفهام في الثاني والباقون بالاستفهام فيهما وسهل الهمزة الثانية  
 في الاستفهام نافع وابن كثير وأبو عمرو ووحقق الباقر وأدخل في الاستفهام الفاعلين  
 الهمزتين قالون وأبو عمرو وهشام والباقرين بغير ادخال وقرأ قالون وابن عامر وأبو نابسكون  
 الواو على انها أو العاطفة المتضمنة للشك والباقرين بفتحها على أنها همزة الاستفهام دخلت على  
 واو العطف وقرأ الكسائي نعم بكسر العين وهو لغة فيه وقوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة)  
 جواب شرط مقدر أي اذا كان كذلك فانما البعثة زجرة أي صحيحة واحدة هي النفخة الثانية  
 من زجر الراعي غنمها اذا صاح عليها وأمرها في الاعداء كما مرها بكن في الابداء ولذلك رتب عليها  
 (فاذا هم ينظرون) أي أحياء في الحال من غير هلة ينظر بعضهم بعضا وقيل ينظرون ما يحدث  
 لهم أو ينظرون الى البعث الذي كذبوا به ولا فرق بين من صار كاهن ترابا ومن لم يتغير أصلا ومن  
 هو بين ذلك قال البقاعي ولعله خص النظر بالذكور لانه لا يكون الامع كال الحياة ولذلك قال صلى  
 الله عليه وسلم اذا قبض الروح تبعه البصر وأما السمع فقد يكون لغير الحى لانه صلى الله عليه  
 وسلم قال في الكفار من قتلي بدر ما أنتم بأسمع لما أقول منهم قال وشاهدت أنا في بلاد العرب  
 المجاورة لنا بلس شجرة لها شوك يقال لها الغبير متى قيل عندها هات لي الخجل لا قطع هذه  
 الشجرة أخذ ورقها في الحال في الذبول فانه سبحانه أعلم ما سبب ذلك اه \* (تنبيه) \* لا أثر  
 للصيحة في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال تعالى الذي خلق  
 الموت والحياة روى أن الله تعالى يأمر الملك اسرافيل فينادي أيها العظام النخرة والجلود  
 البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى (وقالوا) أي كل من جمعه البعث من الكفرة  
 بعد القيام من القبور معلنين بما انكشف لهم من أنه لا ملازم لهم غير الويل (يا ويلنا) أي هلاكنا  
 وهو مصدر لا فعل له من لفظه وقال الزجاج الويل كلمة يقولها التائل وقت الهلكة وتقول لهم  
 الملائكة (هذا يوم الدين) أي الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي بين الخلائق (الذي كنتم به  
 تكذبون) وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض وقوله تعالى (احشروا) أي اجعوا بكره وصغار  
 (الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بالشرك أمر من الله تعالى للملائكة عليهم السلام وقيل  
 أمر من بعضهم لبعض أي احشروا الظلمة من مقامهم الى الموقف \* وقيل منه الى جهنم  
 (وأزواجهم) أي وأشباهم عابد والصنم مع عبدة الصنم وعابدوا الكواكب مع عبدةها  
 كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي أشكالا وأشباها وقال الحسن وأزواجهم المشركات  
 وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى أي يقترن كل كافر  
 مع شيطانه في سلسلة (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي غيره في الدنيا من الاوثان  
 والطواغيت زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ومثل الاوثان الذين رضوا بعبادتهم لهم ولم ينكروا  
 عليهم ذلك ويأمرهم بعبادة الله تعالى الذي تفرد بعبودته وصفاة الكمال وقال  
 مقاتل يعنى ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى أن لا تعبدوا الشيطان (فاهدوهم الى صراط  
 الجحيم) قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم قال البغوي والعرب

تسمى السابق هاديا قال الواحدى هذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهوادى  
 وهاديات الوحش ولا يقال هدى بمعنى قدم (وقفوههم) أى احبسوهم قال البغوى قال  
 المفسرون لما سبوا الى النار حبسوا عند الصراط فقتل لهم قفوههم (انهم مستولون) قال ابن  
 عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لاله الا الله وقيل تسألهم خزنة جهنم عليهم  
 السلام ألم يأتكم نذير أى رسل منكم جاؤكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على  
 الكافرين وروى عن أبي برزة الاسلمى قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع  
 عن عمره فيم أفناه وعلمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقته وعن جسمه فيم أبلاه  
 وفي رواية وعن شبايه فيم أبلاه وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع  
 دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوههم انهم  
 مستولون ويقال لهم توبينا (مالكم) أى أى شئ حصل لکم شغلکم وألهاكم حال  
 كونكم (لاتناصرون) قال ابن عباس لا ينصر بعضهم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك أن  
 أباجهه قال يوم بدر نحن جميع منتصرف قتل لهم يوم القيامة مالكم لاتناصرون وقيل  
 يقال للكفار ما لشر كائكم لا يمنعونكم من العذاب ويقال عنهم (بل هم اليوم مستسلمون)  
 قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منتقادون يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع  
 والمعنى هم اليوم اذلاء منتقادون لاجله لهم في دفع تلك المنار \* ولما أخبر سبحانه وتعالى عنهم  
 بانهم سئلوا فلم يجيبوا رجا كان يظن انهم أخرسوا فنبه على أنهم يتكلمون بما يزيد تكذيبهم  
 فقال عاطنا على قوله تعالى وقالوا يا ويلنا (وأقبل بعضهم) أى الذين ظلموا (على بعض)  
 أى بعد ايقافهم لتوبيخهم وعبر عن خصامهم تكلمهم بقوله تعالى (يتساءلون) أى  
 يتسألون ويتخاصمون (قالوا) أى الاتباع منهم للمتبعين (انكم كنتم تأوتون عن اليمين)  
 قال الضحاك أى من قبل الدين فتصلون تناعنه وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة  
 عن الدين الحق كما أخبر الله تعالى عن ابليس لعنه الله تعالى ثم لا تينهم من بين أيديهم  
 ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل  
 الدين فليس عليه الحق واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن  
 أفضل من الجانب الايسر قال ابن عادل لاتباثر الاعمال الشريفة الا باليمين ويتساءلون  
 بالجانب الايسر وكان صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في شأنه كله وكاتب الحسنات  
 من الملائكة على اليمين ووعد الله تعالى المؤمن أن يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء  
 كانوا يحلقون للمستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين عن  
 القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين (قالوا) أى المتبعون لهم (بل لم تكونوا  
 مؤمنين) أى وانما يصدق الاضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعت عن الايمان البنا وانما  
 الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى قوة وقدرة حتى نتهركم ونهجركم على  
 متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أى ضالين مثلنا (حق) أى وجب (علينا) جميعا (قول)

ربنا) أى كلمة العذاب وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (أنا)  
 أى جميعا (لذا نبتون) أى العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم (فأغويننا كم) أى فاضلناكم  
 عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه (أنا كنا غاوين) أى ضالين فأحييتهم أن تكونوا مثلنا  
 وفيه إيحاء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية باغوا غاوين أغوى  
 الأول قال الله تعالى (فأنهم) أى المتبوعين والاتباع (يومئذ) أى يوم القيامة (في العذاب  
 مشتركون) أى كما كانوا مشتركين في الغواية (أنا) أى بما لنا من العظمة والقدرة (كذلك)  
 أى كما نفعنا بهؤلاء (نفعنا بالمجرمين) غير هؤلاء أى نعتبهم التابع منهم والمتبوع ثم وصفهم  
 الله تعالى بقوله (أنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة  
 التوحيد أو عن يدعوهم إليها (ويقولون أمنا) فى الهمزتين مامتر (لتأركوا آلهتنا الشاعر  
 مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى كذبهم فى ذلك الكلام بقوله تعالى  
 (بل جاء بالحق) أى الدين الحق (وصدق المرسلين) أى صدقهم فى مجيئهم بالتوحيد فأتى  
 بما أتى به المرسلون من قبله ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال تعالى (انكم لذا تقولوا العذاب  
 الاليم) ثم كانه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالى الغنى عن الضر والنفع أن يعذب  
 عباده فأجاب بقوله تعالى (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى جزاء عملكم وقوله تعالى  
 (الاعباد لله المخلصين) أى المؤمنين استثناء منقطع وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام بعد  
 الخاء أى ان الله تعالى أخلصهم واصطفاهم بفضله والباقون بالكسر أى أنهم أخلصوا الطاعة  
 لله تعالى وقوله (أولئك لهم) أى فى الجنة (رزق معلوم) أى بكرة وعشيان لخالهم  
 وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة أو عشية وقيل  
 معلوم الصفة أى مخصوص بصنات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه أنهم يتيقنون  
 دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينتقطع وقيل معلوم القدر الذى يستحقونه  
 بأعمالهم من ثواب الله تعالى وقوله (فواكه) يجوز أن يكون بدلا من رزق وأن يكون خبر  
 مبتدأ مضمرا أى ذلك الرزق فواكه وفى الفواكه جمع فاكهة قولان أحدهما أنها عبارة عما  
 يؤكل للتلذذ لا للعاجزة وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة  
 بالاقوات فان أجسامهم محكمة مخلوقة لا يدفكل ما يأكلونه فعلى سبيل التلذذ والثانى أن  
 المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الأعلى أى لما كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان  
 المأكول للغذاء أولى بالحضور (وهم مكرمون) أى فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال  
 لا كما عليه رزق الدنيا ولما ذكر ما كرمهم ذكر مسكنهم بقوله تعالى (فى جنات النعيم) أى  
 فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو متعلق بمكرمون أو خبر ثان لا أولئك أو حال من المستمكن  
 فى مكرمون وقوله تعالى (على سرر متقابلين) أى لا يرى بعضهم قفا بعض حال ويجوز أن  
 يتعلق على سرر بمتقابلين \* ولما ذكر سبحانه وتعالى المأكول والمسكن ذكر بعد ذلك صفة

المشرب بقوله تعالى (يطاف عليهم) أى على كل منهم (بكأس) أى بآناه فيه خمر فهو واسم  
للآناه بشرابه فلا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب والآفهو آناه وقيل المراد بالكأس الخمر  
كقول الشاعر

وكأس شربت على لذة \* وأخرى تداويت منها بها

أى رب كأس شربت لطلب اللذة وكأس شربت للتداوى من خمارها والكأس مؤنثة كما قاله  
الجوهري وقوله تعالى (من معين) أى من شراب معين أو من نهر معين مأخوذ من عين الماء  
أى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسى عينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جاريا وقوله  
تعالى (بيضاء) أى أشد بيضا من اللبن قاله الحسن صفة لكأس وقال أبو حيان صفة  
لكأس أول الخمر واعترض بأن الخمر لم يذكر وأجيب عنه بأن الكأس انما سميت كأسا اذا  
سكان فيها الخمر وقوله تعالى (لذة) صفة أيضا وصفه بالمصدر بالمبالغة كأنها نفس اللذة  
وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا كان المراد بالمبالغة وقال الزجاج أو على حذف المضاف  
أى ذات لذة وقوله تعالى (لشاربين) أى بخلاف خمر الدنيا فانها كريمة عند الشرب صفة للذة  
وقال الليث اللذة والندبة يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب لذ ولذيد وقوله تعالى  
(لا فيها غول) صفة أيضا واختلف في الغول فقال الشعبي أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقال  
الكلبي معناه الاثم أى لا اثم فيها وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعاني  
الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتالا اذا أفسد عليه أمره في خفية وخمر الدنيا يحصل  
منها أنواع الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول  
ولا يوجد شئ من ذلك في خمر الجنة (ولاهم عنها يترقون) أى يسكرون وقرأ حمزة والكسائي  
بكسر الزاي من أنزف الشارب اذا نزف عقله من السكر والباقون بفتحها من نزف الشارب  
نزيفا اذا ذهب عقله أفرد بالسكر وعطفه على ما يعمله لانه من عظم فساده كأنه جنس  
برأسه \* ولما ذكر تعالى صفة مشرو بهم ذكر عقبه صفة منكوحهم بقوله تعالى (وعندهم  
قاصرات الطرف) أى حاسبات الاعين غاضات الجفون قصرن ابصارهن على أزواجهن  
لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن وقوله تعالى (عين) جمع عينا وهى الواسعة العين والذكر  
أعين قال الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل أعين وامرأة عينا ورجال ونساء عين (كلنهن)  
أى فى اللون (بيض) للنعام (مكثون) أى مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض  
فى صفة يقال هذا أحسن ألوان النساء تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة قال ذو الرمة فى ذلك

بيضاء فى ترح صفراء فى غنج \* كأنها فضة قدمها ذهب

قال المبرد والعرب تشبه المرأة الناعمة فى بيانها وحسن لونها بيضة النعامة وقال بعضهم انما  
شبهت المرأة بها فى أجزائها فان البيضة من أى جهة أتيتها كانت فى رأى العين مشبهة للآخرى  
وهو فى غاية المدح وقد لفظ هذا بعض الشعراء فقال

تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى \* بين اختلافها بل أتيت على قدر

ويجمع البيض على ييوض قال الشاعر  
 بيهاء قفر والمطى كأنها \* قطا الحزن قد كانت فراخا ييوضها  
 (فأقبل بعضهم) أى بعض أهل الجنة (على بعض يتساءلون) معطوف على يطفأ عليهم أى  
 يشربون فيمتحذون على الشراب قال القائل

وما بقيت من اللذات الا \* محاذئة الكرام على المدام

وأنى بقوله تعالى فأقبل ماضيا لتحقيق وقوعه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب  
 النار وقوله تعالى يتساءلون حال من فاعل أقبل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم  
 وعليهم في الدنيا \* ولما ذكر تعالى أن أهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشراب ويتمحذون  
 كان من جملة كلماتهم أنهم يتذكرون ما كان حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب  
 الله تعالى ثم انهم تخلصوا منه وهو ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله (قال قائل منهم) أى من أهل  
 الجنة في الجنة في مكالمتهم (انى كان لى قرين) أى في الدنيا ينكر البعث (يقول أئتتكم لمن  
 المصدقين) أى كان يؤمخنى على التصديق بالبعث ويقول تعجبا (أئذامتنا وكاترا باوعظا ما أمنا  
 لمديثون) أى مجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزاء وهذا استفهام إنكار \* (تنبيه) \*  
 اختلاف في ذلك القرين فقال مجاهد كان شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا أخوين  
 وقيل كانا شريكين حصل لهم ما نحانية آلاف دينار فقاما ساهما واشترى أحدهما دارا بألف  
 دينار فأراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما أحسنها ثم خرج فتصدق بألف دينار  
 وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك دارا من دور الجنة ثم  
 ان صاحبه تزوج امرأة حسناء بألف دينار فتصدق صاحبه بألف دينار لاجل أن يزوجه الله  
 تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار ثم ان الله  
 تعالى أعطاه ما طلبه في الجنة وقيل كان أحدهما كافرا اسمه ينطواوس والاخر مؤمن  
 اسمه يهودا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى واضرب لهم مثلا  
 رجلين (قال) أى ذلك القائل لآخوته (هل أنتم مطلعون) أى معى الى النار لتنظر حاله فيقولون  
 لا (فاطلع) ذلك القائل من بعض كوى الجنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ان فى الجنة  
 كوى ينظر أهلها منها الى النار (قراء) أى رأى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسط النار وانما  
 يسمى وسط الشئ سواء لاسموا الجوانب منه (قال) له تو يخامقهما بقوله (تالله ان كدت)  
 اى قاربت وان مخفضة من الثقيلة (لتردين) أى لتلك كنى باغوائك اياى بانكار البعث  
 والقيامة (ولولا نعمة ربى) أى انعامه على بالايمن والهداية والعصمة (لكنت من  
 المحضرين) معك فى النار \* (تنبيه) \* أثبت الياء بعد النون فى لتردين ورش والباقون  
 بالتخفيف \* ولما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة  
 وقال (أفما نحن بعيثين) وهذا عطف على محذوف أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بعيثين  
 أى من شأنه الموت وقال بعضهم ان أهل الجنة لا يعلمون فى أول دخولهم الجنة أنهم لا يموتون

فاذا جى بالموت على صورة كبش أملح وذبح يقول أهل الجنة للملائكة أفما نحن بعيتين فتقول  
 الملائكة لا فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون وعلى هذا قال الكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان  
 الذي تكاملت سعاداته اذا عظم تعجبه بها يقول ذلك على جهة التحديت بالنعمة التي أنعم الله  
 تعالى بها عليه وقيل يقوله المؤمن لقرينه تو يخاله بما كان ينكره وقوله (الاموتنا الاولى)  
 منصوب على المصدر والعمل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع  
 أي لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال وهذا  
 قريب في المعنى من قوله تعالى لا يدوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (وما نحن بمعذبين) هو  
 استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأييد الحياة وعدم التعذيب (ان هذا) أي الذي  
 ذكر لاهل الجنة (لهو الفوز العظيم) هو قول أهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله  
 تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) قيل انه من بنية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى  
 أي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون للتعطو والديوية المشوبة بالآلام السريعة  
 الانصرام \* ولما ذكر تعالى ثواب أهل الجنة ووصفها وذكرا ككل أهل الجنة ومشاربهم  
 وقال لمثل هذا فليعمل العاملون أتبعه بقوله تعالى (أذلك) أي المذكور لاهل الجنة (خير نزلا)  
 وهو ما يعدل للنازل من ضيف أو غيره (أم شجرة الرقوم) أي المعدة لاهل النار نزلا وانتصاب نزلا  
 على التمييز والحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقدم للنازل ولهم  
 ما وراء ذلك مما تنصر عنه الافهام وكذا الرقوم لاهل النار وهي اسم شجرة صغيرة الورق  
 زفرة مرة تكون بتهامة ثم سميت به الشجرة الموصوفة واذا عرف هذا فالخاصل من الرزق  
 المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الرقوم الالم والغم ومعلوم انه لانسبة  
 لاحدهما الى الآخر في الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل السخرية بهم أو لاجل  
 ان المؤمنين لما اختاروا ما أوصلهم الى الرزق الكريم والكافرون اختاروا ما أوصلهم الى  
 العذاب الالم قيل لهم ذلك تو يخالهم على اختيارهم (آنا) أي بما لنا من العظمة  
 والقدرة البالغة (جعلناها آتنة) أي محنة وعذابا (للظالمين) أي الكافرين قال الكلبي  
 في الآخرة وابتلاء في الدنيا الماسعوا بأنهم في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم  
 يعلموا أن من قدر على خلق يعيش في النار ويلتذذ به فهو أقدر على خلقه الشجر في النار وحفظه  
 من الاحراق \* ولما نزلت هذه الآية قال ابن الزبير أ كثر الله في بيوتكم الرقوم فان أهل  
 اليمن يسمون التمر والزيد الرقوم ثم أدخلهم أبو جهل بيته وقال لجارية زقيناتها زبد وتمر  
 وقال تزقوا فهذا ما يوعدكم به محمد وهذاعناد منه وكذب فانه من العرب العرباء وهم انما  
 يطلقونه على شجرة مسمومة يخرج لها ابن متى مس جسم أحد تورم فمات والترقم البلع الشديد  
 للأشياء الكريهة وأما الزيد بالرطب فيسمى الوقة قاله ابن الكلبي وأنشد  
 واني لمن سالمتم لالوقة \* واني لمن عاديتهم سم أسود  
 ثم ان الله تعالى وصف هذه الشجرة بصفتين الاولى قوله تعالى (انها شجرة تخرج في اصل

(الجيم) قال الحسن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتهما العنقه الثانية قوله تعالى (طلعها) أي ثمرها قال الزمخشري الطلع للخلقة فاستعير لطلوع من شجرة الزقوم من جملها اما استعارة لفظية أو معنوية قال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة ~~كذلك~~ قيل طلع النخل لا قول ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى (كانه رؤس الشياطين) وفيه وجهان أحدهما أنه حقيقته وأن رؤس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة

تحميد عن استن سود أسافله \* مثل الاماء الغواذي تحمل الحزما  
وهو شجر منكر الصورة مرتسميه العرب بذلك تشبيها برؤس الشياطين في القبح ثم صار أصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات لهن اعراف قال الراجز  
عن جرد تحلف حين أحلف \* كمثل شيطان الحمام أعرف  
وقيل شجرة يقال لها الصوم ومنه قول ساعدة بن حربة

موكل بسروف الصوم يرقبها \* من المعارف محفوظ الحشاووم  
فعلى هذا خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقته والثاني انه من باب التخيل والتشيل وذلك أن كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يكن يراه والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات التخيلية وذلك كقول امرئ القيس

أيقنتني والمشرقي مضاجعي \* ومسنونة زرق كتياب أغوال  
ولم ير انياب ابل ليست موجودة البتة قال الرازي وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة عليهم السلام كمال الفضل في الصورة والسيرة فكاحسن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النسوة ان هذا الاملك كريم فكذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة ويؤ كدهذا ان العقلاء اذا رأوا شيئا شديدا الاضطراب منكر الصورة قبح الخلقة قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم (فانهم) أي الكفار (لا تكون منها) أي من الشجرة أو من طلوعها (فالثون منها البطون) والماء حشو والوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه (فان قيل) كيف يأكلونها مع نهاية خشونتها وتنهاوم ارة طعمها (أجيب) بأن المضطرب بما استروح من الضرر بما يقاربه في الضرر فاذا اجوعهم الله تعالى الجوع الشديد فزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشيء أو يقال ان الزبانية يكرهونهم على الأكل من تلك الشجرة لعذابهم ولما ذكر الله تعالى طعامهم بتلك الشناعة والكرهية وصف شرابهم بما هو أشنع منه بقوله تعالى (ثم ان لهم عليها) أي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش (اشوبان حميم) أي ماء حار يشربونه فيختلط بالما كول منها فيصير شوبا وعطف يتم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونونه يرويه من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك أتى يتم المقضية للتراخي واما لان العادة تقتضي



تراخى الشرب عن الاكل فعامل على ذلك المنوال وأما ملء البطن فيعقب الاكل فلهذا عطف على ما قبله بالفاء قال الزجاج الشراب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه أى خلطه ومزجه (ثم ان مرجعهم) أى مصيرهم (لالى الخيم) قال مقاتل أى بعد أكل الرقوم وشرب الخيم وهذا يدل على أنهم عند شرب الخيم لم يكونوا في الخيم وذلك بأن يكون الخيم في موضع خارج عن الخيم فهم يردون الخيم لاجل الشرب كما ترد الابل الماء ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن وقوله تعالى (انهم ألقوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد قال الفراء الا هراع الاسراع يقال هرع وأهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون آباءهم في سرعة كأنهم ينجحون الى اتباع آباءهم وفيه اشعار بأنهم يادروا الى ذلك من غير توقف على نظروبحث ثم انه تعالى ذكر لسوله صلى الله عليه وسلم ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه (ولقد ضل قبلهم) أى قبل قومك (أكثر الاولين) أى من الامم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء انذروهم من العواقب فيبين تعالى ان ارساله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب أن يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فانظرو كيف كان عاقبة المنذرين) أى الكافرين كان عاقبتهم العذاب وهذا خطاب وان كان ظاهره مع النبي صلى الله عليه وسلم الا أن المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ماجرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من أنواع العذاب فان لم يعلموا ذلك فلا أقل من ظن وخوفه يحتمل أن يكون زاجر لهم عن كفرهم وقوله تعالى (الاعباد الله المخلصين) استثناء من المنذرين استثناء منقطع لانه وعيدوهم لا يدخلون في هذا الوعيد وقيل استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين والمراد بالمخلصين الموحدون نجا من العذاب وتقدمت القراءة في المخلصين ثم شرع تعالى في تفصيل القصص بعد اجمالها بقوله تعالى (ولقد نادانا نوح) أى نادى ربه أن ينجيه مع من نجا من الغرق بقوله رب انى مغلوب فانتصر فاجاب الله تعالى دعاه وقوله تعالى (فلنعم المجيبون) جواب قسم مقدر أى قوائمه ومثله لعمرى لنعم السيدان وجدتما\* والمخصوص بالمدح محذوف أى نحن أجبنا دعاه وأهلكنا قومه (وننجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الفرق وأذى قومه وهذه الاجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه أولها أنه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح فالقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها أنه تعالى أعاد صيغة الجمع فقال تعالى فلنعم المجيبون وفي ذلك أيضا ما يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد وصف الله تعالى تلك الاجابة بأنها نعمت الاجابة وثالثها أن الناء في قوله تعالى فلنعم المجيبون تدل على أن حصول تلك الاجابة مرتب على ذلك النداء وهذا يدل على أن النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته قد قنوا

فالناس كلهم من نسله عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه ذريته بنو الثلاثة سام وحام  
 ويافت فسام أبو العرب وفارس وحام أبو السودان ويافت أبو الترك والخزرج ويا جوج  
 ومأجوج وما هنالك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما يخرج نوح من السفينة مات كل من  
 كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم (وتركنا عليه في الاخرين) أي أبقينا له نساء  
 حسنا وذكرا جيلا فين بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة وقيل ان نضلي عليه الى يوم  
 القيامة وقوله تعالى (سلام على نوح) مبتدأ وخبر وقية أوجه أحدها أنه مفسر لتركنا والثاني  
 انه مفسر لفعوله أي تركنا عليه نساء وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقة درأى فقلنا سلام  
 وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل ساط تركنا على ما بعده (في العالمين) متعلق بالجوار والمجرور  
 ومعناه الدعاء بثبوت هذه الخيمة في الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي  
 المحسنين) تعليل لما فعل بنوح عليه السلام من التكرمة بأنه مجازاة له أي انما خصصناه بهذه  
 التثريبات الرفيعة من جعل الدنيا ملوأة من ذريته ومن ترقية ذكره الحسن في السنة العالين  
 لاجل كونه محسنا وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اطهارا  
 لجلالة قدره واصله أمره (ثم أغرقنا الاخرين) كذا رقومه \* القصة الثانية قصة ابراهيم  
 عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وان من شيعته) أي عن شايعة في الايمان وأصول  
 الشريعة (لإبراهيم) ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع وأغلبا وقال الكلبي الضمير يعود  
 على محمد صلى الله عليه وسلم أي وان من شيعته محمد صلى الله عليه وسلم لإبراهيم عليه الصلاة  
 والسلام والشيععة قد تطلق على المتقدم كقول القائل

ومالي الا آل أحد شيعه \* ومالي الا مذهب الحق مذهب

فجعل آل أحد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعه له قاله الفراء والمعروف ان الشيعه  
 تكون في المتأخر قالوا كان بين نوح وإبراهيم نبيان هو دوصالح وروى الرنخسري أنه كان  
 بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وفي العامل في قوله تعالى (اذ جاء ربه) وجهان  
 أحدهما انهما ~~مقدرا~~ وهو المعروف والثاني قال الرنخسري ما في معنى الشيعه من معنى  
 المشايعة يعني وان من شايعة علي دينه وتقواه حين جاء ربه ورد هذا أبو حيان قال لان فيه  
 الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لإبراهيم لأنه أجنبي من شيعته ومن اذواختلف  
 في قوله عز وجل (يتقلب سليم) فقال مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لأنه أنكر على  
 قومه الشرك وقال الاصوليون معناه أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية  
 وقوله تعالى (اذ قال لا ييه وقومه) بدل من اذا لولى أو ظرف لسليم أو لجاه وقوله تعالى  
 لهم (ماذا) أي ما الذي (تعبدون) استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتبقيها  
 وفي قوله (أتفك آلهة دون الله تريدون) أوجه من الاعراب أحدها أنه مفعول من اجله  
 أي أتريدون آلهة دون الله فكافا آلهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدمت معمولات  
 الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل رأس فاصلة وقدم المفعول من أجله على المفعول به

اهتماما به لانه مكافح لهم بأنهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري الثاني أن يكون  
مفعولا به بتريدون ويكون آلهة بدلآمنه جعلها نفس الافك مبالغة فأبدلها آمنه وفسرهم بها  
واقصر على هذا ابن عطية الثالث أنه حال من فاعل تريدون أى تريدون آلهة أفكين  
أوذوى افك واليه نجا الزمخشري واعترضه أبو حيان بأن جعل المصدر حالا لا يطرد الامع فهو  
أما علمنا فعالم والافك أسوأ الكذب (فما ظنكم) أى أتظنون (رب العالمين) أنه جوز جعل  
هذه الجادات مشاركة له فى العبودية أو تظنون رب العالمين أنه من جنس هذه الاجسام  
حتى جعلتموها مساوية له فى العبودية فبهم بذلك على أنه ليس كمثل شئ أو فما ظنكم رب  
العالمين اذا القيمة وقد عبدتم غيره أنه يترككم بلا عذاب لا وكونا نجما من نجر جوا الى  
عبد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا أكلوه وقالوا  
للسيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام اخرج (فقطر نظرة فى النجوم) ايها مالهم أنه يعتمد  
عليها فيتبعوه (فقال انى سقيم) أى عليل وذلك انه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم  
الحجة فى أنها غير معبودة وأراد أن يتخلف عنهم ليبقى خاليا فى بيت الاصنام فيقدر على كسرها  
(فان قيل) النظر فى علم النجوم غير جائز فكيف قدم ابراهيم عليه السلام عليه وأيضا  
لم يكن سقيما فكيف أخبرهم بخلاف حاله (أجيب) عن ذلك بأننا انسلم أن النظر  
فى علم النجوم والاستدلال بها حرام لان من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه  
الكواكب بطبع وخاصة لاجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس يباطل  
وأما الكذب فغير لازم لان قوله انى سقيم على سبيل التعريض معنى أن الانسان لا ينقل  
فى أكثر احواله عن حصول حالة مكروهة اما فى بدنه واما فى قلبه وكل ذلك سقيم وعلى تقدير  
تسليم ذلك أجيب بأوجه أحدها أن نظره فى النجوم أو فى أوقات الليل والنهار وكانت تأتبه  
الحجى فى بعض ساعات الليل وانها فى نظره ليعرف هل هى تلك الساعة فقال انى سقيم فجعله عذرا  
فى تخلفه عن العيد الذى لهم فكان صادقا فيما قال لان السقم كان يأتبه فى ذلك الوقت  
ثانها أنهم كانوا أصحاب النجوم أى يعلمون ما يقضون بها على أمورهم فلذلك نظر ابراهيم  
فى النجوم أى فى علم النجوم كما تقول نظر فلان فى الفقه أى فى علم الفقه فأراد ابراهيم أن يوجههم  
أنه نظره فى علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال لهم انى سقيم سكنوا الى قوله وأما قوله انى  
سقيم فعناه سأسقم كقوله تعالى انك ميت أى سموت ثالثها أن نظره فى النجوم هو قوله تعالى فلما  
جن عليه الليل رأى كوكبا الخ الآيات فكان نظره ليعرف هذه الكواكب هل هى قديمة  
أو حادثة وقوله انى سقيم أى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل بلوغه رابعها قال ابن  
زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا الاستقراء  
لماراه فى تلك الحالة المخصوصة قال انى سقيم أى هذا السقم واقع لاحتمال خامسها أن قوله  
انى سقيم أى مريض القلب بسبب اطلاق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى  
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلك باخع نفسك سادسها قال الرازى قال بعضهم ذلك القول من

ابراهيم عليه السلام كذبة وأوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
 ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي أن يتقل اذ فيه نسبة  
 الكذب الى ابراهيم عليه السلام فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوى العدل  
 فقلت له لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوى وبين نسبة الكذب الى الخليل كان  
 من المعلوم بالضرورة أن نسبة الكذب الى الراوى أولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله  
 فنظر نظرة في النجوم أى نجوم كلامهم ومترقات أقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة  
 يقال انها منجمه أى مفترقة ومنه نجوم المكاتب والمعنى أنه لما سمع كلماتهم المنترقة نظر فيها حتى  
 يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا أحسن من  
 قوله انى سقيم والمراد أنه لا بد من أن يصير سقيا كما تقول لمن رأته يتجهز للسفر انك مسافر  
 \* ولما قال انى سقيم بولوا عنه كما قال تعالى (فتولوا عنه) أى الى عيدهم (مدبرين) أى هاربين  
 مخافة العدو وتركوه وعذروه في عدم الخروج الى عيدهم (فراغ) أى مال في خفية وأصله  
 من روغان النعل وهو تردده وعدم ثبوته فكان ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا  
 لذهابه ومجيئه (الى الهتهم) وعندنا الطعام (فقال) استنزاهها (ألا تأكلون) أى الطعام الذى  
 كان بين أيديهم فلم ينطقوا فقال استنزاهها أيضا (مالكم لا تنطقون) فلم تجب (فراغ عليهم)  
 أى مال عليهم مستخفيا وقوله تعالى (ضربا) مصدر واقع موقع الحال أى فراغ عليهم ضاربا  
 أو مصدر لنعل وذلك النعل حال تقديره فراغ يضرب ضربا وقوله تعالى (باليمين) متعلق  
 بضربا ان لم يجعله مؤكدا والافيعامله واليمين يجوز ان يراد بها إحدى السدين وهو الظاهر  
 وأن يراد بها القوة واقتصر عليه الجلال المحلى فالبا على هذا للعال أى متلبسا بالقوة وأن  
 يراد بها الخلف وفاء بقوله وتالله لا كيدن أصنامكم والباء على هذا للسبب وعدى راغ الثانى  
 بعلى لما كان مع الضرب المستولى من فوقهم الى أسفلهم بخلاف الاول فإنه مع توبيخ  
 لهم وأتى بضمير العقلاء فى قوله تعالى عليهم ضربا على ظن عبدهم أنها كالعقلاء ثم انه عليه  
 السلام تكسرها فبلغ قومه من ورائه ذلك (فأقبلوا اليه) أى الى ابراهيم بعد ما رجعوا  
 فرأوا أصنامهم مكسرة (يرفون) أى يسرعون المشى وقرأ حمزة بضم الباء على البناء للمفعول  
 من أرفه أى يحملون على الرفيف والباقون بفتحها من زف يرف فقالوا نحن نعبدها وأنت  
 تكسرها (قال) لهم توبىضا (أتعبدون ما نتحتون) أى من الحجارة وغيرها أصناما (واته  
 خلقكم وما تعملون) أى تحسبكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده \* (تنبيه) \* ذات هذه الآية على  
 مذهب الاشعرية وهو أن فعل العبد مخلوق لله عز وجل وهو الحق وذلك لان النفوس اتفقوا  
 على أن لفظ ما مع ما بعده فى تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا فيصير  
 معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم \* ولما أورد عليهم الحجية القوية ولم يقدر على الجواب  
 عدلوا الى طريقة الايداء لثلا يظهر للعامة مجزهم بأن (قالوا ابناؤه بنينا) \* قال ابن عباس رضى  
 الله عنهما بنوا حاطما من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا

فطر حوه فيها وذلك هو قوله تعالى (فألقوه في الحميم) وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار  
بعضها فوق بعض فهي بحميم (فأرادوا به كسيدا) أي شرايا لقاته في النار لتلك (فجعلناهم  
الاسفلين) أي المقهورين الاذلين بابطال كيدهم وجعلنا ذلك برهاننا على علو شأنه حيث  
جعلنا النار عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما (وقال اني ذاهب الى ربي) أي الى حيث  
أمرني ربي وتظيره قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي أي مهاجر اليه من دار الكفر  
(سهيدين) أي الى ما فيه صلاح ديني أو الى مقصدي وهو الشام وانما أت القبول لسبق وعده  
ولفطره توكله أو للبناء على عاقبة تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال  
عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع \* ولما وصل الى الارض المقدسة  
قال (رب هب لي من الصالحين) أي هب لي ولدا صالحا يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في  
الغربة لأن لفظ هب غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمنا أخاه  
هرون نبيا قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) أي ذى حلم كثير في كبره غلام في صغره  
فضيه بشارة بانه ابن وانه يعيش وينتهي الى سن يوصف بالحلم وأي حلم أعظم من أنه عرض  
عليه أبوه الذبح وهو مرأوق فقال سبحانه ان شاء الله من الصابرين وقيل ما وصف الله تعالى  
نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وحالتهم المذكورة  
تشهد عليه (فلما بلغ معه السعي) أي أن يسعى معه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بلغ معه  
السعي أي المشى معه الى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما شب حتى بلغ سعيه  
بسعي ابراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه وان يعينه في عمله وقال الكلبي يعني العمل لله تعالى  
وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين \* (تنبيه) \* معه متعلق بمحذوف على سبيل  
البيان كأن قائلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع أبيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لانه يقتضي بلوغها  
مع احد السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه وقوله تعالى (قال يا بني اني  
أرى) أي رأيت (في المنام اني أذبحك) يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى  
في ليلة التروية في منامه كأن قائلا يقول له ان الله تعالى يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح تروى  
في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله أم من الشيطان فمن سمى يوم التروية فلما أمسى رأى  
أيضا مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فسمى يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحore  
فسمى يوم النحر وهذا قول أكثر المفسرين وهو يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه  
في اليقظة وعلى هذا تقدير اللفظ أرى في المنام ما يوجب أني أذبحك \* (تنبيه) \* اختلاف  
في الذبح فقيل هو اسحق عليه السلام وبه قال عمرو بن علي وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم  
وقيل اسمعيل وبه قال ابن عباس وابن عمرو وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم وغيرهم  
وهو الاظهر كما قاله البيضاوي لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولأن البشارة باسحق بعد  
معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم ان ابن الذبيحين وقال له أعرابي  
يا ابن الذبيحين فقبس النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر

زمزم نذران سهل الله أمرها ليدبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فذعه أخواله وقالوا  
 له أفد ابنك بمائة من الإبل ولذلك سدت الإبل مائة والذبيح الثاني اسمعيل ونقل الأصمعي أنه قال  
 سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان  
 اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمخرب بمكة وقد وصف الله تعالى اسمعيل عليه السلام  
 بالصبر دون اسحق عليه السلام في قوله تعالى واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين  
 وهو صبره على الذبح ووصفه أيضا بصدق الوعد فقال أنه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من  
 نفسه الصبر على الذبح فقال ستجدني أن شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق  
 ومن وراء اسحق يعقوب فكيف تقع البشارة باسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق  
 وهو صغير قبل أن يولد له هذا يناقض البشارة المتقدمة وقال الامام أحمد بن حنبل الصحيح أن  
 الذبيح اسمعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف قال ابن عباس وزعمت  
 اليهود أنه اسحق عليه السلام وكذبت اليهود وما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي النسب  
 أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرايل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله  
 فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى أن يعقوب  
 كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم عليه السلام اذا زار هاجر  
 واسمعيل حمل على البراق فيغدو ومن الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام  
 حتى بلغ اسمعيل معه السعي أمر في المنام أن يذبحه قال مقاتل رأى ذلك ابراهيم عليه السلام  
 ثلاث ليال متتابعات فلما يقن ذلك قال لابنه (فانظر ماذا ترى) من رأى فشاوره ليأنس بالذبح  
 وينقاد لامر به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدينة  
 وانطلق الى هذا الشعب فمناخلا ابراهيم بانه في الشعب شعب شير أخبره بما أمر (قال  
 يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما أمرت به (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) أي على ذلك وقرأ  
 يا بني حفص بفتح الياء والباقون بالكسر وقرأ انى أرى نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء  
 والباقون بالسكون وقرأ ما ذا ترى حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتحهما  
 والحكمة في مشاورته في هذا الامر ليظهر له صبره في طاعة الله تعالى فيكون فيه قوة عين لابراهيم  
 حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم والصبر على أشد المكاره الى هذه الدرجة  
 العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا وقرأ يا أبت ابن عامر  
 في الوصل بفتح التاء وكسر ها الباقون والتاء عوض عن ياء الاضافة ووقف عليها بالهاء ابن كثير  
 وابن عامر ووقف الباقون بالتاء والرسم بالتاء وفتح ياء ستجدني في الوصل نافع وسكنها الباقون  
 (فلما أسلم) أي انقادوا وخضعوا لامر الله وقال قتادة أسلم ابراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله  
 للجبين) أي صرعه على شقه فوق جبينه على الارض وهو أحد جانبي الجبهة والجبهة بين الجبينين  
 وشذبه على أجبين وقياسه في القلة أجبنة كما رغبة وفي الكثرة جبين وجبينان كرتغف  
 ورغف ورغغان وقيل انه لما أراد ذبحه قال يا أبت اشد درباطى حتى لا أضطرب فينقص

اجري واكفف عني ثيابي حتى لا يتضح عليهما من دمي شي وتراه أمي فتحزن حزنا طويلا واشهد  
 شفرتك وأسرع من السكين على حاتي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت أمي فاقرأ  
 عليها السلام مني وان رأيت أن ترد قبصي علي أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلي لها عني  
 فقال له ابراهيم نعم العون أنت يا بني علي أمر الله تعالى ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه  
 يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تجل شيئا ثم انه شحذها  
 مرتين أو ثلاثا بالجرح كل ذلك لا يستطيع ان يتطوع شيئا قال السدي ضرب الله تعالى صفيحة من  
 نحاس علي حلقه قال فقال الابن عند ذلك يا أبت كيني علي وجهي ليجيني فانك اذا نظرت في  
 وجهي رجعتي وأدركت رجعة قول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر الشفرة فأجزع ففعل ذلك  
 ابراهيم ووضع السكين علي قفاه فان قلبت السكين (ونادى نساءه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي  
 بالعزم والاثبات بالمقدمات ما أمكنتك \* (تنبه) \* في جواب لما ثلاثة أوجه أظهرها أنه  
 محذوف أي نادته الملائكة عليهم السلام أو ظهر صبرهما أو أجرنا لهما أجرهما وقدره بعضهم  
 بعد الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحمال والوصف مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية  
 أن التقدير فلما أسلمنا سماوتنا للجبين ويعزى هذا السيوي وشيخه الخليل الشافعي انه وتله للجبين  
 والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاختصاص الثالث انه ونادى نساءه والواو زائدة أيضا  
 واقتصر على هذا الجلال المحلي وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار أن ابراهيم عليه السلام  
 لما رأى ذبح ولده قال الشيطان لئن لم أقتن آل ابراهيم عندهم هذا لم أقتن أحد منهم ثم أبدأ فقتل  
 الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام وقال هل تدري أين يذهب ابراهيم يا بئتك قالت  
 ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليدبجه قالت كلا هو ارحم به وأشد  
 حباله من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن ان  
 يطيع ربه فخرج من عندها الشيطان ثم أدرك الابن وهو عشي علي اثر أبيه فقال له يا غلام  
 هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نعمتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا أن يذبحك  
 قال ولم قال زعم أن ربه أمره قال فليفعل ما أمره به ربه فسمع وطاعة فلما امتنع منه الغلام  
 أقبل علي ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني  
 لا اري الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عني  
 يا عدو الله فوالله لا مضين لا أمر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وأله شيئا كما أراد  
 الله عز وجل وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنه أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام  
 لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسايقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الي جرة العقبة  
 فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه  
 بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى  
 ابراهيم لا أمر الله تعالى فنودي من الجبل أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (فان قيل) لم قال تعالى  
 قد صدقت الرؤيا وكان قدر أي الذبح ولم يذبح (أجيب) بأنه جعله مصداقا لانه قد أتى بما أمكنه

والمطلوب استسلامهما لامر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان قد وراى في النوم معالجة الذبح ولم يراقه الدم وقد فعل في اليقظة ما رآه في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى به هذه التكاليف الشاقة الشديدة وظهر منه كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) ابتداء اخبار من الله تعالى والمعنى انا كما عفتونا عن ذبح ولدك كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العنوع عن ذبح ابنه (ان هذا) أى الذبح المأمور به (لهو والبلاء المبين) أى الاختيار والظاهر الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش كما قال تعالى (وفدىناه) أى المأمور بذبحه وهو اسمعيل وهو الاظهر وقيل اسحق (بذبح عظيم) أى عظيم الجنة سمين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى به نبيا ابن نبي وأى نبي من نسله سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام وهو كبش أتى به جبريل عليه السلام من الجنة وهو الذى قربته هابيل فقال لبراهيم هذا فدا ولدك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر الكبش وأخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحصر من مقي فذبحه قال البغوى قال أكثر المفسرين كان ذلك الذبح كبشارعى في الجنة أربعين خريفا وقيل كان وعلا أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب منه عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذته فصارت سنة \* (تنبيه) \* الذبح مصدر ويطلق على ما يذبح وهو المراد في هذه الآية (وتركنا عليه في الآخريين) ثناء حسنا وقوله تعالى (سلام) أى منا (على ابراهيم) سبق بيانه في قصة نوح عليهما السلام (كذلك) أى كما جزى نالك (نجزي المحسنين) لانفسهم وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا للجلالة قدره واصالة أمره وقوله تعالى (وبشرناه باسحق) فيه دليل على أن الذبح غيره وقد مرّت الاشارة الى ذلك وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أى يوجد مقدر انبوتيه وقوله تعالى (من الصالحين) يجوز أن يكون صفة لنبيا وأن يكون حالا من الضمير في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان تكون حالاً ثانية ومن فسر الذبح باسحق عليه السلام جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بأنه الغاية لها التضمنها معنى الكمال والتكميل (وباركنا عليه) أى على ابراهيم عليه السلام بتكثير ذريته (وعلى اسحق) بأن اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام فجميع الانبياء بعده من صلبه الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام وفيه اشارة الى أنه مفرد علم فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن طائع (وظالم) أى كافر وفاسق (لنفسه مبين) أى ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال وان الظلم في أعقابهم ما لا يعود عليهم بانقيصة وعيب ولا غير ذلك والله أعلم \* القصة الثالثة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون)



أى أنعمنا عليهم بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والديوية (ونحنيناهما وقومهما) أى بنى  
 اسرائيل (من الكرب) أى الغم (العظيم) أى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل  
 من الغرق والضيق فى قوله تعالى (ونصرناهم) يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل على  
 الاثنين بلفظ الجمع تعظيما كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقول الشاعر  
 فان شئت حرمت النساء سواكم (فكانوا هم الغالبين) أى على فرعون وقومه فى كل الاحوال  
 أما فى قول الامر بظهور الحجية وأما فى آخر الامر فى بالدولة والرفعة \* (تنبيه) \* يجوز فى هم  
 أن يكون تأكيذاً أن يكون بدلا وان يكون فصلا وهو الاظهر (وأيتاهما الكتاب المستبين)  
 أى المستنير البليغ البيان المشتمل على جميع العلوم المحتاج اليها فى مصالح الدين والدنيا وهو  
 التوراة كما قال تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (وهديناهما الصراط المستقيم) أى  
 دللناهما على الطريق الموصل الى الحق والصواب عقلا وسمعا (وتركنا) أى أبتينا (عليهما)  
 ثناء حسنا (فى الآخرين سلام) أى منا (على موسى وهرون انا كذلك) أى كما جزينا هما  
 (نجزي المحسنين) وقوله تعالى (انهم امنوا بعبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانهم بالايمان واظهار  
 لجلاله قدره واصالة أمره القصة الرابعة قصة الياس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى  
 (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وهو قول عكرمة  
 وقال أكثر المفسرين انه نبي من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع عليه  
 السلام وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن قحاص بن العيزار بن هرون بن عمران عليهم  
 السلام \* (تنبيه) \* أذكر فيه شيئا من قصته عليه السلام قال علماء السير والاختيار لما قبض الله  
 تعالى حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك  
 ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم نبيا وكانت  
 الانبياء من بنى اسرائيل يبعثون بعد موسى عليه السلام بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وبنو  
 اسرائيل كانوا متفرقين فى أرض الشام وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون عليه السلام لما فتح  
 الشام قسمها على بنى اسرائيل وأحل سبطا منها ليعليك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم  
 الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك اسمه لاجب وكان أضل قومه وجبرهم على  
 عبادة الاصنام وكان لهم صنم طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكان يسمى يعل وكانوا قد  
 قنوا به وعظموه وجعلوا له أربع مائة سادن أى خادم وكان الشيطان يدخل فى جوف يعل ويتكلم  
 بشرعية الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويباغونها الناس وهم أهل يعليك وكان الياس  
 يدعوهم الى عبادة الله وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به  
 وصدقته فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة تسمى بازميل جبارة  
 وكان يستخفها على ملكه اذا غاب عنهم فى غزاة وغيرها وكانت تبرز للناس فتتضي بينهم وكانت  
 قتالة للانبياء ويقال انها هى التى قتلت يحيى بن زكريا عليه السلام وكان له كاتب رجل  
 مؤمن حليم يكتم ايمانه وكان قد خلس من يدها ثلثمائة تبي كانت تريد قتلهم اذا بعث كل واحد

منهم سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة وصكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني  
 اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتياي وكانت عمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا  
 جاز رجل صالح يقال له مزدكي وكان له جنيته يعيش منها وكانت الجنيته الى جانب قصر الملك  
 وامرأته وكانا يشرفان عليها يتزهران فيها وياكلان ويشربان ويقبلان فيها وكان الملك يحسن  
 جوارصاحبها مزدكي ويحسن اليه وامرأته ازميل تحسده لاجل تلك الجنيته وتحتال ان  
 تغصبها منه لما سمع الناس يكفرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله والملك ينهاها  
 عن ذلك فلا تجد عليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته فاعتمت  
 امرأته ازميل ذلك فجمعت جماعين الناس وامرتهم انهم يشهدون على مزدكي انه سب  
 زوجها الاجبي فاجابوها اليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت  
 عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني أنك شتمت الملك فأذكر فأحضرت الشهود  
 فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنيته فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر  
 فقال لها ما أصبت ولا أبدأ فقل بعدة فقد جاورنا منذ زمان فأحسنا جواره وكفنا عنه الاذى  
 لوجوب حقه علينا فحتمت أمره بأسوا الجوار قالت انما غضبت لك وحقكمت بحكمك  
 فقال لها أو ما كان يسعه حملك فحفظين جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله الياس الى  
 لاجب الملك وأمره الله أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على  
 نفسه أنهما ان لم يتوباعن صنيعهما ويردا الجنيته على ورثة مزدكي أن يهلكهما يعنى  
 لاجب وامرأته في جوف الجنيته ثم يضعهما جثتين ملقين فيها حتى تتفرق عظامهما  
 من لحومهما ولا يتبعان بها الا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما أوحى الله في أمره وأمر امرأته  
 والجنيته فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا  
 باطلا وهم يتعذبه وقله فلما أحس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى  
 عبادة يعلى وارتيق الياس الى أصعب جبل وأشجته فدخل مغارة فيه ويقال انه بقي سبع  
 سنين شريدا خائفا بأوى الشعوب والكهوف يأكل من نبات الارض وغمار الشجر وهم في  
 طلبه قد وضعوا العيون عليه والله تعالى يستره منهم فلما طال الامر على الياس وطال عصيان  
 قومه وضاق بذلك ذرعا أوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين يا الياس ما هذا الخوف الذي أنت  
 فيه أأنت أميبي على وحيي وحجتي في أرضي وصنوتي من خلقي فسلني أعطك فاني  
 ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال نعمتني فتلقتني بأباني فاني قد مللت بني اسرائيل  
 وملوني فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعزى منك الارض واهلها  
 وانما قوامها وصلحهم ما بك وأشياك وان كنتم قليلا ولكن سلني فأعطك قال الياس ان لم  
 تمنني فأعطني ثأري من بني اسرائيل قال الله تعالى وأي شئ تريد ان اعطيك قال تمنكني من  
 خزائن السماء سبع سنين فلا تنشي صحابة عليهم الابد عوتي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة  
 الايتفاعتي فانهم لا يذكروهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا

ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من  
 ذلك وله كن أعطيتك تارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال فباى شئ أعيش قال  
 أنخرلك جنسا من الطير ينقل اليك طعامك وشرايك من الريف ومن الارض التي لم تقحط قال  
 الياس قد رضيت فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد  
 الناس جهدا عظيما والياس على حالته مستخف من قومه بوضع له الرزق حيثما كان  
 وقد عرف ذلك قومه قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فتر الياس بعجوز  
 فقالت لها هل عندكم طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فدعاهم ما ودعا فيه بالبركة حتى  
 ملاخوا بيها دقيقا وخوا بيها زياتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا الهامن أين لك هذا قالت مرتبى  
 رجل من حاله كذا وكذا ثم وصفته بصفته فعر فوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه  
 فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأته من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن الخطوب به  
 مرض فأتته وأخفت أمره فدعا له فعوفى من الضر الذي كان به واتبع الياس وآمن به وصدقته  
 ولزمه وكان يذهب حيثما ذهب وكان الياس قد كبر سنه واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى  
 أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطيرو والهوام بحبس  
 المطر فقال الياس يا رب دعنى أنا الذى اكون أدعولهم وآتهم بالقرح مما هم فيه من البلاء  
 لعلمهم ان يرجعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقبل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال  
 انهم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والهوام والشجر بخطاياكم وانكم  
 على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجاب لكم فذلك كما  
 تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فترهتم ودعوتم الله سبحانه وتعالى ففرج عنكم  
 ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوا فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من  
 البلاء ثم قالوا الا الياس انما قد هلكنا فادع الله لنا قد علم الياس ومعه اليسع بالقرح فخرجت  
 صحابة مثل الترس على ظهر الجروهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم أرسل الله  
 تعالى عليهم المطر فأنعاشهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم المطر لم ينزعوا عن كفرهم  
 وأفاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه أن يرجمه منهم فقبل له انظر يوم  
 كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا فاجاءك من شئ فأركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع  
 حتى اذا كانا بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالون النار حتى وقف بين يديه  
 فوثب عليه الياس وانطلق به الفرس وناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقد ذف اليه بكسائه من  
 الجوا الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر عهده به ورفع  
 الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والمشرب وكساه الريش فكان انسيا  
 ملكا أرضيا سماه وبارسلط الله تعالى على لاجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم  
 يشعروا به حتى أرقهم فقتل لاجب وامرأته ازميل في بستان من دكى فلم تزل جيفة تا مائة ايتين  
 في تلك الجنة حتى يلبت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى

بنى اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه وأيده فأمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى  
 فيهم قائم الى ان فارقههم اليسع روى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال الياس  
 والحضر يصومان رمضان بيت المقدس ويوفيان موسم الحج في كل عام وقيل ان الياس  
 موكل بالغباني والحضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ) أى اذكر  
 يا أفضل الخلق اذ (قال لقومه الاتقون) أى الاتقوا فون الله ولما خوفهم على سبيل  
 الاجال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف بقوله تعالى (أتدعون بعلا) اسم لصنم لهم  
 من ذهب وبه سميت البلد أيضا مضافا الى بك أى أتعبدونه أو تطلبون الخير منه وقيل البعل الرب  
 بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم يشذ ضالة فتعال آخر انابعلها ما فتعال الله أكبر وتلا الآية  
 ويقال من بعل هذه الدار أى من ربه واسمى الزوج بعلا لهذا المعنى قال الله تعالى ويعولتم  
 أحق بردهن وقالت امرأة اراهيم وهذا بعل شيئا والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون)  
 أى وتتركون (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه وقرأ ابن ذكوان بهمزة الوصل من الياس فى  
 الوصل فان ابتدأهم ابتداءً بفتحها والباقون بهمزة مكسورة وصلوا ابتداءً وقوله تعالى  
 (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأه حفص وحزرة والكسائي بنصب الهاء من الاسم  
 الكريم ونصب الباء الموحدة من ربكم ورب وذلك اما على المدح أو البذل أو البسان ان قلنا  
 ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع فى الثلاثة وذلك اما على خبر مبتدأ مضمرا أى  
 هو الله أو على أن الجلالة مبتدأ وما بعده الخبر (فكذبوه قائمهم لمحضرون) أى فى العذاب  
 وانما أطلقها كقضاء القرينة أو لان الاحضار المطلق مخصوص بالشرع عرفا وقوله تعالى (الاعباد  
 الله المخلصين) أى المؤمنين مستثنى من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على أن فى قومه من  
 لم يكذبهم فلذلك استثنوا ولا يجوز أن يكونوا مستثنى من ضمير محضرون لفساد المعنى لانه  
 يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم هم عباد الله المخلصين وهو بين  
 الفساد لا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطع لانه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير  
 هو لا لم يحضروا ولا حاجة الى هذا اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم الكلام على قراءة المخلصين  
 فى أول السورة (وتركنا عليه فى الآخريين) ثناء حسنا (سلام) أى منا وقوله تعالى (على الياسين)  
 قرأه نافع وابن عامر بفتح الهمزة مدودة وكسر اللام وقطعها عن الياء كما رسمت أى أهله  
 والمراد به الياس والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام وهى مقطوعة عن الياء قيل هو الياس  
 المتقدم وقيل هو ومن آمن معه فجمعه وامنه تغليباً كقولهم للهيب وقومه المهلبون وقيل هو  
 محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن أو غيره من كتب الله تعالى قال البيضاوى والكل لا يناسب نظم  
 سائر القصص ولا قوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) أى كما جزيناها (انه من عبادنا  
 المؤمنين) اذ الظاهر ان الضمير لالياس القصة الخامسة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى  
 قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ) أى واذ كراذ (نجيناها وأهله أجمعين الا عجزوا فى  
 الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم حمزنا) أى أهلكنا (الآخريين) أى كفار قومه

(وانكم) يا أهل مكة (لترون عليهم مصحين) أى على منازلهم فى متاجرهم الى الشام فان  
سدوم فى طريقه وقوله تعالى (وبالليل) عطف على الحال قبلها أى ملتبس بالليل والمعنى  
ان أولئك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر فى أكثر الامم اعشى فى أول الليل وفى  
أول النهار لهذا السبب عبر الله تعالى عن هذين الوقتين ثم قال تعالى (أفلا تعقلون) أى أليس  
فيكم عتق يا أهل مكة فتنظروا ما حل بهم فاعتبروا \* القصة السادسة وهى آخر القصص قصة  
يونس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين) وقوله تعالى (اذأبق)  
طرف للمرسلين أى هو من المرسلين حتى فى هذه الحالة وأبق أى هرب وأصله الهرب من السيد  
لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) أى  
السفينة المملوءة قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر  
عنهم فخرج كالمتشور منهم فقصده البحر فركب السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده  
فاقترعوا فوقع القرعة على يونس فقال يونس أنا الا ببق فزج نفسه فى البحر وروى فى القصة  
أنه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاءه مركب وأراد أن يركب معهم فقدم  
امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ومز المركب ثم جاءت موجة أخرى فأخذت  
ابنه الاكبر وجاءت فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى فأتى  
من القوم فلما جرت السفينة فى البحر ركبت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والام يحصل  
وقوف السفينة كما تراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرجت القرعة على سهمه  
تغرقه فان تغريق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فذلك قوله  
تعالى (فساهم) أى قارع أهل السفينة (فكان من المدحضين) أى المغلوبين بالقرعة فألقوه  
فى البحر (فالتقمه) ابتلعه (الحوت وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه  
السفينة بلا اذن من ربه وقيل مليم نفسه (فلولا أنه كان من المسجين) أى الذاكرين قبل  
ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر وقال ابن عباس رضى الله عنهما من المصلين وقال وهب  
من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا قال الضمك  
شكر الله تعالى له طاعته القدسية اذ ذكر الله فى الرخاء يذكر كرك فى الشدة فان يونس كان عبدا  
صالحا اذ اكره الله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك وقال سعيد بن  
جبيرة عنى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (البت فى بطنه الى يوم يعثون)  
أى صار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وهو حى أو ميت وفى ذلك حث على أكثر الذكر  
وتعظيم شأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ يديه فى الضراء (فتبذناه) أى القيناه من بطن  
الحوت فأضاف التبذالى نفسه سبحانه مع أن التبذاعا حصل بفعل الحوت فهو يدل على أن  
فعل العبد مخلوق لله تعالى (بالعراء) أى بوجه الارض وقال السدى بالساحل والعراء  
الارض الخالية من الشجر والنبات روى ان الحوت سار مع السفينة رافع رأسه يتنفس  
فيه يونس ويسبح الله تعالى حتى انتهى الى الارض فلقظه \* (تنبيه) \* اختلفوا فى مدة

لبنة في بطن الحوت فقال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه  
 بكرة وانظفه عشية وقال مقاتل بن حبان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحالة عشرين  
 يوما وقيل شهر او قيل أربعين يوما قال الرازي ولا أدري بأي دليل عينه وهذه المقادير  
 وروى أبو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سمع يونس في بطن الحوت فسمع الملائكة  
 تسيحه فقالوا ربنا اننا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة فقال تعالى ذلك عبدى يونس عاصي  
 فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم ولبنة  
 عمل صالح قال نعم فشفعهوا له فأمر الحوت فتذقه بالساحل \* وروى أن يونس عليه السلام لما  
 ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر أكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات  
 فجزل جوارحه فجزرت فاذا هو حي فجزته تعالى ساجدا وقال يارب اتخذت لي مسجدا  
 لم يعبدك أحد في مثله (وهو سقيم) أي عليل كالفرخ المعوط (وأنتنا عليه) أي له وقيل عنده  
 (شجرة من يقطين) قال المبرد والزجاج اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عود كالقناء والقرع  
 والبطيخ والخنظل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع  
 المفسرين وروى القراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من  
 بين الشجر يقطينا كل ورقة انشقت وشربت فهو يقطين (فان قيل) الشجر ما له ساق واليقطين  
 مما لا ساق له كما قال تعالى والتجيم والشجر يسجدان (أجيب) بأن الله تعالى جعل لها ساقا على  
 خلاف العادة في القرع معجزته له عليه السلام ولو كان منبسطا على الارض لم يمكن أن يستظل به  
 قال مقاتل بن حبان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من  
 لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لجه ونبت شعره \* وروى أن يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه  
 فلسطين فغزاهم ملك وسبي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكان قد أوحى الله تعالى  
 الى بنى اسرائيل اذا أسركم عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني أستجب لكم فلما نسوا ذلك وأسروا  
 أوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من أنبيائهم أن اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يعث الى بنى  
 اسرائيل نبيا فاختر من بنى اسرائيل يونس عليه السلام لقوته واماته فقال يونس الله أمرك  
 بهذا قال لا ولكن أمرت أن أبعث قويا أمينا وأنت كذلك فقال يونس في بنى اسرائيل من هو أقوى  
 مني فلم تبعثه فألح الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى أتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة  
 فحملوه فيها فلما أشرف على لجة البحر أشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والام  
 يحصل في السفينة ما نراه فقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رأينا نناه نقترع فن خرجت عليه  
 نغرقه في البحر فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هؤلاء أنا  
 العاصي وتلق في كسانه ورمى بنفسه فالتقمه الحوت وأوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر  
 منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم  
 الى دجلة وصعد به ورماه في أرض نصيبين بالعراق وهو كالفرخ المستوف لا شعر ولا لحم فأنبأ الله  
 تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة أكلتها

فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح  
 وأمض من ثمرها وقد سقطت فقال يا يونس تحزن على شجرة أنبتت في ساعة ولا تحزن على مائة  
 ألف أو يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم وذلك قوله تعالى (وأرسلناه) أي بعد ذلك  
 كقبله الى قومه بني نوى من أرض الموصل (الى مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أوجعني  
 الواو وقال مقاتل والكلبي يعقيل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة للمخاطبين \* واختلفوا  
 في مبلغ الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفا ورواه أبي بن كعب عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين ألفا وقال سعيد بن جبيرة تسعين ألفا (فأمثوا) أي  
 الذين أرسل اليهم عندهم مائة العذاب الموعودين به (فتعناهم) أي أبقيناهم بما لهم (الى حين)  
 أي الى انقضاء آجالهم \* (تنبيه) \* قال البيضاوي ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط عليهم السلام  
 بما ختم به سائر القصص بفرقة بينهما وبين أرباب الشعائر الكثيرة وأولى العزم من الرسل  
 واكتفاء بالسلام الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة وقوله تعالى لئن لم يجد صلى  
 الله عليه وسلم (فاستقتهم) أي استخبرك فكارمكة توبيخا لهم (الربك البنات ولهم البنون) قال  
 الزمخشري معطوف على مثله في أول السورة قال أبو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة  
 نحو كل لحاوا ضرب زيد او خبز من أقمح الترا كيف فكيف بجملة كثيرة وقصص متباينة  
 فاجيب عنه بأن الفصل وان كثيرين الجمل المتعاطفة معتقروا أما المثال الذي ذكره من قبيل  
 المفردات التي ترى كيف عطف خبز على لحاوا أيضا الفاصل ليس بأجنبي كما أشار اليه البيضاوي  
 بقوله أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره  
 جازا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم أمره صلى الله عليه وسلم باستفتائهم عن وجه  
 القسمة حيث جعلوا لله البنات ولا تنقسم البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام  
 المتكوّنة القاسدة وتفضيل أنفسهم الخسيسة عليه سبحانه حيث جعلوا أوضاع الجنسين له وأرغما  
 لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أشوههم ولذلك كرر الله تعالى انكاره ذلك وابطاله في كتابه العزيز  
 مرارا وجعله مما تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانهكار  
 ههنا مقصود على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهم ما ونقل الواحدى عن المنسرين انهم  
 قالوا ان قريشا وأجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح قالوا الملائكة بنات الله  
 وهذا الكلام يشتمل على أمرين أحدهما اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا  
 يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كنف يمكن اثباته للخالق والثاني  
 اثبات أن الملائكة اناث وهذا أيضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر أما  
 الحس فنقصود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله تعالى الملائكة وهو المراد من قوله تعالى (أم خلقنا  
 الملائكة اناثا وهم شاهدون) واما خص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة  
 ليست من لوازم ذاتهم لتكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم

لغير ط جهلهم - ثم يثبتونه كأنهم - قد شاهدوا خلقهم وأما الخبر فقود أيضا لأن الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعاً وهو لا الذين يجبرون عن هذا الحكم كذايون أفا كون لم يدل على صدقهم - دليل وهذا هو المراد من قوله تعالى (الأنهم من افكهم ليقولون ولدا لله وانهم لكاذبون) أي فيما زعموا وقوله تعالى (أصطفى البنات على البين) استنهم انكار واستبعاد الاصطفاء أخذ صفوة الشيء (فائدة) همزة قطع مفتوحة متطوعة وصلوا ابتداء (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الناسد (أفلا تذكرون) أي انه تعالى نزه عن ذلك وقرأ حمزة والكسائي وحسن بخفيف الذال والباقون بالثديد وأما النظر فقود من وجهين الأول أن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى أكل الموجودات والا كدل له اصطفاؤه الا بناء على البنات يعني ان اسناد الافضل الى الافضل أقرب الى العقل من اسناد الاخص الى الافضل فن كان حكم العقل معتبراً في هذا الباب كان قولهم باطلاً الثاني أن ترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالهم بآيات الدال على صحة مذهبهم - واذالم يجدوا دليلاً يظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى (أم لكم سلطان مبين) أي حجة واضحة ان الله ولداً (فأتوا بكتابكم) أي التوراة فأروني ذلك فيه (ان كنتم صادقين) أي في قواكم هذا (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد وقادة أراد بالجنة الملائكة عليهم السلام - وما جئنا لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس لعنه الله وقيل هم خزان الجنة قال الرازي وهذا القول عندي مشكل لانه تعالى أطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله تعالى وجعلوا الخ والعطف يقتضي المغايرة فوجب أن يكون المراد من الآية غير ما تقدم وقال مجاهد قال كنفار قرئش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه منكراً عليهم فن أمهاتهم قالوا سروات الجن وهذا أيضاً بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسباً قال الرازي وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوم من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الخ الكريم وابليس هو الاخ الشرير فالمراد من ذلك هو هذا المذهب وهو مذهب الجوس قال وهذا القول عندي هو أقرب الاقوال في الرد عليه بهذه الآية (ولقد علمت الجنة انهم) أي اهل هذا القول (لمحضرون) أي الى النار ومعذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب فعلى الأول الضمير عائداً الى القائل وعلى الثاني عائداً الى نفس الجنة \* ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوه من الكذب فقال تعالى (سبحان الله عما يصفون) بأن الله تعالى ولداً ونسباً وقوله تعالى (الاعباد لله المخلصين) أي المؤمنين استثناء منقطع ٣ أي لكن عباد الله المخلصين ينزهون الله تعالى عما يصف هؤلاء الثالث أنه ضمير محضرون أي لكن عباد الله تعالى ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسيب معترضة وظاهر كلام أبي البقاء أنه يجوز أن يكون استثناء متصلاً لانه قال مستثنى من وار جعلوا أو محضرون ويجوز أن يكون منفصلاً فظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هو فيه ما متصل لا منفصل وليس بعيد كأنه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله مخلص من الشرك ١٥

٣ قوله استثناء منقطع الخ هكذا في النسخ وهي عبارة غير محزنة وأصلها كما في الجمل وفي السمين قوله الاعباد الله المخلصين في هذا الاستثناء وجوه أحدها انه منقطع والمستثنى منه اما فاعل جعلوا أي جعلوا بينه وبين الجنة نسباً الا عباد الله الثاني انه فاعل يصنون أي لكن عباد الله يصفونه بما يليق به تعالى الثالث انه ضمير محضرون أي لكن عباد الله ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسيب معترضة وظاهر كلام أبي البقاء أنه يجوز أن يكون استثناء متصلاً لانه قال مستثنى من وار جعلوا أو محضرون ويجوز أن يكون منفصلاً فظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هو فيه ما متصل لا منفصل وليس بعيد كأنه قيل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله مخلص من الشرك ١٥



نسبا فهو عند الله مخلص من الشرك وقوله تعالى (فانكم) أى يا اهل مكة (وما تعبدون) أى من  
الاصنام عود الى خطاياهم لانه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما ينبه به  
على أن هؤلاء الكفار لا يقدرّون على اضلال أحد الا اذا كان قد سبق حكم الله تعالى في حقه  
بالعذاب والوقوع في النار كما قال تعالى (ما أنتم عليه) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله  
(بفانين) أى بمضلين أحد من الناس (الامن هو صال الجحيم) أى الامن سبق له في علم الله تعالى  
الشقاوة \* (تنبيه) \* احتج أهل السنة بهذه الآية على انه لا تأثير لاجزاء الشيطان ووسوسته  
وانما المؤثر هو الله حيث قضاه وقدره ثم ان جبريل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن  
الملائكة ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار بقوله (وما مننا) أى معشر الملائكة ملك (الاله مقام  
معلوم) في السموات يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما في  
السموات موضع شبرا لا وعليه ملك يصلى ويسبح وروى أبو ذر رضى الله تعالى عنه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسى بيده ما فيهن موضع أربع  
أصابع الا وملك واضع جبهته لله سجدا قيل الا طيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل  
وحسها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أنزلها حتى أطت وهذا مثل وايدان بكثرة  
الملائكة عليهم السلام وان لم يكن ثم أطيط وقال السدى الاله مقام معلوم في القرب والمشاهدة  
(وانالخن الصافون) أى أقدامنا في الصلاة وقال الكلبى صفوف الملائكة في السماء كصفوف  
الناس في الارض (وانالخن المسجون) أى المنزهون الله تعالى عما لا يليق به وقيل هذا  
حكاية كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما مننا الاله مقام معلوم في الجنة أو بين  
يدى الله تعالى في القيامة وانالخن الصافون في الصلاة والمنزهون له تعالى عن السوء ثم انه  
تعالى أعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال (وان كانوا) أى كفار مكة وان مخنفة من  
الثقيلة (ليقولون لو أن عندنا ذكرا) أى كآبا (من الاولين) أى من كتب الامم الماضين (لكنا  
عباد الله المخلصين) أى لا خلاصنا العباد له وما كذبنا ثم جاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار  
والمهين عليها وهو القرآن العظيم (فمكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد  
عظيم \* ولما هددهم بذلك أردفه بما يقوى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ولقد  
سبقتم كذبنا) أى بالنصر (لعبادنا المرسلين) وهى قوله تعالى لا تغلبن أنا ورسلى أو وهى قوله  
تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا) أى المؤمنين (انهم الغالبون) أى الكفار والنصرة  
والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والنيات فالمؤمن  
وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب في الآخرة فالحكم  
في ذلك للاغلب في الدنيا فلا ينافى ذلك قتل بعض الانبياء عليهم السلام وهزم كثير من المؤمنين  
وانما سمي ذلك كلمة وهى كلمات لا تنظامها في معنى واحد (فتول عنهم) أى أعرض عن كفار مكة  
واختلف في قوله تعالى (حتى حين) فقال ابن عباس يعنى الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال  
السدى حتى بأمر الله تعالى بالقتال وقيل الى أن يأتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة وقال

مقاتل بن حبان نسختها آية القتال (وابصرهم) أي اذ انزل بهم العذاب من القتل والاسر  
في الدنيا والعذاب في الآخرة (فسوف يبصرون) أي ما قضينا لك من التأييد والنصرة  
والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتباعد \* ولما قيل لهم ذلك قالوا استترزاه متى نزول  
العذاب فقال تعالى تهديد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) أي إن ذلك الاستعجال  
جهل لأن لكل شيء من أفعال الله تعالى وقتا معيناً لا يتقدم ولا يتأخر (فأذ انزل) أي العذاب  
(بساحتهم) قال مقاتل يحضرتهم وقيل بنفائهم قال القراء العرب تهكتني يذكر الساحة عن  
التوم فشبه العذاب بجيش هجم فأناخ بنفائهم بغتة (فساء) أي فبئس صباحا (صباح المنذرين)  
أي الكافرين الذين أنذروا بالعذاب وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى خيبر أتاهم الأيلا وكان إذا جاء قوم ما لبيل لم يغرح حتى يصبح فلما  
أصبح خرجت بهم ودمساحيها ومكاتها فلما رأوه قالوا الحمد والله محمد والحمد لله فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الله أكبر خرجت خيبر أنا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث  
مرات وقوله تعالى (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) فيه وجهان أحدهما  
أن في هذه الكلمة فيما تقدم أحوال الدنيا وفي هذه الكلمة أحوال يوم القيامة وعلى هذا  
فالتكرار زائل والثاني أنهم أكثر مرة للمبالغة في التهديد والتويل (فإن قيل) ما الحكمة  
في قوله أولاً وأبصرهم وههنا قال وأبصر بغير ضمير (أجيب) بأنه حذف منه قول أبصر الثاني  
أما اختصار الدلالة الأول عليه وأما اقتصارا تفننا في البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة بتزيه  
نفسه عن كل ما يليق بصفات الالهية فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة  
والقوة وفي قوله تعالى رب إشارة إلى كمال الحكمة والرحمة وفي قوله تعالى العزة إشارة إلى كمال  
القدرة وانه القادر على جميع الحوادث لأن الالف واللام في قوله تعالى العزة تفيد الاستغراق  
وإذا كان الكل ملكا له سبحانه لم يبق لغيره شيء فثبت أن قوله سبحانه وتعالى سبحان ربك رب  
العزة (عما يصفون) أي إن له ولدا كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكل النهايات وقوله  
تعالى (وسلام على المرسلين) أي المبلغين من الله تعالى التوحيد والشرايع تعميم للرسل بعد  
تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم أفضل  
الصلاة والسلام وعلى ما أفاض عليهم ومن اتبعهم من النعمة وحسن العاقبة ولذلك أخره عن  
التسليم والغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يقلوا عنه لما روى البغوي عن علي  
رضي الله عنه أنه قال من أحب أن يكال بالمكال الا وفي من الاجر يوم القيامة فليكن آخر  
كلامه من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين  
الحق وأما ما رواه البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأ الصافات أعطى من الاجر  
عشر حسنات بعد ذلك جنى وشيطان وتساعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له  
حافظه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين فموضوع

﴿سورة ص مكية﴾

وهي ست أو ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفا (بسم الله) المترجم عن كل شائبة نقص (الرحمن) الذي عمّ وجوده سائر مخلوقاته (الرحيم) عن خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى (س) فقيل قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظي مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد وقال الضحاك معناه صدق الله وروى عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته (والقرآن) أي الجامع مع البيان لكل خير (ذي الذكر) أي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي البيان وقال الضحاك ذي الشرف ودليله قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك (فان قيل) هذا قسم فأين المقسم عليه (أجيب) بأنه محذوف تقديره ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الآهية وقوله تعالى (بل الذين كفروا) أي من أهل مكة اضرب النقال من قصة الى أخرى (في عزة) أي حية وتكبر عن الايمان (وشقاق) أي خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والتذكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما \* وقيل جواب القسم قد تقدم وهو قوله تعالى حس أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمد الصادق وقال الفراء حس معناها واجب وحق فهو جواب قوله والقرآن كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الاكذب الرسل وقال السدي ان ذلك لحق تخاسم أهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تغلغل بين القسم وبين هذا الجواب أفاصيص وأخبار كثيرة وقال مجاهد في عزة متعازين (كم) أي كثيرا (أهلككم من قبلهم) وأكد كثرتهم بقوله تعالى (من قرن) أي من أمة من الامم الماضية كانوا في شقاق مثل شقاقهم \* (تنبيه) \* كم ففعل أهلكوا من قرن تمييز ومن قبلهم لا ابتداء الغاية (فنادوا) أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النعمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة (ولات) أي وليس الحين (حين مناص) أي مني وفرار قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب يبدوا وقالوا مناص فأنزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص ينوص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلفظة أهل الحين وقال الصوريون هي لازيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثعت وأصلها هاء وصلت بلا فقوالوات كما قالوا ات ولا تعمل الا في الازمان خاصة فحولات حين ولات اوان كقول الشاعر

طلبوا صلحنا ولات اوان \* فأجبنا أن ليس حين بقاء

والاكثر حينئذ حذف مرفوعها فتقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويأتي

المرفوع كقول القائل من صدعن نيرانها \* فأنا ابن قيس لابرأح

أي لابرأح لي ولما حكى تعالى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة

بقوله تعالى (ومحبوا) أي الكفار الذين ذكروهم الله تعالى في قوله سبحانه بل الذين كفروا في عزة

وشقاق (ان) أي لاجل أن (جاءهم منذر) هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى (منهم)

وجهان أحدهما منهم قالوا ان محمدا مسا ولنا في الخلافة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب

والشكل والصورة فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالی والثانی أن الغرض من هذه الكلمة التنبیه علی كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم إلى التوحید والترغیب فی الآخرة ثم أن هذا الرجل من آثارهم يعلمون أنه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما یوجب الاعتراف بتصدیقه ثم انهم لما قاتلهم بتعجبون من قوله (وقال الكافرون) وضع الظاهر فيه موضع المضمرة إشارة إلى أنهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لاجاهلون ومعاندون لا غافلون وايدنا بشدة غضبه عليهم وذمالمهم علی قولهم (هذا) أي النذیر (ساحر) ای فیما یظهره محجزة (كذاب) أي فیما یتقول علی الله تبارك وتعالی (اجعل) أي صیر بسبب ما برعتم أنه یوحی الیه (الالهة) أي التي تعبدھا (الهاواحد) كيف یسع الخلق كلهم الی واحد (ان هذا) أي القول بالوحدانية (لشیء عجاب) أي بلیغ فی العجب فانه خلاف ما أطبق علیه آباؤنا وما نشاهد من أن الواحد لا یبقی عمله وقدرته بالاشیاء الكثيرة وقال البغوی العجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روى انه لما أسلم عمر رضی الله عنه شق ذلك علی قریش وفرح به المؤمنون فقال الولید بن المغيرة لله الامن قریش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سنا الولید بن المغيرة اذهبوا إلى أبي طالب قاتوا الیه وقالوا له أنت شیخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بیننا وبين ابن أخيك فأرسل أبو طالب الیه فحضر فقال له یا ابن أخي هؤلاء قومك بسألونك السواء فلا تمل كل الميل علی قومك فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم ماذا نسألونی فقالوا ارفضنا وارفض ذکرا آلهتنا قال أرايتم ان أعطيتكم ما سألتم أن تعطونی أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيكمھا وعشر امثالها فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا ذلك (وانطلق الملائمة) أي أشراف قریش من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسمعهم فيه من النبي صلی الله علیه وسلم قولوا لا اله الا الله (أن امشوا) أي یقول بعضهم لبعض امشوا أي اذهبوا (واصبروا) أي اثبتوا (علی آلهتكم) أي علی عبادتها قال الزمخشري ویجوز انهم قالوا امشوا أي اکتروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه المشاشية للتقاؤل اه \* (فائدة) \* الجميع یکسرون النون فی الوصل من أن امشوا والهزة فی الابتداء من امشوا \* ولما أسلم عمر وحصل للمسلمین قوة بكانه قال المشركون (ان هذا) أي الذي نراه من زیادة أصحاب محمد صلی الله علیه وسلم (لشیء يراد) أي بنا فلا مرد له أو ان الصبر علی عبادة الالهة لشیء يراد وهو أهل للارادة فهو أهل أن لا تتفك عنه وقيل هذا المذكور من التوحید لشیء يراد منا وقيل ان دينكم لشیء یطلب لیؤخذ منكم (ما سمعنا بهذا) أي الذي یقوله محمد من التوحید (فی الملة الآخرة) قال ابن عباس یعنون فی النصرانية لانها آخر الملل وهم لا یوحدون بل یقولون ثلاث وثلاثون مجاهدين یعنون ملة قریش دینهم الذي هم علیه (ان) أي ما هذا أي الذي یقوله (الاختلاق)

افتعال وكذب (أُنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (الذكر) أي القرآن (من بيننا)  
 ولا يربأ كبرنا ولا أشرفنا وهذا استفهام على سبيل الإنكار لاختصاصه عليه الصلاة والسلام  
 بأوحى وهو مثلهم وفي ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام  
 الدنياوي وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالواو وأدخل بينهما ألفا قالون  
 وأبو عمرو وبخلاف عن ورش وابن كثير بغير إدخال وعن هشام فيها ثلاثة أوجه تحقيق الهمزتين  
 وإدخال ألف بينهما وتحقيقهما من غير إدخال الف بينهما قال الله تبارك وتعالى (بل هم في شك)  
 أي ترددهم يحيط بهم مبتدأ لهم (من ذكرى) أي وحى وما أنزلت لميلهم إلى التقليد وأعرضهم  
 عن الدليل الذي لو نظر واقع لزال هذا الشك عنهم (بل) أي ليسوا في شك منه في نفس الأمر  
 وإن كان قولهم قول من هو في شك (لما يذوقوا عذاب) أي الذي أعدته للمكذبين ولو ذاقوه  
 لما قالوا هذا القول وأصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ  
 (أم) أي بل (عندهم خزائن) أي مفاتيح (رحمة) أي نعمه (ربك) وهي النبوة يعطونها  
 من شاءوا ونظيره قوله تعالى أنهم يقسمون رحمة ربك أي نبوة ربك (العزير) أي الغالب الذي  
 لا يقبله أحد (الوهاب) الذي له أن يهب كل ما يشاء من النبوة أو غيرها لمن يشاء من خلقه  
 \* ولما كانت خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ومن  
 جلتها السموات والأرض وما بينهما وهم عاجزون عن هذا القسم قال الله تعالى (أم لهم ملك  
 السموات والأرض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك فلا يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله تعالى  
 أولى وقوله تعالى (فليرة قوا في الأسباب) جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا  
 في المعارج التي توصل بهم إلى العرش حتى يستروا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي  
 إلى من يريدونه وهذا غاية التحكم بهم والتعجيز والتوبيخ قال مجاهد أراد بالأسباب أبواب  
 السماء وطرقها من السماء إلى السماء وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سبب واستدل حكما  
 الإسلام بقوله تعالى فليرة قوا في الأسباب على أن الأجرام الفلكية وما أودع الله تعالى فيها من  
 القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي لأن الله تعالى سمى الفلكيات أسبابا وهذا يدل  
 على ذلك وقوله تعالى (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) خبر مبتدأ مضمرا أي هم قريش  
 جند من الكفار المتحزبين على الرسل عليهم السلام مهزوم مكسور عما قريب فن أين لهم تدبير  
 الإلهية والتصرف في الأمور الربانية فلا تكثر بما تقول قريش قال قتادة أخبر الله تعالى نبيه  
 محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فقال تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر  
 فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم وقيل يوم الخندق قال الرازي والأصح  
 عندي حمله على يوم فتح مكة لأن المعنى أنهم جند سيصرون مهزومين في الموضع الذي ذكر وفيه  
 هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب أن يكون المراد أنهم سيصرون مهزومين في مكة  
 وما ذاك إلا في يوم الفتح \* (تنبيه) \* في ما وجهان أحدهما أنها مزيدة والثاني أنها الجند  
 على سبيل التعظيم للمهزومين وللتحقير فإن ما الصفة تستعمل لهذين المعنيين وقد تقدم الكلام

عليها في أوائل البقرة وهناك صفة الجند وكذلك مهزوم ومن الأحزاب ثم قال لله تعالى لنبية  
صلى الله عليه وسلم معزيه عليه السلام (كذبت) أي مثل تكذيبهم (قبلهم قوم نوح)  
 أنت قوم باعتبار المعنى واستمرزوا على عزتهم وشقاقهم إلى أن رأوا الماء قد أخذهم ولم يسجدوا  
 بالأذعان ولا بالتضرع إلى نوح عليه السلام (وعاد) سماهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من  
 المكنة بالملك واستمرزوا في شقاقهم إلى أن خرجت عليهم الريح العقيم ورأوا ما تحمل الأبل فيما  
 بين السماء والأرض وهم لا يذعنون لما دعاهم إليه هو عليه السلام (وفرعون ذوالاوتاد)  
 كانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان إذا غضب على أحد مدم مستاقيا بين أربعة أوتاد يشد  
 كل يد وكل رجل منه إلى سارية وتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت وقال  
 مجاهد كان يمد الرجل مستاقيا بين أربعة أوتاد على الأرض يشد الرجل به ويديه ورأسه على  
 الأرض بالأوتاد قال السدي كان يشد الرجل بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات  
 وقال ابن عباس ذوالبناء المحكم وقيل ذوالملك الشديد الثابت وقال العتبي تقول العرب هم  
 في عز ثابت الأوتاد يريدون أنه دائم شديد قال الأسود بن يعفور

ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة \* في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقال الضحاك ذوالقوة والبطش وقال عطية ذوالجوع والجنود الكثيرة لأنهم كانوا يقوون أمره  
 ويشدون ملكه كما يقوى الوند الشيء والأوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو وكسر التاء  
 وهي الفصحى وتد بشعيتين وود بادغام التاء في الدال (وعود) واستمرزوا فيما هم فيه إلى أن رأوا  
 علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم جرتهم سوادها ولم يكن في ذلك زاجر يردهم عن عزتهم  
 وشقاقهم (وقوم لوط) أي الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه واستمرزوا في عزتهم وفي شقاقهم حتى  
 ضربوا بالعشاء وطمس الأعين ولم يقدرزوا على الوصول إلى ما أرادوا من الدخول إلى بيت لوط  
 عليه السلام ولم يردهم ذلك عن عزتهم وشقاقهم (وأصحاب الأيكة) أي الغيضة وهم قوم شعيب  
 عليه الصلاة والسلام (أولئك الأحزاب) أي المتحزبون على الرسل عليهم السلام الذين خص الجند  
 المهزوم منهم وقيل المعنى أولئك الأحزاب مبالغته في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل أي  
 أولئك الأحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء  
 المساكين إذا نزل عليهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (أن) أي ما (كل) أي  
 من الأحزاب (الأكذب الرسل) أي لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لأن  
 دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد (حق عقاب) أي فوجب عليهم ونزل بهم عذابي \* ثم بين  
 تعالى أن هؤلاء المكذبين وإن تأخر هلاكهم فسكانه واقع بهم فقال تعالى (وما ينتظر) وحقرهم  
 بقوله تعالى (هؤلاء) أي وما ينتظر كفار مكة (الاصححة واحدة) وهي نفخة الصور الأولى  
 كقوله تعالى ما ينتظرون الاصححة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية  
 الآية والمعنى أنهم وإن لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو عدلهم يوم القيامة فجعلهم منتظرين  
 لها على معنى قربها منهم كل رجل الذي ينتظر الشيء فهو ما إذا الطرف إليه يقطع كل ساعة بحضوره

ر قيل المراد بالصيحة عذاب يتبعوهم ويحيطهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا  
 قال الشاعر صاح الزمان بال برمك صيحة \* خروا لشدها على الاذقان  
 ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم الآية وقرأ حزة  
 والكسائي (مالها) أي الصيحة (من فواق) بضم الفاء والباقون بفتحها وهما لغتان  
 بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى مالها من توقف  
 قدر فواق ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء  
 أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق  
 المريض اذا رجع الى صحته وافاقة الناقة ساعة يرجع اللبن الى ضرعها يقال أفاقت الناقة  
 تفيق أفاقة رجعت واجتمعت الفبقة في ضرعها والفيقة اللبن الذي يجمع بين الحلبتين وهو  
 أن يحلب الناقة ثم يترك ساعة حتى يجمع اللبن فباين الحلبتين فواق أي العذاب لا يمهلهم بذلك  
 القدر (وقالوا) أي كفار مكة استهزأ لما نزل قوله تعالى في الحاقة فأثامن أوثى كتابه  
 بينه وأثامن أوثى كتابه بشماله (ربنا) أي يا أيها المحسن اليانا (عجل لنا قطننا) أي كتاب  
 أعمالنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقال سعيد بن جبيرة يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة  
 التي تقول وقال مجاهد والسدى يعنون عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطاء قاله النضر  
 ابن الحرث وهو قوله ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد  
 قطننا حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجواز ويجمع  
 على قطوط وقططة كقرد وقرد وقردة وفي القلة على أقطة واقطاط كقذح وأقذحة واقذاح  
 الآن أفعلة في فعل شاذ \* ولما أن القوم تعجبوا من أمور ثلاثة أولها من أمر النبوات  
 وإثباتها كما قال تعالى وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا حائر كذاب وثانيها  
 تعجبهم من الالهيات فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والحشر والنشر  
 فتناولوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر  
 فقال سبحانه (اصبر) وأشار بحرف الاستعلاء الى عظيم الصبر فقال (على ما يقولون) أي على  
 ما يقول الكافرون من ذلك ثم انه تعالى لما أمر نبيه بالصبر ذكر قصص الانبياء عليهم السلام تسلية  
 له فكأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلمه أن كل واحد منهم  
 كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان  
 استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا ربدأ  
 من ذلك بقصة داود عليه السلام فقال تعالى (واذكر عبدنا) أي الذي أخلصناه لنا وأخلص  
 نفسه للنظر الى عظمتنا والقيام في خدمتنا وأبدل منه أو بينه بقوله تعالى (داود ذا الأيد) قال  
 ابن عباس أي القوة في العبادة روى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان يصوم  
 يوما وينظر يوما وكان ينام نصف الليل ويتوهم ثلثه وينام سدسه وقيل ذا القوة في الملك ووصفه

تعالى بكونه عبدالله وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية  
 التشريف ألا ترى أنه تعالى لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال  
 تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وأيضاً وصف الأنبياء عليهم السلام بالعبودية مشعراً بأنهم  
 قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة (أنه أقواب) أي رجاع إلى مرضاة الله  
 تعالى والأقواب فعال من آب يؤب إذا رجح قال الله تعالى إن لنا إليهم وهذا بناء مغالبة  
 كما يقال قتال وضراب وهو أبلغ من قاتل وضارب وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير  
 مسج بلغة الحبشة ويؤيد هذا قوله تعالى (أنا) أي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء  
 (سخرنا الجبال) أي التي هي أقصى من قلوب قومك وانها أعظم الاراضي صلابة وقوة وعلوا  
 ورفعته بأن جعلناها منقادة ذلولاً كالجلل الانف ثم قيد ذلك بقوله تعالى (معه) أي مصاحبة له  
 (يسبحن) أي بتسبيحه وفي كيفية تسبيحها وجوه أحدها أن الله تعالى يخلق في جسم الجبل  
 حياة وعقلاً وقدرة ونطقاً وحينئذ يصير الجبل مسبحاً لله تعالى ثانياً قال القفال إن داود عليه  
 السلام أوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصفي الطير إليه  
 لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغارها إليه تسبيحاً روى محمد بن سحوق أن  
 الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى أنه كان إذا قرأ الزبور ردت  
 منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها ثالثاً إن الله تعالى سخر الجبال حتى أنها كانت تسبح إلى  
 حيث يريد داود عليه السلام فجعل ذلك السبح تسبيحاً لأنه يدل على كمال قدرته تعالى واتقان  
 حكمته (بالعشي والاشراق) قال الكلبي غدوة وعشيا والاشراق هو أن تشرق الشمس  
 ويتناهي ضوءها قال الزجاج يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضأت وقيل هما  
 بمعنى واحد والاول أكثر استعمالاً كتر استعمال قول العرب شرقت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس  
 بصلاة الضحى قال ابن عباس كنت أمرت بهذه الآية ولم أدر ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي  
 طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فداها بوضوء فتوضأت ثم صلى الضحى وقال يا أم  
 هانئ هذه صلاة الاشراق وروى طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى  
 في القرآن قالوا لا نقرأ أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقوله تعالى (والطير  
 محشورة) أي مجموعة إليه تسبح معه عطف مفعول على مفعول وهما الجبال والطير وأحال على  
 حال وهما يسبحن ومحشورة كقولك ضربت زيداً مكتوفاً وعمراً مطلقاً وأتى بالحال اسمالانه  
 لم يقصد ان الفعل وقع شيئاً فشيئاً لأن حشرها دفعة واحدة أدل على القدرة والحاشر هو الله تعالى  
 (فان قيل) كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير مع أنه لا عقل لها (أجيب) بأنه لا يعد أن يخلق  
 الله تعالى لها عقولاً حتى تعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ ويكون ذلك سحرة لداود عليه السلام  
 (كل) أي من الجبال والطير (له) أي لداود أي لأجل تسبيحه (أقواب) أي رجاع إلى طاعته  
 بالتسبيح وقيل كل مسبح فوضع أقواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للبارئ تبارك وتعالى والمراد  
 كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى (وشددنا) أي قويتنا بما لنا من العظمة (ملكه)



بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة  
 وثلاثون ألف رجل وعن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل استعدي على رجل من عظمائهم  
 عند داود فقال إن هذا قد غصبني بقرافسأله داود فجحد فقال لا آخر البيعة فلم تكن له بيعة فقال  
 له ما داود قوما حتى أنظر في أمر كما فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي  
 عليه فقال هذه رؤيا لست بأجمل حتى أثبت فأوحى الله تعالى إليه مرة ثانية فلم يفعل فأوحى الله  
 تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله أو تأتبه العتوبية فأرسل داود إليه فقال له إن الله تعالى أوحى إلى  
 أن أقتلك فقال تقتلني بغير بيعة فقال نعم والله لا نذنك أمر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل أنه  
 قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهما الذنب ولكني كنت اغتلت ابن هذا فقتلته  
 فبذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته داود عند ذلك في قلوب بني إسرائيل واشتد به  
 ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناها) أي نظمنا (الحكمة) أي النبوة  
 والاصابة في الأمور واختلف في تفسير قوله تعالى (وفصل الخطاب) فقال ابن عباس بيان  
 الكلام أي معرفة الفرق بين ما يتبس في كلام المخاطبين له من غير كبر رؤية في ذلك وقال ابن  
 مسعود والحسن علم الحكمة والبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أن البيعة  
 على المدعى واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم يتقطع ويتصل به وقال أبي بن كعب  
 فصل الخطاب الشهود والايان وقال مجاهد وعطاء ويروي عن الشعبي أن فصل الخطاب هو  
 قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه أما به إذا أراد التسرع في كلام آخر وأول من قاله  
 داود عليه السلام وقيل غيره كما ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج أما بعد وقيل هو  
 الخطاب الفصل الذي ليس باختصاص محل ولا اشباع عمل كما جاء وصف كلام النبي صلى الله عليه  
 وسلم فصل لا تزرو ولا هذرو وقوله تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (هل) استفهام معناه  
 التمجيد والتشويق إلى استماع ما بعده (أناك) يا أفضل الخالق (نبأ) أي خبر (الخصم)  
 وهو في الأصل مصدر ولذلك يصلح للمفرد والمذكر والمراد به هنا الجمع بدليل قوله تعالى (اد)  
 أي حين (تسوروا) أي تصعدوا وعلموا (المحراب) أي البيت الذي كان يدخل فيه  
 داود ويشغل فيه بالعبادة والطاعة قال الزمخشري (فان قلت) بما انتصب انه قلت لا يحلوا أما  
 ان ينتصب بأناك أو نبأ أو بمحذوف فلا يوجب التصاد بأناك لأن ايمان التبارك رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لم يقع الا في عهده لاني عهد داود ولا بالانبياء لان النبأ واقع في عهد داود فلا يصح ايمانه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبأ القصة في نفسها لم تكن ناصباً فبني أن يكون  
 منسوبا بمحذوف تقديره وهل أناك نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا انتهى فاختار أن يكون معمولاً  
 لمحذوف ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى (اد) أي (دعوا)  
 على داود) بدل من الاولي أو ظرف لتسوروا وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار الدال عند  
 التاء في الاول وعند الدال في الثاني ووافقهم ابن ذكوان في الاول والباقيون بالادغام فيهما  
 (ففرع منهم) أي لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحجاب والحرس على الباب لا يتركون من

يدخل عليه فإنه عليه السلام كان جزأ زماته يوماً للعبادة ويوماً للتصاؤ ويوماً للوعظ ويوماً  
 للاشتغال بمحاجته فتسور عليه ملكان على صورة الإنسان في يوم الخلو (قالوا لا تخف) وقولهم  
 (خصمان) خبر مبتدأ ضمير أي نحن خصمان أي فريقان يطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل  
 اثنان والضمير عنهما وقد مر أن الخصم يطلق على الواحد والآخر وقولهم (بني بعضنا  
 على بعض) جملة يجوز أن تكون مفسرة لخالهم وأن تكون خبراً ثانياً (فان قيل) كيف  
 قالوا بني بعضنا على بعض وهم ملائكة على المنهور (أجيب) بأن ذلك على سبيل القرض أي  
 رأيت خصمين بني أحدهما على الآخر وهذا من معارضة الكلام لامن تحقيق البني من  
 أحدهما (فاحكم بيننا بق) أي الأمر الثابت الذي يطابق الواقع (ولانتشط) أي  
 ولا تجر في الحكومة (واهدنا) أي ارشدنا (إلى سواء الصراط) أي وسط الطريق الصواب  
 فقال لهما تكلما فقال أحدهما (إن هذا أختي) أي على ديني وطريقتي أو في النصيح لامن  
 جهة النسب (لهن ولسن ونسبون نعمة) أي امرأة (ولي نعمة واحدة) امرأة واحدة والنسب  
 هي الأخت من الضان ولكن كثرت في كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون  
 أنا أبو هن ثلاثة هن \* رابعة في البيت صفراهنه \* ونهجتني حساؤها فبينه

قال الحسن بن الفضل هذا تعريض للتفويه والتفهيم لأنه لم يكن ثم نعايج ولا بني فهو كقولهم  
 ضرب زيد عمرا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شرا وقرأ حفص بفتح الياء والباقون  
 بالسكون (فقال أ كفلنيها) قال ابن عباس أعطينها وقال مجاهد أنزل لي عنها وحقيقته ضمها إلى  
 واجعاني كافلها وهو الذي يعولها ويثق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزني) أي  
 غلبني (في الخطاب) أي الجدال لأنه أفصح مني في الكلام وقيل قهرني لقوته ملكه قال  
 الضمالي يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني وحقيقة المعنى أن  
 الغلبة كانت له لضعفي في يده وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامردا ودمع أوربا زوج  
 المرأة التي تزوجها داود وسبأ في الكلام على قصته إن شاء الله تعالى عن قريب (قال لقد  
 ظلمت بسؤال نجمت إلى نعايجه) وهذا جواب قسم محذوف أريد به المبالغة في انكار فعل  
 خليطه وتهجين طمعه والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر إلى  
 لتضمنه معنى الإضافة والانضمام أي ليضمها مضافة إلى نعايجه (فان قيل) كيف قال لقد ظلمت  
 لم يكن مع قول صاحبه (أجيب) بأن معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمت أو أنه قال ذلك  
 بعد اعتراف صاحبه بما يقول ولم يذكر الله تعالى ذلك لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير أن  
 الخصم الذي هذا شأنه قد ظلمك وقرأ قالون وابن كثير وهشام وعاصم بإظهار الدال عند الظاء  
 والباقون بالادغام وقوله (وإن كثيرا من الخلطاء) أي مطلقا منكم ومن غيركم والخلطاء جمع  
 خليط وهم الشركاء الذين خلطوا أمورههم وقال اللبث خليط الرجل مخالطه (أي بني) أي  
 ليعتدى (بعضهم) غالبا (على بعض) فيريدون غير الحق (فان قيل) لم خص الخلطاء يعني  
 بعضهم على بعض مع أن غير الخلطاء يفعلون ذلك (أجيب) بأن مخالطة توجب كثرة المنازعة

والخاصة لانهم اذا اختلط اطاع كل منهما على احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشياء  
 النفيسة ذا اطاع عليه عظمت رغبته فيه فيفضى ذلك الى زيادة المنازعة والخاصة فلذلك خص  
 داود عليه السلام الخلق بالبقي والعدوان ثم استثنى فقال (الا الذين آمنوا وعملوا)  
 أى تحقيقا لايمانهم (الصالحات) أى الطاعات فانهم لا يقع منهم شئ لان مخالطة هؤلاء تكون  
 لاجل الدين وهذا استثناء متصل من قوله بعضهم (وقليل ما هم) أى هم قليل فليل خبر مقدم  
 وما مزيدة للتعظيم وهو مبتدأ وقال الزمخشري ما لللاهم وفيه تعجب من قلتهم قال فان أردت  
 ان تحقق فائدتها وموقعها فأخرجها من قول امرئ القيس \* وحديث ما على قصره \* وانظر  
 هل بقي لها معنى (وطن داود) أى لذهابهم قبل فصل الامر وقدهم من ذلك أمر من عظمه  
 لا عهد له بمثله (أعماستناه) أى امتحناه قال المفسرون ان الطن هنا معنى العلم لان داود لما قضى  
 الامر بينهم انظر أحدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيا لوجهه فعلم ان الله تعالى  
 ابتلاه بذلك فثبت أن داود علم ذلك وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على  
 نفسه تحولا في صورتها وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه (فاستغفر ربه) أى طلب  
 الغفران من مولاه الذى أحسن اليه (وسحر) أى سقط من قيامه توبذ لربه عن ذلك (راكعا) أى  
 ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه يبدوه أو نحو السجود ركا أو مصليا كأنه أحرم بركعتي  
 الاستغفار (وأنا ب) أى رجع الى الله تعالى قال الرازي وللناس في هذه القصة ثلاثة احوال  
 أحدها أن هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها على الصغيرة وثالثها الاتدل على كبيرة  
 ولا صغيرة فأما القول الاول فقالوا ان داود عليه السلام أحب امرأة أوريا فاحتال في قتل  
 زوجها ثم تزوج بها ثم أرسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعة  
 وعرض تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم توبه لذلك واشتغل  
 بالتوبة قالوا وسبب ذلك أن داود عليه السلام تقي يوما من الايام منزلة آياته ابراهيم واسحق  
 ويعقوب وسأل ربه أن يخصه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما أعطاهم فأوحى الله تعالى اليه  
 انك تبلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم جاء الشيطان فتمثل له في صورة حامية  
 من ذهب فيها من كل لون حسن فأعجبه حسنها فتديده لياخذها ويرهبها بنى اسرائيل اينظروا الى  
 قدرة الله تعالى فطارت غير بعيدة فتبعها فطارت من كوة فنظر داود أين تقع فأبصر داود امرأة  
 في بستان تغتسل فحجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة أبصرت ظله ففقتضت شعرها فطوى  
 بدنهما فزاده اعجابا فسأل عنها فقيل له امرأة أوريا وزوجها في غزاة فأحب داود أن يقتله  
 ويتزوج بها فأرسل داود الى ابن أخته ان قدم أوريا قبل التابوت وكان من قدم على التابوت  
 لا يحمل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه أو يقتل فقدمه ففتح على يديه فكتب الى  
 داود فأمر أن يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل في الثالثة فلما انقضت عدتها تزوج  
 بها فهي أم سليمان عليهم السلام قال الرازي والذى أدب الله تعالى به واذهب اليه ان ذلك  
 باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى أفسق الناس وأشدهم

فجور الاتقي منها والذي نقل هذه القصة لوتسب الى مثل هذا العمل لما بالغ في تعزبه نفسه وربما  
 لعن من نسيبه اليها فكيف ياتي بالعاقلة نسبة المعصية الى داود عليه السلام ثانيها ان حاصل  
 القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته أما الاول  
 فأمر منكر قال صلى الله عليه وسلم من سعى في ذم مسلم ولو بشطر كلمة جاء مكتوبا بين عينيه آبر  
 من رحمة الله وأما الثاني فنكر أيضا قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه  
 فان أوربا لم يسلم من داود عليه السلام لاني روجه ولا في منكوحه ثالثها ان الله تعالى وصف  
 داود عليه السلام بصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر الصفة الاولى  
 انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بـداود عليه السلام في المصابرة على المكاره فلو  
 قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراقة دم عبده مسلم لغرض شهوته فكيف يليق  
 بأحكام الحاكمين أن يأمر محمد أفضل الرسل صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بـداود في الصبر على  
 طاعة الله تعالى الصفة الثانية انه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان  
 كون ذلك الموصوف كاملا في وصف العبودية في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات  
 فلو قلنا ان داود اشتغل بتلك الاعمال الباطلة تخفيفا لما كان داود كاملا في طاعة الهوى  
 والشهوة الصفة الثالثة وهي قوله تعالى ذا الایدی ذی القوّة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين  
 لان القوة الكاملة في أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات وأي قوة لمن لم يملك نفسه  
 عن القتل والرغبة في زوجه المسلم الصفة الرابعة كونه أوبا كثير الرجوع الى الله فكيف  
 يليق هذا الوصف عن قلبه مشغول بالفسق والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا نخرجنا الجبال  
 معه يسبحن افترى انه سخرت له الجبال ليتخذن ميل القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى  
 والطير محشورة قيل انه كان محترما عليه صيد شئ من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير آمنا منه  
 ولا يجوز ان الرجل المسلم على روجه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشهدنا ما ملكه  
 ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شهد ملكه بأسباب الدنيا بل المراد انما ملكه بقوى الدين وأسباب  
 سعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور فكيف  
 يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع  
 لكل ما ينفع علماء عملا فكيف يجوز أن يقال انا آتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على  
 ما يستنكف من مزاحمة أخص أصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات التي وصف بها قبل  
 شرح القصة وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فأقواها قوله تعالى وان له عندنا الزاني وحسن  
 ما ب وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فكيف ان الله تعالى يجعله خليفة ويقع  
 منه ذلك وقدرى عن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم  
 بحديث داود على ما ترويه القصص فاجلدوه ما نه جلدته وستين وهو حد القرية أي الكذب على  
 الانبياء ومما يقوى هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبه زنا وشهد ثلاثة من العصاة بذلك وأما  
 الرابع فلم يقل اني رأيت ذلك بعيني فان عمر رضي الله عنه كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد

منهم ثمانين جلدة لأجل أنهم قد فؤوا فإذا كان هذا الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك  
 فكيف الحال مع داود عليه السلام مع أنه من أكابر الأنبياء عليهم السلام فثبت بما ذكرنا أن  
 القصة التي ذكرها هؤلاء باطلة لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس وفيه بعض  
 الأكابر فكان يريد أن يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة بسبب اقتضى ذلك  
 فقلت له لاشك أن داود عليه السلام كان من أكابر الأنبياء والرسل وقال الله تعالى الله أعلم  
 حيث يجول رسالاته ومن مدحه الله تعالى مثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نبالغ في الطعن  
 فيه وأيضا بتقدير أنه ما كان نبيا فلا شك أنه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا  
 موتنا كم الأبخير وذكرت له أشياء أخر قال فسكت ولم يذكر شيئا (فان قيل) قد ذكر هذه القصة  
 كثير من المحدثين والمفسرين (أجيب) بأنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر  
 واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع إلى الدلائل القطعية واجبا والمحققون يردون هذا  
 القول ويحكمون عليه بالكذب وأما القول الثاني فقالوا تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة  
 لا على حصول الكبيرة وذلك من وجوه الأول أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه ثم خطبها  
 داود عليه السلام فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه  
 الثاني قالوا أنه وقع بصره عليها فقال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب البتة أما وقوع بصره عليها  
 بغير قصد فليس يذنب وأما حصول الميل عقب النظر فليس أيضا ذنبا لأن الميل ليس في وسعة  
 فليس مكافأه بل لما اتفق أنه قبل زوجهما تزوج بها الثالث أنه كان أهل زمان داود عليه  
 السلام يسأل بعضهم بعضا أن يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادة ما لوفة معهودة  
 في هذا المعنى فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها  
 فاستحيا أن يردّه ففعل وهي أم سليمان فقيل له ذلك وإن كان جائزا في ظاهر الشريعة إلا أنه  
 لا يليق بك فات حسنت الأبرار سياآت المقربين فهذه وجوه ثلاثة لوجهات هذه القصة على  
 واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الأترك الأفضل والاولى وأما القول الثالث  
 فقال تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا صغيرة لداود عليه السلام بل  
 يوجب أعظم أنواع المدح والثناء له وهو أنه قد روى أن جماعة من الأعداء طمعوها في أن يقتلوا  
 نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشغل فيه بطاعة ربه فانهزوا  
 القرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما تمنعهم منه  
 فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بنى بعضنا على بعض إلى آخر القصة فعلم غرضهم  
 وقصد أن ينتقم منهم وظن أن ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر ربه عما هم به وأتاب (فان  
 قيل) ههنا أربعة ألفاظ ~~ي~~ ~~ك~~ ~~ن~~ أن يحتج بها في الحاق الذنب بداود عليه السلام أحدها قوله  
 تعالى وظن داود أنما قتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله تعالى وأتاب  
 ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك (أجيب) بأن هذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكر  
 لاحتمال أن تكون الالة إنما حصلت من باب ترك الأفضل والاولى كما مر وجل هذه الألفاظ

على هذا الوجه لا يلزم منه استناد شئ من الذنوب اليه بل ذلك يوجب اسناد أعظم الطاعات  
 اليه وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتطليم الآخر قبل مسئلته وهناك أشياء  
 كثيرة ذكرها البغوي وغيره وفيما ذكرناه كفاية (فقفرنا له ذلك) أي ما استغفر منه (وان له  
 عندنا الرزق) أي زيادة خير في الدارين بعد المغفرة (وحسن ما ب) أي مرجع في الجنة  
 • ولما تم الكلام في شرح القصة أردفها بيان أن الله تعالى قوض الى داود خلافة الارض  
 بقوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي تدبر أمر العباد بأمرنا وهذا من  
 أقوى الدلائل على فساد القول الأول كما مر لان من البعيد جدا أن يوصف الرسول بكونه  
 ساعيا في سفك دماء المسلمين رغبة في انتزاع أزواجهم من أيديهم ثم يذكر عقبه أن الله تعالى  
 قوض خلافة الارض اليه ثم في نفسه يركونه خليفة وجهان أحدهما جعلناك تخلف من  
 تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من خلفه  
 وذلك انما يعقل في حق من تصح عليه الغيبة وذلك على الله تعالى محال فانهم انا جعلناك  
 محكما في الناس فاذا الحكم فيهم فهذا التأويل يسمى خليفة ومنه يقال خليفة الله تعالى في  
 أرضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة بمنحة في حق الله  
 تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة (فاحكم بين الناس)  
 أي الذين يتحاكمون اليك من أي قوم كانوا (بالحق) أي بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة  
 للشريعة الحق الاهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام  
 على وفق الاهوية وتخصيل مقاصد الانفس أفضى ذلك الى تخريب العالم ووقوع الهرج  
 فيه والمرج في الخلق وذلك يقضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى (ولا تتبع الهدى)  
 أي لا تغل مع ما تشتهي اذا خالف أمر الله تعالى ثم سبب عنه قوله تعالى (فيضلك) أي ذلك الاتباع  
 أو الهوى (عن سبيل الله) لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل  
 الله يوجب سوء العذاب (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أي عن الايمان بالله تعالى لهم  
 عذاب شديد عانوا أي بسبب نسيانهم (يوم الحساب) أي المرتب عليه تركهم الايمان ولو  
 أيقنوا يوم الحساب لا آمنوا في الدنيا وقال الزجاج يتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة  
 والسدي في الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب عانوا أي تركوا  
 القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء) التي ترونها (والارض وما بينهما) أي مما تحسون به من الرياح  
 وغيرها خلقا (باطلا) أي عبثا قال الله تعالى أغسيتم انما خلقناكم عبثا وأنكم اليانا ترجعون  
 • (تنبيه) • احتج أهل السنة بأن هذه الآية تدل على أنه تعالى خلق كل ما بين السماء  
 والارض وأعمال العباد مما بين السماء والارض فوجب أن يكون تعالى خالقها ودلت على  
 صحة القول بالحسروا القسرا لانه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما أن يكون خلقهم للاضرار  
 والانتفاع أو لا شئ والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث أيضا باطل لان  
 هذه الحالة حاصله خالصة حين كانوا معدومين فلم يبق الا أن يقال خلقهم للانتفاع وذلك الانتفاع

اما ان يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها  
 كثيرة وتعمل الضرر الكثير لوجود المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما باطل هذا القول  
 ثبت القول بوجود حياة بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة  
 \* (تنبيه) \* يجوز في باطلا ان يكون نعمتا المصدر محذوف أو حالاً من ضميره أي خلقها باطلا  
 وأن يكون حالاً من فاعل خلقنا أي مبطلين أو ذوى باطل وان يكون مفعولاً من أجله أي  
 للباطل وهو العيب (ذلك) أي خلق ما ذكر لا نشئ (ظن الذين كفروا) أي أهل مكة هم  
 الذين ظنوا أنهم خلقوا غير شئ وأنه لا بعث ولا حساب (قويل) أي هلاك عظيم بسبب هذا  
 الظن أو وادى جهنم (للذين كفروا) أي مطلقاً هذا الظن وغيره من أي شرك كان (من  
 النار) لان من أنكر الحشر والنشر كان شاكاً في حكمة الله تعالى في خلق السموات والارض  
 \* ونزل لما قال كفار مكة للمؤمنين ان اعطى في الآخرة مثل ما تعطون (أم نجعل) أي على  
 عظمنا (الذين آمنوا) أي امثالاً لا و امرنا (وعملوا الصالحات) تحقيقاً لايمانهم (كالمفسدين)  
 أي المطبوعين على الفساد والراغبين فيه (في الارض) أي بالسفر وغيره لم نجعلهم مثلهم وأم  
 منقطة والاسمتهما فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل  
 على نفيه وكذا التي في قوله تعالى (أم نجعل المتقين كالنجار) كرر الانكار الاول باعتبار وصفين  
 آخرين ينعان التسوية أو لا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم  
 وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ مضمراً أي هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى (أنزلناه) أي بما لنا  
 من العظمة (اليك) يا أشرف الخلق (مبارك) أي كثير خيره ونفعه وقوله تعالى (ليدبروا)  
 أصله ليدبروا وأدغمت التاء في الدال (آياته) أي ليتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة  
 فبأمره وأبوابه ومنهايه فيؤمنوا (وليتذكروا) أي وليتغيبوه (أولوا الألباب) أي أصحاب  
 العقول \* القصة الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ووهبنا) أي  
 بما لنا من العظمة (لداود سليمان) ابنه فجاء عديم النظير في ذلك الزمان دينا ودينا وعلما  
 وحكمة وعظمة ورجة والمخصوص بالمدح في قوله تعالى (نم العبد) محذوف أي سليمان  
 وقيل داود (انه أو اب) أي رجاع الى التسبيح والذكر في جميع الاوقات (اذ) أي اذ كراذ  
 (عرض عليه) أي سليمان وقوله تعالى (بالعشي) وهو ما بعد الزوال الى الغروب وقوله تعالى  
 (الصافنات) أي الخليل العربية الخالصة جمع صافنة وفيه خلاف بين أهل اللغة فقال الزجاج  
 هو الذي يقف على إحدى يديه ويقف على طرف سفيكه وقد يشعل ذلك باحدى رجله قال  
 وهي علامة الفراهة فيه وأنشد

ألف الصقون فلا يزال كأنه \* مما يقوم على الثلاث كبير

وقيل هو الذي يجمع يديه ويديه وقيل هو القائم مطلقاً أي سواء كان من الخليل أم  
 من غيرها قاله القتيبي واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم من سره أن تقوم الناس له صفوتنا  
 فليتبوأ مقعده من النار أي يديهون له القيام وجاء في الحديث فتنافسوا أي صافين أقدمنا

وقيل هو قبيل الخليل مطلقاً أي سواء وقف على طرف سنبك أم لا قال الفراء على هذا  
 وأيت أشعار العرب واختلاف أيضاً في قوله تعالى (الجياد) فهي أمان الجودة ويقال جاد  
 الفرس يجود جودة وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكور والانتى وهو الذي يجود في جريه  
 بأعظم ما يقدر عليه والجمع جياد وأجواد وأجاويد وقيل جمع الجود بالفتح = ثياب وثوب  
 وأمان الجيد وهو العنق والمعنى طويلة الاجساد وهو دال على فرائها قال الكلبي  
 عز سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه  
 داود ألف فرس وقال عوف عن الحسن بلغني انها كانت خيلاً خرجت من البصر لها  
 أجنحة وعن عكرمة أنها كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة فصلي سليمان الصلاة الأولى  
 التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر  
 فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك (فقال اني أحببت)  
 أي أردت (حب الخير) أي الخليل (عن ذكر ربي) أي صلاة العصر (حق توارت) أي  
 الشمس (بالجباب) أي استترت بما يحجبها عن الابصار (ردوها على) أي الخليل المعروضة  
 وقيل الضمير يرجع للشمس قال الرازي وهذا بعيد لوجوه الاول ان الصافات مذكورة  
 بالصرح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور أولى من عوده الى المقدر  
 وثانيها أنه لو اشتغل بالليل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنباً عظيماً ومن  
 كان هذا حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة فأما أن يقول على سبيل  
 العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقب ذلك الجرم  
 العظيم الذي لا يصدر عن أبعاد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام  
 المطهر المكرم ثالثها أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهد الكل أهل الدنيا  
 ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فسادته انتهى قال أكثر المفسرين  
 فلما ردا الخليل اليه أقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف أخذ من قوله تعالى (قطفوق  
 مسها) أي فأخذ يمسح السيف مسها (بالسوق والاعناق) أي سوقها وأعناقها يقطعها  
 من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك تقرباً الى الله تعالى وطلباً لرضائه حيث  
 اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحاً وان كان حراماً علينا كما أبيع لتاذيح بهيمة الانعام وبقي  
 منها مائة فرس فابق في أيدي الناس اليوم من الخليل من نسل تلك المائة قال الحسن  
 فلما عقر الخليل أبده الله تعالى خيراً منها وأمرع وهي الریح تجري بأمره كيف شاء قال  
 الرازي وهذا عندي بعيد لوجوه الاول أنه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى  
 فامسحوا برؤسكم أي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم  
 منه ضرب العنق أما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان  
 القائلين بهذا القول أجهوا على أن لسليمان عليه السلام أنواعاً من الافعال المذمومة فأولها  
 ترك الصلاة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسي الصلاة وقال صلى الله عليه



وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وإنما نهى الله بعد الايمان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة  
 والاربية البتة ورابعها أنه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يقولها  
 الرجل الحصيف الامع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها  
 وأعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لأكلة وهذه أنواع من  
 الكبائر ينسبون لها الى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها وخلصتها  
 ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقب قوله وقالوا ربنا عملنا قنطينا قبل يوم الحساب  
 وان الكفار لما بالغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر  
 على ما يقولون واذكركم عبدنا داود ثم ذكر عقبه قصة سليمان عليه السلام فقال تعالى ووهبنا  
 لداود سليمان الآية والتقدير أنه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اصبر على ما يقولون  
 واذكركم سليمان وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمان عليه السلام أتى في هذه  
 القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى وأعرض عن  
 الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه أقدم على  
 الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لاثقاف الالواح والاصواب ان تقول ان رباط  
 الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام  
 احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكرا في لأجر يربها لاجل  
 الدنيا ونصيب النقر وانما أجر يربها الامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن  
 ذكر ربي ثم انه عليه السلام أمر باجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم  
 انه أمر الرابضين ان يردوها فردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها  
 وأعناقها والغرض من ذلك أمور الاوّل تشرى بها ما يابنه اعزتها الكونها من أعظم  
 الاعوان في دفع العدو الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث  
 ياترأ أكثر الامور بنفسه الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخيل ومراميتها وعيوبها فكان  
 يمسحها ويمسح لها سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي  
 ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة شيء من المنكرات الى سليمان عليه السلام  
 والهجس منهم كيف قبلوا هذه الوجوه الضعيفة مع أن العقل والنقل يردوها وليس لهم  
 في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان قيل فالجهور فسرروا الآية بتلك الوجوه فالجواب  
 أن نقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وأيضاً فان الدلائل  
 الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل  
 قطعي ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات من أقوام لا يلتفت  
 الى أقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان اه وقد يجاب من جهة الجهة ور  
 ان مانسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك أن قوله اذالم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح  
 المقر والذبح يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا أنواعا مذمومة أولها ترك

الصلاة انما يكون ذلك مذموما اذا تركها متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها وقد نام صلى  
 الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضى الصبح والنسيان والنوم لا مؤاخذة فيهما  
 وقوله ثانيا انها استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا انما اشتغل بذلك لامر الجهاد وهو مطلوب  
 في حقه وقوله ثالثا انها لم يشتغل بالتوبة يقال انه لم يأت بذنب وقوله رابعا انها خاطب رب  
 العالمين بقوله ردها على ممنوع والمخاطب انما هو جاعته وقوله خامسا انها ان قال وقد نسي  
 النبي صلى الله عليه وسلم عن عقير الحيوان قدم عنهم ان ذلك كان مباحا له فليس فيما قالوه  
 نسبة سليمان عليه الصلاة والسلام الى معصية فلوقال الاول ان يقال كذا كان أولى وقرأ قيل  
 بهم مزة ساكنة بعد السين وقيل عنه أيضا بضم الهززة وواو بعدها واختلف في سب الغتنة  
 التي وقعت لسليمان عليه السلام في قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا) أي بما لنا من  
 العظمة (على كرسيه جسدا ثم أناب) فقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان  
 بعديته في جزيرة من جزائر البحر وكان الله تعالى قد أعطى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء  
 في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة فتحملة الريح على ظهر الماء حتى نزل  
 بها بجنوده من الجن والانس فأخذها وقتل ملكها وسبها ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك  
 الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلت  
 على جفاء منها وقله ففقه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نساءه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها  
 ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن قالت له ان  
 أبي أذكره وأذكركم ما كان فيه وما أصاب فيجزني ذلك فقال لها سليمان عليه السلام  
 قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهذا الى الاسلام  
 وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكن اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك  
 أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكبرة وعش الرجوت أن يذهب ذلك حزني  
 فأمر سليمان عليه السلام الشياطين فذلوها لصورته أيها فعمدت اليه حين صنعوه وألبسته  
 ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان عليه السلام تذهب اليه مع ولاتها  
 فتسجد له ويسجدن معها له تعالها كما كانت تصنع في ملكه وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء  
 من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا لسليمان عليه السلام وكان لا يرد  
 عن أبواب سليمان عليه السلام أي ساعة أراد دخول شيء من بيوت سليمان عليه السلام حاضرا  
 كان سليمان عليه السلام أو غابا فقال يا بني الله كبرسني ورق عظمي ونفد عمري وقد حانت مني  
 الذهاب وقد أحببت ان أقوم مقام قبل الموت أذكر فيه من مضى من الانبياء عليهم الصلاة  
 السلام وأثنى عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس ببعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل  
 فجمع سليمان عليه السلام الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تبارك وتعالى  
 وأثنى على كل نبي بما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان عليه السلام فقال ما كان أحكمك في صغرك  
 ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى امتلأ غضبا فلما دخل داره

دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثبت عليهم خيرا في كل زمانهم وكل  
 حال أمرهم فلما ذكرتني جعلت تنفي عني خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري  
 فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال آصف ان غير الله تعالى يعبد في دارك فقال سليمان عليه  
 السلام ان الله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء يبلغك ثم رجع  
 سليمان عليه السلام الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المرأة وولادها وخرج وحده الى فلاة  
 فقرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له أم وليد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة  
 أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب  
 البحر واسمه حنجر على صورة سليمان عليه السلام وقال لها يا امينة خاتمي فناولته الخاتم وتحنم به  
 وجلس على كرسي سليمان عليه السلام فعكف عليه الطير والجن والانس وتغيرت صفة سليمان  
 عليه السلام فأتى الامينة يطلب الخاتم فانكرته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على  
 البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حشو عليه التراب وسبوه وأخذ ينقل السمك للسماكين  
 فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدهما بأربعة وشوى الاخرى فأكلها فحك ذلك  
 أربعين صباحا مدة ما كان عبد الوثن في داره فانكر آصف وعظما بني اسرائيل حكم الشيطان  
 وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقلن ما يدع امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال  
 آصف ان الله وانا اليه راجعون ان هذا هو والبلاء المبين ثم خرج على بني اسرائيل فقال ما في  
 الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر  
 فابتلعه سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك  
 حتى اذا كان العشي اعطاه سمكته فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم وخرج سليمان عليه  
 السلام بسمكته فباع السمكة التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها  
 ايشو بها فاستقبله الخاتم في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن  
 والانس ورجع الى ملكه وأخذ ذلك الشيطان وجبسه في صخرة وأقامه في البحر هذا ملخص  
 حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليلسلط الشيطان على نسائه وقال السدي كان سب قننة  
 سليمان عليه السلام أنه كانت له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جراحة وهي آثر نسائه  
 وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه اذا أتى حاجته فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة  
 فأحب ان تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكروا ما تقدم وفي بعض الروايات ان  
 سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكة فأعاده سليمان عليه السلام الى يده  
 فسقط فأيقن سليمان عليه السلام بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان عليه السلام انك مفتنون  
 بذنوبك والخاتم لا يتناسك في يدك فقرر الى الله تعالى تائبا فاني أقوم مقامك وأسير بسيرك الى أن يتوب  
 الله تعالى عليك فقرر سليمان عليه السلام الى الله تعالى وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت  
 فأقام آصف في ملك سليمان عليه السلام بسير بسيره أربعة عشر يوما الى أن رد الله تعالى على سليمان  
 عليه السلام ملكه وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على سريرته وأعاد الخاتم في يده فهو الجسد

الذي ألقى على كرسية وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عليه السلام عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فأتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان آياه قال الرازي واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الأول أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه في الصورة والحلقة بالأنبياء غيبت لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الاغواء والاضلال وذلك يطل الدين بالكلية الثاني أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله تعالى سليمان عليه السلام مثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلان يطل في حق أكابر الأنبياء أولى الثالث كيف يليق بحكمة الله تعالى واحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان عليه السلام ولا شك أنه قبيح أي على غير رأي الحسن كما مر الرابع لو قلنا أن سليمان عليه السلام أذن لملك المرأة في عبادتها تلك الصورة فهذا كفر منه وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله تعالى سليمان عليه السلام بفعل لم يصدر منه أي وقد يقال نعم وأخذ بذلك لكونه كان سبياً في عمالها قال فأما أهل التحقيق فقد ذكروا وجوهاً الأول أن قصة سليمان عليه السلام أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان عليه السلام ذلك فمكث في كنفه في السحاب فيبنيها هو يشتغل بهما أنه إذا أتى ذلك الولد ميتاً على كرسية فتنبه على خطيئته في أنه لم يشق ولم يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب الثاني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال سليمان لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله تعالى قطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين فذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وأيقنا على كرسية جسد الثالث أنه أصابه مرض فصار يجلس على كرسية وهو مريض فذلك قوله تعالى وأيقنا على كرسية جسداً وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف أنه لحم على وضغ وجسم بالروح ثم أناب أي رجع إلى حال الصحة أي وهذا أظهر ما قيل كما قاله البيضاوي الرابع لا يعد أيضاً أن يقال إنه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع خوف أو وقوع بلاء توقعه من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الخفي على ذلك الكرسي ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلك الخوف وأعادته إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة (فان قيل) لولا تقدم الذنب لما (قال رب اغفر لي) (أجيب) بأن الإنسان لا يفتك عن ترك الأفضل وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولأنه أباد في مقام هضم النفس واطهار الندم والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم إنى لاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين

مرة مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يبعد أن يكون المراد من هذه  
 الكلمة هذا المعنى واختلف في قول سليمان عليه السلام (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من  
 بعدي) أي سواي نحو من يهديه من بعد الله أي سوى الله فقال عطاء بن أبي رباح يريد هب لي  
 ملكا لا تسلبني في باقي عمري (أنك أنت الوهاب) وقال مقاتل إن الشيطان لما استولى على  
 ملكه طلب أن يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على أن يقوم فيه مقامه البتة وقال من أنكر  
 أن الشيطان لم يستول على ذلك أن ذلك محتمل لوجوه الأول أن الملك هو القدرة فكان  
 المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري البتة لصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة  
 نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى (فسخرنا) أي بما لنا من العظمة (له الريح  
 تجري بأمره رخاء) أي حالة كونها البتة غاية اللين منقادة يدرك بها ما لا تدرك الخيل غدقها شهر  
 ورواحها شهر (حيث أصاب) أي أراد فكون الريح جارية بأمره قدرة عجيبه وملك عجيب  
 دال على صحة نبوته لا يقدر أحد على معارضته وقد جعل الله تعالى لنا نبينا محمدا صلى الله عليه  
 وسلم أعظم من ذلك وهو أن العدو ويرعب منه إلى مسيرة شهر من جوانبه الأربعة فهي أربعة  
 أشهر الثاني أنه عليه السلام لما مرض ثم عاد إلى الصحة عرف أن خيرات الدنيا صائرة إلى  
 التغيرات فسأل ربه ملكا لا يمكن أن يفتقل مني إلى غيري الثالث أن الاحتراز عن طيبات الدنيا  
 مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانت الهبة أعطى ملكة  
 فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احتراز عنها مع القدرة عليها بصيرتواي أكمل وأفضل الرابع  
 سأل ذلك ليكون علامة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد عليه ملكه وزاده فيه  
 وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عنبريتا من الجن أتاني الليلة ليقطع علي  
 صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا  
 إليه فذكرت دعوة أخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا فعلم من هذه  
 الأوجه أنه ليس في كلام سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلب ما لا ينبغي لأحد غيره  
 وأجاب الزمخشري بأجوبة غير ذلك منها أن سليمان عليه السلام كان ناشئا في بيت الملك والنبوة  
 ووارثها ما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفهم لما كان أعلى الممالك زيادة  
 خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته فاهرا للمبعوث إليهم ثم قال وعن  
 الجراح أنه قيل له أنك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي قال  
 وهذا من جراته على الله تعالى وشيئنته ومن شيئنته ما حكى عنه طاعتنا وأوجب من طاعة الله  
 لأنه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق في طاعتنا فقال وأولى الأمر منكم (فان  
 قيل) قوله تعالى رخاء ينافيه قوله تعالى في آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة (أجيب) عن  
 ذلك بوجهين الأول أن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الأثم المأمرة  
 بأمره كانت لذينة طيبة وكانت رخاء الثاني أن تلك الريح كانت لينسة مرة وعاصفة أخرى  
 فلا منافاة بين الآيتين \* (تنبيه) \* قوله تعالى حيث ظفر لجبري أولسخرنا \* (فائدة) \*

روى أن وجليز خرجا بقصد ان رؤبة يسألانه عن معنى أصاب فقال لهما أين تصيبان فعرفا  
 وقالاهذا بغيتنا وقوله تعالى (والشياطين) عطف على الريح وقوله تعالى (كل بناء) بدل  
 من الشياطين ~~كانوا~~ يبنون له ما شاء من الابنية روى ان سليمان عليه السلام أمر الجان  
 فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديما و بنت له الجان أيضا تدمر وبيت المقدس  
 وياض جيرون وياض البريد اللذين بدمشق على أحد الاقوال وبنو له ثلاثة قصور باليمن نعمدان  
 وسلمين ويينون ومدينة صنعاء وقوله تعالى (وغوص) عطف على بناء أى يغوصون له  
 في البحر يستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر وقوله تعالى (وآخرين  
 مقرنين) أى مشدودين (في الاصفاة) أى القيود يجمع أيديهم الى أعناقهم عطف على كل  
 فهو داخل في حكم البدل فكانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة  
 كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكنوا عن الشر (فان قيل)  
 أجسامهم اما أن تكون كثيفة أو لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح الحاسة  
 وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقرينها (أجيب) بأن أجسامهم شفافة صلبة  
 فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقرينها (أجيب) بان أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى  
 وتقوى على العمل ويمكن تقرينها أو ان المراد تمثيل كفههم عن الشر وبالاقتران في الصدق وهو  
 القيد ويسمى به العطاء لانه يربط المنعم عليه وفرقوا بين فعل الصندع يعنى القيد وفعله يعنى  
 العطاء فقوالوا صدقه قيده وأصفده أعطاه عكس وعدوا وعد في الخير والشر وفي ذلك نكتة  
 وهى ان القيد ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطاء واسع فناسبه تكثير حروف فعله والوعد  
 خير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه والابعاد شر وهو ثقيل فناسبه تكثير حروفه  
 (هذا) أى قلنا هذا الامر الكبير (عطاؤنا) أى على ما لنا من العظمة (فامن أو أمسك)  
 قال ابن عباس رضى الله عنهما أعظم من شئت وامنع من شئت قال المفسرون أى لا حرج عليك  
 فيما أعطيت وفيما أمسكت وقال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعه الاسلام  
 عليه السلام فانه ان أعطى أجروا ان لم يعط لم يكن عليه تبعه وقال مقاتل هذا فى أمر الشياطين  
 يعنى خل من شئت منهم وأمسك من شئت فى وثاقل لا تبعه عليك فيما تعطاه وقوله تعالى  
 (بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه متعلق بعطاؤنا أى أعطيناك بغير حساب  
 ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطاء ثانياً أنه حال من عطاؤنا أى فى حال كونه غير محاسب  
 عليه لانه جم كثير يعسر على الحساب ضبطه ثالثها أنه متعلق بامن أو أمسك ويجوز أن يكون  
 حالا من فاعلهما أى غير محاسب عليه \* ولما ذكر تعالى ما أنعم عليه به فى الدنيا تبعه بما أنعم  
 عليه به فى الآخرة بقوله سبحانه وتعالى (وان له عندنا) أى فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم  
 فى الدنيا (لذنى) أى قربي عظيمة (وحسن ما تب) وهو الجنة القصة الثالثة قصة أيوب عليه  
 السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذ كرهنا) أى الذى هو أهل للاضافة الى جنابنا ويبدل  
 منه (أيوب) وهو ابن الروم بن عيسى بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب عليه ما السلام وقوله

قوله وهو ابن الروم  
 الخ كذا فى النسخ  
 وفى حاشية الجمل عن  
 البضاوى أيوب بن  
 عيسى بن اسحق ثم  
 نقل عن التميمي  
 أيوب هو ابن اموص  
 ابن رعبل بن عيسى  
 ابن اسحق وقال  
 فى سورة الانعام  
 أيوب بن أموص  
 ابن رازح بن عيسى  
 ابن اسحق بن ابراهيم  
 هـ

تعالى (اذنادى ربه) يدل من عبده تايدل اشتمال وأيوب عطف بيان له وقوله (انى) أى بآنى  
(مسمى الشيطان) أى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة (بنصب) أى بعشقة وضرر (وعذاب)  
أى ألم يحى به على حكاية كلامه الذى نادى بسببه ولولم يحكمه لقليل انه مسه لانه غائب وقال قتادة  
رضى الله عنه النصب فى الجسد والعذاب فى المال واختلف العلماء فى هذه الآلام والاسقام  
الحاصلة فى جسده على قولين أحدهما أنها حصلت بفعل الشيطان والثانى أنها حصلت بفعل  
الله تعالى والعذاب المضاف فى هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاه الخواطر  
الفاسدة أمّا تقرير القول الاول فهو ما روى أن ابليس لعنه الله سأل ربه فقال هل فى عبديك  
من لولم تطنى عليه يمنع منى فقال الله تعالى نعم عبدى أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى  
ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع على فسطلنى على ماله فكان الشيطان يجيبه  
ويقول له يا أيوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول أيوب له الله أعطى والله أخذ ثم يحمده الله  
سبحانه وتعالى فقال يا رب ان أيوب لا يبالى بما له فسطلنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد  
أيوب فحدث أسقام عليه وآلام شديدة فكث فى ذلك البلاسنين حتى استقدره أهل بلده فخرج  
الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان زوجك ان استغاث بي  
خلصته من هذا البلا فذكرت المرأة ذلك لزوجها فخلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنهما مائة  
جلدة وعند هذه الواقعة قال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فأجاب الله تعالى دعاه  
وأوحى اليه ان اركض برجلك الى آخر الآية وأمّا تقرير القول الثانى فان الشيطان لا قدرة  
له البتة على ايقاع الناس فى الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه الاول أن الوجودنا حصول  
الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعن الواحد منا انما وجد الحياة بفعل  
الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل به عمله وحينئذ لا سبيل الى معرفة  
من يعطى الحياة والموت والصحة والسقم أهو الله تعالى أم الشيطان ثانياً أن الشيطان  
لو قدر على ذلك فلم لا يسعى فى قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم  
ثالثاً أن الله تعالى حكى عن الشيطان أنه قال وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم  
فاستجبتم لى فصريح بأنه لا قدرة له على البشر الا بالقاه الوسوس والخواطر الفاسدة فدل  
ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذى ألقاه فى تلك الامراض (فان قيل) لم لا يجوز  
أن يقال ان القاه لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان (أجيب)  
بأنه اذا كان لابد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والاسقام هو الله تعالى فأى فائدة  
فى جعل الشيطان واسطة فى ذلك بل الحق أن المراد بقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب  
انه بسبب القاه الوسوس الفاسدة كاديلقه فى أنواع العذاب والقائلون بهذا القول اختلفوا  
فى أن تلك الوسوس كيف كانت وذكرها وأوجها أولها أن علة كانت شديدة الالم ثم طالت تلك  
العلة واستقدره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامرأته كانت تحبهم  
الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى أن منعو امرأته من الدخول

عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكركم النعمة التي كانت عليه والآفات التي حصلت له وكان يحتال في دفع تلك الوسوس \* فلما قويت تلك الوسوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها أشد فانيها أنه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان ليقتنطه مرة ويرزله ليجزع مرة تخاف من خاطر التنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان ثالثها قيل ان امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ منهم قدر القوت وتجي به الى أيوب عليه السلام فاتفق لها أنهم لما استخدموها طلبت بعض النساء منها قطع احدى ذؤا بتيها عن ان تعطيهما قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة وكان أيوب عليه السلام اذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر الرديئة في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب رابعها روى انه عليه السلام قال في بعض الايام يارب لقد علمت اني ما اجتمع علي امر ان الاثرت طاعتك ولما أعطيتني المال كنت للدارامل قيميا ولا بن السبيل معينا وليتامي أبافنودي يا أيوب من كان ذلك التوفيق فأخذ أيوب عليه السلام التراب فوضعه على رأسه وقال منك يارب ثم خاف من الخواطر الاولى فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا أقوالا أخرى في سبب بلائه منها ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه ترعى في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يعظه وقيل أعجب بكثرة ماله واعلم أن داود وسليمان عليهما السلام كانا من أفاض الله عليهم ما أصناف الآلاء والنعماء وأيوب عليه السلام كان ممن خصه الله بأنواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كآلة الله تعالى قال يا محمد اصبر على سناهة قومك فانه ما كان في الدنيا أكثر من الانبياء نعمة وما لا وجاه من داود وسليمان عليهما السلام وما كان فيهم أكثر بلاء ومحنة من أيوب عليه السلام فتأمل أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لاحد وأن العاقل لا يتدله من الصبر على المكاره \* ولما اشتكى أيوب عليه السلام الشيطان وسأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية أجاب الله تعالى له بأن قال له (أركض) أي اضرب (برجلك) أي الارض فضرب فنبعت عين ماء فقبل له (هذا مغتسل بارد) أي ماء تغتسل منه فيبرأ ظاهره (وشراب) أي وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهر اللغظ يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب منه وأكثر المفسرين قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احدها وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين ماء فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه (وهبتنا) أي بمالنا من العظمة (له أهله) أي بأن جمعناهم عليه بعدة فقرهم أو حينئذ هم بعد موتهم وقيل وهبتنا لهم مثل أهله والاول هو ظاهر الآية فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة (ومثلهم معهم) حتى



كان له ضعف ما كان وقوله تعالى (رحمة) أى نعمة (منا) مفعول لاجله أى وهبناهم له لاجل  
 رحمتنا اياه (وذكري) أى وتذكري بحاله (لاولى الابواب) أى أصحاب العقول ليعلوا ان  
 من صبر ظفر وأن رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فخاينته وبين الاجابة  
 الاحسن الانابة فمن دام اقباله عليه أغناه عن غيره كما قيل  
 لكل شئ اذا فارقت عوض \* وما عن الله ان فارقت من عوض

وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مرّ وقوله تعالى (رخذي يدك ضغنا) معطوف  
 على اركض والضغ الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان فيها مائة عود كشراخ النحلة  
 وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وقوله سبحانه وتعالى (فاضرب به ولا تحنت) يدل  
 على تقدم عين منه عليه الصلاة والسلام واختلفوا في سبب حاله عليه واي بعد ما قيل  
 انها رغبتة في طاعة الشيطان ويعد أيضا ما روى أنها قطعت ذوايتها لان المضطر يباح له  
 ذلك بل الاقرب ما روى أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه  
 السلام ذهبت لحاجة فأبطأت عليه فخلف في مرضه ليضر بنهما مائة اذ برئ \* ولما كانت  
 حسنة الخدمة جعل الله تعالى عينه بأهون شئ عليه وعليها وهذه الرخصة باقية في الحدود لما  
 روى أنه صلى الله عليه وسلم أتى برجل ضعيف قد زنا بأمة فقال صلى الله عليه وسلم خذ وامانة  
 شمراخ واضربوه بها ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا) أى فيما أصابه في النفس والاهل  
 والمال (فان قيل) كيف وجد صابرا وقد شكك اليه (أجيب) بأوجه أحدها أن شكواه  
 الى الله تعالى كتمنى العافية فلا يسمى جزعا ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما أشكوي  
 وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل وذلك ان أصبر الناس على البلاء لا يخجلون من تمنى  
 العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية أفلا يعد صابرا مع اللجأ الى الله تعالى  
 والدعاء بكشف ما به مع التعالج ومشاورة اطباء نانيها أن الآلام حين كانت على الجسد لم يذكر  
 شياً فلما تعاطمت الوسوس على القلب تضرع الى الله تعالى ثالثها ان الشيطان عدو  
 والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدر في الصبر ويروى أنه قال في مناجاته الهى قد علمت أنه  
 لم يخالف لساني قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعانا ولا كاسيا ومعى  
 جانع أو عريان فكشف الله تعالى عنه ثم استأنف قوله تعالى (نعم العبد) أى أيوب عليه السلام  
 ثم علل بقوله تعالى مؤكداً ثلاثين ان بلاءه قادم في ذلك (انه أواب) أى رجاع الى الله تعالى  
 روى أنه لما نزل قوله تعالى نعم العبد فى حق سليمان عليه السلام نازد وفى حق أيوب عليه  
 السلام أخرى عظم فى قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد تشريف  
 عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل أيوب عليه السلام لم تقدر عليه فكيف السبيل الى  
 تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك أيها الانسان  
 ان لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى وان كان منك غير الفضل فأنا منى الفضل وان كان منك التقصير  
 فنى الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحق ويعقوب عليهما السلام المذكورة

في قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق) بن ابراهيم (وبيعقوب) بن اسحق (أولى  
 الايدي) أي أصحاب القوى في العبادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما أولى القوة في طاعة  
 الله تعالى (والابصار) أي المعرفة بالله أي البصائر في الدين أو أولى الاعمال الجليلة والعقائد  
 الشرعية فعبّر بالايدي عن الاعمال لان أكثرها مباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها  
 أقوى عبادتها وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين في دين الله  
 وفيه توبيخ أيضا على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهم فاهم في حكم الزماني الذين  
 لا يقدرون على أعمال جوارحهم والناتهي العقول الذين لا استبصار لهم وقال قتادة  
 ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصر في الدين وقرأ ابن كثير بفتح العين وسكون الباء الموحدة  
 ولألف بعدها على التوحيد على أنه ابراهيم وحده لمزيد شرفه وابراهيم عطف بيان واسحق  
 ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة ولألف بعدها على الجمع  
 (انا أخلصناهم بخالصة) أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لاشوب فيها  
 وهي (ذكرى الدار) الآخرة أي ذكرها والعمل لها لان مطمح نظرهم التور ببلقائه وذلك في  
 الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدينام عبر وقرأ نافع وهشام خالصة بغير  
 تنوين بالاضافة للبيان أو ان خالصة مصدر بمعنى الخلو س فأضيف الى فاعله والباقون بالتنوين  
 فن أضاف فعنهم أخلصناهم بذكرى الدار الآخرة وأن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال  
 مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكروا وأخلصناهم بحب الآخرة وذكروا وقال  
 قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله عز وجل وقال السدي أخلصوا الخوف للآخرة  
 وقال ابن زيد أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ومن قرأ بالتنوين فعنهم بجملة خالصة هي ذكرى  
 الدار فيكون ذكرى الدار بدلا من الخالصة أو جعلناهم بمخلصين بما أخبرنا من ذكر الآخرة  
 والمراد بذكرى الدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الآخرة وقيل انه أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا  
 وقيل هو دعاؤه واجعل لي لسان صدق في الآخرين (وانهم عندنا من المصطفين) أي  
 اصطفاه لا يقدر فيه فادح فساروا في غاية الرسوخ في هذا الوصف (الاخبار) أي المختارين  
 من أبناء جنسهم والاخبار جمع خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كما مات في جمع ميت أو ميت  
 واحتج العلماء بهذه الآية على اثبات عصمة الانبياء عليهم السلام لانه تعالى حكم عليهم بكونهم  
 أخبارا على الاطلاق وهذا يفهم حصول التسمية في جميع الافعال والصفات بدليل صحة  
 الاستثناء منه القصة الخامسة قصة اسمعيل واليسع وذى الكفل عليهم السلام المذكورة  
 في قوله تعالى (واذكر) يا أشرف الخلق (اسمعيل) أي أبلك وما صبر عليه من البلاء  
 بالقربية والانفراد والوحدة والاشراف على الموت في الله غير مرة وما صار اليه بعد ذلك البلاء  
 من الفرج والرياسة والذكر في هذه البلدة (واليسع) وهو ابن اخطوب استخلفه الياس على  
 بني اسرائيل ثم استقبى واللام كما في قوله رأيت الوليد بن يزيد مباركا وقرأ حجة والكافي  
 بتشديد اللام وسكون الباء بعدها والباقون بسكون اللام وفتح الباء بعدها (وذا الكفل)

وهو ابن عم اليسع أو بشر بن أيوب واختلاف في نبوته وكفله فقبل فتر اليه مائة تبي من بني  
 إسرائيل من القتل فأواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة  
 (وكل) أي وكلهم (من الاخيار) فهم قوم خيرون من الانبياء ثم ملوا الشدايد في دين الله  
 تعالى وصبروا فاذا كرههم بأفضل الخلق بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم \* ولما أجرى تعالى ذكر  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأتمه قال مؤكداً الشأنهم وشرف ما ذكر من أعمالهم (هذا) أي  
 ما تلونا عليك من ذكرهم وذكر غيرهم (ذكر) أي شرف في الدنيا وموعظة من ذكر القرآن ذي  
 الذكركم عطف على قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لا يزدادهم  
 فقال تعالى رداعلى من ينكر ذلك من كفار العرب وغيرهم (وان للمتقين لحسن مآب) أي  
 مرجع \* ولما شوق سبحانه الى هذا الجزاء أبدل منه أو بينه بقوله تعالى (جنات عدن) أي  
 اقامة في سرور وطيب عيش ثم انه تعالى وصف أهل الجنة بأشياء أولها قوله تعالى (مقعداً  
 لهم الابواب) أي ان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى  
 اذا جاؤوها وفتحت ابوابها الآية وقيل المعنى انهم كلما أرادوا انفتاح الابواب انفتحت لهم  
 وكلما أرادوا انغلاقها انغلت لهم \* وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة  
 ووفرة العيون فيها ثانياً قوله تعالى (متكئين فيها) وقد ذكر في آيات آخر كيفية ذلك الاتساع  
 فقال تعالى في آية على الارائك متكئون وقال في آية أخرى متكئين على رفرف خضر ثانياً  
 قوله تعالى (يدعون فيها) أي الجنات (بقا كهة كثيرة وشراب) أي كثير فيدعون فيها بألوان  
 الفاكهة وألوان الشراب \* ولما بين المسكن والمأكل والمشروب ذكر أمر المنكوح تيمناً  
 للنعمة بقوله سبحانه تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي حاسبات الطرف أي العين على  
 أزواجهن (أتراب) أي اسنانهن واحدة وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدة تترب وعن  
 مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل أتراب للازواج قال القفال والسبب في اعتبار  
 هذه الصفة لماتشابهن في الصفة والسن والجملة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضى عدم  
 الغيرة وقرأ قوله تعالى (هذا ما يوعدون) ابن كثير وأبو عمر والياء التحية على الغيبة والباقون  
 بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم والاقبال  
 عليهم أي قل للمتقين هذا ما توعدون (ايوم الحساب) أي في يوم الحساب أولاً جله فان الحساب  
 علة الوصول الى الجزاء (ان هذا) أي المشار اليه اشارة الحاضر الذي لا يغيب (لرزقنا ماله  
 من نقاد) أي انقطاع وهذا الخبر عن دوام هذا الثواب \* (تنبية) \* من نقاد فاعل ومن مزيدة  
 والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا أي غير نافذ ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لان  
 أي دائم \* ولما وصف تعالى ثواب المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكورا  
 عقب الوعد والترغيب عقب التهيب بقوله تعالى (هذا وان للطاغين لشر مآب) أي  
 مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار وقال  
 الجبائي على مذهبه القاسد هم أصحاب الكبائر سواء كانوا كفاراً أم لا واحتج الاول بأن هذا دم

مطلق فلا يحتمل الاعلى الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان ليطغى  
 ان رآه استغنى فدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبرية لان من تجا وزحذ  
 تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى ورد هذا بأن المراد بالانسان هنا هو الكافر أيضا \* (تنبيه) \*  
 هذا يحتمل أن يكون مبتدأ والخبر مقتدر رأى كما ذكره الزمخشري وقدره أبو علي بقوله هذا  
 للمؤمنين وقال الجلال المحلى هذا المذكورة للمؤمنين ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ مضمرة  
 الامر هذا وقوله تعالى (جهنم) أى الشديدة الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة  
 والتجهنم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله تعالى (يصلونها) أى يدخلونها فيساقون شداؤها  
 حال من جهنم (قبس المهاد) أى المهدي والقراش مستعار من فرش النائم وهذا معنى قوله تعالى  
 لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفرش للنائم  
 والمخصوص بالذم محذوف أى هى وفي قوله تعالى (هذا) أى العذاب المفهوم مما بعده أو وجه من  
 الاعراب أحدها أنه خبر مبتدأ مضمرة أى الامر هذا ثم استأنف أمر افعال (فليذوقوه) ثانيا  
 انه مبتدأ وخبره (حجيم وغساق) واسم الاشارة بكتفى بواحدة فى المثنى كقوله تعالى عوان بين  
 ذلك أو يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله تعالى فليذوقوه جملة اعتراضية ثالثا  
 أنه مبتدأ والخبر محذوف أى هذا كما ذكره هذا للطاغين وقيل غير ذلك وقيل هذا على التقديم  
 والتأخير والتقدير هذا حجيم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها فقبس المهاد هذا  
 فليذوقوه ثم يتدنى فيقول حجيم وغساق أى منه حجيم وغساق والحجيم الحار الذى انتهى - رة  
 والغساق ما يسيل من صديد أهل النار وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها كل ذوب حية  
 وعقرب وقال أبو عمرو وهو القبيح الذى يسيل من أهل النار فيجتمع فيسقونه وقال قتادة هو  
 ما يغسق أى يسيل من القبيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل هو  
 المثنى بلغة الترك حكي الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لانتت أهل المشرق وقرأ حزة  
 والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بالتخفيف وقرأ أبو عمرو (واخر) بضم الهمزة  
 على جمع أخرى مثل الكبرى والكبرى أى أصناف أخر من العذاب (من شكله) أى مثل المذكور  
 من الحجيم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على التوحيد على أنه لما ذكر واختار أبو عبيدة  
 الجمع لأنه تعالى نعتة بالجمع فقال سبحانه وتعالى (أزواج) أى أصناف أى عذابهم من أنواع  
 مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار يأتبعهم (هذا فوج) أى جمع كئيف (مقتحم) أى داخل  
 ومفعوله محذوف أى مقتحم النار (معكم) بشدة فيقول المتبوعون (لامر حبا بهم) أى  
 لاسعة عليهم أو لاسمعوا امر حبا وقواهم (انهم صالوا النار) أى داخلون النار بأعمالهم مثلنا  
 تعليلا لاسم حباية الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقال  
 الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم فى النار خوفا من ذلك المقامع (قالوا) أى  
 الاتباع (بل أنتم لامر حبا بكم) أى ان الدعاء الذى دعوت به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به منا  
 وعلوا ذلك بقواهم (أنتم قدمتموه) أى الكفر (لنا) أى بدأتم به قبلنا وشرعتموه وسنتتموه لنا

وقيل أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم أيانا إلى الكفر (فبئس القرار) أي النار لنا ولكم  
 (قالوا) أي الاتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا) أي شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا)  
 أي مثل عذابه على كفره (في النار) قال ابن مسعود يعني حيات وأفاعي (وقالوا) أي  
 الطاغون وهم في النار (مالنا لنرى وجالا كنا نعتهم من الاشرار) يعنون فقراء المؤمنين  
 كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين كانوا يستردلونهم ويسخرون بهم وقوله -م  
 (اتخذناهم سخريا) صفة أخرى لرجال أي كانوا يخرجهم في الدنيا وقرأ نافع وحزرة والسكسائي  
 بضم السين والباقون بكسرهما (أم زاعت) أي مالت (عنهم الابصار) أي فلم نرهم حين  
 دخولها وقال ابن كيسان أي ام كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت ابصارنا تزيع عنهم في الدنيا  
 فلان عددهم شيا (ان ذلك) أي الذي حكينا عنهم (لحق) أي واجب وقوعه فلا بد أن  
 يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وانما  
 سماه تخاصم لان قول القادة للاتباع لامر حبابهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لامر حبابكم  
 من باب الخصومة \* (تنبيه) \* يصح في تخاصم أوجه من الاعراب أحدها أنه يدل من  
 لحن الثاني أنه عطف بيان الثالث أنه خبر ثان لان الرابع أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هو  
 تخاصم \* ولما شرح سبحانه نعيم أهل الثواب وعقاب أهل العذاب عاد إلى تقرير  
 التوحيد والنبوة والبعث المذكورات أول السورة بقوله تعالى (قل) يا أفضل  
 الخلق للمشركين (انما أنا منذر) أي مخوف بالنار لمن عصي (و) لا بد من الاقرار بأنه  
 (ما من الا الله) أي الجامع لجميع الاسماء الحسنى (الواحد القهار) فكونه واحدا يدل  
 على عدم الشريك وكونه قهارا مشعرا بالتخويف والترهيب \* ولما ذكر ذلك أردفه بما يدل  
 على الرجاء والترغيب بقوله تعالى شأنه (رب السموات) أي مبدعها وحافظةا على علوها  
 وسعتها واحكامها بما لها من الزينة والمنافع (والارض) أي على سعتها وخصامتها وكثافتها  
 وما فيها من العجائب (وما بينهما) أي الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر  
 والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها ربي كل شيء من ذلك ايجادا وابقاء على ما يريد وان كره  
 ذلك المربوب فذل ذلك على قهره وتشرده (العزير) أي الغالب على أمره (الغفار) فكونه  
 ربا يشعر بالتربية والكرم والاحسان والحدود وكونه غفارا يشعر بأن العبد لو أقدم على  
 المعاصي والذنوب ثم تاب إليه فانه يغفرها برحمته وهذا الموصوف به هذه الصفات هو الذي  
 يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى (قل) أي اهتم (هو نبي عظيم)  
 يعود على القرآن وما فيه من القصص وال اخبار وقيل تخاصم أهل النار وقيل على ما تقدم  
 من اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه نذير مبين وبأن الله تعالى الواحد متصف بتلك  
 الصفات الحسنى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) صفة لنبا أي لتمادي غفلتكم فان العاقل  
 لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فامر واما على  
 النبوة فقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملا الأعلى) أي الملائكة فقوله بالملا متعلق بقوله

من علم وضمن معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالباء (اذ يختصمون) أى فى شأن آدم عليه السلام  
 حين قال الله عز وجل انى جاء على فى الارض خليفة الآية (فان قيل) الملائكة لا يجوز ان يقال  
 انهم اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء فالخاصة مع الله تعالى  
 كفر (أجيب) بأنه لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبهه الخاصة والمناظرة  
 والمشابهة على المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ الخاصة عليه \* ولما أمر الله تعالى محمدا  
 صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الزجر أمره ان يقول (ان) أى ما (يوحى  
 الى الأتباع) أى أنى (أنانديرمين) أى بين الانذار فأبين لكم ما تأتونه وما تختبئونه وروى  
 انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي فى أحسن صورة قال ابن عباس رضى الله عنه أحسبه  
 قال فى المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الاعلى قلت أنت أعلم أى رب مرتين  
 قال فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين يدي أو قال فى نحري فعلمت ما فى السموات وما فى  
 الارض وفى رواية ثم تلا هذه الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض  
 ويكون من الموقنين ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الاعلى قلت نعم فى الدرجات  
 والكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد  
 الصلوات واسباغ الوضوء فى المكاره قال من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير وخرج  
 من خطيبته كيوم ولده أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك  
 المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك  
 غير مقتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام  
 وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيهما فعلت ما بين المشرق والمغرب أخرجه  
 الترمذى وقال حديث حسن غريب وللعلماء فى هذا الحديث وأمثاله من أحاديث السلف  
 مذهبان أحدهما مذهب السلف وهو اقراره كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل  
 والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه مع الاعتقاد بان ليس كمثل شئ وهو السميع  
 البصير والمذهب الثانى مذهب الخلف وهو تأويل الحديث فتقوله صلى الله عليه وسلم رأيت  
 ربي فى أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وانانى أحسن صورة كأنه زاده جمالا وكالا  
 وحسنه عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحى وثقله الثانى ان الصورة بمعنى  
 الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رأى فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال  
 اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وكبريائه وبهائه  
 وبعده عن شبهه بالخلق وتزويجه عن صفات النقص وانه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وقوله  
 صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى الخ فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة  
 العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بأن شرح صدره ونور  
 قلبه وعزفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرحمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح  
 صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول

له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تبارك وتعالى ولا على صفات ذاته سبحانه عماسة أو مباشرة  
 أو نقص وهذا أليق بتزجيه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان  
 في المنام فقد زال الاشكال لان رؤية الباري سبحانه في المنام على الصفات الحسنة دليل على  
 البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي  
 الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب  
 عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وسمى ذلك مخاصمة لما رقى السؤال والجواب  
 المتقدمين وقوله تعالى (اذ) يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى كما قاله الزمخشري وأن يكون  
 منصوبا ياذكرك كما قاله أبو اليتام أي واذا كراذ (قال ربك للملائكة اني خالق) أي جاعل  
 (بشر من طين) هو آدم عليه السلام (فان قيل) كيف صح أن يقول لهم اني خالق بشر  
 وما عرفوا ما للبشر ولا عهدوا به قبيل (أجيب) بأنه قد يكون قال لهم اني خالق خلقا من صفة  
 كيت وكيت ولكنه حين حكاها اقتصر على الاسم (فأذا سويته) أي أتممت خلقه (ونفخت)  
 أي أخرجت (فيه من روعي) فصار حيا حساسا متنفسا وازدادة الروح اليه تعالى اضافة  
 تشرىف لا دم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوسه فيه يسرى في بدن  
 الانسان سرى ان الضوء في النضاء وكسريان النار في النعم والماء في العود الاخضر (فقعوا)  
 أي خروا (له ساجدين فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) فيه تأكيديان وقال  
 الزمخشري كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد معانهم سجدا وعن آخرهم ما بقى منهم ملك  
 الا انهم سجدا واجمعوا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات انتهى (فان قيل) كيف ساغ السجود  
 لغير الله (أجيب) بأن الممنوع هو السجود لغير الله تعالى على وجه العبادة فأما على وجه  
 التكرمة والتبجيل فلا ياباه العقل الا أن يكون فيه مقسدة فينهي الله تعالى عنه والاولى  
 في الجواب انه سجود تحية بالانحناء كما قاله الجلال المحلى (الا ابليس استكبر) أي تكبر وتعظم  
 عن السجود (فان قيل) كيف استثنى من الملائكة عليهم السلام ابليس وهو من الجن (أجيب)  
 بانه قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد  
 منهم استثناء متصلا وقال الجلال المحلى هو أبو الجن وكان من الملائكة وعلى هذا فلا سؤال  
 (وكان) أي وصار (من الكافرين) باستكباره عن أمر الله تعالى أو كان من الكافرين في الازمنة  
 الماضية في علم الله تعالى \* (تنبيه) \* المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان  
 ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما تازوهوا محمد صلى الله عليه وسلم  
 بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا عن هاتين الخصلتين  
 المذمومتين (قال) الله تعالى (يا ابليس) مما بهذا الاسم لكونه من الابلاس وهو انقطاع الرجاء  
 اشارة الى تحتم العقوبة له (ما منعك أن تسجد) وبين ما يوجب طاعته ولو أمر بتعظيم ما لا يعقل  
 بقوله تعالى معبرا بأداة ما لا يعقل عن كان عند السجود له عاقلا كاملا العقل (ما خلقت بيدي)  
 أي توليت خلقه من غير توسط سبب كآب وأم والتنبيه في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله

تعالى (أستكبرت) استفهام توبيخ أى تعظمت بنفسك الآن عن السجود له (أم كنت من  
العالمين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود له لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله  
(قال أنا خير منه) أى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه  
ثم بين كونه خيرا منه بقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين بدليل أن  
الاجرام الفلكية أفضل من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من النلك والارض  
أبعد عنه فوجب كون النار أفضل من الارض وأيضا فالنار خليفة الشمس والقمر فى اضاءة  
العالم عند غيبتهما والشمس والقمر أشرف من الارض فخليفتهما فى الاضاءة أفضل من الارض  
وأیضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة أفضل من البرودة لان  
الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وأيضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطفة  
أفضل من الكثافة وأيضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وأيضا فالنار  
خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من  
الارض والدليل على أن الارض أفضل من النار انها أمانة مصلحة فاذا أودعتها حبة ردتها اليك  
شجرة مثمرة والنار خائنة مقسدة لكل ما سلمته اليها وأيضا فالنار بمنزلة الخادم لما فى الارض ان  
احتج اليه استدعيت استدعاء الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضا فالارض مستولية على  
النار لانها تطفى النار وأيضا فان استدلال ابليس بكون أصله خيرا من أصله استدلال فاسد لان  
أصل الرماد النار وأصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة أن  
الاشجار المثمرة خير من الرماد وأيضا هب أن اعتبار هذه الجهة توجب التفضيل الا أن هذا يمكن  
أن يعارض بجهة أخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عار عن كل الفضائل فان نسيبه  
يوجب رجحانه الا أن الذى لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهدي يكون أفضل من النسيب  
بدرجات لاحد لها فكذبت مقدمة ابليس (فان قيل) هب ان ابليس أخطأ فى القياس لكن  
كيف لزمه الكفر فى تلك المخالفة وتقرير السؤال من وجوه الاول أن قوله تعالى اسجدوا  
أمر وهو محتمل الوجوب والنسب فكيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انه  
للو جوب وقلتم ان ابليس ليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لادم لا يدخل فيه ابليس  
الثالث هب انه تناوله الا أن تخصيص العام بالقياس جائز فإذ ان يخص نفسه من عموم ذلك  
الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بأنه كان مأمورا به الا أن هذا القدر يوجب  
العصيان ولا يوجب الكفر (أجيب) بأن صيغة الامر وان لم يدل على الوجوب يجوز أن  
ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا حصلت تلك القرائن وهى قوله تعالى أستكبرت  
أم كنت من العالمين فعلم بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما أتى بقياسه الفاسد  
دل ذلك على أنه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح فى أمر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب  
الكفر \* ولما ذكر ابليس لعنه الله تعالى هذا القياس الفاسد (قال) الله تعالى له (فاخرج) أى  
بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذى لا اعتراض عليه الى الجور (منها) أى من الجنة وقيل من



الخلقه التي أنت فيها لانه كان يفخر بخلقته فغير الله تعالى خلقتة فاسود بعدما كان أبيض وقبح  
 بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا وقيل من السموات (فان لجرهم) أي مطرود لان من  
 طرد رمي بالحجارة فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد (فان قيل) الطرد  
 هو اللعن فيكون قوله تعالى (وان عليك لعنتي) مكررا (أجيب) بحمل الطرد على ما تقدم  
 وتحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله تعالى وأيضا قوله تعالى وان عليك لعنتي (اليوم الدين)  
 أي الجزاء أفاد أمر او هو طرده الى يوم القيامة فلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون  
 الشياطين مرجومين بالشهب (فان قيل) كلمة الى لانه الغاية فكان لعنة الله ابلis غايتها  
 يوم الدين ثم تنقطع (أجيب) بأنها كيف تنقطع وقد قال تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على  
 الظالمين فأفاد ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيامة اقترن عليه مع اللعنة من  
 العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انقطعت \* (تنبيه) \* قال تعالى هذا لعنتي وفي آية أخرى  
 اللعنة وهما وان كانا في اللفظ عاما وخاصا الا أنهم امان من حيث المعنى عامان بطريق اللزوم لان من  
 كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه لعنة كل أحد لا محالة وقال تعالى أو ائتكم عليهم لعنة الله  
 والملائكة والناس أجمعين \* ولما صار ابلis ملعونا مطرودا (قال رب) فأنتظرني الى يوم يعنون  
 أي الناس طلب الانتظار الى يوم البعث لا أجل أن يتخلص من الموت لانه اذا أنتظر ليوم البعث  
 لم يمت قبل يوم البعث وعند يحيى البعث لا يموت فينتد يتخلص من الموت فلذلك (قال) تعالى  
 (فانت من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) أي وقت النفخة الاولى فيموت فيها فلم يجبه الى  
 دعائه كما قال تعالى وما دعا الكافرين الا في ضلال ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله تعالى  
 معين لا يتقدم ولا يتأخر فلما أنظره الله تعالى الى ذلك الوقت (قال فبعزتك) أقسم بعزة  
 الله تعالى وهي قهره وسلطانه (لاغوينهم أجمعين) ثم استثنى من ذلك ما ذكره الله بقوله  
 (الاعبادك منهم المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من اضلاله  
 أو اخلصوا قلوبهم على اختلاف القراءتين فان نافعوا الكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد الحاء  
 والباقون بالكسر \* (تنبيه) \* قيل ان غرض ابلis من هذا الاستثناء انه لا يقع في كلامه  
 الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوي الكل لظهر كذبه حين يجز عن اغواء  
 عباد الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شيء يستكف منه ابلis فليس يليق بالمسلم  
 وهذا يدل على أن ابلis لا يغوي عباد الله تعالى المخلصين وقد قال تعالى في صفة يوسف عليه  
 السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الآيتين ان ابلis ما أغوى يوسف عليه  
 السلام وما نسب اليه من القبائح كذب واقتراء \* ولما قال ابلis ذلك (قال) تعالى (فالحق)  
 أي فيسبب اغوائك وغوايتهم أقول الحق (والحق أقول) أي لا أقول الا الحق فان كل شيء قلته  
 ثبت فلم يقدر أحد على نقضه ولا نقضه وقرأ عاصم وحزرة برفع الاقل ونصب الثاني والباقون  
 بنصبهما فنصب الثاني بالفعل بعده ونصب الاقل بالفعل المذكور أو على الاغراء أي الزموا  
 الحق أو على المصدر أي أحق الحق أو على نزع حرف القسم ورفع على انه مبتدأ محذوف

الخبر أى فالحق منى أو فالحق قسمى وجواب القسم (لا ملائنة جهنم منك) أى بنفسك  
وذريتك (ومن تبعك منهم) أى من الناس وقوله تعالى (أجمعين) فيه وجهان أظهرهما  
انه توكيد للضمير فى منك ولمن عطف عليه فى قوله تعالى ومن تبعك والمعنى لا ملائنة جهنم  
من المتبوعين والتابعين لا أترك منهم أحدا وجوز الزمخشري أن يكون توكيد للضمير فى منهم  
خاصة فتقدر لا ملائنة جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين  
ناس وناس ثم قال تعالى لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أى لقومك (ما أسألكم عليه)  
أى على تبليغ الرسالة أو القرآن (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكافئين) أى المتصفين  
بما كنت من أهله على ما عرفت من حالى فانتحل النبوة وأتقول القرآن وكل من قال شيئا من  
تلقاؤه نفسه فهو متكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس  
من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول من لا يعلم الله أعلم قال الله  
تعالى لنبى محمد صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين وقيل المعنى ان  
هذا الذى أدعوكم اليه ليس يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد  
صريح العقل بصحته (ان) أى ما (هو) أى القرآن (الاذكر) أى عظة وشرف (للعالمين)  
أى للخلق أجمعين (واتعلمن) جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن يا كفار مكة (نبأه) أى خبر  
صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعيد أو صدقه بما يان ذلك (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة  
بعد الموت وقال عكرمة يوم القيامة وقال الحسن ابن آدم عند الموت بأيتك الخبر اليقين وقول  
البيضاوى تبعا للزمخشري عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل  
جبل سحره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه أن يصرع على ذنب صغير أو كبير حديث  
موضوع

### ﴿ سورة الزمر مكية ﴾

الاقوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قدسية وهى خمس وسبعون آية  
وألف ومائة واثنان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وثمانية أحرف  
(بسم الله) الذى له صفات الكمال (الرحمن) الذى أنعم على عباده بأنواع النعم (الرحيم) بأنواع  
المغفرة على المؤمنين من عباده (تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ وقوله تعالى (من الله) أى  
المتصف بجميع صفات الكمال خبره أى تنزيل الكتاب كائن من الله تعالى وقيل تنزيل الكتاب  
خبر مبتدأ مضمرة تقديره هذا تنزيل الكتاب من الله (العزير) أى الغالب فى ملكه (الحكيم)  
أى فى صنعه ففى ذلك دلالة على أنه تعالى عالم بجميع المعلومات غنى عن جميع الحاجات (فان قيل)  
ان الله تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالحدث المخلوق  
(أجيب) بأن ذلك محمول على الصيغ والحروف (أنا) أى بالناس العظيمة (انزلنا عليك)  
يا أشرف الخلق خاصة بواسطة جبريل الملك (الكتاب) أى القرآن الجامع لكل خير وقوله تعالى

(بالحق) يجوز أن يتعلق بالانزال أى بسبب الحق وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفاعل أو المنعول وهو الكتاب أى ملتبس بالحق أو ملتبس بالحق والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكليف فهو حق ويجب العمل به وفي قوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب تكرر تعظيم بسبب ابرازة في جملة أخرى متصفا انزاله الى المعظم نفسه (فان قيل) لفظ تنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدرج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله دفعة واحدة (أجيب) بأن طريق الجمع ان يقال انا حكمتنا حكما كيا بآنا وصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم أوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح \* ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق أردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو أن يشغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه وتعالى (فاعبد الله) أى الخائز لجميع صفات الكمال مال كونك (مخلصا له الدين) أى محضاه له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر (الآله) أى الملك الاعلى وحده (الدين الخالص) أى لا يستحدثه غيره فانه المنفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر قال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وقال مجاهد الآية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله تعالى فاعبد الله عام وروى ان امرأة القرزرق لما قربت وفاتها أوصت أن يصلى الحسن البصرى عليها فلما دفنت قال الحسن البصرى يا أبا فراس ما الذى أعددت لهذا الامر قال شهادة أن لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود فأين الطنب قال ابن عادل فبين بهذا اللفظ الوجيز أن عمود الخيمة لا ينتفع به الامع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة أى الانتفاع الكامل والافهى ينتفع بها ولو كان رأس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا (ما نعبدهم) أى لشيء من الاشياء (الايقر بونا الى الله) أى الذى له معاقدة العزوم وجماع العظمة (زلق) وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلتكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فيقال فاعبادتكم لهم قالوا اليقر بونا الى الله زاني أى قربي وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنهم قالوا الايقر بونا الى الله تعالى تقر بيا حسنا ساهلا وتشفع لنا عند الله تعالى (ان الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (يحكم بينهم) أى وبين المسلمين (فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين فيدخل المؤمنون الجنة والكافرين النار (ان الله) أى الملك القادر (لا يهدى) أى لا يرشد (من هو كاذب) أى فى قوله ان الآلهة تشفع لهم مع علمهم بانها اجادات خبيثة وفى نسبة الولد الى الله تعالى (كفار) أى بعبادته غير الله تعالى (لو أراد الله) أى الذى له الاحاطة بصفات الكمال (أن يتخذ ولدا) أى كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لا صطفى) أى اختار (مما يخاف ما يشاء) أى اتخذ ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير بن الله والمسيح ابن الله كما قال تعالى لو أردنا أن نتخذها وأى كازعوا اتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن اليبين أن المخلوق

لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه سبحانه فقال تعالى شأنه (سبحانه) أى تنزيها  
له عن ذلك وعمالا يليق بطهارته ثم أقام الدليل على هذا التنزيه المقتضى لتفردة فقال تعالى  
(هو) أى الفاعل لهذا الفعل القائل لهذه الاقوال (الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال  
ثم ذكر من الاوصاف ما هو كاله لذلك فقال (الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد  
ولا والد له (القهار) أى الغالب الكامل القدرة فكل شئ تحت قدره \* ولما ثبتت  
هذه الصفات التى نفت أن يكون له شريك أو ولد أو أثبتت له الكمال المطلق استدل على  
ذلك بقوله تعالى (خلق السموات والارض) أى أبعدهما من العدم وقوله تعالى (بالحق)  
متعلق بخلق لان الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى اثبات الالهية اما أن تكون فلكية أو أرضية  
اما الفلكية فأقسام أحدها خلق السموات والارض وثانيها اختلاف الليل والنهار كما قال  
تعالى (يكور) أى يدخل (الليل على النهار ويكور النهار على الليل) قال الحسن ينقص  
من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فانتقص من الليل دخل فى النهار  
وما نقص من النهار دخل فى الليل قال البغوى ومنتهى النقص تسع ساعات ومنتهى الزيادة  
خمس عشرة ساعة وقال قتادة يغشى هذا هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار وقال الرازى  
ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذلك وذلك هذا وذلك يدل على ان  
كل واحد مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى  
انتهى وورد فى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة وقبل  
من الاديار بعد الاقبال (ويحضر) أى ذلل وأكزه وقهره وكلف لما يريد من غير نفع للمسخر  
(الشمس والقمر) فان الشمس ساطقان النهار والقمر ساطقان الليل وأكبر مصالح هذا العالم  
مربوطة بهما (كل) أى منهما (يجرى لاجل مسمى) أى الى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا  
اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبوا والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدوران  
المنجنون أى الدولاب الذى يسقى عليه على حد واحد (ألهو العزيز) أى الغالب على أمره  
المنتقم من أعدائه (الغفار) أى الذى له صفة الستر على الذنوب متكررة بمحو ذنوب من يشاء  
عينا وأثرا بغفرته ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الفلكية أتبعها بذكر الدلائل السفلية فقال تعالى  
(خلقكم) أى الناس المدعون الهية غيره (من نفس واحدة) وهى آدم عليه السلام (ثم  
جعل منها) أى من تلك النفس (زوجها) حواء وانما بدأ منها بذكر الانسان لانه أقرب  
وأكبر دلالة وأعجب وفيه ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيرا  
ثم تشعب الخلق القانت للحصر منهما فهما آيتان الا ان احدهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة  
والاخرى لم تجربها العادة ولم يخلق أى غير حواء من قصيرى رجل \* (تنبيه) فى ثم هذه أوجه  
أحدها انها على بابها من الترتيب بعلة وذلك يروى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره  
كالذر ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان ثانياها انها على بابها أيضا لكن لمدرك آخر وهو أن يعطف  
بها ما بعدها على ما فهم من الصفة فى قوله تعالى واحدة اذ التقدير من نفس وحدث أى انفردت

ثم جعل منها زوجهما ثالثها أن الترتيب في الاخبار لافي الزمان الوجودى كانه قيل كان من امرها قيل ذلك ان جعل منها زوجها رابعها ان الترتيب في الاحوال والرتب وقال الرازى ان ثم كما تجى البيان كون احدى الواقعتين متأخرة عن الثانية فكذلك تجى البيان تأخر احدى الكلامين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب وأعطيتك اليوم شيئاً ثم الذى أعطيتك أمس أكثر وقوله تعالى (وأنزّل لكم من الانعام) عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى أن الله تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها ويحتمل المجاز وله وجهان أحدهما انهم المالم تعش الابالنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب أطلق الانزال عليها وهو في الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القائل اذا نزل السماء بأرض قوم \* رعيناها وان كانوا غضايا

والثانى أن قضاياها وأحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو أيضا سبب في ايجادها وقال البغوى معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى أنزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزال الماء الذى هو سبب نبات القطن والكتان وغيرهما الذى يجعلون منه اللباس وقيل معنى قوله أنزل لكم من الانعام جعلها انزالا لكم وورقا ومعنى قوله (عناية أزواج) أى عناية أصناف وهى الابل والبقر والضأن والمعز من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الانعام وقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم) بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهار المافيا من عجائب القدرة غير أنه تعالى غلب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون وقرأ حمزة والكسائى في الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفي الابداء الجميع بالضم وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى (خلقنا من بعد خلق) ما ذكره الله تعالى بقوله وخلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الآيات وأما قوله تعالى (في ظلمات ثلاث) فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) أى العالى المراتب بشهادتكم أيها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله الذى جميع ما ذكر من أول السورة الى هنا من أفعاله \* ولما أشار الى عظمته بأداة البعد أخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالى (الله) أى الذى خلق هذه الاشياء (ربكم) أى الملك والمربى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى (له الملك) يفيد الحصر أى له الملك لا غيره \* ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بأنه (لا اله الا هو) أى لا يشاركه في الخلق غيره \* ولما بين بهذه الدلائل كمال قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى (فانى) أى فكيف ومن أى وجه (تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (ان تكفروا فان الله) أى الذى له الكمال كله (عنى عنكم) لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجزى الى نفسه منفعة أو يدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غنى على الاطلاق فيمنع في حقه بر المنفعة ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته في جميع أفعاله يكون غنيا على الاطلاق وأيضا فالقادر على خلق السموات

والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكروسي والاعناصر الاربعة يمنع أن  
ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستنصر بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذلك (ولا يرضى لعباده)  
أى لا خدمتهم (الكفر) أى بالاقبال على ما سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع أن  
ملككم لهم في غاية الضعف ومعنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضى بأن يأذن فيه ويقر عليه  
ويتيب فاعله ويدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب من تكبه وان  
كان بارادته اذ لا يخرج شئ عنها وهذا قول قتادة والسلف أجروه على عومه وقال ابن عباس  
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان  
فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عبدا الله يريد بعض العباد  
(وان تشكروا) الله تعالى أى فتؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) أى فينبئكم عليه لانه  
سبب فلاحكم وقرأ السوي في الوصل بسكون الهاء وللدورى وهشام وجهان السكون  
والضم وصله الهامبو اولدورى وابن كثير وابن ذكوان والكسائي والياقون بالسكون وهو  
لغة فيه (ولا تزر) أى نفس (وازرة وزر) نفس (أخرى) أى لا تحمل بل وزر كل  
نفس عليها لا يعتد اها يحفظ عليها مدة كونها في دار العمل واحتج به اذ من أنكر وجوب الدية  
على العاقلة ورد بان السنة خصت ذلك وأما الاثم الذى يكتب على الانسان بترك الامر  
بالمعروف والنهى عن المنكر فليس وزر غيره وانما هو وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل  
ووزر الساكت على الترك لما زمه من الامر والنهى وقوله تعالى (ثم الى ربكم مرجعكم)  
يدل على اثبات البعث والقيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه تهديد للعاصى وبشارة  
للمطيع وقوله تعالى (انه عليم) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فى القلوب كالعلة  
لما سبق أى انه تعالى ينبئكم بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى  
والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر  
الى قلوبكم وأعمالكم \* ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذى يجب أن يعبد  
بين أن طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى (واذا من الانسان) أى هذا النوع الآس  
بنفسه (ضر دعاربه) لانهم اذا مسهم الضر طلبوا رفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر  
عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم أن يعترفوا بالله تعالى فى جميع الاحوال  
لانه القادر على ابطال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقهم والمراد بالانسان الكافر وقيل  
المؤمن والكافر وقيل المراد اقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع  
المكاره فى جسمه أو ماله أو أهله أو اولاده اعموم اللفظ وقوله تعالى (منيبا) حال من فاعل دعا  
وقوله تعالى (اليه) متعلق بمنيبا أى راجعا اليه فى ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع (ثم اذا  
حوله) أى أعطاه (نعمة) مبتدأة (منه) أى من غير مقابل ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء  
العطية قال زهير \* هنالك ان يستخولوا المال يخولوا \* وروى ان يستخيلوا المال يخيلوا  
\* (وقال أبو النجم) \*

أعطى فلم يجزل ولم يجزل \* كوم الذرى من خول المخول

وحقيقة خول من احدى معنيين اما من قولهم هو خائل مال اذا كان منههد له حسن القيام عليه واما من خال يجول اذا اختلف واقفر ومنه قول العرب \* ان الغنى طويل الذيل مباس \* (نسى) أى ترك (ما) أى الامر الذى (كان يدعو) أى يتضرع (اليه من قبل) أى قبل النعمة \* (تنبه) \* يجوز فى ما هذه أوجه أحدها أن تكون موصولة بمعنى الذى مراعى بها الضر الذى كان يدعو الى كشفه أى ترك دعائه كأنه لم يتضرع الى ربه فانها مباءة عنى الذى مراد به البارئ تعالى أى نسي الله الذى كان يتضرع اليه وهذا عند من يجوز وقوع ما على أولى العلم وقال الرازى مباءة عنى من كتوله تعالى وما خلق الذكر والاثنى وقوله ولا أنتم عابدون ما عبدوه وقوله فانكوهوا مطاب لكم ثالثها ان تكون مصدرية أى نسي كونه داعيا (وجعل) أى ذلك الانسان زيادة على الكثران بالنسيان للاحسان (لله) أى الذى لا مكافئ له بشهادة الفطرة والسمع والعقل (اندادا) أى شركاء (ليضل عن سبيله) أى دين الاسلام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبفتح الياء بعد اللام أى ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها أى لم يتبع بضلاله فى نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز ان تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كتوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا \* واختلف فى سبب نزول قوله تعالى لتبني محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهذا الذى قد حكم بكفره (تمتع) أى فى هذه الدنيا (بكفرك قليلا) أى بقية أهلك فقال مقاتل نزل فى أبى حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل فى عتبة بن ربيعة وقيل عام فى كل كافر وهذا أمر تهديد وفيه اقناط للكافر من التمتع فى الآخرة ولذلك عله بقوله تعالى (المن أصحاب النار) أى الذين لم يخلقوا الا لها على سبيل الاستئناف للمبالغة قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية \* ولما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير الله تعالى وأدفعه بشرح المخلصين فقال تعالى (أمن هو قانت) أى قائم بوظائف الطاعات (أناء الليل) أى جميع ساعاته ومن اطلاق القنوت على القيام قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت لانه يدعو قائما وعن ابن عمر انه قال لأعلم القنوت الاقراء القرآن وطول القيام وتلا من هو قانت وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله تعالى لكل له قانتون أى مطيعون وقرأ نافع وابن كثير وجزء بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفى القراءة الاولى وجهان أحدهما أن الهمزة همزة الاستفهام دخلت على من معنى الذى والاستفهام للتقرير ومقابلته محذوف تقديره أمن هو قانت كمن جعل لله أندادا أو أمن هو قانت كغيره وأما القراءة الثانية فأم داخله على من الموصولة أيضا فادغمت الميم فى الميم وفى أم حينئذ قولان أحدهما انها متصلة ومعادله محذوف تقديره الكافر خيرا م الذى هو قانت والثانى انه منقطعة فنقدر بيل والهمزة أى بل أمن هو قانت كغيره أو كالكافر المقول له تمتع بكفرك وقوله تعالى (ساجدا) أى وراكعا (وقائما) أى وقاعدا فى صلاته حالان من ضمير قانت \* (تنبه) \* فى هذه

قوله لانه يدعو قائما  
هكذا فى التسخ وعبارة  
الكشاف ومنه القنوت  
فى الوتر لانه دعاء المصلى  
قائما اه

الآية دلالة على أن قيام الليل أفضل من قيام النهار واختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس  
 نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الضحاك في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال  
 أبو عمرو في عثمان رضي الله تعالى عنه وقال الكلبى في ابن مسعود وعمار وسلمان رضي الله تعالى  
 عنهم وقوله تعالى (يحذرا الآخرة) أى عذاب الآخرة يجوز أن يكون حالاً من الضمير  
 فى ساجداً وقائماً أو من الضمير فى قانت وأن يكون مستأنفاً جواباً للسؤال مقدر كأنه قيل  
 ما شأنه يقنت آباء الليل ويتعب نفسه ويكدها قيل يحذر الآخرة (ويرجو رحمة) أى جنة  
 (ربه) الذى لم يزل يتقلب فى انعامه وفى الكلام حذف والتقدير كمن لا يفعل شيئاً من ذلك وانما  
 حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر قبل هذه الآية وذكر بعدها (قل هل يستوى) أى فى  
 الرتبة (الذين يعلمون) أى وهم الذين صفتهم انهم يقنتون آباء الليل ساجدين وقائمين (والذين  
 لا يعلمون) أى وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون  
 وانما وصف الله تعالى الكفار بأنهم لا يعلمون لان الله تعالى وان أعطاهم آلة العلم الا أنهم  
 أعرضوا عن تحصيل العلم فلماذا جعلهم الله تعالى كأنهم ليسوا من أولى الالباب من حيث  
 انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وفى هذا تشبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء  
 انكم تمولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك عند أبواب  
 العلماء فأجاب بأن هذا أيضاً يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه  
 والجهال لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فلا جرم تركوه وقال فى الكشف وأراد بالذين يعلمون  
 العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقنتون  
 العلوم ثم لا يقنتون ويقنتون ثم يقنتون بالدينافةم عند الله تعالى جهلة حيث جعل الله  
 تعالى القانتين هم العلماء قال ويجوز أن يراد على سبيل التشبيه أى كالأبستوى العالمون  
 والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والمعاصون اه وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى  
 فى المعاصى ويرجو فقال هذا من وانما الرجاء قوله تعالى وتلا هذه الآية (انما يتذكر) أى يتعظ  
 (أولو الالباب) أى أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون فى آخر سورة  
 آل عمران بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم الى آخرها ولما نفي تعالى  
 المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يخاطب المؤمنين فقال  
 سبحانه (قل) أى لهم (يا عبادى الذين آمنوا) أى أوجدوا هذه الحقيقة (اتقوا ربكم)  
 أى بطاعته واجتناب معاصيه ثم بين تعالى لهم ما فى هذا الاتقاء من الفوائد بقوله تعالى (للذين  
 أحسنوا فى هذه الدنيا) أى بالطاعة (حسنة) أى فى الآخرة وهى الجنة والتشكير فى حسنة  
 للتعظيم أى حسنة لا يصل العقل الى كنه كمالها فقوله تعالى فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا  
 وقيل متعلق بحسنة وعلى هذا قال السدى معناه فى هذه الدنيا حسنة يعنى الصحة والعافية  
 قال الرازى الاولى أن يحمل على الثلاثة المذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية  
 الامن والصحة والكفاية اه ورواها بتعيين حله على حسنة الآخرة لان ذلك حاصل للكفار



اكثر من حصوله للمؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا من المؤمن وجنة الكافر واختلف  
 في معنى قوله تعالى (وأرض الله) أي الذي له الملك كله والعظمة الشاملة (واسعة) فقال  
 ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ونظيره  
 قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا من الضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة  
 فتهاجروا فيها وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من أمر بالمعاصي فليهرب  
 وقال أبو مسلم لا يمنع أن يكون المراد من الارض أرض الجنة كما قال تعالى جنة عرضها  
 السموات والارض أعدت للمتقين (انما يوفي) أي التوفية العظيمة (الصابرون أجرهم)  
 أي على الطاعات وما يتلون به \* وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا  
 دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا ومعنى (بغير حساب) أي بغير نهاية بكل أو وزن  
 لان كل شيء داخل تحت الحساب فهو مستأنه فما لانهاية له كان خارجا عن الحساب وعن ابن  
 عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وقال علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى  
 عنه كل مطيع يكال له كيلا أو يوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحسب لهم حثيا وروى الشعبي  
 لكن بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيامة لاهل الصلاة  
 والصدقة والحج فيوفون أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى تنفى أهل  
 العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من النضل \* ولما كان  
 للعبادة ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح فتقدمه سبحانه  
 بقوله تعالى (قل) أي يا أشرف المرسلين (اني أمرت) قرأنا نافع بفتح الياء والباقون بسكونها  
 (ان أعبد الله مخلصا له الدين) أي مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا ثم ذكر مقبلة الادون وهو عمل  
 الجوارح وهو الاسلام المذكور في قوله (وأمرت لأن) أي لأجل أن أو بأن (أكون أول  
 المسلمين) أي من هذه الامة وبهذا زال التكرار وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف أمرت  
 على أمرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أن الامر بالاخلاص وتكليفه  
 شيء والامر به ليصرف القائم به نصب السبق في الدين شيء آخر واذا اختلف وجه الشيء وصفته  
 ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين \* ولما دعا المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى دين آباءه أمره  
 الله تعالى بقوله سبحانه (قل اني أخاف ان عصيت ربي) أي المحسن الى المرابي لي بكل جميل  
 وعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) والمقصود من هذا الامر المبالغة في زجر الفير عن المعاصي  
 وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو اني بفتح الياء والباقون بسكونها (قل الله) أي المحيط بصفات  
 الكمال وحده (أعبد مخلصا له) وحده (ديني) من الشرك قال الرازي فان قيل ما معنى  
 التكرير في قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله أعبد  
 مخلصا له ديني قلنا ليس هذا تكرر لان الاول اخبار بأنه مأثور من جهة الله تعالى بالايان  
 بالعبادة والثاني اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحدا غير الله تعالى وذلك ان قوله أمرت أن أعبد  
 الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله أعبد يفيد الحصر أي الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه

ويدل عليه انه لما قال قل الله أعبد قال بعده (فاعبدوا) أي أنتم أيها الداعون في وقت  
 الضراء المعرضون في وقت الرخاء (ما شئتم من دونه) أي غيره وفي هذا تهديد وزجر لهم  
 وايدان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله سبحانه (قل ان الخاسرين)  
 أي الكاملين في الخسران (الذين خسروا أنفسهم) أي أوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك  
 أعظم منه (و) خسروا (أهلهم يوم القيامة) أيضا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم  
 كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا ذهابا لا يرجوع بعده البتة وقوله تعالى  
 (الاذل) أي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة (هو الخسران المبين) أي البين يدل  
 على غاية المبالغة من وجوه أحدها انه وصفهم بالخسران ثم أعاد ذلك بقوله تعالى الأذل هو  
 الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التأكيد وثانيها ذكر حرف ألا وهو للتنبيه وذكر  
 التنبيه يدل على التعظيم كأنه قال بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له  
 وثالثها قوله تعالى هو الخسران وانقطة هو تنفيذ الحصر كأنه قيل كل خسران يصير في مقابلته  
 كل خسران ورابعها وصفه تعالى بكونه خسرانا مبينا يدل على التهويل \* ولما شرح الله  
 تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلال) أي طباق (من  
 النار ومن تحتهم ظلال) أي فرش ومهاد نظيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش  
 (فان قيل) الظلة ما علا الانسان فكيف سمي ما تحتها ظلة (أجيب) بأوجه أحدها انه من باب  
 اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجزا سبعة سبعة مثلها ثانيا أن الذي تحتها  
 يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما أن الجنة درجات ثالثا أن الظلة التحتانية لما كانت  
 مشابهة للظلة القوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء أطلق اسم احدها على الاخرى  
 لاجل المماثلة والمثابفة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات (ذلك) أي  
 العذاب المعدل للكفار (يخوف الله به عباده) أي المؤمنين ليحذروا ما يقعهم فيه وقيل  
 يخوف به الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى (يا عبادة اتقون) أي ولا تعرضوا  
 لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه الدلالة ان اضافة العبد الى  
 الله تعالى في القرآن مختص بأهل الايمان (والذين اجتنبوا الطاغوت) أي البالغ غاية  
 الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالمكوت والرحوت الا أن فيه قلبا بتقديم اللام على  
 العين اذا صله طغيوت قدمت الياء على العين ثم قلبت الفاء لثمرتها وانفتاح ما قبلها أطلقت على  
 الشيطان أو الشياطين لكونها مصدر او فيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان  
 طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحوت الرحة الواسعة والمكوت الملك المبسوط والقلب  
 وهو للاختصاص قال في الكشاف اذا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هنا الجمع انتهى  
 لكن ابن الخازن فسر الطاغوت بالاثوان وتبعه الجلال المحلى (فان قيل) يتعين هذا التفسير  
 لانهم انما يعبدوا الصنم لا الشيطان (أجيب) بأن الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان  
 هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة له (فان قيل) ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على التفسير

الثاني مع أنه لا يطلق الاعلى الشيطان كما مر (أجيب) بأنه أطلق عليه على سبيل المجاز لان  
 الطغيان لما حصل بسبب عبادة والتقرب اليه وصفه بذلك اطلاقاً لا اسم السبب على المسبب  
 بحسب الظاهر وقوله تعالى (أن يعبدوها) بدل اشتمال من الطاغوت لان الطاغوت مؤنث  
 كأنه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت (فان قيل) على التفسير الاقل انما عبدوا الصنم  
 لا الشيطان (أجيب) بأنه الداعي الى عبادة الصنم (فائدة) نقل في التواريخ أن الاصل  
 في عبادة الاصنام أن القوم مشبهة واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وأن الملائكة أنوار مختلفة  
 في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل  
 على اعتقادهم أنهم يعبدون الله والملائكة (وأنا بوا) أي رجعوا (الى الله) أي الى عبادة  
 الله بكليتهم وتركوها كما كانوا عليه من عبادة غيره ثم انه تعالى وعده هؤلاء بأشياء أحدها قوله  
 تعالى (لهم البشرى) أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند  
 نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف  
 للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم  
 البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان \* (تنبيه) \* يحتمل أن يكون المبشر لهم  
 هم الملائكة عليهم السلام لانهم يبشرونهم عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين  
 يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب  
 سلام عليكم بما صبرتم فنع عقبي الدار ويحتمل أن يكون هو الله تعالى لقوله تعالى تحيتهم يوم  
 يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملائكة عليهم السلام فان فضل الله سبحانه  
 واسع وقوله تعالى (فبشر عباد) قرأه السوسى بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة  
 في الوقف والباقون بغيرياء (الذين يسمعون) أي بجميع قلوبهم (القول فيتبعون) أي  
 بكل عزائمهم بعد اتقاده (أحسنه) أي بما دلتم عليه عقولهم من غير عدول الى أدنى  
 \* (تنبيه) \* في هذا وضع الظاهر موضع مضمرة الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ احسانهم وانهم  
 تقاد في الدين يعززون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب  
 وندب اختاروا الواجب أو مباح وندب اختاروا والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر  
 ثوابا ويدخل تحت ذلك أبواب التكليف وهي قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات  
 فكذلك ولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله أكبر مع اقتران النية ويقرأ فيها بالقائمة ويؤتى فيها  
 بالطمأنينة في مواضعها الخمسة ويتشهد فيها ويخرج منها بالسلام لاشك انها أحسن من الصلاة  
 التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال قال الرازي فوجب على العاقل أن يختار هذه الصلاة  
 دون غيرها اه وكذا القول في جميع أبواب العبادات قال في الكشاف ويدخل تحته المذاهب  
 واختياراً ثبتت اعلى السبك وأقواها اعلى السبر وأبينها دليلاً وأما في ولا تكن في مذهبك كما قال  
 القائل \* ولا تكن مثل غير قديد فانقادا \* يريد المقلداه وأما المعاملات فكانتظار المعسر  
 وبراءة فالبراء أولى وان كان الأول واجبا والثاني مندوبا وكذا القول في جميع المعاملات

وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يسمعون أوامر الله تعالى فيتبعون  
 أحسنها فهو القصاص والعفو قال تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وعن ابن عباس هو الرجل  
 يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بالحسن ما يسمع ويكف عما سواه  
 وروى عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف  
 وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بما يمانه فآمنوا فنزل فيهم فبشر  
 عبادة الآية (وأولئك) أي العالو الهمة والرتبة (الذين هداهم الله) بما له من صفات الكمال  
 لديه (وأولئك هم أولو الألباب) أي أصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وقال  
 أبو زيد نزل والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله  
 زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة  
 وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد من فاعل وقابل فأما الفاعل فهو  
 الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى أولئك الذين هداهم الله وأما القابل فإليه الإشارة بقوله  
 تعالى وأولئك هم أولو الألباب فان الانسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول هذه  
 المعارف الحقيقية في قلبه واختلف في معنى قوله تعالى (أفمن حق) وأسقط تاء التانيث الدالة  
 على اللين تأكيذاً للنهي عن الاسف عليهم (عليه كلمة العذاب) فقال ابن عباس معنى الآية من  
 سبق في علم الله أنه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لا ملأن جهنم الآية وقيل قوله تعالى  
 هؤلاء النار ولا أبالي وقوله تعالى (أفأنت تتخذ) أي تخرج (من في النار) جواب الشرط  
 وأقيم فيه الظاهر مقام الضمير اذ كان الاصل أفأنت تتخذ وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك  
 والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتسقط هذه من النار وقال ابن عباس يريد بأبالباب  
 وولده ويجوز أن تكون من موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف واختلف في تقديره  
 فقدره أبو البقاء كمن نجح وقدره الرخصى فأنت تخلصه أي حذف لدلالة أفأنت تتخذ عليه  
 وقدره غيرهما تأسف عليه وقدره آخر يتخلص منه أي من العذاب وقوله تعالى (لكن الذين  
 اتقوا ربهم) استدراك بين شبهي نقيضين أو ضدين وهما المؤمنون والكافرون أي جعلوا  
 بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل حركة وسكون فلم يجعلوا شيئاً من ذلك الا ينظر يد لهم على  
 رضاه وقوله تعالى (لهم غرف) أي علالي من الجنة يسكنونها (من فوقها غرف) شديدة  
 العلو مقابل لما ذكر في وصف الكفار ولهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلال والمعنى لهم  
 منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل أرفع منها (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (مبنية)  
 • أحب بأن المنزل اذا بنى على منزل آخر كان القوفاني أضعف بناء من التحتاني فقوله تعالى  
 مبنية فأنشده أنه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل ولما كانت  
 المنازل لا تطيب إلا بالماء وكان الجاري أحسن وأشرف قال تعالى (تجري من تحتها) أي  
 من تلك الغرف القوفانية والتحتانية (الانهار) أي المختلفة كما قال تعالى فيها أنهار من ماء

غير آسن وأنهار من لبن لم يغير طعمه وأنهار من نخل لذة للشاربين وأنهار من عدل مصفى وقوله تعالى (وعدا لله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعله المقدر لأن قوله تعالى لهم غرق في معنى وعدهم الله ذلك (لا يخلف الله الميعاد) لأن الخلف نقص وهو على الله سبحانه محال وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لم يفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر أى الباقي في الأفق في ناحية المشرق والمغرب \* ولما وصف الله تعالى الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها ووصف الدنيا بصفات توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى (المرز) أى تعلم (أن الله) أى الذى له كمال القدرة (أنزل من السماء) أى التى لا يستمسك الماء فيها إلا بقدرته باهرة تقهر الماء على ذلك والمراد بالسماء الجرم أو السحاب (ماء) وهو المطر قال الشعبي ~~كل~~ ماء فى الأرض من السماء نزل ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه (فسلكه) أى أدخل ذلك الماء خلال التراب حال كونه (يتابع فى الأرض) أى عيوننا ومجارى ومسالك كالعروق فى الاجسام (ثم يخرج) الله تعالى (به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك ومختلفا أصنافه من بر وشعر وشمس وغيرها (ثم يجمع) أى يبيس (فتراه) بعد الخشرة مثلاً (مصفرا) من ييبسه لانه اذا تم جفافه حان له أن يفصل عن مناسبه (ثم يجعله حطاما) أى فتاتا (ان فى ذلك) أى التدبير على هذا الوجه (الذكرى) أى تذكيرا وتنبها (لاولى الالباب) أى أصحاب العقول الصافية جدا فيذكرون هذه الاحوال فى النبات فيعلمون بدلالته على وحدانية الله تعالى شأنه وقدرته وأحوال الحيوان والانسان وانه وان طال عمره فلا يد من الانتهاء الى أن يصير مصفرا اللون من معظم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا كانت مشاهدة هذه الاحوال فى النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال فى نفسه فى حياته فينبذ تعظم نفرتة عن الدنيا ولذاتها \* ولما بين تعالى الدلائل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر أن الاتفاغ بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الصدور ونور القلوب فقال سبحانه (أفنى شرح الله) أى الذى له القدرة الكاملة (صدره للاسلام) أى وسعه لقبول الحق فاهتدى (فهو) أى بسبب ذلك (على نور من ربه) أى المحس اليه كن أقسى الله تعالى قلبه دل على هذا (قويل) كلمة عذاب (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعثوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة وأما نور الله تعالى فهو لطفه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقبل يا رسول الله فاعلامه انشراح الصدر للاسلام قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فان قيل) ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان

قال تعالى ألابذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول القسوة في القلب  
(أجيب) بأن النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات  
شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سمعها لذكر الله تعالى يزيد لها قسوة  
وكدرة مثاله أن الفاعل الواحد يختلف أمثاله بحسب اختلاف القوايل كنور الشمس يسود  
وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعتد الملح وقد نرى انسانا واحدا  
يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستهكره غيره وما ذاك الا بحسب  
اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين  
الآية وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حاضر وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد منهما تبارك الله أحسن الخالقين فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد عمر رضي الله عنه ايمانا على ايمانه  
وارتد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يعد أن يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والهداية  
والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القنوط والبعد عن الحق في النفوس  
الخبثية وقيل من بمعنى عن أي قست قلوبهم عن قبول ذكر الله وجرى على ذلك الجلال المحلي  
(أولئك) أي هؤلاء البعداء (في ضلال مبين) أي بين قبيل نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله  
عنه وفي أبي ابن خلف وقيل في علي وحزرة وأبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وفي أبي جهل (الله) الفعال لما يريد الذي له مجامع العظمة والاحاطة بصفات الكمال  
(نزل) أي بالتحديد للدرج وللجواب عن كل شبهة (أحسن الحديث) أي القرآن  
روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا مله فقالوا حدثنا فنزلت وكونه أحسن  
الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الاول فلان القرآن  
أفصح الكلام وأبلغه وأجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس  
الرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه مع أن كل طبع سليم يستلذه ويستطيبه  
وأما من جهة المعنى فهو منزّه عن التناقض والاختلاف قال جل ثناؤه ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومشتق على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب  
الكثيرة في الماضي والمستقبل وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وفي ايقاع لفظ الجلالة  
مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث واستشهاد على حسنه وتأكيده لاستناده الى الله  
تعالى وانه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتبنيه على أنه وحى معجز مباين لسائر  
الاحاديث وقوله تعالى (كتابا) أي جامع الكل خير يدل من أحسن الحديث وقيل حال منه  
بناء على أن أحسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وأفعال التفضيل اذا أضيف الى معرفة  
فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى (متشابهها)  
نعت لكتابا وهو المنسوخ لحيء الجاهد حالا وأنه في قوة مكتوب وتشابهه بتشابه أبعاضه  
في الاعجاز والبلاغة والموعظة الحسنة لاتفاوت فيه أصلا في لفظ ولا معنى مع كونه نزل مقرفا

في نيف وعشرين سنة وأما كلام الناس فلا يبد فيه من التفاوت وإن طال الزمان في التهذيب  
 سواء اتحد زمانه أم لا وقوله تعالى (مثنى) جمع مثنى بمعنى مراد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبأته  
 وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعده ووعيدته ومواظبه أو جمع مثنى مضاعف من التثنية بمعنى  
 التكرير والاعادة وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يعل كما جاء في وصفه لا يخلق على كثرة الترداد  
 (فان قيل) كيف وصف كتابا وهو مفرد بالجمع (أجيب) بأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل  
 الشيء هي جملة لا غير الأثرى أنك تقول القرآن اسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول  
 أحكام ومواظمات وتطهير قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك  
 تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابهة فصولا ومثنى ويجوز أن يكون مثنى منتصبا على  
 التمييز من متشابهة كما تقول رأيت رجلا حسنًا مثل (فان قيل) ما فائدة التثنية والتكرير  
 (أجيب) بأن النفوس أنفوس عن حديث الوعظ والنصيحة فإلم يكثر عليها عودا على يد  
 لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكثر عليهم  
 ما كان يعظهم به وينصح ثلاث مرات وسبع البركة في قلوبهم ويغرسه في صدورهم (تقشع)  
 أي تضطرب وتتهتز (منه) عند ذكر وعيدته (جلود) أي ظواهر أجسام (الذين يخشون) أي  
 يخافون (رجيم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر آيات  
 العذاب (ثم تلين) أي تطمئن (جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي عند ذكر وعده والمعنى  
 إذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال تعالى الأبدى ذكر الله تطمئن القلوب  
 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قشعر جلد العبد من خشية الله تعالى  
 تحات عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال قتادة  
 هذا نعت أولياء الله تعالى نعمت الله تعالى بأن تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم  
 ينعمهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم وانما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وعن  
 عبد الله بن عمرو بن الزبير قال قلت لبلد في أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها ما كيف  
 كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما  
 نعمت الله تعالى تدمع أعينهم وتقشع جلودهم قال قلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم  
 القرآن خترأ حدتهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ابن عمر  
 رضي الله تعالى عنهما مترجلا من أهل العراق سقط فقال ما بال هذا فقالوا إنه إذا قرئ  
 عليه القرآن أو سمع ذكر الله تعالى سقط فقال أنا للخشي الله تعالى وما نستطو قال ابن عمر  
 الشيطان يدخل في جوف أحدكم ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وذكروا عن ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن  
 يقعد أحدهم على ظهر بيت بإسطار جلبيه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه  
 فهو صادق (فان قيل) لم ذكرت الجلود وحدها ولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب  
 ثانيا في الرجاء (أجيب) بأن الخشية التي محلها القلوب إذا ذكرت فقد ذكرت القلوب

فكانه قيل تقشعرج لودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة واذا ذكر  
الله تعالى وصي أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعريرة  
لذافي جلودهم (فان قيل) ما وجه تعدية تلبين بالي (أجيب) بأنه ضمن معنى فعل متعد  
بالي كانه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله تعالى (فان قيل) كيف قال الله تعالى الى  
ذكر الله ولم يقل الى رحمة الله (أجيب) بأن من أحب الله تعالى لاجل رحمة فهو ما أحب  
الله تعالى وانما أحب شيئا غيره وأما من أحب الله تعالى لالذئ سواء فهو المحب الحق وهي  
الدرجة العالية كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب (ذلك) أي القرآن الذي هو أحسن  
الحديث (هدى الله) الذي له صفات الكمال (يهدى به من يشاء) أي وهو الذي شرح الله  
تعالى صدره أقوالا تقبول الهداية (ومن يضل الله) أي يجعل قلبه قاسيا مظلما (فقاله  
من هاد) أي يديه وقرآن كثير في الوقف بإثبات الياء بعد الدال والباقون بغير الياء  
واتفقوا في الوصل على عدم الياء \* ولما حكم تعالى على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو  
الضلال التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال (أفمن يتقى بوجهه  
سوء) أي شدة (العذاب) أي يجعزه وقاية يتقى به نفسه لانه تكون يداه مغلولتين الى عنقه  
(يوم القيامة) فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه وقال مجاهد يجز على وجهه في النار وقال عطاء  
يرجى به في النار من كوسا فأول شيء يلقي في النار وجهه وقيل يلقي في النار مغلوله يداه الى عنقه  
وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه  
فخرها ووجهها على وجهه لا يطبق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه  
الجملة وقيل نزلت في أبي جهل ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كن أمن من العذاب  
يدخول الجنة فحذف الخبر كما حذف في نظائره (وقيل) أي تقول الخزنة (للظالمين) أي  
الكافرين وكان الاصل لهم فوضع الظاهر موضعه تسهيفا عليهم بالظلم (ذوقوا ما) أي وبال  
الذي (كنتم تكسبون) أي تعملون في الدنيا من المعاصي \* ولما بين تعالى كيفية عقاب  
القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال تعالى (كذب الذين)  
وأشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال تعالى (من قبلهم) أي من قبل  
كفار مكة أي مثل سبأ وقوم تبع كذبوا رسلاهم في اتيان العذاب (فأتاهم العذاب من حيث  
لا يشعرون) أي من جهة لا يخطر ببالهم ان الشريياتهم منها (فأذاقهم الله) أي الذي  
له القدرة الكاملة (الجزى) أي الذل والهوان من المسخ والقتل وغيرهما (في الحياة الدنيا)  
أي العاجلة الدينية (ولعذاب الآخرة) أي المعدلهم (أكبر) أي من ذلك الذي وقع بهم  
في الدنيا (لو كانوا) أي المكذبون (يعلمون) أي عذابهم ما كذبوا ولكن لا علم لهم أصلا ان  
هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا \* ولما ذكر تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين  
أن هذه البيئات بلغت حد الكمال والتمام فقال تعالى (ولقد ضربنا) أي جعلنا (للناس) أي  
عامّة لان رسالته صلى الله عليه وسلم عامّة (في هذا القرآن) أي الجامع لكل علم وكل خير



(من كل مثل) أى يحتاج إليه الناظر في أمر دينه (لعلمهم يتذكرون) أى يتعظون به وقرآن نافع  
وقالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام وقوله تعالى (قرأنا عربيا)  
فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون منصوبا على المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن  
ثانيها أن ينتصب بيتدكرون أى يتذكرون قرآنا ثالثها أن ينتصب على الحال من القرآن على  
أنها حال مؤكدة وتسمى حالا موطئة لان الحال في الحقيقة عربية وقرأنا موطئة له فحوجاه زيد  
رجلا صالحا (غير ذى عوج) أى مستقيمة برئسا من التناقض والاختلاف نعت لقرآنا أو  
حال أخرى (فان قيل) هلا قيل مستقيما أو غير معوج (أجيب) بأن في ذلك فائدتين احدهما  
نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا ثانياً لانهما أن لفظ العوج مختص بالمعاني  
دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس قال القائل

وقد أتاك يقين غير ذى عوج \* من الاله وقول غير مكذوب

(لعلمهم يتقون) أى الكفر \* (تنبيه) \* وصف تعالى القرآن بثلاث صفات اولها كونه قرآنا  
والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قرب قيام الساعة ثانيا كونه عربيا أى انه أعجز الفصحاء  
والبلغاء عن معارضته كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن  
لا يأتون بمثله ثالثها كونه غير ذى عوج قال مجاهد غير ذى لبس وقال ابن عباس رضى الله عنهما  
غير مختلف وقال السدى غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى شقيق وابن عيينة  
عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بمخالق ولا مخلوق \* ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار  
مثل لما يدل على فساد مذهبهم وقبيح طريقهم بقوله تعالى (نضرب الله) أى الذى له الملك كله  
(مثلا) أى للمشركين والموحدين وقوله تعالى (رجلا) بدل من مثلا وقوله تعالى (فيه  
شركاء) يجوز أن تكون الجملة من مبتدأ وخبر في محل نصب صفة لرجلا ويجوز أن يكون  
الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به قال ابن عادل وهو أولى لقربه من المفرد وقوله تعالى  
(متشاكسون) صفة لشركاء والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسره وهو سبب  
التخالف أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس وشرس اذا كان سيئ  
اخلاق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سالما) أى خالصا من نزاع (لرجل) أى  
خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد السين وكسر اللام بعدها  
والباقون بغير ألف وفتح اللام وهو الذى لا ينزع فيه من قولهم هولك سلم أى مسلم لا منازع  
لك فيه وقوله تعالى (هل يستويان) استفهام انكار أى لا يستويان وقوله تعالى (مثلا)  
تمييز والمعنى اضرب لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون في رجل مملوك لشركاء بينهم اختلاف  
وتنازع وكل واحد يدعى أنه عبده فهم يتجادون حوائجهم وهو متحسر في أمره وكلما أرضى  
أحدهم غضب الباقرن واذا احتاج اليهم فكل واحد يرقه الى الآخر فبقي متمسرا لا يعرف  
أيهم أولى أن يطلب رضاه وأيهم يعينه في حاجاته فهو بهما السبب في عذاب اليم وآخره  
مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فأى هذين العبدان

أحسن حالا لاشك ان هذا أقرب الى الصلاح من حال الأول فان الأول مثل المشرك والثاني  
مثل الموحد وهذا المثال في غاية الحسن في تقييد المذرك وتعيين الموحد (فان قيل) هذا المثال  
لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس (أجيب) بأن  
عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في  
الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة ألا ترى أنهم  
يقولون زحل هو النخس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام  
تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا أن كل نوع من أنواع حوادث هذا  
العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة  
فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل لاشخاص من العلماء والزهاد  
مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصبروا وائسلك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعا لهم عند  
الله تعالى والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان الحق هو ذلك الرجل الذي هم على دينه  
وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير أيضا ينطبق المثال \* ولما يبطل القول باثبات الشركاء  
والانداد وثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق قال الله تعالى (الحمد) أى الاحاطة بأوصاف  
الكمال (تعالى) أى كل الحمد لله الذى لا مكافئ له فلا يشاركه فيه على الحقيقة سواء لانه المنعم بالذات  
والمالك على الاطلاق (بل أكثرهم) أى أهل مكة (لا يعلمون) أى ما يصيرون اليه من  
العذاب فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقول البغوى والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر  
\* ولما كان كفار مكة يترصدون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الله تعالى بأن الموت  
يجمعهم جميعا بقوله تعالى (انك ميت) أى سموت وخصه الله تعالى بالخطاب لان الخطاب  
اذا كان للرأس كان اصداق لاتباعه فكل موضع كان للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم  
بالخطاب دونهم فهم المخاطبون في الحقيقة على وجه أبلغ (وانهم ميتون) أى سيموتون فلامعنى  
للتريص وشماتة القانى بالفانى \* (فائدة) \* قال القراء الميت بالتشديد من لم يموت وسموت والميت  
بالتخفيف من فارقت الروح ولذلك لم يخفف هنا وقوله تعالى (ثم انكم) فيه تغليب المخاطب  
على الغائب (يوم القيامة عند ربكم) أى المربي لكم بالخلق والرزق (مختصمون) فمحتاج أنت  
عليهم بأنك بلغت وكذبوا واجتهدت في الارشاد والتبليغ فلجوا في التكذيب والعناد ويعتدون  
بالباطيل يقول الاتباع اطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا آباؤنا الاقدمون  
والشياطين ويجوز أن يكون المراد به الاختصاص العام ويجرى عليه الجلال المحلى وهو أولى وان  
رجح الاول الكشاف لما روى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال لما نزلت هذه الآية  
قال يا رسول الله أنكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر  
اذ الشدي وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكأثرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين  
قلنا كيف تختصم ودينا واحد وكأبنا واحد حتى رأينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف  
فعرفنا أنها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في هذه الآية قال كنا نقول ربنا

واحدوديناوا - مدوكناوا واحد فها هذه الخصومة فلما كان يوم صفرين وشهد بعضنا على بعض  
 بالسيف قلنا هو هذا وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف تختصم ونحن  
 اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة  
 وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم من كانت لآخيه عنده مظلمة من عرض أو مال  
 فليس تحمله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر  
 مظلمته وان لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه وعن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لآدرهم له ولا متاع قال ان المفلس من  
 أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا  
 وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته  
 قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى بين نوعا  
 آخر من قبائح أفعالهم بقوله تعالى (فن) أى لا أحد (أظلم) أى منهم هكذا كان الأصل  
 ولكن قال تعالى (من كذب) تعميما (على الله) أى الذى الكبرياء رداؤه والعظمة ازاره  
 بنسبة الولد والشريك اليه (وكذب) أى أوقع التكذيب لكل من أخبره (بالصدق) أى  
 بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) أى فاجأه  
 بالتكذيب لما سمع من غير وقفة ولا اعمال روية يتميزين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما  
 يستمعون وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار الذا ل عند الجسيم والباقون  
 بالادغام ثم أورد ذلك بالوعيد فقال (أليس في جهنم) أى النار التى تلتى دابها بالتجهنم  
 والعبوسة كما كان يلقى الحق وأهله (منوى) أى مأوى (للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا  
 على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين إشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقرير ولما  
 ذكر من افتري وكذب ذكره تقابله وهو الذى جاء بالصدق وصدق به بقوله تعالى (والذى جاء  
 بالصدق) قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم (وصدق به) هم المؤمنون فالذى  
 يعنى الذين ولذلك روى معناه فجمع فى قوله تعالى (أولئك) أى العالو الرتبة (هم المتنون) أى  
 الشرك كما روى معنى من فى قوله تعالى للكافرين فان الكافرين ظاهروا وقع موقع الضمير اذ  
 الاصل منوى لهم وكفى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم  
 قال الزمخشري ويجوز أن يريد الفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول  
 الذى جاء بالصدق وصحابته رضى الله تعالى عنهم الذين صدقوا به اه قال أبو حيان وفيه  
 توزيع للصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذى شرف وشرف والاظهر عدم  
 التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الاصل والذين جاء بالصدق  
 فحذفت النون تخفيفا كقوله تعالى كالذى خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك الجاء  
 بعده ضمير الجمع فكان يقال والذى جاوا كقوله تعالى كالذى خاضوا ويدل عليه ان نون  
 الثانية اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

أبني كليب ان عمي اللذا \* قتلا المولك وفككا الاغلا لا

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول أيضا بلغه الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال أبو العالية والكليبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر رضي الله عنه وقال عطاء والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاءوا به في الآخرة وقوله تعالى (لهم ما يشاؤون) أي من أنواع الكرامات (عند ربهم) أي في الجنة يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه (ذلك) أي هذا الجزء (جزء المحسنين) لانفسهم بايمانهم وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم) يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه ومعنى تكفيرها أن يسترها عليهم بالمغفرة \* (تنبيه) \* في تعلق هذه اللام وجهان أحدهما أنها متعلقة بحذف أي يسر لهم ذلك ليكثر ثابتهما أنها متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين أحسنوا ليكفروا أي لاجل التكفير وقوله تعالى (اسوأ الذي) أي العمل الذي (علموا) فيه مبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك أو للائذان بأن الشيء الذي يفرض منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستقامتهم المعصية وأنه بمعنى السيئ كما جرى عليه الجلال المحلى = تتولهم الناقص والاشيخ أعدا بنى مروان أي عادلاهم اذ ليس المراد به التفضيل والناقص هو محمد والخليفة سمي به لانه نقص أعطية القوم والاشيخ هو عمر بن عبد العزيز سمي به لشجبة أصابت رأسه (ويجزئهم أجرهم) أي ويعطيهم ثوابهم (بأحسن الذي) أي العمل الذي (كانوا يعملون) أي فيعتلهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الاجر الحسن اخلاصهم فيها وهذا أولى من قول الجلال المحلى انه بمعنى الحسن وقوله تعالى (أليس الله) أي الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت بنعوت العظمة والجلال (بكاف عبده) أي الخالص له استقفاهم انكار للشيء مبالغة في الاثبات وقرأ حمزة والكسائي بكسر العين وفتح الباء الموحدة وألف بعدها على الجمع وقرأ الباقون بفتح العين وسكون الباء على الاقراة بقرأة الاقراة محمولة على النبي صلى الله عليه وسلم وقرأة الجمع على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان قومهم قصدوهم بالسوء كما قال الله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وصدقناهم الله تعالى شر من عاداهم ويحمل أن يراد بقرأة الاقراة الجنس فتساوى قرأة الجمع وقيل المراد أن الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وابراهيم عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك (ويخوفونك) أي عباد الاصنام (بالذين من دونه) وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معادة الاوثان وقالوا لا تتقون عن شتم الهتنا أو لا يصيبك منهم خيل أو جنون فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالد الى العزى ليكسرها فقال له سادتها أي خادمها لا تدركها اذ ذكرها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها

فهشم أنفسها فنزلت هذه الآية \* ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم  
 الكلام بخاتمة هي الفصل فقال تعالى شأنه (ومن يضل الله) أى الذى له الامر كله (فقال من  
 هاد) أى يهديه الى الرشاد (ومن يهد الله فإله من مضل) أى فهذه الدلائل والبينان لا تنفع  
 الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق اذ لا اراد افعله كما قال تعالى (ألبيس الله)  
 أى الذى بيده كل شئ (بعزير) أى غالب على أمره (ذى انتقام) أى من أعدائه بلى  
 هو كذلك وفي هذا تهديد للكفار \* ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعيد الموحدين  
 عاد الى اقامة الدليل على تزيف طريق عبادة الاوثان وهذا الترتيب مبني على أصلين  
 الاول ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو  
 المراد من قوله تعالى (ولئن سألتهم) أى من شئت منهم فرادى أو مجموعين واللام لام  
 القسم (من خلق السموات) أى على مالها من الاتساع والعظمة والارتفاع (والارض) أى  
 على مالها من العجائب وفيها من الاتقاع (ليقولن الله) أى وحده لوضوح البرهان على  
 تفردّه بالخالقية قال بعض العلماء العلم بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين  
 جمهور الخلائق لانزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل في عجائب  
 بدن الانسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله  
 القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد  
 من قوله تعالى (قل أرايتم) أى بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى (ما تدعون) أى  
 تعبدون (من دون الله) أى الذى هو ذو الجلال والاكرام (ان أرادنى الله) أى الذى لا اراد  
 لامره (بضر) أى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره) أى لا تقدر على ذلك (أو ارادنى  
 برحمة) أى بعافية وبركة (هل هن ممسكات رحمته) أى لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من  
 الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن  
 ذلك فسكتوا وقرأ أبو عمرو وبنو بن السام من كاشفات وعمسكات ونصب الراء من ضره ورفع  
 الهاء ونصب التاء من رحمته والباقون بغير تنوين فيها ما وكسر الراء والهاء من ضره والتاء  
 والهاء من رحمته واذا كانت هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى  
 كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى (قل حسبى الله) أى ثقى به واعتمدى  
 (عليه يتوكل المتوكلون) أى يشق الواثقون (فان قيل) لم قال تعالى كاشفات وعمسكات على  
 التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (أجيب) بأنه انشأ تحقير الماي دعون من  
 دونه ولانهم كانوا يسمونها بأسماء الاناث وهى اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم  
 اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقوله تعالى لقبه صلى الله عليه وسلم (قل يا قوم) أى  
 الذين أرجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون (اعملوا على مكاتكم) أى على  
 حالتكم فيه تهديد أى انكم تعتقدون في أنفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا  
 في أنواع مكركم وكيدكم وقرأ شعبة بألف بعد التنون جمعاً والباقون بغير ألف افراداً (انى عامل)

أى فى تقرير دينى (فسوف تعلمون) أى بوعده لا خلف فيه (من يأتيه) منا ومنكم بسبب  
 أعماله (عذاب يخزيه) فان خزي أعدائه دليل عليه وقد أخذهم الله تعالى يوم بدر (ويجمل) أى  
 ينزل (عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو عذاب النار \* (تنبيه) \* المكانة بمعنى المكان  
 فاستعيرت من العين للمعنى كما استعير لفظ هنا حيث للزمان وهما للمكان (فان قيل) حق  
 الكلام انى عامل على مكانتى فلم حذف (أجيب) بأنه حذف للاختصار ولما فيه من زيادة  
 الوعيد والايذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه  
 ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله تعالى فسوف تعلمون بوعدهم بكونه منصورا عليهم  
 غالباً عليهم فى الدنيا والآخرة \* ولما بين تعالى فى هذه الآيات فساد مذاهبهم أى المشركين  
 تارة بالدلائل وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم  
 عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعائن يا خنع نفسك على آثارتهم وقال تعالى فلا تذهب  
 نفسك عليهم حسرات أردفه بكلام يزيد ذلك الحزن العظيم عن قلب رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فقال تعالى (أنا أنزلنا) أى بما للناس العظمة والقدرة التامة (عليك) يا أشرف الخلق  
 (الكتاب) أى الكامل الشرف (للناس) أى لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم  
 ومعادهم فهو للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا (بالحق) أى بالصدق وهو  
 المعجز الذى يدل على أنه من عند الله (فمن اهتدى) أى طأوع الهادى (فلنفسه) أى فنفسه  
 يعود الى نفسه (ومن ضل) أى وقع فى الضلال بخالفته (فأنا يضل عليها) أى فضرر رضالاه  
 يعود اليه \* ولما دل السياق على أن التقدير فأتت عليهم بجبار لتقهرهم على الهدى عطف  
 عليه قوله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) أى لست بأمروراً بأن تحملهم على الايمان على سبيل  
 التقهريب للقبول وعدمه مفروض اليهم وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن  
 الهداية والضلال من العبد لا يحصلان الا من الله تعالى لان الهداية تشبه الحياة واليقظة  
 والضلال يشبه الموت والنوم فكأن الهداية والحياة واليقظة لا يحصلان الا بخلق الله تعالى كذلك  
 الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر  
 ومن عرف سر الله تعالى فى القدر هانت عليه المصائب \* ولما بين سبحانه أن الهداية والضلال  
 بتقديره قال تعالى (الله) أى الذى له مجامع الكمال وليس لشأبة النقص اليه سبيل (يتوفى  
 الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى موت أجسادها وتوفىها ما تنهاهى أن تسلب  
 ما هى به حية حساسة ذرأكة من صحة أجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها  
 قد سلبت وقوله تعالى (والتي لم تمت فى منامها) عطف على الانفس أى يتوفى الانفس حين  
 موتها ويتوفى أيضاً الانفس التى لم تمت فى منامها فى منامها طرف ليتوفى أى يتوفاها حين  
 تنام تشبهاً للنائم بالموت ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حتى لا تغزوا ولا تتصرفوا  
 كما أن الموتى كذلك فالتى تتوفى عند النوم هى الانفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل  
 انسان نقصان احدهما نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت ويذول بزوالها النفس

والاخرى هي النفس التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها الى جسدها وقرأ جزء والكسائي بضم القاف وكسر الصاد وفتح الياء بعد الصاد ورفع التاء من الموت والباقون بفتح القاف والصاد وسكون الياء بعد الصاد ونصب الموت (ويرسل الاخرى) أي يردها الى جسدها وهي التي لم يقض عليها الموت (الى أجل مسمى) أي الى الوقت الذي ضرب به لموتها وقيل يتوفى الانفس أي يستوفىها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التميز قالوا والتي تتوفى في النوم هي نفس التميز لانفس الحياة ولأن نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العتل والتميز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري والصحيح ما ذكر اولاً لان الله تعالى علق التوفى والموت والمنام جميعاً بالانفس وما عتوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتميز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام انتهى وروى عن علي رضي الله تعالى عنه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا نبت من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا أرادت العود الى أجسادها أمسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وأرسل ارواح الاحياء حتى ترجع الى أجسادها الى أجل مدة حياتها وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينبض فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول اللهم باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين (ان في ذلك) أي التوفى والامساك والارسل (آيات) أي دلالات على كمال قدرته وحكمته ورحمته وقال مقاتل لعلامات (لقوم يتفكرون) أي فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث (فان قيل) قوله تعالى الله يتوفى الانفس يدل على ان المتوفى هو الله تعالى ويؤيده قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وقوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربى الذي يحيى ويميت وقال تعالى في آية اخرى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع (أجيب) بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع الى ملك من الملائكة تفوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحتها اتباع وخدم فأضيف التوفى في آية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفي آية الى ملك الموت لانه الرئيس في هذا العمل وفي آية الى اتباعه ثم ان الكفار أو ردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لانعبدهم هذه الاصنام لاعتماد انها تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تمائيل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين فمن نعبدها لتشفع لنا أولئك المقربون عند الله تعالى فأجاب الله سبحانه عنده بقوله تعالى (أم اتخذوا) أي جعلوا أنفسهم بعد وضوح الدلائل عندهم (من دون الله) أي

الذي لا مكافئ له ولا مداني (شفعاء) أي تشفع لهم عند الله تعالى \* (تنبيه) \* أم منقطعة  
فتقدريل والهزمة (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء البعدهاء (أولو) أي أيشفعون ولو (كانوا  
لا يملكون شيئاً) أي من الشفاعة وغيرها (ولا يعقلون) أي أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب  
لو محذوف تقديره ولو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل) أي لهم (لله) أي الذي له كمال القدرة  
والعظمة (الشفاعة جميعاً) أي هو مختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال (له ملك  
السموات والارض) أي فانه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم دون اذنه ورضاه (ثم اليه  
ترجعون) أي يوم القيامة فيكون الملك له أيضاً حينئذ ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من أعمال  
المشركين الصبيحة بقوله تعالى (واذا ذكر الله) أي الذي لا اله غيره (وحده) أي دون آلهتهم  
(اشمازت) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد يعني انقبضت وقال قتادة استكبرت  
وأصل الاشتمزاز النفور والاستكبار أي نفرت واستكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة)  
أي لا يؤمنون بالبعث (واذا ذكر الذين من دونه) أي الاصنام (أذا هم يستبشرون) أي  
يفرحون لفرط اقتنائهم ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ في الامرين حق الغاية قيم ما فان  
الاستبشار أن يتلى قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشتمزاز ان يتلى غمظا وهم ما حتى  
ينقبض أديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم  
وألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرائق العلاق فرح به المشركون وقد تقدم الكلام على  
ذلك في سورة الحج \* (تنبيه) \* قال الرمخشري فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل  
في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجوا وقت الاستبشار قال أبو حيان أما قول  
الرمخشري فلا أعلمه من قول من يفتى الى النحو وهوان الطرفين معمولان لفاجوا ثم قال  
اذا الاولى تنصب على الظرفية والثانية على المفعول به \* ولما حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار  
هذا الامر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بذكر الدعاء العظيم فقال تعالى  
(قل اللهم) أي يا الله (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما من العدم أي العجيب الى الله تعالى  
بالدعاء لما تحيرت في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم  
بالاحوال كلها (عالم الغيب والشهادة) وصف تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم  
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام  
لما أخبر بقتل الحسين وضبط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه أو قد فعلوا وقرأ  
الآية وروى انه قال على اثرها أو قتل من كان يجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره  
ويضع فاه على فيه وعن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بم كان يفتح رسول الله صلى الله  
عليه وسلم صلواته باللسل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم  
السلام فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه  
يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم \* ولما  
حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم أشياء أولها قوله تعالى (ولو أن الذين



ظلوا) أي أنفسهم بالكفر (ما في الأرض جميعاً) أي من الأموال (ومثله معه لا اقتدوا) أي  
 اجتهدوا في طلب ان يقدوا أنفسهم (به من سوء العذاب يوم القيامة) وهذا وعيد شديد واقناط  
 كلى لهم من الخلاص روى الشيخان عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى  
 لا هون أهل النار عذابا لوان لك ما في الأرض من شيء لكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول الله قد  
 أردت منك وفي رواية سألتك أهون من هذا وأنت في ظهر آدم أن لا تشركني شيئا فأبى إلا أن  
 تشركني شيئا قوله أردت أي فعلت معك فعل الأمر المراد وهو معنى قوله في رواية قد سألتك  
 ثانياً قوله تعالى (وبدالهم من الله) أي الملك الأعظم (مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم أنواع  
 من العذاب لم تكن في حسابهم وفي هذا زيادة مبالغة هو نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم  
 نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقوله صلى الله عليه وسلم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
 ولا خطر على قلب بشر وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم  
 في الآخرة وقال السدي ظنوا أن أعمالهم حسنة فبدلت لهم سيئات لانهم كانوا يتقربون  
 الى الله تعالى بعبادة الاصنام ويظنونها حسنة فبدلت لهم سيئات ثانياً قوله تعالى (وبدالهم)  
 أي ظهر لهم ما كانوا يظنونها حسنة فبدلت لهم سيئات أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى  
 (وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا يستهزئون) أي يطلبون ويوجدون الهزء في العذاب ثم  
 حكى الله تعالى عنهم طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى (فأدامس الانسان)  
 أي الجنس (ضر) أي فقراً ومرضاً وغير ذلك (دعانا) أي في دفع ذلك (فان قيل) ما السبب  
 في عطف هذه الآية بالقاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو (أجيب) بأن السبب في ذلك  
 ان هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشتمون  
 عن ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مس أحدهم ضر دعاهم اشماز من ذكره دون من  
 استبشروا بذكره فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده  
 وما بينهما اعتراض مؤكداً لانكار ذلك عليهم هذا يحصل كلام الزمخشري واعترضه أبو حيان  
 بان أبا علي يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجملة الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط أنه  
 لما قال ولو أن للذين ظلموا الآية وكان ذلك اشعاراً بما ينال الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر  
 لهم يوم القيامة العذاب أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغية اذ كان اذا مسه ضر دعا الله  
 تعالى فاذا أحسن اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى (ثم اذا حولناه) أي أعطيناه (نعمة منا)  
 أي تفضلاً فان التحويل يختص به (قال انما أوتيته) أي المنعم به (على علم) أي على علم من الله  
 تعالى اني له أهل وقيل ان كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول انما حصل ذلك  
 بحسبه واجتهاده وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج القلاني وان حصل مال  
 يقول حصل بكسبي وهذا تناقض أيضاً لما كان عاجزاً محتاجاً أضاف الكل الى الله تعالى  
 وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى وأسنده الى كسبه نفسه وهذا تناقض قبيح  
 (بل هي فتنة) أي بلية يتلى بها العبد (فان قيل) كيف ذكر النعمة أولاً في قوله انما أوتيته

ثم أنهما نائبا (أجيب) بأنه ذكر أولاً لأن النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل تقديره شيئاً من  
 النعمة وأنت نائبا اعتباراً بلفظها وأولاً الخبر لما كان موثقاً أعني قسنة ساع تأنيث المبتدأ لأجله  
 لأنه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقيل هي أي الحالة أو القولة كما جرى عليه الجلال  
 المحلى أو العطية أو النعمة كما قاله البقاعي (ولكن أكثرهم) أي أكثر هؤلاء القائلين هذا  
 الكلام (لا يعلمون) أن التصويل استدراج وامتحان (قد قالها) أي القولة المذكورة وهي  
 قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أوجله من القول (الذين من قبلهم) أي من الأمم الماضية  
 قال الزمخشري هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون به  
 فكانهم قالوها قال ويجوز أن يكون في الأمم الماضية آخرون قاتلون مثلها (فأغنى عنهم)  
 أي أولئك الماضين (ما كانوا يكسبون) أي من متاع الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات  
 ما كسبوا) أي جزاؤها من العذاب ثم أورد كذا مرة فقال تعالى (والذين ظلموا) أي بالعتو  
 (من هؤلاء) أي من مشركي قومك ومن للبيان أو للتبعيض (سيصيبهم سيئات ما كسبوا)  
 أي كما أصاب أولئك (وما هم بمعجزين) أي فائتين عذاباً فقتل صنائدهم يوم بدر وحبس عنهم  
 الرزق فقعطوا سبع سنين فقتل لهم (أولم يعلموا أن الله) أي الذي له الجلال والكمال  
 (يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) وإن كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا (ويقدر) أي يضيق  
 الرزق لمن يشاء وإن كان قويًا شديد الحيلة ابتلاءً فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك  
 ان ترى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس  
 هو عقل الانسان وجهله فان ترى العاقل القادر في أشد الضيق وترى الجاهل الضعيف في أعظم  
 السعة وليس ذلك أيضا لأجل الطبائع والافلاك لأن الساعة التي راد فيها ذلك الملك  
 السلطان القاهر قد ولد فيها عالم أيضا من الناس وعالم من الحيوان غير الانسان وتولد أيضا  
 في تلك الساعة عالم من النبات \* فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة  
 الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان القاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا  
 البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر  
 فلا العهد يقضى به المشتري \* ولا النخس يقضى علينا زحل  
 ولكنه حكم رب السماء \* وقاضى القضاة تعالى وجعل

(ان في ذلك) أي البيان الظاهر (آيات) أي دلالات (لقوم يؤمنون) أي بأن الحوادث  
 كلها من الله تعالى بوسط أو غيره \* ولما ذكر تعالى الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته فقال تعالى  
 لئن لم يكن الله عليه وسلم (قل) يا محمد ربكم المحسن اليكم يتول (بإعبادي الذين أسرفوا  
 على أنفسهم) أي أسرفوا في الجنائز عليهم بالإسراف في المعاصي وإضافة العبادت لخصمه  
 بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن (لا تقنطوا) أي لا تيأسوا (من رحمة الله) أي أكرام المحيط بكل  
 صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي  
 بإعبادي يسكون الياء وتسقط في الوصل وقصها الباقون وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي

تقتطوا بكسر النون بعد القاف والباقون بفتحها (ان الله) أى المتفضل على عباده المؤمنين  
(يغفر الذنوب) لمن تاب من الشرك (جميعا) لمن يشاء كما قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به  
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الكافر اذا أسلم فان الله تعالى لا يؤاخذ بما وقع من كفره قال  
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف \* (تنبيه) \* في هذه الآية أنواع من  
المعاني والبيان حسنة منها اقباله عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها  
الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله تعالى من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل أسمائه  
الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله تعالى ان الله ومنها ابراز الجملة في قوله تعالى (انه هو)  
أى وحده (الغفور) أى البليغ الغفر يعفو الذنوب عن يشاء عيننا وأثر فلا يعاقب ولا يعاتب  
(الرحيم) أى المكرم بعد المغفرة مؤكدة بان وبالفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية  
السابقة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا يقتلوا  
وأكثروا وزنوا وأكثروا فأثروا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذى تدعوه له حسن لو تخبرنا  
بان لما عملنا كضارة فنزلت هذه الآية وروى عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس انها نزلت في  
وحشى قاتل حزة رضى الله تعالى عنهما حين بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى  
الاسلام فأرسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى أمما  
يضاعف له العذاب يوم القيامة وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله سبحانه وتعالى الامن تاب  
وآمن وعمل صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد على لا أقدر عليه فهمل غير ذلك فأنزل الله  
تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرا نى بعد في شبهة  
فلا أدرى أيغفر لى أم لا فأنزل الله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من  
رحمة الله الآية قال نعم هذا خفاء فأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروى  
عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونصر من المسلمين  
كانوا قد أسلموا ثم قنطوا وعذبوا فافتقنوا وكان قول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا  
قد أسلموا ثم تركوا دينهم اعداب عذبوا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآيات فكاتبها عمر بن الخطاب  
رضى الله تعالى عنه بيده ثم بعثها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك  
الغفر فأسلموا وهاجروا وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد واذا قاص يقص وهو يذكر النار  
والاعلال فقام على رأسه فقال يا مذكرم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادى الذين أسرفوا على  
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا  
ولا يالى وروى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بها أى بهذه  
الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وعن  
أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى امرايل رجل قتل تسعة  
وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فاذا راهب فسأله فقال هل لك توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل

فقال له رجل أنت قرية كذا فأدركه الموت فنأى بصدرة نحوها فاختمت فيه ملائكة الرحمة  
وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى الى هذه أن تقربي والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا  
ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية فقال له انى قتلت تسعة وتسعين نفسا  
فهل لى من توبة فقال لا فقتله فكمثل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على عالم فقال انه  
قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا  
الى ان قال فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا  
معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة  
حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذا الآية قلنا ما  
هذا الذى يبطل أعمالنا فقبل لنا الكفار والقوا حس فكنا اذا رأينا من أصاب منها شيئا خفنا  
عليه ومن لم يصب منها شيئا أرجونا له فانزل الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم  
لا تقنطوا من رحمة الله وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر \* ولما كان التقدير واقبلوا عن  
ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير بعدة عن الكمال عطف عليه استعظاما لقوله تعالى (وَأَنِيبُوا)  
أى ارجعوا بكمياتكم وكلوا حوائجكم وأسندوا أموركم واجعلوا طريقتكم (الى  
ربكم) أى الذى لم تروا احسانا الا وهو منه (واسلوا) أى وأخلصوا (له) أعمالكم (من  
قبل أن يأتىكم) أى وأنتم صاغرون (العذاب) أى القاطع لكل عدو به المجرع لكل  
حرارة وصعوبة (ثم لاتنصرون) أى لا يتجدد لكم نوع نصر أبدا ان لم تتوبوا (واتبعوا) أى  
عالجوا انفسكم وكفوها ان تتبع (أحسن ما أنزل اليكم) أى على سبيل العدل كالأحسان  
الذى هو أعلى من العفو الذى هو فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذى هو أحسن ما نزل من  
كتب الله تعالى واتباع أحسن ما فيه فتصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحسن الى من  
ظلمك هذا فى حق الخلاق ومثله فى عبادة الخالق بأن تكون كأنك تراه الذى هو أعلى من استحضار  
أنه يراك الذى هو أعلى من أدائها مع الغفلة عن ذلك \* ولما كان هذا شديدا على النفس رغب  
فيه بقوله تعالى بظهر صفة الاحسان موضع الاضمار (من ربكم) أى الذى لم يزل يحسن اليكم  
وأنتم تبارزون به بالعظام وقال الحسن رضى الله عنه معنى الآية الزموا طاعته واجتنبوا  
معصيته فان فى القرآن ذكر القبيح ليجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتوثره  
وقبل الاحسن المنسوخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها  
أو مثلها وقبل العزائم دون الرخص وقوله تعالى (من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة وأنتم  
لاتشعرون) أى ليس عندكم شعور بآتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد وتخويف \* ولما خوفهم  
الله تعالى بهذا العذاب بين انهم بتقدير نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة  
أنواع من الكلام الاقل ما ذكره بقوله تعالى (ان) أى كراهة أن (تقول نفس) أى عند  
وقوع العذاب وافرادها وتنكبرها كافى فى الوعيد لان كل أحد يجوز أن يكون هو المراد  
(يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى أمر الله

وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضا الله تعالى والعرب تسمى الجانب جنباً قال في الكشاف هذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه ألا ترى الى قول الشاعر

ان السماحة والمرودة والندی \* في قبة ضربت على ابن الحشرج

أى فانه لم يصرح بقبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة عليه فأقاربا ثباتها له والقبة تكون فوق الخيمة تتخذها الرؤساء وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة والدورى عن أبي عمرو وبين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (وان) أى والحال انى (كنت) أى كان ذلك في طبعى (لمن الساخرين) أى المستهزئين المتكبرين المتزلين أنفسهم في غير منزلتها وذلك أنه ما كفانى المعصية حتى كنت أسخر من أهل الطاعة أى تقول هذا العله يقبل منها ويعنى عنها على عادة المعترفين في وقت الشدائد لعلهم يعاودون الى أجل العوائد الثانى من الكلمات التى حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه (أو تقول) أى تلك النفس المفرطة (لو أن الله) أى الذى له القدرة الكاملة والعلم الشامل (هدانى) أى ليسان الطريق (لكنت من المتقين) أى الذين لا يقدمون على فعل الا ما يدلهم عليه دلائل الثامن من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه (أو تقول) أى تلك النفس المفرطة (حين ترى العذاب) أى الذى واجهها عياناً (لو أن) أى ياليت (لكره) أى رجعة الى دار العمل (فأكون) أى يتسبب عن رجوعى اليها أن أكون (من الحسنين) أى العاملين بالاحسان الذى دعا اليه القرآن \* (تنبه) \* فى نصب فأكون وجهان أحدهما عطفه على كرهه فانهما مصدر مقطوف مصدر مؤول على مصدر مصرح به كقولها

لبس عباءة وتقرعيني \* أحب الى من لبس الشفوف

والثانى انه منصوب على جواب التنى المفهوم من قوله تعالى لو أن لى كرهه والفرق بين الوجهين أن الاول يكون فيه الكون متمى ويجوز أن تضرمان وان تظهر والثانى يكون فيه الكون مترتباً على حصول التمنى لامتنى ويجب أن تضرمان \* ثم أجاب الله تعالى هذا القائل بقوله سبحانه (بلى قد جاءتك آياتى) أى القرآن وهى سبب الهداية (فكذبت بها) أى قلت ليست من عند الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنتم من الكافرين) فان قيل هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما (أجيب) بأنه لا يخلو اما أن يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهما واما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبيين النظم بالجمع بين القرائن واما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التصريح على التفریط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فان قيل) كيف صح أن تقع بلى جواباً لغير مننى (أجيب) بأن قوله لو أن الله هدانى بمعنى ما هديت (ويوم القيامة)

أى الذى لا يصح فى الحكمة تركه ( ترى ) أى أيها المحسن ( الذين كذبوا على الله ) أى الخائز  
 لجميع صفات الكمال بنسبة الشريك والولد إليه وقال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا  
 وان شئنا لم نفعل قال البقاعى وكأنه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا أقوالهم انهم  
 يخلقون أفعالهم قال ويدخل فيه من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم أنه كاذب  
 فى أى شئ كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم كذبه أى ولا يقدر على  
 جرائه كأنه كذب على الله وقوله تعالى ( وجوههم مسودة ) جملة من مبتدأ وخبر فى محل  
 نصب على الحال من الموصول لان الرؤية بصرية وقيل فى محل نصب مفعولاً ثانياً لان الرؤية  
 قلبية ورد بان تعلق الرؤية البصرية بالاجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بهما وذكرا ان  
 هذا السواد مخالف لساير أنواع السواد ( أليس فى جهنم مثوى ) أى ماوى ( للمتكبرين )  
 أى الذين تكبروا على اتباع أمر الله تعالى وهو تقرير لانهم يرونه كذلك \* ولما ذكر الله تعالى  
 الذين أشقاهم اتبعهم حال الذين أسعدهم بقوله تعالى ( وينبئ الله ) أى يفعل بحاله من صفات  
 الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك ( الذين اتقوا ) أى بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه  
 فكما وقاهم فى الدنيا من المخالفات حياهم هنا من العقوبات ( بمفازتهم ) أى بسبب فلاحهم  
 لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه  
 مفازة لانه سببها وقرأ جزء والكسافى وشعبة بان بعد الزاى جمعاً على أن لكل متق مفازة  
 والباقون بغير ألف بعد الزاى افراداً وقوله تعالى ( لا يسهم السوء ) جملة مفسرة لمفازتهم  
 كأنه قيل وما مفازتهم فقال لا يسهم السوء فلا محل لها ويجوز أن تكون فى محل نصب على  
 الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يسهم السوء ولا هم يحزنون ( ولا هم يحزنون ) أى ولا يطرق بواطنهم  
 حزن على فائت لانه لا يفوت لهم شئ أصلاً \* ولما كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين  
 لكل ما فى الكون فكان لا يقدر على دفعهما الا القادر المبدع القيوم قال تعالى مستأنفاً  
 أو معللاً ظهر الاسم الاعظم تعظيماً للمقام ( الله ) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلماً الذى  
 نجاهم ( خالق كل شئ ) أى من خير وشر وإيمان وكفر فلا يكون شئ أصلاً الا بخلق  
 \* ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لا يتعمها من العلم الكامل قال تعالى ( وهو على  
 كل شئ ) أى مع القهر والغلبة ( وكيل ) أى حفيظ لجميع ما يريد قيوم لا يحزيم بساحته  
 ولا غفلة وقوله تعالى ( له مقاليد السموات والارض ) جملة مستأنفة والمقاليد جمع مقلاد  
 مثل مفتاح ومفاتيح أو مقلد مثل منديل ومناديل أى هو مالك أمرها وحافظها وهى من  
 باب الكتابة لان حافظ الخرائط ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قواهم فلان  
 ألفت اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح والكلمة أصلها فارسية ( فان قيل ) مالك الكتاب المبين  
 والفارسية ( أوجب ) بأن التعريب قد أحالها عربية كما أخرج استعمال المهمل عن كونه مهملاً  
 قال الزمخشري سأل عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات  
 والارض فقال يا عثمان ما سألتني أحد عنها قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله

ويحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاقول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير  
 يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير اه وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواء ابن الجوزي  
 في الموضوعات ثم قال الزمخشري وتأويله على هذا ان الله تعالى في هذه الكلمات يوحيها ويمجد  
 وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بهما من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل مفاتيح  
 السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات \* ولما وصف الله تعالى  
 بالصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالق الاشياء وكونه مال كالمقاليد السموات والارض بأسرها  
 قال بعده (والذين كفروا) أى ليسوا ما توضح من الدلالات ومجدوا (بآيات الله) أى دلائل  
 قدرته الظاهرة الباهرة (أولئك) أى البعداء البغضاء (هم الخاسرون) لانهم خسروا أنفسهم  
 وكل شئ متصل بهم على وجه النفع وقال الزمخشري والذين كفروا متصل بقوله وينجي الله الذين  
 اتقوا بما فازتهم واعترض بينه ما بانه خالق الاشياء كلها وان له مقاليد السموات والارض  
 واعترضه الرازي بأن وينجي جملة فعلية والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على  
 الفعلية لا يجوز واعترض الاخر بأنه لا مانع من ذلك \* ولما دعا كسار قريش النبي صلى الله  
 عليه وسلم الى دين آباؤهم قال الله تعالى (قل) أى لهم (أفغير الله) أى الملك الاعظم  
 (تأمروني أعبد آيها الجاهلون) أى العريقتون في الجهل لان الدليل القاطع قد قام بأن الله  
 تعالى هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل وقرأ نافع بتخفيف النون وفتح الباء وابن  
 كثير بتشديد النون وسكون الياء وابن عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة  
 وسكون الياء والباقون بتشديد النون وسكون الباء (واتقوا وحى اليك والى الذين من قبلك  
 انن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى علمته قبل الشرك (فان قيل) الموحى اليهم جماعة  
 فكيف قال لنن أشركت على التوحيد (أجيب) بأن تقدير الآية أوحى اليك لنن أشركت  
 ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أى أوحى اليك والى كل واحد منهم لنن أشركت كما تقول  
 كسانا حله أى كل واحد منا (فان قيل) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله  
 لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (أجيب) بأن قوله تعالى لنن أشركت ليحبطن عملك قضية  
 شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئها الا ترى أن قولك لو كانت الخسة زوجا  
 لكانت مفعلة بمنسا وبين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزأها غير صادق قال تعالى لو كان  
 فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وأنهم ما قد فسدتا وأن  
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله أكثر المفسرين أو ان ذلك على سبيل  
 الفرض المحال ذكر ليكون ردع للاتباع \* ولما كان السياق للتشديد وكانت العبارة شاملة لما  
 تقدم على الشرك من الاعمال وماتأخر عنه لم يقيده بالانصال بالموت اكتفاء بتفسيره في آية  
 البقرة وهي ومن يرتد منكم عن دينه فميت وهو كافر قال تعالى (ولتكونن) أى لا أجل  
 حيوته (من الخاسرين) فان من ذهب جميع عمله لاشك في خسارته اما من أسلم بعد ردة  
 فانما يحبط ثواب عمله لاعمله كائن عليه الشاقمي \* (تنبيه) \* اللام الاولى موطنه للقسم

والاخر يان للجواب \* ولما كان التقدير لا تشرك بنا عطف عليه قوله تعالى (بل الله) أى المتصف بصفات الكمال وحده (فاعبد) أى مخلصه العباد (وكن من الشاكرين) أى العريقين في هذا الوصف لانه جعلك خيرا لخلائق أجمعين \* ولما حكي الله تعالى عن المشركين انهم أمروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول أن يعبد الله ولا يعبد سواه وبين انهم لو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية قال (وما قدره والله) أى الملك الاعظم (حق قدره) أى ما عظموه - حق عظمته حين أشركوا به غيره مع أنهم لو استغرقوا الزمان كله في عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شيء منه عنهما لما كان ذلك حق قدره فكيف اذا خلا بعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما بين أنهم ما عظموه تعظيما لا تقا به أردفه بما يدل على كمال عظمته بقوله تعالى (والارض جميعا قبضته) وهو مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال أى ما عظموه حق عظمته والحال انه موصوف به - هذه القدرة الباهرة كتوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال وهى دالة على أن المراد بالارض الارضون لان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الاعلى الجع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها \* ولما كان في هذه الدنيا من يدعى الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر في الآخرة بخلاف هذا لانقطاع الاسباب قال تعالى (يوم القيامة) ولا قبضة هناك لاحتمية ولا مجازا وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخيل لتمام القدرة \* ولما كانوا يعلمون أن السموات سبع متطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع ليكون مع جميعا كالتصريح في جمع الارض أيضا في قوله تعالى (والسموات مطويات) أى مجموعات (بيمينه) قال الامام الرازى وههنا سوالات الاول أن العرش أعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض وأجاب بأن مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كما أن حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امسالك الملائكة الذين يحملون العرش السؤال الثانى قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيامة والقوم ماشاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم معترفون بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله فلا فائدة في ايراد هذه الحجج عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك وأجاب عنه بأن المقصود منه أن المتولى لابقاء السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولى لتضريها وافنائها يوم القيامة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على اليجاد والاعدام ويدل أيضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه



يدل على أنه إذا حاول تخريب الأرض فكأنه يقبض قبضته وذلك يدل على كمال الاستغناء  
السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الواقية بحفظ هذه الاجسام  
العظيمة فكأن حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرته تعالى فكذلك الآن فما  
الفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة وأجاب بأنه انما خص تلك الحالة بيوم القيامة  
ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته في اليجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعداد عند  
خراب الدنيا وما كان هذا انما هو تمثيل بما يعهد والمراد به الغاية في القدرة نزهة نفسه المقدس  
عمار بما نسب له الجسم والمشيبه فقال تعالى (سبحانه) أي تنزه من هذه القدرة قدرته  
عن كل شائبة نقص (وتعالى) علو الالهيته (عما يشركون) معه لانه لو  
كان له شريك ينازعه في هذه القدرة أو بعضها المنع شيأ منها وهذه معبوداتهم لا قدرة  
لها على شيء البتة روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله بن مسعود قال جاء  
حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيامة جعل الله تعالى  
السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على اصبع ثم  
يمزهن ثم يقول أنا الملك فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذها تعجبا  
وتصديقا للقول الخبر ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك  
صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الاما فهم علماء البيان من غير تصورات مسائل ولا اصبع  
ولا هز ولا شيء من ذلك وانما يدل ذلك على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التي تحير فيها  
الاذهان هينة عليه هو انما لا يصل السامع الى الوقوف عليه الا باجراء العبارة في مثل هذه  
الطريقة على التخييل وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم ما قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا  
الملك أين الجبارة أين المتكبرون ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين  
الجبارون أين المتكبرون وللبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال  
أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من وصف اليدين شمال لان الشمال محل  
النقص والضعف وقد ورد كتابا يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها  
التوقيف فمن نطقها على ما جاءت ولا يصح كيفها ونهتى حيث انتهت بنا الكتاب وال اخبار  
المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم وقال سفيان  
ابن عيينة كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه انتهى  
وقد قدمنا أن السلف يجرون التشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه والاول أسلم  
والثاني أحكم وماذا كرتعالى كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريق آخر يدل  
أيضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة فقال (وتفخ في الصور) أي القرن  
التفخنة الاولى لان تفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم (فصعق) أي مات (من في السموات ومن

في الارض) واختلف فيمن استثنى الله تعالى بقوله سبحانه (الامن شاء الله) فقال الحسن  
 هو الله وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ثم حيت  
 الله تعالى ميكائيل واسرافيل وجبريل وملك الموت وقيل حلة العرش وقيل الحور والولدان  
 وقيل الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال هم الشهداء مقلدون أسيا فيهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام  
 لأنه صعد فلابصق ثانيا وقال قتادة الله أعلم بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على أنهم من  
 هم وهذا أسلم (ثم نفخ فيه) أي في الصور نفخة (أخرى) أي نفخة ثانية (فاذا هم) أي جميع الخلائق  
 الموتى (قيام) أي قائمون (ينظرون) أي يتلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه  
 خطب جسيم وقيل ينتظرون أمر الله تعالى فيهم وهذا يدل على أن هذه النفخة متأخرة عن النفخة  
 الاولى لان لفظة ثم لترانخي وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة آيت قالوا أربعون شهرا  
 قال آيت قالوا أربعون سنة قال آيت قال ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء فينبتون كما ينبت  
 البقل ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم  
 القيامة وقوله تعالى فاذا هم يدل على أن قيامهم يحصل عقب هذه النفخة الاخيرة في الحال من  
 غير تراخ لان الفاء تدل على التعقيب \* ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة التي هي نور البدن اتبعه  
 بنور أرض القيامة فقال (وأشرق) أي اضاءت اضاءة عظيمة مالت بهم الى الحرمة (الارض)  
 أي التي أوجدت لحشرهم وليست بأرضنا الآن لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض  
 (بنور ربها) أي خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم  
 سترون ربكم وقال كما لا تضارون في الشمس في يوم الصحو وقال الحسن والسدى بعدل ربها  
 (ووضع الكتاب) أي كآب الاعمال للحساب لقوله تعالى وكل انسان أزمان طاره في عنقه  
 وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى مال هذا الكتاب لا يفاد رصغيرة ولا كبيرة  
 الا أحصاها وقيل الكتاب اللوح المحفوظة تقابل به الصحف وقيل الكتاب الذي أنزل الى كل  
 أمة تعمل به واقتصر على هذا البقاعى (ويحيى بالنبين) أي للشهادة على أممهم واختلف  
 في قوله تعالى (والشهداء) فقال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم  
 محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقوله تعالى جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال  
 عطاء ومقاتل يعنى الحفظ لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل هم المستشهدون  
 في سبيل الله \* ولما بين تعالى أنه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات  
 اولها قوله تعالى (وقضى بينهم) أي العباد (بالحق) أي العدل ثانيا قوله تعالى (وهم  
 لا يظلمون) أي لا يزداد في سيااتهم ولا ينقص من حجاتهم ثالثا قوله تعالى (ووفيت كل نفس  
 ما عملت) أي جزاء ما عملته رابعا قوله تعالى (وهو أعلم بما يفعلون) أي فلا يفوت منه شئ من  
 أفعالهم ثم فصل التوفية بقوله تعالى مقدا أهل الغضب (وسيق الذين كفروا) أي بالعنف

والدفع (الى جهنم) كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا أي يدفعون اليها دفعا وقوله تعالى  
(زمرا) حال أي جماعات في تفرقة بعضهم على اثنى عشر كل أمة على حدة (حتى اذا جاؤها)  
أي على صفة الذل والصغار وأجاب اذا بقوله تعالى (فتحت أبوابها) أي السبعة وكانت  
مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند وصول الكفار اليها وقرأ الكوفيون فتحت وفتحت الآية  
بالتخفيف والباقون بالتشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) انكارا عليهم وتقريعا وتوبيخا (الم  
يأتكم رسل منكم) أي من جنسكم لأن قيام الحج بابل جنس أقوى (يتلون) أي يتلون مرة بعد  
مرة وشيا في اثرى (عليكم آيات ربكم) أي المحسن اليكم من القرآن وغيره (وينذرونكم)  
أي يخوفونكم (لقاء يومكم) وقولهم (هذا) إشارة الى يوم البعث (فان قيل) لم أضيف  
اليوم اليوم (أجيب) بأنهم أرادوا اللقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة  
قال الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام مستقيضا في أوقات الشدة ويجوز أن يراد  
باليوم يوم البعث كله ويجرى عليه البقاعى وهو أولى ولما قال لهم الخزنة ذلك (فأوابلى) أتونا  
وتلوا علينا وحذرونا (ولكن حقت) أي وجبت (كلمة العذاب) أي التي سبقت في الازل  
علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا (على الكافرين) تخصيصا بأهل هذا الوصف وبيننا لانه  
موجب دخولهم وهو تغطية لهم الانوار التي أتمهم بها الرسل عليهم الصلاة والسلام \* (تنبيه) \*  
في الآية دليل على انه لا وجوب قبل مجيئ الشرع لأن الملائكة يتنموا لهم أنهم ما بقى لهم عذر  
ولا علة بعد مجيئ الرسل عليهم الصلاة والسلام فلو لم يكن مجيئ الرسل شرطا في استحقاق العذاب  
لمابق في هذا الكلام فائدة وقيل كلمة العذاب هي قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس  
أجمعين ثم كأنه قيل فاذا وقع بعد هذا التقريع (قيل) وقع ان الملائكة قالت لهم (ادخلوا  
أبواب جهنم) أي طبقاتها المتجهمة لداخلها (خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها) ولما  
كان سبب كفرهم بالآيات هو التكبر قالوا لهم (فبئس منوى) أي منزل ومقام (المتكبرين)  
أي الذين أوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا أسبابها \* ولما ذكر تعالى  
أحوال الكافرين أتبعه أحوال أضدادهم فقال عز من قائل (وسيق الذين اتقوا ربهم) أي  
الذين كلما زادهم احسانا زادوا له هيبه (الى الجنة) وقوله تعالى (زمرا) حال أي جماعات  
أهل الصلاة المتكبرين منها على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك من الاهیال التي تظهر  
آثارها على الوجوه (فان قيل) السوق في أهل النار معقول لانهم لما أمروا بالذهاب الى موضع  
العذاب لا بد وأن يساقوا اليه وأما أهل الثواب فاذا أمروا بالذهاب الى موضع السعادة  
والراحة فأى حاجة فيه الى السوق (أجيب) بأن المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان  
والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد  
بسوق أهل الجنة سوق مراكمهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين سرا على دار الكرامة  
والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الواقدين على بعض الملوك فتستان ما بين السوقين  
هذا سوق تشريف واکرام وذلك سوق اهانة وانتقام وهذا من بدائع أنواع البديع وهو أن

يأتي سبحانه بكلمة في حق الكفار قد دل على هوانهم به قاهم وياتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها  
 في حق المؤمنين قد دل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من أنزله معجز المباني متمكن المعاني  
 عذب الموارد والمثاني وقيل ان المحبة والصدقة باقية بين المتقين الى يوم القيامة كما قال تعالى  
 الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قسِلَ لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول  
 لا أدخلها الا مع أحببي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السب فحينئذ يحتاجون الى السوق  
 الى الجنة \* ولما ذكر تعالى السوق ذكر غايته بقوله تعالى (حتى اذا جاؤها) اختلف في جواب  
 اذا على وجه أحدها قوله تعالى (وقفت أبوابها) والواو زائدة وهو رأى الكوفيين  
 والاخفش وانما جى هنا بالواو دون التي قبلها لان أبواب السجون مغلقة عادة الى أن يجيئها  
 صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح  
 فانها تفتح انتظار لمن يدخلها فعلى هذا أبواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح الا عند دخول أهلها  
 فيها فاما أبواب الجنة ففقطها يكون مقدما على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة  
 لهم الابواب فلذلك جى بالواو فكأنه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها ثانيا بقوله تعالى  
 (وقال لهم خزنتها) أي بزيادة الواو أيضا أي حتى اذا جاؤها قال لهم خزنتها ثالثها قال الزجاج  
 القول عندى ان الجواب محذوف تقديره دخلوها بعد قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت  
 أبوابها وقال لهم خزنتها أي حين الوصول (سلام عليكم) تعجيلا للمسرة بالبشارة بالسلامة  
 التي لا عطب فيها (طيبتم) أي صلحتم لسكناها لانها دار طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها  
 من كل قذر فلا يدخلها الا مناسبا لها موصوف بصفتها فما بعد احوالنا من تلك المناسبة وما  
 أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا ننتقي أنفسنا  
 من درن الذنوب وعتيق وضر هذه القلوب ثم سبوا عن ذلك (فادخلوها خالدين) أي مقدرين  
 الخلود وسبى بعضهم الواو في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لان أبواب الجنة ثمانية وكذا  
 قالوا في قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها يعني أن  
 الجواب يلفظ الشرط ولكنه بزيادة تعييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلى بقوله  
 دخلوها وقال ان قوله تعالى (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد) أي الاحاطة  
 بأوصاف الكمال (لله) أي الملك الاعظم (الذي صدقنا وعده) في قوله تعالى تلك الجنة  
 التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في هذه الساعة (وأورثنا)  
 كما وعدنا (الارض) أي الارض التي لا أرض في الحقيقة غيرها وهي أرض الجنة التي  
 لا كدر فيها ابوجه وفيها كل ما تشتهي النفس وتلذذ العين وقولهم (تقبوا) أي تنزل (من الجنة  
 حيث نشاء) جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل مقبول به وانما عبر عن أرض الجنة  
 بالارض لوجهين أحدهما ان الجنة كانت في أول الامر لا آدم عليه السلام لانه تعالى قال  
 فكلامنهار غدا حيث شئنا فلما عادت الجنة الى أولاد آدم عليه السلام كان ذلك سببا للارث  
 ثانيا ان الوارث يتصرف فيما ورثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المؤمنون يتصرفون

في الجنة حيث شاؤوا وأرادوا (فان قيل) كيف يتبوأ أحدهم مكان غيره (أجيب) بأن لكل واحد منهم جنة لا توصف بسعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث شاء ولا يحتاج الى جنة غيره ولا يشتهي أحد الامكانه مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتعامع واردها ولما كانت بهذا الوصف الجليل تسبب عنه مدحها بقوله (فنعم) أي أجزاها هكذا كان الاصل ولكنه قال (أجر العاملين) ترغيبا في الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين اكرمهم من المتقين وما وصلوا اليه من المقامات أتبعهم أهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات فقال تعالى صارفا الخطاب لعلوا الخبر الى أعلى الخلق لانه لا يقوم بحق هذه الرؤية غيره (وترى الملائكة) أي القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق وقوله تعالى (حافين) حال أي محققين (من حول العرش) أي من جوانبه التي يمكن الخوف بها بالقرب منها سمع لحفوفهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز خوفا من ربهم فادخل من بينهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله تعالى أنهم لا يملون حوله وهذا أولى من قول البيضاوي ان من زائدة وقوله تعالى (يسبحون) حال من ضم حافين (بمجد ربهم) أي متلبسين بحمده يقولون سبحان الله ومجده فهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه تلهذابه وفيه اشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق (وقضى بينهم) أي بين جميع الخلق (بالحق) أي العدل فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار وبين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تقاضاهم (وقيل) أي وقال المؤمنون من المقضى بينهم والملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم (الحمد) أي الاحاطة بجميع أوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو أحق به هذا المقام فقال (لله) ذي الجلال والاکرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين كما كنا في الدنيا نعلم علم اليقين \* ولما كان هذا اليوم أحق الايام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الملائكة وانفتاح البصائر وسعة الضمائر قال واصفاله سبحانه بأقرب الصفات الى الاسم الاعظم (رب العالمين) أي الذين ابتدأهم أول مرة من العدم وأقامهم ثانيا بعمار باهم به من التدبير وأعادهم ثالثا بعد افنائهم بأكل قضاء وتقدير وأبقاهم رابعا الى آخره وقيل ان الله تعالى ابتدأ ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الشريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله أعلم بمراده واسرار كتابه وقول البيضاوي تعالى للرحمى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين حديث موضوع وقوله عن عائشة رضی الله عنها وعن أبيها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسراييل والزمر رواه الترمذى وغيره

### ﴿سورة المؤمن مكية﴾

قال الحسن الاقوله وسبح بحمده وبنك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم انها كلها مكية عن ابن عباس وابن المنقضية وتسمى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وقيل ثنتان

وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً  
 (بسم الله) الملك الاعظم الذي يعطى كلام من عباده ما يستحقه فلا يقدر أحد أن يناقض في شيء  
 من ذلك ولا يعارض (الرحمن) الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا خفاء  
 معه (الرحيم) الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعله حكيماً وفي ملك الارض  
 وملكوت السموات عليهما وقوله تعالى (رحم) قرأه ابن ذكوان وشعبية وحزرة والكسائي  
 بامالة الحاء محضة وورش وأبو عمرو وبين وبين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام في حروف التهجى  
 وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الروح بن حرم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل  
 حم اسم السورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حلیم وحسب ودوحى وحكيم وحنان والميم افتتاح  
 اسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ما هو كائن كأنهم ما اشاروا  
 الى أن معنى حم بضم الحاء وتشديد الميم وهل يجوز أن يجمع حم على حواميم نقل ابن  
 الجوزى عن شيخه الجواليقي انه خطأ وليس بصواب بل الصواب أن يقول قرأت آل حم  
 وفي الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات  
 وقال الكمي **وجدنا لكم في آل حم آية \* تأولها مناتق ومعرب**

ومنه من جوزه وروى في ذلك أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديزاج القرآن  
 وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة وانطى والسعير  
 وسقر والهاوية والجحيم فتبى كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل  
 النار من كان يؤمن بي ويقرؤنى وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شئ ثمرة وثمره القرآن ذوات حم  
 هن روضات حسان مخضبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم  
 وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم في القرآن كمثل الخبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شئ  
 لباب ولباب القرآن الحواميم قال ابن عادل فان صحت هذه الاحاديث فهى الفصل في ذلك أى  
 فتدل على جواز الجمع وقال البيضاوى في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به  
 لكونها مصدرية ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى أى أخذ اسمها قيل ان حم اسم من أسماء  
 القرآن وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أى الجامع من الحدود والاحكام والمعارف والاکرام  
 اما خبر لم ان كانت مبتدأ واما خبر لمبتدأ ضمير واما مبتدأ وخبره (من الله) أى الجامع  
 لجميع صفات الكمال ولما كان النظر هنا من بين جميع الصفات الى العزة والعلم أكثر لاجل أن  
 المقام لاثبات الصدق وعدا ووعيد افعال تعالى (العزیز) أى فى ملكه (العليم) بخلق  
 فبين تعالى انه بقدرته وعلمه أنزل القرآن الذى يتضمن المصالح والايحاز ولولا كونه عزيزاً  
 عالم المصاح ذلك (غافر الذنب) أى بتوبة وغير توبة لانه مؤمن ان شاء وأما الكافر فلا بد من  
 توبته بالاسلام (وقابل التوب) أى عن عصاه وهو يحتمل أن يكون اسماً مفرداً مراد به الجنس  
 كالذنب وان يكون جماعاً كتمر وتمر (شديد العقاب) أى على الكافر (فان قيل) ان شديد  
 صفة مشبهة فاضافته غير محضة بكل حال بخلاف اسم الفاعل اذا لم يرد به الحال ولا الاستقبال

كغافر الذنب وقابل التوب فإن اضافته محضة تفيده التعريف قال سيبويه كل ما اضافته غير  
 محضة يجوز أن تجعل محضة وتوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيين شيئاً  
 (أجيب) بأن شديد معناه مشدد كاذين بمعنى مأذون فتتمحض اضافته أو الشديد عقابه فحذف  
 اللام للازدواج مع أمن الاتباس أو بالتزام مذهب الكوفيين وهو أن الصفة المشبهة يجوز أن  
 تتمحض اضافتها أيضاً تكون معرفة يقولون في نحو وحسن الوجه يجوز أن تصير اضافته محضة  
 وقال الرازي لانزاع في جعل غافر وقابل صفتين وإنما كان كذلك لانهم ما يفيدان معنى الدوام  
 والاستمرار فكذلك شديد العقاب لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فدفعناه كونه بحيث  
 يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل أبداً فلا يوصف بأنه حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا  
 كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظريه ويلزمه ان يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف  
 لتزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف صفاته  
 بأل وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدئ في علم النحو فكيف من يصنف فيه ويقدم على تنكير  
 كتاب الله تعالى اه قال الزمخشري فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها  
 نكتة جلييلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتمها له طاعة من  
 الطاعات وان يجعلها محمداً للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول اه قال ابن  
 عادل وبعدها الكلام الاتي وباراه هذه المعاني الحسنة قال ابو حيان وما أكثر تبيح هذا  
 الرجل وشقشقته والذي افادته الواو والجمع وهذا معلوم من ظاهر علم النحو اه وانشد بعضهم  
 وكم من عائب قولاً صحيحاً \* وآفته من الفهم السقيم  
 وقال آخر قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد \* وينكر الفم طعم الماء من سقم  
 ولما أتم الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة أتبعه التشويق الى الفضل فقال تعالى (ذى الطول)  
 اى سعة الفضل والانعام والقدرة والغنى والسعة والمنة فلا يعاين له فى شئ من ذلك أحد ولا يدانيه  
 قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب عن قال لا اله الا الله شديد العقاب  
 لمن لا يقول لا اله الا الله ذى الغنى عن لا يقول لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل وقال  
 قتادة ذو النعم ثم علل تمكنه من كل شئ من ذلك بوحدايته فقال تعالى (لا اله الا هو اليه)  
 وحده (المصير) أى المرجع فلو جعل معه الها آخر يشاركه فى صفة الرحمة والفضل لما كانت  
 الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملان حاصلين بسبب هذا التوحيد  
 وقوله تعالى اليه المصير مما يقوى الرغبة فى الاقرار بالعبودية له روى أن عمر رضى الله تعالى عنه  
 اقتدر رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فتبيل له تابع فى هذا الشراب فقال عمر كاتبه اكتب  
 من عمر الى فلان سلام عليك وانا أجد البك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى  
 قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى يتجدد صاحبها ثم امر من عنده  
 بالدعاء بالتوبة فلما آتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وخذرنى عقابه  
 فلم يبرح يردد ها حتى بكى ثم نزع وأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا

فاصنعوا اذ رأيتم احاكم قد زل زله فستدوه ووقوه وادعوا له الله تعالى ان يتوب عليه ولا تكونوا اعدوا للشيطان عليه \* ولما قررتعالى ان القرآن كتاب انزله ليمتدى به في الدين ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال (ما يجادل) أي يخاصم ويمجاري أي يقتل الامور الى مراده (في آيات الله) أي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدال كالشمس على انه تعالى اليه المصير بان يغش نفسه بالشك في ذلك (الا الذين كفروا) قال أبو العالمة آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب اني شقاق بعيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جد الا في القرآن كفروا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون في القرآن فقال انما اهلك من كان قبلكم انهم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمت منه فقوله وما جهلتم عنه فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية فنخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب \* (تنبيه) \* الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى انبياء محمد صلى الله عليه وسلم وجدالهم بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح قد جادتنا فاكثرت جدالنا واما الثاني فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرّة هذا سحر ومرّة هذا شعر ومرّة هو قول الكهنة ومرّة أساطير الاولين ومرّة انما يعلمه بشر واشياء هذا \* ولما أثبت ان الحشر لا بد منه وان الله تعالى قادر على القدرة لانه لا شريك له وهو محيط بجميع اوصاف الكمال تسبب عن ذلك قوله تعالى (فلا يغركم تقلبهم) أي تقلبهم بالتجارات والفوائد والجوش والعباسكر واقبال الدنيا عليهم (في البلاد) كبلاد الشام واليمن فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام بما يحاولونه وكانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف الالسنه والاديان وكان للاجبال من الردع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال تعالى (والاحزاب) أي الامم المتفرقة الذين لا يحصون عددا وذل على قرب زمان الكفر من الانبياء من الفرق بقوله (من بعدهم) كعاد ونوح (وهمت كل أمة) أي من هؤلاء (برسولهم) أي الذي أرسلناه اليهم (لنأخذوه) أي لنتمكنوا من اصابته بما أرادوه من تعذيب أو قتل ويقال للاسير أخيه ذ وقال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه (وجدالوا بالباطل) أي بالامر الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن ضاهاهم من العرب ثم بين علة مجادلتهم بقوله تعالى (ليدحضوا) أي ليزيلوا (به الحق) أي الذي جاءت به الرسل عليهم السلام (فأخذتهم) أي أهلكتهم وهم صاغرون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بالادغام (فكيف كان عقاب) لهم أي هو واقع موقعة وهم يمزون على ديارهم



ويرون أثرهم وهذا تقرير فيه معنى التعجب (تنبيه) • حذف ياء المتكلم إشارة الى ان أدنى  
شي من عذابه بأدنى نسبة كاف في المراد ولما كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله تعالى عطف عليه  
(وكذلك) أى ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالاخذ (حقت كلمة ربك) أى المحسن اليك وهى  
لاملائكة جهنم الآية (على الذين كفروا) لكفرهم وقرأ نافع وابن عامر بألف بعد الهم  
على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد وقوله (انهم أصحاب النار) فى محل رفع بدل من كلمة  
ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناها كما وجب  
اهلاكهم فى الدنيا بالاعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة  
أوفى محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ولما بين تعالى أن الكفار بالغوا فى اظهار  
العداوة للمؤمنين بقوله ما يجادل فى آيات الله وما بعده بين تعالى أن الملائكة الذين هم حملة  
العرش والخافون حوله بالغون فى اظهار المحبة والنصر للمؤمنين فقال تعالى (الذين يحملون  
العرش) وهو مبتدأ وقوله (ومن حوله) عطف عليه وقوله تعالى (يسبحون) خبره  
(بحمد ربهم) أى المحسن اليهم قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون  
سبحانك اللهم وبحمدك فلك الحمد على حثك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم  
وبحمدك فلك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم وقيل انهم اليوم  
أربعة فاذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بأربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم  
يومئذ ثمانية وهم من أشرف الملائكة وأفضلهم اقربهم من محل رحمة ربهم قال ابن الحارث وجاء  
فى الحديث أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم  
أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيضعف وجناحان يرفو بهما  
فى الهواء ليس لهم كلام غير التسييح والتحميد والتكبير والتعظيم ما بين أظلافهم الى ركبهم كما بين  
سماه الى سماه وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة  
عام ويرى أن أقدامهم فى تخوم الارض والارضون والسموات الى عجزتهم وعسم يقولون  
سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان قدوس  
رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرفة ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم تحرق العرش  
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة  
أشد خوفا من أهل السماء التى تليها والى التى تليها أشد خوفا من التى تليها وقال مجاهد بين  
الملائكة والعرش سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ظلمة وعن جابر قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان  
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وأما صفة العرش فقيل انه من جوهرة خضراء  
وهو من أعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال بين القائمة من قوائم  
العرش والقائمة الثانية خلفان الطائر المسرى ثلاثين ألف عام ويكتفى العرش بكل يوم  
سبعين ألفا من نور ولا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى كلها والاشياء كلها

في العرش كالمقعد في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب حجاب نور  
 وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبله أهل السماء كما أن الكعبة قبله أهل  
 الارض وأما من حول العرش فهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان  
 حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هوؤلاء  
 ويقبل هوؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هوؤلاء وكبر هوؤلاء ومن وراءهم سبعون ألف صف  
 قيام أيديهم على أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير هوؤلاء وتهليلهم رفعوا  
 أصواتهم فقالوا سبحانك وبجهدك ما أعظمك وأحملك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر الخلق  
 كلهم لك راجعون ومن وراء هوؤلاء وهوؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليدين على  
 اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بحميد لا يسبحه الا خرمابن جناحى احدهم مسيرة ثمانمائة  
 عام ومابن شحمتى اذنيه الى عاتقه أربع مائة عام وقد احتجب الله عز وجل عن الملائكة الذين  
 حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا  
 من درأبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من  
 بلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلم علمه الا الله تعالى فسبحان من له هذا  
 الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به علما أحدهم خلقه أشار الى أنهم مع قربهم كغيرهم لافرق  
 في ذلك بينهم وبين من في الارض السفلى بقوله تعالى (ويؤمنون به) لان الايمان انما يكون  
 بالغيب فهم يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له (فان قيل) ما فائدة قوله  
 تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على أحد ان حلة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون  
 بحمده مؤمنون (أجيب) بأن فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله  
 تعالى ثم كان من الذين آمنوا فإبان بذلك فضل الايمان ولما كانوا القربى أشد الخلق خوفا لانه  
 على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف وكان أقرب ما يتقرب به الى الملك لتقربه الى  
 أهل ودهنيه سبحانه بقوله تعالى (ويستغفرون) أي يطلبون محو الذنوب عينا وأثرا (للذين  
 آمنوا) أي أوقعو هذه الحقيقة فهم يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك تنبيه  
 على ان الاشتراك في الايمان يجب أن يكون ادعى شئ الى النصيحة وأبعث على المحاض الشفقة  
 وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوى  
 وأرضى قط وإنما جاء جامع الايمان جامع التجانس الكلى والتناسب الحقيقي حتى  
 استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض واستغفارهم  
 بأن يقولوا (ربنا) أي أيها المحسن الينا بالايمان وغيره فهو معمول لقول مضمري في محل  
 نصب على الحال من فاعل يستغفرون أو خير بعد خبر (وسعت كل شئ رحمة وعلم) أي وسعت  
 رحمتك كل شئ وعلمك كل شئ فأزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة  
 والعلم وأخرج منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان

كل شيء وأكثرا يكون الدعاء بذكر الرب لأن الملائكة قالوا في هذه الآية وقال آدم عليه السلام  
ربنا ظلمنا أنفسنا وقال نوح عليه السلام رب ان قومي كذبون. وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال  
ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف  
عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارنى انظر اليك وقال رب انى  
ظلمت نفسي فاغفر لي وقال سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه  
السلام ربنا انزل علينا مائدة من السماء وقال تعالى لمجدصلى الله عليه وسلم وقل رب أعوذ بك  
من همزات الشياطين (فان قيل) لفظ الله أعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ رب بالدعاء (أجيب)  
بأن العبد يقول كنت في العدم المحض والنبي الصريف فأخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل  
تربيتك واحسانك سببا لاجابة دعائي (فاغفر للذين تابوا) أى رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك  
لهم بأن تمحوها عنا وأترافلا عقاب ولا اعتبار ولا ذكرا لها (واتبعوا) أى كفوا أنفسهم على  
مالها من العوج ان لزموا (سيمك) المستقيم الذى لا يلبس فيه ولما كان الغفران قد يكون  
لبعض الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه قالوا  
(وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة وتم نعمتك عليهم فانك  
وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشاء وان الخلق  
عبيدك ولما طلبوا من الله سبحانه وتعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب قالوا  
مكثرين صفة الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان (ربنا) أيها المحسن الينا (وأدخلهم  
جنات عدن) أى اقامة (التي وعدتهم) أى اياها وقولهم (ومن صلح) معطوف على هم في وعدتهم  
وقدموا قولهم (من آباؤهم) على قولهم (وأزواجهم وذرياتهم) لان الآباء أحق الناس  
بالاجلال وقدموا الأزواج في اللفظ على الذرية لانهم أشد الصا قبا بالشخص وطلبوا لهم ذلك  
لان الانسان لا يتم نعمه الا بأهله قال سعيد بن جبير يدخل الجنة المؤمن فيقول ابن أبى أين  
ولدى وزوجتى فيقال له انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعلم لى ولهم فيقال ادخلوهم  
الجنة (انك أنت) أى وحدك (العزير) أى فانت تغفر لمن شئت (الحكيم) فكل فعلك فى أتم  
مواضعه فلا يتبأ لاحد نقضه ولا انتقصه (وقهم السيات) أى بأن يجعل بينهم وبينه وقاية بأن  
تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها (فان قيل) هذا مكثر مع قوله وقهم عذاب الجحيم (أجيب)  
بأن التفاوت حاصل من وجهين أحدهما أن يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا  
للاصول وقولهم وقهم السيات دعاء مذكورا للفروع وهم الآباء والأزواج والذريات ثانيا  
أن يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقهم السيات يتناول  
عذاب الجحيم وعذاب موقف يوم القيامة والسؤال والحساب فيكون تعميما بعد تخصيص وهذا  
أولى وقال بعض المفسرين ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النار عنهم بقولهم وقهم عذاب  
الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وأدخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك أن يصونهم  
الله تعالى فى الدنيا من العقائد الفاسدة بقولهم وقهم السيات وقرأ أبو عمرو فى الوصل بكسر

الميم والهاء وحزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم ثم قالت  
 الملائكة (ومن تق السيات) أي جزاءها كلها (يومئذ) أي يوم تدخل فريقا الجنة وفريقا  
 النار المسبية عن السيات وهو يوم القيامة (فقد رحته) أي الرحمة الكاملة التي لا يستحق  
 غيرها معها أن يسمى رحمة فإن تمام النعيم لا يكون إلا بزوال الحاسد والتباغض والتجاة  
 من النار باجتناب السيات ولذلك قالوا (وذلك) أي الأمر العظيم جدا (هو الفوز  
 العظيم) أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول إلى كنه عظمته واجلاله هذا آخر  
 دعاء الملائكة للمؤمنين قال مطرف أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق  
 للمؤمنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان ذكر أحوال المؤمنين عاد إلى ذكر أحوال الكافرين  
 المجادلين في آيات الله تعالى وهم الذكورون في قوله تعالى ما يجادل في آيات الله إلا الذين  
 كفروا فقال تعالى مستأنفا موكدا لانكارهم آيات الله تعالى (ان الذين كفروا) أي  
 أوقعوا الكفر ولو لحظة (ينادون) يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين  
 عرض عليهم سيئاتهم وعابوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أي الملك الاعظم اياكم (أكبر)  
 والتقدير لمقت الله لانفسكم أكبر (من مقتكم انفسكم) فاستغنى بذكرها مرة وقوله  
 تعالى (اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم  
 يوم القيامة كان الله تعالى يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعوكم إلى  
 الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد ما تقتونهن اليوم وأنتم في النار اذا وقعتم  
 فيها باتباعكم هو اهن وذكر وافي تفسير مقتهم انفسهم وجوها أولها أنهم اذا شاهدوا القيامة  
 والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا ثانيا  
 ان الابعاع يشتد مقتهم للرؤساء الذين يدعونهم إلى الكفر في الدنيا والرؤساء أيضا يشتد  
 مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بأنهم مقتوا انفسهم كقوله تعالى اقتلوا انفسكم  
 والمراد ان يقتل بعضهم بعضا ثالثها قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابيس وهو في النار بقوله  
 ما كان لي عليكم من سلطان إلى قوله ولو مو انفسكم في هذه الحالة مقتوا انفسهم  
 وأما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم وعن الحسن لما رأوا أعمالهم  
 الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا بالمقت الله أكبر وقيل معناه لمقت الله اياكم الان أكبر من  
 مقت بعضهم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا واذ تدعون  
 لتعليل والمقت أشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه أبلغ الانكار وأشدّه وعن  
 مجاهد مقتوا انفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله تعالى اياهم في الدنيا اذ يدعون إلى الايمان  
 فيكفرون أكبر وقال القراء معناه ينادون ان مقت الله يسئل ناديت ان زيد اقام وناديت زيد  
 قائم وقرأ أبو عمرو وهشام وحزة والكسائي بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار ثم انه  
 تعالى بين أن الكفار اذا خطبوا بهذا الخطاب (قالوا ربنا) أي أيها المحسن النبي بما تقدم  
 فينا (أمننا لتقين) أي امانتين (وأحييتنا لتقين) أي احياءتين قال ابن عباس

وقتادة والفضال كانوا أمواتا في أصلاب آباؤهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة  
 الأولى التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهم ماموتان وحياتان وهو كقوله تعالى  
 كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي أميتوا في الدنيا  
 ثم أحيوا في قبورهم للمسئلة ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة وقيل واحدة عند  
 انقضاء الأجل في الحياة الدنيا وأخرى بالصعق بعد البعث أو الأرقاد بعد سؤال القبر ورد  
 بأن الصعق ليس بعوت وما في القبر ليس بحياة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام  
 كما أقدار سبحانه الحصاص على التسبيح والجموع على التسليم والضب على الشهادة (فأعترفنا  
 يذونينا) أي بكفرتنا بالبعث (فهـل إلى خروج) من النار إلى الدنيا فتصلح أعمالنا ونعمل  
 بطاعتك (من سبيل) أي طريق ونظيره هل إلى هرمن سبيل والمعنى أنهم لما عرفوا أن  
 الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلاتموا الرجوع إلى الدنيا ليشـتغلوا بالأعمال الصالحة  
 (فان قيل) الفاء في قوله تعالى فأعترفنا يذونينا تقتضي أن تكون الامانة مرتين والاحياء  
 مرتين سبب هذا الاعتراف فواجه هذه السببية (أجيب) بأنهم كانوا منكرين بالبعث فلما  
 شاهدوا هذا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا  
 الاقرار كلسبب عن تلك الامانة والاحياء \* ولما كان الجواب قطعاً لا سبيل إلى ذلك علمه بقوله  
 تعالى (ذلكم) أي القضاء النافذ العظيم العالی بتخليدكم في النار مقتامه لكم (بأنه) أي  
 كان بسبب أنه (إذا دعى الله) أي الملك الاعظم من أي داع وفي اعراب قوله تعالى (وـده)  
 وجهان أحدهما انه مصدر في موضع الحال وجازع كونه معرفة لفظاً لكونه في قوة النكرة  
 كأنه قيل منفردا ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعى على حدته وهو  
 مصدر محذوف الزوائد والتقدير أو وحدته ايحادا (كفرتم) بتوحيده (وان يشرك به) أي يجعل له  
 تعالى شريك (تؤمنوا) أي تصدقوا بالاشراك (فالحكم) أي فتسبب عن القطع بأنه لا رجعة  
 وأن الكفار ماضرون والأتقنهم مع ادعائهم العقول الراجعة ونحو ذلك أن الحكم كله (تـه) أي  
 المحيط بصفات الكمال (العلـي) أي عن أن يكون له شريك (الكبير) أي الذي لا يليق الكبر الاله  
 \* ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله تعالى (هو) أي وحده (الذي يريدكم) أي بالبصر  
 والبصيرة (آياته) أي علاماته الدالة على تفرد بصفات الكمال وأنه لا يجوز جعل هذه الاجزاء  
 المنحوتة والخشب المصور وشركاء الله عز وجل في العبودية ومن آياته الدالة على كمال القدرة  
 والعظمة قوله تعالى (وينزل لكم من السماء) أي جهة العلو الدالة على قهر ما نزل منها  
 بامساكه إلى حين الحكم بنزوله (رزقا) أي أسباب رزق كالمطر لا قامة أبدانكم لان أهم  
 المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى واعي مصالح أديان العباد بانظهار  
 البيئات والآيات وراعي مصالح أبدانهم بانزال الرزق من السماء فوقع الآيات من الاديان  
 كوقوع الارزاق من الابدان وعند حصولها يكمل الانعام الكامل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
 يسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (وما يذكركم) ذلك تذكرا

تاما فيتم عظم هذه الآيات (الامن نيب) أي يرجع الى الله تعالى ويقبل بكليته الى الله تعالى  
 في جميع أموره فيعرض عن غير الله تعالى ولهذا قال عز من قائل (فادعوا) وصرح بالاسم  
 الاعظم فقال تعالى (الله) الذي له صفات الكمال أي فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي  
 الافعال التي يتبع الجزاء عليهم ان كان يصدق بالجزاء وبأن ربه غني لا يقبل الا خلاصا اجتهد  
 في نصفيته أعماله فيأتي بها في غاية الخلوص عن كل ما يمكن أن يكدر من غير شائبة شرك جلي  
 أو خفي كما أن معبوده واحد من غير شائبة نقص (ولو كره) أي الدعاء منكم (الكافرون)  
 أي الساترون لانوار عتولهم \* ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه كونه مظهر الآيات ذكر  
 ثلاثة أخرى من صفات الجلال والعظمة وهي قوله تعالى (رفيع الدرجات) وهذا يحتمل  
 أن يكون المراد منه الرفع وأن يكون المراد منه المرتفع فان جلناه على الاول ففيه وجهان  
 أولها انه تعالى يرفع درجات الانبياء والاولياء ثانيهما يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق  
 الفاضلة فجعل لكل أحد من الملائكة درجة معينة كما قال تعالى عنهم وما منا الا له مقام معلوم  
 وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا  
 العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية كدرجة وبعضها فلكية وبعضها  
 من جواهر العرش والكرسي وأيضا جعل لكل واحد من معينه في الخلق والخلق والرزق  
 والاجل فقال تعالى وهو الذي جعل لكم خلافت الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل  
 لكل واحد من السعداء والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات  
 الشقاوة وفي الآخرة تظهر تلك الآثار وان جلنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه وتعالى أرفع  
 الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال \* (تنبيه) \* في رفيع وجهان أحدهما انه  
 مبتدأ والخبر (ذوالعرش) أي الكامل الذي لا عرش في الحقيقة الا هو فهو محيط بجميع  
 الاكوان ومادة لكل جاد وحيوان وعال بجلاله وعظمته عن كل ما يخطر في الازهان وقوله  
 تعالى (يلقي الروح) أي الوحي سماء روحا لانه تحميه القلوب كما تم الايدان بالارواح  
 (من أمره) قال ابن عباس أي رضاه وقوله يلقي يجوز أن يكون خبرا ثانيا وأن يكون حالا  
 ويجوز أن تكون الثلاثة أخبارا لقوله تعالى هو الذي يريكم آياته \* ولما كان أمره تعالى غالبا  
 على كل أمر أشار الى ذلك باداة الاستعلاء فقال تعالى (على من يشاء) أي يختار (من  
 عباده) للنسوة وفي هذا دليل على أنها عطائية وقوله (ليستدر) أي يخوف غاية الاقاء والفاعل  
 هو الله تعالى أو الروح أو من يشاء أو الروح والمندوبه محذوف تقديره لينذر العذاب  
 (يوم السلاق) أي يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد وأهل السماء والارض  
 وقال مقاتل يلتقي الخلق والخالق تعالى وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي  
 العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله والاولى أن تفسر الآية بما يشغل الجميع  
 (يوم بارزون) أي خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يستترهم شيء من جبل أو شجر أو تلال  
 أو غير ذلك وقيل بارزون كتابة عن ظهور رجالهم وانكشف أسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى

قوله ويجوز أن  
 تكون الثلاثة  
 أخبار الخ يؤخذ  
 منه الوجه الثاني  
 ٥١

السراير والاولى أيضاً أن تفسر الآية بما يشتمل الجميع كما قال تعالى (لا يخفى على الله) أى المحيط  
علماً وقدرة (منهم) أى من أعمالهم وأحوالهم (شئ) وان دق وخفى ويقول الله تعالى فى ذلك  
اليوم بعد فناء الخلق (لمن الملك اليوم) أى يامن كانوا يعملون أعمال من يظن أنه لا يقدر عليه  
أحد فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه فيقول تعالى (الله) أى الذى له جميع صفات الكمال ثم دل  
على ذلك بقوله تعالى (الواحد) أى الذى لا يصح أن يكون له ثاب بشركة ولا قسمة ولا  
غيره ما (القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل يجيبونه بلسان الحال أو المقال فيقولون  
ذلك وقال الرازى لا يعد أن يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يعد أيضاً أن يكون  
السائل جمعاً من الملائكة والمجيب جمعاً آخرين وليس على التعيين (فان قيل) الله تعالى لا يخفى  
عليه شئ منهم فى جميع الايام فامعنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم (أجيب) بأنهم كانوا  
يتوهمون فى الدنيا أنهم اذا استتروا بالخطيان والحجب أن الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم  
فهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمون  
فى الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وقال تعالى يستخفون  
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار وما  
أخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب أخبرهم بما يريد ربهم ويعت رغبتهم وهو نتيجة  
تفرده بالملك فقال تعالى (اليوم تجزى) أى تقضى وتكافأ (كل نفس بما) أى بسبب ما (كسبت)  
أى عملت لا تترك نفس واحدة لان العلم لم قد شملهم والقدرة قد أحاطت بهم وعظمت والحكمة قد  
منعت من اهمال أحد منهم فيجزى المحسن باحسانه والمسي باسائه (لا ظلم اليوم) أى بوجه  
من الوجوه (ان الله) أى التام القدرة الشامل للعلم (مريع الحساب) أى يبلغ السرعة فيه  
لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره فى وقت حساب ذلك القبر ولا يشغله شأن عن شأن لانه  
تعالى لا يحتاج الى تكلفه ولا يفتقر الى مراجعة كتاب ولا شئ فمكان فى ذلك ترجية وخوف  
الفریقين لان المؤمن يرجو اسراع البسط بالثواب والظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب  
وعن ابن عباس اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها \* ثم نبه تعالى  
بقوله سبحانه (وأندرهم يوم الآزفة) أى القيامة على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله  
تعالى اقرب الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وأن استبعد الناس مداها لان  
ما هو كائن قريب والآزفة فاعلة من أزف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى فى صفة القيامة  
أزفت الآزفة أى قربت قال النابغة \* أزف الترحل غيران ركابنا لما نزل برحالنسا وكان وقد  
وقال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا \* ولا أرى لسباب بائن خلفا

\* (تنبيه) \* الآزفة نعت لمحدوف مؤنث كيوم القيامة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال  
القضال وأسماء القيامة تجرى على التأنيت كالطامة والحاقة لانها مرجع معناها على الداهية  
ويوم القيامة له أسماء كثيرة تدل على أهوالها باعتبار مواقعها وأحوالها منها يوم البعث وهو ظاهر

ومنها يوم التلاق لما صر ومنها يوم التغابن لغيب أكثر من فيه وخسرانه وقيل المراد يوم الآزفة  
 مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارناتها من شدة الخوف وقال  
 أبو مسلم هو يوم حضور الاجل فان يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب ولما  
 ذكر تعالى اليوم هو أمره بما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى (أذا القلوب) أي من كل  
 من حضره ترتفع (لدى) أي عند (الحناجر) أي حناجر المجموعين فيه وهو جمع خنجور وهو  
 الحلقوم يعنى أنها زالت عن أمانتها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج ثم أسند إليها  
 ما يسند للعقلاء فقال تعالى (كأظمين) أي ممتلئين خوفا ورعبا وحزنا مكر وبين فقد استدت  
 مجارى أنفاسهم وأخذ بجميع احساسهم ولما كان من اليهود أن الصدقات تنفع في مثل  
 ذلك والشفاعات قال تعالى مستأنفا (بالظالمين) أي العريقين في الظلم (من حميم) أي قريب  
 صادق في موثقتهم مهمتهم بأموالهم مزبل لكرههم (ولاشفيع يطاع) فيشفع لهم (تنبيه) \*  
 احتج المعتزلة بذه الآية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفي حصول شفيع لهم يطاع يوجب  
 أن لا يحصل لهم هذا الشفيع وأجيبوا بوجوه أولها أنه تعالى نفي أن يحصل لهم شفيع يطاع  
 وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عهدى كتاب يباع لا يقتضى نفي الكتاب فهذا يتنى ان لهم  
 شفيعا يطعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانياً أن المراد بالظالمين في هذه الآية ههنا  
 الكفار لانها وردت في زجر الكفار قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها أن لفظ الظالمين  
 اما أن يشد الاستغراق أو لا فان كان المراد جميعهم فيدخل فيه الكفار وعندنا أنه ليس لهذا  
 الجمع شفيعا لان بعضه كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون له هذا الجمع شفيع وان لم يقيد  
 الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع \* ولما أمر  
 الله تعالى بانذار يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وأن الظالم لا يجد من يحميه  
 ولا يشفع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى (يعلم خائفة  
 الاعين) أي خبايتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر جعل الخيانة مبالغة في الوصف  
 وهو الاشارة بالعين قال أبو حيان من كسر عين وغمز ونظر يفهم المراد \* ولما ذكر أخفى أفعال  
 الظاهر أتبعه أخفى أفعال الباطن فقال تعالى (وما تخفى الصدور) أي القلوب فعلم من ذلك  
 أن الله تعالى عالم بجميع أفعالهم لان الأفعال على قسمين أفعال الجوارح وأفعال القلوب فأما  
 أفعال الجوارح فأخفاها خيانة الاعين والله تعالى عالم بها فكيف الحال في سائر الاعمال وأما  
 أفعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله عز وجل وما تخفى الصدور وقوله تعالى (والله) أي  
 المتصف بجميع صفات الكمال (يقضى بالحق) أي الثابت الذي لا يتنى يوجب عظيم الخوف  
 لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت أنه لا يقضى الا بالحق في كل مادي وجعل كان  
 خوف المذنب منه في الغاية القصوى ولما عول الكفار في دفع العقاب عن أنفسهم على  
 شفاعته هذه الاصنام بين الله تعالى أنه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى (والذين يدعون) أي  
 يعبدون (من دونه) وهم الاصنام (لا يقضون) لهم (بشيء) من الاشياء أصلا فكيف يكونون



شركاء الله تعالى وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب للمشركين والباقون بياء الغيبة اخبارا  
 عنهم بذلك \* ولما أخبر تعالى أنه لا فعل لشركائهم وأن الامر له وحده قال تعالى مؤكدا لاجل  
 أن أفعالهم تقتضى انكار ذلك (إِنَّ اللَّهَ) أى المنفرد بصفات الكمال (هُوَ) أى وحده  
 (السميع) أى لجميع أقوالهم (البصير) أى بجميع أفعالهم ففى ذلك تقرير لعلمه تعالى بجائزته  
 الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعرىض بحال ما يدعون من دونه  
 فثبت أن الامر له وحده فماتت ففهم شفاعه الشافعين ولا تقبل فيهم من أحد شفاعه بعد الشفاعه  
 العامه التى هى خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى المقام المحمود الذى يعبطه به الاقولون  
 والاآخرون فان كل أحد يججم عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها  
 ثم يذهب الى المكان الذى أذن له فيه فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين  
 الخلائق ليذهب كل احد الى داره جنسه أو ناره \* ولما أوعدهم سبحانه بصادق الاخبار عن  
 قوم نوح ومن تبعهم من الكفار وختمه بالانذار بما يقع فى دار القرار للظالمين الاشرار أتبعه  
 الوعظ والتخويف بالمشاهده ممن تبع الديار والاعتبار بما كان لهم فيها من عجائب الاثمار  
 فقال عز من قائل (أولم يسيراوا فى الارض) أى فى أى أرض ساروا فيها (فينظروا) أى نظروا  
 اعتبارا كاهوشان أهل البصائر (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين كانوا) أى سكانا  
 للارض عريقين فى عمارتها (من قبلهم) أى قبل زمانهم من الكفار كهادوثود (كانوا)  
 هم) أى المتقدمون لمآلهم من القوة الظاهرة والباطنة (أشد منهم) أى من هؤلاء (قوة) أى  
 ذوات ومعانى وانعاشى بالفصل وحقه أنه يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من المعرفة فى امتناع  
 دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر منكم بكاف والباقون بياء الغيبة (و) أشد (انارا فى  
 الارض) لان آثارهم لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقدمضى عليه ألوف من السنين  
 وأما المتأخرون فتسطر آثارهم فى أقل من قرن ومع قوتهم (فأخذهم الله) أى الذى له  
 صفات الكمال أخذ غلبة وقهر وسطوة (بذنوبهم) أى بسببها (وما كان لهم) من شركائهم  
 الذين ضلوا بهم هؤلاء ومن غيرهم (من الله) أى المتصف بجميع صفات الكمال (من واق)  
 أى يقيم عذابه والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره وان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة  
 من هؤلاء \* ولما كذبوا رسلهم أهلكتهم الله تعالى عاجلا وقرأ ابن كثير فى الوقف بالياء بعد  
 القاف والباقون بغير ياء وانفقوا على التنوين فى الوصل ثم ذكر تعالى سبب أخذهم بقوله تعالى  
 (ذلك) أى الاخذ العظيم (بآثمهم) أى الذين كانوا من قبل (كانت تأتهم رسلهم بالبينات)  
 أى الآيات الدالة على صدقهم دلالة هى من وضوح الامر بحيث لا يسع منصفها انكارها وقرأ  
 أبو عمرو وبسكون السين والباقون بضمها \* ولما كان مطلق الكفر كافيا فى العذاب عبر بالماضى  
 فقال تعالى (فكفروا) أى سبوا عن اتيان الرسل عليهم السلام اليهم الكفر بهم (فأخذهم  
 الله) أى الملك الاعظم اخذ غضب (انه قوى) أى متمكن مما يريد غاية التمكين (شديد العقاب)  
 لا يؤبه بعقاب دون عقابه \* ولما سأل تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين

كذبوا الانبياء عليهم السلام قبله وبمشاهدة آثارهم سلاماً أيضاً بذكر قصة موسى عليه السلام  
المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي على ما لنا من العظمة (موسى بآياتنا) أي الدالة  
على جلالنا (وسلطان) أي أمر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة شئ منه (مبين)  
أي بين في نفسه يتبين لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر وذلك الامر هو الذي كان يمنع  
فرعون من الوصول الى اذاه مع ماله من القوة والسلطان (الى فرعون) أي ملك مصر  
(وهامان) أي وزيره (وقارون) أي قريب موسى (فقالوا) أي هؤلاء ومن معهم هو  
(ساحر) لعجزهم عن مقاهرته امام عدائهم فأولوا آخرا بالقوة والفعل وأما قارون  
ففعله آخرا بين انه مطبوع على الكفر وان آمن أولا وان هذا كان قوله وان لم يقبله بالفعل في  
ذلك الزمان فقد قاله في النية فدل ذلك على انه لم يزل قائلاً به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم  
(كذاب) لخوفهم من تصديق الناس له (فلما جاءهم بالحق) أي بالامر الثابت الذي لا طاقة  
لاحد بتغيير شئ منه ~~كاننا~~ (من عندنا) على ما لنا من القهر فأمن معه طائفة من قومه  
(قالوا) أي فرعون وأتباعه (اقتلوا) أي قتلوا حقيقيا بازالة الروح (أبناء الذين آمنوا) به  
أي فكانوا (معه) أي خصوهم بذلك واتركوا من عداهم فلعلمهم يكذبونه (واستحيوا  
نساءهم) أي اطلبوا حياتهم بأن لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاقوال لان فرعون كان  
قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم فعناه أعيدوا عليهم  
القتل لئلا ينشوا على دين موسى فيعزى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين فلماذا أمر بقتل البنات  
واستحياء نسائهم (وما) أي والحال انه ما (كيد الكافرين) تعميما وتعليقا بالوصف (الا  
في ضلال) أي مجانبة للسداد الموصل الى الطفر والفوز لانه ما أفادهم أو لاني الحذر من موسى  
عليه السلام ولا آخرا في صدم من آمن به مرادهم بل كان فيه تسارهم وهلاكهم وكذا أفعال  
الفتية مع أوليائه تعالى ما حفر أحد منهم لاحد منهم حفرة مكر الأركه الله تعالى فيها  
(وقال فرعون) أي أعظم الكفرة في ذلك الوقت لرؤساء أتباعه عندما علم انه عاجز عن قتله وملاؤه  
ما رأى منه خوفا فادفعوا عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام مع استهانت به الا  
عجزا عنه موهما ان قومه هم الذين يرتدونه عنه وانه لولا ذلك لقتله (ذروني) أي اتركوني على  
أي حالة ~~كانت~~ (أقتل موسى) وزاد في الايهام للاغبياء والمناداة على نفسه عند البصراء  
يقوله (وليدع ربه) أي الذي يدعو ويدعى احسانه اليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق  
وقيل كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي منعه من قتله وجوه أولها العلة كان  
فيهم من يعتقد بقلبه كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان  
أصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب مهرنا فان قتله أدخلت الشبهة  
على الناس ويقولون انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها أنهم كانوا يجهلون في منعه  
من قتله لاجل ان يتي فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب تلك الاقوام لان من  
شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بمخضم خارجي حتى يصيروا آمنين من قبل ذلك الملك

وقرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون \* ثم ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى عليه  
 السلام وهو افساد الدين وفساد الدنيا فقال (انى أخاف) أى ان تركته (أن يتدل  
 دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد) أى لا بد من وقوع أحد الامرين افساد الدين  
 واما فساد الدنيا افساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذى كانوا عليه  
 فلما كان موسى عليه السلام ساعيا فى افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق واما فساد  
 الدنيا فهو ان يجتمع عليه أقوام ويصير ذلك سببا في وقوع الخصومات واثارة الفتنة وبدأ فرعون  
 يذكر الدين أولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم \* ولما توعد فرعون موسى  
 عليه السلام بالقتل لم يأت في دفع شره الا بأن استعان بالله واعتد على فضله كما قال تعالى (وقال  
 موسى انى عدت) أى اعتصمت عند ابتداء الرسالة (بربى) ورغبهم فى الاعتصام به وثبتهم  
 بقوله (وربكم) أى المحسن الينا أجمعين وأرسلنى لاستنقاذكم من أعداء الدين والدنيا  
 (من كل متكبر) أى عات طاغ متعظم على الحق هذا وغيره (لا يؤمن) أى لا يتجدد له تصديق  
 (يوم الحساب) من ربه له وهو يعلم انه لا بد من حسابه هولم تحت يده من رعاياه وعبيده فيحكم  
 على ربه بما لا يحكم به على نفسه وبهذين الامرين يقدم الانسان على اتقاء الناس لان المتكبر  
 القاسى القلب قد يجعله طبعه عن ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار  
 خوفه من الحساب مانعا له عن الجرى على موجب تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث  
 والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل  
 فلا جرم تعظم القسوة والايذاء \* واختلف فى الرجل المؤمن فى قوله تعالى (وقال رجل مؤمن)  
 أى راسخ الايمان (من آل فرعون) أى من وجوههم ورؤسائهم (يكنتم ايمانه) أى يخفيه  
 خفاء شديدا خوفا على نفسه فقال مقاتل والسدى كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى  
 حكى الله تعالى عنه وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقيل كان اسراييليا وعن ابن عباس  
 لم يكن فى آل فرعون غيره وغير امير امرة فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى عليه السلام الذى  
 قال ان الملا يا تمرون بئلى قتلوك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون  
 حبيب النصار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله  
 والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم وعن جعفر بن محمد ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا  
 وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه جهارا أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وروى عن عروة بن  
 الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ قبل عقبة بن أبي  
 معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا وقال له  
 أنت الذى تمنا عما كان يعبد آباؤنا قال أنا ذلك فأقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأخذ  
 بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد  
 جاءكم بالبينات من ربكم فكان أبو بكر أشد من ذلك وعن أنس بن مالك قال ضربوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادى ويلكم أقتلون رجلاً  
 أن يقول ربي الله قالوا من هذا قيل هذا ابن أبي خنيفة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما  
 وأكثر العلماء كان اسم الرجل حزقيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب \* ولما حكى الله تعالى  
 عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع فرعون وشربه على الاستعاذة بالله تعالى بين أنه تعالى  
 قبض له انساناً اجنبياً حتى ذب عنه بأحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال (أقتلون  
 رجلاً) أي هو عظيم في الرجال حسا ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال (أن) أي لاجل  
 أن (يقول) قولاً على سبيل الإنكار (ربي) أي المربي والمحسن إلى (الله) أي الجامع لصفات  
 الكمال (وقد) أي والحال أنه قد (جاءكم بالبينات) أي الآيات الظاهرات من غير لبس (من  
 ربكم) أي الذي لا احسان عندكم الا منه ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية على أن الاقدام على قتله  
 غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال (وان ينك) أي هذا الرجل (كاذباً عليه)  
 أي خاصة (كذبه) أي كان وبال كذبه عليه وليس عليكم منه ضرر فارتكوه (وان ينك صادقاً  
 يصيبكم بعض الذي يعدكم) أي العذاب عاجلاً وله صدقه يتقوه ولا ينفعكم شيئاً (فان قيل) لم قال  
 بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله (أجيب) بأنه انما حال ذلك  
 لبعض موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيافضلا عن  
 ان يتعصب له وهذا أولى من قول أبي عبيدة وغيره ان بعض يعنى كل وأنشد قول ليبيد

ترال أمكنة اذا لم أرضها \* أو ترتبط بعض النفوس جامها

وأنشد أيضا قول عمرو بن ميم

قد يدرك المتأني بعض حاجته \* وقد يكون مع المستهمل الزلل

وقال الآخر

ان الامور اذا الاحداث دبرها \* دون الشيوخ ترى في بعضها خلا

وقوله (ان الله) أي الذي له مجامع العظمة (لا يهدي) إلى ارتكاب ما يتفح واجتناب ما يضر  
 (من هو مسرف) ياتظاهر الفساد ويتجاوز الحدود (كذاب) فيه احتمالان أحدهما ان  
 هذا اشارة إلى الرمز والتعريض به لوشأن موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى  
 موسى عليه السلام إلى الاثبات بالمعجزات الباهرة ومن هداه الله تعالى إلى الاثبات بالمعجزات  
 لا يكون مسرفاً كذا باق دل على ان موسى عليه السلام ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما  
 أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى عليه السلام كذاب في ادعائه  
 الالهية والله تعالى لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره \* ولما استدل مؤمن  
 آل فرعون على انه لا يجوز قتل موسى عليه السلام خوفاً فرعون وقومه ذلك العذاب الذي  
 توعدهم به في قوله يصيبكم بعض الذي يعدكم فقال (يا قوم) وعبر بأسلوب الخطاب دون التكلم  
 تصريحاً بالمقصود فقال (لكم الملك) ونيه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله (اليوم)  
 وأشار إلى ما عهدوه من الخذلان في بعض الازمان بقوله (ظاهرين) أي عالين على بني اسرائيل

وغيرهم وما زال أهل البلاء يتوقعون الرخاء وأهل الرخاء يتوقعون البلاء ونبه بقوله (في الأرض)  
 أي أرض مصر على الاحتياج ترهيباً لهم وعرفها لانها كالارض كلها الحسنها ووجهها المنافع  
 ثم حذرهم من سخط الله تعالى فقال (فن ينصرون) أي أنا وأنتم أدرج نفسه فيهم عند ذكر الشر  
 بعد افراده لهم بالملك ابعاد اللتمة وحثا على قبول النصيحة (من يأس الله) أي الذي له الملك  
 كله (ان جاءنا) أي غضبا لهذا الذي يدعى أنه أرسله فلا تفسدوا أمركم ولا تعرضوا لبأس الله  
 تعالى يقتله فانه ان جاءنا لم يمننا منه أحد \* ولما قال المؤمن هذا الكلام (قال فرعون) أي لقومه  
 جوابا لما قاله هذا المؤمن (ما أرى لكم) من الآراء (الما أرى) أي انه صواب على قدمي على  
 ولا أرى لكم الا ما أرى لنفسي وقال الفضال ما أعلمكم الا ما أعلم (وما أهدى لكم) أي بما أشرت به  
 عليكم من قتل موسى وغيره (الاسبيل الرشاد) أي الذي أرى أنه صواب لا أظهر شيئا وأبطن غيره  
 ولما ظهر له هذا المؤمن أن فرعون ذل لكلامه ارتفع الى أصرح من الاسلوب الاول كما أخذ برنا  
 الله تعالى بقوله (وقال الذي آمن) أي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي دل على عجزه وجهله  
 وذله (يا قوم) وأكد لما رأى عندهم من انكار أمره وخاف منهم اتهامه فقال (اني أخاف  
 عليكم) أي من المكابرة في أمر موسى عليه السلام (مثل يوم الأحزاب) أي أيام الامم  
 الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مع أن افراده أورد  
 وأقوى في التخويف وأقطع للإشارة الى قوة الله تعالى وأنه قادر على اهلاكهم في أقل زمان  
 ولما أجل فصل وبين أو أبدل بعد أن هول بقوله (مثل داب) أي عادة (قوم نوح) أي فيما  
 دهمهم من الهلاك الذي محققهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة الجادلة والمقاومة لما  
 يريدونه (وعاد وعود) مع ما بلغكم من جبروتهم \* (تنبيه) \* لا بد من حذف مضاف يريد مثل  
 جزاء دأبهم \* ولما كان هؤلاء أقوى الامم اکتفى بهم وأجمل من بعدهم فقال (والذين من  
 بعدهم) أي بالقرب من زمانهم كقوم لوط (وما الله) أي الذي له الاحاطة بأوصاف الكمال  
 (يريد ظلم العباد) أي فلا يهلكهم الا بعد اقامة الحجج عليهم ولا يهلكهم بغير ذنب ولا يخطئ الظالم  
 منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنق في حدوث  
 تعلق ارادته بالظلم \* ولما أشرف من آفاق هذا الوعظ شمس البعث ونور المحشر قال (ويا قوم اني  
 أخاف عليكم) وقوله (يوم التناد) أجمع المفسرون أنه يوم البعث وفي تسميته بهذا الاسم وجوه  
 أولها أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة وأصحاب الجنة ينادون أصحاب النار كما حكى الله  
 تعالى عنهم ثانيا قال الزجاج هو قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم ثالثا ينادى بعض  
 الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا رابعها ينادون الى المحشر خامسها ينادى المؤمن  
 هاؤم اقرؤا كتابه والكافر باليتنى لم أوت كتابه سادسها ينادى باللعنة على الظالمين سابعها  
 ينادى بالموت على صورة كبش ألمح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة خلود فلا  
 موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثامنها ينادى بالحادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سدد  
 سعادة لا يبتقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وهذه الامور صكلها

تجتمع في هذا اليوم فلا بد من تسميته بها كلها ولما كان عادة المتنادين الإقبال وصف ذلك  
اليوم بضد ذلك لشدة الأحوال فقال تعالى مبداً أو مبينا (يوم تولون) أي عن الموقف  
(مدبرين) قال الضمك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرا باقلا يأتون قطرا من الاقطار الا ووجدوا  
الملائكة صفا فيرجعون الى أما كنهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وقوله تعالى يا معشر  
الجن والانس ان استطعتم ان تنذروا من اقطار السعوات والارض فانذروا لا تنفذون الا  
بسلطان وقال مجاهد فارين من النار غير محجزين وقيل منصرفين عن الموقف الى النار ثم  
أكد التهديد بقوله تعالى (مالكم من الله) أي الملك الجبار الذي لا يذل (من عاصم) أي من فئة  
فهميكم وتنصركم وتنعكم من عذابه • ثم نبه على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال تعالى (ومن  
يضل الله) أي الملك المحيط بكل شيء (فقاله من هاد) أي الى شيء ينفعه بوجه من الوجوه  
• (تنبيه) • في قراءة هاد ما تقدم في قوله من واق • ولما قال لهم مؤمن آل فرعون ومن يضلل  
الله فإله من هاد ذكرهم مثالا بقوله تعالى (ولقد جاءكم) أي جاء آباءكم يوم معشر القبط ولكنه عبر  
بذلك دلالة على أنهم على مذهب الآباء كاجرت به العادة من التقليد ومن أنهم على طبعهم  
لا سيما ان كانوا لم يمارقوا مساكنهم (يوسف) أي نبي الله ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله اسحق بن  
خليل الله ابراهيم عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل زمن موسى  
عليه السلام (بالبينات) أي الآيات الظاهرات لاسيما في أمر يوم التناد (فمازلتم) أي  
ما برحتم أنتم تبعدون آياتكم (في شك) أي محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن (مما جاءكم به) من  
التوحيد وقال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تنتفعوا بالبينات تلك البينات  
ودل على عمادى شكهم بقوله تعالى (حتى اذا هلك) فهو غاية أي فمازلتم في شك حتى هلك (قلتم لن  
يعت الله) أي الذي له صفات الكمال (من بعده) أي يوسف عليه السلام (رسولا) أي أقمتم على  
كفركم وظننتم أن الله لا يجتد عليكم الحجة وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى  
الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده وقوله تعالى (كذلك) خبر مبتدأ مضمرة أي الامر  
كذلك أو مثل هذا الضلال (يضل الله) أي بما له من صفات القهر (من هو مسرف) أي مشرك  
متغال في الامور خارج عن الحدود (مرتاب) أي شاك فيما تشهد به البينات بغلبة الوهم  
والانهمالك في التقليد ثم بين تعالى ما لاجله بقوافي الشك والاسراف فقال سبحانه (الذين  
يجادلون) وهو مبتدأ أي يخاصمون خصاما شديدا (في آيات الله) أي المحيط بأوصاف الكمال  
لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها أظهر الآيات وكذا الآيات الدالة على وجوده سبحانه  
وتعالى وعلى ما هو عليه من الصفات والافعال وما يجوز عليه أو يستعمل (بغير سلطان) أي  
برهان (آناهم) وقوله (كبر) أي جدالهم (مقتا) خبر المبتدأ ويجوز في الذين أوجه أيضا منها  
أنه يدل من قوله تعالى من هو مسرف وانما جامع اعتبارا بمعنى من ومنها أن يكون بيانها ومنها  
أن يكون صفة له وجمع على معنى من أيضا ومنها أن نصب باضمارة عن وقال الزجاج قوله الذين  
يجادلون تفسير مسرف مرتاب بمعنى هم الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالها بالتكذيب

بغير سلطان أتاهاهم ككبره قتا (عند الله) أي الملك الاعظم (و) كبره قتا أيضا (عند الذين آمنوا) أي الذين هم خاصته ودلت الآية على انه يجوز وصفه تعالى بأنه مقت بعض عباده الا انها صفة واجبة التأويل في حق الله تعالى كالغضب والحياء والحب وقوله تعالى (كذلك) أي ومثل هذا الطبع العظيم (يطبع الله) أي الذي له جميع العظمة يدل على أن الكل من عند الله كما هو مذهب أهل السنة (على كل قلب متكبر) أي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله (جبار) أي ظاهر الكبر قويه قهار وقال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن قبول التوحيد والجبار في غير الحق قال الرازي كما ان السعادة في امرين التعظيم لامر الله والثقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبار كالمضاد للثقة على خلق الله وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتدوين الباء الموحدة ووصف القلب بالتكبر والتعجب لانه منبعهما كقولهم رأيت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر جبار فهي حينئذ مساوية لقراءة الباقيين بغير تنوين ثم ان فرعون عليه اللعنة أعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا (وقال فرعون يا هامان) وهو وزيره (ابن) وعرفه بشدة اهتمامه بالاضافة اليه في قوله (لن صرحا) أي بناء مكشوقا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشيء اذا ظهر (لعلني أبلغ الأسباب) أي التي لأسباب غيرها لعظمتها وتعليلها بالترجي الذي لا يمكن الا في الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يمد مارامه في عداد الممكن العادي ولما كان بلوغها أمر عظيم أوردته على غم مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاحكام تفضيما لانه ليتشوق السامع الى بنيانه بقوله (أسباب السموات) أي الامور الموصلة اليها وكل ما اذالك الى شيء فهو سبب اليه وقرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح وقرأ (فاطلع) حقه نصب العين وفيه ثلاثة أوجه أحدها أنه جواب الامر في قوله ابن لي فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله

يا ناق سيري عنقا فسيحا \* الى سليمان فتستريحا

وهذا أوفق لمذهب البصريين فانها قال أبو حيان انه منصوب على التوهم لان خبر اهل جاء مقرونا بأن كثيرا في النظم وقليل في التثنية فن نصب توهم ان الفاعل المرفوع الواقع خبرا منصوب بأن والعطف على التوهم كثيرا وان كان لا ينقسم اه ثالثها على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي والى هذا نحا الزمخشري وتبعه البيضاوي قال وهو الاول تشبيها للترجي بالثني والباقون بالرفع عطف على أبلغ أي فلهذا يتسبب عن ذلك ويتعقبه اني أتكلف الطلوع (الى اله موسى) ولعله أراد أن يبنى له صرحا في موضع عال يرصده فيه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى آياه أو ان يرى فساد قول موسى فان اخباره عن اله السماء يتوقف على اطلاع ووصول اليه وذلك لا يتأتى الا بالمدد الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لبلوغه بالله

تعالى وكيفية أسبابه (وَأَنى لَأَظننه) أى موسى عليه السلام (كاذباً) فى دعوى الرسالة  
 وفى أن له الها غيرى قال فرعون ذلك تمويهها (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين العظيم الشأن  
 (فزين) أى زين المزين النافذ الامر وهو اقله تعالى حقيقة بخلقه والزامة لأن كل ما دخل  
 فى الوجود من المحدثات فهو خلقه والشيطان مجازاً بالتسبب بالسوسة التى هى بخناق الله  
 تعالى (فرعون سوء علمه) فى جميع أمره فأقبل عليه راغباً فيه مع بعده عن عقل أقل ذوى العقول  
 فضلا عن ذوى الهمم منهم فضلا عن الملوك وأطاعه فيه قومه وقرأ غير الكوفيين (وصد)  
 بفتح الصاد أى نفسه ومنع غيره وقرأ الكوفيون بضمها أى منعه الله تعالى (عن السبيل) أى  
 طريق الهدى وهى الموصلة الى الله تعالى (وما كيد فرعون) أى فى ابطال ما جاء به موسى  
 عليه السلام (الافى تباب) أى خسار وهلاك عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه  
 • ولما كان فساد ما قال فرعون أظهر من أن يحتاج الى بيان أعرض المؤمن عنه (وقال  
 الذى آمن) أى مشيراً الى وهن قول فرعون بالاعراض عنه بقوله (يا قوم) أى يا من لا قيام لى  
 الاجم وأما غيرهم فى نصيحتهم (اتبعونى) أى كافوا أنتمكم اتباعى لأن السعادة غالباً تكون  
 فيما يكره الانسان (أهدكم سبيل) أى طريق (الرشاد) أى الهدى لانه مع سهولته واتساعه  
 موصل ولا بد الى المقصود وأما ما قال فرعون مدعياً انه سبيل الرشاد فلا يوصل الا الى النار  
 فهو تعريض به شبيه بالتصريح به وفى هذا الاشارة الى انه ينبغى لادنى أهل الايمان أن لا يخلى  
 نفسه عن الوعظ لغیره وقرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد النون وقصار وصلوا وأثبتها قالون وأبو عمرو  
 وصلوا وقصار حذفها الباقون وصلوا ووقفا ثم ان ذلك المؤمن زهدهم فى الدنيا وكرر (يا قوم)  
 كما كرر ابراهيم عليه السلام يا أيت زيادة فى استعطافهم بقوله (انما هذه الحياة) وحقرها  
 بقوله (الدنيا) اشارة الى دناءتها بقوله (متاع) اشارة الى انها جيفة لانها فى اللقمة من جلة  
 مدلولات المتاع فلا يتناول منها الا كما يتناول المضطر من الجيفة لانها دار النقلة والزوال  
 والترود والارتحال والاخلاد اليها هو أصل الشتر كاه ومنه تشعب جميع ما يؤدى الى حفظ  
 الله تعالى ويوجب الشقاوة فى العاقبة ثم رغبتهم فى الآخرة بقوله (وان الآخرة) أى لكونها  
 مقصودة بالذات (هى دار القرار) أى التى لا تحول منها اصلاً لانها الوطن المستقر قال بعض  
 العارفين لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والآخرة حرفة باقىة كانت الآخرة خيراً من الدنيا  
 فكيف والدنيا حرفة فان والآخرة ذهب باقى بل أشرف وأحسن وكأن التعميم فيها لانه  
 فكذلك العذاب فكان الترغيب فى نعم الجنان والترهيب من عذاب النيران من اعظم وجوه  
 الترغيب والترهيب والآية من الاحتياك ذكر المتاع أو لادبلاء على حذف التوسيع ثانياً  
 والقرار ثانياً لادبلاء على حذف الارتحال أو لانه قال ذلك المؤمن لقومه (من عمل سيئة) أى  
 ما يسوء من أى صنف كان الذكور والاناث المؤمنين والكافرين (فلا يجزى) أى من الملك  
 الذى لا ملك سواه (الامثلها) عدلانه لا يزداد عليها مقدار ذرة ولا أصغر منها (ومن عمل  
 صالحاً) أى ولو قل (من ذكر أو أنسى وهو) أى والحال انه (مؤمن) اذ لا يصح عمل بدون ايمان



(فأولئك) أي العالو الرتبة والهامة (يدخلون الجنة) أي بأمر من له الأمر كله بعد أن  
 تضاعف لهم أعمالهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم الباء وفتح الخاء والباقون بفتح الباء  
 وضم الخاء (يرزقون فيها) أي الجنة من غير احتياج إلى تحيل ولا إلى أسباب (بغير حساب)  
 لخروج ما فيها لكثرة عن الحصر فإن أدنى أهلها منزلة لو أضاف كل أهل الأرض لكفاهم  
 من غير أن ينقص من ملكه شيء وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حد له ورحمته غابت غضبه  
 وأما جزاء السيئة فن باب العدل فلذلك وقع الحساب فيها الثلاثي التلم قال الأصمباني فإذا  
 عارضنا عموماً الوعد بعمومات الوعد ترجح الوعد بسبق الرحمة الغضب فانم قدمت قواعد  
 المعتزلة ثم كرر الوعد عليهم بمقولته (ويا قوم ما) أي أي شيء من الحظوظ والمصالح (لي) في أي  
 (أدعوكم إلى النجاة) والجنة شفقة عليكم ورحمة لكم واعترافاً بجهنكم (وتدعونني إلى النار)  
 والهلاك بالكفر فلا يمتن الاحتياط لذكر العجاة الملازمة للإيمان أو لا دليل على حذف  
 الهلاك الملازم للكفران نانيا والنار نانيا دليل على حذف الجنة أو لا وقرأ نافع وابن كثير  
 وأبو عمرو وهشام بفتح ياء مالى والباقون بسكونها واتفقوا على سكون الياء من تدعونني \* ولما  
 أخبر ذلك المؤمن بقوله انما فهمم اجالا ينه بقوله (تدعونني) أي توقعون دعائي إلى  
 ما يبود انكم (لا تكفر) أي لا تجعل ان كافر (بالله) الذي له مجامع القهر والعز والعظمة  
 والكبرياء (وأشرك به) أي أجعل له شريكاً (ما ليس لي به) أي يربو بيته (علم) أي نوع من  
 العلم بصلاحيته لشيء من الشركه فهو دعاء إلى الكذب في شيء لا يجعل الاقدام عليه الا بالدليل  
 القطعي الذي لا يحتمل نوعاً من الشرك فالمراد بنبي العلم نبي الاله كانه قال وأشرك به ما ليس باله  
 وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكاً له \* ولما بين أنهم يدعونهم إلى الكفر بين أنه يدعوهم إلى  
 الايمان بقوله (وأنا أدعوكم) أي أوقع دعاءكم الآن وقبله وبعده (إلى العزيز) أي البالغ العزة  
 الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها وأما الأصنام  
 فانها أحجار منحوتة فكيف يعقل كونها آلهة وقرأ نافع وأبا عبد الله النون وقالون عدو يقصر  
 وورش بالمد لا غير والباقون بغير مد وقوله (الغفار) أي الذي يتكرر منه دائماً محو الذنوب  
 عينا وأثر الإشارة إلى انهم يجب عليهم أن لا يأسوا من رحمة الله تعالى بسبب اصرارهم على  
 الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان عزيزاً لا يغلب قادر الأيعارض لكنه غفار يغفر  
 كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة وقوله (لأجرم) رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق  
 وفاعله (أنما) أي الذي (تدعونني إليه) من هذه الانداد (ليس له دعوة) بوجه من الوجوه  
 فانه لا ادراك له هذا ان أريد ما لا يعقل وان أريد شيء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه  
 لا يقوم عليه دليل بل ولا شبهة موهمة (في الدنيا) أي التي هي محل الاسباب الظاهرة  
 (ولافي الآخرة) أي ليس له استجابة دعوة فيهما فسمى استجابة الدعوة دعوة اطلاقاً لا اسم أحد  
 المتضايقين على الآخرة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدنين تدان وقيل  
 ليس له دعوة أي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعى الربوبية ولا تدعوا إلى عبادتها وفي الآخرة

تبرأ من عابديها ثم قال (وَأَنْ مَرَدْنَا) أى مرجعنا (إلى الله) أى الذى له الاحاطة بصفات  
الكمال فيجازى كل أحد بما يستحقه (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ) أى المجاوزين للحدود الغريقتين فى هذا  
الوصف قال قتادة وهم المشركون لقوله تعالى (هم) أى خاصة (أصحاب النار) أى ملازموها  
وعن مجاهد هم السفاكون للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم هم المسرفون \* ولم يبلغ هذا  
المؤمن فى هذا الشأن ختم كلامه بجماعة لطيفة هى قوله (فَسْتَذْكُرُونَ) أى قطعاً بوعده لا خلف  
فيه مع القرب (مَا أَقُولُ لَكُمْ) حين لا يتفعلكم الذكرفى يوم الجمع الاعظم والزحام الذى يكون فيه  
القدم على القدم اذ رأيتهم الا هو ال والنكال والزوال ان قبلتم نعى أولم تقبلوه \* ولما خوفهم  
بذلك توعدوه وخوفوه بالقتل فعول فى دفع تحو يفهم وكبرهم ومكرهم على الله تعالى بقوله  
(وَأَقْوَمُ) أى انا الآن بسبب انه لا دعوة لغير الله (أمرى) أى فيما تمكروني (إلى الله)  
أى الذى احاط بكل شئ قدرة وعلما فهو يحصى منكم من شاء وهو وانما تعلم هذه الطريقة من  
موسى عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسى عليه السلام فى دفع ذلك الشر  
إلى الله تعالى فقال انى عدت برى وربى ~~كم~~ من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقرأ نافع  
وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون \* ولما علق تقوى يسه بالاسم العلم الجامع المقتضى  
للإحاطة علل ذلك بقوله (إِنَّ اللَّهَ) أى الذى لا يخفى عليه شئ (بصير) أى بالغ العلم (بالعباد)  
ظاهر او باطنا فيعلم من يستحق النصرة فينصره لا تصافه بأوصاف الكمال ويعلم من يمكر فيرد  
مكره عليه بماله من الاحاطة قال مقاتل فلما قال هذه الكلمات قصدوا قتله (فَوَقَاهُ اللَّهُ) أى  
حصل له وقاية تنجيهم منهم جزاء على تقويضه (سَيِّئَاتٍ) أى شذائذ (مما مكروا) دينا ودينا  
فنجاه مع موسى عليه السلام قال قتادة وكان قبلياته يدعى الوعدة سبحانه بقوله تعالى أنتما ومن  
اتبكما الغالبون \* ولما كان المكر السبي لا يوجب الا بأهله قال تعالى (وحاق) أى نزل محيطا  
بعدا حاطة الاغراق (بآل فرعون) أى فرعون وأتباعه لاجل اصرارهم على الكفر ومكرهم  
هذا ان قلنا ان الآل مشترك بين الشخص وأتباعه وان لم نقل ذلك فالاحاققة بفرعون من  
باب أولى لان العادة جرت انه لا يوصل الى جميع اتباع الانسان الا بعد اذلاله وأخذه (سوء  
العذاب) أى العرق فى الدنيا والنار فى الآخرة (فان قيل) قوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء  
العذاب معناه انه رجع اليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا  
وقع فيه منك فاذا فرس سوء العذاب بالعرق فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة لم يكن مكرهم  
واجبا اليهم لانهم لا يعذبون بذلك (أجيب) بأنهم هموا بشر فأصابهم ما وقع عليه اسم سوء  
ولا يشترط فى الحقيق أن يكون الحائق ذلك سوء بعينه وقوله تعالى (النار) فى اعرابه ثلاثة  
أوجه أحدها انه بدل من سوء العذاب قاله الزجاج ثانياً انه خبر مبتدأ محذوف أى هو أى  
سوء العذاب النار لانه جواب لسؤال مقدر وقوله تعالى (يعرضون) على هذين الوجهين  
يجوز ان يكون حال من النار وان يكون حال من آل فرعون ثالثاً انه مبتدأ وخبره يعرضون  
(عليه ما غدا وعشيها) أى صياح ومسه قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف

طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون  
 هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشياً  
 مادامت الدنيا وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض  
 عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وان كان من أهل النار  
 فن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يعثك الله تعالى اليه يوم القيامة \* ثم أخبر الله تعالى عن  
 مستقر آل فرعون يوم القيامة بقوله سبحانه وتعالى (ويوم تقوم الساعة) يقال لهم (ادخلوا  
 آل) أي يا آل (فرعون) أي هو بنفسه واتباعه لاجل اتباعهم له فيما أضلهم به (أشد  
 العذاب) وهو عذاب جهنم أجازنا الله تعالى نحن وأحبنا نامها فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد  
 عذاب جهنم وهذه الآية تص على اثبات عذاب القبر كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب وقرأ  
 نافع وحفص وحزرة والكسائي بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الخاء وصلوا وابتداء على أمر  
 الملائكة بادخالهم النار والباقون يوصل الهمزة وضم الخاء وصلوا في الابداء بضم الهمزة  
 واختلف في العامل في قوله تعالى (واذ) على ثلاثة أوجه أحدها انه معطوف على غدوا  
 فيكون معمولاً ليعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله أبو البقاء فانه معطوف على  
 قوله اذا القلوب لدى الخناجر قاله الطبري وتظرفيه لبعدهما يتنهما وثالثها انه منصوب بانحمار  
 اذ كراى واذا كراى أشرف الملقى لقوم اذا (يتحاجون) أي الكفار (في النار) أي يتخاصمون  
 فيها أتباعهم ورؤسائهم مما لا يفهمهم (فيقول الضعفاء) أي الاتباع (للذين استكبروا)  
 أي طلبوا أن يكونوا كبراءهم الرؤساء (أنا كالكلم) أي دون غيركم (تبعاً) أي أتباعاً فكبرتم  
 على الناس بنا (فهل أنتم) أيها الكبراء (مغنون) أي كافون ومجزئون وحاملون (عنا  
 نصيباً من النار) \* (تنبيه) \* تبعاً اسم جمع لتابع ونحوه خادم وخدم قال البغوي والتبع  
 يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحده  
 وجمعه أتباع وقيل انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل أي تابعين وقيل مصدر واحد كنه على  
 حذف مضاف أي ذوى تبع ونصيباً منصوب بفعل مقدر يدل عليه قوله مغنون وتقديره  
 هل أنتم دافعون عنا نصيباً وقيل منصوب على المصدر قال البقاعي كما كان شيئاً كذلك الأثرى  
 الى قوله تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً في موضع غنى فكذلك نصيباً  
 ومن النار صفة لنصيباً (قال الذين استكبروا) أي من شدة ما هم فيه (أنا كل) أي نحن  
 وأنتم (فيها) فكيف تغني عنكم ولو قدرنا أغنيانا عن أنفسنا (ان الله) أي المحيط  
 بأوصاف الكمال (قد حكّم) بالعدل (بين العباد) أي فادخل أهل الجنة دارهم وأهل  
 النار دارهم فلا يغني أحد عن أحد شيئاً فعد ذلك يحصل اليأس للاتباع من التبوعين  
 فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما حكى الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى (وقال الذين  
 في النار) أي جميعاً الاتباع والتبوعون (لخزنة جهنم) أي لخزنتها فوضع جهنم موضع  
 المضمحل للتهويل أو لبيان محلهم فيها قال البيضاوي ويحتمل أن تكون جهنم أبعد دوراً عنها

من قولهم بترجهنام أى بكسر الجيم والهاء وتشديد النون بعيد القعر وقال بعض أهل اللغة  
هى مشتقة من الجهومة وهى الغلظ سميت بذلك لغلظ عذابها وهى بحميمة منعت من الصرف  
للتعريف والمجزة وقيل عريضة ومنعت من الصرف للتعريف والتأنيث (ادعوا ربكم)  
أى المحسن اليكم بانكم لا تجدون الممان النار (يخفف عنا يوماً) أى قدر يوم (من العذاب)  
أى شيئاً فبما ظرف ليخفف ومنه قول يخفف محذوف أى يخفف عنا شيئاً من العذاب فى يوم  
ويجوز أن يكون من العذاب هو المفعول ليخفف ومن تبعيضية ويوماً ظرفاً سألوا أن يخفف  
عنهم بعض العذاب لا كله فى يوم مما لا فى كل يوم ولا فى يوم معين (قالوا) أى الخزنة لهم (أولئك  
نأتىكم) على سبيل التجدد شيئاً فى اثرشئ (رسلكم) أى الذين هم منكم وأنتم جديرون بالاصفاء  
اليهم والاقبال عليهم لأن الجنس الى الجنس أميل والانسان من مثله أقبل (بالبينات) أى التى  
لاشئ أو وضع منها أرادوا بذلك الزامهم بالحجة وتوابعهم على اضعاءهم أوقات الدعاء وتعطيلهم  
أسباب الاجابة وقرأ أبو عمرو بسكون السين والباقون بضمها وكذلك رسلنا ورسلهم (قالوا)  
أى الكفار (بلى) أى أنونا كذلك (قالوا) أى الخزنة لهم (فادعوا) أى أنتم فانا لا نشفع لكافر  
(ومادعاء الكافرين) أى الذين ستروا امرأى عقولهم عن أنوار الحق (الافى ضلال) أى  
ذهاب فى غير طريق موصل كما كانوا هم فى الدنيا كذلك فى الدنيا من زرع شيئاً  
فى الدنيا حصده فى الآخرة والآخرة ثمرة الدنيا لا تمر الا من جنس ما غرس فى الدنيا وفى هذا  
اقناطهم عن الاجابة \* ولما ذكر تعالى وقاية موسى عليه السلام وذلك المؤمن من مكر فرعون  
وقومه من بقوله تعالى (انا) أى بالناس من العظمة (اننصر رسلنا) أى على من عاداهم  
(والذين آمنوا) أى اسموا بهذا الوصف (فى الحياة الدنيا) أى بالزامهم طريق الهدى  
الكفيلة بكل فوز وبالجنة والقلبة وان غلبوا فى بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو  
بأن يقبض الله تعالى لاعدائهم من يقتص منهم ولو بعد حين وقل أن يتمكن اعداؤهم  
من كل ما يريدون منهم (ويوم يقوم الاشهاد) وهو جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم  
من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبيا والمؤمنين أما الملائكة فهم  
الكرام الكاتبون يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالكذب وأما الانبياء عليهم  
الصلاة والسلام فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً  
وأما المؤمنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقوله  
تعالى (يوم) بدل من يوم قبله أو بيان له أو نصب باضمار أعنى يوم (لاتنفع الظالمين) أى الذين  
كانوا عريقين فى وضع الاشياء فى غير موضعها (معدرتهم) أى اعتذارهم (فان قيل) هذا يدل  
على انهم يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف هذا مع قوله تعالى ولا  
يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن هذا لا يدل على أنهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا ان ليس  
عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضاً يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون  
فى وقت ولا يعتذرون فى وقت آخر وقرأ نافع والكوفيون بالياء التحتية والباقون بياء الخطاب

(ولهـم) أى خاصة (اللعنة) أى البعد عن كل خير مع الاهانة بكل ضير (ولهـم) أى خاصة (سوء الدار) أى الآخرة أى أشد عذابها \* ولما بين تعالى انه ينصر الانبياء والمؤمنين فى الدنيا والآخرة ذكر نوعاً من أنواع تلك النصرة فى الدنيا فقال تعالى (ولقد آتينا) أى بما اتانم من العزة (موسى الهدى) أى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصف والشرائع (وأورثنا) أى بما اتانم من العظمة (بني اسرائيل) أى بعدما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أى الذى أنزلناه عليه وآتينا الهدى به وهو التوراة آياتها هو الارث لا ينزعهم فيه أحد توأرتوه خلقاً عن سلف ولا أهل له فى ذلك الزمان غيرهم وأورثناهم من بعد موسى عليه السلام حال كونه (هدى) أى بياناً عاماً لكل من تبعه (وذكرى) أى عظة عظيمة (لاولى الابواب) أى القلوب الصافية والعقول الواقية الشافية \* ولما بين تعالى أنه ينصر رسوله وينصر المؤمنين فى الدنيا والآخرة وضرب المثال فى ذلك بحال موسى عليه السلام خاطب بعد ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فاصبر) أى بأشرف الخلق على أذى قومك كما صبر موسى عليه السلام على أذى فرعون (ان وعد الله) أى الذى له الكمال كله (حق) أى فى اظهاري دينك واهلاك أعدائك قال الكلبي نسخت آية القتل آية الصبر وقوله تعالى (واستغفر لذنبك) اما أن يكون المصدر مضافاً للمفعول أى لذنب أمتك فى حقتك واما أن يكون ذلك تعبداً من الله تعالى ليزيده به درجة وليصير سنة يستن به من بعده (وسبح بحمدي ربك بالعشي) هو من بعد الزوال (والابكار) قال الحسن رضى الله عنه يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس رضى الله عنهما الصلوات الخمس وذلك أن العشي من زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون فى آيات الله واتصل الكلام بعرضه ببعض على الترتيب المتقدم الى ههنا بـه تعالى على الماهية التى تحمل الكفار على تلك الجادلة فقال تعالى (ان الذين يجادلون) أى يناصبون العداوة (فى آيات الله) أى الملك الاعظم الدالة على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذى فى تذكرة صلاح الدين والدنيا (بغير سلطان) أى برهان (اتاهـم ان) أى ما (فى صدورهم) أى بصددهم عن سواء السبيل قال ابن عادل ما حلهم على تكذيبك (الاكبر) أى تكبر عن الحق وتعظم عن التفكير والتعلم وآذن ذكر الصدور دون القلوب بعظمه جداً فانه قد ملا القلوب وفاس منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها (ماهم بيالغيه) قال مجاهد ما هم بيالغى مقتضى ذلك الكبر لان الله تعالى مداهـم وقال ابن قتيبة ان فى صدورهم الاكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وماهم بيالغى ذلك قال المفسرون نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالى (فاستعذ) أى اعتم (بالله) أى المحيط بكل شئ من فتنة الدجال ودين كيد من يحسدك ويبغى عليك وغير ذلك كما عاذا به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك به كما أنجز له ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه هو) أى

وحده (السميع) أى لا قوالهم (البصير) أى لا فعالهم ولما وصف تعالى جده لهم  
 فى الآيات بأنه بغير سلطان ولا حجة ذكرا له إذ أمنا لا نقال (نطلق السموات) أى على عظمها  
 وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها (والارض) أى على ما ترون من عجائبها وكمثرة  
 منافعها (أكبر) عند كل من يعقل (من خلق الناس) أى خلق الله تعالى لهم لانهم شعبة  
 يسيرة من خلقه ما فعل قطعا أن الذى قدر على ابتدائه مع عظمه قادر على إعادة الناس على  
 حقارتهم (ولكن أكثر الناس) وهم الذين يشكرون البعث وغيره (لا يعلمون)  
 أى لا علم لهم أصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم \* (تنبيه) \* تقدير هذا الكلام أن  
 الاستدلال بالشئ على غيره ينقسم ثلاثة أقسام أحدها أن يقال لما قدر على الأضعف  
 وجب أن يقدر على الأقوى وهذا قاسد ثانيها أن يقال لما قدر على الشئ قدر على مثله فهذا  
 الاستدلال صحيح لما ثبت فى الأصول أن حكم الشئ حكم مثله ثالثها أن يقال لما قدر على  
 الأقوى الأكل قدر على الأقل الأزل بالأولى وهذا الاستدلال فى غاية الصحة والقوة ولا يرتاب  
 فيه عاقل البتة ثم إن هؤلاء القوم يسلون أن خالق السموات والارض هو الله تعالى ويعلمون  
 بالضرورة أن خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكان من حقهم أن يقروا بأن  
 القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على إعادة الانسان الذى خلقه أو لا فهذا  
 برهان كلى فى افادة هذا المطلوب ثم إن هذا البرهان على قوته صار لا يعرفه أكثر الناس والمراد  
 منه الذين يشكرون الحشر والتشر فقطه ربه هذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون فى آيات الله  
 بغير سلطان أناهم ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب \* ثم لما بين تعالى أن الجدال  
 المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالهجة والبرهان كيف يكون تنبيه  
 تعالى على الفرق بين البيانين بذكر مثال فقال تعالى (وما يستوى) أى بوجه من الوجود من  
 حيث البصر (الاعمى والبصير) أى وما يستوى المستدل والجاهل المقلد (والذين آمنوا) أى  
 أوجدوا حقيقة الايمان (وعملوا الصالحات) أى تحققتا لايمانهم (ولا المسىء) أى وما يستوى  
 المحسن والمسىء فلا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين أعاد معه  
 لا تو كيدا والمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل وبالثانى التفاوت بين الآتى بالاعمال  
 الصالحة وبين الآتى بالاعمال السيئة الباطلة \* ولما تقر هذا على هذا النحو من الوضوح الذى  
 لا مانع للانسان من فهمه ورسوخه قال تعالى (قليل ما يتذكرون) أى يتعظ المجادلون وان كانوا  
 يعلمون أن العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أنه قليل ما يتذكرون  
 فبين فى النوع الاول المعنى من الاعتقاد أنه علم أو جهل وفى النوع الثانى المعنى من العمل انه  
 عمل صالح أو فاسد \* (تنبيه) \* التقابل يأتى على ثلاث طرق احدها أن يجاور المناسب  
 ما يناسبه كهذه الآية والثانية أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالأعمى  
 والأصم والبصير والسميع الثالثة أن يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى  
 وما يستوى الأعمى والبصير والظلمات ولا النور وكل ذلك تضمن فى البلاغة وقدم الأعمى فى نفي

التساوي لهيئته بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات للمذكورين بعد الأخبار عنهم أو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة والباقون بياء الغيبة نظرا لقوله تعالى إن الذين يجادلون وهم الذين التفت إليهم في قراءة الخطاب \* ولما قرر الدليل على إمكان وجود يوم القيامة أردفه بالأخبار عن وقوعها فقال تعالى (إن الساعة) أي القيامة التي يجادل فيها المجادلون (لا آية) أي للعكم بالعدل بين المسي والمحسن لأنه لا يسوغ في الحكمة عند أحد من الخلق أن يساوي بين محسن عبده ومسيئهم (لا ريب) أي لا شك (فيها) أي في آياتها \* ولما حصل الحال في أمرها إلى حد لا يخفى به أصلا نفي الإيمان دون العلم فقال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بها وما ذلك إلا لعناد بعضهم ولقصور نظر الباقين على الحس \* (تنبيه) \* يأتي قبل قيام الساعة فتن أعظمها فتنة المسيح الدجال فعن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة أكبر من خاق الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال إنه أعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية ولا يبي داود والترمذي عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إنى أنذركوه وما من نبي إلا أنذرقومه ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور والله سبحانه ليس بأعور وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وأنذرقومه وأمتة الأعور الدجال إلا وأنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية مسلم بين عينيه لفرفر بقرؤه كل مسلم وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلاث قطرها والارض ثلاث نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات خرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول أرأيت إن أحيت لك ابلك الست تعلم إنى ربك فيقول بلى فيمثل له مثل ابلك أحسن ما تكون ضرعا وأسفة ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول إن أحيت لك أباك وأحيت لك أخاك ألت تعلم إنى ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم فأخذ يلتمسنى الباب فقال مهيم أسماء قلت يا رسول الله قد دخلت أفقدت نأبذكر الدجال قال إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه والافر بنى خليفتى على كل مؤمن قالت فقلت يا رسول الله أنا التي من عيقتنا فما تخبره حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديم وروى البيهقي بسنده عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكك الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاللوم واليوم كاللوم كاضطرام السعة في النار انتهى والذي جاء في صحيح

مسلم قالت قالت يا رسول الله ما ~~مكته~~ في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كسهر  
 ويوم كجمعة وسائر ايامه كما يامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة يكنينا فيه صلاة  
 يوم قال لا اقدر واله قدر اقلنا يا رسول الله وما السراع في الارض قال ~~كك~~ الغيث استدبرته  
 الريح وفي رواية ابي داود فن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها  
 جوارك من فتنه ومنه ثم ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه  
 عند باب لدفيقتله وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع  
 الدجال اذا خرج ماء وناارا فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه  
 ماء فنار تحرق فن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى الناس أنه نار فانه ماء عذب بارد  
 وعن ابي هريرة الأحدثكم حديثا عن الدجال ما حدثت به نبي قومه انه أعور وانه يحيى  
 بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هي النار وانى أنذركم كما أنذروا قومهم وعن المغيرة بن  
 شعبه قال ما سألت أحدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر ما سألته وانه قال لي  
 ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبال خبز ونهر ماء قال هو أعون على الله من ذلك اى  
 أهون على الله من أن يجعل ما خلق الله بيده مضلا للمؤمنين ومشككا للقلوب هم بل  
 انما جعله الله تعالى ليزدادوا ايمانا وتثبت الحجمة على الكافرين والمنافقين وليس معناه ليس  
 معه شئ من ذلك لما مر في الحديث ان معه ماء وناارا واذكر فيه أحاديث كثيرة وفي هذا  
 القدر تذكرة لاولى الالباب أجازنا الله تعالى وأحببنا من فتنته آمين \* ولما بين تعالى ان  
 القول بالقيامه حق وكان من المعالوم بالضرورة ان الانسان لا يتفجع في يوم القيامة  
 الا بطاعة الله والتضرع اليه لاجرم كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات \* ولما كان أشق  
 انواع الطاعات الدعاء والتضرع لاجرم أمر الله تعالى به فقال سبحانه (وقال ربكم) اى  
 المحسن اليكم بهدايتكم ووعدكم النصر (ادعوني) اى اعبدوني دون غيري (أستجب لكم)  
 اى أتبكم واغفر لكم بقرينة قوله تعالى (ان الذين يستكبرون) اى يوجدون الكبر  
 (عن عبادتي) اى عن الاستجابة لى فيما دعوت اليه من العبادة بالمجادلة فى آياتى والاعراض عن  
 دعائى (سيدخلون) اى بوعد لا خلف فيه (جهنم) فتلقاهاهم جزاء على كفرهم بالتجهوم والعبوسة  
 والكراهة (داخرين) اى صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكثار  
 الصارف عنه منزلا منزلة للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وروى عن أنس ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مع العبادة وعن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه (فان قيل) انه صلى الله عليه وسلم قال  
 حكاية عن ربه عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته أفضل ما أعطى السائلين فهذا يقتضى  
 ان ترك الدعاء أفضل فكيف من لم يسأل الله يغضب (أجيب) بأنه ان كان مستغرقا فى  
 الثناء على الله تعالى فهو أفضل من الدعاء لان الدعاء طلب الجنة والاستغراق فى معرفة الله تعالى  
 وجلاله أفضل من طلب الجنة والا فالدعاء أفضل وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله



صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ الآية (فان قيل) كيف قال تعالى  
 ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له (أجاب) الكعبى بأن الدعاء انما يصح  
 بشرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم  
 سأل نفسه فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء فمافائدة الدعاء وأجاب عنه بان فيه  
 الفزع والانقطاع الى الله تعالى وأجاب الرازى عن الاول بأن كل من دعا الله تعالى وفي قلبه ذرة  
 من الاعتماد على ماله وجهه وأصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة مادعا لله تعالى الا باللسان وأما  
 القلب فهو يقول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا الانسان مادعا ربه وأما اذا  
 دعا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله تعالى فالظاهر أنه يستجاب له اه وقال  
 القشيري الدعاء مفتاح الاجابة واسنانه لقمة الحلال وقرأ ابن كثير وشعبة بضم يا سيدخلون وفتح  
 الخاء والباقون بفتح الباء وضم الخاء وولما أمر الله تعالى بالدعاء فكانه قيل الاشياء تتعال بالدعاء  
 لا بد وأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة بما للدليل على وجود الاله القادر فقال تعالى مفتتحا  
 بالاسم الاعظم (الله) أى المحيط بصنات الكمال (الذى جعل لكم) لاغيره (الليل) أى مظلم  
 (لتسكنوا فيه) راحة ظاهرة بالنوم الذى هو الموت الاصفرو راحة حقيقية بالعبادة التى هى  
 الحياة الدائمة (والنهار مبصرا) لتنظروا فيه باليقظة التى هى احياء بالمعنى قال آية من الاحتيال  
 حذف الظلام أو لا تكونه ليس من النعم المقصودة فى نفسها المادل عليه من الابصار الذى هو  
 المقصود من نعمة الضياء المقصود فى نفسه وحذف الانتشار لانه بعض ما ينشأ عن نعمة الابصار  
 لمادل عليه من السكون الذى هو المقصود الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن  
 اعتمدها واستزادها (فان قيل) هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا  
 فيه والنهار تبصروا فيه أو يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا وليكنتم لم يقل ذلك  
 فما الحكمة فيه وفي تقديم ذكر الليل (أجيب) عن الاول بأن الليل والنوم فى الحقيقة طبيعة  
 عدمية فهو غير مقصود بالذات وأما النور واليقظة فأمر وجودية مقصودة بالذات وقد بين  
 الشيخ عبد القادر فى دلائل الاجازان دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال أقوى من دلالة  
 صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب فى الفرق (وأجيب) عن الثانى بأن الظلمة طبيعة عدمية  
 والنور طبيعة وجودية والعدم فى المحذات مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى فى سورة  
 الانعام وجعل الظلمات والنور (ان الله) أى ذا الجلال والاكرام (لذوق فضل) أى عظيم جدا  
 باختياره (على الناس) أى كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر  
 الناس لا يشكرون) الله فلا يؤمنون وينسبون افعاله سبحانه الى غيره جهلا ويعملون بما  
 يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى ولكن أكثر الناس  
 ولم يقل ولكن أكثرهم ولا يكثر ذكر الناس (أجيب) بأن فى هذا التكرار تخصيص الكفران  
 النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لظالم  
 ككفار \* ولما بين تعالى تلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى (ذلكم) أى

ايها المخاطبون (الله) أي الملك الاعظم المعلوم لكل احد المتميز عن كل شيء بالافعال التي  
 لا يشاركه فيها أحد (ربكم) أي الربى لكم المحسن اليكم (خالق كل شيء) أي بما ثبت من تمام  
 قدرته لانه (لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية فهي أخبار  
 مترادفة واذا كان خالق كل شيء (فأنى) أي فكيف ومن أي وجه (توفكون) أي تصرفون  
 عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك) أي مثل هذا الصنف البعيد عن مناهج العقلاء (يؤفون)  
 أي يصرف (الذين كانوا) أي مطبوعين على أنهم (بآيات الله) أي ذى الجلال والكمال  
 (يجهلون) أي يشكرون عنادا ومكابرة \* ولما كان دلائل وجوده تعالى امان تكون من  
 دلائل الآفاق وهي غير الانسان وهي أقسام وذكورها أحوال الليل والنهار كما تقدم ذكر  
 أيضا منها ههنا الارض والسما فقل تعالى (الله) أي الذى له الاحاطة الكاملة بكل شيء  
 (الذى جعل) أي وحده (لكم الارض) أي مع كونها فراشا مهدا (قرارا) مع كونها فى غاية  
 الثقل ولا تمسك لها سوى قدرته (والسما) أي على علوها وسعتها مع كونها أفلا كدائرة  
 بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاطلام (بناء) مظلة كالقبة من غير عماد  
 وحامل \* ثم ذكر دلائل النفس وهي دالة أحوال بدن الانسان على وجود الصانع القادر  
 الحكيم بقوله تعالى (وصوركم) والتصوير على غير نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام  
 القدرة مختار (فأحسن صوركم) على أشكال وأحوال مع أنها أحسن الصور ليس  
 فى الوجود ما يشبهها لم يخلق الله تعالى حيوانا أحسن صورة من الانسان كما قال تعالى فى أحسن  
 تقويم قال ابن عباس رضى الله عنهم ما خلق الانسان فأثمم معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن  
 آدم يتناول بفيه \* ولما ذكر تعالى المساكن والساكن ذكرا ما يحتاج اليه فى مدة السكن فقال  
 سبحانه (ورزقكم من الطيبات) أي الشهية الملائمة للطباع وقيل هو ما خلق الله تعالى  
 لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب وعن الحسن انه قال لما خلق الله تعالى آدم  
 عليه السلام وذرته قالت الملائكة عليهم السلام ان الارض لاتسعهم قال الله تعالى فانه  
 ساعل موتا قالوا اذ الالهين لهم العيش قال تعالى فانى ساعل أملا \* ولما دل هذا على التفرد قال  
 تعالى على وجه الاتحاح (ذلكم) أي الرفيع الدرجات (الله) أي المالك لجميع الملك (ربكم)  
 أي المحسن اليكم لا غيره (فتبارك) أي ثبت ثباتا عظيما مع اليمين والخير وحسن المدد والفيض  
 (الله) المختص بالكمال (رب العالمين) كلهم فهو المحسن اليهم بالترية وغيرها \* ثم نبه تعالى  
 بقوله سبحانه (هو الحى) بما يفيد الحصر بأنه لا حى على الدوام الا هو ثم نبه تعالى على وحدانيته  
 بقوله سبحانه (لا اله الا هو) ثم أمر العباد بالاخلاص فى الدعاء فقال تعالى (فادعوه)  
 أي اعبدوه (مخلصين له الدين) أي من كل شرك جلى أو خفى \* ولما كان تعالى موصوفا  
 بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له (الحمد) أى الاحاطة بأوصاف الكمال (الله) أي  
 المسمى بهذا الاسم الجامع لمعاني الاسماء الحسنى (رب العالمين) أي الذى رباهم هذه  
 التربية وقال القراء هو خير وفيه اضممار الامر ومجازه فادعوه واجدوه وعن ابن عباس

رضى الله عنهم من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين \* ولما أورد على  
 المشركين تلك الأدلة الدالة على إثبات اله العالم أمره بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء الذين  
 يجادلونك في البعث مقابلا لانكارهم بالتوكيد (التي نهيت) أي ممن لانهم لغيبه نهياعاما  
 يبراهين العقول ونهيا خاصا بأدلة النقل (ان أعبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون  
 الله) أي الذي له الكمال كله قال البقاعي ودل على أنه ما كان متعبدا قبل البعث بشرع أحد  
 بقوله (لما جاءني البينات) أي الحجج وهي ما تقدم من الدلائل الدالة على أن اله العالم قد ثبت كونه  
 موصوفا بصفات الجلال والعظمة وصرح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق اله وأما الاجار  
 المنحوتة والاشباب المصورة فلا تصح أن تكون شركاء له \* ثم نبه على أنه تعالى كما يستحق الافراد  
 بالعبادة لذاته يستحقها شكر الاحسانه بقوله (من ربي) أي المربي لى تربية خاصة هي أعلى من  
 كل مخلوق سواى فانأعبده عبادة تفوق عبادة كل عابد \* ولما أمره بما ينهى عنه أمره بما يتحلى  
 به فقال (وأمرت أن أسلم) أي حين دعى الى الكفر (لرب العالمين) لان كل ما سواه من يوب له  
 فالاقبال عليه خسار واذا نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمر به هذا الكون الامر  
 والناهي هو رب العالمين كان غيره مشاركا له في ذلك لا محالة \* ولما استدلل تعالى على اثبات  
 الالهية بدليل الآفاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر الدليل على اثبات اله  
 القادر بخلق الانفس وهو نوعان أحدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثانى  
 وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وحينئذ الى آخر الشيوخوخة والموت فقال  
 تعالى (هو) أي لا غيره (الذى خلقكم من تراب) أي بخلق أيكم آدم عليه السلام منه قال  
 الرازى وعندى لاحاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى  
 مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية والحال فى ذلك  
 الحيوان كالحال فى تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات انما  
 يكون من التراب والماء فثبت أن كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة كما  
 قال تعالى (ثم من نطفة) أي من منى (ثم من علقة) أي دم غليظ متباعد حله عن حال النطفة  
 كما كان حال النطفة متباعدة عن حال التراب (ثم) بعد ان جرت شؤون أخرى (يخرجكم) أي  
 يجدد اخر اجكم شيئا بعد شي (طفلا) أي أطفالا والتوحيد لارادة الجنس أوعلى تأويل كل  
 واحد منكم لا تملكون شيئا ولا تعلمون شيئا (ثم) يدرجكم فى مدارج التربية صاعدين بالقوة  
 فى أوج الكمال طورا بعد طور وحالا بعد حال (لتبلغوا أشدكم) أي تكامل قوتكم من  
 الثلاثين سنة الى الاربعين وعن الشعبي صغر الغلام لسبع سنين ويحتمل لاربع عشرة وينتهى  
 طوله لاحدى وعشرين وينتهى عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين (ثم)  
 بهبطكم بالضعف والوهن فى مهاوى السفول (لتكونوا شيوخا) ضعفاء غرباء قد ماتت  
 قوتكم ووهنت أركانكم وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون  
 يكسرها (ومنكم من توفى) بقبض روجه (من قبل) أي قبل حال الشيخوخة أو قبل حال

الاشدية أو قبل هذه الاحوال اذا خرج \* (تنبيه) \* قوله تعالى لتبلغوا أشدكم متعلق قال  
 الزمخشري بفعل محذوف تقديره ثم يبيحكم لتبلغوا أشدكم وكذلك لتكونوا أو ما قوله (وتبلغوا)  
 أى كل واحد منكم (أجلامسى) فعناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلامسى وهو وقت الموت  
 وقيل يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) أى ما فى ذلك من العبر والحجج وتستدلون بهذه  
 الاحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى \* ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونها ترابا الى  
 ان بلغت الشيفونخة واستدل بهذه التقديرات على وجود الاله القادر أنيج قوله تعالى (هو)  
 أى لاغيره (الذى يحيى ويميت) كما شاهدونه فى أنفسكم فكأن الانتقال من صفة الى صفة  
 أخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت  
 وبالعكس يدل على الاله القادر \* ولما كانت ارادته لا تكون الا تامة تسبب عن ذلك قوله  
 تعالى (فاذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان من القيامة أو غيرها (فانما يقول له كن  
 فيكون) فلا يحتاج فى تكويته الى عدة وتجشم كفة وقرأ ابن عامر بنصب النون والباءون  
 بالرفع وتقدم توجيه ذلك فى سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون فى آيات الله  
 مخاطبا بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ألتر) أى يا أنور الناس قلبا وأصفاهم لبنا (الى  
 الذين يجادلون) أى بالباطل (فى آيات الله) أى الملك الاعظم (أنى) أى كيف ومن أى وجه  
 (يصرفون) أى عن التصديق وتكرير ذم المجادلة بتعدد الجادل والمجادل فيه أولئك يدوقونه  
 تعالى (الذين كذبوا) يجوز أن يكون بدلا من الموصول قبله أو بيانا وبعثا وخبره بتد محذوف  
 أو منصوبا على الذم (بالكتاب) أى بسببه فى جميع ماله من الشؤون التى تفوق الحصر وهو  
 القرآن أو يجنس الكتب السماوية (وعما أرسلنا) أى على ما لنا من العظمة (به رسلا) أى  
 من جميع الملل والشرائع بكتاب كان أو غيره ولذا تسبب عنه ثم يدبرهم فى قوله تعالى (فسوف  
 يعلمون) أى بوعده صادق لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا وقوله تعالى (اذا اغلغل  
 فى أعناقهم) ظرف ليعلمون (فان قيل) سوف للاستقبال واذلماضى فهو مثل قولك سوف  
 أصوم أمس (أجيب) بأن المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله  
 تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بالفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال قالوا وكما تقع  
 اذا موقع اذنى قوله تعالى واذا رأوا تجارة أولها وانقضوا اليها كذلك تقع اذموقعها وقوله  
 تعالى (والسلاسل) عطف على الاغلال فتكون فى الاعناق والسلاسل معروفة أو مبتدأ  
 خبره محذوف تقديره فى ارجلهم وخبره (يسهبون) والعائد محذوف أى يها والسهب الجمر  
 بهنق والسحاب من ذلك لان الريح تجره وأنه يجرم الماء (فى الحميم) أى الماء الحار الذى  
 يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا (ثم فى النار يسهبون)  
 أى يلغون فيها وتقدمهم مكر دسبهم كما يسجر التنوير بالخطب كما قال تعالى وقودها الناس  
 والحجارة والسجيرا الخليل الذى يسجر فى مودة خذله كقولهم فلان يحترق فى مودة فلان هذه  
 كيفية عقابهم (ثم قيل لهم) تبكيتم أى بعد ان طلل عذابهم وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجردوا

قوله وأكدا التعبير  
الخ كذا في النسخ  
ولا يحتج ما فيه ٥١

ناصر يخلصهم ولا شاقما يخلصهم (أين) واكدا التعبير عنهم بأداة ما لا بعقل في قوله تعالى  
(ما كنتم) أي دائماً (تشركون من دون الله) أي معه وهي الاصنام (قالوا اضلوا) أي غابوا  
(عنا) فلا زراهم كما ضللنا نحن في الدنيا عما ينفعنا وذلك قبل أن تقرن آلهتهم أوضاعاً وعنا فلم  
نجد منهم ما كنا توقع منهم (بل لم تكن ندعو) أي لم يكن ذلك في طباعنا (من قبل) أي قبل  
هذه الاعادة (شيئاً) لتكون قد أشركنا به أنكروا عبادتهم إياها كما قولهم في سورة الانعام  
والله ربنا ما كنا مشركين وقال الحسن بن الفضل أي لم تكن نصنع من قبل شيئاً أي ضاعت  
عبادتنا لها كما يقول من ضاع علمه ما كنت أعمل شيئاً ثم يقرون بالهتيم كما قال تعالى انكم  
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها (كذلك) أي مثل اضلال هؤلاء  
المكذبين (يضل الله) أي المحيطة علماً وقدرة عن القصد النافع من حجة وغيرها (الكافرين)  
أي الذين ستروا امرأتهم لئلا ينجلي فيها الحق ثم صار لهم ذلك ديناً (ذالكم) أي الجزاء  
العظيم (بما كنتم) أي دائماً (تفرحون) أي تبالغون في السرور وتستغرقون فيه  
(في الارض بغير الحق) من الاشرار وانكار البعث فأشعر ذلك أن السرور لا ينبغي الا اذا  
كان مع كمال هذه الحقيقة وهي الثبات دائماً لله فروح به وذلك لا يكون الا في الجنة (وبما) أي  
ويسبب ما (كنتم تفرحون) أي تبالغون في الفرح مع الاشرار والبطور والنشاط الموجب  
للاختيال والتجتر والخفة بعدم احتمال الفرح \* (تنبية) \* قوله تعالى تفرحون وتفرحون  
من باب التخييل والمحرف وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بحرف \* ولما كان السياق لدم الجدال  
وكان الجدال انما يكون عن الكبر قال تعالى (ادخلوا) أي أيها المكذبون (أبواب جهنم)  
أي الابواب السبعة المقسومة لكم قال تعالى اها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم  
وسميت جهنم لانها اتلفت صاحبها تكبر وعبوس وتجهم (خالدين فيها) أي مقدرين الخلود  
(فبئس مثوى) أي ماوى (المتكبرين) أي عن الحق والمخصوص بالذم محذوف أي مثواكم  
(فان قيل) كان قياس النظم أن يقول فبئس مدخل المتكبرين كما تقول نزلت بيت الله فقم  
المزار وصليت في المسجد فقم المصلي (أجيب) بان الدخول لا يدوم وانما يدوم المثوى فلذلك  
خصه بالذم وان كان الدخول أيضاً مذموماً \* ولما زيف تعالى طريقة المجادلين في آيات الله أمر  
نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله (فاصبر) أي على أذاهم بسبب المجادلة وغيرها (ان وعد  
الله) أي الجوامع لصفات الكمال (حق) أي بنصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه (فأما  
زيتك) قال الزمخشري أصله فان ترك وما مزيدة اتأ كيد معنى الشرط ولذلك ألحقت  
النون بالفعل الأتزان لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك قال أبو حيان  
وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج  
ونص سيبويه على التخصير (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط  
محذوف أي فذلك (أو توقينك) أي قبل تعذيبهم (فاليان يرجعون) أي فنعذبهم أشد  
العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (ولقد أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (رسلاً)

أى بكثرة (من قبلك) الى أهمهم ليلبغوا عننا ما أمرناهم به (منهم من قصصنا) بما لنا من العظمة  
 (عليك) أى أخبارهم وأخبار أهمهم (ومنهم من لم نقصص عليك) لا أخبارهم ولا أخبار  
 أهمهم ولا ذكرناهم لك بأسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة زوى ان الله تعالى  
 بعث غياية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما) أى  
 أرسلناهم والحال انه ما (كان لرسول) أصلا (أن يأتي بأية) أى ملجئة أو غير ملجئة مما  
 يطلب الرسول استهجا لالاتباع قومه له أو اقتراحا من قومه عليه (الاباذن الله) أى بأمره  
 وعكينه فان له الاحاطة بكل شئ فلا يخرج شئ عن أمره وهم عبيد مذبذبون • (تنبيه) •  
 معنى الآية أن الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنت كالرسل من قبلك وقد ذكرنا  
 حال بعضهم لك ولم تذكر حال الباقيين وليس منهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله  
 قومه وكذبوه فيها فصيروا وكانوا أبدا يقترحون على أنبيائهم عليهم السلام اظهار المعجزات  
 الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول أن يأتي بأية الا باذن الله تعالى والله سبحانه  
 علم الصلاح في اظهار ما أظهره ودون غيره ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح  
 قومك عليك المعجزات الزائدة لما يكن اظهارها صلاحا لاجرام ما أظهرناها (فاذا جاء أمر  
 الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما ينزل العذاب على الكفار (قضى) أى بأمره على أيسر  
 وجه وأسهل بين الرسل ومكذبيهم (بالحق) الامر الثابت (وخسر هنالك) أى في ذلك الوقت  
 العظيم (المبطلون) أى المنسوبون الى ايشار الباطل على الحق المعاندون الذين يجادلون  
 في آيات الله فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تعنتا وعبثا وقرأ قالون والبرزى وأبو  
 عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية وأبدلاها أيضا  
 ألفا وقرأ الباقيون بتحقيق الهمزتين \* ولما ذكر تعالى الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود  
 الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح أن يعدا نعاما على العباد فقال تعالى (الله) أى الملك الاعظم  
 (الذى جعل لكم) أى لاغيره (الانعام) أى الأزواج الثمانية بالتدليل والتسخير وقال  
 الزجاج الانعام الابل خاصة (لتركبوها) وهى الابل مع قوتها ونفرتها وقد تركب  
 البقر أيضا (ومنها) أى من الانعام كلها (تأكلون) ولما كان التصرف فيها غير منضبط  
 أجله بقوله تعالى (ولكم فيها) أى كلها (منافع) أى كثيرة بغير ذلك من الدر والوبر والصوف  
 وغيرها (وتلبغوا عليها) وهى فى غاية الذل والطواعية فيهم على نقصهم وعظم نعمته عليهم  
 بقوله تعالى (حاجة) أى جنس الحاجة وقوله تعالى (فى صدوركم) اشارة الى أن حاجة  
 واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فلا تمسكها (وعليها) أى الابل  
 فى البر (وعلى الفلك) أى فى البحر (تحملون) أى تحملون أمتعتكم النقبيلة من مكان  
 الى مكان آخر وأما حمل الانسان نفسه فقدمت بالركوب (فان قيل) لم لم يقل وفى الفلك كما قال  
 تعالى فى سورة هود قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين (أجيب) بأن كلمة على للاستعلاء  
 فالشئ الذى يوضع على الفلك كما صح أن يقال وضع فيه صح أن يقال وضع عليه ولما صح

الوجهان كانت لفظه على أولى حتى تتم المزاجية في قوله تعالى وعليها وعلى الثلث يحملون  
وقال بعضهم ان لفظ فيها هناك أليق لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل مطبقة عليهم وهي محيطة  
بهم كالوعاء وأما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لان الناس على ظهرها \* ولما كانت هذه آية عظيمة  
جعلها الله سبحانه وتعالى مشتملة على آيات كثيرة قال تعالى (ويريكم) أي في كل لحظة  
(آياته) أي دلائل قدرته (فأي آيات الله) أي المحيط بصفات الكمال الدالة على وحدانيته  
(شكروا) حتى تتوجه لكم المجادلة في آياته وهذا استفهام توبيخ \* (تنبيه) \* أي منصوب  
بتنكرون وقدم وجوبه بالان له صدر الكلام وتذكره أشهر من تأنيته قال الزمخشري وقولك  
فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصقات نحو سمار وجمارة  
غريب وهو في أي أغرب لابهامه قال أبو جيان ومن قله تأنيث أي قول الشاعر  
بأي كتاب أم بأية سنة \* ترى جهنم عاراً على \* وتحسب

قال ابن عادل وقوله وهو في أي أغرب ان عنى أي على الاطلاق فليس يصح لان المستفيض  
في النداء أن تؤنث في نداء المؤنث كقوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ولان علم أحد اذكر  
تذكرها فيه فيقول يا أيها المرأة الا صاحب البديع في النحويان عنى غير المناداة فكلامه صحيح  
يقول تأنيته في الاستفهام وموصولة وشرطية \* ولما وصل الامر الى حد من الوضوح لا يخفى  
على أحد تسبب عند لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب للعتاب المتقضى للرهب فقال  
تعالى (أفلم يسيرا) أي هؤلاء الذين هم أفضل من الانعام لما حصل في صدورهم من الكبر العظيم  
طلباً للرياسة والتقديم على الغير في المال والجاه (في الارض) أي أرض كانت سيرا اعتبار  
(فبينظروا) نظرت ففكر فيما سلكوه من سبلها ونواحيها (كيف كان عاقبة) أي آخر (الذين من  
قبلهم) أي مع قرب الزمان والمكان أو بعد ذلك (كانوا أكثر منهم) عددا وعلما واولا وجاها  
(وأشد قوة) في الابدان كقوم هود عليه السلام وبنائه (وانارا في الارض) بنحت البيوت  
في الجبال وحفر الابواب والمصانع الجليلة وغير ذلك (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) بشوة  
أبدانهم وعظم عقولهم واهتمامهم ومارسوا من المصانع لجهاتهم حين جاءهم الموت بل كانوا  
كأمة الزاهب \* (تنبيه) \* ما الاولى نافية أو استفهامة منصوبة باغنى والثانية موصولة  
أو مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسالتهم) أي الذين قد أرسلناهم اليهم وهم يعرفون صدقهم  
وأماناتهم (بالبينات) أي المعجزات الظاهرات الدالة على صدقهم لاحالة واختلاف في عود  
ضمير فرحوا في قوله تعالى (فرحوا بما عندهم من العلم) على وجهين أحدهما أنه عائد الى  
الكفار واختلف في ذلك العلم الذي فرحوا به فقيل هو الاشياء التي كانوا يعملونها وهي  
الشبهات الحكمة عنهم في القرآن كقولهم ما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شاء الله ما أشركنا  
ولا آباءنا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم ولئن رددت الى ربي لا جدن خيرا منها منقلباً  
فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبياء كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون  
وقيل المراد علم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله تعالى دفعوه وصغروا علوم الانبياء

عن علومهم كما روى عن بقراط أنه سمع يحيى بعض الانبياء عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه  
 فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهديننا وقيل المراد علمهم بأمر الدنيا ومعرفة  
 بتدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم  
 من العلم فلما جاءت الرسل عليهم السلام بعلوم الديانات ومعرفة الله عز وجل ومعرفة المعاد  
 وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا أن لا علم أنفع وأجلب  
 للفوائد من علمهم فقرحوا به ويجوز أن يكون المراد علم الانبياء وفرح الكفار به فتحكمهم  
 واستهزؤهم به ويؤيده قوله تعالى (وحاق) أي أحاط على وجه الشدة (بهم ما كانوا به  
 يستهزؤن) أي من الوعيد الذي كانوا فاطعين بطلانه والوجه الثاني أنه عائد على الرسل وفيه  
 وجهان أحدهما أن تقرح الرسل إذا رأوا من قوم جهلا كملأوا عراضا عن الحق وعلوا سوء  
 غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعرأضهم فرحوا بما أويا من العلم وشكروا الله  
 تعالى وحاق بالجاهلين جزاء جهلهم واستهزؤهم الثاني أن المراد أن الرسل فرحوا بما عند  
 الكفار من العلم فرح ضحك واستهزاء (فلما رأوا) أي عاينوا (بأسنا) أي عذابنا الشديد  
 ومنه قوله تعالى بعداب بئس (قالوا آمنا بالله) أي الذي له مجامع العظمة ومعاقدا العز ونفوذ  
 الكلمة (وحده) لان شريك به شيا (وكفرا بما كنا) أي جبلة وطبعنا (به مشركين) يعنون  
 الاصنام أي لاننا علمنا أنه لا يغنى من دون الله شئ \* ولما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول  
 الايمان عند الشهادة قال تعالى (فلم يك ينفعهم) أي لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه  
 (ايمانهم) أي لا يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان الجاه واضطراب الايمان طواعية واختيار  
 (لمارأوا) وأظهر موضع الاضمار زيادة في الترهيب فقال تعالى شأنه (بأسنا) أي عذابنا  
 لامتناع قبول الايمان حينئذ لانه لا يتحقق ولا يتصور الامع الغيب وأما عند الشهادة فقد  
 كشفت سريره على أنه قد فاتت حقيقته وصورته ولوردت العاد والمأنه واعنه (فان قيل) أي  
 فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم (أجيب) بأنه من كان  
 في نحو قوله تعالى ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم  
 (فان قيل) كيف ترادفت هذه الفاات (أجيب) بأن قوله تعالى فما أغنى عنهم نتيجة قوله  
 تعالى كانوا أكثر منهم وأما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله  
 تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فغنى المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى  
 فلما رأوا وبأسنا تابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا وبأسنا آمنوا فكذلك  
 فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا وبأس الله تعالى وقوله تعالى (سنت الله) أي  
 الملك الاعظم يجوز ان تصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة أي الذي فعله الله تعالى  
 بهم سنة سابقة من الله تعالى ويجوز ان تصابها على التهذير أي احذر واسنة الله تعالى  
 في المكذبين (التي قد خلقت في عباده) وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب آمنوا  
 ولم ينفعهم ايمانهم (فائدة) رسمت سنة بناء مجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو



والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأمال الكسائي الهاء في الوقف (وخسر) أي هلك أي  
تحقق وتبين أنه خسر (هنالك الكافرون) أي العريقون في هذا الوصف فلا انفكاك بينهم  
وبين الكفر \* (تنبيه) \* هنالك في الاصل اسم مكان قبيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له  
فالمكانية فيه ظاهرة وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ  
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له حديث  
موضوع وعن ابن سيرين رأى رجلاً في المنام سبع جوارحسان في مكان واحد لم ير أحسن  
منهن فقال لهن لمن أنتن فقلن لمن يقرأ آل حم

### ❖ (سورة حم السجدة مكية) ❖

وتسمى فصلاً وهي أربع وخمسون آية وسبع مائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة  
وخمسون حرفاً (بسم الله) الذي له أوصاف الكمال (الرحمن) الذي وسع كل شيء رحمة  
وعلماً (الرحيم) الذي فصل الكتاب تفصيلاً وبينه غاية البيان وتقدم الكلام على قوله تعالى  
(حم) ثم ان جعلتها اسم السورة كانت في موضع الابتداء وخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم)  
وان جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف أي هذا تنزيل وقال الاخفش  
تنزيل رفع بالابتداء وخبره (كتاب) فصلت وجرى على ذلك الجلال المحلى (فصلت) أي  
بينت (آياته) بالاحكام والقصص والمواعظ بياناً شافياً في اللفظ والمعنى حال كونه (قرآناً)  
أي جامعاً مع التفصيل وهو مع جمع اللفظ وضبطه منشوراً للؤلؤ منتشراً المعاني لا الى حد ولا نهاية  
عد بل كلما دقق النظر جلت المفهوم ولذلك قال تعالى (عريباً) لان لسان العرب أوسع  
اللسن ساحة وأعماقها عمقا وأعمرها باحة وأرفعها بناءً وأفصحها لفظاً وأبينها معنى وأجلها  
في النفوس وقعا وفي ذلك امتنان لسهولة قراءته وفهمه وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أي  
العربية أو اهل العلم وهو النظر وهو متعلق بفصلت أي فصلت لهؤلاء وبينت لهم لانهم هم  
المتفهمون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس أو بمحذوف صفة لقرآناً أي كاتنا  
لهؤلاء خاصة لما تقدم من المعنى \* (تنبيه) \* حكم الله تعالى على هذه السورة بأشياء أولها  
كونها تنزيلاً والمراد المنزل والتعبير عن المنعول بالمصدر مجاز مشهور كقولك هذا بناء الأمير  
أي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان أي مضروبه ومعنى كونها منزلة أن الله تعالى كتبها في  
اللوح المحفوظ وأمر جبريل عليه السلام أن يحفظ الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه  
وسلم ويؤتيها اليه فلما حصل تفهم هذه الكلمات بواسطة جبريل عليه السلام سمي لذلك  
تنزيلاً وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على أن ذلك التنزيل نعمة عظيمة  
من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وأن يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى  
رحماً نارحماً صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وأن  
يكون دالاً على أعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لان الخلق في هذا العالم كلهم رضى

والمحتاجين والقصرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه  
الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النعم من الله تعالى على أهل هذا العالم انزال القرآن عليه  
وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم  
الاولين والآخرين ورابعها قوله تعالى فصلت آياته أى ميزت وجعلت تفاصيل في معان  
مختلفة فبعضها وصف ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس ونسرح كمال قدرته وعلمه  
وحكمته ورحمته وبمخائب أحوال خلقه من السموات والكوالكب وتعاقب الليل والنهار  
وبمخائب أحوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها  
في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبياء عليهم السلام وتواريخ  
الماضين وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل  
ما في القرآن وخامسها قوله تعالى قرآنا وقدم تزجيده هذا الاسم وسادسها قوله تعالى عرييا  
أى انما نزل بلغة العرب ويؤيده قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها  
قوله تعالى لقوم يعلمون أى جعلناه قرآنا لا جمل انما أنزلناه على قوم عرب بلغتهم ليفهموا منه  
المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى (بشيرا) أى لمن اتبع (ونذيرا) أى لمن امتنع وانقطع  
وعاشرها قوله تعالى (فأعرض أكرمهم) أى عن تدبره وقبوله (فهم) لذلك (لا يسمعون)  
أى يفعلون فعل من لم يسمع لانهم لا يسمعون سمع تأمل وطاعة فهذه صفات عشر ووصف الله  
تعالى القرآن بها واحتج القائلون بخلق القرآن بهذه الآية من وجوه أولها أنه تعالى وصف  
القرآن بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب أن يكون  
مخلوقا ثانياها أن التنزيل مصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين ثالثها أن المراد بالكتاب  
اما الكتاب وهو المصدر الذى هو المفعول المطلق واما المكتوب الذى هو المفعول رابعها  
ان قوله تعالى فصلت آياته يدل على أن متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم  
خامسها انما سمي قرآنا لانه قرن بعض أجزاءه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل  
ومجوعول جاعل سادسها وصفه بكونه عرييا وانما سمحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت  
على هذه المعانى بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل يجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد  
وأن يكون محدثا ومخلوقا وأجاب أهل السنة بأن كل هذه الوجوه المذكورة عائدة الى اللغات  
والى الحروف والكلمات وهى حادثة وذهب قوم الى أن فى القرآن من سائر اللغات كالاستبرق  
والسجبل فانهما فارسىان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه من لغة الروم وهذا فاسد  
لقوله تعالى قرآنا عرييا وقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه \* ولما وصف الله  
تعالى القرآن بأنهم أعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين أنهم صرّحوا بهذه النفرة وذكري ثلاثة  
أشياء مذكورة عنهم فى قوله تعالى (وقالوا) أى عند اعراضهم بمثلين فى عدم قبولهم  
(قلوبنا فى أكنة) أى أغشية محيطة بها والاكنة جمع كان كأغشية جمع غطاء والكان هو الذى  
تجعل فيه السهام والمعنى لانفقه ما تقول (مما تدعوننا) أيها المخبر بأنه نبي (اليه) فلا

سبيل الى الوصول اليها التثنية أصلا (فان قيل) هلا قالوا على قلوبنا أكنة كما قالوا  
(وفي آياتنا) أي التي نسمع بها وهي أحد الطرق الموصلة الى القلوب (وقر) أي نقل قد  
أصمها عن سماعه ليكون على غط واحد (أجيب) بأنه على غط واحد لانه لا فرق في المعنى بين  
قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة  
ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم  
ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي حاجز من جبل أو فحوه فلا تلاقى ولا تراهي (فاعمل)  
أي على دينك (اتباعاملون) على ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا اتنا عاملون في ابطال أمرنا  
(فان قيل) هل لزيادة من في قولهم من بيننا وبينك حجاب فائدة (أجيب) نعم لانهم لو قالوا  
وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى أن  
الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك كلها مستوعبة بالحجاب  
لا فراغ فيها \* ولما أخبر رابعهم وعللوا بعدم فهمهم لما يدعو اليه أمر الله سبحانه وتعالى بنيه  
محمد صلى الله عليه وسلم بجواب يبين أنهم على محض العناد فقال تعالى (قل) أي لهؤلاء الذين  
عجزوا عن رد شيء من أمرك بشئ يقبله ذو عقل فادعوا ما ينادى عليهم بالعجز (انما أنا بشر مثلكم)  
أي لست غير بشر مما لا يرى كالملاك والجنى بل واحد منكم والبشر يرى بعضهم بعضا ويسمعه  
ويبصره فلا وجه لما تقولونه أصلا (يوحى الى) أي بطريق تخفى عليكم ولولا الوحي ما دعوتكم  
(أعماهمكم) أي الذي يستحق العبادة (اله واحد) لا غير واحد وهذا ما دلت عليه  
القطرة الاولى السوية وقامت عليه الادلة العقلية وأيدها في كل عصر الطرق النقلية وانعقد  
عليه الاجماع في أوقات الضرورة النفسانية قال الحسن علمه الله تعالى التواضع \* ولما  
قطع حججهم وأزال علمتهم تسبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (فاستقيموا اليه) أي غير  
معوجين أصلا على نوع شرك بشيخ ولا غيره وعدي بالى لتضعنه معني توجها والمعنى  
وجهوا استقامتكم اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروا) أي اطلبوا  
منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا وأثر حتى لاتعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها  
والاقلاع عنها حالا وما آلتهم تدعى ذلك فقال (وويل) كلمة عذاب أو واد في جهنم  
(للمشركين) أي من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) أي  
لجهنم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل (وهم بالآخرة) أي الحياة التي  
بعدها ولا بعد لها (هم كافرون) واحتج من قال ان الكفار يخاطبون بقروع الشريعة  
بهذه الآية فتالوا ان الله تعالى توعدهم بأمرين أحدهما كونهم مشركين والثاني لا يؤتون  
الزكاة فوجب أن يكون لكل واحد من هذين تأثير في حصول الوعيد وذلك يدل على ان عدم  
إتياء الزكاة مع الشرك تأثيرا عظيما في زيادة الوعيد وهو المطلوب (فان قيل) لم خص تعالى  
من أوصاف المشركين من منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (أجيب) بأن أحب شيء الى  
الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته

وصدق نيته ونصوح طويته ألا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين يتفقون أموالهم ابتغاء  
 مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها باتفاق الاموال  
 وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلطفه من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكمتهم وأهل الردة بعد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا والاجتمع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدها ووقبه  
 بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد في منعها حيث جعل المنع من أوصاف  
 المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة  
 الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يشرون  
 بالزكاة ولا يرون ايتائها واجبا وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجح ومن تخلف  
 عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا يتفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يركون  
 أعمالهم \* ولما ذكر تعالى ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا ذكر ما لاضدادهم وعدا وتبشيرا فقال  
 تعالى مجيبا لمن تشو ذلك مؤكدا لا يكار من ينكره (ان الذين آمنوا) أي بما آتاهم الله  
 تعالى من العلم النافع (وعملوا الصالحات) من الزكاة وغيرها من أنواع الطاعات (لهم أجر)  
 أي عظيم (غير ممنون) أي غير مقطوع جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة  
 وغيرها وأمر الله تعالى من أقوالهم وأفعالهم في الآخرة والذين والممنون المقطوع من  
 منبت الجبل اذا قطعته ومنه قواهم قدمه السحر رأى قطعه وقال مقاتل غير منقوص ومنه  
 المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وأنشدوا لذي الاصبغ العدواني

اني لعمرك ما بابي يذى غلق \* على الصديق ولا أجرى بممنون

وقيل غير ممنون به عليهم لان عطاء الله تعالى لا يمن به انما يمن الخلق وقال السدي نزلت  
 في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملون فيه روى عبد  
 الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من  
 العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى أطلقه أو ألقته الى  
 ولما ذكر سبحانه وتعالى سفههم في كفرهم بالآخرة شرع في ذكر الادلة على قدرته عليها وعلى  
 كل ما يريد كخلق الاكوان وما فيها الشامل لهم ولعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على  
 أنه واحد لا شريك له فقال منكر عليهم ومقررا بالوصف لانهم كانوا عالمين بأصل الخلق (قل)  
 يا أشرف الرسل لمن أنكر الخلق منكر عليه بقولك (أنسكم) وأكذبا انكارهم التصريح  
 بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى (لتكفرون) أي توجدون حقيقة السترا لتوار العقول  
 الظاهرة (بالذي خلق الارض) أي على سعتها وعظمتها من العدم (في يومين) فتكفرون  
 قدرته على إعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتدأ خلقها وخلق ذلك منها وهذا ان  
 اليومان الاحد والاثني كما قاله ابن عباس وعبد الله بن سلام قال ابن الجوزي والاكثر  
 قال ابن عباس ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنى ثم خلق ثالثا فسماه  
 الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الارض في يوم

الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق مواضع  
 الانهار والشجر والقرى يوم الأربعاء وخلق الطير والوحش والسياب والهوام والآفة يوم  
 الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت ولكن في حديث مسلم عن أبي  
 هريرة رضي الله تعالى عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم  
 السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء  
 وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة  
 في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل (فان قيل) الايام انما كانت  
 بدوران الافلاك وانما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل (أجيب) بأن المراد في مقدار  
 يومين أو نوبتين خلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون قال البيضاوي وعل المراد من  
 الارض ما في جهة السفلى من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلاً  
 مشتركاً ثم خلق لها صوراً بها صارت أنواعها وكفرهم به الحادهم في ذاته تعالى وصفاته وقرأ  
 قالون وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخلوا بين الهمزة المحققة  
 والمسهلة ألفاً وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال والباقون بتحقيقه ما من غير  
 ادخال \* ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله تعالى (وتجعلون) أي مع هذا  
 الكفر (له أنداداً) من المشب المنجور ومن الحجر المنحوت شركاء في العبودية ولما بكتهم على  
 قبح معتقدتهم عظم ذلك بتعظيم شأنه سبحانه فقال تعالى (ذلك) أي الاله العظيم (رب العالمين)  
 أي موجودهم ومرئيتهم وذلك يدل قطعاً على جمع ماله من صفات الكمال \* ولما ذكر تعالى ما هم به  
 مقرون من ابداعها أتبعه بثلاثة أنواع من المصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالقول  
 قوله تعالى (وجعل فيهما رواسي) أي جبالاتها وهو متأنف ولا يجوز عطفه على صلة  
 الموصول للفصل بينهما بأجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما تر  
 (فان قيل) ما الفائدة في قوله تعالى (من فوقها) ولم يقتصر على قوله وجعل فيهما رواسي كما  
 اقتصر على قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي وقوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي  
 أن تميد بكم وقوله تعالى وجعل فيهما رواسي (أجيب) بأنه تعالى لو قال وجعل لها رواسي من  
 تحتها لآثرهم ذلك أن تلك الاساطين التحتانية هي التي أمست هذه الارض الثقيلة عن  
 النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقيل فوق الارض ليرى الانسان بعينه ان  
 الارض والجبال الثقيل على أفعال وكاهام مفتقرة الى عسك وحافظ وما ذلك الحافظ المدبر  
 الا الله تعالى \* ولما عياً الارض لما يراد منها ذكر ما أودعها وهو النوع الثاني بقوله تعالى  
 (وبارك فيها) أي بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك وقال ابن عباس  
 يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والنار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج  
 اليه من الحيوانات \* النوع الثالث قوله تعالى (وقدر فيها أوقاتها) أي أقوات أهلها بأن عين  
 لكل نوع ما يصلحه ويغني به وقال محمد بن كعب قدر الاقوات قبل أن يخلق الخلق والابدان

اى اقواتا تنشأ منها بأن خص حدوث ~~كل~~ قوت بقطر من أقطارها فأضاف القوت الى  
 الارض لكونه متولدا من تلك الارض حادثا فيها لان النجاة قالوا يكنى في جنس الاضافة أدنى  
 سبب فالشيء يضاف الى فاعله تارة والى محمله أخرى أى قدر الاقوات التى يختص حدوثها  
 بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه  
 البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة فى تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا  
 لرغبة الناس فى التجارات واكتساب الاموال لتنظيم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم  
 الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها وايداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على  
 مقدار لا يتعداه ومنهاج بديع دبره فى الازل وارتضاه وقدره فأمره لا ينقص عن حاجة  
 المحتاجين أصلا وانما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم اليه فلا يجد له حينئذ ما يكفيه  
 وفى الارض أضعاف أضعاف كناية ثم ذكر فذلك خلق الارض وما فيها فقال تعالى  
 (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الماضيين كقولك بنيت بيتى فى يوم وأكلمته فى يومين أى بالاول  
 وقال أبو البقاء فى تمام أربعة أيام ولولا هذا التقدير لكانت ثمانية يومان فى الاول وهو  
 قوله تعالى خلق الارض فى يومين ويومان فى الآخر وهو قوله تعالى فقضاهن سبع سموات  
 فى يومين وأربعة فى الوسط وهو قوله تعالى فى أربعة أيام (فان قيل) انه تعالى ذكر خلق  
 الارض فى يومين فلماذا ذكر انه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية فى يومين آخرين كان أبعد عن  
 الشبهة وعن الغلط فلم ترك التصريح بذكر الكلام المجل (أجيب) بأن قوله تعالى فى أربعة  
 أيام (سواء) أى استوت الأربعة استواء لا يزيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال  
 خلقت هذه الثلاثة فى يومين لانه لو قال تعالى خلقت هذه الاشياء فى يومين لا يفيد هذا الكلام  
 كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل فى يومين مع أن اليومين  
 ما كانا مستغرقين بذلك العمل بخلافه لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال فى أربعة  
 أيام سواء دل على ان هذه الايام الأربعة صارت مستغرقة فى تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان  
 ولم يفعل تعالى ذلك فى أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه لان هذا ادل على الاختيار  
 وأدخل فى الابتلاء والاختيار ايضا به كثيرا ويهدى به كثيرا فيكون أعظم لاجورهم لانه أدل  
 على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها أصغر من السموات دلالة على  
 انها هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين الانس والجن فزادت لما فيها من كثرة المنافع وتباين  
 أصناف الاعراض والجواهر لان ذلك أدخل فى المنفعة على سكانها والاعتناء بشأنهم وشأنها  
 وزادت أيضا لما فيها من الابتلاء بالمعاصى والمجاهدات والمجاهدات والمجاهدات والمجاهدات كل ذلك دلالة على  
 أن المدة ما هى لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما فى القدرة من المقدور وبعبارة الامور  
 قال البقاعى ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لاجراء أمرها على ما تعرفه من  
 أن بناء السقف أخف من بناء البيت تنبيها على أنه بنى أمر دارنا هذه على الاسباب تعليم للتأني  
 وتدرى بالسكينة والبعد عن العجلة وقوله تعالى (للسائلين) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه متعلق

بسواء بمعنى مستويات للسائلين نانيها أنه متعلق بقدر رأى قدر فيها أقواتها لاجل الطالبين لها  
 المحتاجين المقتاتين نالها أنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا المحصر لاجل من سأل في كم خلقت  
 الارض وما فيها ولما كانت السموات أعظم من الارض في ذاتها باتساعها وزينتها ودوران  
 أفلاكها وارتفاعها نابه على ذلك بالتعبير بأداة التراخي ولفظ الاستواء وحرف الغاية الدال  
 على عظم الغاية فقال تعالى (ثم استوى) أى قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده (الى  
 السماء وهي) أى والحال أنها (دخان) قال المنسرون هذا الدخان بخار الماء وذلك  
 أن عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وسكان عرشه  
 على الماء ثم إن الله تعالى أحدث في ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارفع نخرج منه دخان فأما  
 الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه البوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارفع وعلا  
 فخلق منه السموات (فان قيل) هذه الآية مشعرة بأن خلق الارض كان قبل خلق السموات  
 وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعرا بأن خلق الارض بعد خلق السموات وذلك يوجب  
 التناقض (أجيب) بأن المشهور أنه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق بعدها السموات  
 ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدّها وحينئذ فلا تناقض قال الرازي وهذا الجواب  
 مشكل لأن الله تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها  
 وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد أن صارت  
 الارض منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضى أن الله تعالى  
 خلق السماء بعد خلق الارض وبعد أن جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال ثم قال والمختار  
 عندي أن يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض وتأويل الآية أن يقال الخلق ليس  
 عبارة عن التكوّن والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم  
 خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوّن لصار  
 تقدير الآية أو جده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارة عن  
 الايجاد والتكوّن بل عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمته بأن سيوجده وإذا  
 ثبت هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض في يومين معناه أنه قضى بحدوثها في يومين وقضاء الله  
 تعالى أنه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشئ في الحال فقضاء الله تعالى  
 بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال (فقال لها) أى  
 السماء عقب الاستواء (وللارض اثنا) أى تعاليا وأقبلا منتقدين وقوله تعالى (طوعا  
 أو كرها) مصدران في موضع الحال أى طائعتين أو كارهتين (قالنا اثنا) أى نحن وما بينا  
 وما بيننا (طائعتين) أى اتينا على الطوع لاعلى الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات  
 لا غير من غير أن يحقق شيئا من الخطاب والجواب ونحو ذلك قول القائل قال الجدار للوتد  
 لم تشقني قال الوتد سل من يدقني (فان قيل) هلا قال طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى  
 لانهم باسموات وأرضون (أجيب) بأنه لما جعلهن مخاطبات ومحبيبات ووصفهن بالطوع

والكفره قال طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين \* (تنبيه) \* جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا (فان قيل) ان الله تعالى امر السماء والارض فأطاعتا كما أن الله تعالى أنطق الجبال مع داود عليه السلام فقال تعالى يا جبال أوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقوله تعالى وقالوا الجلود هم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء واذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف عليهما ووجه هذا بوجوه الاقول أن الاصل حل اللفظ على ظاهره الا أن يمنع منه مانع وههنا الامتناع الثاني انه تعالى جمعها جمع العقلاء فقال تعالى قالتا آتيننا طائعين الثالث قوله تعالى اناعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملن وأشفقن منها وهذا يدل على كونهما عارفة بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى وأجاب الرازي عن هذا بأن المراد من قوله تعالى اتينا طوعا أو كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير خال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لم يجوز قبيح أن حال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة واذا كانت معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب فلم يجوز توجه الامر اليها (فان قيل) روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات والارض اخرجاما فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سما فاطلعي شمسيك وقرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي غمارك ونباتك وقال لهما افعلما أمرتكما طوعا والأجلتكما الى ذلك حتى تفعلوا وعلى هذا لا يكون المراد من قوله آتيننا طائعين حدوتهم في ذاتهما بل بصير المراد من هذا الامر ان يظهر اما كان مودعا فيهما (أجيب) بأن هذا لم يثبت لانه تعالى قال (فقضاهن) أي خلقهن خلقا ابداعيا (سبع سموات) وهذا يدل على أن حصول السماء انما حصل بعد قوله اتينا طوعا أو كرها \* (تنبيه) \* الضمير للسماء على المعنى كما قال تعالى طائعين ونحوه اعجاز فحذل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول وتمييزه على الثاني وقوله تعالى (في يومين) قال أهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ولذلك لم يقل هنا سواها ووافق هذا آيات خلق السموات والارض في ستة أيام وعن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود أدت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمعاش والعمران والخراب فهدم أربعة وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين



منه نخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حتى يموت من مات وفي الثانية التي الآفة على كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم فأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجته منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو اتعنت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزل ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون (فان قيل) اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطولوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم (أجيب) بأن معناه انه مضي من المدة ما لو حصل هناك فلئذ الشمس لكان المقدار مقدار اليوم كما مر وقضاء الشيء اتمامه والفراغ منه قال ابن جرير وانما سمى الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وخلق السموات والأرض أي فرغ من ذلك وأتمه (وأوحى) أي التي بطريق خفي وحكم بثبوت قوى (في كل سماء أمرها) أي الأمر الذي دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يتحتمل وزمام مبرم لا يتعمل وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدي يعني خلق فيها شمسا وقرها ونجومها وقه في كل سماء بيت فحج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة \* ولما عم خص التي تليها اشارة الى تشریفنا فقال تعالى صار فالقول الى مظهر العظمة تنبيه على ما في هذه الآية من العظم (وزينا) أي جعلنا من العظمة (السماء الدنيا) أي القربى اليكم لاجلكم (بصايع) وهي الثيرات التي خلقها الله في السموات وخص كل واحدة بضوء معين وسير معين وطبيعة معينة لا يعلمها الا الله تعالى ولا ينافي كون الدنيا منبئة بذلك أن تكون النجوم في غير ما هو أعلى منها لان السياق دل على أنها منبئة وقوله تعالى (وحفظا) في نصبه وجهان أحدهما أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر أي وحفظناها بالثواب من الكواكب حفظا والثاني أنه مفعول من أجله على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة وحفظا قال أبو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين والمعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع بالشهب أو من الآفات (ذلك) أي الأمر الرفيع والشأن البديع (تقدير العزيز) أي الذي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء (العليم) أي المحيط علما بكل شيء فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم \* ولما كان المتبادر على اعراضه كانه جدد اعراضا غير اعراضه الا قول قال تعالى مفصلا بعد قوله تعالى فأعرض أكثرهم (فان أعرضوا) أي استروا على اعراضهم بعد هذا الشأن أو أعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الآيات التي دلت على الوحدةانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال أتم دلالة (فقل) أي لهم (أنذرتكم صاعقة) أي أنذرتهم أن يصيبهم عذاب شديد الواقع مكانه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شيء كان والانداز التصريف وانما خص هاتين القبيلتين لان

قريشا كانوا يترجون على بلادهم \* ثم علل ايقاع ذلك بقوله تعالى (اذ) يجوز ان يكون ظرفا  
 لصاعقة وظرفيته لا تنافي عليه أي حين (جاءتهم) أي عادوا وعود (الرسول) لان الزمان الطويل  
 يجوز نسبة ما وقع في جزئ منه اليه (من بين أيديهم) أي من قبلهم لان نذير الاول نذير لكل  
 من أتى بعده بأن ان واقع ما واقعناه ما عذب به (ومن خافهم) وهم من أتى اليهم لانهم  
 لم يكونوا يعلمون اتيانهم فالحلف كناية عن الخفاء والقدام عن الجلاء وانهم أتوهم من كل جانب  
 واجتهدوا بهم فأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن  
 الشيطان لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم أي لا يتنهم من كل جهة وعن الحسن اندروهم  
 من وقائع الله تعالى فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم  
 بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم  
 وأتوهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الهمزة  
 عند الجيم وأدغمها الباقون (أن) أي بأن (لا تعبدوا الا الله) أي الذي له صفات الكمال  
 جميعا (قائوا) أي الكفار ورسولهم (لوشاء ربنا) الذي ربنا أحسن تربية أن يرسل النار رسولا  
 (لا تنزل) الينا (ملائكة) فؤرسلهم الينا بما يريد منا لكنه لم يرسل ملائكة فلم يشأ أن يرسل  
 رسولا (قائما) أي بسبب ما (أرسلتم به) أي على زعمكم بأنكم رسل (كافرون) اذا أنتم  
 بشر مثلنا لا فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال في ملا قريش التيس علينا أمر محمد  
 فلو التيسم لنا رجلا عالما بالسحر والشعر والكهانة وكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة  
 ابن ربيعة والله لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه  
 فقال له يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا  
 وتضل آباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كنت أردت الباه  
 زو جنالك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك  
 ما تستعين به على ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أفرغت قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ ثم قرأ بسم الله الرحمن  
 الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى أن بلغ قوله تعالى فان أعرضوا فقل  
 أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم  
 رجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه  
 وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت الى محمد وأعجبك طعامه فان كان بك حاجة جمعنا لك  
 من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمد أبدا وقال والله لقد علمت  
 أني من أكثر قريش ما لا ولكني أتيتهم وقصصت عليه القصة وجاني بشي والله ما هو شعر ولا كهانة  
 ولا شعر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود  
 فأمسكت بفيه وناشده بالرحم حتى سكت ولقد علمت أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن  
 ينزل عليكم العذاب وفي رواية لمحمد بن كعب أنه قال اني سمعت قرآنا والله ما سمعت بمثله قط

ما هو شعر ولا سحر ولا كهانة يامعشر قريش أطيعوني خلوا بينكم وبين هذا الرجل وبين ما هو  
 فيه فاعتزلوه والله أليكونن أقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيته وبغيركم وان يظفر  
 على العرب فلكم ملككم وعزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا -حرك والله يا أبا الوليد بلسانه  
 قال هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم \* ولما جمعهم الله فيما اجتمعوا فيه حتى كانوا قوم يوافقون  
 فصلهم وفصل ما اختلفوا فيه فقال من سبنا عمادى من مقالتهم (فأما عاد) أى قوم هود  
 عليه السلام (فاستكبروا) أى طلبوا الكبر وأوجدوه (في الارض) أى كلها التي كانوا فيها  
 بالفعل وغيرها بالقوة أوفى الكل بالفعل لكونهم ملكوها كلها ثم بين كبرهم انه (بغير الحق) أى  
 الذي لم يطابق الواقع ثم ذكر تعالى سبب الاستكبار بقوله تعالى (وقالوا من أشد منا قوة) وذلك  
 أن هودا عليه السلام هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب بفضل قوتنا وكانوا  
 ذوى أجسام طوال الطويل منهم أربع مائة ذراع كما سياتى في سورة العنكبوت قال الله تعالى ردا  
 عليهم (أولم يروا) أى يعلموا علما هو كالمشاهدة (أن الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (الذى  
 خلقهم) ولم يكونوا شيئا (هو أشد منهم قوة) ومن علم أن غيره أقوى منه وكان عاقلا انقاد له  
 فيما ينفعه ولا يضره وقوله تعالى (وكانوا ياتنا يبجدون) أى يعرفون أنها حق وينكرونها  
 عطف على فاستكبروا (فأرسلنا) أى بسبب ذلك على ما لنا من العظمة (عليهم ريحا) أى  
 عظيمة (صرصرا) أى شديد البرد والصوت والعدوف حتى كانت تجهد البدن ببردها فتمكون  
 كأنها تصره أى تجعه في موضع واحد فتجعه التصرف بقوتها وتقطع القلب بصوتها فتقهر  
 شجاعته وتمحق بشدة بردها كل ما مرت عليه وقوله تعالى (في أيام نحسات) أى مشؤمات  
 جمع نحسة وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الحاء من نحس نحسان تبيض سعد سعدا فهو نحس  
 والباقون بسكونها فهو ما مخفف نحس أرضفة على فعل أو وصف بمصدر قال الضحاك أمسك  
 الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين وكانت الرياح عليهم من غير مطر روى أن الايام كانت آخر  
 شوال من الاربعا الى الاربعا قال البيضاوى وما عذب قوم الا في يوم الاربعا وعن  
 عبد الله بن عباس انه قال الرياح ثمان أربع منها عذاب وهى العاصفة والصرصر والعقيم  
 والقاصف وأربع منها رجة وهى المبشرات والناسرات والمرسلات والذاريات وعن ابن  
 عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى ما أرسل على عاد من اربع الا قدر حاجتى وقولنا ذلك  
 بهم (لتذيقهم عذاب الخزي) أى الذل والهوان (في الحياة الدنيا) كما استكبروا في  
 الارض بغير الحق في ذلوا عند من تعظموا عليه في الدار التي اغترابها فتعظموا فيها فان ذل  
 أدل على القدرة عند من تقيد بالوهم (واعذاب الآخرة) أى الذى أعد للمتكبرين في  
 الآخرة بغير الحق (أخرى) أى أشد اهانة وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب  
 على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) أى لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر أبدا بوجه من  
 الوجوه \* ولما أنهى تعالى أمر صاعقة عاد شرع في بيان صاعقة ثمود فقال تعالى (وأما ثمود)  
 وهم قوم صالح عليه السلام (فهديناهم) أى بيناهم طريق الهدى من أنافادرون على البعث

وعلى كل شيء فلا شريك لنا وكان بيان ذلك بالنساق غاية البيان فأبصر واذلك بأبصارهم التي هي  
سبب ابصار ابصارهم غاية الابصار ففكر هو اذلك لما يلزمه من تركهم طريق آياتهم وأقبلوا على  
لزوم طريق آياتهم (فاستحبوا) أي اختاروا (العمى) أي الكفر (على الهدى) أي الايمان قال  
القشيري قيل انهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجراهم مجرى اخوانهم في الاستبدال  
فان قيل اليس معني هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدي ويعني  
تخصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة  
(أجيب) بأنه لما كنهم وأزاح عليهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل  
ما يوجبها ويقتضيها (فأخذتهم صاعقة العذاب) أي بسبب ذلك أخذ قهرو هوان (الهون) أي  
ذي الهون وهو الذي يهينهم (بما كانوا) أي داغما (يكسبون) أي من شركهم وتكذيبهم صالحا  
عليه السلام \* ولما أنهي الله تعالى الخبر عن الكافرين من الفريقين أتبعه الخبر عن مؤمنينهم  
بتارة لمن أتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة لمن صدعته فقال تعالى (ونحننا) أي تحية  
عظيمة بما لنا من القدرة (الذين آمنوا) أي أوجدوا هذا الوصف من الفريقين (وكانوا) أي  
كونا عظيما (يتقون) أي يشجروا لهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على شيء  
بغير دليل (فان قيل) كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يندرقومه مثل صاعقة عاد وعود  
مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم  
وأنت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع (أجيب)  
بأنهم لما عرفوا ككونهم مشاركين لعاد وعود في الكفر عرفوا كونهم مشاركين لعاد وعود  
في استحقاق مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وما يكون العذاب  
النازل من جنس ذلك العذاب وان كان أقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف \* ولما بين  
تعالى كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أرفده بيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل  
تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال تعالى (ويوم) أي واذكريوم (يحشر) أي يجمع بكرة  
بأمر قاهر لا كلفة فيه (أعداء الله) أي الملك الاعظم (الى النار) وقرأ نافع بنون مفتوحة  
وضم الشين ونصب أعداء على البناء للفاعل وهو الله تعالى والباقون بياء الغيبة مضمومة ورفع  
الشين على البناء للمفعول ورفع أعداء اقيامه مقام الفاعل ووجه الاول أنه معطوف على  
نحننا فحسن أن يكون على وفقه في اللفظ ووجه الثاني موافقة قوله تعالى (فهم) أي بسبب  
حشرهم (يوزعون) أي يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة يحبس أولهم على آخرهم  
ليتلاحقوا أي يوقف سوا بقهم حتى تصل اليهم نوا اليهم \* ولما بين تعالى اهانتهم بالوزع بين غايتها  
بقوله تعالى (حتى اذا ما جاؤها) أي النار التي كانوا بها يكذبون فما زلتا كيدا اتصال  
الشهادة بالحضور كما قال تعالى (شهد عليهم) وبين الشاهد وعدده بقوله تعالى (جمعهم) وأورد  
السمع لعدم تفاوت الناس فيه (وأبصارهم) وجمعها لعظم تفاوت الناس فيها (وجلودهم  
بما كانوا يعملون) أي يجددون عمله مستقرين عليه \* (تبيينه) في كيفية تلك الشهادة ثلاثة

أقوال أولها أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه  
ثانيها أنه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها أن يظهر  
في تلك الاعضاء أحوال تتدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى  
شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوته (فان قيل) ما السبب في تخصيص  
هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق  
واللمس (أجيب) بأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يأتي  
بأن تصير جلدة اللسان عماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يأتي حتى تصير جلدة الانف عماسة  
لجرم المشعوم فكانا داخلين في جفس اللمس وقال ابن عباس رضى الله عنهما المراد من شهادة  
الجلود شهادة الشروج وهو من باب الكتابيات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا وأراد النكاح وقال  
تعالى أوجبا احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يتكلم  
من الآدمي نخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيد اشديدا في اتيان الزنا لان مقدمة  
الزنا انما تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الانفس من علمهم وعن أنس  
ابن مالك قال كأند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله  
ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى قال فيقول  
فاني لأجيز اليوم على نفسي الا شاهد امني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام  
الكتابيين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطق فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين  
الكلام فيقول بعد الكن وحققا فعنك كتمت أفاضل (وقالوا) أي الكفار الذين يحشرون  
الى النار (بلودهم) مخاطبين لها مخاطبة العقلاء لما فعلت فعل العتلاء (لم شهدتم علينا) مع  
أنا كنا نحاج عنكم (قالوا) مجيبين لهم معذرين (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) أراد نطقه  
على وجه لم يقدر على التخلف عنه فليس بحجب من قدرة الله الذي له مجامع العز (وهو خافكم  
أول مرة) والعلم القطعي حاصل عندكم بأنكم كنتم عدما ثم نطقا لا تقبل النطق في مجاري  
العادات بوجه ثم طوركم في أدوار الاطوار كذلك الى أن أوصلكم الى حيز الادراك ففسركم  
على النطق بحيث لو أردتم سلبه عن أنفسكم ما قدرتم (واليه) لا الى غيره (ترجعون) فينبئكم  
بما كنتم تعملون (تنبيه) \* اختلف في قوله تعالى وهو خلقكم الآية فتسئل هو من كلام الجلود  
وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه تقريب ما قبله بأن القادر على انشاءكم ابتداء  
وعلى اعادتكم بعد الموت أحياء قادر على انطاق جلودكم وأعضائكم (وما كنتم  
تستترون) أي عند ارتكابكم الفواحش خفية (ان يشهد عليكم جمعكم) وأكذبكم بالنافي  
فقال (ولا أبصاركم) جمع وأفرد للمضي (ولا جلودكم) والمعنى انكم تستترون بالحيطان والحجب  
عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم  
غير عالين بشهادتها عليكم بل كنتم جاهدين بالبعث جهلامنكم (ولكن) انما استتاركم  
لانكم (ظننتم) بسبب انكار البعث جهلامنكم (أن الله) الذي له جميع صفات الكمال

(لا يعلم) أى فى وقت من الاوقات (كثيرا مما تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم روى عن ابن مسعود قال كنت مسترا باستارا الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيان وقرشى أو قرشيان وثقى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا أخفينا فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الا يعقب الله تعالى عبد اليل وخنائه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية وقوله تعالى (وذلكم) إشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم) بدل منه وقوله تعالى (الذى ظنتم بربكم) نعت البدل والخبر (أرداكم) أى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه أن عليه من الله تعالى عينا كالثة ورقية أهميتها حتى يكون فى أوقاته وخلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصورا منه مع الملا ولا يندسط فى سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين • ولما كان الصباح محل رجاء للأفراج فكان شر الأتراح ما كان فيه قال تعالى (فأصبحتم) أى بسبب ما أعطيتوه من النعم تستنقذوا أنفسكم به من الهلاك كان سبب هلاككم (من الخاسرين) أى العريقين فى الخسارة المحكوم بخسارتهم فى جميع ذلك اليوم قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر فاسد فالحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بنى وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن الناسد أن يظن أن الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منجى ومردى فالمنجى قوله انى ظننت أنى ملاق حسابه وقوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقور بهم وأنهم اليه راجعون والمردى هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم (فان يصبروا فالغار مشوى) أى منزل (لهم) أى ان أمسكوا عن الاستغاثه لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقام لهم (وان يستعجبوا) أى يسألوا العتبي وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه (فماهم من المعينين) أى المجابين اليها ونحوه قوله عز وجل أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص • ولما ذكر وعيدهم فى الدنيا والآخرة أتبعه سبب كفرهم الذى هو سبب الوعيد فقال تعالى (وقيضنا) قال مقاتل هيا نأ وقال الزجاج سببنا (لهم) أى للكفرة وأصل التقييض التيسير والتهيئة يقال قويضته لادواه هياته له ويسرته وهذا ان يؤان قيضان أى كل منهما مكافئ للآخر فى الثمن وقوله تعالى (قرناه) أى نظرا من الشياطين حتى أضلواهم جمع قرين قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن قبيض له شيطانا فهو قرين (فزينوا لهم) أى من القبائح (ما بين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة (وما خلفهم) أى من أمر الآخرة فدعوهم الى التكذيب وانكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا الجنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا بأن الدنيا قديعة ولا صانع الا الطبايع والافلاك قال القشيري اذا أراد الله بعدد سوء أقيض له اخوان سوءه وقرناه سوءه

يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين  
تدعو اليوم الى ما فيه الهلاك وتشهد غد عليه واذا اراد الله بعبيده خيرا قبض له قرنا خيرا  
يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروى عن انس ان النبي صلى الله عليه  
وسلم قال اذا اراد الله بعبد شرا قبض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبضه عنده ولا قبضا  
الاحسن عنده وعن عائشة اذا اراد الله بالوالي خيرا قبض له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر  
أعانه وان اراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن ابي هريرة رضى  
الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة  
الا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحمضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحمضه عليه والمعصوم من  
عصمه الله تعالى \* (تبيينه) \* في الآية دلالة على أنه تعالى يريد الكفر من الكافرين لانه تعالى  
قبض لهم قرنا سوء فزبنوا بهم الباطل وهذا يدل على أنه تعالى اراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه  
كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر (وحق) أى وجب وثبت (عليهم القول) أى كلمة العذاب  
وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر  
الهاء وضم الميم وقوله تعالى (في أمم) محمله نصب على الحال من الضمير في عليهم أى حق عليهم  
القول كائنين في جملة أمم كثيرة وفي معنى مع (قد خلت) أى لم تتعظ أمة منهم بالآخرى (من قبلهم)  
أى في الزمان (من الجن والانس) قد علموا مثل أعمالهم وقوله تعالى (انهم) أى جميع  
المدكورين منهم ومن قبلهم (كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب وقوله تعالى  
(وقال الذين كفروا) أصله وقالوا أى المعرضون ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذى  
أوجب اعراضهم (لا تسمعوا) أى شيئا من مطلق السماع (لهذا القرآن) وعينه بالاشارة  
احترازا عن غيره من الكتب القديمة كالتوراة قال القرطبي لانه مقلب القلوب وكل من استمع  
له صبا اليه (والغوا) أى اهزوا (قوله) أى اجعلوه نظرا للغويان تكثروا من الخرافات  
والهذيانات واللغو والتصديق والتصديق والتصديق وغيرها وقال ابن عباس كان  
بعضهم يعنى قريشا يعلم بعضا اذا رأيتهم محمدا يقرأ فعارضوه بالجز والشعر واللغو وهو من باب  
انفى بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة فيه (اعلمكم تغلبون) أى ليكون حالكم حال من  
يرجى له أن يغلب ويظفر برأده فى أن لا يميل اليه أحد وسكت ونسى ما كان يقول وهذا  
يدل على انهم عارفون بأن من يسمعه مال اليه وأقبل بكليته عليه وقد فضحوا أنفسهم به هذا  
فضيحة لا مثل لها (فلندينن الذين كفروا) أظهر في موضع الاضمار اذا أصله فلنديننهم لكنه  
أظهر تعميما وتعليقا بالوصف (عذابا شديدا) فى الدنيا بالحرمان وما يتبعه من فنون الهوان وفى  
الآخرة بالنيران (ولنجزيهم) أى بأعمالهم (أسوأ) أى سوء العمل (الذى كانوا يعملون)  
أى واظبين عليه (ذلك) أى الجزاء الاسوأ العظيم جدا (جزاء أعداء الله) أى الملك الاعظم  
ثم بينه بقوله تعالى (النار) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فى الوصل بابدال الهمزة الثانية  
المفتوحة واوا خالصة والباقون بتحقيقهما واما الابداء بالثانية فالجميع بالتصديق ثم فصل بعض

ما في النار بقوله تعالى (ألم فيها) أي النار (دار الخلد) أي فأنتم إذا دارا قامة قال الزمخشري  
 فان قات ما معني قوله لهم فيها دار الخلد قال قلت ان النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى  
 لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة أي الرسول هو نفس الاسوة وقال البيضاوي هو  
 كقولك في هذه الدار دار سرور يعني بالدار عينها على أن المتصود هو الصفة قال ابن عادل  
 في هذا نظرا ذال الظاهر وهو معني صحيح منقول أن في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة  
 بها وهذا أولى وقوله تعالى (جزاء) منصوب بالمصدر الذي قبله وهو جزاء أعداء الله والمصدر  
 ينصب بمنه كقوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (بما كنوا بآياتنا) أي على  
 ما لنا من العظمة (يوجدون) أي يبلغون في القراءة وسماهم جدا لانهم لما علموا أن القرآن بالغ  
 الى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لا آمنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة  
 وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا وأنهم يحدوا حسدا \* ولما بين تعالى أن الذي حملهم  
 على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوءين ما يقولون في النار بقوله تعالى  
 (وقال الذين كفروا) أي غطوا أنوار عقولهم داعين بالاسماع لهم فهو زيادة في عقوبتهم  
 وحكاية لها وعظ وتحذير (ربنا) أي بأبيها الذي لم يقطع قط احسانه عنا (أرنا) الصنفين  
 (الذين أضلنا) أي عن المنهج الموصل الى محل الرضوان (من الجن والانس) لان الشيطان  
 على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن  
 وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقاييل بن  
 آدم الذي قتل أخاه لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قاييل فهما سنا المعصية وقرأ  
 ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من ارنا واختلس الدورى كسر الراء  
 وكسرها الباقيون وشدد ابن كثير النون من الذين (فجعلهما تحت أقدامنا) في النار اذ لا  
 لهما كما جعلنا تحت أقدامنا (ليكونا من الاسفلين) قال مقاتل أسفل منا في النار وقال الزجاج  
 يكونا في الدرك الاسفل من الناس أى من أهل الدرك الاسفل ومن هودوتنا كما جعلنا كذلك  
 في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما وقال بعض الحكماء المراد بالذين أضلنا الشهوة والغضب  
 والمراد بجعلهما تحت أقدامهم كونهم ماسخزين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستولين عليها  
 ظاهرين عليها \* ولما ذكر تعالى الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى (ان الذين  
 قالوا) أي قولا حقيقيا مدعين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لادعى الله تعالى في الدنيا  
 (ربنا) أي المحسن البنا (الله) أي المختص بالجلال والاکرام وحده لا شريك له وتم في قوله  
 تعالى (ثم استقاموا) لتراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومصححاته الى الممات  
 أمر في علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاکرام مثل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن  
 الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر رضى الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر  
 والنهي ولا تروغ وروغان الثعلب وقال عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل لله وقال علي رضى  
 الله عنه أذوا الفرائض وقال ابن عباس رضى الله عنهما استقاموا على أمر الله تعالى بطاعته



واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله  
 وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان بن  
 عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بأمر اعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم فقلت ما أخوف  
 ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال أبو حيان قال ابن  
 عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (تنزل عليهم  
 الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة اذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح  
 البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وهى (الأتخافوا) قال  
 مجاهد لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تخزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد  
 فانما خلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا من ذنوبكم ولا تخزنوا فاني أغفرها  
 لكم والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار  
 والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا \* (تنبيه) \* يجوز في أن  
 أن تكون الخففة أو المقسرة أو الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين ونافية على الثالث  
 (وأبشروا) أى املوا صدوركم سرورا يظهر أثره على بشرتكم بهتال الوجه ويم سائر الجسد  
 (بالجنة التى كنتم) أى كوننا عظيمنا على السنة الرسل عليهم السلام (توعدون) أى يتجدد لكم  
 ذلك كل حين بالكتب والرسل \* (تنبيه) \* فيما ذكر دلالة على أن المؤمن عند الموت وفي القبر  
 وعند البعث يكون فارغا من الاهوال والنزع الشديد (فان قيل) البشارة عبارة عن الخبر  
 الاول بحصول المنافع فأما اذا أخبر الشخص بحصول المنفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان  
 الاخبار الثاني اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا  
 الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا الاخبارا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر  
 بشارة (أجيب) بأن المؤمن قد يسمع بشارات الخير ولم يعلم بأن له الجنة فيكون ذلك بشارة  
 أما اذا علم أنه من أهل الجنة باخبار ربي فانه اذا سمع هذا الكلام من الملائكة فانه يكون اخبارا  
 \* ولما أثبتوا لهم الخير ونفوا عنهم الضير علاوه بقولهم (نحن أولياؤكم) أى أقرب الاقرباء اليكم  
 فمن نفعل معكم كل ما يمكن أن يفعله القريب (في الحياة الدنيا) فحلب لكم المسرات وندفع  
 عنكم المضرات ونحملكم على جميع الخيرات فنوقفكم من المنام ونحملكم على الصلاة  
 والصيام ونبعدكم عن الآثام ضد ما تفعله الشياطين مع أوليائهم (وفي الآخرة) كذلك حيث  
 تتعادي الاخلاء الا الاتقياء قال السدى تقول الملائكة عليهم السلام نحن الحنظة الذين كنا  
 معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة أى لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى  
 في الآخرة أى في الجنة وقبل دخولها في جميع أوقات المحشر (مائتمى) ولو على أدنى وجوه  
 الشهوات كما يرشد اليه حذف المفعول (أنفسكم) من اللذائذ لاجل ما منعمتوها من الشهوات  
 في الدنيا (ولكم فيها) أى في الآخرة (مائتمى) أى تتنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم  
 من القول وقوله تعالى (نزلا) حال مما تدعون أى هذا كله يكون لكم نزلا كما يقدم الى الضيف

عند قدومه الى ان يبأله ما يضاف به وأما ما يعطون فهو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر  
على قلب بشر \* ولما كان من حوسب عذب فلا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى أشار الى  
ذلك بقوله تعالى (من) أى كائن ذلك النزل من (غفور) له صفة المحو للذنوب عينا وأثر على غاية  
لا يمكن وصفها (رحيم) أى بالغ الرحمة وهو الله تعالى واختلف في تفسير قوله تعالى (ومن أحسن  
قولا) أى من جهة القول (من دعا الى الله) أى الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فتعال ابن  
سيرين والصدى هور رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة أن لا اله الا الله وقال الحسن  
هو المؤمن الذى أجاب الله تعالى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل) أى والحال أنه  
قد عمل (صالحا) فى نفسه ليكون ذلك أمكن لدعائه (وقال اتخى من المسلمين) تناخرا به وقطعا  
لطمع المفسدين وقال عكرمة هم المؤذنون وقالت عائشة رضيت الله عنها ان هذه الآية نزلت فى  
المؤذنين وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان  
والاقامة وعن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين  
كل أذنين صلاة ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة لمن شاء وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال  
الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى الصبر والغضب والحلم  
والجهل والعنق والاساءة فى الجزاء وحسن العاقبة \* (تنبيه) \* فى الثانية وجهان أحدهما  
أنها زائدة للتأكيده كقولته تعالى ولا الظل ولا الحرور لان الاستواء لا يكتبى بواحد الثانى أنها  
مؤسفة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس اذ لا تستوى الحسنات فى أنفسها فانها  
متفاوتة ولا تستوى السيئات أيضا فرب واحدة أعظم من أخرى وهو مأخوذ من كلام  
الزنجشبرى (ادفع) كل ما يمكن أن يضرك من نفسك ومن الناس (بالتى) أى بالخالص  
والاحوال التى (هى أحسن) على قدر الامكان من الاعمال الصالحات والعنق عن المسى حسن  
والاحسان اليه أحسن منه (فأذا الذى بينك وبينه عداوة) عظيمة فاجأته حال كونه (كأنه ولى)  
أى قريب فاعل ما يفعله القريب (رحيم) أى فى غاية القرب لا يدع مهمما الا قضاءه وسهله ويسره  
وشقى عليه وقرب بعيدته وازال درنه كما يزال الماء الحار بالوخخ وقيل نزلت فى أبي سفيان بن حرب  
وكان عدوا ومؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصار وليا مضافيا لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم \* ثم نبه على عظيم فضل هذه الخصلة بقوله تعالى (وما يلقاها) أى على ما هى عليه من العظمة  
(الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من الفضائل النفسانية وقال قتادة الخط العظيم  
الجنة أى وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقوله تعالى (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما  
الزائدة (يتزغنك من الشيطان تزغ) قال الزنجشبرى التزغ والنسخ بمعنى واحد وهو شبيه  
النخس والشيطان يتزغ الانسان كأنه يتخسه فيبعثه على ما لا ينبغي وجعل التزغ نازعا كما قيل  
جد جده أو أريد وما يتزغنك نازغ ووصف الشيطان بالمصدر أو تسويله والمعنى وان صرفك  
الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى استجبر بالملك الاعلى من شر  
الشيطان واطلب من الله الدخول فى عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شأنك ولا تطعه وتوكل

على الله تعالى (انه هو) أى وحده (السميع) أى لكل مسوع من استعاذتك وغيرها (العليم) أى بكل معلوم من نزغته وغيره فهو القادر على رد كيده وتوهين أمره ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (ومن آياته) الدالة على وحدانيته وأنه سميع عليم (الليل والنهار) باختلاف هيئتهما على قدرته على البعث وكل مقدور وقدم الليل على ذكر النهار تنبيها على أن الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود (والشمس والقمر) اللذان هما الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر لكثرة نفعها \* ولما ثبت أنه تعالى المنفرد بانخلق قال سبحانه (لا تسجدوا للشمس) التى هى من أعظم أوثانكم وأعاد التامى تأكيده فقال (ولا للقمر) فانه ماد الان على وجود الاله مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم وهو لا يلقى الا بالذى أوجدهما من العدم كما قال تعالى (واسجدوا لله) أى الذى له كل كمال من غير شائبة نقص واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (الذى خلقهن) على أوجه أولاهما عوده لآيات الاربع كما جرى عليه الجلال المحلى وقيل يرجع لليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الاثنى والانات يقال الاقلام بريتها وبريتها وناقشه أبو حيان من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة في ذلك لان الافصح في جمع القلة أن يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة أن يعامل معاملة الاثنى والافصح أن يقال الاجذاع كسرتهم والجدوع كسرتهم وأجاب بعضهم بأن الزمخشري ليس في مقام بيان النصيح من الافصح بل في مقام كيف يجيء الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة أشياء مذكرات وواحد مؤنث والقاعدة تغليب المذكر على المؤنث وقال البغوى انما قال خلقهن بالتأنيث لانه أجراها على طريق جمع التذكير ولم يجسر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث \* ولما ظهر أن الكل عبده وكان السيد لا يرزى بأمر العبيده عبدا آخر في عبادة سيده قال تعالى (ان كنتم اباد) أى خاصة بغاية الرسوخ (تعبدون) كما هو صريح قولكم في الدعاء في وقت الشدائد لاسميا في الجروف والآية اشارة الى الحث على صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود لغيره رفعا للمقامهم عن أن يكونوا ساجدين لخلق بعد ان كانوا مسجودا لهم فانه تعالى أمر الملائكة عليهم السلام الذين هم من أشرف خلقه بالسجود لآدم عليه السلام وهم في ظهروه فتكبرا بليس فأبدل غنسه الى يوم القيامة (فان استكبروا) أى أوجدوا التكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد فلم ينزهوا الله تعالى عن الشريك (فالذين عند ربك) أى من الملائكة قال الرازى ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل كما يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ويبدل عليه قوله تعالى انا عند ظن عبدى بى وأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائما لقوله تعالى (وهم لا يسأمون) أى لا يملون ولتقوله سبحانه وتعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون (فان قيل) اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم من الاشتغال بغير الاعمال مع انهم ينزلون الى الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين قاتلوا يوم بدر عددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مستومين (أجيب) بأن الذين ذكرهم الله تعالى ههنا

يكونهم مواظبين على التسيب أقوام معينون من الملائكة \* (تنبيه) \* اختلف في مكان  
 السجدة فقبل هو عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما  
 حكاه الرازي عن أبي حنيفة وأحمد رضي الله تعالى عنهما لانه ذكر السجدة قبيله والصحيح عند  
 الشافعي رضي الله تعالى عنه عند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمرو وسعيد  
 ابن المسيب وقتادة وحكاه الرخشي عن أبي حنيفة رضي الله عنه لان عندهم تم الكلام \* ولما  
 ذكر تعالى الدلائل الاربعه الفلكية أتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال تعالى (ومن آياته) الدالة  
 على قدرته ووحدايته (انك) أي أيها الانسان (تري الارض) أي بعضها بحجاسة البصر وبعضها  
 بعين البصيرة قياسا على ما أبصرت (خاشعة) أي يابسة لانبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر  
 فاستعير لجمال الارض اذا كانت قحطة لانبات فيها كما وصفتها بالهمود في قوله تعالى وتري  
 الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال تعالى (فاذا أنزلنا) أي بالنامن  
 العظيمة (عليها الماء) من الغمام أو غيره (اهتزت) أي تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان  
 كمن يعالج ذلك بنفسه (وربت) أي تشقت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجوف  
 مغطيا لوجها وتشعبت عروقه وغلظت سوقه فصارت يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة  
 وتزخرت بذلك النبات كأنها بمنزلة المختال في ربه بعدما كانت قبل ذلك كالذليل الكاسف البال  
 في الاطمار الرثة وقرأ السوسي تری الارض في الوصل بالامالة بخلاف عنه والباقون بالفتح  
 وفي الوقف أمال محضة أبو عمرو ووجهة والكسافي وورش بين بين والباقون بالفتح ثم استدل  
 بذلك على القدرة على البعث فقال تعالى (ان الذي أحيانا) أي بما أخرج من نباتها بعد أن كانت  
 ميتة (لحي الموتى) كما فعل بالنبات من غير فرق (انه على كل شيء قدير) فهو قادر على احياء الارض  
 بعد موتها وعلى احياء هذه الاجساد بعد موتها لان الممكنات بالنسبة الى القدرة متساوية  
 فالقادر قدرة تامة على شيء منها قادر على غيره \* ثم انه تعالى هدد من يجادل في آياته بالقاء  
 الشهات فيها بقوله تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي القرآن على ما لها من العظمة بالطعن  
 والتحريف والتأويل الباطل والالغاز فيها وقرأ جزءه بفتح الياء والحاء من الحد والباقون بضم  
 الياء وكسر الحاء من الحد يقال الحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة يحفر في شق فالحد  
 هو المنحرف ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال مجاهد يلحدون في آياتنا  
 بالمكان والتصديفة واللغو واللغط وقال السدي يعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا)  
 أي في وقت من الاوقات ونحن قادرون على أخذهم متى شئنا أخذنا ولا يعجل الامن يخشى  
 الفوات قال مقاتل نزلت في أبي جهل وقوله تعالى (أفمن يلقى في النار) أي على وجهه بأيسر  
 أمر (خير أم من يأتي آمن يوم القيامة) استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التنبيه على أن  
 المحلدين في الآيات يلقون في النار وأن المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة حين  
 يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل قال البغوي قبل هو حمزة وقيل هو عثمان  
 وقيل عمار بن ياسر \* (فائدة) \* أم من في الرسم مقطوعة وقوله تعالى (اعلموا ما كنتم) أي فقد علمتم

مصير المسمى والمحسن تهديفن أرادشـ يامن الجزاءين فليعمل أعماله فنه ملاقيه وقوله تعالى  
 (انه بما تعملون) أى فى كل وقت (بصير) أى عالم بأعمالكم فيه وعيد بالمجازاة وقوله تعالى  
 (ان الذين كفروا بالذكر) أى القرآن (لما جاءهم) بدل من قوله تعالى ان الذين يلدون  
 أو مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون ولما بالغ تعالى  
 فى تهديد المحدثين فى آيات القرآن أتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال تعالى (وانه) أى والحال  
 انه (الكتاب) أى جامع لكل خير (عزيز) أى فهو وكثير النفع عديم النظير يغلب كل ذكر  
 ولا يغلبه ذكر ولا يقرب منه ذلك ويعجز كل معارض ولا يعجز عن اقعاد مناهض وقال  
 الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما كرم على الله تعالى وقال قتادة أعزه الله تعالى (لا يأتيه  
 الباطل) لانه يمنع منه بمقانة وصفه وجزالة نظمه وحلاوة معانيه فلا يلحقه تغيير (من بين يديه  
 ولا من خلفه) أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات لان قدام أوضح ما يكون  
 وخلف أخفى ما يكون فما بين ذلك من باب أولى والعبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعالى  
 لاوزاء لها ولا أمام لها على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرعى ولا دونه منتهى  
 وقال قتادة والسدى الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه  
 وقال الزجاج معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فبأية الباطل من بين يديه أو يزد فيه  
 فبأية الباطل من خلفه وعلى هذا فمعنى الباطل الزيادة أو النقصان وقال مقاتل لا يأتيه  
 التكذيب من الكتب التى قبله ولا يأتى بعده كتاب فيبطله ثم على ذلك بقوله تعالى (تنزيل)  
 أى بحسب التدريج لاجل المصالح (من حكيم) أى بالغ الحكمة فهو يضع كل شئ منه فى أم  
 محله من وقت النزول وسياق النظم (حميد) أى بالغ الاحاطة بأوصاف الكمال من الحكمة  
 وغيرها والتطهر والتقدس عن كل شائبة نقص يحمده كل خلقه بلسان حاله ان لم يحمده  
 بلسان قاله (فان قيل) أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون (أجيب) بان الله تعالى حماء عن  
 تعلق الباطل به بان قبض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد أقاويلهم فلم يخلو طاعن  
 الا معوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحو هذا قوله تعالى انما نحن نزلنا الذكروا ناله الحافظون  
 ثم سلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ما يقال) أى من الكفار أو من غيرهم (لك)  
 يا أكرم الخلق مما يحصل به ضيق صدور ونشويش فكر (الاما) أى شئ (قد قيل) أى حصل  
 قوله على ذلك الوجه (لترسل من قبلك) فصبروا على ما أودوا فاصبر كما صبروا (ان ربك) أى  
 المحسن اليك برسالك وانزال كتابه اليك ومن يكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يحزن لشيء يعرسله  
 (لذومغفرة) أى لمن تاب وآمن بك (وذوعقاب أليم) أى ولمن أسر على التكذيب وعلى  
 هذا فقوله تعالى ان ربك الاية مستأنف وقيل - فسر للمقول كانه قيل للرسول ان ربك لذوم  
 مغفرة وجرى على ذلك الزمخشري ونزل جوابا لقولهم هلا نزل القرآن باغة الهجم (ولو جعلناه)  
 أى هذا الذكر بالناسم العظمة (قرآنا) أى على ما هو عليه من الجمع (أعجميا) أى لا يفصح  
 (لقالوا) أى هؤلاء انتم نعتون (لولا) أى هلا ولم لا (فصلت) أى بينت (آياته) حتى تفهمها

وقولهم (أأعجمي) أي أقرآن أعجمي (و) نبي (عربي) استفهام انكار منهم وقال مقاتل  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا  
 أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار غلام عامر فضر به سيده وقال انك  
 تعلم محمدا فقال هو يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون وأبو عمرو بتحقيق الهمزة  
 الاولى وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهم ما وورش وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل  
 الثانية ولا ادخال وأسقط هشام الاولى والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله  
 عليه وسلم (قل هو) أي هذا القرآن (للذين آمنوا) أي أردنا وقوع الايمان منهم (هدى) أي  
 بيان لكل مطلوب (وشفاء) أي لما في صدورهم من داء الكفر والهوى وقيل من الاوجاع  
 والاسقام متعلق كما قال الرازي بقولهم وقالوا قلون بنا في أكنة مما تدعوننا اليه الآية كانه  
 تعالى يقول هذا الكلام أرسلته اليكم بلغتمكم لا يلفه أجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا  
 قلون بنا في أكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من أعطاه الله تعالى طبعاً ما أتى الحق وقلبا  
 داعيا الى الصدق فان هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء وأما من غرق في بحر الخذلان  
 وشعب بتابعة الشيطان فهو في ظلمة وعي كما قال تعالى (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر)  
 أي ثقيل فلا يسمعون مما عاينتهم (وهو عليهم عمى) فلا يبصرون الداعي حق الابصار  
 ثم قال الرازي وكل من أنصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه أولى مما  
 ذكره أي أنه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من أقولها الى آخرها كلاما واحدا  
 منتظما مسوقا لغرض واحد انتهى ولما بين هذا بعدهم عن عليائه وطردهم عن فناءه  
 قال تعالى (أولئك) أي البعداء البغضاء مثلهم مثال من (ينادون) أي يناديهم من يريد  
 نداءهم غير الله تعالى (من مكان بعيد) أي هم كالمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم  
 ما ينادي به (ولقد آتينا) أي على ما لنا من العظمة (موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف)  
 أي وقع الاختلاف (فيه) وجهه تعلقه بما قبله كانه قيل انما آتينا موسى الكتاب فقبله  
 بعضهم وهم أصحاب الهدى وردده بعضهم فكذلك آتيناك الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك  
 وردده آخرون وهم الذين يقولون قلون بنا في أكنة مما تدعوننا اليه (ولولا كلمة) أي ارادة  
 (سبقت) في الازل (من ربك) أي المحسن اليك بتأخير الحساب والجزاء للخلاق الى يوم  
 القيامة (لقضى بينهم) أي في الدنيا فيما اختلفوا فيه من انصاف المظلوم من ظالمه قال تعالى  
 بل الساعة موعدهم ولكن تؤخرهم الى أجل مسمى (وانهم لفي شك) أي المكذبين  
 محبطهم (منه) أي القضاء يوم الفصل (مريب) أي موقع في الريب وهو التهمة والاضطراب  
 بحيث لا يقدر على التخلص من دائرته أصلا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (من عمل  
 صالحا) أي كائنا من كان (فلننفسه) أي فنضع عملا لها لا لاحد يتعدها والنفس فقيرة  
 الى التزكية بالاعمال الصالحة لانها محل النقص فلذا عبر بها (ومن أساء) في عمله  
 (فعلينا) أي على نفسه خاصة ليس علينا منه شيء فنحن عن نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا

فنتفع ايمانهم يعوذا اليهم وان ~~كفروا~~ فاضروا كفرهم يعوذا اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى  
 كل احد ما يليق به من الجزاء (وماربك) أي المحسن اليك يا رسالك لتتميم مكارم الاخلاق  
 (بظلام) أي بندي ظلم (للعبيد) أي هذا الجنس فلا يتصور أن يقع ظلم لاحد منهم أصلاً لان له  
 الغنى المطلق والحكمة البالغة (اليه) أي المحسن اليك لا الى غيره (يرد علم الساعة) أي  
 أي لا سبيل الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله تعالى وكذا العلم بمحدث الحوادث  
 المستقبلة في أوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين أحدهما  
 قوله تعالى (وما تخرج من غرات) أي في وقت من الاوقات وقرأنا نافع وابن عامر وحفص بألف  
 بعد الراء جمعاً والباقون بغير ألف افراداً وقوله تعالى (من أكامها) جمع كم وكامة قال البقاعي  
 تبعاً للزمخشري بالكسرة فيهما وهو وعاء الطلع وكل ما غطي على وجه الاحاطة شيئاً من شأنه أن  
 يخرج فهو كم وقال الراغب الكم ما يغطي البدن من القميص وما يغطي الثمرة وجمعها أكام  
 وهذا يدل على أنه مضموم الكاف أو جعله مشتملاً كابين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف  
 في كم القمص أنه بالضم فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لعنتان دون كم القميص جمعاً بين القولين  
 والمثال الثاني قوله تعالى (وما تحمل من أنثى) حملنا ناقصاً أو تاماً وكذا الغنى باعادة الناقى  
 ليشهد كل على حياله (ولا تضع) جلا حياً أو ميتاً (الا) حال كونه متلبساً (بعلمه) ولا علم لاحد  
 غيره بذلك ومن ادعى علمه فليخبر بان ثمرة الحديقة الفلانية والبستان الفلاني والبلد الفلاني  
 تخرج في الوقت الفلاني أو لا تخرج العام شيئاً والمرأة الفلانية تحمل في الوقت الفلاني  
 وتضع في وقت ~~كذا~~ أو لا تحمل العام شيئاً ومن المعلوم أنه لا يحيط به هذا العلم الا الله تعالى  
 (فان قيل) نديقول الرجل الصالح من أصحاب الكشوف قولاً فيصيب فيه وكذلك الكهان  
 والمنجمون (أجيب) بأن أصحاب الكشوف اذا قالوا قولاً فهو من الهام الله تعالى واطلاعه  
 اياهم عليه فكان من علمه الذي يراد به وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم  
 في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قلما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم  
 اليقين المقطوع به الذي لا يشاركه فيه أحد جل وبنو اعلا (ويوم يناديهم) أي المشركين  
 بعد بعثتهم من القبور ليفصل بينهم في سائر الامور (أين شركائكم) أي الذين زعمتم أنهم يشفعون  
 لكم في هذا اليوم ويحمونكم من العتاب واللوم (قالوا) أي المشركون (أذنالك) أي  
 أعلمناك (مأمناً) واكدوا النبي بادخال الجار في المبتدا (من شهيد) أي يشهد أن لك شريكاً  
 وذلك لما رأوا العذاب تبرؤوا من الاصنام وقيل معناه مأمناً أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم  
 وضلت عنهم آلهتهم فلا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هذا كلام الاصنام كان الله تعالى يحبسها  
 وأنها تقول مأمناً من شهيد أي أحد يشهد بصحة ما أضفوا اليها من الشركة وعلى هذا التقدير  
 فعنى ضلالتهم عنهم لانهم لا يتفقونهم فكانهم ضلوا عنهم وهو معنى قوله تعالى (وضل) أي ذهب  
 وغاب وخفي (عنهم ما كانوا) أي دائماً (يدعون) في كل حين على وجه العبادة (من قبل)  
 فهم لا يرونه فضلاً عن أنهم يجدون نفعه (وظنوا) أي في ذلك الحال (مالهم) وأبلغ في النبي

بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال (من محيص) أى مهرب ومخلص ومعدل ولما بين تعالى من  
 حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بآيات الشركاء والاضداد لله تعالى  
 في الدنيا تبرؤا عن تلك الشركاء في الآخرة بين تعالى أن الانسان في جميع الاوقات متغير  
 الاحوال فان أحسن بخير وقدرة تعاليم وان أحسن يلام ومحنة ذل بقوله تعالى (لا ينام)  
 أى لا يمل ولا يجمز (الانسان) أى الآنس بنفسه الناظر في اعطافه الذى لم يتأهل للمعارف  
 الالهية والطرق الشرعية (من دعاء الخير) أى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما  
 (وان مسه الشر) أى من فقر وشدة وغيرهما (فيوس) من فضل الله تعالى (قنوط) من رحمة  
 الله تعالى والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهى الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها  
 وفي حال الادبار والحرم ان يصير آياتا وهدى صفة الكافر لقوله تعالى لا يأس من روح  
 الله الا القوم الكافرون \* (تنبيه) \* في قوله تعالى يؤس قنوط مبالغة من وجهين أحدهما من  
 طريق فعول والثانى من طريق التكرار واليأس من صفة القلب والقنوط أن تظهر آثار اليأس  
 في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذى صار آياتا بقوله تعالى (ولئن) اللام  
 لام القسم (أذقناه) أى آتينا ذلك الانسان (رحمة) أى غنى وصحة (مناف) أى بالنامن  
 العظمة والقدرة (من بعد ضراء) أى شدة وبلاء (مسته) فانه يأتي بثلاثة أنواع من الاقوابل  
 الفاسدة الموجبة للكفر والبعث من الله تعالى الاول منها ما حكاها الله بقوله سبحانه (ليقولن)  
 بمجرد ذوق تلك الرحمة على أنها ربما كانت بلاء عظيم الكونها استندراجا الى الهلاك (هذا)  
 الامر العظيم (لى) أى حتى يختص بي ووصل الى لاني استوجبه بعلى وعلم ولا يعلم المسكين  
 أن أحد الا يستحق على الله تعالى شيئا لانه ان كان عاريا من الفضائل فكلامه ظاهر الفساد وان  
 كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهي انما حصلت بفضل الله واحسانه النوع  
 الثانى من كلامه الفاسد قوله (وما أظن الساعة) أى القيامة (قائمة) أى ثابتا قيامها فقطع  
 الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان قاله أو بلسان حاله لكونه يفعل أفعال الشاك فيها النوع  
 الثالث من كلامه الفاسد قوله (ولئن) اللام لام القسم (رجعت) أى على سبيل القرض أى  
 ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث وان كان الامر على ذلك ورددت (الى ربي)  
 أى الذى أحسن الى بي - ذا الخير الذى أنافيه (ان لى عنده الحسنى) أى الحالة الحسنى من  
 الكرامة وهى الجنة فكما أعطانى في الدنيا سمعتمنى في الآخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه  
 الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى شأنه (فلننبئن) أى فلنخبرن (الذين كفروا) أى ستروا  
 ما دلت عليه العقول وصرائح النقول (بما عملوا) لاندع منه كثيرا ولا قليلا صغيرا ولا كبيرا  
 فيرون عيانا ضامنا ظنوه في الدنيا من أن لهم الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه  
 هباء منثورا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما لثوقفتم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم)  
 أى بعد اقامة الحجية عليهم عوازين التسط الوافية كما قيل الذر (من عذاب غليظ) أى شديد  
 لا يدع جهة من أجسامهم الا أطابها \* ولما حكى الله تعالى أقوال الذى أنتم عليه بعد وقوعه



في الآفات حكى أفعاله أيضا فقال (واذا أنعمنا) أي بالنامن العظيمة (على الانسان) أي  
 الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا (أعرض) أي عن التعظيم لامر الله تعالى والشفقة  
 على خلق الله تعالى (ونأي) أي أبعد بعد اجعل بيننا وبينه حجبا عظيما (بجانبه) أي  
 ثنى عطفه متجترا (واذامسه الشر) أي هذا النوع قليله وكثيره (فدودعاء) أي في ككشفه  
 وربما كان نعمة باطنية وهو لا يشعر ولا يدعوا الا عند الممس وقد كان ينبغي له أن يشرع  
 في الدعاء عند التوقع بل قبله تعرقا الى الله تعالى في الرخاء ليعرفه في الشدة وهو خلق شريف  
 لا ينفعله الا أفراد خصم الله بطلننه (عريض) أي مديد العرض جدا وأما طوله فلا يستل  
 عنه وهذا كناية عن النهاية في الكثرة تقول العرب أطال فلان الدعاء وأعرض  
 أي أكثر ثم أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) أي اهؤلاء المعرضين  
 (أرأيتم) أي أخبروني (ان كان) أي هذا القرآن (من عند الله) الذي له الاحاطة بجميع  
 صفات الجلال والجمال (ثم كفرتم به) أي من غير نظر واتباع دليل (من اضل) منكم هكذا  
 كان الاصل ولكنه قال (من هو في شقاق) أي خلاف لاولياء الله تعالى (بعيد) أي عن  
 الحق تبيينها على أنهم صاروا كذلك ومن صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله عز وجل  
 (سنتريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية (وفي أنفسهم) أي  
 بالبلايا والامراض وقال قتادة يعني وقائع الله تعالى في الامم الخالية وفي أنفسهم يوم بدر  
 وقال مجاهد في الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفي أنفسهم  
 فتح مكة وقال عطاء في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم  
 في آفاق الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات والنبات والاشجار والانهار  
 وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وبديع الحكمة في كيفية تكوين الاجنسة في ظلمات الارحام  
 وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كتولده تعالى وفي أنفسهم أفلات تصرون  
 \* (تنبية) \* قال النووي في تهذيبه قال أهل اللغة الآفاق النواحي الواحدة أفق بضم الهمزة  
 والفاء وافق باسكان الفاء \* ولما كان التقدير ولا نزال نكرر عليهم هذه الدلائل عطف عليه  
 (حتى يتبين لهم) غاية البيان بنفسه من غير اعمال فكر (أنه) أي القرآن (الحق) أي  
 الكامل في الحقيقة الذي يطابق الواقع المنزل من الله تعالى بالبعث والحساب والعقاب  
 فيعاقبون على كفرهم به وبالجانن به وقيل الضمير في انه لدين الاسلام وقيل لمحمد صلى الله عليه  
 وسلم (أولم يكف بربك) أي المحسن اليك بهذا البيان المجزول للنس والجان شهادة بأن القرآن  
 من عند الرحمن \* (تنبية) \* الباء زائدة للتأكيده كقوله قيل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد  
 تزداد في الفاعل الامع كفي وقوله تعالى (أنه على كل شيء شهيد) بدل من ربك والمعنى أولم  
 يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء مما وقد شهد ذلك فيه بالايجاز لجميع الخلق بكل  
 ما تضمنته آياته ونطقت به كلماته فقيه أعظم بشاره بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولما لم يبق  
 بعد هذا التعمت مقال ولا شبهة أصلا لفضال قال تعالى مناديا على من يجحدوا ستمر على عناده

(الأنهم) أي هؤلاء الكفرة (في صرية) أي جحد وجدال وشك وضلال عن البعث (من انقارهم) أي المحسن اليهم بأن خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم كره كونه قادرا على البعث وغيره بقوله تعالى (الآية) أي هذا المحسن اليهم (بكل شيء) أي من الاشياء جللتها وتفصيلها كلياتها وجزئياتها أصولها وفروعها غيرا وشهادتها ملكها وملكوتها (محيط) قدرة وعلما بكثير الاشياء وقليلها كلياتها وجزئياتها فيجازيهم بكفرهم وقول البيضاوي تبع اللز مخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنة حديث موضوع

❖ (سورة شوري مكيه) ❖

وهي ثلاث وخسون آية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط بصنات الكمال (الرحمن) الذي عمت رحمته سائر عباداه (الرحيم) الذي خص أوليائه بما ترضاه الهيته من رحمته وقوله تعالى (حم عسق) تقدم الكلام في أمثال هذه النواتج وسئل الحسن بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سورة أولها حم فحرت مجرى نظائرهما فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانهم ما عدا آيتين وأخواتها مثل كهيعص والمص والمرعدت آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف تهج لا غير واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم أي قضى ما هو كائن روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال حمله م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته أقسم الله تعالى بها وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح ح حرب قريش يعزفها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو قريش يقصد هم س سنين كسني يوسف تكون فيهم ق قدرة الله تعالى النافذة في خاتمه وروى عن ابن عباس أنه قال ليس من نبي صاحب كتاب الا وأوحيت اليه حم عسق فلذلك قال تعالى (كذلك) أي مثل هذا الايحاء العظيم الشأن (يوحى اليك) أي ما دمت حيا لا يقطع ذلك عنك (والى) أي وأوحى الى (الذين من قبلك) أي من الرسل الكرام والانبياء الاعلام ومن جملة ما أوحى اليهم أن أتتكم أكثر الامم وأنك أشرف الانبياء وأخذ على كل منهم العهد باتباعك وأن يكونوا من أنصارك وأتباعك وقوله تعالى (الله) أي الذى له الاحاطة بأوصاف الكمال فاعل الايحاء \* ولما كان نفوذ الامر دائرا على العزة والحكمة قال تعالى (العزيز) أي الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) الذى يصنع ما يصنعه فى أتقن محاله فلذلك لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه ولا نقص ما أحكمه \* (تنبيه) ما تتر من أن الله تعالى فاعل الايحاء هو على قراءة كسر الحاء من يوحى وهى قراءة غير ابن كثير وأما على قراءة ابن كثير يفتح الحاء فيجوز أن يرتفع بفعل مضمر كأنه قيل من يوحى فقيل الله كسج له فيها بالفتح والاصال رجال ويجوز أن يرتفع بالابتداء وما بعده خبر

والجمله فاعلة مقام الفاعل وأن يكون العزيز الحكيم خبرين أو نعتين والجمله من قوله تعالى  
(له ما في السموات) أي من الذوات والمعاني (وما في الارض) كذلك خبر أول أو ثان على  
حسب ما تقدم في العزيز الحكيم قال الزمخشري لم يقل تعالى أوحى اليك ولكن قال يوحى  
اليك على لفظ المضارع ليدل على أن إحياء مثلها عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على  
ما لا نهاية له وكونه حكما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات وقوله  
تعالى له ما في السموات وما في الارض يدل على كونه متصفا بالقدرة الكاملة النافذة في جميع  
أجزاء السموات والارض على عظمتها وسعتها بالإيجاد والاعدام وأن ما في السموات وما في  
الارض خلقه ومملكه \* ولما كان العلم مستلزما للقدرة قال تعالى (وهو العلي) على كل شيء  
علو رتبة وعظمة ومكانة لا علم مكان وملازمة (العظيم) بالقدرة والتفهم والاستعلاء وقوله تعالى  
(تكاد السموات) قرأه نافع والكسائي بالياء التحتية والباقون بالفوقية وقوله تعالى  
(ينظرن) أي يشقن قرأه شعبة وأبو عمرو وبعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففة  
والباقون بعد الياء تنوين مفتوحة وفتح الطاء مشددة وقوله تعالى (من فوقهن) في ضميره  
لأنه أوجه أحدها أنه عائد على السموات أي كل واحدة منهن تنظر فوق التي تليها من  
عظمة الله تعالى أو من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم أي يتدنى انقطارهن من  
هذه الجهة فن لا ابتداء الغاية متعلقة بما قبلها الثاني أنه يعود على الارضين لتقدم ذكر الارض  
الثالث أنه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير وقال الزمخشري  
كلمة الكفر أي على التفسير الثاني انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن  
يقال ينظرن من تحت أي من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة  
في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينظرن أي من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهن ونظيره  
في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهره ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا  
في أجزاءهم الباطنة اه \* ولما بين تعالى أن سبب كيدودة انقطارهن جلال العظمة التي منها  
كثرة الملائكة وشناعة الكفر بين له اسما آخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى  
(والملائكة يسبحون) أي يوقعون التنزيه لله تعالى متلبسين (بمحمد ربه) أي بإثبات  
الكمال للمحسن اليهم سيما يلبق بحالهم فلهم بذلك زجل وأصوات لا تحملها العنول ولا تثبت  
لها الجبال \* (تنبيه) \* عدل عن التأييد ولم يقل يسبحن مراعاة للنظ الذي كبر وضمير الجمع  
الجمع إشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين (فان قيل) قوله تعالى (ويستغفرون لمن  
في الارض) عام فيدخل فيه الكفار ولقد اعلمهم الله تعالى فقال سبحانه أولئك اعلمهم اعلم الله  
والملائكة والناس أجمعين فكيف يكونون لاعين لهم ومستغفرون لهم (أجيب) بوجوه  
الاول انه عام مخصوص بأية عافرو ويستغفرون للذين آمنوا الثاني أن قوله تعالى لمن  
في الارض لا يفيد العموم لانه يصح أن يقال استغفروا البعض من في الارض دون البعض  
ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز أن يكون المراد بالاستغفار أن لا يعاجلهم

قوله استغفروا  
لبعض الخ الظاهر  
اسقاط لفظ بعض  
ومع اسقاطه فنيه  
نظر اه

بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا إلى أن قال تعالى انه كان  
 حلما غفورا الرابع يجوز أن يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار  
 فبطلب الايمان لهم وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار  
 وزين قلوبهم بنور الايمان وأزل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار في الحقيقة  
 وقوله تعالى (ألا ان الله) أي الذي له الاحاطة بصفات الكمال (هو) أي وحده (الغفور  
 الرحيم) تنبيه على أن الملائكة وان كانوا يستغفرون للبشر إلا أن المغفرة المطلقة لله  
 تعالى وهو - إذ يدل على أنه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة (والذين اتخذوا  
 من دونه) أي غير الله تعالى (أولياء) أي أنداد وشركاء يعبدونهم كالأصنام (الله)  
 أي المحيط بصفات الكمال (حقيقا) أي رقيب وصرام وشهيد (عليهم) أي على أعمالهم  
 ولا يغيب عنه شيء من أعمالهم فهو ان شاء أبصاهم على كفرهم وجازاهم عليه بما أعد للكافرين  
 وان شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا وأثر ولم يعاقبهم وان شاء سبحانه عينا وأبقى الاثر حتى يعاقبهم  
 (وما أنت) يا أشرف الرسل (عليهم بوكيل) أي حتى يلزمك أن تراعي جميع أحوالهم من  
 أقوالهم وأفعالهم فتحفظها وتفسرهم على تركها ونحو ذلك مما يتولاه الوكيل بما يقوم فيه مقام  
 الموكل سواء قالوا أو لم يقولوا وهذا القرآن أم قالوا أو لم يقولوا في أكنة مما تدعون اليه وغير ذلك  
 اذ ما علمت الا البلاغ (وكذلك) أي ومثل ذلك الايجاء (أوحينا) أي بما لنا من العظمة  
 (اليد قرآنا) أي جاءه الكل حكمه مع الفرق لكل ملتبس (عريبا) فهو بين الخطاب  
 واضح الصواب مجاز الجنب (لتنذر) أي به (أم القرى) أي أهل مكة التي هي أم الارض  
 وأصلها من هاد حيث أولشرفها أوقع الفعل عليها عدالها عدد العقلاء أو غير ذلك اذ ما عليك  
 الا البلاغ وقوله تعالى (ومن حولها) معطوف على أهل المقدر قبل أم القرى والمفعول الثاني  
 محذوف أي العذاب والمراد بمن حواها قرى الارض كلها من أهل البدو والحضر وأهل  
 المدر والوبر والانداز التخويف (وتنذر) أي الناس (يوم الجمع) أي يوم القيامة يجمع  
 الله تعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات والارضين ويجمع الارواح بالاجساد  
 ويجمع بين العامل وعمله ويجمع بين الظالم والمظلوم (لاريب) أي لا شك (فيه) لانه ركن  
 في فطرة كل أحد وقوله تعالى (فريق) يجوز فيه وجهان أحدهما أنه مبتدأ وساغ هذا  
 في النكرة لانه مقام تفصيل وخبره (في الجنة) أي تفضلا منه ورحمة وهم الذين قبلوا الانذار  
 وبالغوا في الحذار ويجوز أن يكون الخبر مقدرا تقديره منهم فريق وساغ الابتداء بالنكرة حينئذ  
 لشئين تقديم خبرها جارا ومجرورا ووصفها بالجارية بعدها والثاني أنه خبر مبتدأ مضمرا أي هم  
 أي المجموعون فريق دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع وقوله تعالى (وفريق في السعير) أي  
 عدلا منه فيه مامر وهم الذين خذاهم الله تعالى وكلهم الى أنفسهم (فان قيل) يوم الجمع  
 يقتضى كون القوم مجتمعين والجمع بين الصنفين محال (أجيب) بأنهم يجتمعون أولا ثم يصيرون  
 فريقين قال القشيري كما أنهم في الدنيا فريقان فريق في راحت الطاعات وحلاوات العبادات

وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحود والشك فكذلك غداهم فريقان فريق هم أهل  
اللقاء وفريق هم أهل البلاء والشقاء روى الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان  
الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة  
وأسماء آبائهم وعشائريهم وعدتهم قبل أن يستقر وانظفوا في الاصلاب وقبل أن يستقر وانظفوا  
في الارحام اذهم في الطينة منجدلون فليس يزد فيهم ولا ينقص منهم اجال من الله عليهم الى يوم  
القيامة ثم قال للذي في يده اليسرى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم  
وعشائريهم وعدتهم قبل أن يستقر وانظفوا في الاصلاب وقبل أن يستقر وانظفوا في الارحام  
اذهم في الطينة منجدلون فليس يزد فيهم ولا ينقص منهم اجال من الله تعالى عليهم الى يوم  
القيامة فقال عبد الله بن عمرو فقيم العمل اذن فقال اعلموا وسددوا وقاربوا فان صاحب  
الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار  
وان عمل أى عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن  
حنبل في مسنده (ولو شاء الله) أى المحيط بجميع أوصاف الكمال (بلعلمهم) أى المجموعين  
(أمة واحدة) للنواب أو للعذاب ولا يمكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن يكونوا فريقين متسطين  
وظالمين ليظهر فضله وعدله وأنه اله جبار واحد قهار لا يبالى بأحد وهو معنى قوله تعالى (ولكن  
يدخل من يشاء) ادخاله (في رحمة) بخلق الهداية في قلبه فتكون أفعالهم في مواضعها  
وهم المتسطون ويدخل من يشاء في نعمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا تكون  
أفعالهم في مواضعها فالمتسطون مالهم من عدو ولا نكير (والظالمون) أى العريقون في الظلم  
الذين ساء ظلمهم وهم الكافرون فيدخلهم في لعنته (مالهم من ولى) أى بلى أمورهم  
فيجتمد في اصلاحها فيدفع عنهم العذاب (ولا نصبر) ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار  
وعلى هذا التقدير فالآية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر الرحمة أولا لدليله على اللعنة ثانيا  
والظلم ومما معه ثانيا لدليله على اضداده أولا وهذا تقدير قوله تعالى الله حفيظ عليهم وما  
أنت عليهم بوكيل أى أنت لا تقدر أن تحملهم على الايمان ولو شاء الله تعالى لنعله لأنه أقدر منك  
لكنه تعالى جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا \* ولما حكى الله تعالى عنهم أولا انهم اتخذوا  
من دونه أولياء ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم است عليهم بوكيل أى لا يجب عليك أن  
تحملهم على الايمان فان الله تعالى لو شاء لنعله أعاد ذلك الكلام على سبيل الانكار بقوله تعالى  
(أم اتخذوا من دونه أولياء) كالاصنام وهذه أم المنتفعة فتقديره لى اللاتة ل وبه - مزة  
الانكار وبالهمزة فقط أو بيل فقط أى ليس المتخذون أولياء (فأله) أى المختص بصفات الكمال  
(هو) وحده (الولى) قال ابن عباس وليك يا محمد وولى من أتبعك والنساء جواب الشرط المقدر  
كأنه قال ان أرادوا أولياء بحق فأله هو الولي لا ولى سواء وقيل هى مجرد العطف وجرى  
على هذا الجلال المحلى وعلى الاقول الزمخشري (وهو) أى ومن شأن هذا الولي (يحيى المولى)

أى يجتددا حياها فى كل وقت يشاؤه (وهو) وحده (على كل شئ تقدير) فهو الحقيق بأن يتخذ  
 وليادون من لا يقدر على شئ \* ولما منع تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار  
 على الايمان منع المؤمنين أن يشروعوا معهم فى المخاصمات والمنازعات بقوله تعالى (وما اختلفتم  
 أى أنتم والكفار (فيه من شئ) أى من أمور الدنيا أو الدين (فحكمه الى الله) أى مفوض  
 الى الذى هو الولي لا غيره يميز المحق من المبطل بالنصر والاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه  
 من تأويل المتشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله) أى المحيط بجميع  
 صفات الكمال (ربى) أى الذى لا مربى لى غيره فى ماض ولا حال ولا استقبال (عليه) أى  
 وحده (توكلت) أسلمت جميع أمرى (واليه) لا الى غيره (أنيب) أى أرجع بالتوبة  
 اذا قصرت فى شئ من فروع شرعه وأرجع الى كتابه اذا نابخى أمر من الأمور فأعرف منه حكمه  
 فافعلوا أنتم كذلك واجعلوا له الحكم تفلحوا ولا تعدلوا عنه فى شئ من الأشياء كما كروا وقوله  
 تعالى (فاطر) أى مبدع (السموات والارض) خير آخر لذلكم أوبىته أخبره (جعل لكم)  
 أى بعد أن خلقكم من الارض (من أنفسكم أزواجا) حيث خلق حواء من ضلع آدم فيكون  
 بالسكون اليها بقاء نوعكم (ومن) أى وجعل لكم أى لا جعل لكم من (الانعام) التى هى  
 أموالكم وجمالكم وبها أعظم أقواتكم (أزواجا) أى ذكورا واناثا يكون بها أيضا بقاء  
 نوعها (يذروكم) بالمعجزة أى يخلقكم ويكثركم من الذر وهو البث (فيه) أى فى هذا  
 التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا ليكون بينهم تولد فانه كالمنبع للث والتكثير فالضهير  
 للاناسى والانعام بالتغليب واختلاف فى الكاف فى قوله تعالى (ليس كمثلته شئ) بجرى الجلال  
 المحلى على انها زائفة لانه تعالى لا مثل له وجرى غيره على أنه ليست زائفة لانه اذا نفي عن يناسبه  
 ويستمدته كان نفيه عنه أولى وحاصله كما قال التقطازانى ان قوله ليس كذاته شئ وقولنا ليس  
 كمثلته شئ عبارتان كلاهما من معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته الاولى صريحا والنسبية  
 كناية مشتملة على مبالغة وهى أن المماثلة منفية عن يكون مثله وعلى صفة فكيف عن نفسه  
 وهذا لا يستلزم وجود المثل ألا ترى أن قوله هم مثل الامير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له  
 فالعنى هنا أن مثل مثله تعالى منبى فكيف بمثله وأيضا مثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيها وقال  
 البغوى المثل صله أى ليس كهو شئ فأدخل المثل للتوكيد كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم  
 به اه وهذا كالتأويل الاول وقيل ان المراد بالمثل الصفة وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل  
 الصفة كقوله تعالى مثل الجنة فيكون المعنى ليس كصفته تعالى شئ من الصفات انى غيره وأما  
 قوله تعالى وله المثل الاعلى فعناه أن له الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد  
 (وهو) أى والحال أنه هو لا غيره (السميع البصير) أى الكامل فى السمع والبصر بكل  
 ما يسمع ويصير (فان قيل) هذا يفيد الحصر مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سميعين  
 بصيرين (أجيب) بأن السمع والبصر افظان مشعران بمحصول هاتين الصفتين على سبيل  
 الكمال كما تر والكمال فى كل الصفات ليس الا الله تعالى فهذا هو المراد من هذا الحصر (له) أى

وحده (مقاليد السموات والارض) أي خزائهما ومفاتيح خزائهما من الامطار والانبات  
 وغيرهما وقد ثبت أنه ابتدعهما وأن له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه وليا وغيره قال القشيري  
 والمفاتيح الخزائن وخزائنه هي مقدوراتها ٥٥ ولما حصر الامر فيه دل عليه بقوله تعالى (يبسط  
 الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) استحسانا (ويقدر) أي يضيقه لم يشاء ابتداء كما وسع على  
 فارس والروم وضيق على العرب وفاوت في الافراد بين افراد من وسع عليهم ومن ضيق  
 عليهم فدل ذلك قطعا على أنه لا شريك له وانه هو المتصرف وحده فقطع بذلك افكار  
 الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه ويتفرغوا له فان عبادته هي المقاليد الحقيقية استغفروا  
 ربكم انه كان غفارا الآيات ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها  
 الانهار ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو أن أهل  
 الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم الآية ثم قال ذلك بقوله  
 تعالى (انه بكل شيء عليم) أي فلا فعل له الا وهو جار على أن تن ما يكون من قوانين الحكمة  
 فيفعله على ما ينبغي \* ولما نظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحى اليك  
 والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر تفصيل ذلك بقوله تعالى (شرع لكم) أي  
 طرق ومن طريقا ظاهرا بينا وضحالكم أيها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة المستقيمة (من  
 الدين) وهو ما يمل فيجازي عليه (ما) الذي (وصى به) توصية عظيمة بعد اعلامه بأنه  
 شرعه (نوحا) في الزمان الاقدم وهو أول انبياء الشريعة قال مجاهد وأوصيناك اياها بما محمد  
 دينا واحدا (والذي اوحى اليك) أي من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا) أي بما لنا  
 من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات (بدا براهيم) الذي نجناه من كيد فرود  
 بالنار وغيرها ووهبنا له على الكبر اسمعيل واسحق وقرأ عشاء بفتح الهاء وألف بعدها والباقون  
 بكسر الهاء وياء بعدها (وموسى) الذي أنزلنا عليه التوراة وعظما وتفصيلا لكل شيء  
 (وعيسى) الذي أنزلنا عليه الانجيل هدى ونورا وعظما وادخرناه في سمائنا لتأييد شريعة  
 النافع الخاتم صلى الله عليه وسلم \* ثم بين المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم  
 بقوله تعالى (أن أقيموا) أي أيها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية (الدين)  
 وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله تعالى ومحلها نصب على البدل من مفعول  
 شرع أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وما ذلك المشروع أو الجزر على البدل من هابه • ولما  
 عظمه بالامر بالاجتماع أتبعه بالعظيم بالنهي عن الافتراق بقوله تعالى (ولا تفرقوا فيه) أي  
 ولا تختلفوا في هذا الاصل أما فروع الشرائع المختلفة فقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة  
 ومنها جار قال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات  
 والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله تعالى نبيا الاوصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة  
 والافراد لله تعالى بالطاعة فذلك دينه الذي شرعه وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك ويجرى  
 على هذا الجلال المحلى والكل يرجع اليه (كبر) أي عظم وشق (على المشركين) حتى

ضاقته به صدورهم (ما تدعوهم اليه) أي النبي الفاتح الخاتم من الاجتماع ابداعلى  
ما اجتماعوا عليه وقت الاضطراب من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون  
في تفرقكم فان تفرقتم كنتم تابعتم العدو والحسد وخالفتم الولى الودود \* ثم نبه تعالى على أن  
الامور كلها يده بقوله تعالى (الله) الذى له سبحانه العظمة ونفوذ الامر (يجتنبى) أى يختار  
(اليه) أى الى هذا الدين الذى تدعوهم اليه (من يشاء) اجتنابه (ويهدى اليه) بالتوفيق  
للطاعة (من يشاء) أى من يقبل الى طاعته \* ولما بين تعالى أمر كل الانبياء عليهم السلام والامم  
بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل أن يقول فلماذا انجدهم متفرقين أجاب بقوله تعالى  
(وما تفرقوا) أى المشركون من قبلكم من أهل الكتاب وغيرهم (الامن بعد ما جاءهم العلم)  
أى بالتوحيد أو ببعث الرسول صلى الله عليه وسلم أو بأن التفرق ضلال متوعد عليه (بغيا  
بينهم) أى فعلوا ذلك للبنى وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية على أن ذهبت كل طائفة  
الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع  
الاختلاف ثم أخبر تعالى أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل لأنه تعالى أخرج عنهم  
العذاب لان لكل عذاب عنده أجلا مسمى أى وقتا معلوما وهذا معنى قوله تعالى (ولولا كلمة)  
أى لا تبديل لها (سبقتم) أى فى الازل (من ربك) أى المحسن اليك يجعلك خيرا للخلائق  
وامامهم بتأخيرهم (الى أجل مسمى) ضربه لآجالهم ثم يحجمهم فى الآخرة (لغضى)  
على أيسر وجه وأسمله (بينهم) حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق قال ابن عباس  
والذين أريدوا وجه هذه الصفة هم اليهود والنصارى لقوله تعالى فى آل عمران وما اختلف الذين  
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى فى سورة لم يكن وما تفرق الذين  
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك فى قوله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب  
من بعدهم) أى المتفرقين هم اليهود والنصارى الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقبلهم هذه الامة الذين أوتوا القرآن ولما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كأنه  
ما تفرقوا كما قال تعالى ثم أوتينا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا فكان حالهم فى تمكثهم  
من التصرف فى الكتاب بالحفظ والفهم وعدم المنازعة فى ادعائه حال الوارث والموروث منه  
(لنى شك منه) أى من كتاب لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان أو من القرآن فيقولون  
انه صحر وشعر وكهانة ونحو ذلك وقيل فى شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال  
المحلى (مريب) أى موقع فى التهمة (فانذرت) أى التوحيد (فادع) بأشرف الخلق  
الناس (واستقم) أى على الدعوة (كما أمرت) أى أمرك الله تعالى (ولا تتبع) أى  
بعمل (أهواءهم) فى شئ مما فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل أحد أن يفعل ما أمر  
به (وقل) لجميع أهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك أرسلت الى جميع الخلق (أمنت بما  
أنزل الله) أى الذى له العظمة الكاملة (من كتاب) أى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار  
الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض روى أن رجلا أتى عليا فقال يا أمير المؤمنين ما الايمان



أو كيف الايمان قال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على  
 أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن  
 أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هاون بالمصائب ومن ارتقب الموت  
 سارع الى الخيرات واليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة  
 وسنة الاولين فن تبصر الفطنة تأويل الحكمة ومن تأويل الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة  
 عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان في الاولين والعدل على أربع شعب على عامض  
 النهم وزهرة الحلم وروضة العلم وعلم الحكم فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل في الحكم ومن علم  
 عرف شرائع الحلم ومن حلم لم يفرط أمره وعاش في الناس والجهاد على أربع شعب على الامر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنات الفاسقين فمن أمر بالمعروف شد ظهره  
 ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شنى  
 الفاسقين غضب الله تعالى وغضب الله تعالى له فقام الرجل وقبل رأسه (وأمرت) أي عن له  
 الامر كانه (لا عدل) أي لاجل أن عدل (بينكم) أي المفسر قون في الاديان من العرب  
 والحجيم من الانس والجن ثم عمل ذلك بقوله (الله) أي الذي له الملك كله (ربنا وربكم)  
 أي موجودنا ومتولى جميع أمورنا فلها هذا أمرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده  
 (لنا أعمالنا) خاصة بنا لاتعدونا الى غيرنا (واحكم أعمالكم) خاصة بكم لاتعدوكم الى غيركم  
 فكل مجازي بعمله (لا حجة) أي لا خصومة (بيننا وبينكم) وهذا قبل أن يؤمر بالجهاد  
 كما قاله الجلال المحلى وقال ابن الخازن هذه الآية منسوخة بآية القتال وكذا قال البغوي  
 ولكن قال البيضاوي وليس في الآية ما يدل على مشاركتها وأما حتى تكون منسوخة بآية  
 القتال (الله) أي الذي هو أحكم الحاكمين (يجمع بيننا) أي في المعاد لتصل القضاء  
 (واليه) أي لا الى غيره (المصير) أي المرجع حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته (والذين  
 يحاجون في الله) أي يوردون تشكيكا في دين الملك الاعظم ليعيدوا الناس بعد ما دخلوا  
 في نور الهدى الى ظلام الضلال (من بعدما استجيب له) أي استجاب الله تعالى لرسوله صلى  
 الله عليه وسلم فأظهر دينه على الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم وبينا قبل  
 نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم وتشكيكهم أو من بعدما استجاب للرسول صلى الله عليه  
 وسلم الناس فأسلوا ودخلوا في دينه لظهور حجته (حجتهم) أي التي زعموها حجة (داحضة) أي  
 زائلة باطلة (عند ربهم) أي المحسن اليهم باضافة العتل الذي جعلهم به في أحسن تقويم وقال  
 الرازي تلك المخاصمة هي أن اليهود قالوا ألسنم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ  
 بالمختلف فيه فنبتوة موسى عليه السلام وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه  
 وسلم ليست متفق عليها فوجب الاخذ باليهوديين فبين تعالى فساد هذه الحجة وذلك ان اليهود  
 أجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على قوله وها هنا  
 ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قد شاهدوا تلك المعجزات فان

كان ظهروا المهجزة يدل على الصدق نهنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان  
 لا يدل على الصدق وحب في حق موسى أن لا يقروا بنبوته بظهروا المهجزة لان يكون تناقضا  
 \* (تنبيه) \* والذين يحتاجون مبتدأ أو محتمم مبتدأ ثان وداحضة خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره  
 خبر الأول وأعرب كي محتمم بدلا من الموصول بدل اشتمال \* ولما قررتعالى هذه الدلائل خوف  
 المنكرين بهذاب القيامة فقال (وعليهم) أي زيادة على قطع الاحسان (غضب) أي عقوبة  
 تليق بجالهم المذموم وصفهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابهم مبعدون عن  
 جنابهم مهانون بجبابه (ولهم) مع ذلك (عذاب شديد) في الآخرة لا تصلون الى حقيقة وصفه (الله)  
 أي الذي له جميع الملك (الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) أي متلبسا على أكل  
 الوجوه بالامر الثابت الذي لا يدل (والميزان) أي الشرع الذي توزن به الحقوق ويسوى  
 بين الناس أو العدل قال مجاهد سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة للانصاف والتسوية وقال ابن  
 عباس أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس فيجب على العاقل أن يجتهد في النظر والاستدلال  
 ويترك طريقة أهل الجهل والتقليد \* ولما كان صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ولم  
 ير والدلك أثر اقلوا على سبيل التضرية متى تتنوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو  
 الذي نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه قال تعالى (وما يدريك) أي يا أكر الخلق (لعل  
 الساعة) أي التي يستعملون بها (قريب) وذكر قريب وان كان صفة ملوثة لان الساعة  
 في معنى الوقت أو البعث أو على معنى النسب أي ذات قرب أو على حذف مضاف أي مجيء  
 الساعة قال مكي ولان تأنيها مجازي وهذامنوع اذا لا يجوز الشمس طالع ولا القدر فائر  
 \* (تنبيه) \* لعل معلق للنعل عن العمل أي ما بعده ستمسد المنعولين ولما ذكر النبي صلى الله  
 عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين وقالوا مستهزئين متى الساعة تقوم نزل قوله تعالى  
 (يستعمل بها) أي يطلب أن تكون قبل الوقت المضروب لها (الذين لا يؤمنون بها) أي  
 لا يتجدد لهم ذلك أصلا وهم غير مستحقين منها ويظنون كذب القائل بها (ولذين آمنوا) وان  
 كانوا في أول درجات الايمان (مشتقون) أي خائفون خوفا عظيما (منها) لان الله تعالى  
 هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن المعارف وقلوبهم منابع الانوار فأيقنوا بما فيها من  
 الاهوال الكبار فخافوا للظنقاتهم أن يكونوا مع صلاحهم من أهل النار (ويعلمون انها الحق)  
 اعلاما بأنهم على بصيرة من أمرها فهم لا يستعملون بها الا لآية من الاحتياك ذكر الاستعمال أولا  
 دليلا على حذف ضده تانيا والاشفاق تانيا دليلا على حذف ضده أولا \* (فائدة) \* روى ان  
 رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري في بعض أسفاره فناداه يا محمد فقال له صلى الله  
 عليه وسلم نحو من صوته هاؤم فقال متى الساعة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك انها كانه غفا  
 أعددت لها فقال حب الله تعالى وحب رسوله فقال أنت مع من أحبيت والغرض انك لم يجبه عن  
 وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها ومن أحب الله تعالى ورسوله فعل ما أمر به واجتنب  
 ما نها عنه فهي المهيبة الكاملة نسأل الله الكريم من فضله أن يوفقنا وأحبنا بالطاعة

واجتناب معاصيه (الآن الذين يمارون) أي يخاصمون ويجادلون (في الساعة) أي  
 القيامة وما تحتوى عليه (لنضلال) أي ذهاب حائد عن الحق (بعبد) جدًا عن الصواب  
 فإن لها من الأدلة الظاهرة ما ألحقها بالمحسوسات كما قال القائل لو كشف الغطاء ما ازددت  
 يقينًا ولما أنزل الله عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة كان ذلك من لطف الله تعالى  
 بعباده كما قال عز من قائل (الله) أي الذي له الأمر كله (لطيف) أي بالغ في اللطف والعلم وإيقاع  
 الأحسان (بعباده) وقال ابن عباس حتى بهم وقال عكرمة بارتبهم وقال السدي  
 رفيق بهم وقال القشيري اللطيف العالم بدقائق الأمور وغوامضها وقال الرازي هو اسم  
 مركب من علم ورحمة ورفق خفي أما لطفه بالمؤمنين فواضح وأما الكافر فأقل لطفه به أنه  
 لا يعاجله في الدنيا ولا يعدبه فوق ما يستحق في الآخرة وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث  
 لم يهلكهم جوعًا بمعاصيهم بدليل قوله تعالى (يرزق من يشاء) أي مهما شاء على سبيل من  
 السعة والضيق أو التوسعة لا مانع له من شيء من ذلك فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر  
 وذو روح فهو من يشاء الله تعالى أن يرزقه قال جعفر الصادق اللطيف في الرزق من وجهين  
 أحدهم أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه اليك مرة واحدة (وهو القوي) أي  
 القادر على ما يشاء (العزير) فلا يقدر أحد أن ينعه عن شيء يريد ولم يبين بهذا أن الرزق  
 ليس إلا في يده تبعه يزهدي في طلب رزق البدن ويرغب في رزق الروح فوالله تعالى على سبيل  
 الاستئناف (من كان) أي من شريف أو ذلي (يريد) أي بعمله (حرف الآخرة) أي  
 أعمالها والحرف في اللغة الكسب (نزله) أي بعظمتها التي لا يقدر أحد على تحويلها  
 (في حرفه) قال مقاتل بأن يعينه على الأعمال الصالحة ويضاعف بالواحدة عشرة إلى ما شاء الله  
 تعالى من الزيادة وقال الزمخشري أنه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفائدة حرفًا على  
 سبيل المجاز (ومن كان) أي من قوى أو ضعيف (يريد) أي بعمله (حرف الدنيا) أي أرزاقها  
 التي تطلب بالكد والسعي وتستغنى به مكتفيا به مؤثرًا له على الآخرة (نوته منها) أي ما قسمناه  
 له ولو تهان به ولم يطلبه لآتاه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة بسكون الهاء واختلس قالون كسرة  
 الهاء وعن هشام اختلاس الكسرة في الهاء والاشباع والبقاقون باشباع الكسرة (وما) أي  
 والحال أن طالب الدنيا بعمله ما (له في الآخرة من نصيب) لأن الأعمال بالنيات والعدل  
 امرئ مانوي روى أبو بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة  
 والنصرة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب أي  
 لأن هذاتها ونهاها هي أشرف من أن تقبل على من أعرض عنها فانها باضرة  
 الدنيا وضدها فالدنيا بخساستها تقبل على من أعرض عنها وتبعد عن أقبال عليها حتى تهلكه  
 في مهاويها والآخرة تقبل على من أقبال عليها أضعاف أقباله وتنادي من أدبر عنها لينتهي عن  
 غيبه وضلاله فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرفًا لمن أن كل واحد منهما لا يحصل إلا بتحمل  
 المشاق والمتاعب وصرف هذه المتاعب إلى ما يكون في الزائد الباقي أولى من صرفها لما يكون

في التناقص والانقضاء قال الرازي في اللوامع أهل الارادة على أصناف مرید الدنيا ومرید  
 الآخرة ومرید الحق جل وعلا وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه  
 والاعراض عن فقراء المسلمين وان تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة  
 الآخرة بعكس ذلك وأما علامة ارادة الله تعالى كما قال تعالى يريدون وجهه فطرح الكونين  
 والعزلة عن الخلق والخلص من يد النفس انتهى وحاصله ان يستغرق أوقاته في التوفيق  
 بحقوق الحق وحقوق الخلق وتركية النفس لاطمئنان في الجنة ولا خوف من نار بل امتثالاً لاجل  
 الملك الاعلى لانه أهل لذلك مع اعترافه بأنه لن يقدر الله تعالى حق قدره ولما بين تعالى أعمال  
 الآخرة والدنيا تبعه بيان ما هو الاصل في باب الضلالة واشقاوة فقال تعالى (أم) أي بل  
 (لهم) أي كفار مكة (شركاء) أي على زعمهم وهم شياطينهم (شرعوا) أي سنوا بالتزيين  
 (لهم) أي الكفار (من الدين) أي الفاسد في العبادات والعبادات (مالم يأذن به الله) أي  
 الملك الذي لا أمر لاحد معه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أو ثنائهم  
 وانما أضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لضلالهم جعلت شارة  
 لدين ضلالهم كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس وقال ابن عباس  
 شرعوا لهم ديناً غير دين الاسلام (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو لولا  
 الوعد بأن الفصل يكون بينهم يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين الذين امتثلوا أمره والتزموا  
 شرعه وبين الذين اتبعوا ما شرعوه لمن هوهم شركاء في أقرب وقت ولكنه قد سبق القضاء في  
 الازل بمقادير الاشياء وتجهيدها على وجوه الحكمة فهي تجري على ما حدتها لا يتقدم شيء منها  
 ولا يتأخر ولا يتبدل ولا يتغير وستكشف لهم الامور وتظهر مخبات المقدور فلا يقع الفصل  
 الا في الآخرة كما سبق به القضاء (واق الظالمين) بشرع مالم يأذن به الله من الشرك وغيره  
 (لهم عذاب أليم) أي مؤلم بليغ ايلامه ثم انه تعالى ذكر أحوال أهل العقاب وأحوال أهل  
 الثواب مبتدئا بالاول منهما بقوله تعالى (ترى) أي في ذلك اليوم (الظالمين) أي الواضعين  
 الاشياء في غير مواضعها (مشفقين) أي خائفين أشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو  
 أعلى منه وهو مقصر (مما كسبوا) أي عملوا معتقدين انه غاية ما ينفعهم (وهو) أي  
 جزاؤه ووباله الذي من جنسه حتى كأنه هو (واقع بهم) لانه لا محالة سواء أشفقوا أم لم يشفقوا ثم ذكر  
 الثاني بقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهي التي أذن الله تعالى فيها غير خائفين  
 مما كسبوا لانهم ما أذن لهم في فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه (في روضات الجنة) أي  
 في الدنيا بما يلدتهم به الله تعالى من لذائذ الاقوال والافعال والمعارف والاحوال وفي الآخرة  
 حقيقة بلا زوال وروضة الجنة أطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على أن عصاة المؤمنين من أهل الجنة  
 لانهم خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنة وهي البقاع الشريفة من  
 الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات وقوله تعالى (لهم ما يشاؤون عند ربهم) يدل على ان تلك الاشياء حاضرة عنده

مهياة والعندية مجاز \* (تنبيهه) \* عندوهم يجوز أن يكون ظرفا يشاؤون قاله الحوفي  
 أولا استقرار العامل في لهم قاله الزمخشري وقوله تعالى (ذلك) أي الظاهر العظيم الرتبة الجليل  
 القدر (هو الفضل الكبير) أي الذي يصغر ما غيرهم في الدنيا يدل على أن الجزاء المرتب على  
 العمل إنما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى  
 (ذلك) أي الجزاء العظيم من الجنة ونعيمها مبتدأ خبره (الذي يبشر الله) أي الملك الاعظم  
 والعائد وهو به محذوف تنجيما للمبشر به لأن السياق لتعظيمه بالاشارة ويجعلها بأداة البعد  
 وبالوصف بالذي وذكر الاسم الاعظم والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى (عباده) مع الاضافة  
 الى ضميره سبحانه \* ولما أشعر بصلاحتهم بالاضافة نص عليه بقوله تعالى (الذين آمنوا) أي  
 صدقوا بالغيب (وعملوا) تحقيقا لايمانهم (الصالحات) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح  
 الياء الموحدة وكسر الشين شتدة والباقون بفتح الياء وسكون الياء الموحدة وضم الشين مخففة  
 من بشره \* ولما كان كانه قيل فغاطب في هذه البشارة لأن الغالب أن المبشرون لم يسأل  
 يعطى بشارته كما وقع لكعب لما أذن الله تعالى بتوبته ركض راكض على فرس وسعى ساع على  
 رجله فأوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت  
 أسرع من الفرس فلما جاءه الذي سمع صوته خلع عليه ثوبه وهو لا يملك يومئذ غيرهما واستعار  
 له توبين قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين  
 (لأسألكم) أي الآن ولا في مستقبل الزمان (عليه) أي البلاغ بشارة أو نذارة (أجرا)  
 أي وان قل (الا) أي لكن أسألكم (المودة) أي المحبة العظيمة الواسعة (في القربي)  
 أي مظروفة فيها بحيث تكون القربي موضع المودة ونظر فالها لا يخرج شي من محبتكم عنها  
 \* (تنبيه) \* في الآية ثلاثة أقوال أولها قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا  
 الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط  
 النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل  
 لأسألكم عليه أجرا على ما أدعوكم اليه الا أن تودوا القربي أي تصلوا ما بيني وبينكم من  
 القرابة والمعنى أنكم قربي وأحق من أجنبي وأطاعني فاذ قد أبيت ذلك فاحفظوا حق القربي  
 وصلوا رحى ولا تؤذوني والى هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما ثانيا روى الكلبي عن ابن  
 عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نواب وحقوق وليس في يده  
 سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هذاكم وهو ابن أخيكم وجاركم في بلدكم فاجعوا له طائفة  
 من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزل قوله تعالى قل لأسألكم عليه أي على الايمان  
 أجرا الا المودة في القربي أي لا تؤذوا قرايبي وعترتي واحفظوني فيهم قاله سعيد بن جبير وعمر  
 ابن شعيب ثالثا قال الحسن معناه الا أن توادوا الله تعالى وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل  
 الصالح فالقربي على القول الاوّل القرابة التي بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الاقارب وعلى  
 الثالث فعلى معنى القرب والتقرب والرثني (فان قيل) طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز

لوجوه أحدها أنه تعالى حكى عن أكثر الأنبياء التصريح بنبي طلب الاجر فقال تعالى  
 في قصة نوح وما أسألكم عليه من أجر الآية وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم  
 الصلاة والسلام ورسولنا أفضل الأنبياء فأن لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة أولى ثانيا  
 انه صلى الله عليه وسلم صرح بنبي طلب الاجر فقال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من  
 المتكافين وقل ما سألتكم من أجر فهو لكم ثالثها أن التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ  
 ما أنزل اليك من ربك الآية وطلب الاجر على أداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلا عن أعلم  
 العلماء رابعها أن النبوة أفضل من الحكمة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا  
 كثيرا ووصف الدنيا بأنم امتاع قليل قال تعالى قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن بالعقل مقابلة  
 أشرف الأنبياء بأخس الاشياء خامسها أن طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة  
 النبوة فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب أجر البتة على  
 التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة في القربي (أجيب)  
 بأنه لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ وأما قوله تعالى الا المودة في القربي فالجواب  
 عنه من وجهين الاول أن هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* بين قول من قراع الكتاب

يعنى أنى لا يطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس أجر الا أن حصول المودة بين المسلمين أمر  
 واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم  
 المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات والاخبار في هذا كثيرة واذا كان حصول المودة  
 بين المسلمين واجبا لخصولها في حق أشرف المرسلين أولى فقوله الا المودة في القربي تقديره  
 والمودة في القربي ليست أجر افرجع الحاصل الى أنه لا أجر البتة \* الثاني أن هذا استثناء منقطع  
 كما مر تقديره في الآية وتم الكلام عند قوله قل لا أسألكم عليه أجر ثم قال الا المودة في القربي  
 أى أذكركم قرايتي فيكم فكانته في اللفظ أجروا ليس بأجر واختلفوا في قرابته صلى الله عليه  
 وسلم فقيل هم فاطمة وعلى وأبناؤهما وفيهم نزل انما يريد الله ليهب عنكم الرجس أهل البيت  
 ويطهركم تطهيرا وروى زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انى تارك فيكم  
 كتاب الله وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى قيل لزيد بن أرقم فن أهل بيتى فقال هم آل على وآل  
 عقيل وآل جعفر وآل عباس وروى ابن عمر عن أبي بكر رضى الله عنه قال ارقبوا محمد فى  
 أهل بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم  
 وبنو المطلب الذين لم يفتروا جاهلية ولا اسلاما وقيل هذه الآية مفسوخة واليه ذهب  
 الضعفاء بن مناحم والحسين بن الفضل قال البغوى وهذا قول غير مرضى لان مودة النبي  
 صلى الله عليه وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله تعالى بالطاعة والعمل  
 الصالح من فرائض الدين \* وما كان التقدير فن يفتروا سيئة فعلية وزرها ولكنها طوى لان  
 المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الآية عطف عليه قوله تعالى (ومن يقترف) أى يكتسب

ويحاط ويحتمل بجدة واجتهاد وتعمد وعلاج (حسنة) أي ولو صغرت (ترد) بما للنامن العظيمة  
(له فيها) أي في الحسننة (حسنا) أي بمضاعفة الثواب ومن الزيادة أن يكون له مثل أجر من  
اقتدى به فيها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيء قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر  
الصديق رضي الله عنه وقيل المراد بها العموم في أي حسنة كانت إلا أنهم الماذكرت عقب ذكر  
المودة في القرني دل ذلك على أن المقصود التأكيد في تلك المودة (إن الله) أي الذي لا يتعاطفه  
شيء (عفور) لكل ذنب تاب منه صاحبه وكان غير التمسك وإن لم يتب منه ان شاء فلا يصدق أحدا  
سبته عملها عن الاقبال على الحبيب (شكور) أي فهو يجزي بالحسنة أضعافها وإن قلت  
والشكور في حق الله تعالى مجاز والمعنى أنه تعالى يحسن إلى المطيعين في إيصال الثواب إليهم  
وفي أن يزيد عليه أنواعا كثيرة من التفضيل ثم ذكر الله تعالى الجواب عن طعن الكفرة في النبي  
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (أم) أي بل (يقولون افترى) أي محمد صلى الله عليه وسلم (على الله)  
الذي أحاط بصفات الكمال فله العلم الشامل لمن يقول عليه والقدرة التامة على عقابه (كذبا)  
حين زعم أن هذا القرآن من عنده وأنه أرسله بهذا الدين (فان يشأ الله) أي الذي له الاحاطة  
بالكمال (يحتم) أي يربط (على قلبك) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل وقال قتادة  
يعني يطبع على قلبك فمسيك القرآن وما أتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر  
عنه في هذه الآية أي أنه لا يجترئ على افتراء الكذب إلا من كان في هذه الحالة والمقصود من هذا  
الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل بعض الامناء إلى الخيانة فيقول  
الأمين ذلك لعل الله خذلني أعنى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعنى القلب لنفسه وانما يريد  
استبعاد صدور الخيانة عنه وقوله تعالى (ويح الله) أي الذي له الامر كله (الباطل) وهو قوله  
افترى مستأنف غير داخل في جزاء الشرط لانه تعالى يحرم الباطل مطلقا وسقطت الواو منه  
لفظا لا لتقاء الساكنين في الدرج وخطا جلالا للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزيادة عليه وأما  
الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا قال (ويح) أي يثبت على وجه لا يمكن زواله (الحق) أي  
كل ما من شأنه الثبات لانه أذن فيه وأقره (بكلماته) أي التي لو كان البحر مدادا الهال فقد  
فعل الله تعالى ذلك فجعل باطلهم وأعلى كلمة الاسلام عليهم (انه عليهم) أي بالغ العلم (بذات  
الصدور) أي ما هو فيها مما يعلمه صاحبها وما لا يعلمه فيبطل باطله ويثبت حقه وان كره الخلائق  
ذلك ولتعلن نبأه بعد حين ولقد صدق الله تعالى فأثبت ببركة هذا القرآن كل ما كان بقوله صلى  
الله عليه وسلم وأبطل بسيف هذا البرهان كل ما كانوا يخالفونه فيه ومن أصدق من الله قتيلا قال  
ابن عباس لما نزل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منهناتي وقالوا يريد  
أن يخططنا على آهاريه من بعده فنزل جبريل عليه السلام فأخبره أنهم اتهموه فأنزل الله تعالى هذه  
الآية فقال القوم يا رسول الله فاننا نهد أنك صادق فنزل (وهو) أي لا غيره (الذي يقبل التوبة  
عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه سئل أبو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب  
فلا تجده حلاوة في قلبك وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اللهم انى استغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلواته قال له على رضى الله تعالى عنه يا هذا ان  
سرعة الاستغفار باللسان توبة الكذابين فقال يا أمير المؤمنين ما التوبة قال اسم يقع على ستة  
أشياء على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع القرائض الاعادة ورد المظالم واذاقة النفس  
مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية واذابتها فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واليكابدل كل  
ضحك ضحكته وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال  
المحمودة وقال بعضهم هى الندم على الماضى والترك فى الحال والعزم على أن لا يعود اليه فى  
المستقبل وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر  
الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس  
توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب  
مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل فى  
المغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وروى أن الله  
تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر به ولما كان القبول قد يكون فى المستقبل مع الاخذ بما مضى  
قال الله تعالى تفضلنا منه ورحمة (ويعفو عن السيئات) أى التى كانت التوبة منها صغيرة  
كانت أو كبيرة وعن غيرها فلا يؤاخذ بها ان شاء لان التوبة تجب ما قبلها كما أن الاسلام الذى  
هو توبة خاصة يجب ما كان قبله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لله أشد فرحا  
بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان هو وراحته بأرض فلاة فانقلت منه وعليها طعامه  
وشرا به فابس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أبس من راحته فيبناه وكذلك اذ هو بها طاعة  
عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك خطأ من شدة الفرح  
(ويعلم) أى والحال أنه يعلم كل وقت (ماتة ملون) فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ  
جزءة والكسائى وحفص بن غياث الخطاب اقبالا على الناس عامة وهذا خطاب للمشركين وقرأ  
الباقون بالغيبة نظرا الى قوله تعالى عن عباده وقال تعالى بعد ويزيدهم من فضله ولما رغب  
بالعفو زاد بالاكرام فقال تعالى (ويستجيب) أى يوجد بغاية العناية والطلب اجابة (الذين  
آمنوا) أى دعاء الذين أقرؤا بالايمان فى كل مادعوا به أو شفعا وعنده فيه لانه لولا ارادته لهم  
الاكرام بالايمان ما آمنوا وعدى الفعل بنفسه ولم يقل ويستجيب للذين آمنوا تنبها على  
زيادة بره لهم ووصلهم به (وعملوا) تصديقا لدعواهم الايمان (الصالحات) فينبهم النعيم  
المقيم (ويزيدهم) أى مع مادعوا به ما لم يدعوا به ولم يخطر على قلوبهم (من فضله) أى تفضلا  
منه عليهم ويجوز أن يكون الموصول فاعلا أى يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله تعالى استجبوا  
لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كما جاب ومنه

وهاع دعا يامن يجيب الى النداء • فلم يستجبه عند ذلك يجيب

وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ويشيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات



ويزيدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلهم عنه يشنعهم ويزيدهم  
 من فضله قال في اخوان اخوانهم ثم أتبع المؤمنين بذكر ضدهم فقال تعالى  
 (والكافرون) أي العريقون في هذا الوصف القاطع الذين منعتهم عراقتهم من التوبة  
 والايان (لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولا يجيب دعاءهم وما  
 دعاء الكافرين الا في ضلال فالآية من الاحتياك ذكر الاستجابة أو لادليل على ضدها ثانيا  
 والعذاب ثانيا دليل على ضده أو لانه لما قال تعالى انه يجيب دعاء المؤمنين وورد سؤال وهو  
 أن المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعوه فلا يظهر أثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله  
 تعالى ويستجيب الذين آمنوا فأجاب تعالى عنه بقوله تعالى (ولو) أي وهو يقبل ويستجيب  
 والحال أنه لو (بسط الله الرزق) لهم هكذا كان الاصل لكن قال (عباده) لئلا يظن خصوصية  
 ذلك بالتائبين إذ لافرق بين التائب وغيره (لبغوا) أي طغوا (في الارض) أي لصاروا يريدون  
 كل ما يشتهون فيكثر القتل والسلب والنهب ونحو ذلك من أنواع الفساد قال خباب بن الارت  
 فيما نزلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وغنيناها فترأت  
 وذكر في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه الاقول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين  
 الكل امتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك موجب خراب العالم وتعطيل المصالح ثانيا  
 أن هذه الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويه ومن الكلال  
 ومن العشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة نالها أن الانسان متكبر بالطبع فان وجد  
 الفنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه  
 انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بغيرهم طلبهم منزلة بعد منزلة  
 وصركا بعد مركب وملبسا بعد ملابس (ولكن ينزل) أي لعباده من الرزق وقرأ ابن كثير وأبو  
 عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون يفتح النون وتشديد الزاي (بقدر) أي بتقدير  
 لهم (ما يشاء) أي ما اقتضته مشيئته (انه) وقال تعالى (بعباده) ولم يقل بهم لئلا يظن ان  
 الامر خاص بمن وسع عليهم أو ضيق عليهم (خبير بصير) يعلم جميع ظواهر أمورهم وبواطنها  
 فيقيم كل أحد فيما يصلح له من صلاح وفساد وعدل وبغي روى أنس بن مالك عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه يقول الله عز وجل  
 ما تردت في شيء أنا فاعله تردى في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له  
 منه وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا للفنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي  
 المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا للفقير ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح  
 ايمانه الا للعصاة ولو اسقته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا للسقم  
 ولو أصحته لافسده ذلك وذلك اني أدبر أمر عبادي بعلى بقلوبهم انى علم خبير وقرأ ما يشاء  
 انه نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالباء ولهم أيضا البداهة واوا والباقون  
 بتحقيقهما واذا وقف حمزة وهشام أبدا الهمزة الفاصحة المد والقصر والروم والاشمام (وهو)

أى لاغيره (الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغاث به الناس وقرأ نافع وابن عامر وحزرة  
 والكسائي بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي (من بعد  
 ما قنطوا) أى ينسوا من نزوله وعلموا أنه لا يقدر على انزاله غيره ولا يتصدق فيه سواء لم يكن ذلك  
 أمدعى لهم إلى الشكر وقال تعالى (وينشر رحمته) أى يبسط مطره كما قال تعالى وهو الذى يرسل  
 الرياح نشرًا بين يدي رحمته وإن كان الأصل ينشره لأنه بين أنه غيث فقال رحمته بيانا وتعميما فينزل  
 من السحاب المحمول بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق ما أطاقت أعماله فتصبح الأرض  
 ما بين غدرة وأنها روبات نجم وأشجار وزهر وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار  
 فقله ما أعلى هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة فيخرج من الأرض التي هي من صلابتها عجز عنها  
 الماويل نجمها وفي لبنه ألين من الحرير وفي لطاقته أطف من النسيم ومن سوف الأشجار التي تنفي  
 فيها المناقير أغصانًا أطف من السنة العصار فيرثا أجلف من ينكر انجراحه الموق من القبور وأر  
 يحيد عن ذلك نوع من الغرور (وهو) أى لاغيره (الولى) الذى لأحد أقرب منه إلى عباده في شئ  
 من الأشياء (الحمد) الذى يستحق مجامع الحمد مع أنه يحمد من يطيعه فيزيده من فضله ويصل حبله  
 دائما بحبله (ومن آياته) أى العظمة على استحقاقه لجميع صفات الكمال (خلق السموات) التي  
 تعلمون أنها متعددة لماترون من أمور الكواكب (والأرض) أى جنسها على ما هما عليه من  
 الهيات وما اشتق عليه من المنافع والخيرات وقوله تعالى (وما يث) أى فرق ونشر يجوز أن يكون  
 يجرور المحل عطفًا على السموات أو مرفوعه عطفًا على خلق على حذف مضاف أى وخلق ما يث  
 قال أبو حيان رقيه نظر لأنه يؤل إلى جزئه بالإضافة لخلق المقدر فلا يعدل عنه (فيهما) أى في  
 السموات والأرض (من دابة) أى شئ فيه أهلية الديق بالحياة والحركة من الانس والجن  
 والملائكة وسائر الحيوانات على اختلاف ألوانهم وأصنافهم وأشكالهم وأغاثهم وطباعتهم  
 وأجناسهم وأنواعهم وأقطارهم ونواحيهم (فان قيل) كيف يجوز إطلاق الدابة على الملائكة  
 (أجيب) بوجوه أولها ما مر من أن الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح  
 والحركة ثانيها أنه قد يضاف الفعل إلى جماعة وإن كان فاعله واحدا منهم ومنه قوله تعالى يخرج  
 منهما اللؤلؤ والمرجان ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات أنواعا  
 من الحيوانات يمشون مشى الاناس على الأرض وروى العباس رضى الله عنه أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال بين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء  
 والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأطرافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك  
 العرش الحديث (وهو) أى لاغيره (على جمعهم) أى هذه الدواب من ذوى العقول وغيرهم  
 للعشر بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره (إذا) أى وقت (يشاء قدير) أى بالغ  
 القدرة كما كان بالغ القدرة عند الإيجاد من العدم يجمعهم في صعيد واحد يسمعهم الداعي  
 وينفذهم البصر ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) أى بلية وشدة (فجاء  
 كسب أيديكم) أى من الذنوب وقرأ نافع وابن عامر بغير فاء والباقون بالفاء لأن ما شرطية

أو مضنة معناه وأما من أسقطها فقد استغنى عما في الباء من معنى السببية (فان قيل) الكسب  
 لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة بها (أجيب) بأن المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وإذا كان  
 هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله  
 تبارك وتعالى عن الاعضاء واختلفوا فيما يحصل في الدنيا من الآلام والاستقام والقسط  
 والفرق والمصائب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت أو لا فمنهم من أنكروا ذلك لوجوه أولها قوله  
 تعالى اليوم تجزي كل نفس بما كسبت بين تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيامة وقال تعالى  
 مالك يوم الدين أي يوم الجزاء وأجروا أن المراد منه يوم القيامة ثانيا مصائب الدنيا يشترك  
 فيها الزديق والصديق فيمنع أن تكون عقوبة على الذنوب بل - صول المصائب للصالحين والمتقين  
 أكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لم خص البلاء بالانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل  
 فالامثل ثالثها ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا  
 وهو محال وقال آخرون هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ولما  
 روى الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش  
 عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما بهن قال الله أكثر وقال علي بن أبي طالب رضي الله  
 تعالى عنه ألا خيركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وما أصابكم من مصيبة الآية قال صلى الله عليه وسلم وسأفسر هالك يا علي ما أصابكم من مرض  
 أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله سبحانه وتعالى أكرم من أن ينهي عليكم  
 العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإنه أحلم من أن يعود به بعد عفوهم وعسكوا أيضا  
 بقوله تعالى بعد هذه الآية أو يوبقهن بما كسبن أو ذلك تصريح بأن ذلك الاهلاك بسبب  
 كسبهم قيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساء الهم قال انهم علموا ان  
 الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب  
 يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبياء والاولياء بل ذلك  
 لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بهالات أعمالهم لم يبلغها فهي خير من الله  
 تعالى لهم ويحمل قوله تعالى فيما كسبت أيديكم على ان الاصلح عند امتيانتكم بذلك الكسب  
 انزال هذه المصائب عليكم (ويعضو عن كثير) أي من الذنوب بفضل ورحمة فلا يعاقب عليها  
 ولولا عفوهم وتجاوزهم ما تركت على ظهرها من دابة قال الواحدى بعد ان روى حديث علي وهذه  
 أرجى آية في كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين مصنفين مصنف ~~كفر عنهم~~  
 بالمصائب وصنف عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوهم فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين  
 وأما الكافر فانه لا نهمل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة (وما انتم بهجزين) أي فائتين  
 ما قضى عليكم من المصائب في الارض (وما لكم من دون الله) ولا في شيء اراده سبحانه منكم كما ثنا  
 ما كان (من ولي) أي يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال (ولا نصير) يدفع عنكم شيئا يريد  
 سبحانه بكم (ومن آياته) أي الدالة على تمام قدرته واختياره ووحده دانيته (الجواري) أي

السفن البخارية (في البحر كالاعلام) أي كالجبال قالت الخنساء في مرثية أخيها صخر  
وان حضر التاتم الهداية \* كانه علم في رأسه نار  
أي جبل في رأسه نار شبهت به أخواها روى أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه  
فلما وصل الراوى هذا البيت قال قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه  
نارا وقال مجاهد الاعلام القصور وراحدها علم وقال الخليل بن أحمد كل شيء مرتفع عند العرب  
فهو علم (فان قيل) الصفة متى لم تكن خاصة بوصفها امتنع حذف الموصوف فلا تقول مررت  
بماش لان المشي عام وتقول مررت بهندس وكاتب والجرى ليس من الصفات الخاصة فما وجه  
ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى في البحر قرينة دالة على الموصوف فلذلك حذف ويجوز أن تكون  
هذه صفة غالبية كالابطخ والابرق فوليت العوامل دون موصوفها وقرأ نافع وأبو عمرو وبائبات  
الياء وصلالا وقفا وابن كثير وهشام بائياتها وقفا بخلاف عن هشام والباقون يحذفها وقفا  
ووصلا وأمال الجوارى محضة الدورى عن الكسائي وفتح البا قون (أن يشأ) أي الله الذي  
حلكم فيها على ظهر الماء آية بيينة سقط اعتبارها عندكم لثبوتة الفسكم لها (يسكن الريح)  
الذي يسيرها وأنتم مقرون بأن أمر هاليس الايده وقرأ نافع بألف بعد الياء جمعها والباقون  
بغير ألف افرادا (في ظلالن) أي فينسب عن ذلك أنهم يظللن أي يقيمون ليلاصكان أو نهارا  
(رواكد) أي نوابت لا تجرى (على ظهوره) أي البحر (ان في ذلك) أي ما ذكر في حال السفن  
في سيرها وركوبها بما لا يقدر عليه الا الله تعالى بدليل ما للناس كافة من الاجماع على التوجه  
في ذلك اليه خاصة والاختلاج مما سواه (لايات) أي على احاطته سبحانه بجميع صفات الكمال  
(لسكل صبار) أي على البلاه والشدة (شكور) أي على نعماته وهو المؤمن الكامل يصبر  
في الشدة ويشكر في الرخاء فان الايمان نصه فان نصف صبر ونصف شكر (أو) أي أو يشأ  
في كل وقت أراد (يوبقهن) أي يهلكهن بعصف الريح بأهلهن (عما كسبوا) أي أهلهم من  
الذنوب (ويغفرو) أي ان يشأ (عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب فينجيهم بعموم أو حل على خشبة  
أو غير ذلك وان يشأ يرسل الريح طيبة فينجيها ويلطفها أقصى المراد الى غير ذلك من التقادير  
الداخلة تحت المشيئة وقوله تعالى (ويعلم) قرأ نافع وابن عامر برفع الميم مستأنفا والباقون  
بالنصب معطوف على تعليل مقدرا أي ليفرقهم لينتقم منهم وليعلم (الذين يجادلون) أي عند  
النجاة بالغفوة (في آياتنا) أي يكذبون القرآن أي علم ظهور للناس (مالهم من محيص) أي مهرب  
من العذاب وجملة النبي سدت مسد مفعولي يعلم أو النبي معلق عن العمل وقوله تعالى (فما  
أوتيتم) خطاب للمؤمنين وغيرهم (من شيء) أي من أناث الدنيا (فتناع الحياة الدنيا) أي  
القرية الدينية لاتفع فيه لاحد الامدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه وعما يسببه من  
الاعمال الا ما يقرب الى الله تعالى (وما) أي والذي (عند الله) أي الملك الاعظم المحيط بكل شيء  
قدرة وعلمان نم الدارين (خير) أي في نفسه وأشد خيريته من النعم الدنياوية المحضة لانقطاع  
نفعه فسماها متاعا تنبها على قلبه وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبها على انقراضه وأما

الآخرة فهي خير (وأبقى) والباقي خير من الحسب الثاني \* ثم بين تعالى أن هذه الخبرية إنما  
 تحصل لمن كان موصوفاً بصفات الصفة الأولى قوله سبحانه وتعالى (للذين آمنوا) أي أوجدوا  
 هذه الحقيقة (وعلى) أي والحال أنهم على (وهم) أي الذي لم يروا احساناً قط الا منه وحده  
 بما رباهم من الاخلاص (يتوكلون) أي يحملون جميع أمورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه  
 على من يتوكل منه قوة على الحمل ولا يلبثون في ذلك الى شئ غيره أصلاً لينتفي عنهم بذلك الشرك  
 الخفي كما انتفى بالايان الشرك الجلي وهذا يرتد على من زعم أن الطاعة توجب الثواب لانه  
 يتوكل على عمل نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الآية الصفة الثانية قوله عز وجل  
 (والذين يجتنبون) أي يكفون أنفسهم أن يجانبوا (كبائر الاثم) أي جنس الفعال الكبائر  
 التي لا توجد الا في ضمن افرادها ويحصل بها دنس النفس فيوجب عقابها مع الجسم وعطف على  
 كبائر قوله تعالى (والفواحش) وهي ما أنكره الشرع والعقل والطبع والكبائر كل ذنب  
 تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة والفواحش ما عظم قبحه من الاقوال والافعال وقال  
 مقاتل ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة النساء وقرأ حمزة والكسائي بكسر  
 الباء الموحدة قبل الباء الساكنة وهي للجنس فهي بمعنى قراءة الجمع كما قرأ الباقر بفتح الموحدة  
 وأقبعدها وبعد الالف همزة مكسورة والأولى أبلغ لشمولها المفردة الصفة الثالثة قوله  
 تبارك وتعالى (واذا ما غضبوا) أي غضبوا وعلى حقيقته من أمر مغضب في العادة وبين بعضهم  
 الفصل أن يواطئهم في غضبهم كظواهرهم فقال تعالى (هم يغفرون) أي هم الاخصاء والاحقاء  
 بأنهم كلما تجدد لهم غضب جددوا وغفروا أي محو الذنوب عينا وأثر مع القدرة على الانتقام  
 فسحباياهم تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بقى لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب  
 الامتكبر والتكبر لا يصلح لغير الاله وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم ما اتقم لنفسه قط الا أن  
 تنتكح حرمة الله تعالى وروى ابن أبي حاتم عن ابراهيم النخعي قال كان المؤمنون يكرهون  
 أن يستدلوا وكانوا اذا قدروا وغفروا الصفة الرابعة قوله تعالى (والذين استجابوا) أي أوجدوا  
 الاجابة بما لهم من العلم الهادي الى سبيل الرشاد (لربهم) أي الداعي لهم الى اجابة احسانه  
 اليهم قال الرازي المراد من هذا تمام الانقياد (فان قيل) أليس أنه لما جعل الايمان فيه  
 شرطاً قد دخل في الايمان اجابة الله تعالى (أجيب) بأنه يحتمل هذا على الرضا بقضاء الله تعالى  
 من صميم القلب وأن لا يكون في قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله سبحانه وتعالى (وأقاموا)  
 أي أداموا (الصلاة) الواجبة (وأمرهم) أي كل ما ينوبهم مما يحوجهم الى تدبير (شورى  
 بينهم) أي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين بما لهم من قوة البطون ولا يعجلون في أمورهم  
 والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة قوله تعالى (ومما رزقناهم) أي  
 أعطيناهم بعضهم ما من غير حول منهم ولا قوة (ينفقون) أي يديعون الانفاق في سبيل الله  
 تعالى كرامتهم وان قل ما بأيديهم اعتماداً على فضل الله تعالى لا يقبضون أيديهم كالمناقين  
 (والذين اذا أصابهم البغي) أي وقع بهم وأثر فيهم وهو التمادي على الرمي بالشرك (هم يتصرون)

أى يفتقمون عن ظلمهم عنى ظلمه كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سميت الثانية سيئة  
 لما بهت الاول في الصورة قال مقاتل يعنى القصاص وهى الجراحات والدماء وقال مجاهد  
 والسدى هو جواب القبيح اذا قال أنزال الله يقول أنزال الله واذا شمتك فاشتمه بعنلهما من  
 غير أن تعتدى قال سفیان بن عيينة سألت سفیان الثورى عن ذلك فقال ان شمتك رجل فتشتمه  
 أو يفعل كذا فتعمل به قلم أجد عنده شيأ فسأت هشام بن حجر عن ذلك فقال الجراح اذا جرح  
 يقتص منه وليس هو أن يشتمك وتشتمه وقد تكفأت هذه الجمل بأمهات الفضائل الثلاث العلم  
 والعفة والشجاعة على أحسن الوجوه فالمدح بالاستجابة والصلاة دعاء الى العلم وبالنفقة  
 الى العفة وبالانتصار الى الشجاعة حتى لا يظن أن ادعائهم للمضى مجرد ذل والقصر على  
 المماثلة دعاء الى فضيلة التقييط بين الكل وهى العدل وهذه الاخيرة كافلة بالفضائل الثلاث  
 فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف عندها كان عاضفا ومن قسر نفسه على ذلك كان  
 شجاعا وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالعرفان أن الاول للعاجز والثانى للمتغلب  
 المتكبر بدليل البغى (فان قيل) هذه الآية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم  
 يغفرون كيف يليق أن يذكر معه ما يجرى مجرى الضد له وهو والذين اذا أصابهم البغى هم يقتصرون  
 الثانى أن جميع الآيات دالة على أن العفو أحسن قال تعالى وان تعذوا أقرب للتقوى وقال  
 تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین  
 (أجيب) بأن العفو على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن  
 جنائمه والثانى أن يصير العفو سببا لمزيد جرأة الجاني وقوة غيظه وغضبه فآيات العفو محمولة  
 على القسم الاول وهذه الآية محمولة على القسم الثانى وحينئذ يزول التناقض روى أن زينب  
 أقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تشتمه فقال لها النبي صلى الله عليه  
 وسلم سبها وأيضا فانه تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين أنه مشروع فقط ثم بين أن مشروعيته  
 مشروطة برعاية المماثلة بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى  
 (فن عفا) أى باسقاط حقه ~~كله~~ أو بالانقضاء منه لتحقيق البراءة مما حرم من المجاوزة  
 (وأصلح) أى أوقع الإصلاح بين الناس بالعفو والإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين  
 الناس فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه (فأجره على الله) أى المحيط بجميع صفات  
 الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم وهذا سر لقت الكلام اليه  
 عن مظهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله بعفو الاعز (انه لا يحب الظالمين) أى  
 لا يكرم الواضعين للشئى فى غير محله فيترتب عليهم عقابه (ولمن انتصر) أى سعى فى نصر نفسه  
 بجهده (بعذله) أى بعذالم الغير له وليس قاصدا للتعدي عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع  
 زمان التعدي (فأولئك) أى المنتصرون لاجل دفع الظالم عنهم (ما عليهم) وأكديبات الجار  
 فقال تعالى (من سبيل) أى عتاب ولا عقاب لانهم فعلوا ما أبيع لهم من الانتصار روى  
 الساقى عن عائشة قالت ما علمت حتى دخلت على زينب وهى غضبي فأقبلت على فأعرضت

عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاتصري فاقبلت عليها حين رأيتها قد يبس  
 ريقها في فيها ما ترد على شئ يا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتהלل وجهه واحتجوا به هذه  
 الآية على أن سرية القودم - مدة لانه فعل مأذون فيه فيدخل تحت هذه الآية (انما  
 السبيل) أي الطريق السالك الذي لا يمنع منه أصلا (على الذين يظلمون الناس) أي يقعون  
 بهم ظلمهم نعمدا هذوانا (ويبغون) أي يتجاوزون الحدود (في الارض) بما يفسدها  
 بعد اصلاحها بتهيئتها للاصلاح طبعها وعلما وعملا (بغير الحق) أي الكامل لان الفعل قد  
 يكون بغيا وان كان معصوبا بحق كالانتصار المقرون بالتهدي فيه (أولئك) أي البعداء  
 من الله تعالى (الهم عذاب اليم) أي مؤلم يعم ايلامه ابدانهم وأرواحهم بما الموان ظلموه  
 (وان صبر) أي عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى (وغفر) أي صرح بإسقاط العقاب  
 والعقاب بمعنى عين الذنب وأثره (أن ذلك) أي الفعل الواقع منه البالغ في العلو  
 حدا لا يوصف (لمن عزم الامور) أي معزوماتها بمعنى المطالبات شرعا روى أنه صلى الله عليه  
 وسلم قال ما من عبد ظلم مظلة مظلة ففعا عنها الله الا أعزه الله تعالى بها نصرا (ومن يضل الله) أي  
 الذي له صفات الكمال بأن لم يوفقه (فباله من ولي) أي يتولى أمره في الهداية باللسان لما أخفاه  
 الله تعالى عنه (من بعده) أي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز أن الاضلال  
 من الله تعالى وأن الهداية ليست في مقدورا حدسوى الله تعالى وقال تعالى (وترى الظالمين)  
 موضع وتراهم لبيان أن الاضلال لا يوضع شيا في موضعه \* ولما كان عذابهم حقا عبر عنه بالماضى  
 فقال (لما رأوا العذاب) أي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه (يقولون) أي مكررين  
 لما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجمل (هل الى مرتة) أي الى دار العمل  
 (من سبيل) أي طريق فيتمنون حينئذ الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة  
 للنجاة (وتراهم) أي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى (يعرضون عليها) يعود على النار لدلالة  
 العذاب عليها \* ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار بقوله تعالى (خاشعين) أي خاضعين حقيرين  
 بسبب ما لحقهم (من الذل) لانهم عرفوا اذ ذلك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه  
 (ينظرون) أي يتبدى نظرمهم المكرر (من طرف) أي تحريك الاجقان (خفي) أي ضعيف  
 النظر يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر  
 على أعينه منه ولا يفتح عينه انما ينظر ببعضها ويصح أن تكون من معنى الباء أي بطرف خفي  
 ضعيف من الذل (فان قيل) قد قال الله تعالى في صفة الكفار انهم يحشرون عينا فكيف قال  
 تعالى هنا انهم ينظرون من طرف خفي (أجيب) بانهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يصرون عينا  
 أو أن هذا في قوم وذلك في قوم آخرين وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم والنظر بالقلب خفي  
 \* ولما وصف تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال تعالى (وقال) أي في ذلك  
 الموقف الاعظم على سبيل التعبير لهم والتبكيك والتوبيخ والتقريع (الذين آمنوا) أي  
 أوقفوا هذه الحقيقة سواء كان ايقاعهم لها في أدنى الرتب أو أعلاها (ان الخاسرين) أي

الذين كُتبت خسارتهم (الذين خسروا أنفسهم) بما استغرقها من العذاب (وأهلهم) بمفارقتهم لهم إما في أطباق العذاب إن كانوا مثلهم في الحسران أو في دار الثواب إن كانوا من أهل الإيمان (يوم القيامة) أي هو يوم فوت التدارك لأنه للجزاء للعمل لقوات شرطه بقوات الإيمان بالغيب لا تكشف الغطاء وهذا القول يحتمل أن يكون واقعاً في الدنيا أو يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة وقوله تعالي (ألا إن الظالمين) أي الراسخين في هذا الوصف (في عذاب مقيم) أي دائم يحتمل أن يكون من تمام كلام المؤمنين وأن يكون تصديقاً من الله تعالى لهم (وما كان) أي ما صح ووجد (لهم) وأغرق في النقي فقال تعالي (من أولياء) أي خالهم من ولي لأن النصر إذا انتفت من الجمع انتفت من الواحد من باب أولى (ينصرونهم) أي يوجدون نصرهم في وقت من الاوقات (من دون الله) أي الملك الاعظم أي لافي الدنيا بان يقدر واعي انقاذهم من وصف الظلم ولا في الآخرة بانقاذهم من العذاب (ومن يضل الله) أي يوجد اضلاله ايجاداً بليغاً بما أفاده الفلك على سبيل الاستمرار بعدم البيان أو بعدم التوفيق بعد البيان (فقاله) بسبب اضلال من له جميع صفات الكمال وأغرق تعالي في النقي بقوله سبحانه (من سبيل) أي طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة \* ولما ذكر تعالي الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالي (استجيبوا لربكم) أي أجيبوه بالتوحيد والعبادة فانه الذي لم تروا احساناً الا وهو منه (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لامرذله من الله) أي الذي له جميع العظمة فانه اذا أتى به لا يردّه واذا لم يكن له مرتبة منه لم يكن له مرتبة من غيره ومتى عدم ذلك أتبع قوله تعالي (مالكم) وأغرق في النقي بقوله تعالي (من ملجا) أي تلجؤون اليه (يومئذ) أي في ذلك اليوم وزاد في التأكيدها إعادة التاني وما في حيزه ابلاغاً في التحذير فقال تعالي (وما لكم من نكير) أي انكار لما اقترفتموه لانه مدقن في صحائفكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان أعرضوا) أي عن الاجابة فيما دعوتهم اليه (فما أرسلناك) أي بما لنا من العظمة (عليهم حفظاً) أي تقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان عليك الا البلاغ) لما أرسلناك به وأما الهداية والاضلال فالينا وهذا كما قال الجلال المحلى قبل الامر بالجهاد (وانا اذا أذقنا) أي بالعظمة التي لا يمكن مخالفتها (الانسان) أي بما جبلناه عليه من النقص وعدم التملك (منا رحمة) قال ابن عباس رضي الله عنهما نوعان أنواع الاكرام من صحة أو غنى أو نحو ذلك (فرح بها) أي بتلك الرحمة وأفر دضمير فرح نظر اللفظ الانسان اشارة الى أنه مطبوع على أنه ليس عليه الا من نفسه ولو كان أهل الارض كلهم على غير ذلك ونعمة الله تعالى عليهم وان كانت في الدنيا عظيمة الا أنها بالنسبة الى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سميت ذوقا فبين تعالي أن الانسان اذا حصل له هذا القدر المحقر في الدنيا فرح به وعظم غروره ووقع في العجب والكبر وظن أنه فاز بكل المني ووصل الى أقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة وجمع ضمير الانسان في قوله تعالي (وان تصبهم) باعتبار معناه (سبئة) أي شئ يسوهم في الحال كالمرض والفقير والقحط (بما قدمت أيديهم) أي قدموه وعبر بالأيدي لان



لأن أكثر الأفعال بها (فإن الإنسان) أي الآتس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب  
سببته تضره (كفور) أي بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل  
سببها وتصدير الشرطية الأولى باذا والثانية بان لأن مذاقته النعمة محققة من حيث أنها إعادة  
مقضية بالذات بخلاف أصابة البلية وأمامة على الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير  
في الثانية للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة فإن كان في نعمة أشرو بطروان  
كان في نعمة آيس وقنط فهذا حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله تعالى جنبه ذلك كما قال  
صلى الله عليه وسلم المؤمن إن أصابه سرا مشكر فكان خيرا وإن أصابه ضرا صبر فكان خيرا  
ولما ذكر تعالى مذاقة الإنسان الرحمة وأصابته بعدها السيئة أتبع ذلك بقوله تعالى (لله) أي  
الملك الأعظم وحده (ملك السموات) كلها على علوها وتطابقها وكبرها وعظمتها وتباعداً قطارها  
(والأرض) جميعها على ثباتها وتكاثفها واختلاف أقطارها وسكانها واتساعها (يخلق)  
أي على سبيل التجدد والاختيار والاستمرار (ما يشاء) وإن كان على غير اختيار العباد لثلا  
يفتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك لله وملكه وإنما حصل له ذلك  
القدرانعاما من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة ثم ذكر من أقسام تصرفه  
تعالى في العالم أنه يخص بعض الناس بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما  
والبعض محروم من الكل كما قال تعالى (يهب) أي يخلق (لن يشاء) اولادا (اناثا) فقط ليس  
معهم ذكر (ويهب لن يشاء الذكور) فقط ليس معهم أنثى وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو  
بتسهيل الهمزة الثانية كالباء وتبدل أيضا واوخالصة والباقون بتصقيعها وفي الابداء  
الجميع بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام أبدا الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر ولهما أيضا  
تسهيلها مع المد والقصر والروم والاشعاش (أو يزوجهم) أي الاولاد فيجعلهم أزواجا أي صنفين  
حال كونهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) أي لا يولد له قال الرازي وفي الآيات سوالات  
الاول انه قدم الاناث في الذكر على الذكور واولا ثم قدم الذكور على الاناث ثانيا فما السبب أي  
فما الحكمة في هذا التقديم والتأخير الثاني أنه نكر الاناث وعزف الذكور وقال في الصنفين  
معاً أو يزوجهم ذكرانا واناثا الثالث أنه لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفي  
في عدم حصوله أن لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله الى قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما  
الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون أو الحكم على الانسان المطلق ثم قال والجواب  
عن الاول أن الكرم يسعي في أن يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولاد ثم أعطى  
الذكر بعدها فكانت نقله من النعم الى الفرح وهذا غاية الكرم أما اذا أعطى الذكر اولاد ثم أعطى  
الانثى ثانيا فكانت نقله من الفرح الى النعم فذكر الله تعالى هبة الانثى اولاد ثم هبة الذكر  
حتى يكون قد نقله من النعم الى الفرح فيكون ألبق بالكرم قيل من بين المرأة تسكبرها بالانثى  
قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالاناث وأما تقديم ذكر الذكور على ذكر الاناث ثانيا فلا أن الذكر  
أكمل وأفضل من الانثى والأفضل مقدم على المنفصول وأما الجواب عن تشكيب الاناث وتعرضه

الذکور فهو أن المقصود منه التنبیه علی ان الذکر أفضل من الانثی وأما قوله تعالى  
 أو يزوجهم ذکرانا وانا نأفوهو أن کل شیئین یقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد  
 منهما یقال له زوج والکنایة فی بزوجهم عائدة علی الاناث والذکور والمعنی یجعل الذکور  
 والاناث أزواجاً أي یجمع له بینهما فولد له الذکور والاناث وأما الجواب عن قوله تعالى عقیما  
 فالعقیم هو الذی لا یلد ولا یولد له یقال رجل عقیم وامرأة عقیم وأصل العقم القطع ومنه  
 قبل الملك عقیم لانه تقطع فیہ الارحام بالقتل والعقوق وأما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس  
 رضی الله عنهما ینبئ لمن یشاء انا نأیرید لوطا وشعبا علیهما السلام لم یکن لهما الا البنات  
 وینبئ لمن یشاء الذکور یرید ابراهیم علیه السلام لم یکن له الا الذکور أو يزوجهم ذکرانا  
 وانا نأیرید محمدا صلی الله علیه وسلم کان له من البنین ثلاثة علی الصحیح القاسم وعبد الله  
 و ابراهیم ومن البنات أربعة زینب ورقیة وأم کلثوم وفاطمة ویجعل من یشاء عقیما  
 یرید یحیی وعیسی علیهما السلام وقال اکثر المفسرین هذا علی وجه التمثیل وانما الحکم عام  
 فی کل الناس لان المقصود بیان نفاذ قدرة الله تعالى فی تـکـوین الاشیاء کیف شاء فلا معنی  
 للتخصیص ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (انه علیم) أي بالغ العلم بمصالح العباد و غیرها  
 (قدیر) أي شامل القدرة علی تـکـوین ما یشاء \* ولما بین تعالى حال قدرته وعلمه وحکمه أتبعه  
 بیان انه کیف یخص أنبیاءه بوحیه وكلامه فقال تعالى (وما کان) أي وما صح (لبشر) من  
 الاقسام المذكورة وحل المصدر الذی هو اسم کان لیتقع التصریح بالفاعل والمفعول علی أم  
 الوجود فقال تعالى (أن یکلمه) وأظهر موضع الاضمار اعظام اللوحی وتشریف المقادیر فقال  
 تعالى (الله) أي یوجد الملك الاعظم الجامع بصفات الکمال فی قلبه کلاما (الا) أن یوحی الیه  
 (وحیا) أي کلاما خفیا یوجد فی غیره واسطة بوجه خفی لا یطلع علیه أحداً ما عسافهة كما ورد فی  
 حدیث المعراج واما بالهام أو رؤیة منام كما رأی ابراهیم علیه السلام فی المنام أن ینذبح ولده أو  
 بغير ذلك سواء خلق الله تعالى فی المتکلم قوة السماع له وهو أشرف هذه الاقسام أم لا ومن الثاني  
 قوله تعالى وأوحینا الی أم موسی وأوحی ربک الی النحل وأوحی فی کل اسماء أمرها (أو) الا  
 (من وراء حجاب) أي من وجه لا یرى فیہ المتکلم مع السماع للكلام علی وجه الجهر كما وقع  
 لموسى علیه السلام (أو یرسل رسولا) من الملائكة اما جبریل علیه السلام أو غیره • (تنبیه) •  
 ذکر المفسرون أن الیهود قالوا للنبی صلی الله علیه وسلم ألا تکلم الله تعالى وتنظر الیه ان كنت  
 نبیا كما کلمه موسی وتنظر الیه فقال لم یتنظر موسی الی الله عز وجل فأزل الله تعالى وما کان لبشر  
 أن یکلمه الله الا وحیا أو من وراء حجاب أو یرسل رسولا (فیوحی) أي الرسول الی المرسل  
 الیه أن یکلمه (بأذنه) أي الله تعالى (ما یشاء) أي الله عز وجل وقرأنا فرفع اللام من یرسل  
 وسكون الباء من یوحی والباقیون یصب اللام والیاة أما القراءة الاولى ففیها ثلاثة أوجه  
 أحدها أنه رفع علی اضمار مبتدأ أي هو یرسل ثانیها انه عطف علی وحیا علی أنه حال لان وحیا  
 فی تقدیر الحال أيضا فکانه قال الاموحیا الیه أو مرسلات ثانیها أن یعطف علی ما یعلق به

من وراءه اذ تقديره أو يسمع من وراءه حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر  
المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الامو حيا أو مسما من وراءه حجاب أو مرسل أو أما القراءة  
الثانية ففيها ثلاثة أوجه أحدها أن يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراءه حجاب اذ تقديره  
أو يكلمه من وراءه حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الابوحى أو سماع من  
وراءه حجاب أو ارسال رسول ولا يجوز أن يعطف على أن يكلمه لفساد المعنى اذ يصير التقدير  
وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا بل يفسد لفظا ومعنى وقال مكى لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي  
المرسل اليهم ثانياها أن ينصب بأن ضمرة وتكون هي وما نصبتة معطوفين على وحيا ووحيا حال  
فيكون هذا أيضا حالا والتقدير الامو حيا أو مرسلان لانه معطوف على معنى وحيا فانه مصدر  
مقدر بأن والفعل والتقدير الابان يوحى اليه أو بان يرسل ذكره مكى وأبو البقاء (أنه)  
أى هذا الذى له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم (على) أى بالغ الاله لوجوده عن  
صفات مخلوقين (حكيم) ينه عن ما تقتضيه حكمته فيكم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة أما  
عبابا واما من وراءه حجاب (وكذلك) أى ومثل ايماننا الى غيرك من الرسل (أو حينا) بما لنا من  
العظمة (اليك) يا أفضل الرسل (روحا) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رجة وقال السدى  
وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار القرآن وسمى الوحي  
روحا لانه مدبر الروح كما أن الروح مدبر للبدن وزاد عظمتة بقوله تعالى (من أمرنا) أى الذى  
نوحى اليك ثم بين تعالى حال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحانه (ما كنت) أى  
فيما قبل الاربعين التى مضت لك وأنت بين ظهري قومك (تدرى) أى تعرف قبل الوحي اليك  
(ما الكتاب) أى القرآن (ولا الايمان) أى تفصيل الشرايع على ما جددناه لك بما أوحيناه اليك  
وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل النبوة قد كان مقرا بوحدانية الله تعالى وعظمتة فانه كان  
بصلى ويحج ويعتمر ويغض اللات والعزى ولا يأتى كل ما ذبح على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل  
على ما هم عليه ولا شك أن الشهادة له صلى الله عليه وسلم نفسه بالرسالة ركن الايمان ولم يكن  
له علم بذلك وكذلك الملائكة فصيح نبي المنى لفوانه بفوات جزئه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة  
الايمان هنا الصلاة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم وقيل هذا على حذف  
ومعناه ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهدي وقيل الايمان عبارة عن  
الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته  
بمحض دلائل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن  
معرفته حاصله قبل النبوة • (تبيه) • ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة الاستفهامية  
معلقة لادراية فهمي في محل نصب لستها مستمفعولين والجملة المنقبة بأسرها في محل نصب على  
الحال من الكاف في اليك وفي الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل النبوة  
بشرع وفي المسئلة خلاف للعلماء فقيل كان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام وقيل غيره  
والضمير في قوله تعالى (ولكن جعلنا نورا) يعود اما لروحا واما للكتاب واما لهما وهو أولى لانهما

مقصود واحد فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما  
 يعني الايمان وقال السدي يعني القرآن (نهدي) على عظمتنا (به من نشاء) خاصة لا يقدر أحد  
 على هدايته بغير مشيقتنا (من عبادنا) بخلق الهداية في قلبه بالتوفيق فهذه لا يقدر عليها أحد غير  
 الله تعالى وأما الهداية بالتبيين والارشاد فهي قوله تعالى (وانك) يا أفضل الخلق (لتهدي) أي تدين  
 وترشدوا كده لانكارهم ذلك (الى صراط) أي طريق واضح جدا (مستقيم) أي شديد التقويم  
 وهو دين الاسلام وقوله تعالى (صراط الله) أي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال وقرأ صراط  
 في الموضوعين قبل بالسبب وخلف بالاشمام أي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم  
 وصف سبحانه وتعالى نفسه بأنه مالك لما في السموات والارض بقوله تعالى (الذي له  
 ما في السموات وما في الارض) خلقا وملاكا وعبيدا (ألا الى الله) أي المحيط بجميع صفات  
 الكمال الذي تعالى عن مثل وتدوه والكبير المتعال لا الى غيره (تصير) أي على الدوام وان  
 كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال أبو حيان أخبر  
 بالمضارع والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطى ويمنع أي من شاء ذلك ولا يراد به حيقظ  
 حقيقة المستقبل (الأمور) كلها من الخلق والامر معنى وحسا كما كانت الامور كلها مبتدأة  
 منه وحده وفي ذلك وعد للمطيعين ووعيد للعجبرين فيجازي كلامهم بما يستحقه من ثواب أو  
 عقاب وما قاله اليساوي تبعا للزحشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة حم عسق  
 كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحون له حديثه موضوع

﴿ سورة الزخرف مكية ﴾

وهي تسع وتسعون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

(بسم الله) أي الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعطى من يشاء وان طال سؤله (الرجن) الذي  
 نال بره جميع خلقه على حسب منازلهم عنده (الرحيم) الذي يقرب اليه من يشاء زلني وان  
 وصل في البعد الى الحد الاقصى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (حم) والواو في قوله تعالى  
 (والكتاب) أي القرآن (المبين) أي مظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة  
 ان جعلت حم قسما والا كانت للقسم وقوله تعالى (انا جعلناه) أي أوجدنا هذا الكتاب  
 (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم  
 والمقسم عليه من واحد كقول أبي تمام

وثناياك انها اغريض \* (أي طلع وبرد وقيل كل أبيض طرى) ولا آل توم وبرق وميض  
 والتوم جمع تومة وهي حبة تعمل من الفضة كالدررة والوميض مصدر ومض أي لمع لها  
 خفيفا \* (تنبيه) \* احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه الاقول أنهم اندل  
 على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق الثاني أنه وصفه بكونه قرآنا وهو  
 المسمى قرآنا لانه جعل بعضه مقرونا ببعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث

وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت بوضع الفاظه في اصطلاحهم  
وذلك يدل على أنه مجعول والتقدير حم ورب الكتاب المبين ويؤيد هذا قوله صلى الله  
عليه وسلم يارب طه ويس يارب القرآن العظيم وأجاب الرازي عن ذلك بأن هذا الذي  
ذكرتموه حتى لا نكم استدلتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات  
المتعاقبة محدثة وذلك مع انوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه (أعلمكم) أي يا أهل مكة  
(تعقلون) أي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ان تفهموا معانيه وأحكامه  
وبديع وصفه ومجوز وضعه ونظامه فترجعوا عن كل ما أنتم عليه من المغالبة ولا بد أن يقع هذا  
التعقل فان القادر اذا عبر بزيادة الترجي حتى ما يقع ترجيه ليكون بين كلامه وكلام العاخر فرق  
وقوله تعالى (وانه) أي القرآن عطف على انا أي مثبت (في أم الكتاب) أي أصل الكتب  
وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شئ أصله وقال ابن عباس أول  
ما خلق الله تعالى القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب مثبت عنده في اللوح المحفوظ  
كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (فان قيل) ما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ  
مع انه تعالى علام الغيوب يستعمل عليه السهو والنسيان أجيب بأنه تعالى لما ثبت في ذلك  
أحكام حوادث المخلوقات ثم ان الملائكة اذا شاهدوا أن جميع الحوادث انما تحدث على  
موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل المراد بأم الكتاب الآيات  
الحكيمة لقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمعنى  
أن سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام وقرأ حمزة والكسائي في الوصل  
بكسر الهـ حمزة والباقون بضمها واتفقوا في الابداء بالهـ حمزة على الضم وقوله تعالى (لدينا)  
أي عندنا يدل من الجارية (العلية) أي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم)  
أي ذو حكمة بالغة أو محكم في أبواب البلاغة والفصاحة (أفمنضرب) أي انهم لم يركبوا  
أي نفى مجاوزين (عنكم الذكر) أي القرآن وفي نصب قوله تعالى (صفحا) أو وجه أحدها انه  
مصدر من معني نضرب لانه يقال ضرب عن كذا وأضرب عنه معني أعرض عنه وصرف وجهه  
عنه قال طرفه

اضرب عنك الهموم طارقتها \* ضربك بالسيف قونس الفرس

واضرب بفتح الباء أصله اضرب بنون التوضيح الخفيفة فحذفت النون وحركت الباء  
بالفتح ولطارق ما يطرق بالليل والقونس منبت شعر الناصية وهو عظم نابت بين أذني  
الفرس ثانياً انه منصوب على الحال أي صالحين ثالثاً أن يكون مفعولاً من أجله وقيل غير  
ذلك (أن) أي أنه فعل ذلك لان (كنتم قوماً سرفهين) أي مشركين لان فعل ذلك وهو في  
الحقيقة علة مقتضية لتلك الاعراض وقرأ نافع وحزرة والكسائي بكسر الهـ حمزة على ان الجملة  
شرطية مخزجة للحمزة مخرج المشكوك استجها لالهـ وما قبلها دليل الجزاء وقرأ الباقر  
بفتحها واذكر تعالى تأنيب النبي صلى الله عليه وسلم وتأنيبه وتعزيبه وقسبية قوله سبحانه وتعالى

(وكم أرسلنا) أي على ما لنا من العظمة (من نبي في الأولين) أي في الامم الماضية ثم حكى حالهم الماضية بقوله تعالى (وما) أي والحال انه ما (بأيتهم) وأغرق في النبي بقوله تعالى (من نبي) أي في أمة بعد أمة أو زمان بعد زمان (الآ كانوا) أي خلقا وطبعا (به يستهزئون) كما استهزأ قومك بك فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب ~~تكذيبهم~~ واستهزائهم لأن المصيبة اذا عمت خفت \* (تنبية) \* كم خبرية مفعول مقدم ومن ي تمييز وفي الأولين متعلق بالارسل أو بجدوف على انه صفة لنبي (فأهلكنا) أي فتسبب عن الاستهزاء بالرسول اننا أهلكنا (أشد منهم) أي من قريش الذين يستهزئون بك (بطشا) أي قوة وكان الاصل الاضمار ولكنه أظهر الضمير صارفا أسلوب الخطاب إلى الغيبة اقبالا على نبيه صلى الله عليه وسلم تسليمة له وابلاغاً في وعيدهم (ومضى) أي سبق في آيات الله (منزل) أي صفة (الأولين) في الاهلاك وفي ذلك وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم مثل ما جرى على الأولين واللام في قوله تعالى (ولئن) لام قسم (سألهم) أي سألت قومك (من خالق السموات) على علوها وسعتها (والارض) على كثرة عجايبها وعظمتها وقوله تعالى (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالي التونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خلقهن) الذي هو موصوف بأنه (العزير) أي الذي لا يغالب (العليم) بما كان وما يكون \* (تنبية) \* هذا الجواب مطابق لسؤال من حيث المعنى اذ لوجاه على اللفظ لحي فيه جملة ابتدائية كالسؤال فكان الجواب هنا الله كما في غيره من الآيات لكنه عدل عنه إلى المطابقة المعنوية ~~مكرر~~ للفعل تأكيذا لغراقهم زيادة في توبيخهم وتنبئها على عظم غلطهم \* ولما تم الاخبار عنهم ابتدأ الأدلة على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم) ولو كان ذلك قوله لم قالوا لنا (الارض مهادا) أي فراشا قارة ثابتة كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها منزلة لا ينبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال فالارتفاع بها انما حصل لكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة كما يمكن الارتفاع بها في الزراعة والابنية وسترعيوب الاحياء والاموات ولأن المهد موضع راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة وقرأ الكوفيون بفتح الميم وكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعد الهاء (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا تسلكونها وذلك ان ارتفاع الناس انما يكمل اذا سعوا في أقطار الارض فهياً تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الارتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر الغاية في ذلك فقال تعالى (لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في الاسفار وغيرها فتتوصلون بها إلى الاقطار السبعة والاقاليم الواسعة أولهتدوا إلى الحق في الدين (والذي نزل) أي بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها (من السماء) أي الحمل العالي (ماء) أي لزركم وغارصكم وشرابكم بأنفسكم وأنعامكم (يقدر) أي بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم (فأنشربنا) أي أحينا (به) أي الماء (بلدة) أي مكانا يجمع فيه للإقامة يفتنون باحيائه

يتعاونون على دوام ابقائه (ميتا) أي كان قديس نباته وعجز أهله عن إيصال ماء إليه ليحيابه  
قال البقاعي ولعله أنث البلد وذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية  
بضعف أرضه في نفسها وضعف أهله عن أحيائه (كذلك) أي مثل هذا الانحراج العظيم الذي  
شاهدتموه في النبات (مخرجون) من قبوركم أحياء والمعنى أن هذا الدليل كما دل على  
قدرة الله تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه أنه جعلهم  
أحياء بعد الاماتة كهذه الأرض التي انتشرت بعدما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه أن  
يعيدهم ويخرجهم من الأرض بماء كالمغنى كما تنبت الأرض بماء المطر قال ابن عادل وهذا  
ضعيف لأن ظاهر لفظ الإشارة لإعادة فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى في الكمال ما تقتضيه  
الحال من الاوصاف فقال عز من قائل (والذي خلق الأزواج) أي الاصناف المتشاكلة التي  
لا يكمل شيء منها غاية الكمال الا بالآخر على ما دبره سبحانه في نظم هذا الوجود (كلها) من  
النبات والحيوان وغير ذلك من سائر الاكوان لم يشارك في شيء منها أحد وقال ابن عباس رضي  
الله عنه الأزواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والايض والاسود والذكر والانثى  
وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار  
والقدام والخلف والمأني والمستقبل والذوات والصفات والصفى والشتاء والربيع  
والخريف وكونها أزواج يدل على انها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فأما  
الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذي خلق  
الأزواج كلها فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية قال الرازي وأيضا  
علماء الحساب يثبتون ان الفرد أفضل من الزوج من وجوه الاقول ان الاثنين لا توجد الا عند  
حصول وحدتين فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهي غنية عن الزوج والغنى  
أفضل من المحتاج الثاني ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة  
وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد أفضل من الزوج ثم ذكر  
وجوه أخرى تدل على ان الفرد أفضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الأزواج ممكنات  
ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغنى عما سواه (وجعل لكم من  
الفلك) أي السفن العظام في البحر (والانعام) كالابل في البر (ما تركبون) وحذف العائد  
لهم المعنى تغليباً للمتعدى بنفسه في الانعام على المتعدى بواسطة في الفلك والعائد مجرور  
في الاقول أي فيه منصوب في الثاني وذكر الضمير وجمع الظهور في قوله تعالى (تستووا على  
ظهوره) نظر اللفظ ما ومعناها \* ولما أتم النعمة بخلق ما تدعو اليه الحاجة وجعله على  
وجه دال على ماله من الصفات ذكر ما ينبغي أن تكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم  
من شكر المنعم فقال دال على عظم قدر النعمة وبعدها غايتها وعاقبها الذكر بحرف التراخي  
(ثم تذودوا) أي بقلوبكم وصرف القول الى وجه التربية حثا على تذكر احسانه للانتباه عن  
كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى (نعمة ربكم) أي الذي أحسن اليكم نعمة تسخيرها

لكم وماتعرفونه من غيرها (اذا استويتم عليه) أي على ما تركبونه وذلك الذكر هو أن يعرف  
أن الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من  
تصرف هذه السفينة الى أي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة  
على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان والبحر بركانه انما هو من تدبير الحكيم العليم  
القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحصله ذلك على الانتساب لطاعة الله تعالى وعلى  
الاشتغال بالشكر لنعم الله تعالى التي لانها نهاية لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان  
والاركان على الشكر لمن أسداها قال عز من قائل (وتقولوا) أي بالسنة لكم معا بين القلب  
واللسان (صحة الذي يحجر) أي بعله الكامل وقدرته التامة (لنا هذا) أي الذي ركبناه  
سفينه كانت أودية (وما) أي واحدا أنا ما (كناهم مقرنين) أي مطينين والمقرن المطبق للنشي  
الضابط له من أقرنه أي طاقه قال الواحدى كان اشتقاقه من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن  
فلان أي منله في الشدة وقيل ضابطين وقال أبو عبيدة قرن الشدان أي ضابط له والقرن الحبل  
ومعنى الآية ليس عندنا من القوة والطاقه ان قرن هذه الدابة والغنم وان نطيقها ما سبحان  
من حفرنا هذا ابتداء وحكمته روى الرمشى عن نبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا  
وضع رجله في الركاب قال بسم الله وهذا السوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال - صحتان  
التي حفرنا هذا وما الله مقربين ووالى ربنا منقلبون وروى أحمد وأبو داود والترمذى  
وقال حسن صحيح عن علي رضي الله عنه انه وضع رجله في ركاب ومال فقال بسم الله فلما  
استوى على الدابة قال الحمد لله - صحتان الذي - صحتان هذا الآية ثم حمد ثلاثا و  
ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فأنفرت لى انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم صعدت فقبلت  
انفعت يا أمير المؤمنين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت فقلت ما يرضك  
يا رسول الله قال ان ربنا يحب من عبده اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسي فأنفرت لى انه  
لا يغفر الذنوب الا انت ويقول علم عبدى انه لا يغفر الذنوب غيرى وروى أحمد عن ابن عباس  
رضي الله عنهم ما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردفه على دابة فلما استقر عليها صعد ثلاثا  
وحمد الله تعالى ثلاثا وسبح الله ثلاثا وهن الله تعالى واحدة وصعدت ثم أقبل عليه فقال  
ما من امرئ مسلم ركب دابة فصنع كما صنعت الا قبل الله عليه بفضلك اليه كما فضلك اليه  
ولما كان ركب الغنم في خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك أيضا لان الدابة قد يحصل  
لهما ما يوجب هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب أن يذكر أمر  
الموت ويقول (واد الى ربنا) فمن الشيا بالقدار على هذه المنفلات على هذه المراكب  
لا الى غيره (المقلبون) أي لصائرهم بالموت وما بعده الى الدار الآخرة انفسا بالاياين معه الى  
هذه الدار فالآية منهية بالسير الذي هو على السير الاخرى واكد لاجل انكارهم البعث  
ولما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (ا) بين انهم مع اقرارهم  
بذلك جعلوا له من عباده جراً كما قال تعالى (وجعلوا له من عباده) ايدين أيدعهم كما أيدع غيرهم

(١) قوله ليقولن  
الله الذي في هذه  
السورة خلقهن  
العزير العليم اه



(جزأ) أي ولدا هو لحصرهم في الاثنى أحد قسمي الاولاد وكل ولد فهو جزء من والده قال  
 صلى الله عليه وسلم فاطمة بنعمة مني ومن كان له جزء كان محتسبا فلم يكن الها وذلك لقولهم  
 الملائكة بنات الله فثبت بذلك طيش عقولهم وخافة آرائهم وقرأ شعبة بضم الزاي  
 والباقون يسكونهم وهم الغتان واذا وقف جزءة تنقل حركة الهمزة الى الزاي \* ولما كان  
 هذا في غاية الغلط من الكفر قال - وكذا الانكارهم ان يكون كفرا (ان الانسان) أي هذا  
 النوع الذي هو بعضه (الكفور مبین) أي بين الكفر في نفسه مناد عليها بالكفر وقوله تعالى  
 (أم اتخذ) أي أعالج هو نفسه فاخذ هو بعد المعالجة وهو خالق الخلق كلهم (عما يخلق) أي  
 يحدد ابداعه في كل وقت (بنات) استنهام تو بيج وانكار أي فلم يقدر بعد التكلف والتعب  
 على غير البنات التي هي أبغض الجزأين اليكم ثم عطف على قوله تعالى اتخذ ليكون منفيًا على  
 أبلغ وجه لكونه في حين الانكار (وأحدناكم) وهو السيد الكامل وأنتم عبيده أي خصكم  
 (بالبنين) اللازم من قولكم السابق ثم بين كون البنات أبغض اليهم بقوله تعالى (وإذا) أي  
 جعلوا ذلك والحال انه اذا (بشر) أي من أي مبشر كان (أحدهم) أي أحد هؤلاء البعداء  
 البغضاء (بما ضرب) أي جعل (للرحمن) الذي لانعمة على شيء من الخلق الا وهي منه  
 (مثلا) أي شها نسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا أخبراً - دهم بالبنات تولد  
 له (ظلال) أي صار (وجهه سودا) أي شديد السواد لما يمتريه من الكآبة (وهو كظيم) أي  
 متمسك بما فكيف تسب البنات اليه تعالى هذا ما لا يرضى عاقل ان يمر به فكره فضلا عن  
 ان يتنقوبه وقوله تعالى (ومن ينشأ) أي على ما جرت به عوائدكم (في الخلية) يجوز في من  
 وجهان أحدهما أن تكون في محل نصب مفعولا بفعل مقدر أي أو تجعلون من ينشأ  
 في الخلية والثاني انه مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ جزءا ولدا أو جعلوه له جزأ  
 والمعنى ان التي تتبرن في الخلية تكون ناقصة الذات لانه لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت  
 الى تزوين نفسها بالخلية وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين  
 أي يربي والباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين واذا وقف حمزة وهشام أبدا  
 الهمزة أنفا ولهما أيضا تسهيلها والروم والانسام ثم بين نقصان حالها بطريق آخر بقوله تعالى  
 (وهو) أي والحال انه وقدم في افادة الاهتمام قوله تعالى (في الخصام) أي الجدارة اذا احتجج  
 اليها فيها (غير مبین) أي مظهر حجته لضعفه عنها بالانوثة قال قتادة في هذه الآية قلما تتكلم امرأة  
 فتريد أن تتكلم بحجتها لانكلمت بالجملة عليها ثم بين تعالى جراتهم على ما لا ينبغي لعاقل أن  
 يتنقوبه بقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم) متصنون بأشرف الاوصاف وهو انهم  
 (عباد الرحمن) أي العام النعمة الذين ما عصوره طرفة عين (انانا) وذلك أدنى الاوصاف  
 خلقا وخالقا اذا نواصفة فهذا كفر ثالث ك الكفرين قبله وقرأ نافع وابن كثير وابن  
 عامر بكسر العين وبعدها نون ساكنة ونصب الدال والباقون بعـد العين ياء واحدة  
 مفتوحة وبعدها التاء ورفع الدال ثم قال تعالى ك ما بهؤلاء القائلين ذلك وتو بيجالهم

وانكارا عليهم (أشهدوا) أى أحضروا (خاقهم) أى خلقي اياهم فشهدوهم انانا فان ذلك مما  
يعلم بالمشاهدة وقرأنا فم زتين الاولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون  
السين وادخل قالون بينهما ألفا ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح السين  
(ستكتب) بـ كتابة من وكنناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع  
مانا أمرهم به (شهادتهم) أى قولهم فيهم انهم اناث الذى لا ينبغي أن يكون الا بعد تمام المشاهدة  
فهو قول ركيبٌ مخيفٌ ضعيفٌ كما أشار اليه التائيت (ويستلون) عنها عند الرجوع اليها قال  
الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث  
قالوا معنا من آباءنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويستلون عنها  
في الآخرة هذا يدل على أن القول بغير دليل منكر وأن التقليد حرام بوجب الذم العظيم قال  
المحققون هؤلاء الكفار كفرة وفى هذا القول من ثلاثة أوجه أولها اثبات الولد ثانياً أن  
ذلك الولد بنت ثالثها الحكم على الملائكة بالانوثة \* (تنبيه) قال البقاعي يجوز أن يكون فى  
السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به فانه قد روى أبو أمامة أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على عين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب  
الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشر او اذا عمل سيئة قال  
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله أو يستغفر ثم يبه سبحانه على  
أنهم عبدوهم مع ادعاء الانوثة فيهم فقال تعالى مجيباً عنهم فى ذلك وفى جعل قولهم حجة دالة على  
صحته مذهبهم وهو من أوهى الشبه (وقالوا) أى بعد عبادتهم لهم ونهيمهم عن عبادة غير الله تعالى  
(لوشاء الرحمن) أى الذى له عموم الرحمة (ما عبدناهم) أى الملائكة فعبادتنا اياهم عشيتته فهو  
راض بها ولولا أنه راض بها العجل لنا العقوبة فاستدلوا بثنى مشيئة عدم العبادة على الرضا بها  
وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهيماً حسناً كان أو غيره  
ولذلك جهلهم فقال تعالى (مالهم بذلك) أى المقول من الرضا بعبادتها (من علم ان) أى ما  
(هم الا بخبرسون) أى يكذبون فى هذه النتيجة التى زعموا أنهم ادا لهم على رضا الله تعالى بكفرهم  
فيترتب عليهم العقاب \* ولما بين تعالى بطلان قولهم بالعقل أتبعه بطلان قولهم بالنقل فقال  
تعالى (أم آتيناهم) أى على ما لنا من العظمة (كتاباً) أى جامعاً لما يريدون اعتقاده من  
أقوالهم هذه (من قبله) أى القرآن أخبرناهم فيه أناجعلنا الملائكة انانا وانالانساء الاما هو حق  
رضاء وانأمر به (فهم به) أى فتسبب عن هذا الاتيان أنهم به وحده (مستسكون) أى موجودون  
الاستسالة بما أخذون بما فيه لم يقع ذلك \* ولما بين تعالى أنه لا دليل لهم على صحة قولهم البتة  
لامن العقل ولامن النقل يعين أنه لا حامل لهم يحملهم عليه الا التقليد بقوله تعالى (بل قالوا  
انا وجدنا آباءنا) أى وهم أرجح منا عقولاً وأصح منا أفهاماً (على أمة) أى طريقة عظيمة يحق  
لها أن تقصد وتوثق ثم أكدوا قطع الرجاء المخالف عن لفتهم عن ذلك فقالوا (وانا على آمارهم)  
أى خاصة لا غيرها (مهتدون) أى متبعون فلم نأت بشئ من عند أنفسنا ولا غلطنا فى الاتباع

واقترعوا الأثام فلا اعتراض علينا بوجهه هـ ذاقولهم في الدين بل في أصوله التي من ضل  
في شيء منها هلك ولو ظهر لاحد منهم خلل في سعي أبيه الديني الذي به يحصل الدينار والدرهم  
ما اقتدى به أصلا وخالفه أي مخالفة ما هذا الا تصور ونظر ومحض عناد ثم أخبر تعالى أن غيرهم  
قال هذه المقالة بقوله سبحانه (وكذلك) أي ومثل هذه المقالة المتناهية في الشاعة فعلت  
الامم الماضية مع اخوانك الانبياء عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله تعالى (ما أرسلنا) أي مع  
مالنا من العظمة (من قبلك) أي في الازمنة السابقة (في قرية) وأغرق في النبي بقوله تعالى  
(من نذير) وبيّن به أن موضع الكراهة والخلاف الانذار على مخالفة الاهواء (الاتقال  
مترفوها) أي أهل الترفه بالضم وهي النعمة والطعام الطيب والشئ الطريف يكون خاصا  
بالمترف وذلك موجب لقله الهم وللراحة والبطالة (انا وجدنا آباءنا) أي وهم أعرف منا  
بالامور (على أمة) أي أمر جامع يستحق أن يقصد ويؤم ثم أكدوا كما أكدوا ولا فقالوا  
(وانا على ائمتهم) أي لا على غيرها (مقتدون) أي راكبون سنن طريقهم لازمون لها فني  
هذاتسلي لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) أي يا أفضل الخلق لهؤلاء البعداء البغضاء  
(أولو) أي أتبعون ذلك ولو (جئتكم بأهدى) أي بأمر أعظم في الهداية وأوضح في الدلالة  
(ما وجدتم) أي أيها المقتدون بالآباء (عليه آباءكم) أي كما تضمن قولكم انكم تفتنون  
في اتباعكم بالأثام في أعظم الأشياء وهو الدين الذي الخسارة فيه خسارة للنفس وأنتم  
تخالقونهم في أمر نفس الدنيا اذا وجدتم طريقا أهدي في التصرف فيها من طريقهم  
ولو أمر ايسر او يفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما يدرك أبوه فحصل من المال أكثر  
مما حصل في له من نظرها أقصره ومتجر ما أخسره وقرأ ابن عامر وحقق قال بصيغة  
الماضي أي قال المنذر أو الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والباقون قل بصيغة الامر للنبي  
صلى الله عليه وسلم ثم أجابوه بأن (قالوا) مؤكدين رد الما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من  
انهم يبادرون النظر في الدليل والرجوع الى سواء السبيل (انا بما أرسلتم به) أي أنت ومن  
قبلك (كافرون) أي ساترون لما ظهر من ذلك جهدا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعكم فيه  
مخلوق وان كان أهدي مما كان عليه آباؤنا فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى (فانتقمنا)  
أي بما لنا من العظمة التي استحقوا بها (منهم) فاهلكناهم بعذاب الاستئصال ثم عظم أمر  
النقمة بالامر بالنظر فيها في قوله (فانظر) يا أفضل الرسل (كيف كان عاقبة) أي آخر أمر  
(المكذابين) لرسولنا فانهم أهلكوا أجمعون ونجا المؤمنون أجمعون فليحذر من درساتك  
من مثل ذلك وهذا تهديد عظيم لكفار قريش ثم بين تعالى وجه آخر يدل على فساد التقليد  
بقوله تعالى (واذ) أي واذا كريا أفضل الخلق اذ (قال ابراهيم) أي الذي هو أعظم آباءهم ومخط  
نفرهم والمجمع على محبته وحقيقة دينه منهم ومن أهل الكتاب وغيرهم (لا يبه) من غير أن يقلده  
كما قلتم انتم آباءكم (وقومه) الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لا حوائجهم على ملك جميع  
الارض (انني براء) أي براء (مما تعبدون) أي في الحال والاسم تقبال (الا الذي فطرني)

أى خلقنى (فانه سيدى) أى يرشدنى لدينه ويوفقنى لطاعته \* (تنبيه) \* فى هذا الاستثناء  
 أوجه أحدها أنه استثناء منقطع لأنهم كانوا عبدة أصنام فقط ثانياً أنه متصل لأنه روى  
 أنهم كانوا يشركون مع البارى غيره ثالثاً أن تكون الاصفة بمعنى غير على أن تكون مانكرة  
 موصوفة قاله الزمخشرى قال أبو حيان وإنما أخرجها فى هذا الوجه عن كونها موصولة  
 لأنه يرى أن الابعنى غير لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف وعلى هذا يجوز أن تكون  
 ماموصولة والابعنى غير صفة لها (وجعلها) أى ابراهيم (كلمة) أى كلمة التوحيد المفهومة  
 من قوله اتى الى سيدى (باقية فى عقبه) أى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لأنه  
 عليه السلام مجاب الدعوة وقال ومن ذرى ريشا وابتعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم  
 الكتاب والحكمة ويزكيهم (لعلمهم) أى أهل مكة (يرجعون) عما هم عليه الى دين أبيهم فانهم  
 اذا ذكروا ان أباهم الاعظم الذى بنى لهم البيت وأورثهم الفخر قال ذلك تابعوه قال الله تعالى  
 (بل تمتع هؤلاء) أى الذين يحضرتك من المشركين وأعداء الدين (وآبائهم) أى مددت لهم  
 فى الاعمار مع اسباح النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم ولم أعاجلهم بالعقوبة فابطرتهم  
 نعمتى وتمادى بهم م ركوب ذلك الباطل (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول مبين) أى  
 مظهر لهم الاحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (ولما جاءهم الحق) أى الكامل  
 فى حقيقته بطابقة الواقع اياه من غير الباس ولا اشتباه وهو القرآن العظيم (قالوا) مكابرة  
 وعناد اوحسد من غير وقفة ولا تأمل (هذا) مشيرين الى الحق الذى يطابقه الواقع فلا شئ  
 أثبت منه وهو القرآن الكريم (سحر) أى خيال لاحقيقة له (وانابه كافرون) أى عريقتون  
 فى ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من كفرهم بقوله تعالى  
 (وقالوا لولا) أى هلا (نزل) يعنى من المنزل الذى ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعينو امر ادهم  
 ونفوا اللبس فقالوا (هذا القرآن) أى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى أنه جامع  
 لكل خير (على رجل من القريتين) أى مكة والطائف (عظيم) لانهم قالوا منصب الرسالة  
 منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا فى ذلك الا أنهم ضموا اليه مقدمة فاسدة  
 وهى أن الرجل الشريف عندهم هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم  
 ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى به وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال  
 يعنون الوليد بن المغيرة بن عروة بن مسعود بالطائف قال قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة  
 من مكة وعبد ياليل الثقفى من الطائف وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما هو الوليد بن  
 المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى \* (تنبيه) \* قوله تعالى من القريتين  
 فيه حذف مضاف قدره بعضهم من رجلى القريتين وقيل من احدى القريتين وقيل المراد عروة  
 ابن مسعود الثقفى كان بالطائف وكان يتردد بين القريتين فنسب الى كليهما ثم رد الله تعالى  
 عليهم اعراضهم منكر عليهم موبخاً لهم بماهنا أنه ليس الامر مردوداً ولا موقوفاً عليهم م بل  
 الى الله تعالى وحده والله أعلم حيث يجعل رسالته بقوله تعالى (أهم) أى هؤلاء الجهلة

العجزة (يقسمون) أى على التجدد والاستمرار (رحمت ربك) أى اكرام المحسن اليك  
 واقامه وتشريفه؛ نواع اللطف والبر واعظامه بما ربك له من تخصيصك بالارسال اليهم  
 لانقاذهم من الضلال وجعلك وأنت أفضل العالمين الرسول اليهم ففضلوا بفضيلتك مع أنك  
 أشرفهم نسباً وأفضلهم حسباً وأعظمهم عقلاً وأصفاهم لباً وأرحهم قلباً ليتصرفوا  
 فى تلك الرحمة التى هى روح الوجود وسر الامر لا بحسب شهواتهم وهم لا يقدرّون على  
 التصرف فى المتاع الزائل بمنزل ذلك كما قال تعالى (نحن قسمنا) بما لنا من العظمة (بينهم) أى  
 فى الامر الزائل الذى يعمرهم ويجب تخصيص كل منهم بما لديه (معيشتهم) أى التى يعدونها  
 رحمة ويقصرون عليها النعمة (فى الحياة الدنيا) التى هى أدنى الاشياء عندنا وشارباً يمشى الى  
 انها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل وأما الآخرة فعبء عنها بالحيوان لانا لوتر كذا قسمها اليهم لتفانوا  
 على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل فى الوهم أن نجعل اليهم شيئاً من الكلام فى أمر  
 النبوة التى هى روح الوجود وبها سعادة الدارين (ورفعنا) أى بما لنا من نفوذ الامر  
 (بعضهم) وان كان ضعيف البدن قليل العقل (فوق بعض) وان كان قويا غزير العقل  
 (درجات) فى الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فانه لا بد فى انتظامه  
 من تشارك الموجودين وتعاونهم فغاوتنا بينهم فى الجثث والقوى والهيم ليقسموا الصنائع  
 والمعارف ويكون كل ميسر لما خلق له ويأخذ المأهية لتعاطيه فلم يقدر أحد من دنى أو غنى  
 ان يعد وقدره ويرتقى فوق منزلته ثم علل ذلك بما عثرته عمارة الارض بقوله تعالى (ليخذ)  
 أى بقاية جهده (بعضهم بعضاً سخرياً) أى ليستخدم بعضهم بعضاً فيسخر الاغنياء بأموالهم  
 الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم سبباً للمعاش وبعض هذا عمله وهذا بأعماله فيلتزم  
 قوام العالم لان المقادير لو تساوت لتعطلت المعاش فلم يقدر أحد منهم أن يتك عباب بعلمناه  
 اليه من هذا الامر الدنى فكيف يطمعون فى الاعتراض فى أمر النبوة أيتصور عاقل  
 أن تتولى قسم الناقص وتكمل العالى الى غيرنا قال ابن الجوزى فاذا كانت الارزاق بقدر  
 الله تعالى لا يجوز المحتمل وهى دون النبوة فكيف تكون النبوة اه وهذا هو المراد بقوله  
 تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة الى الوصف بالاحسان اظهرا الشرف النبى صلى الله  
 عليه وسلم (ورحمت ربك) أى المربى لك والمدبر لامرئك وارسالك وانارة الوجود برسالتك التى هى  
 اعظمها جدية بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رحمة (خير مما يجوعون) من حطام الدنيا القانى  
 فانه وان تأتى فيه خير فى استعماله فى وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة وما قاربها مما  
 دعا الى الاعراض عن الدنيا متلاش وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى عليه البغوى وتبعه  
 الجلال المحلى وابن عادل وجرى على الاول البيضاوى وتبعه البقاعى وهو الظاهر من الآية  
 الكريمة \* (فائدة) \* اتفق القراء هنا على قراءة سخر يا بضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا  
 وخسرتها التى يقضون بها بقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس) أى أهل التمتع بالاموال بما فهم  
 من الاضطراب والانس بأنفسهم (أمة واحدة) أى فى الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطاءنا

المال دليل على محبتنا لمن أعطينا لهم الدنيا وجعلها محط أنظارهم وهم مهم الامن عصمه  
 الله تعالى (بلعلنا) أى فى كل زمان وكل مكان بمكان العظمة التى لا يقدر أحد على معارضتها  
 لحقارة الدنيا عندنا وبغضنا لها (لمن يكفر) وقوله تعالى (بالرحمن) أى العام الرحمة دليل على  
 حقارة الدنيا من جهة اعطائها الابدالمعقوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم  
 على الكافر لولا العلة التى ذكرها الله تعالى من الرق بالمؤمنين وقوله تعالى (ليسوتهم) بدل من  
 لمن يدل اشتمال باعادة العامل واللامان للاختصاص (سقا من فضة) قال الباقى كأنه خصها  
 أى الفضة لافادتهم النور وقرأ أبو عمرو وورش وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرهما  
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسقنا بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون بضمها  
 جمعاً وقوله تعالى (ومعارج) جمع معرج وهو السلم أى من فضة أيضاً ومعت المصاعد  
 من الدرج معارج لان المشى عليها مثل مشى الاعرج (عليها) خاصة لتيسر أمرها لهم  
 (يظهرون) أى يملكون ويرتقون على ظهرها الى المعالى (وليسوتهم ابواباً) أى من فضة أيضاً  
 وقوله تعالى (وسرراً) أى من فضة جمع سرير ودل على هدوئها لهم وصفاء أروافهم وأحوالهم  
 بقوله تعالى (عليها يتكثرون) ودل على ما هو أعظم من الفضة بقوله تعالى (وزخرفاً) أى ذهباً  
 وزينة كاملة عامة (تنبيه) \* زخرفاً يجوز أن يكون منصوباً بيجعل أى وجعلنا لهم زخرفاً  
 ويجوز الزمخشري أن ينتصب عطفاً على محمل من فضة كأنه قيل سقنا من فضة وذهب فلما  
 حذف الحافض انتصب أى بعضها كذا وبعضها كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى  
 أو يـكون لك بيت من زخرف فيكون المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهباً كثيراً وقيل الزخرف  
 الزينة لقوله تعالى حتى إذا أخذت الارض زخرفها وأزمنت فيكون المعنى تعطيم زينة  
 عظيمة فى كل باب (وإن كل ذلك) أى البعيد من الخير لكونه فى الاغلب مبعداً مما يرضينا  
 (للمتاع الحياة الدنيا) أى التى اسمها دال على دنائها يمتع به فيها ثم يزول وقرأ ابن عامر  
 وعاصم وحزرة بتشديد الميم بعد اللام بمعنى الاحـكى سيبويه أنشدتك يا لله لما فعلت بمعنى  
 الاوتسكون ان نافية أى وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرأ الباقون بالتخفيف فتكون  
 ان هى المنفقة من الثقل أى وانه كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أى الجنة التى  
 لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة الا هى (عند ربك) أى المحسن اليك بأن جعلك أفضل الخلق  
 (للمتقين) أى الذين هم دائماً واقفون عن أدنى تصرف الابدليل لا يشاركونهم فيها غيرهم  
 من الكفار وهذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى وقبصر وما كانا فيه من القم قال النبي  
 صلى الله عليه وسلم ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم  
 لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق منها الكافر قطرة ماء وروى المستورد بن  
 شداد قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السهلة الميتة  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتري هذه هانت على أهلها حتى أقوها قالوا من هو أهلها  
 أقوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها أخرجه

الترمذي وقال حديث حسن وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبده حباه من الدنيا كما ينزل أحدكم بحمي سقيم الماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبارة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادئ الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لان من يبقى اذذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا يعد لهم في جانب الكفرة لان كلام الملوكة لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخارج الشرط فكيف تلك الملوكة سبحانه (فان قيل) لم بين تعالى انه لو فتح على الكافر أبواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير سببا لاجتماع الناس على الاسلام (أجيب) بأن الناس على هذا التقدير كانوا يهتجون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة أن لا يجعل ذلك للمسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن) أي الذي عمت رحمته فلا رحمة على أحد الا وهي منه تعالى كما فعل هؤلاء حين متعناهم وآبأهم حتى أبطروهم ذلك وهو شيء يسير جدا فأعرضوا عن الآيات والدلائل فلم ينظروا فيها الا نظرا ضعا فاعرضوا عن عشا بصره وهو من ساء بصره بالليل والنهار (نقيض) أي نسب (له) عقابا على اعراضه عن ذكر الله تعالى (شيطانا) أي شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون غالب عليه محيطا به مثل قبض البيضة وهو القشر الداخل (فهو قرين) أي مشدود به لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله تعالى فهو يزين له العمى ويخيل اليه أنه على عين الهدى كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك فهو له ولي يثبته الى كل خير فذكر الله تعالى حصن حصين من الشيطان الرجيم حتى يخرج العبد منه أسره العبد وكما ورد في الحديث (وانهم) أي القرناء (ليصدونهم) أي العاشين (عن السبيل) أي الطريق الذي من حاد عنه هلك لانه لا طريق له في الحقيقة سواء (ويحسبون) أي العاشون مع سيرهم في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحطوط والشهوات وابعاد المواعظ (أنهم مهتدون) أي غريبتون في هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين \* (تنبيه) \* ذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو قرين يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال أبو حيان الظاهر أن ضميري النصب في وانهم ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها وأما لفظها أو لا فأفرد في له وله ثم راعى معناها فجمع في قوله تعالى وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لان المراد به الجنس ولان كل كافر معه قرينه وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة بفتح السين والياقون بكسرهما وقرأ (حق اذا جاءنا) نافع وابن عامر وأبو بكر بعد الهمزة بعد الجيم على التثنية أي جاء العاشي والشيطان

والباقون بغير مدافراد أي جاء العائني (قال) أي العائني تنديما وتحسرا لانتفاع له به لقوات محله وهو دار العمل (يأليت يبي وبينك) أي أيها التيرين (بعد المنسقين) أي ما بين المشرق والمغرب على التغليب قاله ابن جرير وغيره أو مشرق الشتاء والصف أي بعد أحدهما عن الآخر ثم سبب عن هذا التمني قوله جامع له أنواع المذام (فبئس القرين) والمخصوص بالذم محذوف أي أنت لأنك الذي قد أضللتني وأوصلتني إلى هذا العيتر الضنك والمحل الدحض قال أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يقارقه حتى يصير إلى النار وفي فاعل قوله تعالى (ولن ينفعكم اليوم) قولان أحدهما أنه ملفوظ به وهو أنكم وما في حيزها والتقدير ولن ينفعكم اشتراكم في العذاب بالتأسي كما ينفعكم الاشتراك في مصاب الدنيا في تأسي المصاب بمنه ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي \* على موتاهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن \* أعزى النفس عنه بالتأسي

والثاني أنه مضمرة فقد ربه بعضهم ضميرا التمني المدلول عليه بقوله يأليت يبي أي لن ينفعكم تنبيكم البعد وبعضهم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم ويحذركم وعبارة من عبر بأن الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور ولا حذف إذا الفاعل لا يحذف إلا في مواضع ليس هذا منها والمعنى ولن ينفعكم اليوم في الآخرة (اذظلمتم) أي أشركتم في الدنيا (أنكم في العذاب مشتركون) أي لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرنائكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم تشتركون في الدنيا \* (تنبيه) \* استشهد كل العربون هذه الآية ووجهه أن قوله تعالى اليوم ظرف حال

واذ ظرف ماضى وينفعكم مستقبل لاقتراحه بلن التي لئني المستقبل والظاهر أنه عامل في الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع إلا بعد في ظرف حال وماض هذا مما لا يجوز (أجيب) عن أعماله في الظرف الحالى على سبيل قرينه منه لأن الحال قريب من الاستقبال فيجوز في ذلك قال تعالى فمن يستمع الآن يجده شهيا باوصدا وقال الشاعر

سأسى الآن إذ بلغت أباها \* وهو اقناعي والا فال مستقبل يستحيل وقوعه في الحال عقلا وأما قوله تعالى إذ فقيها للناس أوجه كثيرة قال ابن جني راجعت أبا على فيهما روا كثيرة فآخر ما حصلت منه ان الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله تعالى وعمله فإذا بدل من اليوم حتى كأنها مستقبله أركان اليوم ماض وإلى هذا انحاز الزمخشري قال واذا بدل من اليوم وحل الزمخشري على معنى اثنين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في أنكم كنتم ظالمين ونظيره \* إذا ما اتسبنا لم تلدني لثيمة \* أي تبين اني ولد كريمة ولما وصفهم في الآية المتقدمة بالعشي وصفهم بالصمم والمعنى بقوله تعالى (أفأنت) أي وحدك من غير ارادة الله تعالى (نسمع الصم) وقد أصعمناهم بما صعبنا في مسمع أفهامهم من رصاص الشقاء



(أوتهدى العمى) الذين أعينناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية الحساسة روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا تصميماً على الكفر ونشاداً في الغي فنزلت أي هم في النفرة عندك وعن دينك بحيث إذا سمعتم القرآن كانوا كالصم وإذا أريتمهم المعجزات كانوا كالعمى وقوله تعالى (ومن كان) أي جبهة وطبعاً (في ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغير الوصفين وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى بين في نفسه أنه ضلال وأنه محيط بالاضال يظهر لكل أحد ذلك فهو بحيث لا يخفى على أحد فالمعنى ليس شيء من ذلك إليك بل هو إلى الله تعالى القادر على كل شيء وأما أنت فليس عليك إلا البلاغ فلا تعب نفسك (فأما نذهيبنك) أي من بين أظهرهم عوت أو غيره وما مزيدة مؤكدة بنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة (فأنا منهم) أي من الذين تقدم التعريض بأنهم صم عمى ضلال لم تتفهم مشاعرهم (منقدهون) أي بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو سبب تأخير العذاب عنهم (أوزيرينك) وأنت بينهم (الذي وعدناهم) أي من العذاب وعبر فيه بالوعد ليدل على الخبر بلفظه وعلى الشر بأسلوبه (فأنا) أي بما لنا من العظمة التي أنت أعلم الخلق بها (عليهم) أي على عقابهم (مقتدون) على كذا التقديرين وأكديان لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته وكذا بالآيات بنون العظمة وصيغة الافتعال (فاسقك) أي اطلب وأوجد مجد عظيم على كل حال من أحوال الامساك (بالذي أوحى إليك) من حين نبوتك إلى الآن في الاتقام منهم وفي غيره (انك على صراط) أي طريق واسع واضح جداً (مستقيم) أي موصل إلى المنتهى ولا يصح أصلاً أن يلحقه شيء من عوج (وأنه) أي الذي أوحى إليك في الدين والدينا (لذكر) أي لشرف عظيم جداً وعظمة وبيان (لك ولقومك) قريش خصوصاً والنزول بلغتهم والعرب عموماً وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روى الضعفاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يجبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك قال لقريش وروى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنتان وروى معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف أنزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الأكثر لقريش ولبنو هاشم وقيل ذلك بما أعطاك من الحكمة ولقومك من المؤمنين بما هداهم الله تعالى به (ويوف نملون) أي عن القرآن يوم القيامة وعن قيامكم بحته وكيف كنتم في العار حله والاستجابة له وقال الكلبي تسئلون هل أدبتم شكرانعامنا عليكم بهذا الذكر الجليل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسئل سؤال توبيخ وقيل يسئلون هل علمتم بما دل عليه القرآن من التكليف وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى بعث له آدم وولده من

المرسلين عليهم السلام فأذن جبريل عليه السلام ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ  
 من الصلاة قال له جبريل عليه السلام (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا) أي على ما لنا من العظمة (من قبلك  
 من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن) أي غيره (الآلهة يعبدون) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا أسأل قدا كتفت ولست شاك فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وأبي زيد قالوا جمع  
 له الرسل ليلة أسرى به وأمر أن يسألهم فلم يسأل ولم يشك وقال أبو بكر المفسرين سل مؤمن  
 أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء عليهم السلام هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو  
 قول مجاهد وقتادة والسدق ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم على واحد من القولين لأن  
 المراد من الأمر بالسؤال التقرير للمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله تعالى ولا كتاب بعبادة  
 غير الله تعالى \* ولما طعن كفار قريش في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه  
 والمال بين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات القاهرة التي لا يشك  
 في صحتها عقل أو رد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال تعالى (ولقد  
 أرسلنا) أي بما ظهر من عظمتنا (موسى) أي الذي كان يرى فرعون أنه أحق الناس بعظمته  
 لأنه ربه وكفله (بآياتنا) التي قهر بها عظماء الخلق وجبا برتهم فدل ذلك على صحة دعواه (إلى  
 فرعون) الذي ادعى أنه الرب الأعلى (وملائه) أي القبط (فقال) أي بسبب إرسالنا (إني رسول  
 رب العالمين) أي مالكمهم ومدبرهم ومربيهم فقالوا له أنت بآية قاتل بها (فلما جاءهم بآياتنا) أي  
 بآتي اليد والعصا اللتين شاهدوا فيها عظمتنا وادلهم ذلك على قدرتنا على جميع الآيات  
 (أذا هم) أي بأجمعهم (منها يفتخرون) أي فاجؤا المجي بهم من غير توقف ولا تأمل بالضعف  
 هزريه واستمزاء قيل أنه لما ألقى عصاه صارت نعينا فلما أخذها وصار عصا كما كانت ضحكوا  
 \* ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا (وما) أي والحال أنا ما (ترىهم)  
 على ما لنا من الجلال والعلو وأغرق في النبي بآيات الجوارف فقال تعالى (من آية) أي من آيات  
 العذاب كالطوفان وهو ما دخل بيوتهم ووصل إلى خلوق الجالسين - سبعة أيام والجراد وغير  
 ذلك (الاهي أكبر) أي في الرتبة (من أختها) أي التي تقدمت عليها بالنسبة إلى علم الناظرين لهما  
 (وأخذناهم) أي أخذ قهر وغلبة (بالعذاب) أي أنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع  
 والبرد الكار الذي لم يهد مثله ملتهب بالنار وموت الأبيكار فكانت آيات على صدق موسى  
 عليه السلام بما لها من الاعجاز وعذابا لهم في الدنيا ومصوب لآخرة فيا لها من قدرة  
 باهرة وحكمة ظاهرة (لعلهم يرجعون) أي ليكون حالهم عندنا إذا نظرهم الجاهل بالعواقب  
 حال من يرجو رجوعه (و) لما عاينوا العذاب (قالوا) لموسى أي قال فرعون بالباشرة وأتباعه  
 بالموافقة له (يا أيها الساحر) فنادوه بذلك في تلك الحالة لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أولانهم  
 كانوا يسهون العالم الماهر ساحرا (ادع لنا ربك) أي المحسن اليك بما يفعله معك من هذه  
 الأفعال التي نهيتنا بها أكرامالك (بما) أي بسبب ما (عهد عندك) أي من كشف العذاب عنا  
 إن آمننا (إننا لم نهدون) أي مؤمنون (فلما كشفنا) أي على ما لنا من العظمة التي ترهب الجبال

قوله بعظمته أي بتعظيمه آياه

(عنهم العذاب) أي الذي أنزلناه بهم (إذا هم يشكثون) أي فاجزوا الكشف بتجدد النكت  
 باختلاف بعد اخلاف (ونادي فرعون) أي زيادة على نكثه (في قومه) أي الذين هم في غاية  
 القيام معه وأمر كلا منهم أن يشيع قوله اشاعة تم البعيد والتقريب فتكون كأنها مناداة اعلاما  
 بأنه مستر على الكفر لئلا يظن بعضهم انه يرجع فيرجعون \* ولما كان كأنه قيل به نادى أجاب  
 بقوله (قال) أي خوفا من ايمان القبط لما رأى من أن ما شاهدوه من باهر الآيات مثله يزلزل  
 ويأخذ القلوب (يا قوم) مستعطفنا لهم باعلامهم أنهم لحمة واحدة ومستنهضنا بوصفهم بأنهم ذو قوة  
 على ما يحاولونه مقرر الهم على عذره في نكثه بقوله (أليس لي) أي وحدي (ملك مصر) أي  
 كله فلا اعتراض على من بنى اسرائيل ولا غيرهم (وهذه) أي والحال أن هذه (الانهار) أي  
 أنهار النيل قال البيضاوي ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر ديمياط ونهر تنيس  
 وقال البقاعي كأنه كان قد أكثر من تشقيق الخليلان الى بساكنيه وقصوره ونحو ذلك  
 من أموره فقال (تجري من تحتي) أي تحت قصرى أو امرى أو بين يدي في جناني وزاد  
 في التقرير بقوله (أفلا تبصرون) أي هذا الذي ذكرته لكم فتعلموا يصائر قلوبكم أنه  
 لا ينبغي لاحد أن ينزعني وهذا العمري قول من ضعفته قواه وانحلت عراه (أم أنا خير)  
 أي مع ما وصفت لكم من ضغامي ومالي من القدرة على اجراء المياه التي بها حياة كل  
 شئ (من هذا) وكفى بإشارة القريب عن تحفيره ثم وصفه بما بين مراده بقوله (الذي  
 هو مهين) أي ضعيف حقير ذليل لانه يتعاطى أموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى  
 بها نهرا ولا يتقذ بها أمرا (ولا يكاديين) أي لا يقرب من أن يعرب عن معنى من المعاني  
 لما في لسانه من الحسنة فلا هو قادر في نفسه ولاله قوة بلسانه على تصريف المعاني  
 وتوزيع البيان ليستجلب القلوب وينعش الالباب فتكثر أتباعه ويضخم أمره وقد  
 كذب في جميع قوله فقد كان موسى عليه السلام أبلغ أهل زمانه قولا وفعلا يتقدير الله  
 تعالى الذي أرسله وأمره آياه وان كان اللعين اسند هذا الى ما بقي في لسانه من الحسنة  
 تخيلا لا اتباعه لان موسى عليه السلام ما دعا بازاله جميع حسنة بل بعقدته منها فانه قال  
 واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي \* (تنبيه) \* في أم من قوله أم أنا خير أقوال أحدها  
 انما منقطعة فتقدر يسل التي لا ضرب الاتقال وبالهمزة التي للانكار والثاني انما يعني بل  
 فقط كقوله

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى \* وصورتها أم أنت في العين ألمح  
 أي بل أنت الثالث أن منقطعة لفظا متصلة معني قال أبو البقاء أم هنا منقطعة في اللفظ لوقوع  
 الجملة بعدها في اللفظ وهي في المعنى متصلة معادلة إذ المعنى أنا خير منه أم لا وأنا خير قال ابن  
 عادل وهذه عبارة غريبة أن تكون منقطعة لفظا متصلة معني وذلك أنهما معنيان مختلفان  
 فان الانقطاع يقتضى اضرابا ما ابطلا وما اتقالاتم ان فرعون اللعين ظن ان القرب من الملوك  
 والغلبة على الامور لا تكون الا بكثرة الاضراب الدنيوية والتجلى بجلى الملوك ولذا قال (قلولا)

أى فهلا (أتى عليه) من عند مرسله الذى يدعى انه الملك بالحقيقة (أسورة) وقرأ حفص يسكون  
 السين ولا ألف بعدها كالأجرة والباقون يفتح السين وألف بعدها فأسورة جمع سوار كحمار  
 وأجرة وهو جمع قلة وأسورة جمع أسوار بمعنى سوار يقال سوار المرأة وأسوارها والاصل  
 أساور بالياء فعوض من حرف المد التانيث كنديق وزنادقة وبطريق وبطارقة (وقيل) بل  
 هي جمع أسورة فهي جمع الجمع قاله الزجاج والسوار ما يوضع في المعصم من الخلية (من ذهب)  
 ليكون ذلك امارته على صحة دعواه كما يفعل نحن عندنا معنا على أحد من عبيدنا بالارسال الى  
 ناحية من النواحي لهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم  
 سوره بسوار من ذهب وطوقه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل  
 عادتهم (أوجاهمه) أى صحبته عندما جاءه النبي الجسيم والملم العظيم (الملك) أى  
 أى هذا النوع وأشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله (مقترنين) أى يقارن بعضهم بعضا  
 بحيث يملون الغشاء ويكونون في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب الى هذا  
 الامر الذى جاء يطلبه كما فعل نحن اذا أرسلنا رسولا الى أمر يحتاج الى دفاع وخصام  
 ونزاع فكان حاصل أمره كما ترى انه تعزى باجراء المياه فأهلكه الله تعالى بها ايماء الى أن من تعزى  
 بشئ دون الله تعالى أهلكه الله به واستصغرو موسى عليه السلام وعابه بالفتور والمعنى فسلطه  
 الله تعالى عليه اشارة الى أنه ما استصغرا أحد شيئا الا غلبه أفاده القشيري (فاستخف) أى بسبب  
 هذه الخدع التى سحرهم بها فى هذا الكلام الذى هو فى الحقيقة محقر له موهن لامره قاصم  
 لملكه عند من له اب (قومه) الذين لهم قوة عظيمة فحملهم بغروره على ما كانوا مهينين له من  
 خفة الحلم (فأطاعوه) أى بأن أقروا بملكه واعترفوا برؤيته وردوا أمر موسى عليه السلام  
 (انهم كانوا) أى بما فى جلالهم من الشر (قوما فاسقين) أى غريقين فى الخروج عن  
 طاعة الله تعالى الى معصيته فلذلك أطاعوا ذلك القاسق (فلما آسفونا) أى أغضبونا  
 فى الافراط فى العناد والعصيان من اسف اذا اشتد غضبه حكواتق ابن جريج  
 غضب فى شئ فقبل له أن غضب بأيا خالد فقال قد غضب الذى خلق الاحلام ان الله تعالى  
 يقول فلما آسفونا أى أغضبونا (انقمنا منهم) أى أوقعتنا بهم على وجه المكافأة بما فعلوا  
 برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكرة مكروهة كانها بعلاج (فأغرقتناهم أجمعين)  
 أى اهلكناهم واحدة لم يفلت منهم أحد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم \* (تنبيه) \* ذكر  
 انظ الاسف فى حق الله تعالى وذكر انظ الانتقام كل واحد منهما من المشابهات التى يجب  
 تأويلها بمعنى الغضب فى حق الله تعالى ارادة العذاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب مجرم  
 سابق وقال بعض المفسرين معنى آسفونا حزننا وأوليانا (فجعلناهم) أى باخذناهم على  
 هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدمه (سلفنا) أى متقدما لكل من يهلك بعدهم  
 اهلاك غضب فى الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة أو قدوة لمن يريد العلو فى الارض  
 فتكون عاقبته فى الهلاك فى الدارين أو احداها معا عاقبتهم كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون

الى النار (ومثلاً) أى حديثاً عجيب الشأن سائر اسير المثل (للاخرين) أى الذين خلفوا بعدهم من زمنهم الى آخر الدهر فيكون حالهم عظة لنا من واضلالات الاخرين فمن أريد به الخبر وفق لمثل خير يرد عن غيره ومن أريد به الشر اقتدى به في الشر وقرأ حجة والكسائي بضم السين واللام والباقون بفتحهما فأما الأولى فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أنه جمع سليف كزغيف وزغف ومع القاسم بن معن من العرب سليف من النامس كالضريق منهم والثاني أنه جمع سالف كصابر وصبير والثالث أنها جمع سلف كاسد وأسد وأما الثانية فتحتمل وجهين أحدهما أن يكون جمعاً للسالف كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لاجمع تكسيراً ذليلاً في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني أنه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفاً أى تقدم والسلف كل شئ تقدمته من عمل صالح أو قرض وسلف الرجل أباًؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طيغلب سلفوا سلفاً فصد السبيل عليهم صروف المنيا والرجال تغلب واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين نزات في مجادلة عبد الله بن الزبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) أى من قريش (منه) أى من هذا المثل (يصدون) أى يرفع لهم ضجيجاً فرحاً بسبب ما رأوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بان أحد الخصمين اذا انقطع أظهر الخصم الثاني الفرح والضحج وقال قتادة يقولون ما يريد محمدنا الان نعبده وتتخذها الهام كما عبادت النصارى عيسى (وقالوا أآلهتنا) أى التي نعبدها من الاصنام (خير أم هو) قال قتادة يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد يعنون عيسى عليه السلام قالوا اؤهم محمد أن كل ما نعبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) أى المثل (لأن الاجدال) أى خصومة بالباطل لعلمهم أن لفظ ما لغير العاقل فلا يتناول من ذكره (بل هم قوم) أى أصحاب قوة على القيام فيما يحاولونه (خصمون) أى شديد الخصام روى الامام أحمد عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم يصدون بكسر الصاد والباقون بضمها وهما بمعنى واحد يقال صد بصد وصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرأ الهكوفيون آلهتنا يتحقق الهمزتين والباقون بتسهيل الثانية واتفقوا على ابدال الثانية ألفاً ثم انه تعالى بين أن عيسى عبد من عبده الذين أنعم عليهم بقوله تعالى (ان) أى ما (هو) أى عيسى عليه السلام (الاعبد) أى وليس هو باله (أنعمنا) أى بما لنا من العظمة (عليه) أى بالنبوة والاقدار على

قوله سلنوا النبي  
نزم ٥١

الخوارق (وجعلناه) أي بما خرقناه العادة في ميلاده وغير ذلك من آياته (مثلاً)  
 أي أمر أعجيباً كالمثل لغرابته من أنثى فقط بلا واسطة ذكر كما خلقنا آدم من غير ذكر  
 وأنثى وشرقناه بالنبوة (ابن إسرائيل) الذين هم أعرف الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم  
 بالنقل القريب المتواتر فيعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء حيث خلقه من غير أب  
 (ولونشاء) أي على ما لنا من العظمة (لجعلنا) ما هو أغرب مما صنعناه من أمر عيسى (منكم)  
 أي جعلنا مبتدأ منكم أما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه السلام من أنثى من غير ذكر وجعلنا آدم  
 عليه السلام من تراب من غير أنثى ولا ذكر وأما بالبديهة (ملائكة في الأرض يخلفون) أي  
 يخلفونكم في الأرض والمعنى أن حال عيسى عليه السلام وإن كانت بحسبة فآله تعالى قادر على  
 ما هو أعجب من ذلك وإن الملائكة مثلكم من حيث إنهم أذوات ممكنة يحتمل خلقها وتوليدها كما جاز  
 خلقها أيداعاً فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله تعالى (وأنه) أي عيسى  
 عليه السلام (أعلم للساعة) أي نزوله سبب للعالم بقرب الساعة التي هي تم الخلائق كلهم  
 بالموثقة فنزوله من أشراط الساعة يعلم به قريباً قال صلى الله عليه وسلم يوشك أن ينزل فيكم ابن  
 مريم حكماً عادلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمنه الملل كلها إلا  
 الإسلام وروى أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أنيق ويبيده حربة وعليه  
 مخصرتان وشعر رأسه دهن يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر  
 وروى في صلاة الصبح في آخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلقه على شريعة  
 محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل  
 النصارى الأمن آمن به وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمامكم  
 منكم وقال الحسن وجماعة وأنه أي القرآن أعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم أحوالها  
 وأهوالها (فلا تفترن بها) حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين من  
 المريبة وهي الشك أي لا تشككن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعوني) أي أوجدوا  
 تبعكم لي (هذا) أي كل ما أمرتكم به من هذا وغيره (صراط) أي طريق واضح (مستقيم)  
 أي لا عوج له وقرأ أبو عمرو وبأبيات الباء في الوصل دون الوقف والباقون بغيرياء وصلوا  
 ووقفوا (ولا يصدنكم الشيطان) أي عن هذا الطريق الواضح الواسع المستقيم الموصل إلى  
 المقصود بياسر سعي (أنه لكم) أي عامة وأكداً الخبر لأن أفعال التابعين له أفعال من  
 ينكر عداوته (عدومين) أي واضح العداوة في نفسه مناديهما وذلك بإبلاغه في عداوة  
 أيكم آدم عليه السلام حتى أنزلكم بانزاله عن محل الراحة إلى موضع نصب عداوة ناشئة عن  
 الحسد فهي لا تنفك أبداً (ولما جاء عيسى) أي إلى بني إسرائيل (بالبينات) أي المعجزات  
 أي بآيات الانجيل وبالشرائع الواضحات (قال) منبه لهم (قد جئتكم) بما يدل لكم  
 قطعاً على أني آية من عند الله وكلمة منه (بالحكمة) أي الأمر المحكم الذي لا يستطاع نقضه  
 ولا يدفع بالمعادنة لخالصكم بذلك مما وقعت فيه من الضلال (ولا بين لكم) أي بيانا واضحاً

(بعض الذي يختلفون) أي الآن (فيه) ولا تزالون تجددون الخلاف بسببه (فان قيل) لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه (أجيب) بأنه بين لهم كل ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانها ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بأمر دنياكم ويحتمل أن يكون المراد أنه يبين لهم بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا في رد بقية المتشابه الى المحكم بالقياس عليه فان الشأن في كل كتاب أن يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما ليس فيه التباس والمتشابه ما يكون ملتبسا وفيه ما يردّه الى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة التي لا يذوقها الا أهل البصائر ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذي رسخ علمه وايمانه انا يرد المتشابه منه الى المحكم أو يعجز فيقول الله أعلم برأيه ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ولا يتزلزل والكاذب يتبع المتشابه فيجربه على ظاهره كأهل الاحاد الجوامد المفتونين أو يؤوله بحسب هواه بما لا يتشى على قواعد العلم ولا يوافق المحكم فيفتتن \* ولما بين لهم الاصول والفروع قال (فانقوا الله) أي خافوا من له الملك الاعظم من الكفر والاعراض عن دينه لان له كل شيء منكم ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذي عقل أنه لا يتصرف في ملك الغير بوجه من الوجوه الا باذنه (وأطيعون) أي فيما أبلغه عنه اليكم من التكليف فطاعتي لامره بما يرضيه هو غرة التقوى وكلما زاد المتقى في أعمال الطاعة زادت تقواه (ان الله) أي الذي اختص بالجلال والجمال فكان أهلا لان يتقى (هو) أي وحده (ربي وربكم) أي المحسن الى واليكم (فاعبدوه) أي بما أمركم به لانه صدقني في أمركم باتباعي بما أظهره على يدي فصار هو الامر لكم لا أنا (هذا) أي الامر العظيم الذي دعوتكم اليه (صراط) أي طريق واسع جدا واضح (مستقيم) لا عوج فيه \* ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوافق عند سلوكه بين تعالى أنهم اختلفوا فيه بقوله تعالى (فاختلف الاحزاب) أي الفرق المتحزبة (من بينهم) أي اختلافا ناشئا ابتداء من بني اسرائيل في عيسى أهوا لله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة وقوله تعالى (فويل) كلمة عذاب (للذين ظلموا) أي وضعوا الشيء في غير موضعه بما قالوه في عيسى عليه السلام (من عذاب يوم أليم) أي مؤلم واذا كان اليوم مؤلما فالظن بعذابه (هل ينظرون) أي هل ينظرون كفار مكة أو الذين ظلموا (الا الساعة) أي ساعة الموت العام والبعث والقيامة فان ذلك لتحقيق أمره كأنه موجود منظور اليه وقوله تعالى (أن تأتيهم) بدل من الساعة (فان قيل) قوله تعالى (بغتة) أي فجأة وينيد قوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي بوقت مجيئها قبله (أجيب) بأنه يجوز أن تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب أنهم يشاهدونه (الاخلاء) أي الاحباء في الدنيا على المعصية وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم القيامة متعلق بقوله تعالى (بعضهم لبعض عدو) أي يتعادون في ذلك اليوم لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتحاوون له سببا للعذاب (الالمقين) أي المتحابين في الله على طاعة الله تعالى وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة روى أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي اسحق ان عليا قال في الآية خليلان مؤمنان و خليلان كافران فان أحد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا

كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولاك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملائكتك  
 يا رب فلا تضله بعدى واهدك كما هديتني وأكرمك كما أكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما  
 فيقول لبيئين أحدكم على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويعوت أحد  
 الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولاك ويأمرني بالشر  
 وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملائكتك فيبئس الاخ ويبئس الخليل ويبئس الصاحب ثم بين  
 تعالى ما يلقى به المؤمن الذي قد تواتر آدوافه سبحانه تشرىفهم وتسكيننا لما يقتضيه ذلك المقام من  
 الاحوال بقوله تعالى (يا عباد) فأضاقهم الى نفسه اضافة تشرىف لان عادة القرآن جارية  
 بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين وفيه أنواع كثيرة توجب المدح أولها ان الحق  
 سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وهذا تشرىف عظيم بدليل أنه تعالى لما أراد تشرىف  
 نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده وثانيها قوله تعالى (لا خوف)  
 أي بوجه من الوجوه (عليكم اليوم) أي في يوم الآخرة مما يحويه من الاحوال والامور الشداد  
 والزلال وثالثها قوله تعالى (ولا أنتم تحزنون) أي لا يتجدد لكم حزن على شئ فات في وقت من  
 الاوقات الآتية لانكم لا يفوتكم شئ تسرون به وقرأ شعبة بفتح الباء في الوصل وسكنها نافع  
 وأبو عمرو وابن عامر وحذفها الباقون وقفا وصلوا وقوله تعالى (الذين آمنوا) أي أوجدوا  
 هذه الحقيقة يجوز أن يكون نعتا لعبادى أو بدلامنه أو عطف بيان له أو مقطوعا منصوبا بفعل  
 أي أعنى الذين آمنوا أو مرفوعا وخبره مضمرة تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة قال مقاتل اذا  
 وقع الخوف يوم القيامة نادى مناديا عبادى لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق  
 رؤسهم فيقول الذين آمنوا (يا أياتنا) الظاهرة عظمتها في نفسها أولا وينسبها اليها ثانيا  
 (وكانوا) أي داعيا مهابولهم كالجبل والخلوة (مسلمين) أي منقادين للادامر والنواهي أتم انقياد  
 فبذلك يعدلون الى حقيقة التقوى فينكسر أهل الاديان الباطلة رؤسهم فيترحسبهم على  
 أحسن الوجوه ثم يقال لهم (ادخلوا الجنة) ولما كان السرور لا يكمل الا بالرفيق السار  
 قال تعالى (أنتم وأزواجكم) أي نساؤكم اللاتي سكنن مشاكلات لكم في الصفات وأما  
 قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله تعالى وكانوا مسلمين (تسرون) أي تسرون وتنعمون  
 والحبرة المبالغة في الاكرام على أحسن الوجوه وقوله تعالى (يطاف) قبله محذوف أي يدخلون  
 يطاف (عليهم) أي المتقين الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا (بصاف من ذهب) فيها من ألوان  
 الاطعمة والقبوا كدوا الحلوى ما لا يدخل تحت الوهم والصحاف جمع صحفة بكفنة وجفان قال  
 الجوهري الصحفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها  
 تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المشكاة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحفة تشبع  
 الرجل والصحفة الكتاب والجمع صحف وصحائف \* ولما كانت آله الشرب في الدنيا أقل من  
 آية الاكل جرى على ذلك المهود فجمع القلة في قوله تعالى (وأكواب) جمع كواب وهو  
 كوز مستدير مدور الرأس لاعر وقله ايذا نابأه لاجابة أصلا الى تعليق شئ لتبريد أو صيانة



عن اذى أو نحو ذلك وقيل هو كالابريق الا أنه لا عروته وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروته ولا خرطوم معاقال الجوالىي ليمكن الشارب من أين شاء فان العروته تنم عن ذلك وقال عدى

مشكاً تصفق أبوابه \* يطوف عليه العبد بالكوب

ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بياناً كلياً فقال (رفيها) أى الجنة (ما تشتهى الانفس) من الاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما صنعوا انفسهم من الشهوات فى الدنيا (وتلذا العين) أى من الاشياء المبصرة التى أعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحمواوه من مشاق الاشتياق روى أن رجلاً قال يا رسول الله فى الجنة خيل فانى أحب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تترك فرساً من يا قوته جزاء فتطير بك فى أى الجنة شئت الافعلت فقال أعرابى يا رسول الله فى الجنة ابل فانى أحب ابل فقال يا أعرابى ان أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتيت نفسك ولذت عينك وقرأ نافع وابن عامر وحفص بن جهم بعد الباء يابسات العائد على الموصول كقوله تعالى الذى يتخبطه الشيطان من المس والباقون بغيرها بعد الباء كقوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا وهذه القراءة مشبهة بقوله تعالى وما علمته أيديهم وهذه الآية فى هذه السورة رسمت فى مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله الفاسى شارح التصديده وهم فسبق قلبه فكتب الهاء منه محذوفة فى مصاحف المدينة والشام مشبوهة فى غيرها ففكس \* ولما كان ذلك لا يكتمل الا بالدوام قال تعالى عائد الى الخطاب لانه أشرف وأكد (وأنتم فيها خالدون) لبقائهم وبقاء كل ما فيها فلا كافة عليهم أصلا من خوف من زوال ولا خوف من فوات \* ثم أشار الى نجاتهم بآداة البعد فقال تعالى (وتلك الجنة) أى العلية المقام (التي أوردتموها) شبه جزاء العمل بالميراث لانه يحافظه عليه العامل وقرأ أبو عمرو وهشام وحزرة والكسائى بادغام التاء المثلثة فى المناء وأظهرها الباقر (بما) أى بسبب ما (كنتم تعملون) أى مواطنين على ذلك لانتمون لان العمل كان لهم كالجلبه التى جلبوا عليها فالمنة لهم فى الحقيقة بجاز كى لهم أنفسهم \* ولما ذكر سبحانه الطعام والشراب ذكر الفا كهة فقال (لكم فيها فا كهة) أى ما يؤكل تفكها وان كان لها وخبرها (كثيرة) ودل على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التفكك لكل شىء فيها بقوله تعالى (منها) أى لا من غيرها مما يلحظ فيه القوت (تأكلون) فلا تنفذ أبدا ولا تتأثرا بكل الآكلين لانها على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شىء الا خلقت مكانه مثله فى الحال ورد فى الحديث أنه لا ينزع رجل ثمرة الانبت مكانها مثلاًها \* (تنبيهه) \* لما بعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام الى العرب وكانت فى ضيق شديد بسبب الماء كقول والمشر وبوالفا كهة ذكر الله تعالى هذه المعانى مرة بعد أخرى تكمى الارغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن فى قوله تعالى منها أى كلون تبعية أو ابتداءية وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد أرفه بالوعد على الترتيب المستقر فى القرآن فقال تعالى (ان الجرمين) أى الرامحين فى قطع ما أمر الله به أن يوصل (فى عذاب جهنم)

قوله لانه يحفظه الخ كآية العبد الجليل أى يذهب العمل ويرقى جزاءه مع العامل اه كخى اه

أي النار التي من شأنها لقاء داخلها بالتجهم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطعه  
 لأولياء الله تعالى (خالدون) لان اجترأهم كان طبعاً لهم لا ينفكون عنه أصلاً ما بقوا  
 (لا يفتقر عنهم) أي لا يتصدواضعافه بنوع من الضعف فتفي التفتقر نفي للفتور ومن غير عكس قال  
 البيضاوي وهو من فترت عنه الحي اذا سكنت قليلاً والتركيب للضعف (وهم فيه) أي العذاب  
 (مبلسون) أي ساكتون سكوت يأس من النجاة والفرج وعن الضحالك يجعل المجرم في تابوت  
 من نار ثم يثقل عليه فيبقى خالد الأيرى ولا يرى (وما ظلمناهم) نوعاً من الظلم (ولكن كانوا)  
 جبلة وطبعاً وعملاً وصنعاً (هم الظالمين) لانهم بارزوا المنعم عليهم بالعظام ونووا أنهم  
 لا ينفكون عن ذلك ما بقوا والأعمال بالنيات \* ولما كان مفهوم الأبلاس السكوت بين تعالى  
 انهم ليسوا ساكتين دائماً بقوله تعالى (ونادوا) ثم بين أن المنادي خازن النار بقوله تعالى  
 مؤكداً البعد بأدائه (يا مالك لي قبض علينا) أي سئل سؤالا حتماً أن يقضى القضاء الذي  
 لا قضاء مثله وهو الموت على كل واحد منا وجر واعي عادتهم في الغباوة والخلافة فقالوا (ربك)  
 أي المحسن اليك فلم يروا الله تعالى عليهم احساناً وهم في تلك الحالة ولا شك ان احسانه ما انقطع  
 عن وجود أصلاً وأقل ذلك انه لا يعذب أحداً منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار درجات  
 كما جعل الجنة درجات فأجاب مالك عليه السلام بان (قال) مؤكداً قطعاً لا طماعاً لهم لان  
 كلامهم هذا هو بحيث يفهم الرجاء واعلاماً بأن رحمة الله التي موضع الرجاء خاصة بغيرهم (أنكم  
 ما كنون) أي دائماً أبدأ بالاخلاص لكم بموت ولا غيره وليس في القرآن متى أجابهم هل أجابهم  
 في الحال أو بعد مدة لكن روى ابن عباس ان أهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون  
 لي قبض علينا ربك أي ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة انكم ما كنون أي مقيمون  
 في العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد أربعين وعن غيره مائة سنة واختلفوا  
 في ان قولهم يا مالك لي قبض علينا ربك على أي وجه طلبوه فقال بعضهم على التني وقال آخرون  
 على وجه الاستغاثة والافهم عالمون بأنه لا خلاص لهم من ذلك العذاب ثم انه تعالى ذكر ما هو  
 كالعلة لذلك الجواب بقوله تعالى (لقد جئناكم) أي في هذه السورة خصوصاً وفي جميع القرآن  
 عموماً (بالحق) على لسان الرسل وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند  
 الجيم والباقون بالادغام (ولكن أكثركم للحق كارهون) لما فيه من المنع من الشهوات فلذلك  
 أنتم تقولون انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لاجل ان في حقيقته نوعاً من الخفاء (فان قيل)  
 كيف قال ونادوا يا مالك بعد ان وصفهم بالأبلاس (أجيب) بأنها أزمدة متطاولة وأحقاب ممتدة  
 فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتاً الغلبة اليأس عليهم ويستغيثون أوقاتاً الشدة ما بهم روى  
 أنه يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون  
 يا مالك لي قبض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكربهم وفساد  
 باطنهم في الدنيا فقال تعالى (أم أبرموا) أي أحكم كفار مكة (أمرأ) أي في المكرب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وفي رد أمرنا ومعاداة أوليائنا مع علمهم بانماطلعون عليهم (فانما مبرمون)

أى محكمون أمر في مجازاتهم أى مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون  
 كيدا فإذ الذين كفروا هم المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم المكر في دار الندوة \* (تنبية) \*  
 أم منقطعة والابرام الاتقان وأصله في القتل يقال أبرم الجبل أى أتقن فتله وهو القتل الثانى  
 والاول يقال له سهيل قال زهير

لعمري انتم السيدان وجدتما \* على كل حال من سهيل ومبرم

(أم يحسبون أنا) أى على ما لنا من العظمة المقتضية لجميع صفات الكمال (لأنهم سرهم) أى  
 كلامهم الخفى ولو كان في الضمائر فيما يغضبنا والسر ما حدث به الشخص نفسه أو غيره  
 في مكان خال ولما كان رجا وقع في الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لان السر ما يخفى وهو  
 يعلم ما في الضمائر وهى مما يعلم حقيق أن المراد به حقيقته بقوله تعالى (ونجوهم) أى تنجيتهم  
 في كلامهم المرتفع فيما بينهم حتى كأنه على نجوة أى مكان عال فعلم أن المراد حقيقة السمع وأنه  
 تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع (بلى) نسمع الصنفين كليهما على حد سواء (ورسلنا) وهم الحفظة  
 من الملائكة على الجميع السلام على ما لهم من العظمة بنسبتهم اليها (لديهم) أى عندهم وقرأ حجة  
 بضم الهاء والباقون بكسرهما (يكتبون) أى يجتدون الكتابة كل ما تجتد ما يقتضيهالات الكتابة  
 أوقع في التهديد لان من علم ان أعماله محصاة مكتوبة يجتنب ما يخاف عاقبته وعن يحيى بن معاذ  
 الرازى من ستر عن الناس ذنوبه وأبداها للذى لا يخفى عليه شئ في السموات فقد جعله أهون  
 الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ولما تقدم أول السورة بتكيتهم والتعجب منهم  
 في ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله تعالى ستكتب شهادتهم ويستمعون  
 أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم (قل) أى لهؤلاء البعداء  
 البغضاء (ان كان للرجن) أى العام الرحمة (ولد) أى على زعمكم والمراد به الجنس لادعائهم  
 في الملائكة وغيرهم (فأنا) أى في الرتبة وقرأ نافع عد الالف بعد النون والباقون بغير  
 مد (أول العابدين) للرجن العبادة التى هى العبادة ولا يستحق غيرها أن يسمى عبادة وهى  
 الخالصه أى فأنا لأعبد غيره لا ولدا ولا غيره ولم يشألى الرجى أن أعبد الولد ولا غيره أو يكون  
 المعنى أنا أول العابدين للرجن على وجه الاخلاص لم أشرك به شيأ أصلا فى وقت من الاوقات  
 بما سميتوه ولدا أو شريكا أو غيره ما لو شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند  
 غيركم ان من أخلص لاحد كان أولى من غيره برحته فلو أن الاخلاص له ممنوع ما شاءه لى ولو لا أن  
 عبادة غيره ممنوعة لشاءه لى ولو أن له ولدا لشاءه لى عبادة فان عموم رحته لكافة خلقه لكونهم  
 خلقه وخصوصها لى لكونى عبده فالصانع على زعمكم من أن يشقى وأنا أخلص له فبطلت  
 شبهتكم عنها بل بأقوى منها وهذا مما علق بشئ هو بنقيضه أولى وقال الزجاج شرى ان كان  
 للرجن ولد وضح ذلك وبت برهان صحيح تورده ووجه واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم  
 ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولدا الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام  
 وارد على سبيل القرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى تقي الولد والاطناب فيه وأن لا يترك

الناسق به شبهة الامضحة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق  
العبادة بكنيونة الولد وهي محال في نفسه فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة اثبات  
الكنيونة والعبادة وفي معنى تقيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ثم قال وقد عمل الناس بما أخرجوه  
من هذا الاسلوب الشريف الملى بالثبوت والقوائد المستقل بثبات التوحيد على أبلغ وجوهه  
فقبل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد  
اليه وقبل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآتقين من أن يكون له ولد من عبدي عبداً إذا  
اشتد أنفه فهو عبد وعباده وقال ابن عباس ان ان نافية أى ما كان له ولد فاني أول من عبده رتبة  
وما علمت له ولدا ولو كان له ولدا له لعبدته تقرباً اليه بعبادة ولده وروى أن النضر بن عبد الدار  
ابن قصي قال ان الملائكة بنات الله تعالى فنزلت فقال النضر الأتررون انه قد صدقني فقال  
له الوليد بن المغيرة ما صدقتك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الموحدين من  
أهل مكة أن لا ولده ثم أنه تعالى نزه نفسه فقال (سبحان رب) أى مبدع ومالك (السموات  
والارض) أى اللتين كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مرئوب محتاج لا يضح أن يكون له منه  
سبحانه نسبة بغير العبودية بالايحاد والتربية \* ولما كانت خاصة الملك أن يكون له ما لا يصل اليه  
غيره بوجه أصلاً قال محقق الملك لجميع ما سواه ومن سواه ومملكه له ولم يعد العطف لان العرش  
من السموات (رب العرش) أى المختص به لكونه خاصة الملك الذي وسع كرسيه السموات  
والارض (عما يصفون) أى يقولون من الكذب من أن له ولداً أو شريكاً وذلك ان الله العالم  
يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه  
والولد عبارة عن أن يتفصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل  
فمن تكون ذاته قابله للتجزى والتبعيض واذا كان ذلك محالاً في حق الله العالم امتنع اثبات الولد  
\* ولما ذكر تعالى هذا البرهان القاطع قال تعالى مسيياً عن ذلك (فذرهم) أى اتركهم  
على أسوأ أحوالهم (يخوضوا) أى يفعلوا في باطلهم فعل الخائض في الماء (ويلعبوا) أى  
ينعلوا فعل اللعب في دنياهم (حتى يلاقوا) أى يفعلوا بتصرم أعمارهم في فعل ما لا يتفهم  
فعل المجتهدين في أن يلقوا (يومهم الذي يوعدون) أى بوعد لا خلف فيه وهو يوم القيامة فيظهر  
فيه وعيدهم والمقصود منه التهديد لانه تعالى ذكر الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا  
اليه الا لجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى  
يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به ثم زاد في التنزيه فقال تعالى (وهو الذي في السماء الله) أى  
معبود لا شريك له (وفي الارض الله) تتوجه الرغبات اليه في جميع الاحوال وتخلص اليه  
في جميع أوقات الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من في السماء والارض على الهيته  
فثبت استحقاقه لهذه الرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد فبقي الاوقات كذلك من  
غير فرق لانه لا مشارك له في هذا الاستحقاق فعبادة غيره باطلة وقرأ عالون واليزي يتسهلها مع  
المد والقصر وقرأ أبو عمر وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ أورش وقبيل يتسهل

الثانية وابدالها أيضاً ألفاً وقرأ الباقون بتحقيقهما \* (تبيينه) \* كل من الطرفين متعلق بما بعده  
لأن الـهـمـعـنى معبود أى معبود فى السماء ومعبود فى الارض وحينئذ يقال الصلة لا تكون الاجلة  
أو ما فى تقديرها وهو الظرف وعـدـيـه ولا شئ منـهـما هنا أجيب بأن المبتدأ حذف لدلالة المعنى  
عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو الذى هو فى السماء وهو هو فى الارض وهو انما حذف  
لطول الصلة بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما أنابا لى قائل لك سوا (وهو الحكيم) أى  
البليغ الحكمة فى تدبير خلقه (العلم) أى البالغ فى علمه بصالحهم (وتبارك) أى وثبت ثباتا  
لا يشبه ثبات لانه لازوال له مع اليمين والبركة وكل كمال فلاشبهه له حتى يدعى أنه ولده أو شريك  
ثم وصفه تعالى بما بين تبارك كتيته واختصاصه بالالوهية فقال عز من قائل (الذى له ملك  
السموات) أى كلها (والارض) كذلك (وما بينهما) أى وما بين كل اثنين منهما والدليل على  
هذا الاجماع القائم على توحيده عند الاضطرار (وعنده) أى وحده (علم الساعة) أى  
العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه) أى وحده لا الى غيره (ترجعون) بأيسر أمر  
تحقيقا للملك وقطعا للنزاع فى وحدانيته وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائى بالياء التحتية على  
الغيبة والباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد (ولا يملك) أى بوجه من الوجوه فى وقت ما  
(الذين يدعون) أى يعبدون أى الكفار (من دونه) أى الله تعالى (الشفاعة) كما زعموا أنهم  
شفعوا وهم عند الله وقوله تعالى (الامن شهد بالحق) أى قال لا اله الا الله فيه قولان أحدهما أنه  
متصل ان أريد بالوصول كل ما عبد من دون الله والمعنى لا يقدر هؤلاء أن يشفعوا الا عند  
الامن شهد بالحق (وهم يعلمون) أى بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وهم عيسى ومريم وعزير  
والملائكة فانهم يملكون ان يشفعوا للمؤمنين بقلبك الله تعالى اياهم لها والثانى هو منقطع  
ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم) أى الكفار مع ادعائهم الشريك (من خلقهم) أى العابدون  
والمعبودين معا (ليقولن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال لتعذر المكابرة من فرط  
ظهوره (فأنى) أى فكيف وأى جهة بعد أن أثبتوا له الخلق والامر (يؤفكون) أى  
يصرفون عن اتباع رسولنا الامر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما أننا وحدنا فى الخلق وقرأ  
(وقيله) أى قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وحجزة بخفض اللام والهاء على معنى وعنده  
علم الساعة وعلم قبله والباقون بنصب اللام ورفع الهاء على المصدر بفعله المقدر أى وقال  
(يارب ان هؤلاء قوم) أى أقوياء على الباطل ولم يرضهم الى نفسه بأن يقول قولى ونحو ذلك  
من العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما شأنه من حالهم (لا يؤمنون) أى لا يتجدد منهم هذا  
الفعل أصلا (فاصفح) أى اعف عفو من أعرض (عنهم) صفعا فلا تلتفت اليهم بغير التبليغ  
(وقل) أى لهم (سلام) أى شأى الآن متاركتمكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم قال ابن  
عباس وهذا منسوخ بآية السيف وقال الرازى وعندى التزام النسخ فى مثل هذه المواضع  
مشكل لأن الامر لا يقيد بالفعل الامرّة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فأى حاجة الى التزام  
النسخ وأيضا فاللفظ المطلق قد يقيد بحسب العرف فاذا كان كذلك فلا حاجة الى التزام النسخ

اه وجرى على النسخ الجلال المحلى فقال وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم وقوله تعالى (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر بياء الخطاب التثنية والباقون بياء الغيبة نظر الماتق قدم ومأقاله البيضاوى تبعاً للزمخشري من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبأدى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حديث موضوع

### ❖ (سورة الدخان مكية) ❖

وقيل الاقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الاية وهى ست أو سبع أو تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا

(بسم الله) الملك الجبار الواحد القهار (الرحمن) الذى عم بنعمته سما تر مخلوقاته (الرحيم) بأهل وداده وقوله تعالى (حم) قرأه ابن ذكوان وشعبة وحزرة والكسائى بأماله الحاء محضة وقرأه ورش وأبو عمرو وبالأماله بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الاشارة الى شئ من أسرار أخواتها وقوله تعالى (والكتاب المبين) فيه احتمالان الاول أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كتولك هذا زيد والله الثانى أن يكون التقدير حم والكتاب المبين (أنا أنزلناه) فيه كون فى ذلك تقدير قسامين على شئ واحد ويجوز أن يكون أنا أنزلناه جواب القسم وأن يكون اعتراضا والجواب قوله تعالى انا كاشفون واختاره ابن عطية وقيل انا كاشفون فيها يفرق ويجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون صفة ليله وما بينهما اعتراض \* (تنبيه) \* يجوز أن يكون المراد بالكتاب هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب ويجوز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ قال الله تعالى يعجز الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال تعالى وانه فى أم الكتاب لديننا العلى حكيم ويجوز أن يكون المراد به القرآن واقتصر على ذلك البيضاوى وتبعه الجلال المحلى وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن فى ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم الرجل له اليه حاجة أتشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك وجاء فى الحديث أعوذ بربضك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك والمبين هو المشتمل على بيان ما بالناس من حاجة اليه فى دينهم وديناهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا يشركون فوصفه بالتكلم اذ كان غاية فى الابانة فكأنه ذواسان ينطق مبالغته فى وصفه واختلف فى قوله سبحانه وتعالى (فى ليلة مباركة) فقال قتادة وابن زيدوا كثر المفسرين هى ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انه ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر فقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة يجب أن تكون هى تلك الليلة

المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض ثانياً قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن  
فقوله تعالى ههنا أنا أنزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان  
ثبت أنها ليلة القدر ثانياً قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم  
من كل أمر وقال تعالى ههنا فيها يفرق كل أمر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال تعالى  
في ليلة القدر سلام هي وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى  
رابعها نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من  
رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والقرآن لاربع  
وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر خامسها أن ليلة القدر انما سميت  
بهذا الاسم لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم أن قدرها وشرفها ليس بسبب تنفس  
الزمان لأن الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته فثبت  
أن شرفه وقدره بسبب أنه حصل فيه أمور شريفة لها قدر عظيم ومن المعلوم أن منصب الدين  
أعظم من مناصب الدنيا وأعظم الأشياء وأشرفها شعبا في الدين هو القرآن لأنه ثبت به نبوة محمد  
صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته ومهيمنا عليه وبه  
ظهرت درجات أرباب السعادات ودركات أرباب الشقاوات فعلى هذا لا شيء إلا والقرآن أعظم  
قدراً وأعلى ذكراً وأعظم منصباً وحيث أطبقوا على أن ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان  
علمنا أن القرآن انما أنزل في تلك الليلة وهذه أدلة ظاهرة واضحة واحتج الآخرون على أنها ليلة  
النصف من شعبان بوجوه أولها أن لها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصدق  
وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصدقات  
البسطة وإذا استوفى الخراج من أهل كتب لهم البراءة وكذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين  
البراءة في هذه الليلة ثانياً انما مختصة بخمس خصال الأولى قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم  
والثانية فضيلة العبادة فيها روى الزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم لم قال من صلى في هذه الليلة  
مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يمشرونه بالجنة وثلاثون يؤتمنونه من عذاب  
النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان ثالثها نزول  
الرحمة قال صلى الله عليه وسلم إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب رابعها  
حصول المغفرة فيها قال صلى الله عليه وسلم إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاعن  
والساحر ومدمن الخمر وعاق والده والمصر على الزنا خامسها أنه تعالى أعطى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشناعة في أمتة قال الزمخشري وذلك أنه سأل ليلة  
الثالث عشر من شعبان في أمتة فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل  
ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شرود البعير اه وروى أن عطية  
الخروري سأل ابن عباس عن قوله تعالى أنا أنزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى  
أنزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الأسود لو هلكت أنا ووقع في نفسك هذا ولم

تخرجوا به لهلك نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السماء  
الدينام نزل بعد ذلك في أنواع الوقائع حالا فخالا وقال قتادة وابن زيد أنزل الله تعالى القرآن  
في ليلة القدر من أم الكتاب الى السماء الدينام نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله  
عليه وسلم نجوما في عشرين سنة وقوله تعالى (انا) أى على ما لنا من العظمة (كنا) أى  
دائما لعمادنا (منذرين) أى مخوفين استئناف بين به المقضى للانزال وكذلك قوله تعالى  
(فيها) أى الليلة المباركة سواء قلنا انها ليلة القدر أو ليلة النصف (يسرق) أى ينشروا بين  
ويصل ويوضح مرة بعد مرة (كل أمر حكيم) أى محكم الامر لا يستطيع أن يطعن فيه  
بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والآجال والنصر والهزيمة  
والخصب والقحط وغيرها من جميع أقسام الحوادث وحزباتها في أوقاتها وأما كنها وبين  
ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيماننا  
قال ابن عباس يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر  
والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد  
وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل عمل وأجل وخلق ورزق وما يكون في تلك  
السنة وقال عكرمة ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات  
فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحد قال صلى الله عليه وسلم تنقطع الآجال من شعبان الى شعبان  
حتى ان الرجل لينسكح النساء ويولده وقد خرج اسمه في ديوان الموتى وعن ابن عباس ان الله  
تعالى يقضى الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر وروى أن  
الله تعالى أنزل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة  
الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف  
ونسخة الاعمال قال ابن عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسمعيل صاحب سماء  
الدينام وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطى كل  
عامل بركات أعماله فيلحق على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقوله تعالى (أمرا)  
أى فرقا حال من فاعل أنزلناه أو من مفعوله أى أنزلناه أمرين أو أمورا به كأننا (من عندنا)  
على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى (انا كنا) أى أزلا وأبدا (مرسلين) جواب ثالث  
أو مستأنف أو بدل من قوله تعالى انا كنا منذرين أى لنا صفة الارسال بالقدرة عليها في كل حين  
والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان بالبشارة والندارة وغيرهما حتى لا يكون بأس فلا  
يكون لاحد على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المنتظم والقول الملتئم بعضه ببعض  
المتراصف أجل رصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم ينزل صحيفة ولا كتابا الا في هذه الليلة  
فيعدل على أنها ليلة القدر للاحاديث الواردة في أن الكتب كلها نزلت فيها وكذلك قوله تعالى  
في سورة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر فان الوحي الذي هو مجمع ذلك  
هو روح الامر الحكيم ثم بين تعالى حال الرسالات بقوله تعالى (رحمة) وعدل لاجل



ما اقتضاه التعبير بالرجة عما كان من أسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله تعالى  
 (من ربك) أي المحسن اليك برسالك وارسال كل نبي مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت اب  
 الانوار في العبادات وتهيئ الشرائع في البلاد حتى استنارت القلوب واطمأنت النفوس  
 بما صارت تعهد من شرع الشرائع وتوطئة الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك  
 حتى ملأت أنوارك الآفاق فصكمت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق وقال ابن عباس  
 معنى رجة من ربك أي رافة مني بخلق ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج  
 أنزلناه في ليلة مباركة للرجة (انه هو) أي وحده (السميع العليم) أي ان تلك الرجة كانت  
 رجة في الحقيقة لان المحتاجين اما أن يذكر واحاطاتهم بالسنتهم أولم يذكروها فان ذكرها  
 فانه سميع وان لم يذكرها فهو تعالى عالم بها (رب) أي مالك ومفتي ومدبر (السموات)  
 أي جميع الاجرام العالية (والارض وما بينهما) مما تشاهدون من هذا الفضاء وما فيه  
 من الهواء وغيره مما تعلمون من كساب العباد وغيرها مما لا تعلمون ومن المعلوم انه ذو  
 العرش والكرسي فعلمهم هذا انه مالك الملك كله وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بخفض الباء  
 الموحدة على البدل أو البيان أو النعت والباقون برفعها على انما مبتدا أو على انه مبتدا  
 خبره لا اله الا هو والمقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفاً بهذه الجلالة والكبرياء  
 كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف والرفعة (فان قيل) ما معنى الشرط الذي هو قوله  
 تعالى (ان كنتم موقنين) (أجيب) بأنهم كانوا يقررون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقبل  
 لهم ان كنتم يا أهل مكة موقنين بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمد عبده  
 ورسوله \* ولما ثبت بهذا النظر الصافي ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول الزمان  
 وحدانيته أتبع ذلك قوله تعالى (لا اله الا هو) أي والالتازع في أمرهما منازع أو أمكن أن  
 ينزع فيكون محتاجا لا محالة والادفع عنه من يمكن نزاعه له وخلافه اياه فلا يكون صالحا للتدبير  
 والقهر لكل من يخالف رسله والانجاء لكل من يوافقهم على ممر الزمان وتناول الدهر ومتر  
 الحدثان على نظام مستمر وحال ثابت مستقر ولما ثبت انه لا مدبر للوجود غيره ثبت قوله تعالى  
 (يحيي ويميت) لان ذلك من أجل ما فيهما من التدبير وهو تنبيه على تمام دلائل التوحيد  
 لانه لا شيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير اليه ويحال شيء من الامر عليه فهم ما جلتان  
 الاولى نافية لما أتتوه من الشرك والثانية مثبتة لما أتتوه من البعث (ربكم) أي الذي أفاض  
 عليكم ما تشاهدونه من النعم في الارواح وغيرها (ورب آبائكم الاولين) أي الذي أفاض  
 عليهم ما أفاض عليكم ثم سلهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر احد منهم على معانعة ولا طمع في منازعة  
 بنوع مدافعة (بل هم) أي بضمايرهم (في شك) أي من البعث (يلعبون) أي يفتعلون  
 دائما فعل التارك لما هو فيه من أخذ الجد الذي لا امرية فيه الى اللعب الذي لا فائدة فيه ولا غرة له  
 بوجه استهزاء بك يا أشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف  
 قال تعالى (فارتقب) أي انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لحوالهم نظرا من هو حارس

لها (يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي ظاهر (يعشى الناس) أي المهتدين بهذا فقالوا عند آياته  
 (هذا عذاب أليم) أي يخلص وجهه إلى القلب فيباغ في ألمه كما كنتم تؤلمون من يدعوكم إلى الله  
 تعالى واختلف في هذا الدخان فروى أبو الصفاء عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة  
 قال يحيى دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام  
 ففرز عناقينا ابن مسعود وكان متكئا فغضب فحس فقال من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم  
 فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما سألكم  
 عليه من أجر وما أنا من المتكلمين فإن قريشا بطوا عن الإسلام فدعاهم النبي صلى الله عليه  
 وسلم فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة  
 والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت  
 تأمر بصله الرحم وإن قومك قد هلكوا فدعا الله تعالى لهم فقرا فأارتقب يوم تأتي السماء بدخان  
 مبين إلى قوله تعالى عائدون وهذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختيار الفراء والزجاج  
 وهو قول ابن مسعود وكان ينكر أن يكون الدخان الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة في  
 أبصارهم حتى كانوا كأنهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين  
 الأول أن في سنة القحط يعظم بيس الأرض فيسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم  
 الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة الجديدة  
 الغبراء الثاني أن العرب يسمون الشئ الغالب بالدخان والسبب فيه أن الإنسان إذا اشتد خوفه  
 أضعفه أظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان ونقل عن علي بن أبي طالب أنه دخان  
 يظهر في العالم وهو إحدى علامات القيامة ويروى أيضا عن ابن عباس في المشهور عنه لما روى  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول الآيات الدخان ونزل عيسى بن مريم ونار تخرج من  
 قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبت معهم إذا باتوا وتقبل معهم إذا قالوا قال حذيفة يا رسول  
 الله وما الدخان قتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال علاء ما بين المشرق والمغرب يمكث  
 أربعين يوما وليله أما المؤمن فيصيبه كالزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من مخزبه  
 وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أو قد فيه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا كروا  
 بالأعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة رواء الحسن واحتج الأقولون  
 بأنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون (ربنا اكشف عنا العذاب) ثم عللوا ذلك بما عللوا أنه  
 الموجب للكشف فقالوا مؤكدين (أنا مؤمنون) أي غريقون في وصف الإيمان فإذا حل  
 على القحط الذي وقع بمكة استقام فإنه نقل أن الأمر لما اشتد على أهل مكة مشى إليه أبو سفيان  
 فنشده الله والرحم وواعداه أن دعاهم وأزال عنهم تلك البلية أن يؤمنوا به فلما أزالها الله عنهم  
 رجعوا إلى شركهم أما إذا حل على أن المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك  
 لأن عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب أنا مؤمنون  
 ولم يصح أيضا أن يقال أنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون قال البقاعي ويصح أن يراد به

طلوع الشمس من مغربها روى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم  
 الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين  
 لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية (إني) أي كيف ومن أين (لهم الذكرى) أي هذا التذكار العظيم  
 الذي وصفوا به أنفسهم وقرأوا جزءه والكسائي أني بالامالة محضة وقرأ أبو عمرو وبالامالة بين  
 بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وأمال الذكرى محضة أبو عمرو وجزءه والكسائي  
 وأمال وورش بين بين والباقون بالفتح وكذلك الكبرى (وقد) أي والحال أنه قد (جاءهم) ما هو أعظم من ذلك وأدخل في وجوب الطاعة (رسول مبین) أي ظاهر غاية الظهور وموضح  
غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأظهر دال قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم  
وأدغمها الباقون (ثم تلو اعنه) أي أطاعوا ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى ونوازع  
الشهوات والحظوظ (وقالوا) أي زيادة على اسماهم بالتولى (معلم) أي علمه غيره القرآن  
من البشر قال بعضهم علمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه (مجنون) أي يلقى  
الجن اليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي (انا) أي على ما لنا من العظمة (كاشفو  
العذاب) أي بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرجع عنهم القحط (قليل) أي زمان يسير اقبل  
الى يوم يدرو قيل ما بقي من أعمالهم (انكم عائدون) أي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى  
الكفر ان لما في جبالكم من العوج وطبائعكم من المبادرة الى الزلل فإيمانكم هذا الذي أخبرتم  
برسوخه عرض زائل وخيال باطل وقوله تعالى (يوم يبسط) أي بما لنا من العظمة (البطشة  
الكبرى) أي يوم يدرو منصوب إذ كرأوبدل من يوم تأتي والبطش الاخذ بقوة (ان آمنتمون)  
أي منهم في ذلك اليوم وهو قول ابن عباس وأكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة  
(ولقد قننا) أي اخبرنا بما لنا من العظمة فعل الفائت وهو المختار الذي يريد أن يعلم حقيقة  
الحال بالابلاء والتمكين ثم الارسال (قبلهم) أي هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم  
عبرة لهم (قوم فرعون) أي مع فرعون لان ما كان فتنة لقومه كان فتنة له لان الكبير  
أرسخ في الفتنة بما أحاط به من الدنيا وسما في التصريح به في آخر القصة (وجاءهم) أي فرعون  
وقومه زيادة في فتنتهم (رسول كريم) هو موسى عليه السلام قال الكلبي كريم على ربه يعني أنه تعالى  
أعطاه أنواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال القراء يقال فلان كريم قومه قيل  
ما بعثني الامن أشرف قومه واكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة بقوله (ان أدوا الى)  
ما أدعوكم اليه من الايمان أي أظهر واطاعتكم بالايمان لي يا (عباد الله) أو أطلقوا بني اسرائيل  
ولا تعذبوهم وأرسلوهم معي كقوله فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم (إني لكم) أي خاصة  
بسبب ذلك (رسول) أي من عند الله الذي لا تكون الرسالة الكاملة الا منه (أمين) أي بالغ  
الامانة لان الملك الديان لا يرسل الامن كان كذلك وقوله عليه السلام (وأن لا تعلموا) معطوف  
على أن الاولى وأن هذه مقطوعة في الرسم والمعنى لا تكبروا (على الله) تعالى باهانة وحيه ورسوله  
(إني اتيكم بسليمان) أي برهان (مبين) أي بين على رسالتى فتوعدوه حين قال لهم ذلك بالرجم فقال

(وانى عدت) أى اعتصمت وامتنعت (بربى) الذى يبانى على ما اقتضاه لطفه واحسانه الى  
(وربكم) الذى أعادنى من تكبركم وقوة مكنتكم (أن ترجون) أى أن يتجدد فى وقت من  
الاقوات قتل منكم لى فانى قلت انى أخاف أن يقتلون فقال تعالى سنشد عضدك بأخيك ونجعل  
لك سلطانا فلا يصلون اليك بآياتنا فمن أعظم آياتى أن لاتصلوا مع قوتكم وكثرتكم الى  
قتلى مع أنه لا قوة لى بغير الله الذى أرسلنى وقال ابن عباس أن ترجون بالقول وهو الشتم  
وتقولوا هو ساحر وقرأ أبو عمرو ووجزة والكسائى عدت بادغام الذال فى التاء والباقون  
بالاظهار وقرأ ورش باثبات الباء بعد النون فى ترجون فى الوصل دون الوقف والباقون بغير  
ياء وقفنا ووصلا وكذلك فاعتزلون الآتى \* ولما كان التقدير فان آمنتم بذلك وسلمتم لى أفلمتم  
عطف عليه قوله تعالى (وان لم تؤمنوا لى) أى تصدقوا لاجل ما أخبرتكم به (فاعتزلون)  
أى كونوا بعزل منى لاعلى ولالى فلانتم معرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء دعائكم الى ما فيه  
فلاحكم والفاء فى قوله تعالى (قدعا) تدل على أنه متصل بمحذوف قبله وتأويله أنهم كفروا ولم  
يرضوا وقد عاموسى عليه السلام (ربه) الذى أحسن اليه سياسته وسياسة قومه ثم فسر  
مادعاه بقوله (ان هؤلاء) أى الحقيرين الاذنين الارذلين (قوم) لهم قوة على القيام  
فما يحاولونه (مجرمون) أى موصوفون بالعراقة فى قطع ما أمرت به أن يوصل (فان قيل)  
الكفر أعظم حلال من الجرم فما السبب فى أنه جعل الكفار مجرمين حين أراد المبالغة فى ذمهم  
(أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا فى دينه والفاسق فى دينه أخس  
الناس ثم تسبب عن دعائه لانه ممن يستجاب دعائه قوله تعالى (فأسر بعبادى) أى بنى  
اسرائيل الذين أرسلناك لاسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم وتفرغهم لعبادتى وقوله تعالى  
(ليلا) نصب على الظرفية والاسراء سير الليل فذكر الليل تأكيديا بغير اللفظ وانما أمره بالسير  
بالليل لانه أوقع بالقبض موت الابكار لابلأ فأمر موسى أن يخرج بقومه فى ذلك الوقت خوفا من  
أن يموتوا مع القبض \* ولما علم الله تعالى أنهم ان تأخروا الى أن يطلع الفجر ويرتفع عنهم الموت  
منعواهم الخروج وان تأخروا الى آخر الليل أدركوهم قبل الوصول الى البحر فقتلواهم علل هذا  
الامر بقوله مؤكدا لانه لان حال القبض عند ما أمرهم بالخروج كان حال من لا يتهمأله  
الخروج فى قوله (انكم متبعون) أى مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم فلا يفرنكم ما هم فيه عند  
أمرهم بالخروج من الجزع من اقامتكم بين أظهرهم وسؤالهم لكم فى الخروج عنهم بسبب  
وقوع الموت الناشئ فيهم فان القلوب يسد الله تعالى فهو ينسى قلب فرعون بعد رؤيته هذه  
الآيات حين يرتفع عنهم الموت ويفرغون من دفن موتاهم فيطلبكم لما دبرته فى القدم من  
سياستكم باغراقهم أجمعين ليظهر مجدى بذلك وأدفع عنكم روع مدافعهم فانى أعلم أنه لا قوة لكم  
ولا طاقة بكم فلم اكفكم مباشرة شئ من أمرهم وقرأ نافع وابن كثير فأسر بوصول الهمزة بعد  
الفاء والباقون بقطعها قال الزمخشرى وفيه وجهان اضممار القول بعد الفاء أى فقال أسر  
بعبادى وجواب شرط مقدركا أنه قال ان كان الامر كما تقول فأسر بعبادى قال أبو حيان وكثيرا

ما يدعى حذف الشرط ولا يجوز الالادليل وانح كان يتقدمه الامر أو ما أشبهه يقال سرى وأسرى  
 لغتان \* ولما أمره بالاسراء أمره بما يفعل فمسه فقال تعالى (واترك البحر) أى اذا سرى  
 بهم وتبعك العدو ووصلت بعد اليه وأمر نالك بضره لينفتح لتدخلوا فيه فدخلتم ونجيتهم  
 (دهوا) بعد خروجكم منه بأجمعكم وفي الرهو وجهان أحدهما أنه الساكن أى اتركه ما كنا  
 قال الاعشى عيشين رهوا فلا الابعاز خاذلة \* ولا الصدور على الابعاز تتكلم

أى مشيا ساكنا على هيئة فاراعلى حاله بحيث يبقى المرتفع من مائه مرتفعا والمنخفض منخفضا  
 كالجدار وطره الله الذى سرت به يابس اذا سير سهل على الحالة التى دخلتم فيها لان موسى لما جاوز  
 البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانطلق فأمر أن يتركه ساكنا على هيئة فاراعلى حاله  
 ليدخله التيبط فاذا حملوا فيه أطبقه الله تعالى عليهم والثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن  
 بعض العرب انه رأى جنلا فالجاء فقال سبحان الله رهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله  
 منفرجا (انهم جند مغرقون) أى متمكنون فى هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجمع  
 الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الامور \* ولما أخبر تعالى عن غرقهم أخبر عن مختلفهم بقوله  
 تعالى (كم تركوا) أى كثير اترك الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا (من جنات) أى  
 بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الارض وكثرة الاشجار وزكاه الثمار والنبات وحسنها  
 الذى يستتراله موم ودل على كرم الارض بقوله تعالى (وعيون وزروع) أى ما هودون  
 الاشجار وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحزرة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها  
 ثم أخبر عن منازلهم بقوله تعالى (ومقام كريم) أى مجلس شريف هو أهل لان يقوم الانسان  
 فيه لانه فى النهاية فيما يرضيه (ونعمة) وهى اسم لتنعيم معنى الترفه والعيش اللين الرغد  
 (كانوا فيها) أى دائما (فاكهين) أى فعلهم فى عيشهم فعل المتفكح المترفه لافعل من يضطر  
 الى اقامة نفسه وقوله تعالى (كذلك) خبر مبتدأ مضمرا أى الامر كما أخبرنا به من تنعيمهم  
 واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يغن عنهم شئ منه فلا يغتر أحد بما  
 ابتلياه من النعم لئلا ننزع به من الاهلاك ما صنعنا بهم وقوله تعالى (وأورشاهها) أى تلك  
 الامور العظيمة عطف على تركوا (قوما) أى ناس ذوى قوة فى القيام على ما يحاولونه وحقق  
 انهم غيرهم تحقيقا لاغراقهم بقوله تعالى (آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل  
 وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر بل سكنوا الارض المقدسة ولما سكن القوم الآخرون مصر  
 ورثوا كنوزها وأموالها ونعمها ومقامها الكريم وقوله تعالى (فما بكت عليهم السماء  
 والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم لهوانهم واذ لم تبتك المساكن فما ظنك بالساكين  
 الذى هو فيها تقول العرب اذا مات رجل خباير فى تعظيم مهلك بكت عليه السماء والارض وبكته  
 الريح وأظلمت له الشمس قال الفرزدق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة \* تبكى عليك نجوم الليل والقمر

وقالت الخارجية

أي شجر الخابور مالك مورقا \* كأنك تجزع على ابن طريف  
وقال جرير

لما أتى خبر الزبير نواضعت \* سور المدينة والجبال الخشع

وذلك على سبيل التخييل والتشثيل مبالغته في وجوب الجزع والبكاء عليه قال الزمخشري وكذلك ما روى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض ومصاعده عمله ومهابط رزقه في السماء تشثيل ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض تهكبا بهم وبجبالهم المنافية لحال من يعظم فقدته فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض اه وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فإذا مات وفقداه بكاء عليه وتلاه هذه الآية وقال علي رضي الله عنه إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا يبلا كهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض وقال عطاء بكاء السماء جرة أطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكى عليه السماء وبكواؤها جرتها وقرأ أبو عمرو وعليهم في الوصل بكسر الهاء والميم وجرزة والكسافي بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف فجززة بضم الهاء والباقون بالكسر (وما كانوا منظرين) أي لما جاء وقت هلاكهم لم يهملوا إلى وقت آخر توبة وتدارك تقصير \* ولما كان انقاذ بني إسرائيل من القبط أمر أباهر الأيكاد يصدق فضلا عن أن يكون باهلاك أعدائهم أككد سبحانه الأخبار بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تبيينها على أنه قادر أن يفعل بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه كذلك وإن كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم في قبضتهم فقال تعالى (واقدر نجينا) أي بما لنا من العظمة نجية عظيمة (بني إسرائيل) عبدنا المخلص لنا (من العذاب المهين) أي من استعباد فرعون وقتله أبناءهم وقوله تعالى (من فرعون) يدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذبا لا فراطه في التعذيب أو حال من المهين أي واقع من جهته (أنه كان عاليا) أي في جبلته العراقة في العلو (من المسرفين) أي العرييقين في مجاوزة الحدود (ولقد اخترناهم) أي بني إسرائيل بما لنا من العظمة (على علم) أي عالين بأنهم أحق بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويضربونهم الفطرات في بعض الأحوال \* ثم بين المفضل عليه بعدان بين المفضل بقوله تعالى (على العالمين) أي الموجودين في زمانهم بما أنزنا عليهم من الكتب وأرسلنا إليهم من الرسل وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم وقيل عام دخله التخصيص ثم بين آثار الاختيار بقوله تعالى (وآتيناهم) أي على ما لنا من العظمة (من الآيات) أي العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون إلى أن فارقه بم بالوفاء وبعد وفاته على أيدي الأنبياء المقتررين للشريعة عليهم السلام (مأقبيه بلاء) أي اختبار مثله يعمل من نظره أو يسمعه إلى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر وتطليل الغمام وانزال المن

والسوى وغير ذلك مما رأوه من الآيات التسع (مبين) أي بين في نفسه موضع لغيره (ان هؤلاء)  
 اشارة الى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه موقفة للدلالة على انهم مثلهم  
 في الاصرار على الضلالة والاندثار على مثل ما حل بهم (ليقولون) أي بعد قيام الحجبة البالغة  
 عليهم مبالغين في الانكار (ان) أي ما (هي) وقولهم (الاموتنا) على حذف مضاف أي  
 ما الحياة الاحياء موتنا (الاولى) التي كانت قبل تنسخ الروح كما سيأتي ان شاء الله تعالى في  
 الحاشية ان هي الاحياء الدنيا وقال الجلال المحلى ان هي ما الموتة التي بعدها الحياة الاموتنا  
 الاولى أي وهم نطف وقرأ حزة والكساني بالامالة محضه وأبو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين  
 اللغظين والباقون بالفتح (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين بحيث نصير ذوى حركة اختيارية  
 نتشربها بعد الموت يقال نشره وأنشره أحياء ثم احتجوا على نفي الحشر والنشر بقولهم (فأبوا)  
 أي أيها الزاعمون أن أتبعث بعد الموت (بأبائنا) أي لكوننا نعرفهم ونعرف وفور عقولهم  
 (ان كنتم صادقين) أي ثابتا صدقكم في أن أتبعث يوم القيامة أحياء بعد الموت ثم خوفهم الله  
 تعالى بمثل عذاب الام الخالية فقال تعالى (أهم خير) أي في الدين والدنيا (أم قوم تبع)  
 أي ليسوا خيرا منهم فهو استفهام على سبيل الانكار قال أبو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم  
 يسمى تبعا لأن أهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم  
 الاعاظم في ملوك الحرب وقال قتادة هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي بذلك لكثرة أتباعه  
 وكان هذا بعد النار فأسلم ودعا قومه وهم جبري الى الاسلام فكذبوه ولذلك ذم الله تعالى قومه  
 ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعافانه كان قد أسلم وعنه صلى الله عليه وسلم  
 ما أدري أكان تبعا نبيا أو غيري وعن عائشة رضي الله عنها قالت لا تسبوا تبعافانه كان رجلا  
 صالحا وذكر عكرمة عن ابن عباس انه كان تبعا الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار  
 بالجيش نحو المشرق وجبر الجبروني قصر محرقة وملوك بقومه الارض طولها والعرض وكان  
 أقرب المملكين الى قريش زمانا ومكانا وكان له بركة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار قال الرازي  
 في اللوامع هو أول من كسا البيت ونجر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به  
 وحلق قال البغوي بعد أن ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة في المدينة الشريفة وما وعظبه  
 اليهود في الكف عن خراب المدينة لانها مهاجرة نبي من قريش انه صدقهم واتبع دينهم وذلك  
 قبل نسخته وعن الرياشي آمن تبعا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبع مائة عام (فان قيل)  
 ما معنى قوله تعالى أهم خيرا أم قوم تبع مع انه لا خير في القرية (أجيب) بأن معناه أهم خيرا في القوة  
 والشوكة كقوله تعالى أ كفاركم خيرا من أولئك بعد ذكر آل فرعون ويجوز في قوله تعالى (والدين  
 من قبلهم) أي مشاهير الامم كدين وأصحاب الايكة والرس وعود وعاد ثلاثة أوجه أحدها أن  
 يكون معطوفا على قوم تبع ثانيا أن يكون مبتدأ وخبره (أهلكاهم) أي بعظمتنا وان كانوا  
 أصحاب مكنة وقوة وأما على الاول فأهلكاهم امام ستة تاتف واما حال من الضمير المستكن  
 في الصلة ثالثا أن يكون منصوبا بفعل مقدر يفسره أهلكاهم ولا محل لأهلكاهم حينئذ (انهم)

كانوا) أى جيلة وطبعا (مجرمين) أى غريقين في الاجرام فليحذرو هؤلاء ان ارتكبوا مثل  
 أفعالهم من مثل حالهم \* ولما أنكر تعالى على كفار مكة قولهم ووصنهم بأنهم أضعف من كان  
 قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال تعالى (وما خلقنا السموات)  
 أى على عظمها واتساع كل واحدة منها واحتوائها لما تحتها وجمعها لان العمل كلما زاد كان  
 أبعد عن العبت \* ولما كان الدليل على تطابق الارض دليلا دقيقا وحدها بقوله تعالى  
 (والارض) أى على ما فيها من المنافع (وما بينهما) أى النوعين وبين كل واحدة منهما ما  
 وما يليها (لاعين) أى على ما لنا من العظمة التي يدرك من له أدنى عقل تعالىها عن اللعب  
 لانه لا يقع له الا ناقص ولو تركنا الناس يعني بعضهم على بعض كما شاهدون ثم لاناخذ  
 لضعيفهم بحقه من قوتهم لكان خلقنا لهم لعبا بل اللعب أخف منه ولم يكن على ذلك  
 التقدير مستحقين للصفة القدسية وقد تقدم تقرير هذا الدليل في أول سورة يونس وفي آخر  
 سورة المؤمنين عند قوله تعالى ألقبتم أنما خلقناكم عبثا وفي ص عند قوله تعالى وما خلقنا  
 السماء والارض وما بينهما باطلا (ما خلقناهما) أى السموات والارض مع ما بينهما وقوله تعالى  
 (الابالحق) حال امان الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول أى الاحقن في ذلك يستدل به على  
 وحدانيتنا وقد رتنا وغير ذلك أو متلبسين بالحق (ولكن أكثرهم) أى هؤلاء الذين أنت بين  
 أظهرهم وهم يقولون ان هي الاموتتنا الاولى وكذا من نخافوهم (لا يعلمون) أى انا خلقنا  
 الخلق بسبب اقامة الحق عليهم فهم لاجل ذلك يجترؤن على المعاصي ويفسدون في الارض  
 لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا ولو تذكروا ما ذكرناه في جيلاتهم لعلوا لعلنا ظاهرا انه الحق  
 الذي لا معدل عنه كما يتولى حكمهم المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم ويشترطون  
 الحكم بالحق ويؤكدون على أنفسهم انهم لا يتجاوزونه \* ولما ذكر الدليل على اثبات البعث  
 والقيامة ذكر عقبه يوم الفصل فقال تعالى (ان يوم الفصل) أى يوم القيامة يفصل الله  
 تعالى فيه بين العباد قال الحسن سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وقيل  
 يفصل فيه بين المؤمن وما يكرهه وبين الكافر وما يريده (مبقاتهم) أى وقت موعدهم  
 الذي ضرب لهم في الازل وأنزلت فيه الكتب على السنة الرسل (أجمعين) لا يتخلف عنه  
 أحد من مات من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات وقوله تعالى (يوم لا يغنى) أى  
 بوجه من الوجوه بدل من يوم الفصل أو منصوب باضمار أعنى أو صفة لمبقاتهم ولا يجوز أن  
 يتصب بالفصل نفسه لما يلزم من الفصل بينهما بأجنبي وهو مبقاتهم (مولى) أى من قرابة  
 أو غيرها (عن مولى) بقرابة أو غيرها أى لا يدفع عنه (شيأ) من الاشياء كثيرا وقل (ولا هم)  
 أى القسمان (ينصرون) أى ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله تعالى \* (تنبيه) \*  
 المولى اما في الدين أو في النسب أو العتق وكل هؤلاء لا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم  
 فإن لا تحصل عن سواهم أولى ونظير هذه الآية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس  
 شيأ الى قوله تعالى ولا هم ينصرون وقال الواحدى المراد بقوله تعالى مولى عن مولى الكفار



لانه ذكر بعده المؤمن فقال تعالى (الامن رحم الله) أى أراد اكرامه الملك الاعظم وهم  
 المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى فى الشفاعة لاحدهم فيكرم الشافع فيه  
 وقال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة \* (تنبيه) \* يجوز فى الامن  
 رحم الله أوجه أسجدها وهو قول الكسائى انه منقطع ثانياً أنه متصل تقديره لا يغنى  
 قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى بعضهم كما مر ثانياً  
 أن يكون مرفوعاً على البدلية من مولى الاقل ويكون يغنى بمعنى ينفع قاله الحوفى وابعها أنه  
 مرفوع المحل أيضاً على البدل من وارثه من أى لا يمنع من العذاب الامن رحم الله (انه)  
 أى وحده (هو العزيز) أى المنيع الذى لا يقدر فى عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على  
 عزته فانه يفعل ما يشاء فمن يشاء من غير مبالاة بأحد (الرحيم) أى الذى لا يمنع عزته  
 أن يكرم من شاء \* ولما وصف تعالى اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه (ان شجرت  
 الزقوم) هى من أخبت الشجر المزيتهامة ينبتها الله تعالى فى الجحيم وقد مر الكلام عليها  
 فى الصافات ورمت بالناء المجرورة فوقف عليها باباها أبو عمرو وابن كثير والكسائى  
 ووقف الباقر بالناء على الرسم (طعام الاثيم) أى المبالغ فى اكتساب الاثم حتى صارته  
 الى الكفر قال أكثر المفسرين هو أبو جهل (كلهمل) أى وهو ما يهمل فى النار حتى يذوب  
 من ذهب أو فضة وكل ما فى معناهما من المنطبعات سواء كان من صغراً أو حديداً أو رصاص وقيل  
 هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرأ (يقلى فى البطون) أى من شدة الحر ان كثر  
 وحفص بالياء التحتية على أن الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز أبو البقاء أن يعود على الزقوم  
 وقيل يعود على المهمل نفسه والباقر بالناء الفوقية على أن الناعل ضمير الشجر (كغلى) أى  
 مثل غلى (الجحيم) أى الماء الذى تنهى حره بما يوقد تحته وعن ابن عباس أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لاندت على أهل الدنيا معايشهم فكيف  
 بمن تكون طعامه ويقال للزبانية (خذوه) أى هذا الاثيم أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره  
 شيئاً (فاعتلوه) أى جروه بهتربغلظة وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كأنه  
 محمول وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء والباقر بكسرها وهما الفتان فى مضارع  
 عتل قال البقاعى وقراءة الضم أدل على تنهى الغلظة والشدة من قراءة الكسر (الى سواء)  
 أى وسط (الجحيم) أى النار التى هى غاية فى الاضطرام والتوقد وهو موضع خروج الشجرة التى  
 هى طعامه (ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون المصبوب محيطاً بجميع جسده (من عذاب الجحيم)  
 أى من الجحيم الذى لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما فى آية به من فوق رؤسهم الجحيم ويقال له  
 توبيضاً تقريباً (ذق) أى العذاب (انك) وأكذبه قوله (أنت) أى وحده دون هؤلاء  
 الذين يخبرون بحقارتك (العزيز الكريم) بزعمك وقولك ما بين جبلها أعز وأكرم منى وقرأ  
 الكسائى بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة أى لانك وقيل تقديره ذق عذاب الجحيم انك  
 أنت العزيز والباقر بالكسر على الاستئناف المقيد للعلية فتجد القراءتان معنى وهذا

الكلام الذي على سبيل التهكم أغبط اللهم تهزابه ومثله قول جرير لشاعر سمي نفسه زهرة اليمن  
 ألم يكن في رسوم قدر سمت بها \* من كان موعظة با زهرة اليمن  
 وكان هذا الشاعر قد قال

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها \* أنى الأعز وأنى زهرة اليمن

ويقال لهم (أن هذا) أى الذى ترون من العذاب (ما كنتم به) أى جبلة وطبعها (عقرون)  
 أى تعالجون أنفسكم وتحملونهم على الشك فيه وتردونها عمالها من الفطرة الأولى من التصديق  
 بالمكن لاسيما من جرب صدقه وظهرت خوارق العادات على يده بحيث كنتم لشدة رذك له  
 كأنكم تخصصونه بالشك \* ولما ذكر سبحانه وتعالى وعيد الكفار أردفه بآيات الوعد فقال  
 (إن المتقين) أى العريقين فى هذا الوصف (فى مقام) أى موضع إقامة لا يريد الحال فيه  
 تحولا عنه (أمين) أى يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه وقرأ يذفع وابن عامر يفتح الميم أى  
 فى مجلس أمين والباقون بضمها على المصدر أى فى إقامة وقوله تعالى (فى جنات) أى بساتين  
 تقصر العقول عن ادراك كل وصفها بدل من قوله تعالى فى مقام أمين أو خبر ثان وقرأ  
 (وعيون) ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحزمة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها \* ولما  
 كان لا يتم العيش الا بكسوة البدن أشار الى ذلك بقوله تعالى (يلبسون) ودل على الكثرة  
 بدابة قوله تعالى (من سندس) وهو مارق من الحرير يعمل وجوها (واستبرق) هو ما غلظ  
 منه يعمل بطاش وسمى بذلك لشدة بريقه وقوله تعالى (متقابلين) أى فى مجلسهم ليستأنس  
 بعضهم ببعض حال وقوله يلبسون حال من الضمير المستكن فى الجار أو خبر ثان فى تعلق الجار به  
 أو مستأنف (فان قيل) الجالوس على هذه الهيئة موحش لان كل واحد منهم يصير مطالعا على  
 ما يفعل الآخروا أيضا فقليل الثواب اذا اطلع على كثيره يتقص عليه (أجيب) بأن أحوال  
 الآخرة ليست كأحوال الدنيا وقد قال تعالى وزعنا ما فى صدورهم من غل وقوله تعالى  
 (كذلك) يجوز فيه وجهان أحدهما المنصب نعمنا لصدراى نفعل بالمتقين فعلا كذلك أى مثل  
 ذلك الفعل ثانياً ما الرفع على خبر مبتدأ مضمر أى الامر كذلك \* ولما كان ذلك لا يتم السرور به  
 الا بالازواج قال تعالى (وزوجناهم) أى قرناهم كما تقرن الأزواج وليس المراد به العقد  
 لان فائدة العقد الحل والجنحة ليست بدار تكليف من تحليل أو تحريم (بحور) أى جوارى يبيض  
 حسان نقيات الثياب (عين) أى واسعات العين قال البيضاوى واختلف فى انهن نساء الدنيا  
 أو غيرهن \* ولما كان الشخص فى الدنيا يخشى كلف النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات  
 فتال تعالى (يدعون) أى يطلبون طلبا هو غاية المسرة (فيها) أى الجنة أى يؤتون (بكل)  
 فأكهة) أى لا يتنع عليهم صنف من الاصناف لبعدهم كان ولا فقدان ولا غير ذلك من الشان وفى  
 ذلك ايدان بأنه مع سعة ليس فيه شئ لإقامة البنية وانما هو للتفكير والتلذذ حال كونهم مع ذلك  
 (آمنين) فى غاية الامن من كل مخوف (لا يذوفون فيها) أى الجنة (الموت) لانها دار  
 خلود لا دار فناء وقوله تعالى (الا الموتة الأولى) فيه أوجه أحدها أنه استثناء منقطع أى لكن

الموتة الاولى قد ذاقوها ثانياً انه متصل وتأولوه بأن المؤمن عند موته في الدنيا يصير بلطف  
 الله كأنه في الجنة لاتصاله بأسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعمها فكانت مات فيها ثالثاً  
 ان الاعمى سوي أى سوي الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تمسكوا ما ترك  
 آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى سوي ما قد سلف وابعها ان الاعمى بعد أى لا يذوقون فيها  
 الموت بعد الموتة الاولى في الدنيا واختاره الطبري ~~لكن~~ نوزع بأن الاعمى بعد لم يثبت وقد  
 يجب أن من حفظ حجة على من لم يحفظ خامساً قال الزمخشري أريد أن يقال لا يذوقون فيها  
 الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل  
 فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم  
 يذوقونها سادساً المراد بالمتقين أعم من الراسخين وغيرهم وان ضمير فيها يرجع للاخرة فالعاصي  
 اذا أراد الله تعالى تعذيبه بالنار يذيقه فيها موتة أخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيكون على  
 المجموع سابقها أن الموتة الاولى في الجنة انجازية فلا يكون ذلك بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل  
 فيها في الدنيا قال بعض العلماء الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن التي فانها جنة صغيرة تؤليه  
 سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته اياه وشغله به وهو معه أينما كان (فان  
 قيل) أهل النار لا يذوقون الموت أبداً فلم يشر أهل الجنة به ذامع ان أهل النار يشاركونهم فيه  
 (أجيب) بأن البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك الخيرات والسعادات  
 فافتقروا (ووقاهم) أى المتقين (عذاب الخليم) أى التي تقدم أنها لكل كفار أثم وأما غير المتقين من  
 العصاة فيدخل الله تعالى من أراد منهم النار فيه - ذب كلامهم - على قدر ذنوبهم ثم يميتهم فيها  
 ويستقرن الى أن يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم - فيخرجهم ثم يحييهم بما يشاءهم - من ماء  
 الحياة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في  
 النار حتى اذا صاروا لحماء دخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء فينتال هؤلاء الجهنميون  
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً  
 ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء  
 فيذبون كما ينبت الغناء في جملة السيل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى (فضلاً) مفعول  
 لاجله أى فعل ذلك - لم لا بل الفضل وجهه أبو البقاء منصوباً بقدر أى تفضلنا بذلك  
 فضلاً أى تفضلاً (تنبيه) احتج أهل السنة بهذه الآية على أن الثواب يحصل من الله تعالى  
 فضلاً واحساناً وأن كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والنور بالجنة فانما يحصل  
 بفضل الله تعالى (من ربك) أى المحسن اليك بكل احسانه الى اتباعك احساناً يليق بك  
 قال الرازي في اللوامع أصل الايمان روية الفضل في جميع الاحوال \* ولما عظمه الله تعالى  
 باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد تعظيمه بالاشارة بأداة البعد فقال تعالى  
 (ذلك) أى الفضل العظيم الواسع (هو) أى خاصة (الفوز) أى الظفر بجميع المطالب  
 (العظيم) لانه خلاص عن المكروه ولم يدع جهة من الشرف الاملاها وهذا يدل على أن

الفضل أعلى من درجات الثواب المستحق لأنه تعالى وصفه بكونه فوزاً عظيماً وأيضاً فإن الملك العظيم إذا أعطى الأجير أجره ثم خلع على إنسان آخر فإن تلك الخلعة أعلى من إعطاء تلك الأجرة \* ولما بين تعالى الدليل وشرح الوعد والوعد قال تعالى (فإنما يسرناه) أي سهلنا القرآن سهولة كبيرة (لسانك) أي هذا العربي المبين وهم عرب صعبتهم الفصاحة (اعلمهم يتذكرون) أي يفهمونه فيتعظون به وإن لم يتعظوا به ولم يؤمنوا به (فارتقب) أي فانتظر ما يحل بهم (أنهم من تقبون) أي منتظرون ما يحل بك ففعلوا لا الارتقاب محذوفان أي فارتقب النصر من ربك أنهم مرتقبون بك ما يتمونه من الدوائر والقوائل ولن يضر لك ذلك وما رواه البيضاوي بتعال الزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له رواه الترمذي وزاد الزمخشري من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك ورواه البغوي عن أبي هريرة قال ابن عادل قال أبو أمامة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله بيتاً في الجنة والله تعالى أعلم بالصواب

(سورة الباقية مكية)

الاول للذين آمنوا بغيروا الآية وهي سبع وثلاثون آية وأربع مائة وعثمان وعمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفاً

(بسم الله) الذي تفرّد بتمام العز والكبرياء (الرحمن) الذي أحكم رحمة بالبيان العام للسهل والاشتيا (الرحيم) الذي خص بعبادة طاعته الاولياء وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) ثم ان جعلتها اسماً مبتدأ مخبراً عنه بقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أي الجوامع لكل خبر لم يكن يبد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى (من الله) أي المحيط بصفات الكمال صله بالتنزيل وان جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبراً (اهزبن) في ملكه (الحكيم) في صنعه \* ولما كانت الحواميم كما روى أبو عبيدة في كتاب الفضائل عن ابن عباس لبيان القرآن حذف ما ذكر في البقرة من قوله تعالى خلق ليكون ما هنا شمل فقال تعالى (ان في السموات) أي ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها وخلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع وعظيم الصنعة وما لها من الشرف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب (والارض) كذلك وبما حوت من المعادن والمعاش (لايات) أي دلالات على وجود الاله القادر القاعل المختار فان من المعلوم أنه لا بد لكل ذلك من صانع متصف بذلك وقال تعالى (للمؤمنين) لانهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف أهل للنظر لان ربهم يهديهم بإيمانهم فشواهد الربوبية لهم منها لا محنة وأدلة الالهية فيهما واضحة \* ولما ذكر سبحانه وتعالى النظر في آيات الآفاق أتبعها آيات الانفس بقوله تعالى (وفي خلقكم) أي خلق كل منكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الى أن صار انساناً المخالف لخلق الارض التي أنتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على السار والفساد (وما) أي وخلق ما (بيت) أي ينشر ويفترق بالحركة الاختيارية على سبيل

قوله وزاد الزمخشري نسخة البيضاوي التي بأيدينا فيها الحديثان اللذان في الكشاف بخالفة يسيرة فلعلها نسخة وقعت للمؤلف اهـ

التجدد والاستمرار (من دابة) مما تعلمون ومما لا تعلمون بما في ذلك من مشاركتكم بالاختيار  
والهداية للمنافع بأدراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وأدراك الكليات وغير ذلك  
من مخالفة الأشكال والطبائع والمنافع وغير ذلك (آيات) دالة على قدرة الله تعالى ووحدايته وقرأ  
حزرة والكسافي آيات يكسر الماء حملا على اسم ان والباقون بالرفع حملا على محل ان واسمها  
ولما كانت آيات الانفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف  
قال تعالى (لقوم) أي فيهم أهلية القيام بما يحاولونه (يوقنون) أي يتجدد لهم العروج  
في درجات الايمان الى أن يصلوا الى شرف الايقان فلا يخجلهم شك في وحدانيته (واختلاف  
الليل والنهار) بذهاب أحدهما ووجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة  
على القدرة على اليجاد بعد الاعدام بالبعث وغيره (وما أنزل الله) أي الذي عمت عظمته  
فنفذت كلمته (من السماء من رزق) أي مطر وغيره من الاسباب المهمة لخراج الرزق  
(فأحيى به) أي بسببه (الأرض) أي الصالحة للحياة ولذلك قال تعالى (بعد موتها) أي  
يسمها وتشميم ما كان فيها من النبات (وتصريف) أي تحويل (الرياح) باختلاف جهاتها  
وأحوالها وقرأ حزرة والكسافي بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى (آيات) فيه  
القراءتان المتقدمتان أما الرفع فظاهر وأما الكسر ففيه وجهان أحدهما أنها معطوفة  
على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم كأنه قيل وان في خلقكم وما يثبت من دابة آيات والثاني أن  
تكون كررت تأكيد الآيات الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كزومه حرف  
الجزء كيدا ونظيره أن تقول ان في بيتك زيدا وفي السوق زيد افزيد الثاني تأكيد الاول كأنك  
قلت ان زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وايسر في هذه عطف على معمولي عاملين البتة \* ولما  
كانت هذه الآية أوضح دلالة من بقيتها على البعث قال تعالى فيها (لقوم يعقلون) الدليل  
فيؤمنون وأبدى بعض المنسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والأرض  
وأنه لا بد لهما من صانع آمنوا واذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا  
نظروا في سائر الحوادث عقلوا واستحكم علمهم \* ولما ذكر هذه الآيات العظيمة قال تعالى  
مشيرا الى علو مرتبتها بأداة البعد (تلك) أي الآيات المذكورة (آيات الله) أي حجج المحيط  
بصفات الكمال التي لا شيء أجل منها الدالة على وحدانيته (تلوها) أي نقصها (عليك)  
سواء أكانت مرئية أو مسموعة ملتبسة (بالحق) أي الامر الثابت الذي لا يستطاع تحويله  
ليس بسحر ولا كذب (فبأي حديث) أي خير عظيم صادق يتجدد علمه به يستحق أن يتحدث به  
واستغرق كل حديث فقال تعالى (بعد الله) أي حديث الملك الاعظم وهو القرآن (وآياته)  
أي حججه (يؤمنون) أي كفار مكة أي لا يؤمنون وقرأ ابن عامر وشعبة والكسافي بتاء  
الخطاب رأوا أن ذلك الخطاب صرف الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تلوها  
عليك بالحق والباقون بيا الغيبة ودومه على قوله تعالى وفي خلقكم وهو أقوى تكيتها ولما بين  
الآيات للكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بها بعد ظهورها فبأي حديث بعد ما يؤمنون أتبعه

بوعيد عظيم لهم فقال تعالى (ويل لكل أفاك) أي مبالغ في صرف الحق عن وجهه (أثم) أي مبالغ في اكتساب الاثم وهو أن يبقى مصر على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعني النضر بن الحرث والآية عامة فمن كان موصوفاً بهذه الصفة وفسر هذا بقوله تعالى (يسمع آيات الله) أي دلالات الملك الأعظم الظاهرة حال كونها (تتلى عليه) بجميع ما فيها وهي القرآن من سهولة فهمها وعذوبة الفاظها وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الإعجاز وهي القرآن العظيم فكيف إذا كان التالي أشرف الخلق وقرأ أجزاء والكسافي بأمانة محضنة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (ثم يبصر) أي يدوم دواماً عظيماً على قبح ما هو فيه حال كونه (مستكبراً) أي طالباً للكبر عن الأذعان وموجداً له (كان) أي كانه (لم يسمعها) أي حاله عند السماع وقبله وبعده على حد سواء (فبشروه) أي على هذا الفعل الخبيث (بعذاب أليم) أي مؤلم والبشارة على الأصل أو التهكم وقرأ ابن كثير وحفص أليم بالرفع والباقون بالجر (وإذا علم) أي بلغه (من آياتنا) أي القرآن (شيئاً) وعلم أنه من آياتنا (اتخذها هزواً) أي مهزواً بها \* (تنبيه) \* في الضمير المؤنث وجهان أحدهما أنه عائد على آياتنا يعني القرآن والثاني أنه يعود على شيئاً وإن كان مذكراً لأنه بمعنى الآية كقول أبي العالبة

نفسى بشئ من الدنيا معلقة \* الله والقائم المهدي يكفيها

لأنه أراد بشئ جارية يقال لها عتبة والمعنى اتخذ ذلك الشيء هزواً لأنه تعالى قال اتخذها للشعار بأن هذا الرجل إذا أحس بشئ من الكلام أنه من جملته الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد وقوله تعالى (أولئذ لهم عذاب مهين) أي ذواها نة إشارة إلى معنى كل أفاك أثم ليس يدخل فيه جميع الأفاكين فعمل أولاً على لفظها فأفرد ثم على معناها فجمع كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون ثم وصف تعالى كيفية ذلك العذاب فقال (من وراءهم) أي أمامهم لأنهم في الدنيا (جهنم) قال الزمخشري والوراء اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلف أو قدام قال أليس ورائي إن تراخت مني \* أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله تعالى من وراءهم أي من قدامهم اه ثم بين تعالى أن ما سلكوه في الدنيا لا ينفعهم بقوله تعالى (ولا يغني) أي ولا يدفع (عنهم ما كسبوا) من الأموال في رحلهم ومتاجرهم والأولاد (شيئاً) من الاغناء وقوله تعالى (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي من الأوثان عطف على ما كسبوا وما فهم ما مصدرية أو بمعنى الذي أي لا يغني عنهم كسبهم ولا اتخذوا هم أو الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه (ولهم عذاب عظيم) أي لا يدفع جهة من جهاتهم ولا زماناً من أزمانهم ولا عضواً من أعضائهم الاملاءه (فان قيل) قال تعالى في الأول مهين وفي الثاني عظيم فالفرق بينهما (أجيب) بأن كون العذاب مهيناً يدل على حصول العذاب مع الاهانة وكونه عظيماً يدل على كونه بالغاً إلى أقصى الغايات في الضرر وقوله تعالى (هذه هدى) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى (والذين كفروا بآيات ربهم) هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية

كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية وأيام رجل (لهم عذاب) كائن (من رجز) أى  
 شديد العذاب (أليم) أى بليغ الأيلام \* ولما ذكر تعالى ذكر الربوبية ذكر بعض آثارها وما فيها  
 من آياته فقال مستأنفاً على عظمته بالاسم الأعظم (الله) أى الملك الأعلى المحيط بجميع  
 صفات الكمال (الذى سخر) أى وحده من غير حول منكم ولا قوة فى ذلك بوجه من الوجوه  
 (لكم البحر) أيها الناس بركم وفاجركم بما جعل فيه مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل  
 بالاختيار من القابلية للسيفيه من الرقة والليونة (لتجرى الفلك) أى السفن (فيه بأمره)  
 أى بأذنه ولو كانت موقرة بأثقال الحديد الذى يغوص فيه أخف شئ منه كالابرة وما دونها فى  
 ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته لان جريان الفلك على وجه الماء لا يحصل الا بثلاثة أشياء  
 أحدها الرياح التى توافق المراد وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التى تجرى عليه الفلك  
 وثالثها خلق الخشبية على وجه تبق طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر  
 عليها أحد من البشر (ولتبقوا) أى تطلبوا بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضائع  
 وتتوصلون اليه من الاماكن والمقاصد بالصيد والغوص على اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك (من  
 فضله) لم يصنع شيئاً منه سواه (ولعلمكم تشكرون) نعمه على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات) من  
 شمس وقر ونجم بها وغير ذلك بحيث لا يمكنكم الوصول اليه بوجه (وما فى الارض) من دابة  
 وشجر ونبات وأنهار وغيره ولو شاء لجمعها كما فى السماء لا وصول لكم اليه وقوله تعالى (جميعاً)  
 تو كيداً لادل عليه معنى ما من العموم وقيل حال من ما فى السموات وما فى الارض وقوله تعالى  
 (منه) حال أى سخرها كأنه منه تعالى لا صنع لاحد غيره فى شئ من ذلك قال ابن عباس كل  
 ذلك رحمة منه وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان وقال بعض العارفين سخر لك  
 الكل لكلا يسخر لك شئ منها فتسكون مسخر المن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالمخدوم  
 أن يخدم خادمه (ان فى ذلك) أى الامر العظيم من تسخيرنا كل شئ فى الكون (آيات)  
 أى دلالات واضحات على أنهم فى الالتفات الى غيره فى ضلال سبين بعد تسخيرنا ما لنا من  
 الاعضاء والقوى على هذا الوجه البديع مع أن من هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا (لقوم) أى  
 ناس فيهم أهلية القيام بما يجعل اليهم (يتفكرون) فيعلمون أنه المتوحد باستحقاق الالهية  
 فلا يشركون به شيئاً واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (قل) أى يا افضل الخلق (الذين آمنوا)  
 ادعوا للتصديق بكل ما جاءهم من الله تعالى (يغفروا) أى يستروا ستر بالغاً (الذين لا يرجون  
 أيام الله) أى مثل وقائع الملك الأعظم المحيط بصفة الكمال فقال ابن عباس نزلت فى عمر بن  
 الخطاب رضى الله عنه وذلك انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل  
 عبد الله بن أبى غلامه ليستقى الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قد عد على  
 طرف البئر فتركت أحد ايستقى حتى ملاء قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر رضى  
 الله عنه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يا كلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل  
 سيفه يريد التوجه اليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل ان رجلاً من بنى غفار شتم عمر

بمكة فهم عمر أن يطش به فتزلت بالغضر والتجاوز وروى ميمون بن مهران ان فخصاص  
اليهودي لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد  
فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ليه فرده  
وقال القرطبي والسدي نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة  
كانوا في أذى كثير من المشركين قبل أن يؤمر وبالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فنزلت ثم نسختها آية القتال قال الرازي وإنما قالوا بالفسخ لانه يدخل تحت الغفران  
أن لا يقتلوا ولا يقتلوا فلما أمر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخا والاقرب أن يقال انه محمول على  
ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدرونهم من الكلمات المؤذية وقال ابن عباس لا يرجون  
أيام الله أي ثوابه ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الامم الماضية وتقدم تفسير  
أيام الله عند قوله تعالى وذكرهم بأيام الله وقوله تعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة  
للامر والتمويه المؤمنين أو الكافرون أو كلاهما فيه كون التنكير للتعظيم أو التحقير  
أو التنويع أو لكسب المغفرة أو الاساءة أو ما يجمعهما وقرأ ابن عامر وجزء والكساف بالنون  
ليجزى فمن بالنون العظمة والباقون بالياء التحتية أي ليجزى الله سبحانه وتعالى ولما  
رغب سبحانه وتعالى ورهب وقرر انه لا بد من الجزاء زاد في الترغيب والترهيب بأن النفع  
والضرر لا يعدوهم فقال تعالى شارح الجزاء (من عمل صالحا قل أو جل فلفسه) أي خاصة  
عمله يرى جزاءه في الدنيا والآخرة وهو مثل ضربه الله تعالى للذين يعفرون (ومن أساء) كذلك  
(فعلها) خاصة اساءته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول  
والمؤمنين وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع عبده من غير جزاء  
ولاسيما اذا كان حكيما وان كانت نقائص النفوس غطت على كثير من العقول ذلك (ثم) أي  
بعد الاتلاء بالاملاء في الدنيا والحس في البرزخ (الربكم) أي الملك المالك لكم لا الى غيره  
(ترجعون) أي تصيرون فيجازي المصلح والمسيء (ولقد آتينا) أي على مالنا من العظمة (بني  
اسرائيل الكتاب) أي الجامع للخيرات وهو يم التوراة والانجيل والزبور وغيرها مما أنزل على  
أنبيائهم عليهم السلام (والحكيم) أي العلم والعمل الثابتين ثبات الاحكام بحيث لا يتطرق اليهما  
فساد العلم من الزينة بالعمل وللعامل من الاتقان بالعلم (والسوة) التي تدرك بها الخيرات  
العظيمة التي لا يمكن ابلاغ الخلق اليها بلوغا كتساب منهم فأكثرنا فيهم من الانبياء عليهم السلام  
(ورزقناهم) بمالنا من العظمة لاقامة أبدانهم (من الطيبات) أي الحلالات من المن والسلوى  
وغيرهما (وفضلناهم) أي بمالنا من العزة (على العالمين) قال أكثر المفسرين عالمي زمانهم  
وقال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحب اليه منهم أي لما آتاهم من  
الآيات المرئية والمسموعة وأكثر فيهم من الانبياء مما لم يفعله بغيرهم من سبق وكل ذلك فضيلة  
ظاهرة (وآتيناهم) مع ذلك (بينات من الامر) أي الموحى به الى أنبيائهم من الأدلة القطعية  
والاحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات ومن صفات الانبياء الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو



في غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته وذلك أمر يقتضى الالفة والاجتماع وقد كانوا متفقين  
 وهم في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ولا بعدا اختلافا فلما جاءهم  
 العلم اختلفوا كما قال تعالى (فما اختلفوا) أى وقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم  
 (الامن بعد ما جاءهم العلم) أى الذى من شأنه الجمع على المعلوم فكان ما هو سبب الاجتماع سببا  
 لهم في الافتراق (بغيا) أى للمجاوزه في الحدود التى اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما  
 من نقائص النفوس (بينهم) أى واقعا فيهم لم يعد لهم الى غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت  
 أيدى القبط في غاية الاتفاق واجتماع الحكمة على الرضا بالذل ولذلك استأنف قوله تعالى  
 الذى اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من أفعال الملوك فيمن خالف أمرهم مؤكدا لاجل  
 انكارهم (ان ربك) أى المحسن اليك (يقضى بينهم) أى باحصاء الاعمال والجزاء عليها (يوم  
 القيامة) أى الذى ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك (فيما كانوا) أى لما هولهم كالجبله (فيه  
 يختلفون) بغاية الجهد والمعنى أنه لا ينبغي للمبطل أن يفرح بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم الحق  
 أو زادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم \* ولما بين تعالى انهم أعرضوا  
 عن الحق بغيا وحسد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك  
 بالحق وأن لا يكون له غرض سوى انظار الحق فقال تعالى (ثم) أى بعد فترة من رسلهم ومجاوزه  
 رتب كثيرة عالية على رتبة شريعتهم (جعلناك) أى بما لنا من العزة والقدرة (على شريعة) أى  
 طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة الى المقصود هي جدية بأن يشرع الناس  
 فيها ويخالطوها مبتدأة (من الامر) أى أمر الدين الذى هو حياة الارواح كما أن الارواح - حياة  
 الاشباح (فاتبعها) أى اتبع بغاية جهدهم شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع أهواء) أى آراء  
 (الذين لا يعلمون) أى لا علم لهم أولهم علم لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار  
 العرب وغيرهم قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو عكة ارجع الى  
 دين آباتك فهم كانوا أفضل منك وأسنان فأنزل الله تعالى هذه الآية \* ثم علل هذا النهى مهددا  
 بقوله تعالى مؤكدا (انهم) وأكدا للنفي فقال عز من قائل (ان بغنوا عنك) أى لا يتجدد لهم نوع  
 اغناء مبتدأ (من الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلم (شياً) أى من اغناء أى ان اتبعتم كما انهم  
 لن يقدروا لك على شئ من أذى ان خالفتم وناصرتم (وان الظالمين) أى الغريبتين في هذا  
 الوصف وهم الكفرة وكان الاصل وانهم ولكنه تعالى أظهر للاعلام بوصفهم (بعضهم أولياء  
 بعض) اذ الجنسية على الانضمام فلا تولوهم باتباع أهوائهم (والله) أى الذى له صفات الكمال  
 (ولى المتقين) أى الذين همهم الاعظم الاتصاف باتخاذ الوفايات المنجية لهم من - حفظ الله تعالى  
 والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وأمانى الآخرة فلاولى لهم ينذعهم في اتصال  
 الثواب وازالة العقاب وأما المتقون المهتمون فالثواب سبحانه وإيهم وناصرهم (هذا) أى الوحي  
 المنزل وهو القرآن (بصائر) أى معالم (للناس) أى في الحدود والاحكام فيبصروا بها ما ينذعهم  
 وما يضرهم (وهدى) أى قائد الى كل خير مانع من كل زيف (ورحمة) أى كرامة وفوز ونعمة

(لقوم يوقنون) أى ناس فيهم قوة القيام بالوصول الى العلم الثابت وتجديد الترقى في درجاته الى ما لانهاية له وقوله تعالى (أم حسب) منقطعة فتتدرى بيل والهمزة أو بيل وحدها وبالهمزة وحدها ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (الذين اجترحوا) أى كسبوا ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كسبهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار (السيات) أى الكفر والمعاصي (أن نجعلهم) أى بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة (كالذين آمنوا وعملوا) تصديقا لقرارهم (الصالحات) أى بأن نتركهم بغير حساب للفصل بين المحسن والمسيء \* ولما كانت المماثلة مجملة بينها استتفاقا بقوله تعالى (سواء) أى مستواسا سواء عظيما (محياتهم ومماتهم) أى حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع والسفول واللذة والكدر وغير ذلك من الاعيان والمعاني وقرأ حزة والكسافي وحفص سواء بالنصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما كالذين آمنوا ويصكون المفعول الثاني للجعل كالذين آمنوا أى أحسبوا أن نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم ليس الامر كذلك وقرأه الباقر بالرفع على انه خبر ومحياتهم ومماتهم مبتدأ ومعطوف وبالجملة بدل من الكاف والضميران للكفار والمعنى احسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين أى في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لعطى من الخير مثل ما تعطون قال تعالى على وفق انكاره بالهمزة (سواء ما يحكمون) أى ليس الامر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بأعمالهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية أى يتس حكما حكمهم هذا \* ولما بين تعالى أن المؤمن لا يساويه الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة ذلك فقال تعالى (وخلق الله) أى الذى له جميع أوصاف الكمال (السموات والارض) وقوله تعالى (بالحق) متعلق بخلق وقوله تعالى (ولنجزي) أى بأيسر أمر (كل نفس) أى منكم ومن غيركم معطوف على بالحق في المعنى لأن كلامنا سبب فعطف العلة على مثلها وأنه معطوف على معلل محذوف والتقدير خلق هذا العالم اظهارا للعدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيام وحصل التفاوت بين الدرجات والدركات من المحقين والمبطلين (بما) أى بسبب ما (كسبت) من خيرا وشر (وهم) أى والحال انهم (لا يظلمون) أى لا يوجد من موجد ما في وقت من الاوقات جزاء لهم في غير موضعه هذا على ما جرت به عوائدكم في العدل والفضل ولو وجد منه سبحانه وتعالى غير ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك المطلق والملاك الاعظم فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه كلهم لكان غير ظالم في نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه من اقامة الحجية بخالفه الامر ثم عاد سبحانه وتعالى الى شرح أحوال الكفار وروقا بأمح طرائقهم فقال (أفأريت) أى أعلنت علما هو في يقينه كالمحسوس بحاسة البصر التي هي أثبت الحواس (من اتخذ) أى بقاية جهده (الله هواه) أى ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن روى عن أبي رجا العطاردي وهو ثقة أدرك الجاهلية ومات سنة

خمس ومائة عن مائة وعشرين سنة قال كان عبد الحجر فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه  
وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حشوة من تراب فخلينا عليها ثم طقنا بها قال الاصدنها انى سئل  
ابن المقفع عن الهوى فقال هو ان سرقت نونه فنظمه من قال

نون الهوان من الهوى مسروقة \* فأسير كل هوى أسير هوان

وقال آخر أيضا

ان الهوى لهو الهوان بعينه \* فاذا هويت فقد اقيمت هوانا

(وأضله الله) أى بما له من الاحاطة (على علم) منه تعالى أى عالما بأنه من أهل الضلالة قبل  
خلقه (وختم) زيادة على الاضلال الخاص (على سمعه) فلا فهم له فى الآيات المسموعة (وقلبه)  
أى فهو لا يعى ما من حقه وعيه (وجعل على بصره غشاوة) أى ظلمة فلا يبصر الهوى ويقدره هنا  
المفعول الثانى لرأيت أى أيتهاى وقرأ حزمة والكسائى بفتح الغين وسكون الشين والباقون  
بكسر الغين وفتح الشين وألف بعد الشين واذا صار بهذه المثابة (فن يهديه) وأشار تعالى الى  
قدرته عليه بقوله سبحانه وتعالى (من بعد الله) أى ان أراد الله اضلاله الذى له الاحاطة بكل  
شىء أى لا يهتدى (أفلاتنكرون) أى ألم يكن لكم نوع تذكرة فتعظوا وفيه ادغام احدى  
التسامين فى الذال (وقالوا) أى فى افكارهم البعث مع اعترافهم بأنه تعالى قادر على كل شىء  
(ماهى) أى الحياة (الاحيائنا) أى أيها الناس (الدنيا) أى هذه التى نحن فيها (نعوت ونحميا)  
(فان قيل) الحياة متقدمة على الموت فى الدنيا فذكر الموت فى الدنيا فذكر القيامة كان يجب أن يقولوا نحميا  
ونعوت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة (أجيب) من وجوه أولها أن المراد بتولاهم  
نعوت أى حال كونهم نطقا فى أصلاب الآباء وأرحام الاقهار وبتولاهم ونحميا ما حصل بعد ذلك  
فى الدنيا ثانياً نعوت نحن ونحميا بسبب بقاء أولادنا ثالثاً قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى  
نعوت بعض ونحميا بعض رابعاً قال الرازى انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الاحيائنا  
الدنيا ثم قال بعده نعوت ونحميا يعنى أن تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين  
ماتوا ومنها ما لا يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقال  
البيضاوى يحتمل انهم أرادوا به التناسخ أى وهو ان روح الشخص اذا خرجت تتقل الى  
شخص آخر فيحميا بعد ان لم يكن فانه عقيدة أكثر عبدة الاصنام (وما ينكأ) أى بعد الحياة  
(الا الدهر) أى الزمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره  
اذا غلبه (وما) أى قالوه والحال انه ما (لهم بذلك) أى المقول البعيد من الصواب وهو انه  
لا حياة بعده هذه وان الاهلاك منسوب الى الدهر على انه مؤثر بنفسه وأغرق فى التنى فقال  
تعالى (من علم) أى كثير ولا قليل (ان) أى ما (هم الا يظنون) أى بقريظة ان الانسان كلما تقدم  
فى السن ضئف وانه لم يرجع أحد من الموتى هذا ظنهم القاسد روى أبو هريرة أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فانى أنا الدهر أرسل الليل  
والنهار فاذا اشتت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب أحدكم

الدهر فان الدهر هو الله تعالى ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى  
 الحديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم  
 من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم فاذا  
 أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلموا فان كان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل  
 في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنحو (واذا أتتني) أي تتابع بالقراءة من أي  
 نال كان (عليهم آياتنا) أي على ما لها من العظمة في نفسها وبالاضافة اليها حال كونها (بينات) أي  
 في غاية المكنة في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردها (ما كان) أي بوجه من وجوه الكون  
 (حجتم) أي قولهم الذي ساقوه مساق الحجمة (الآن قالوا اتوا يا بائنا) أي احياء ان كنتم  
 صادقين) أي في انابعت فهو لا يستحق أن يسمى بشبهة فسمى حجة بزعمهم أولان من كانت حجته  
 هذه فليست له البتة حجة كقوله \* تحية بينهم ضرب وجيع \* ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه  
 وسلم أن يحيبهم بقوله تعالى (قل الله) أي المحيط علما وقدوة (يحيبكم) أي حين كنتم نطفة (ثم يحيبكم)  
 أي بأن يخرج أرواحكم من أجسادكم فتكونون كما كنتم قبل الاحياء كما تشاهدون (ثم يجمعكم)  
 أي بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت بعد طول مدة الرقاد منتهين (الي يوم القيامة) أي  
 القيام الاعظم لكونه عاما لجميع الخلائق (لأريب) أي لاشك بوجه من الوجوه (فيه) بل هو  
 معلوم علما قطعيا ضروريا (ولكن أكثر الناس) أي وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون) أي لا يتجدد  
 لهم علم لما لهم من النفوس والتردد والسؤال عن أوج العقل الى حضيض الجهل فهم واقفون  
 مع المحسوسات لا يلوح لهم ذلك مع ماله من الظهور وقوله تعالى (ولله) أي الملك الاعظم  
 وحده (ملك السموات) أي كلها (والارض) أي التي ابتدأكم منها تعمير للقدرة بعد تخصيصها  
 (ويوم تقوم الساعة) أي توجد وتحقق تحقق القاسم الذي هو على كمال تمكنه وتعام أمره  
 الناهض باعباء ما يريد ثم كثر لالتأكيد والتويل قوله تعالى (يوشك) أي يوم تقوم يخسرون هكذا  
 كان الاصل ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف (يحسر المبطون) أي الداخلون  
 في الباطل الغريقون في الاتصاف به الذين كانوا ايرضون بقضائي \* (تبيهه) \* الحيازة والعقل  
 والصحة كأنهم رأس مال والتصرف فيها بطلب السعادة الاخرية يجري مجرى تصرف  
 التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا أنفسهم في تصرفاتهم بالكفر والباطل فلم  
 يجدوا في ذلك اليوم الا الحرمان والخذلان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران  
 (وترى) أي في ذلك اليوم (كل أمة) أي أهل دين (جاثية) أي مجتمعة لا يخاطبها غيرها وهي  
 مع ذلك باركة على الركب رعبا واستيفازا لما عليها تؤمر به جلسة الخصاص بين يدي الحاكم  
 تنتظر القضاء الحاتم والامر الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم (كل أمة) من  
 الجاثين (تدعى الى كتابها) أي الذي أنزل عليها وتعيدها الله تعالى به والذي نسخته الحفظة عليهم  
 السلام من أعمالها يطبق أحدهما بالآخر فن وافق كتابه ما أمر به من كتاب ربه فجا ومن خالفه  
 هلك ويقال لهم حالة الدعاء (اليوم تجزون) أي على وفق الحكمة بأيسر أمر (ما) أي عين الذي

(كنتم) بما هولكم كالجبلات (تعملون) أي مصرين عليه غير راجعين عنه من خيرا وشرًا  
(فان قيل) الجشوع على الركب انما يليق بالخائف والمؤمنون لا يخوف عليهم يوم القيامة (أجيب)  
بأن الجاني الآمن يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى أن يظهر كونه محققا (هذا كتابا) أي  
الذي أنزلناه على السنة رسلنا عليهم الصلاة والسلام (ينطق) أي يشهد شهادة هي في بيانها  
كالنطق (عليكم بالحق) أي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من أعمالكم وذلك بأن يقول  
من عمل كذا فهو عاص ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك على ما علمتوه سواء بسواء من  
غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ \* ولما كانت العادة جارية في الدنيا  
بإقامة الحقوق بكتابة الوثائق وكانوا كانوا يقولون ومن يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول  
المدة وبعد الزمان قال تعالى مجيبا بما يقرب الى عقل من يسأل عن ذلك (انا) أي على مالنا  
من العظمة المغنية عن الكتابة (كنا) على الدوام (نستنسخ ما كنتم) طبعنا لكم وخلقنا (تعملون)  
قولا وفعلا ونية أي نأمر الملائكة عليهم السلام بكتبتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ  
نسخه وذلك أن المكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله تعالى منه ما كان له من ثواب أو عقاب  
ويطرح منه اللغو ونحو قولهم هم لهم وذهب والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة  
كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل كما ينسخ من كتاب  
كتاب وقال الضحاك نستنسخ أي ثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن نحفظ \* ثم بين تعالى  
أحوال المطيعين بقوله تعالى (فأما الذين آمنوا) أي من الامم الجاثية (وعملوا) أي تصديقا  
لدعواهم الايمان (الصالحات) أي الطاعات فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان  
يدل على أن العمل الصالح مغاير للايمان زائد عليه (فيدخلهم) أي في ذلك اليوم (ربهم) أي  
المحسن اليهم بالتوفيق بالايمان (في رحمة) التي من بجلتها الجنة والنظر الى وجهه الكريم  
الذي هو الغاية القصوى وتقول لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم أيها المؤمنون ودل على  
عظمة الرحمة بقوله تعالى (ذلك) أي الاحسان العالي المنزلة (هو) أي لا غيره (الفوز المبين)  
أي الظاهر الذي لا يخفى على أحد شيء من أمره لانه لا يشوبه كدر أصلا ولا نقص بخلاف ما كان  
من أسبابه في الدنيا فانهم مع كونها كانت فوزا كانت خفية جدا على غير الموقنين \* ثم بين تعالى  
أحوال الفريق الآخر بقوله تعالى (وأما الذين كفروا) أي ستروا ما أمر الله تعالى به (أقلم) أي  
فيقال لهم ألم (تكن) تأتكم رسلي فلم تكن (آياتي) على مالها من عظمة اضافتها الى وأعظمها  
القرآن (تتلى) أي توأصل قراءتهم من أي مال كان فكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة  
مستعجلة (عليكم) لا تقدرون على دفع شيء منها \* (تبيه) \* حذف المقول المعطوف عليه كما تقرر  
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فأسكبتم) أي تسبب عن تلاوتها التي من شأنها البراث  
الجشوع والاختبات والخشوع ان طلبتم الكبر لانفسكم أو جددتموه على رسلي وآياتي (وكنتم  
قوما) أي ذوى قيام وقدرة على ما تحاولونه (مجرمين) أي غريقين في قطع ما يستحق الوصول  
وذلك هو الخسران المبين (واذا) أي وكنتم اذا (قيل) أي من أي قاتل كان ولو على سبيل

التأكيد (ان وعد الله) أى الذى كل أحد يعلم أنه محيط بصفات الكمال (حق) أى ثابت  
 لا يحد عنه مطابق للواقع من البعث وغيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن يخلف وعده فكيف  
 به سبحانه وتعالى فكيف اذا كان الاخلاف فيه مناقضا للعكم وقرأ (والساعة) حزمة بالنصب  
 عطفا على وعد الله والباقون برفعها وفيه ثلاثة أوجه أحدها الابتداء وما بعدهما من الجملة  
 المنفية وهو قوله تعالى (لأريب) أى لاشك (فيها) خبرها ثانيها العطف على محل اسم ان لانه  
 قبل دخولها مرفوع بالابتداء ثالثها انه عطف على محل ان واسمها مع الان بعضهم كالفاوسى  
 والزختمرى يرون أن لان واسمها موصلا وهو الرفع بالابتداء (قائم) أى راضين لانفسكم  
 بحضض الجهل (ماندرى) أى الان دراية علم ولو بذلنا جهدا فى محاولة الوصول اليه  
 (ما الساعة) أى لانعرف حقيقتها فضلا عما تخبر وتنا به من أحوالها \* (تنبه) \* الساعة  
 هنا مرفوعة باتفاق (ان) أى ما (نظن) أى نعتقد ما تخبر وتنا به عنها (الاطننا) وأما وصوله  
 الى درجة العلم فلا (وما نحن) وأكذبوا النبي فقالوا (بستيقنين) أى بوجود عندنا  
 اليقين فى أمرها قال الرازى القوم كانوا فى هذه المسئلة على قولين منهم م من كان قاطعا بنى  
 البعث والقيامة وهم المذكورون فى قوله تعالى وقالوا ما هى الاحياتنا الدنيا ومنهم م من كان  
 شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم السلام واكثر ما سمعوه من دلائل  
 القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الآية ويدل على ذلك أنه حكى تعالى  
 مذهب أولئك القاطعين ثم أتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق  
 الأول \* ولما وصلوا الى حد عظيم من العناد التفت الى أسلوب الغيبة اعراضا عنهم ايذانا  
 بشدة الغضب عليهم فقال تعالى (وبدا) أى ولم يزالوا يقولون ذلك الى أن بدت لهم الساعة  
 بما فيها من الاوجال والزلازل والاهوال وظهور (لهم) غاية الظهور (سيات ما علموا) فى الدنيا  
 فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك (وحاق) أى أحاط (بهم)  
 على حال القهر والغلبة قال أبو حيان ولا يستعمل الا فى المكروه (ما كانوا) جبلة وطبعا  
 (به يهتزون) أى يوجدون الهزبه على غاية الشهوة واللذة ايجادا من هو طالب لذلك وهذا  
 كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الاطنا انما ذكره استهزاء وسخرية فصار هذا  
 الفريق أشرم من الفريق الاقل لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين وهؤلاء ضموا  
 الى الاصرار على الانكار الاستهزاء وقرأ حزة فى الوقف تسهيل الهمة بعد الراى كالواو وله  
 أيضا ابد الهايا ونقل عنه أيضا غير ذلك (وقيل) أى له م على أفزع الاحوال وأشدّها قولا  
 لا معقب له فكانه بلسان كل قائل (اليوم ننسأكم) أى نترككم فى العذاب (كأنسيتم لقاء  
 يومكم هذا) أى كما تركزتم الايمان والعمل للقائه وقيل تجعلكم منزلة الشئ المنسى غير المبالى به  
 كما تبالوا أنتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه (وما أواكم النار) ليس لكم براح عنها  
 (وما لكم من ناصرين) يتقدونكم من ذلك بشقاعة ولا مقاهرة فجمع الله تعالى عليهم من  
 وجوه العذاب ثلاثة أشياء قطع الرجعة عنهم وتصغير ما واهم النار وعدم الانصار لانهم أتوا

ثلاثة أنواع من الأعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية  
والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى (ذلكم) أى العذاب العظيم (بأنكم اتخذتم)  
أى شكليكم منكم لانفسكم (آيات الله) أى الملك الاعظم (هزوا) أى استهزاء بها ولم تتفكروا  
فيها وقرأ اتخذتم ابن كثير وحفص باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام (وعزتكم الحياة  
الدنيا) الدنية لضعف عقولكم فارتعوا لكونها حاضرة وأنتم كلابهم افقلمت لاجياة غيرها  
ولا بعث ولا حساب ولو تعلمتم وصفكم لها لاداكم الى الاقرار بالآخرة (فاليوم) أى بعد  
ايواتهم فيها (لا يخرجون منها) أى النار لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرأ  
جزء والكسافي بفتح الاء التحتية ونسب الراء والباقون بضم الاء وفتح الراء (ولاهم يستعجبون)  
أى لا يطلب من طالب تمامهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة  
\* ولما تم الكلام في المباحث الروحانية ختم السورة بتعديد الله تعالى فقال عز من قائل (قله)  
أى الذى له الامر كله (الجد) أى الاحاطة بجميع صفات الكمال (رب السموات) أى ذوات العلو  
والانساع والبركات (ورب الارض) أى ذات القبول للواردات (رب العالمين) أى خالق  
ما ذكر اذا لكل نعمة منه دال على كمال قدرته فاحمدوا الله الذى هو خالق السموات والارضين  
وخالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه توجب الحمد والثناء  
على كل من المخلوقين والمربوبين \* ولما أفاد ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وانه لا كف له  
عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيه على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء  
الشركة التى لا يرضونها لانفسهم فقال تعالى (وله) أى وحده (الكبرياء) أى الكبر الاعظم  
الذى لانهاية له (فى السموات) كلها (والارض) جميعا اللتين فيهما آيات الموقنين روى عن  
أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول الله عز وجل الكبرياء رداق  
والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار وفى رواية عذبه وفى رواية قصته  
(وهو) وحده (العزير) الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) الذى يضع الاشياء فى  
مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه وأحكم نظم هذا القرآن

بجلا وآيات وفواصل وغايات بعد أن حتر معانيه وتنزله فصار

مجزا فى نظمه ومعناه وما رواه البيضاوى تبعا

للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال

من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله

عورته وسكن روعته يوم

الحساب حديث

موضوع

تم

\* (تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة الاحقاف) \*